مَركز محمد عمَر بشيْر
للدراسَات السودانيَة

مذكرات الفريق
جوزيف لاقو

ترجمة
محمد علي جادين

مذكرات الفريق (معاش)

جوزيف لاقو

ترجمة

الأستاذ / محمد علي جادين

مركز محمد عمر بشير
للدراسات السودانية

الكتاب : مذكرات الفريق (معاش) جوزيف لاقو

المؤلف : ترجمة / أ. محمد على جادين

رقم الإيداع : ٤٠٩٥ / ٢٠٠٥

تاريخ النشر : ٢٠٠٥

الناشر : جامعة أم درمان الأهلية

مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية

ص ب : ١٣٦٣ أم درمان السودان

فاكس : ٨٧٥٧٠٣٥٢ - ١ - ٢٤٩ ت : ٨٧٥٦٦١٦٢

بريد إلكترونى E-mail: mobcenter@sudanmail.net

• الإخراج الفنى والتصميم والطباعة

لدار عزة للنشر والتوزيع

ت: ٨٣٧٨٧٢٠٠ - فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ - الخرطوم - السودان

إخـراج إلكتروني / ابوبكر خيري

مقدمة المترجم

1- مذكرات الفريق معاش جوزيف لاغو لها اهمية كبيرة في الظروف السياسية الجارية الآن في السودان وذلك دون تقليل من شأن مذكرات السياسيين السودانيين الجنوبيين الآخرين . وهذه الأهمية تنبع أولاً: من دوره القيادي البارز في قيادة قوات الأنيانيا وحركة تحرير جنوب السودان في ستينيات القرن الماضي ودوره في تحقيق إتفاقية أديس أبابا 1972م وفي فترة الحكم الذاتي الإقيمي في الإقليم الجنوبي 72-1983م حتى إنهياره وتجدد الحرب الأهلية في الجنوب في منتصف عام 1983م . وهذا وحده يجعلها مصدراً مقدراً لدراسة تطور الحركة السياسية الجنوبية خلال سنوات ما بعد الإستقلال ولتقييم تجربة الحكم الإقليمي التي مكنت الجنوبيين لأول مرة من حكم أنفسهم وإدارة شئون إقليمهم في إطار سودان موحد – وهي فترة لها خصوصيتها وتأثيراتها الحاسمة في مجرى الحركة السياسية الجنوبية وعلاقات الشمال والجنوب وفي مجرى حركة التطور الوطني ككل في الفترات اللاحقة الممتدة حتى الآن . وتنبع ثانياً: من أن المذكرات تتناول بتفاصيل واسعة تطور أول تجربة وطنية لتحقيق السلام وتعزيز الوحدة الوطنية وتمكين شعب الجنوب من تحقيق تطلعاته في الحياة الكريمة وحماية وتطوير ثقافاته وخصوصيته في إطار مقولة الوحدة في التنوع . وأياً كانت أسباب إنهيار هذه التجربة ، فإنها تبقى رصيداً وطنياً اساسياً له أهميته في تجويد المحاولات الجارية الآن للوصول إلى تسوية وطنية رغم إختلاف الظروف والأطراف المعنية والمناخ السائد وطنياً وإقليمياً ودولياً. وهذا يتطلب فتح الباب على مصراعيه لمراجعتها ومناقشتها بهدف تلخيص دروسها وخبراتها والإستفادة منها في الوصول إلى تسوية وطنية تاريخية تفتح الباب لبناء سودان ديمقراطي موحد وفاعل في محيطه العربي والإفريقي والدولى بمشاركة كافة قواه السياسية والإجتماعية .

لقد ظلت مشكلة الجنوب تشكل أهم مشاكل الدولة السودانية في فترة ما بعد الإستقلال. وطوال الخمسين عاما الماضية كان لها تأثير مباشر وواسع في كل

التطورات السياسية التي شهدتها بلادنا، بدءاً بإعلان الإستقلال في مطلع 1956م مروراً بإنقلاب 1958م وثورة أكتوبر 1964م وإنقلاب 1969م وإنتهاءاً بإنتفاضة 1985م وإنقلاب يونيو 1989م والتطورات اللاحقة . حتى مفاوضات السلام بكينيا. ولذلك ظلت تمثل عقبة أساسية في طريق بناء الدولة الوطنية وإستكمال إنجاز مهام مرحلة ما بعد الإستقلال. فالحقائق الجغرافية تشير إلى أن السودان يقع في قلب القارة الإفريقية والحدود الجنوبية للوطن العربي ويجاور تسع دول إفريقية وعربية وهذا الموقع ينعكس في تركيبته السكانية المركبة والمتنوعة وفي خصوصية إنتمائها ودورها العربي والإفريقي، وذلك بحكم هويتها المزدوجة وإرتباطاتها العربية والإفريقية المتداخلة والمتشابكة . ونتيجة لتطورات تاريخية طويلة ومعقدة إتخذ الشمال هويته العربية الإسلامية الغالبة بسماتها السودانية المحددة ، بينما ظل الجنوب يحتفظ بهويته وثقافاته الإفريقية الأصلية . ومع كل ذلك ظلت علاقات الجنوب والشمال تسير في طريق التعايش والتفاعل الإيجابي من خلال التداخل القبلى والهجرات الداخلية والتجربة المشتركة فى المراحل التاريخية المختلفة منذ فترات تاريخية بعيدة وخاصة في فترة السلطنات العربية الإسلامية والحكم التركي المصري ودولة المهدية . وذلك رغم التأثيرات السبية للصراعات القبلية وتجارة الرقيق والإختلافات التاريخية والثقافية . وفي 1898م جاءت قوات الإحتلال البريطاني لتفرض سيطرتها على البلاد لأكثر من خمسين عاماً. ومن خلال سياسات محددة قامت بوضع علاقات الشمال والجنوب في مجرى جديد، يقوم على المواجهة والتنافر لأول مرة في تاريخها بدلاً من التعايش والتفاعل السلمي الإيجابي. وبذلك برزت إلى الوجود ما سميَّ (مشكلة الجنوب).

2- هكذا تطورت المشكلة من إختطفات وفروقات تاريخية وأثنية وثقافية بين الشمال والجنوب إلى تفاوتات إقتصادية وإجتماعية خلقتها الإدارة البريطانية. ففي مستوى التطور الإقتصادي الإجتماعى أدت سياسات سلطات الإحتلال إلى ظهور تفاوتات كبيرة في مستوى التطور الإقتصادي الإجتماعي بين مختلف الأقاليم بشكل

عام والشمال والجنوب بشكل خاص ، حيث ركزت إستثماراتها الأساسية في المناطق الشمالية . وشمل ذلك مشروع الجزيرة ومشاريع الطلمبات في ضفاف النيلين الأزرق والأبيض ونهر النيل لتلبية إحتياجات الصناعة البريطانية من المواد الخام (القطن) وإمتداد السكك الحديدية من بورتسودان في البحر الأحمر حتى مناطق الإنتاج الزراعى فى الشرق والشمال والوسط وحتى سهول كردفان فى الغرب إلخ ... أما الجنوب فقد تركته في احواله التقليدية المخلتفة بحجة أن ظروفه لا تسمح بإستثمارات مجزية ومناسبة لأهدافها. وفي الوقت نفسه إنتهجت سياسات تعليمية وإدارية في الجنوب تختلف كلية عن سياساتها في الشمال . فقد قامت سياساتها التعليمية هناك ، تحت إدارة الكنائس والبعثات التبشيرية ، على عزل الجنوب عن الشمال ومحاربة إنتشار الإسلام واللغة العربية في أوساط الجنوبيين . وركزت على نشر المسيحية واللغة الإنجيزية وعلى زرع روح العداء والكراهية للعرب والمسلمين وتحميل الشماليين مسئولية تجارة الرقيق فى الفترات السابقة وخاصة أثناء فترة الحكم التركي المصري. صحيح أن القرن التاسع عشر شهد إنتشار تجارة الرقيق في المناطق الجنوبية وشارك فيها بعض التجار الشماليين . ولكن الحكم التركي المصري والإداريين والتجار الأوربيين هم الذين لعبوا الدور الرنيسي في هذا الانتشار إمتداداً لدورهم في بقية أجزاء إفريقيا – وفي سياستها الإدارية عملت الإدارة البريطانية على عزل الجنوب وفصله عن الشمال وضمه لمستعمراتها في شرق أفريقيا. ولذلك أصدرت قوانين المناطق المقفولة لمنع الشماليين (خاصة التجار الجلابة) من دخول المناطق الجنوبية والعمل في ربوعها. ومنعت القبائل الجنوبية حتى من إستخدام اللغة العربية والملابس الشمالية . وإستمرت سياسة العزلة هذه حتى عام 1947م ، حيث قررت تغيير هذه السياسة وإعادة دمج الجنوب مع الشمال في سودان موحد – وذلك تحت ضغوط مؤتمر الخريجين والحركة الوطنية النامية فى الشمال وظروف مستعمراتها فى شرق أفريقا وتدهور أوضاع الإمبراطورية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية . ففي ذلك

العام عقدت السلطات مؤتمراً إدارياً في مدينة جوبا، ضم إداريين بريطانيين وعدداً من الزعماء التقليديين ومن الموظفين الجنوبيين وبعض الشماليين . وذلك لمناقشة مستقبل الوضع الإداري فى الجنوب . وبعد مناقشات ومناورات واسعة قرر المؤتمر دمج الجنوب في السودان الموحد ومشاركته فى الجمعية التشريعية المزمع قيامها فى 1948م ، بهدف تمكين السودانيين من المشاركة في الحكم وتقرير مصيرهم . ولكن وقتها كانت السياسة التعليمية والإدارية البريطانية قد نجحت فى تكوين صفوة سياسية جنوبية مختلفة فى تكوينها الثقافى وتوجهاتها السياسية عن الحركة الوطنية التي نمت وتطورت فى الشمال وقادت البلاد إلى إنتزاع الإستقلال فى مطلع 1956م . وفى الوقت نفسه كان التفاوت في ستوى التطور الإتتصادي الإجتماعي بين الشمال والجنوب قد قطع شوطاً طويلاً وأصبح يعكس فجوة كبيرة وحقيقة بارزة لا يمكن معالجتها بسهولة ومن جهة اخرى كانت الحركة الوطنية في الشمال اسيرة نظرة تبسيطية لمشكلة الجنوب تربطها بالسياسة البريطانية وتتجاهل خصوصيتها الثقافية ومطالبها ومخاوفها المشروعة . ولذلك كانت ترى إمكانية معالجتها بسياسة معاكسة تعمل على دمج الجنوب فى الهوية العربية الإسلاية الشمالية . وكان يمكن تطوير هذه النظرة بعد مؤتمر جوبا 1947م فى إتجاه التعبير عن حقائق التنوع الإثنى والثقافي في البلاد وهويتها الوطنية المزدوجة عن طريق إستيعاب الجنوب وتطلعاته في إطار الحركة الوطنية العامة .. ولكن الظروف لم تسح بذلك نتيجة لتأخر نمو وتطور الحركة السياسية الجنوبية حتى بداية الخمسينات وضيق أفق القوى والفئات المسيطرة على الحركة السياسية الشمالية وتسارع الخطوات نحو إعلان الإستقلال. وبدلاً من ذلك سارت التطورات الواقعية فى إتجاه إستبعاد الجنوب وتهميش وره فى الحياة السياسية الوطنية ودولة الإستقلال.

3- كل هذه الحقائق كانت واضحة في السنوات الأخيرة للحكم الإستعماري البريطاني وأشار إليها تقرير لجنة التحقيق في أحداث تمرد 1955م بشكل مباشر ومحدّد. ولكن الحركة الوطنية فى الشمال كانت غير قادرة على مواجهتها عن

طريق الإعتراف بخصوصية الجنوب فى إطار السودان الموحد والإستجابة لمطالبه المشروعة فى حماية هويته المتميزة وتلبية تطلعاته في الحياة الكريمة . ونتيجة لغياب مثل هذه الرؤية إرتكبت الأحزاب السياسية الشمالية والسياسيون الشماليون أخطاء كبيرة فى إستبعاد السياسيين الجنوبيين من مفاوضات ومناقشات إتفاقية الحكم الذاتى 1953م وفى فترة الحكم الذاتي (54-1956م) وفي مناورات إعلان الإستقلال من داخل البرلمان فى ديسمبر 1955م . وعند سودنة الوظائف تنكر السياسيون لوعودهم التي أطلقوها فى إنتخابات 1953م بمنح الجنوبيين أولوية فى الوظائف الإدارية فى الجنوب ومواقع أخرى فى الشمال ، حيث لم يجد الجنوبيون سوى ست وظائف فقط من مجموع اكثر من ثمانمائة وظيفة متوسطة وعليا كان يشغلها بريطانيون . وبذلك أصيبت القيادات الجنوبية بالإحباط فى موقف الشماليين من مطالبها المشروعة وبدأت تنظر لسودنة الوظائف الإدارية فى المديريات الجنوبية كتوجه لعودة (الإستعمار الشمالى) للسيطرة على إقليمها بعد رحيل الإداريين البريطانيين . وخلال سنوات الحكم الذاتى إنقلبت هذه الشكوك إلى روح معادية للشمال بشكل عام وبالتالي تعميق وترسيخ روح العداء والكراهية التي زرعتها الإدارة البريطانية فى اوساط المتعلمين الجنوبيين. ومع اتساع حالة التذمر والسخط في هذه الأوساط وإنشغال الأحزاب الشمالية بإجراءات إعلان الإستقلال وصراعاتها الداخلية ومع بعضها، إنفجر تمرد الفرقة العسكرية الجنوبية في توريت في 1955م قبل شهور قليلة من إعلان الإستقلال. ونتيجة لذلك شهدت علاقات الشمال والجنوب هزة عنيفة أدت إلى ولادة البذور الأولى لحركة المقاومة الجنوبية المسلحة وإلى وضع الطرفين فى مجرى الصرُاع و الإقتتال العسكري بدلا من التعايش والحوار السلمي الديمقراطي. وبالطبع لا يمكن عزل كل ذلك عن السياسة البريطانية ودور الكنائس وجمعيات التبشير المسيحى الغربية في الجنوب طوال أكثر من خمسين عاماً. كما لا يمكن إعفاء السياسيين الشماليين والأحزاب الشمالية الأساسية وتجاهل أخطائهم الواضحة خلال سنوات الحكم الذاتي وبدايات فترة ما بعد

الإستقلال . وأيضآ لا يمكن تجاهل دور القيادات الجنوبية التي إنقسمت على نفسها وخضعت لمناورات الأحزاب الشمالية وإرتبطت بالقوى الخاربية وركزت على معاداة الشمال وتجاهلت تماماً أهمية الحوار والتحالف مع الحركة الشعبية الشمالية طوال السنوات اللاحقة فقد إتجهت بعد أحداث 1955م على حماية خصوصية الجنوب في مواجهة القوى المهيمنة في الخرطوم وذلك عن طريق المطالبة بحكم فيدرالي ورفضت الموافقة على إعلان الإستقلال إلا بعد أن إتخذ البرلمان قراراً يقضي بوضع الإعتبار الكافي عند صياغة الدستور الدائم لمطالب الجنوب في الحكم الفيدرالى. ولكن القوى المهيمنة الشمالية لم تلتزم بهذا الوعد وظلت تواصل تجاهلها لمطالب الجنوب ولما كان يجري فيا من توتر وسخط وإحباط وشكوك وإنشغلت بصراعاتها حول السلطة على حساب قضايا التنمية والبناء الوطني ومن ضمنها قضايا الهوية وتعزيز الوحدة الوطنية . وفي هذه الفترة ظهرت الحركة اسياسية الجنوبية ، أولى التنظيمات الإقليمية فى البلاد، وإستطاعت أن تطرح مشكلة الجنوب بعمق ووضوح في البرلمان وفي المسرح السياسي بشكل عام وخاصة في مناقشات لجنة الدستور – ويشير جوزيف لاغو في هذا الكتاب إلى أن ذلك كان أحد الأسباب التى أدت إلى إنقلاب نوفمبر 1958م . وبعض الكتابات الجنوبية تنظر للإنقلاب كمؤامرة شمالية لقطع الطريق أمام تطلعات الجنوب في الحكم الفيدرالي. المهم ان الحكم العسكري الأول أدى إلى إتساع أعمال العنف وروح العداء للشمال في أوساط النخبة الجنوبية ، بسبب توجهاته لفرض الأمن والإستقرار بحملات عسكرية واسعة وتوجهاته لتوسيع عمليات تعريب وأسلمة الجنوب ودمجه في مركز النظام السياسي.

4- جاء إنقلاب 1958م ليضع نهاية لتوجهات مؤتمر جوبا 1947م حول خصوصية الجنوب ومتطلبات حمايتها ووعود البرلمان الأول بوضع الإعتبار الكافي لمطالب الجنوبيين في الحكم الفيدرالي. فبدأ بمواجهة عمليات العنف المتزايدة بحملات عسكرية واسعة ، بإعتبارها تمردا عسكرياً يجب القضاء عليه دون مراعاة لدوافع السياسية أو تمييز بين المتمردين والمواطنين الأبرياء. وبجانب ذلك عمل

على توسيع مظاهر التعريب والأسلمة وإعادة تنظيم جمعيات التبشير المسيحي وطرد بعض القساوسة بعد إتهامهم بالعمل ضد الحكومة المركزية ومساعدة المتمردين . وذلك بالإضافة إلى تقييد حركة السياسيين الجنوبيين وإعتقالهم وسجنهم . وأدى ذلك فقط إلى توسيع وتعميق عمليات الصراع والإقتتال الأهلي وتحويل الحركة السياسية الجنوبية إلى حركة مقاومة مسلحة ممتدة ومتصاعدة . وساعد في ذلك هروب مجموعات من السياسيين والموظفين والعسكريين الجنوبيين إلى الخارج ،خاصة بلدان وسط وشرق أفريقيا، وظروف تصاعد حركة التحرر الوطني الإفريقي وصراعات الحرب الباردة في تلك الفترة . وفي هذه الفترة ترك جوزيف لاغو القوات المسلحة وإنضم لحركة المقاومة الجنوبية . ومن خلال ذلك ظهرت قوات الأنيانيا وحركة تحرير جنوب السودان في بداية ستينيات القرن الماضي وتمكنت من مواصلة وتوسيع عملياتها السكرية والحصول على دعم وتأييد من مؤسسات كنسية ودول أفريقية وأجنبية عديدة . وتشير مذكرات جوزيف لاغو هنا إلى إستفادة الحركة الواسعة من صراعات الكنغو وما صاحبها من تدخلات دولية في الحصول على دعم واسع . وذلك بالإضافة إلى دعم إسرائيلي مقدر بعد حرب يونيو 1967م . وهي أول إشارة ، حسب معلومات كاتب هذه السطور، حول هذه العلاقة من قيادي بارز في الحركة الجنوبية المسلحة . وأشارت المذكرات أيضاً إلى المرتزق الألماني شتاينر وظروف دخوله للجنوب وإعتقاله من قبل حكومة الخرطوم في 1971م. وفي هذه الفترة بالذات برزت الحركة السياسية الجنوبية الحديثة بخصائصها المميزة والمتمثلة في العمل المسلح والصراعات القبلية وسط قياداتها ومعاداتها للشمال بشكل عام والإعتماد بشكل واسع على العوامل الخارجية وبذلك إفتقدت الوحدة والتماسك الداخلي ووضوح الأهداف والبرنامج السياسي والتفاعل الإيجابي مع الحركة السياسية الشمالية . وإنعكس ذلك في ندرة الوثائق الفكرية والسياسية الداخلية في أوساط الحركة . فقد أورد المؤلف وثيقة داخلية وحيدة ، صدرت في يناير 1972م ، أي اثناء مفاوضات السلام في أديس ابابا، تحت عنوان

(حركة الأنيانيا .. لماذا تحارب ؟) وركزت الوثيقة على الدفاع عن خصوصية الجنوب وهويته الإفريقية فى مواجهة الهوية العربية الإسلامية الغالبة في الشمال وعلى حقه في تقرير مصيره وحكم نفسه بنفسه فى مواجهة نزعة الهيمنة الشمالية . ولكن دون ربط ذلك ببرنامج عملى محدد يساعد فى توحيد الجنوب وتحقيق تطلعاته وتحديد مستقبل علاقاته مع الشمال والمحيط الإقليمى للبلاد بشكل عام . وهكذا تحولت مشكلة الجنوب إلى نزيفا داخلي متواصل وبوابة للتدخل الأجنبي في شئون السودان الداخلية ، تعرقل تطوره وتقدمه ، وتعمل على تهديد وحدته الوطنية وتخريب العلاقات الإفريقية العربية والتفاعل الإيجابى بين حركة التحرر الوطني الإفريقية وحركة التحرر القومى العربية بعد ثورة اكتوبر 1964م ، التي كانت الحرب الأهلية في الجنوب أهم أسبابها، وجدت مشكلة الجنوب إهتماماً فكرياً وسياسياً واسعاً إعترفت فيه غالبية القوى السياسية الشمالية لأول مرة بخصوصية الجنوب وبحقه فى حمايتها وتطويرها في إطار سودان ديمقراطى موحد. ووصل هذا الإهتمام قمته في مؤتمر المائدة المستديرة في 1965م بحضور مراقبين من الدول العربية والإفريقية المعنية . ولكن المؤتمر لم ينجح في معالجة المشكلة بسبب إنقسامات المجموعات الجنوبية وتشتتها بين شعارات الإنفصال والفيدرالية وتقرير المصير، وتزايد التدخلات الأجنبية في أوساطها، وإنشغال الحركة السياسية الشمالية بصراعاتها حول السلطة وشعارات التغيير الإقتصادي الإجتماعي فى نفس الوقت . ولذلك تواصلت الحرب الأهلية فى الجنوب بشكل أكثر عنفا وإتساعا طوال الفترة اللاحقة . وهكذا ضاعت فرصة مناقشة مشكلة الحرب الأهلية ومواجهتها بحلول واقعية ، رغم الجهود المقدرة التي بذلها مؤتمر المائدة المستديرة وإتفاق مظم القوى السياسية على نظام الحكم الإقليمي في إطار سودان موحد وإمتداد الحركات الإقليمية إلى الشرق وجبال النوبة ودارفور، وذك حتى إنقلاب 1969م . بسببا خلافات حول وضعية الجنوب وإصرار القوى الشمالية الأسلامية على (الدستور الإسلامى).

5- كانت مشكلة الجنوب من بين القضايا الأساسية التي وجدت إهتمام الإنقلاب، ففى أول خطواته أصدر إعلاناً حول المشكلة تضن إعترافا صريحاً بالفوارق والإختلافات التاريخية والثقافية بين الجنوب والشمال وبحق الجنوب في تطوير ثقافته وتقاليده الخاصة وفى الحكم الذاتى الإقليمى في إطار (سودان إشتراكى موحد.) وكان الإعلان يمثل اول إعتراف حكومي يضع المشكلة فى إطارها الصحيح المرتبط بخصوصية الجنوب الثقافية والأثنية وبأوضاع التفاوت الإقتصادي الإجتماعي بين الجنوب والشمال بشكل عام ومع أن حكومة الإنقلاب إتخذت إجراءات عديدة للسير فى هذا الطريق إلا أن خطواتها لم تتسارع إلا بعد القضاء على إنقلاب يوليو 1971م (الشيوعي) الذي ادى إلى إجراء تغييرات جوهرية في توجهاتها السياسية و الإقتصادية وساعدتها فى ذلك عوامل عديدة تمثل أهمها فى الآتى: الأول تمثل في تحول توجهات الحكومة في إتجاه تحسين علاقاتها مع المعسكر الرأسمالي الغربي بدلا من المعسكر الإشتراكي السابق والإعتماد أكثر وأكثر على مجموعات التكنوقراط والعناصر المعتدلة بدلاً من العناصر الشيوعية واليسارية . والعامل الثاني تمثل في نجاح جوزيف لاغو في توحيد المجموعات الجنوبية المختلفة في إطار قوات الأنيانيا وحركة تحرير جنوب السودان . وبذلك أصبح من الممكن التعامل مع حركة موحدة بدلا من مجموعات متعددة ومتصارعة كما كان الحال خلال مؤتمر المائدة المستديرة 1965م . وفي هذا الجانب يشير جوزيف لاغو إلى معلومات غزيرة ويحدد العوامل الأساسية التي ساعدته في توحيد الحركة وقيادتها في ظروف معقدة . أما العامل الثالث فقد تمثل في إعلان مجلس كنائس عموم إفريقيا عن إستعداده للتوسط بين الحكومة والحركة بهدف إنهاء الحرب الأهلية وتحيق السلام فى السودان عن طريق الحوار والحل السلمي. وبذلك إنفتح الطريق للحوار والمفاوضات بين الطرفين وشاركت فيها قوى عديدة أخرى شملت مجس الكنائس العالمي والإمبراطور هيلاسلاسي، إمبراطور أثيوبيا السابق ، بجانب تأييد ودعم دول الجوار الأفريقي والدول الغربية الأساسية . ويبدو أن توجهات

حكومة الخرطوم الجديدة هى التي دفعت هذه القوى للقيام بمبادرتها المذكورة ، وذلك لتقاربها مع توجهات الحركة وإرتباطاتها السياسية المعروفة . والواقع أن هذه المبادرة سبقها مبادرات عديدة من حكومة الخرطوم نفسها (أشارت إليها مذكرات لاغو) ولكنها لم تنجح بسببا إختلاف الظروف والإرتباطات . وهكذا جرت مفاوضات أديس ابابا في نهاية 1971م تحت رعاية ومتابعة الإمبراطور هيلاسلاسي بمكانته الكبيرة في القارة الإفريقية في تلك الفترة. وفي فترة وجيزة توصلت إلى ما عرف بإتفاقية أديس أبابا في مارس 1972م ، والتي تضمنت الإعتراف بخصوصية الجنوب وحقه في تطوير ثقافاته وتقاليده الخاصة وفي الحكم الذاتي الإقليمي في إطار السودان الموحد ونظامه السياسي القائم على الجمهورية الرناسية والحزب الواحد. ووجدت الإتفاقية تأييداً وقبولاً واسعاً وسط الجنوبيين بإستثناء مجموعة صغيرة ظلت متمسكة بشعارات الإنفصال وحق تقرير المصير وكان لها دور مقدر فى تجدد الحرب الأهلية في منتصف عام 1983م . وهنا تفيد المذكرات فى تسليط الضوء على خفايا مبادرات وعملية السلام والمصاعب التى إعترضتها ودور الإمبراطور الأثيوبي ومجلس الكنائس الأفريقي والعالمي في توجيهها. وتشير بشكل خاص إلى تأثير علاقات الحركة الجنوبية المسلحة مع إسرائيل ونجاحها في تجاوز رفضها. وبذلك دخل الجنوب في مرحلة جديدة ، طويت فيها صفحات دعوة الإنفصال وأعمال العنف المسلح وأصبح الإقليم يدار لأول مرة في تاريخه من خلال حكم إقليمي له مؤسساته التشريعية والتنفيذية بصلاحيات واسعة تقترب من النظام الفيدرالى ومتضمنة في دستور البلاد . وفي الوقت نفسه تم إستيعاب قوات الأنيانيا في القوات المسلحة ومواقع أخرى. كما تم توطين اللاجئين والنازحين الذين شردتهم الحرب الأهلية . ومنذ البداية ظل النظام المايوي يعرض الإتفاقية كإنجاز تاريخي هام ، أعاد لسودان وحدته الوطنية ووضعه في طريق الإستقرار والتنمية والتطور، وكفرصة لتعويض شعب الجنوب عن ما فاته خلال سنوات الحرب الأهلية ، وكنموذج للبلدان الإفريقة ذات المشاكل المشابهة

. والواقع أن الإتفاقية امدت النظام المايوي بدعم سياسى كبير ووجد فيها نميري مدداً كبيراً لتقوية مركزة وسط الفئة الحاكمة وفي مواجهة قوى المعارضة السياسية من خطر ربط إنجاز الإتفاقية وضمان إستمرارها بشخصه .. وبذلك وطد تحالفه مع قيادات حركة تحرير جنوب السودان ومجموعات الصفوة الجنوبية التي إستلمت إدارة الجنوب وأصبحت ترى في إستمراره في السلطة ضماناً لإستمرار تجربة الحكم الإقليمي وحماية خصوصية الجنوب فى وجه (نزعة السيطرة الشمالية المتأصلة .) ولكن مقتل الإتفاقية كان أولاً: في أنها جاءت مع حكم ديكتاتوري عسكري معادي للديمقراطية والحقوق الأساسية للإنسان والمجموعات الثقافية والأثنية المختلفة ، وفي ظروف ضرب الحركة السياسية والإجتماعية في الشمال ، الحليف الأساسى لتطلعات شعب الجنوب المشروعة . ونتيجة لذلك قامت الحركة الجنوبية المسلحة بحل نفسها والإنخراط في الإتحاد الإشتراكى، الحزب الوحيد المسموح له بالنشاط بالبلاد. ومنذ البداية بدا رئيس الجمهورية يمارس تدخلاته في تعيينات الإدارة السياسية فى الإقليم الجنوبى وفى التحكم في مسارها طوال السنوات اللاحقة . وبذك إفتقد شعب الجنوب حقه فى إختيار قياداته وبناء تنظيماته المستقلة .
وكان مقتلها ثانياً: فى ضعف التركيب الفكري والسياسي للحركة السياسية الجنوبية فى تلك الفترة . وتمثل ذلك فى خلو الإتفاقية من أي إشارة إلى قضايا التنمية الإقتصادية الإجتماعية فى الجنوب وتطلعاته وحقوقه الإقتصادية والإجتماعية . ومذكرات جوزيف لاغو اشارت إلى هذا الضعف ولكنها أرجعته إلى الوفد المفاوض وليس إلى تركيبة الحركة نفسها. ويؤكد ذلك أن الإتفاقية خلت أيضا من أي إشارة إلى خصومية الجنوب الثقافية وضمانات حمايتها وتطويرها،وذلك رغم تكرار الحديث عن الهوية الجنوبية الإفريقية والدفاع عنها في مواجهة نزعات الهيمنة الشمالية . وكان لهذين العاملين دور أساسي في فشل تجربة الحكم الإقليمي وإنهيارها من داخلها في منتصفا عام 1983م.

6- كانت الإتفاقية تمثل أملاً في تنمية الجنوب وردم فجوات التفاوت في مستوى التطور الإقتصادي والإجتماعي والسياسي بينه وبين الشمال وإزالة أسباب العزلة ودعوات الإنفصال وتنمية الثقافات الجنوبية المحمية في إطار ثقافة وطنية متنوعة وموحدة ومتسامحة . وكان يمكن أن تكون نموذجا لبلدان المنطقة وعاملا هاما في تأكيد خصوصية إنتماء السودان ودوره العربى والأفريقي وفي دفع عمليات التفاعل الإيجابي بين الثقافة العربية الإسلامية فى إفريقيا العربية والثقافات الأفريقية في وسط وغرب وشرق القارة . ولكن طبيعة النظام الديكتاتوري المايوي وتركيب وتوجهات الحركة السياسية الجنوبية في تلك الفترة لم تكن تسمح بتحقيق مثل هذه الآمال الكبيرة ... فالطبيعة الديكتاتورية والفردية للنظام المايوي كانت تتناقض فى جوهرها مع فكرة الحكم الذاتي الإقليمى وحماية خصوصية الجنوب وتنمية أوضاعه . وهذا ما أكده تطور الأحداث، حيث قام رئيس الجمهوريه منذ البداية في مواصله تدخلاته في شئون الحكم الإقليمي وتمزيق الإتفاقية نفسها في بداية الثمانينات ، رغم نصوص الإتفاقية ودستور 1973م الواضحة فى تحديد الصلاحيات . أما الصفوة الجنوبية الحاكمة فقد كانت ، بحكم تركيبها الثقافي وتوجهاتها السياسية المرتبطه بالسياسة التعليمية والإدارية البريطانية خلال سنوات الحكم الثنائي، وبصراعاتها مع الأحزاب الشمالية الأساسيه خلال فترة الحكم الذاتى وفترة ما بعد الإستقلال حول مغانم السودنة ووراثة جهاز الدولة الكولونيالي، وبشعارات الإنفصال والفيدرالية خلال فترة الستينات ، إنطلاقا من كل ذلك كانت هذه الصفوة ترى أن القضية هى فقط تسليم إدارة الجنوب للجنوبيين ، دون تفكير جدّي في قضايا التطور الإقتصادى والإجتماعى وتعزيز الوحدة الوطنية وتوطيد علاقات السودان مع محيطه الإقليمي. ولذلك قامت منذ أيامها الأولى بتبديد موارد الإقليم في الصرف على المكاتب والأثاثات والمنازل والسيارات وخلافها، وبتحويل مؤسسات الحكم الإقليمي إلى مصدر للثراء والتراكم الرأسمالى من خلال علاقاتها مع الفئات التجارية والبيروقراطية الشمالية . ومن خطر ممارسات الفساد الإداري والمالي وتجاهل

إحتياجات الإقليم في التنمية والخدمات الأساسية ظهرت إلى السطح ، خلال سنوات معدودة ، فئة رأسمالية جنوبية واسعة من داخل جهاز الدولة الإقليمي وصفوف الطبقة الحاكمة فى الإقليم . وساعد فى ذلك مناخ الفساد السياسي السائد وقتها وسط أركان الطبقة الحاكمة في الشمال وضعف الجهاز الإداري الإقليمي وضعف الرقابة الإدارية والمالية المركزيه والإقليمية . وهنا تشير مذكرات جوزيف لاغو وكتابات سياسيين جنوبيين آخرين إلى ضعف عمليات التنمية خلال سنوات الحكم الذاتي الاقليمي. ولكنها ترجعها إلى تجاهل الخطط المركزية لإحتياجات الجنوب وليس إلى إدارة الإقليم وإختلال أولوياتها. المهم أن الصفوة الحاكمه قامت بتبديد موارد الإقليم من الحكومة المركزية وتسهيلات القروض والمساعدات خلال السنوات الأولى. وفى منتصف السبعينات إنفجرت الأزمة الإقتصاديه الخانقة في البلاد . وفى 1978م قامت الدولة بتجميد الخطة الستية (77-1983م) وإنتهاج سياسه تقشفية في السنوات اللاحقة . وكان لهذه الإجراءات تأثير كبير على أوضاع الإقليم ، بسبب إعتماده الكبير على التسهيلات المركزية وحرمانه الطويل من الخدمات الأساسية والآثار المدمرة للحرب الأهلية وتجاهل مؤسسات الحكم الإقليمى لإحتياجات السكان فى السنوات السابقة . وهكذا تفاعلت هذه الظروف لتعكس نفسها في إنقسامات وصراعات سياسية وقبلية وشخصية وسط مجموعات السياسيين الجنوبيين بهدف السيطره على مؤسسات الحكم الإقليمي بمواردها المتناقصة . وبرزت هذه الصراعات في شكل صراعات بين الإنتماءات الحزبية القديمة (سانو، جبهة الجنوب إلخ ...) ومجموعات الداخل والخارج وغيرها. ولكنها تركزت بشكل رئيسي بين أبناء قبله الدينكا والقبائل النيلية الأخرى، الذين ظلوا يسيطرون على جهاز الحكم الإقليمي بحكم أغلبيتهم العددية ، وأبناء القبائل الإستوائية الذين لعبوا الدور الرئيسي في قوات الأنيانيا فى فترة الحرب الأهلية ووجدوا أنفسهم بعد الإتفاقية في مواقع هامشية تحت سيطرة مجموعات لم تساهم بما ساهموا به . وكانت السلطة المركزية ، خاصة رئيس الجمهورية ، تعمل على تشجيع ودفع هذه الصراعات بهدف تقوية

مركزها ونفوذها فى الجنوب . وأدى ذلك بالضرورة إلى شلل مؤسسات الحكم الإقليمي وتمزيقها في النهاية وبالتالي تردي الخدمات الإجتماعية والأوضاع الإقتصادية والمعيشية في الإقليم . فقد شهدت الفترة 78-1983م تكوين حكومة إقليمية كل سنة تقريباً. وهذا وحده يكشف حدة الإنقسامات وحالة الفوضى التي دخلها الجنوب وما أفرزه كل ذلك من إحباط ويأس وعدم ثقة في السلطة المركزية ، التى كانت تستغل هذه الإنقسامات من خلال لعبة التوازنات بهدف إضعاف الجنوب كمركز ضغط موحد. ومع إنشغال السياسيين بصراعاتهم السياسية والقبلية والشخصية فقدت مؤسسات الحكم الإقليمي إحترام شعب الجنوب وإبتعدت عن مسئولياتها المباشرة . ووصلت هذه الصراعات قمتها في إقتراحات بإعادة تقسيم الإقليم إلى ثلاثة أقاليم . وهذا التوجه كان يجد دعم ومساندة المركز في الخرطوم.

7- وسط هذه الأجواء بدأت ترتفع منذ منتصف السبعينات الأصوات المعارضة لربط مصير الجنوب بشخص نميري ورفض تدخلاته فى شئون الحكم الإقليمى. وتطورت حالات السخط والتذمر لتعبر عن نفسها في حركات تمرد متتالية وسط جنود وضباط قوات الأنيانيا السابقين ومن ثم ظهور حركة انيانيا الثانية وإنتشار أعمال العنف المسلح من جديد. وكان لإكتشافا البترول فى منطقة بانتيو في بحر الغزال دور كبير في إثارة وتحريك المشاعر الإنفصالية وإرتفاع الأصوات المطالبة بجنوب قوي في مواجهة الشمال وبحقه في ثروته الجديدة . ونتيجة لذلك إتسعت الإنقسامات والصراعات لتؤدي في النهاية إلى تجدد الحرب الأهية في منتصف 1983م . وتمثلت أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك في بدء العمل فى قناة جونقلى وتزايد الشكوك وإنتشار شائعات حول توطين مزارعين مصريين في المنطقة كتعبير عن إنعدام الثقة في نوايا الحكومة المركزية ، وتبعتها مشكلة حدود الإقليم ورفض رئيس الجمهورية لقرار مجس الشعب الإقليمي حولها. وبعدها ظهر الخلاف حول موقع مصفاة البترول ، حيث قرر نميري إقامتها في كوستي بدلا من بانتيو، كما كانت ترى الحكومة الإقليمية . وفي منتصف 1983م قرر إعادة تقسيم الجنوب

إلى ثلاثة أقاليم بهدف إضعاف الجنوب ، وذك رغم أنه لم يكن يملك هذا الحق دون إستفتاء شعبي حسبا نصوص الإتفاقية . وبذلك قام عملياً بتمزيقها وإلغائها وهنا وجدت العناصر التي رفعت السلاح في تنظيم الأنيانيا الثانية تأكيداً عمياً يبرر قيامهم بأعمال العنف المسلح وأصبح في مقدورهم إستقطاب أعداد كبيرة من السياسيين الذين يئسوا من إعادة تحريك أجهزة الحكم الإقليمي وتوحيد القوى الجنوبية المتصارعة في مواجهة تدخلات نميري الفظة والمتواصلة . ونتيجة لذلك إتسعت أعمال العنف في بحر الغزال منذ بداية 1983م . وبعدها تتالت الأحداث لتصل إلى تمرد الكتيبة 105في مدينة بور ورفضها تنفيذ أوامر نقلها للشمال ، وكان معظمها من قوات الأنيانيا السابقين وبعد قتال عنيف هربت أعداد كبيرة منها إلى الغابة باسلحتهم . وفي البداية إنضموا لحركة الأنيانيا الثانية . وفي وقتا لاحق تأسست حركة تحرير شعب السودان بقادة العقيد جون قرنق ، الذي لحق بهم في تلك الأيام . وأصرّ نميري على تأجيج الصراعات والإنقسامات بإعلان (قوانين سبتمبر 1983م .) بحجة تطبيق الشريعة فى البلاد. صحيح أن ذلك لم يكن سبباً مباشراً في تجديد الحرب الأهلية في الجنوب . ولكنه زادها إشتعالاً ومنحها مبرراً إضافياً وبذلك إنتهت إتفاقية اديس أبابا وتجربة الحكم الذاتي الإقليمى وعادت أعمال العنف والحرب الأهلية في الجنوب ، بسبب تدخلات نميري ونظامه الديكتاتوري وضعف الحركة السياسية الجنوبية وإنقساماتها القبلية والشخصية . وهناك بالطبع عوامل خارجية ساعدت في هذا الإتجاه ، تمثل أهمها في دور النظامين الأثيوبي والليبي في دعم الحركة الجديدة . وذلك كرد فعل لصراعاتهما مع نميري. ولكن تظل الأسباب الداخية هي الأساس. وفي هذا المجال تتضمن المذكرات وقائع وأحداث ووثائق عديدة وهامة حول إنقسامات السياسيين الجنوبيين وتطورات السنوات الأخيرة حتى إنهيار النظام الحاكم بإنتفاضة مارس/أبريل 1985م . والمهم هنا أن حركة تحرير شعب السودان تميزت عن حركة الأنيانيا في رفضها لفكرة الإنفصال وتمسكها بوحدة السودان . وأشار بيانها الأول إلى أنها تعمل على خلق

سودان جديد وموحد خالى من كافة أشكال السيطرة والتفرقة العنصرية والدينية والإجتماعية . وتوجه خطابها إلى كافة أهل السودان بمختلف أصولهم وأديانهم وخاصة سكان المناطق المهمشة في الجنوب والغرب والشرق . وإذا كانت تطورات الفترات اللاحقة قد قادت إلى اتفاق السلام ، فإن دروس وخبرات التجربة السابقة تؤكد أنه لا يمكن تحقيق سلام وطيد دون إجماع وطني واسع وتحول ديمقراطي حقيقي وتوجه جاد لبناء سودان موحد وفاعل في محيطه الإقليمي والدولي يشارك فيه كل اهله بمختلف إنتماءاتهم الدينية والأثنية والسياسية.

وفي الختام نشكر الفريق معاش جوزيف لاغو على موافقته على ترجمة مذكراته ونشرها باللغة العربية من مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية بجامعة ام درمان الأهية . ونأمل أن تكون إضافة حقيقية في توسيع الوعي بتطورات السياسة السودانية والحركة السياسية الجنوبية وعلاقات الجنوب والشمال من أجل فهم أفضل لصعوبات ومشاكل بناء سودان المستقل .

محمد على جادين

الخرطوم يناير 2005

مقدمـــة

خلفـــية تاريخـــية

في هذه المقدمة سوف أعرض مسحاً تاريخياً عاماً ومختصراً لتطور السودان السياسي في الفترات التاريخية السابقة. فهذا القطر هو وطن أهلي أجدادي، وهو البلد الذي ولدت ونشأت فيه وعشت فيه ملحمة حياتي. وبداية نقول إن السودان بدأ يتشكل بتكوينه الحالي بعد حملة محمد علي باشا لغزو البلاد عام 1821 وفرض سيطرة الحكم التركي المصري على الشمال بشكل عام. ومع أن الجنوب كان ظاهرياً خارج سيطرة الإدارة الجديدة، إلا أنه كان يتعرض إلى حملاتها العسكرية بشكل متواصل، بهدف نهب ثرواته واسترقاق سكانه. وفي عام 1881 انفجرت الثورة المهدية وتمكنت من إسقاط الحكم التركي المصري وطرد قواته خارج البلاد. وبعد وفاة محمد أحمد المهدي في عام 1885 بدأ الخليفة عبد الله في بناء دولة المهدية في الشمال. وفي 1898 تمكنت الحملة الإنجليزية/المصرية من غزو البلاد وهزيمة جيوش الخليفة واستعادة سيطرتها على أقاليمها. وفي 1899 أصبح السودان تحت الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، حسب الاتفاقية الإنجليزية المصرية لسنة 1899.

وهكذا لم يكن السودان بحدوده الراهنة قائماً قبل عام 1821، وذلك رغم نشوء وتطور عدد من الممالك والمشيخات في المنطقة المعروفة بهذا الاسم الآن. واسم (السودان) أطلقه العرب على منطقة الحزام الأفريقي جنوب الصحراء ، عند احتكاكهم مع سكانها بعد القرن السابع الميلادي. والاسم يعني حرفياً (أرض السود) وما يعرف الآن بالسودان كانوا يشيرون إليه كإقليم جنوب مصر. وفي الكتاب المقدس يشار إليه بـــ(أرض كوش). وفي بعض الكتابات التاريخية القديمة يطـــلق عليه اسم (أثيوبيا) وهي كلمة يونانية قديمة تعني (أرض السكان ذوي البشرة السوداء المحروقة) ففي الجنوب كانت هناك ممالك الزاندي والشلك المشهورة، وفي

الشمال هناك ممالك الفور والمساليت في الشمال الغربي ومملكة الفونج في الوسط، وفي الشمال البعيد هناك مملكة مروي. هذه الممالك الشمالية كانت تدخل في صراعات وحروب مع مصر في الشمال. وهناك ما يؤكد تمكنها من حكم مصر وقيامها بدور كبير في بناء الأهرامات. والمهم أن السودان بحدوده الحالية ظهر بعد الاتفاقية الإنجليزية المصرية لسنة 1899 وقيام الحكم الثنائي الإنجليزي المصري وكان يطلق عليه (السودان الإنجليزي المصري) وبريطانيا العظمى هي التي حددت حدوده، بهدف تأمين مصالحها وتطلعاتها الإمبريالية ولتأمين المصالح المصرية في نفس الوقت (في ذلك الوقت كانت مصر نفسها تحت الحماية البريطانية). ونتيجة لذلك قامت الاتفاقية أيضاً بمنع فرنسا وبلجيكا من التوغل في الأراضي السودانية انطلاقاً من مستعمراتها في جنوب وغرب البلاد، ومن خطر الإمبراطورية الأثيوبية المحصورة في الشرق.

في 1921 بدأت الحركة الوطنية الحديثة ورفعت شعارات الاستقلال وطرد الحكم الأجنبي. فنشأت حركة اللواء الأبيض للقبائل المتحدة. وبدأت نشاطها في العاصمة الخرطوم. وفي 1924 تمكنت من تفجير ثورة معادية لبريطانيا وموالية لمصر، تحت قيادة أحد ضباط قوة دفاع السودان الحديثة النشأة، هو علي عبد اللطيف (دينكاوي مسلم) وهذه الثورة، رغم ضعفها، كانت تمثل بداية نضال الحركة الوطنية السودانية من أجل الاستقلال. ونتيجة لذلك قامت السلطات البريطانية بتوجيه الاتهام للعسكريين والموظفين المصريين واعتبارهم العقل المدبر لأحداث الشغب والتمرد. ومن هنا جاءت إجراءاتها بطرد القوات المصرية من البلاد وإبعاد السودانيين السود من كادر الضباط. وبعد ذلك تحملت بريطانيا مسؤولية الحكم الثنائي بشكل كامل. وفي 1930 أعلنت عن سياسة جنوبية جديدة، تقضي بإدارة الجنوب بشكل منفصل عن الشمال. ورغم ذلك واصلت الحركة الوطنية نشاطها في الشمال، استناداً إلى دعم مصري واسع، بينما ظل الجنوب يعيش في عزلة كاملة. وفي فترة لاحقة اتخذت بعض الإجراءات السياسية، حيث تم تكوين مجلس

استشاري في الشمال بهدف مساعدة الحاكم العام في إدارة المنطقة. ولكنها حصرت في الشمال ولم تشمل الجنوب.

في الفترة 1940 – 1946 برز مؤتمر الخريجين، وتصاعد نشاطه من أجل فتح الجنوب والسماح بحرية الحركة إلى الجنوب وتمكينه من اللحاق بالتطورات الجارية في الشمال. وهذا التوجه كان يمثل محاولة جادة لتوحيد ودمج شقي البلاد، اللذان كانا يداران بطريقة منفصلة حتى ذلك الوقت. وأدى عملياً إلى دفع الإدارة الحكومية لزيادة اهتمامها بالتعليم في الجنوب وفتح مدارس حكومية فـــي المنطقـــة. وفي عـــام 1946 نجحت الضغوط الشمالية في تغييـــر (السياسة الجنوبية) ومع ذلك قامت الإدارة الحكومية في 1947 بفتح مدرسة ثانوية في خور أتار Khor Atar بجانب المدرسة الوسطي القائمة هناك. ونتيجة لذلك قامت بإرجاع الطلاب الجنوبيين، الذين كانوا يواصلون تعليمهم الثانوي في يوغندا، للحاق بالمدرسة الجديدة. وفي 1949 انتقلت هذه المدرسة إلى شرق رمبيك بجانب مدرسة وسطي أخرى. وهذه الأخيرة انتقلت في 1953 إلى التونج، موفرة بذلك إمكانيات لتوسيع المدرسة الثانوية.

في 1947 انعقد مؤتمر إداري في مدينة جوبا ليعلن دمج إدارة الشمال والجنوب في إدارة موحدة. ولكن الجنوبيين لم يستشاروا في هذا القرار، و إنما أبلغوا فقط بما حدث. ولم يكن أمامهم سوى القبول والرضوخ . ولكن هذه الخطوة كانت تمثل بداية المساواة فـــي اسكيلات الأجور في الشمال والجنوب (كانت الأجور في الجنوب أقل من الأجور في الشمال). وفي 1948، عند افتتاح الجمعية التشريعية في الخرطوم، كان الجنوب يمثل بثلاثة عشر عضواً معيناً. وكانت الجمعية تمثل بداية تطور دستوري يقود إلى الاستقلال. فقد شمل المجلس التنفيذي عدداً من السودانيين، من بينهم الكولونيل عبدالله خليل الذي أصبح وزيراً أولاً. وفي 1953 توصلت دولتا الحكم الثنائي إلى الاتفاقية الإنجليزية المصرية الخاصة بالحكم الذاتي وتقرير المصير. وفي نهاية ذلك العام نظمت أول انتخابات عامة في البلاد،

وحصل الحزب الوطني الاتحادي (المتحالف مع الطريقة الختمية والمدعوم من مصر) على أغلبية المقاعد. وبذلك أصبح إسماعيل الأزهري، زعيـم الحزب، أول رئيس للوزراء. وفي 1956/7/4 أبعد من الرئاسة نتيجة لفقدانه ثقة أغلبية أعضاء البرلمان، وحلَّ محله عبد الله خليل المدعوم من حزب الأمة ومجموعات ضعيفة أخرى.

في بداية مارس 1954 شهدت الخرطوم مظاهرات معادية لمصر، وذلك أثناء زيارة الرئيس المصري، اللواء محمـد نجيب، للبلاد لحضور افتتاح البرلمان. وفي نفس ذلك الشهر كانت هناك مظاهرات معادية للشماليين في مدينة أنزارا بالمديرية الاستوائية في الجنوب. وفي 18 أغسطس 1955 شهدت فترة الانتقال نحو الاستقلال، التي تعني أيضاً إنهاء الوجود العسكري البريطاني في البلاد، تمرد وحدات الفرقة العسكرية الجنوبية المتواجدة في توريت بمديرية الاستوائية (استمر التمرد لمدة عشرة أيام). هذا الحدث يمثل بداية حرب طويلة وعنيفة بين الثوار الجنوبيين والحكومة المركزية استمرت طوال 17 عاماً متصلة. وكانت هذه الحرب، ولا تزال، نتيجة مباشرة للتوترات والعداوات الجارية بين الشمال العربي المسلم في غالبه والجنوب الذي تسوده المسيحية والديانات الأفريقية التقليدية.

في 19 ديسمبر 1955 وافق البرلمان بالإجماع على استقلال السودان وإقامة نظام سياسي فيدرالي، حيث أنزل العلمان البريطاني والمصري ورفع العلم السوداني في أعلى القصر الجمهوري وأستبدل الحاكم العام بمجلس خماسي يمثل رأس الدولة وسيادتها.

في أول انتخابات عامة بعد الاستقلال، في فبراير- مارس1958، جاءت الغالبية لتحالف حزب الأمة والشعب الديمقراطي. ولذلك صعد عبد الله خليل لرئاسة الوزراء. وشهدت الفترة اللاحقة مظاهرات معادية للحكومة. وانتشرت شائعات تؤكد حدوث انقلاب عسكري وشيك مدعوم من المصريين. ويضاف إلى ذلك خوف وانزعاج رئيس الوزراء (ووزير الدفاع) من احتمالات تحالف الوطني الاتحادي

والحزب الفيدرالي الجنوبي والحركات الفيدرالية النامية في الشرق ودارفور. ونتيجة لذلك انتشرت شائعات وتقارير تقول بتحركه لتسليم السلطة لكبار ضباط الجيش .

عند افتتاح البرلمان الجديد في 1958 رفض النواب الشماليون الالتزام بإقامة نظام فيدرالي في البلاد (حسب قرار 1955/12/19) وذلك عندما طرح الموضوع من قبل النواب الجنوبيين. وفي نفس العام قام الجيش بانقلاب وقائي واستلام السلطة في 17 نوفمبر - وبذلك أصبح الفريق إبراهيم عبود، القائد العام للقوات المسلحة، رئيساً للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، أعلى سلطة في البلاد - واتجه نظام عبود للعنف والقمع، خاصة في الجنوب، حيث تتواصل المناداة بالفيدرالية، فقام بتقييد حركة السياسيين الجنوبيين واعتقالهم وسجنهم . وفي ديسمبر 1960 بدأ المعارضون الجنوبيون في الهروب إلى خارج البلاد بهدف مواصلة كفاحهم من هناك. ومع استمرار عمليات العنف وعدم الاستقرار، ازدادت عمليات الهروب للخارج لتشمل طلاب المدارس والموظفين والجنود المسرحين، ومن ثم الاتصال بالقيادات السياسية في الخارج. هذه الهجرة الواسعة قادت إلى المقاومة المسلحة في الغابات والأدغال. وفي 1962 تدهورت الأحوال عندما أصدر الجنرال عبود مرسوم الجمعيات التبشيرية لتقييد نشاطها وحركتها. وأدى ذلك فقط إلى توسيع وتعميق الصراع والاقتتال. وفي سبتمبر 1963 ظهر إلى السطح تنظيم الأنيانيا لقيادة حرب عصابات طويلة. وبدأ نشاطه بتوجيه هجمات على وحدات الجيش في الجنوب. وجاء رد فعل النظام الحاكم غير المتوقع بطرد جمعيات التبشير المسيحية من الجنوب. وأدى ذلك إلى تشويه صورته في الخارج والي تقديم مبررات أخلاقية تدفع قوات الأنيانيا للاستمرار في حربها ومقاومتها. وطوال الفترة 1958 حتى 1964 تمكن نظام عبود من القضاء على عدة محاولات انقلابية من داخل الجيش، ومن تسوية نزاع السودان مع مصر حول مياه النيل، وتمكن أيضاً من تجاوز الأزمة الاقتصادية الحادة الموروثة من النظام البرلماني السابق. ولكن في أكتوبر 1964 تجمعت حالات الغضب الشعبي ضد النظام الديكتاتوري لتنفجر

في شكل إضراب سياسي عام وانتفاضة شعبية شاملة. فقام عبود بحلّ المجلس الأعلى للقوات المسلحة وبدأ في مفاوضات مع ممثلي الجبهة القومية المتحدة بهدف إنهاء الحكم العسكري. وأختير السيد/ سر الختم الخليفة رئيساً لوزراء حكومة وطنية انتقالية . وبعد شهور تقدم الفريق عبود باستقالته من منصبه في رأس الدولة في 1964/11/15 – وحلّ محله مجلس سيادة من خمسة أشخاص اختارتهم الأحزاب المعنية.

بعد انتخابات 1965 تكونت حكومة ائتلافية من حزبي الأمة والاتحادي برئاسة محمد أحمد محجوب من حزب الأمة. وتم تعديل الدستور ليصبح إسماعيل الأزهري رئيساً دائماً لمجلس السيادة. وفي يوليو 1966، بعد إسقاط حكومة المحجوب في البرلمان، أصبح الصادق المهدي، حفيد المهدي الكبير، رئيساً للوزراء، وكان عمره 30 عاماً فقط. وفي مايو 1967 أعيد انتخاب المحجوب في مكان المهدي الذي أسقطت حكومته في البرلمان. واحتفظ المحجوب برئاسة الوزارة بعد انتخابات 1968.

في 25 مايو 1969 قامت مجموعة من صغار الضباط، تسمي نفسها حركة الضباط الأحرار، بانقلاب عسكري سلمي واستولت على السلطة. ومن وسطهم برز العقيد جعفر محمد نميري كرئيس لمجلس قيادة الثورة. وكان النظام الجديد يسارياً في توجهاته وملتزماً بالاشتراكية السودانية. ورغم حلّ الأحزاب السياسية كافة، فقد كان الحزب الشيوعي السوداني يمارس نشاطه بحكم الأمر الواقع. وفي يوليو 1971 قامت العناصر الشيوعية بالقوات المسلحة بانقلاب عسكري ناجح بقيادة الرائد هاشم العطا. ولكنه أسقط بعد ثلاثة أيام فقط بانتفاضة عسكرية وشعبية. وكانت الطيارة التي تقل الكولونيل بابكر النور، رئيس مجلس قيادة الثورة الجديد، والرائد فاروق حمد الله، عضو المجلس، من لندن إلى الخرطوم، قد أجبرت علي الهبوط بمطار طرابلس بليبيا. وفي وقت لاحق أرسل النور وفاروق إلى الخرطوم

لتقديمهما للمحاكمة. وعقب عودته للسلطة، إتجه نميري للابتعاد عن الاتحاد السوفيتي والاقتراب أكثر للمعسكر القوي.

في أكتوبر 1971 انتخب نميري بأغلبية كاسحة كأول رئيس للجمهورية. وأصبح الاتحاد الاشتراكي الحزب الوحيد المسموح له بالعمل والنشاط في البلاد. وبعد حلّ مجلس الثورة أصبح نميري الرئيس الفعلي دون منازع. وهكذا أبعد زملاءه من مواقع السلطة واستولي على السلطة بكاملها وبدأ يبني في حكم الفرد الواحد.

في 1972/3/28 توصلت حكومة السودان وحركة تحرير جنوب السودان (الجناح السياسي لحركة الأنيانيا) لاتفاقية أديس أبابا- وحسب هذه الاتفاقية منح الجنوب (بمديرياته الثلاث) حكماً ذاتياً إقليمياً، تمّ الاتفاق على تكوين قيادة عسكرية جنوبية (12.000) مناصفة بين الجنوب والشمال.

وفي 1982 بدأت عمليات (الكشة) في العاصمة بهدف إرجاع العاطلين عن العمل في المدن إلى مناطقهم الأصلية. وتركزت هذه الحملات على مجموعات السكان السود (الجنوبيين، النوبة، الانقسنا، دارفور) ولذلك كان لها تأثيرها السلبي على المناخ السياسي في الجنوب والمناطق الأخرى. وأدى ذلك إلى نمو حالة من السخط وعدم الرضى ضد الشماليين ذوي البشرة السمراء، الذين استولوا على السلطة طوال فترة ما بعد الاستقلال. وفي مايو 1983 جاءت مجموعة قرارات سياسية غير مدروسة وغير حكيمة، لتؤدي إلى مفاقمة الأوضاع المتدهورة أصلاً والي خلق توتّرات جديدة في الجنوب بشكل خاص. فخطة الحكومة لبناء قناة جونقلي لم تجد قبولاً وسط المتعلمين الجنوبيين وقيادتهم السياسية. إذ كانوا يخافون من تأثيراتها على البيئة والأسماك والحياة البرّية عندما تنخفض مياه النيل الأبيض. وخطوط أنابيب البترول الممتدة من مناطق الإنتاج حتى بورتسودان في البحر الأحمر أيضاً لم تجد قبولاً من أهل الجنوب وكذلك خطة بناء مصفاة كوستي. فالجنوبيون كانوا يفضلون بناء المصفاة في الجنوب، في منطقة الإنتاج. وفي ذلك

العام أيضاً جاء قرار توزيع الوحدات العسكرية في الجنوب ليفاقم من حالة التدهور والسخط العام، ومن ثم إلى بداية عمليات العنف والصراع. وفي 1983/5/16 أصدر نميري أوامره باستخدام العنف ضد الكتيبة 105 التابعة لحامية بور، عندما رفضت تنفيذ الأمر الخاص بترحيلها للشمال. وقاد ذلك إلى توترات وصدامات أدت إلى ظهور حركة تحرير شعب السودان **SPLM** وجيش تحرير شعب السودان **SPLA**– وفي 1983/6/5 أعلن نميري، بشكل غير متوقع، إعادة تقسيم الإقليم الجنوبي إلى ثلاثة أقاليم صغيرة بصلاحيات قليلة. وحدود الأقالـيم الجديدة تقف خلف الخطوط التي تركتها الإدارة الكولونيالية:– بحر الغزال، الاستوائية وأعالي النيل. وبذلك قام بإلغاء قانون المديريات الجنوبية، الذي جاء نتيجة لتسوية سياسية منحت هذه المديريات حكماً ذاتياً إقليمياً موحداً. المهم ألغى هذا القانون ووضع المديريات الجنوبية مع الأقاليم الشمالية تحت قانون الحكم الإقليمي لسنة 1980، الذي كان عبارة عن إعادة ترتيب إداري فقط.

في 28 سبتمبر 1983 أعلن نميري إعتبار الشريعة الإسلامية قانوناً للسودان. وهذا الإعلان كان يمثل بالنسبة للجنوبيين الإجراء الأكثر خطورة. وبذلك فقد الرئيس نميري ماتبقى من حلفائه الجنوبيين. وحتى اللبراليون الشماليون رفضوا أن يطلقوا على قوانينه تلك وصف الشريعة، بل ظلّوا يشيرون إليها باسم (قوانين سبتمبر).

في نوفمبر 1983، بدأت حركة تحرير شعب السودان، وجناحها العسكري، جيش تحرير شعب السودان، بدأت نشاطها ضد حكومة السودان تحت قيادة العقيد جون قرنق. والعقيد قرنق تعلم في أمريكا وهو ضابط مشاة سابق في الجيش السوداني، الذي استوعب فيه مع جنود وضباط الأنيانيا نتيجة لاتفاقية أديس أبابا 1972.

في بداية 1985 انفجرت المظاهرات والإضرابات في الخرطوم والمدن الأخرى تعبيراً عن رفض جماهير الشعب لزيادة أسعار السلع الغذائية وأسباب

أخرى. ووصلت هذه الانتفاضة ذروتها بإسقاط نظام نميري عندما كان الأخير في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد قام وزير دفاعه، الجنرال عبد الرحمن سوار الدهب بقيادة الانقلاب وإعلان نهاية النظام السابق. وكان تغييراً فجائياً غير متوقع وبدون أي مفاوضات، كما حدث في نهاية نظام عبود 1964. وهكذا أصدر سوار الدهب أوامر باعتقال زملائه أعضاء الحكومة السابقة وحبسهم في السجن، وقام أيضاً بحلّ الاتحاد الاشتراكي وتعطيل الدستور وإجراءات أخرى. وحددت فترة انتقال للحكم المدني مدتها عاماً واحداً فقط. أما نميري فقد استقر في القاهرة كلاجئ سياسي.

في 1986/4/26 تكونت حكومة جديدة بعد نهاية الانتخابات العامة مباشرة، برئاسة الصادق المهـدي. وانتخب مجلـس خماسي لرأس الدولة برئاسـة أحمـد الميرغني، شقيق السيد/ محمد عثمان الميرغني. وقام هذا المجلس بترقية سوار الدهب لرتبة مشير تقديراً لموقفه ودوره. وخلال ثلاث سنوات فشلت الحكومات الائتلافية المتعاقبة، برئاسة الصـادق المهدي، في إعادة الاستقرار للبلاد. واستمرار الحرب الأهلية في الجنوب وتدهور الوضع الاقتصادي، هذه الظروف شكلت الأساس لعودة السـودان للحكم العسكري للمرة الثالثة. وفي 1989/6/29 جاء الانقلاب العسكري بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير، رئيس مجلس الثورة. وبدأ الانقلاب بتنظيم مؤتمر الحوار من أجل السلام في الفترة 9/9-10/21 من نفس العام. وتوصل المؤتمر إلى ضرورة تطبيق الفيدرالية كحلّ للنزاع القائم. ولكن حركة تحرير شعب السودان لم تكن تثق في الطغمة العسكرية الحاكمة. ولذلك لم تقبل عرضها. ونتيجة لذلك تواصلت عملياتها العسكرية ضد القوات الحكومية. وخلال فترة قصيرة أظهر النظام الجديد توجهه الإسلامي وارتباطه بالجبهة الإسلامية. وفي أبريل 1990 واجه محاولتين انقلابيتين، وتمكن من القضاء عليهما بعنف وشراسة، حيث حكم على 28 ضابطاً و98 من الرتب الأخرى حسب التقارير المتداولة بالإعدام والسجن في محاكم إيجازية سريعة. وفي أغسطس عام 1991 كشفت السلطات الأمنية محاولة انقلابية أخرى. وفي السنوات اللاحقة ظلت

الشائعات حول المحاولات الانقلابية تتواصل دون انقطاع. وفي الوقت نفسه ظل حظر التجول ليلاً سارياً في كل أنحاء البلاد طوال السنوات السابقة وحتى الآن. وفي سبتمبر 1995 انفجرت مظاهرات واسعة في شوارع الخرطوم والخرطوم بحري وامدرمان واتهمت الحكومة الشيوعيين بقيادتها. وامتدت هذه الظاهرة إلى المدن الشمالية الأخرى. وهي في عمومها تشبه الانتفاضات التي واجهت نظام عبود ونظام نميري. وإذا كانت الحكومة قد تمكنت من تشتيت هذه المظاهرات، فقد كان ذلك مقابل فقدان أرواح كبيرة من الناس وتخريب واسع في الممتلكات والمرافق العامة.

إخــراج إلكتروني / ابوبكر خيري

الباب الأول

سنوات النشأة والطفولة

الفصل الأول

خلفيات النشـــأة والطفـــولة

الأسلاف والعشيرة والقبيلة :-

من حسن حظي إنني أستطيع متابعة سلالة أسلافي من ناحية والدي حتى الجيل الخامس. وهناك القليلون من أندادي يستطيعون ذلك ويصعب عليهم الذهاب إلى أكثر من ذلك. فوالدي، الذي تفهم جيداً قيمة نقل المعلومات للأجيال الشابة، علمنا نحن أطفاله تاريخ أسرتنا وشدّد علينا لننقلها إلى أطفالنا من بعده. ولذلك أكتبها الآن حتى يتمكن أبنائي وأحفادي من معرفة تاريخ أسرتهم بشكل جيد- وعليّ أن أعترف هنا بأنني لا أعرف كثيراً عن تاريخ سلالة والدتي وأشعر بأسف أنني لم أبذل جهداً مقدراً لسدّ هذا النقص.

عند ولادتي سميت (لاغو) **LAGU** ووالدي هو يانقا **Yanga** بن لاغو بن بتيا **Pitia** بن أتكي**Atci** بن وايا **Waya** الذي جاء من عشيرة كيلولورو التابعة لقبيلة مادي **Madi**. وبعد وفاة أتكى كانت زوجته، أجو **Ajo**، من نصيب أبن أخته كوت بن كوما من عشيرة ديقي **Degi** التابعة لنفس القبيلة. ولذلك كان لبتيا والدان، أتكى زوج أمه وكوت والده المباشر. وتقاليد القبيلة تضع بتيا في سلالة أتكى، وليس سلالة كوت. فالأخير هو مجرد حارس ووسيلة لاستمرار أسرة خاله. وهنا أسجل شجرة العائلة:

عشيرة كيلولورو		عشيرة ديقي	
ذكر	أنثى	ذكر	أنثى
وايا	-	كوما	-
أتكي	أجو	كوت	أجو
بتيا	تيدا	-	-
لاغو	كيجي	-	-

يانقا	كالوما	-	-
لاغو	-	-	-

علاقتي مع عشيرة دقي ترتبط بكوت بن أخت أتكي الذي ورث زوجته أجو بعد وفاته حسب تقاليد القبيلة (وهي تشبه عادة يهودية تجبر أخ المتوفى من غير عقب على الزواج من أرملته). وحسب التقاليد يصبح بتيا أبن أتكي. أما كوت فقد قام برعاية الأسرة وضمان إستمرارها لمصلحة خاله. تتكون قبيلة مادي من عدة عشائر، يشعر أعضاؤها بعلاقات حميمة مع بعضهم، تماماً كأسرة ممتدة. ولكنهم لا يتزوجون داخل العشيرة. والقبيلة خليط من الناس الموزعين في عشائر تتفاوت جذورها بشكل كبير- فبعضهم تمتد جذوره إلى عدة قبائل أو يرتبط بعدة قبائل ويتحدث عدة لغات، مثل عشيرة كيلولورو وعشيرة ديقي. وهذه العشائر تتمايز بأوثانها وطقوسها الدينية. فطوطم أو وثن عشيرتى هو طائر يدعى كيلولورو، ومنه جاء اســم العشيرة، وهو يمثل رمز وحدتنا. ولذلك نبجل ونقدر هذا الطائر، لانقتله ولانلمسه حتى. وقبل مجيء الحكم الكولونيالى كان كل قسم من القبيلة ينقسم إلى عدة عشائر مستقلة. وحسب تاريخنا الشفاهي، فإن قبيلة المادي لم تخضع قط لسلطة مركزية. كل قسم كان يشكل وحدة مستقلة، يحكمها أوبي **Opi**، أي رئيس وزعيم هو أيضاً إله المطر والزعيم الروحي. وهذه الأقسام المختلفة كانت تشن حروباً ضد بعضها. وليس هناك شخص يملك سلطة فوق هذا الزعيم في مجتمع المادي. وفي زمن الحرب يتحرك الزعيم مع شعبه وراء قائد المعركة أو رأس الحــربة **Ajugo** ويشار إليه عادة كـــ **Waigo** أو المحارب المتميز. وهؤلاء القادة هم رجال أثبتوا جدارتهم في ميادين القتال. وفي تعبيرات حديثة يمكن تشبيه **Waigo** برئيس هيئة الأركان وأوبي بالقائد الأعلى.

بعد تقسيم أفريقيا بين القوي الكولونيالية، وجدت أرض المادي نفسها موزعة بين الحدود السودانية/اليوغندية. والمادي السودانية تنقسم إلى قسمين رئيسيين على أسس لغوية. وهى البوري **Bori** ولوكاي **Lukayi** ومولي **Moli**

كخط ثالث. والأخير رغم إستقلاله له علاقات رقيقة مع قسم بوري، الأقرب للقسمين الآخرين من الناحية الجغرافية واللغوية. وأرض مولى تقع في الجزء الشمالي لأرض المادي، وهو الجهة التي دخل منها المكتشفون والغزاة، ونتيجة لذلك كانوا دائماً أول من يواجه الغزاة ومن ثم ينذرون بقية القبيلة بالعدو القادم.

أوباري **Opari** ولوا **Loa** كانت تمثل مراكز الأسر الحاكمة وسط أقسام بوري ولوكاي على التوالي. والإدارة الحكومية كانت تتبادل بين المركزين. وفي أثناء فترة الحكم الثنائي الإنجليزي المصري إنتقلت إلى مركز الزعيم الرئيسي.

*** دخول المسيحية :-**

حسب ما علمت من والدي ومن الأب أرشيبالد شو ورجال الكنيسة الآخرين، التابعين لجمعية التبشير الكنسية، فقد دخلت أول حملة تبشيرية إلى منطقة شرق الاستوائية بعد إعادة فتح السودان في 1898، حيث وصل الأب ارشيبالد في عام 1917. وفي 1922 وصل آخرون عن طريق يوغندا.

وصل أرشيبالد شو إلى مدينة منقلا عاصمة مديرية منقلا في 1905 مع فريق للجمعية الكنسية. ووجدوا المدينة في حالة عدم أستقرار لا تساعد على ممارسة نشاطهم، بسبب قوة نفوذ الإسلام. ولذلك واصلوا المسير بحثاً عن منطقة هادئة ومناسبة لنشاطهم التبشيري. واستقروا أخيراً في موقع وسط المستنقعات على نهر النيل شمال مدينة منقلا. وهذا الموقع أصبح يعرف باسم (ملك). وهناك قاموا بتأسيس أول مركز تبشيري، حيث شيدوا أول كنائسهم وافتتحوا أول مدرسة بجانبها بهدف جذب الأطفال والشباب. وبذلك أصبحت (ملك) مركزاً وقاعدة لجمعية التبشير الكنسية في جنوب السودان. وتم تطوير المدرسة لتصبح مدرسة أولية مؤهلة. وعندما تكشفت عدم قدرة ملك للقيام بدورها كمركز للتبشير ونشر المسيحية في الجنوب، تحركت الجمعية إلى مدينة جوبا، حيث أسست هناك مركزاً جديداً في نهاية منطقة السدود. ولنفس الأسباب إختارت حكومة السودان مدينة جوبا كعاصمة للمديرية. وبذلك هجرت مدينة منقلا وتحول إسم المديرية إلى (الاستوائية).

وبعد ذلك لم تشر المصادر إلى الرجلين الآخرين الذين جاءا مع فريق الجمعية في البداية. وحتى تاريخ كتابة هذه السطور لم أتمكن من معرفة حقيقة مصير هؤلاء.. هل انسحبوا إلى منطقة أخرى؟ أم توفوا؟ المهم أن أرشيبالد شو ظل وحده يحمل مسؤولية النشاط التبشيري. فأسس مراكز أخرى للجمعية في الجنوب، بما في ذلك مراكز لاكاننقوا **Lakaningwa** إلى الجنوب من مدينة أوباري. ويقال أنه استعان بمعلمين من يوغندا لمساعدته في إدارة المدرسة، أحدهما من الاشولي والأخر من المنيورو. وهذه المدرسة هي التي درس فيها والدي.

عند وصوله إلى الضفة الشرقية في 1917، افتتح شو أول مدرسة في المنطقة، وجمع أول دفعة فيها من قبيلتي الاشولي والمادي المتجاورتين، وبشكل خاص أطفال زعماء وشيوخ أوبي برونذي. وعند مجيء شو للمنطقة كان والدي مريضاً بالجدري. وبناءاً على نصيحة جدّي تم اختيار والدي مع أبناء الشيوخ الزعماء. وكان رأيه أن الولد سيجد فرصاً أوسع للحياة والتطور عند ارتباطه بجمعية التبشير حتى إذا توفي والده (جدي) وهكذا تم اختيار والدي ضمن المجموعة الأولى في المدرسة. وفي تلك الأيام توفي والده. ومن بعده أصبح عمى الكبير (بارا **Bara**) هو المسئول عن والدي. ومنذ ذلك الوقت أصبح يطلق عليه إسم (يانقا بارا) أكثر من (يانقا لاغو). وفي الكنيسة أخذ أسم (ياكوبو **Yakobo**) أي (جاكوب **Jacob**)وكل زملائه التلاميذ الذين عرفتهم كانوا من أبناء الشيوخ والزعماء. ومن بينهم فولى سرور الذي عمّد باسم روبن، وأساكا **Isaac**، وأبرو الذي لم يعمّد. وروبن فولى سرور، صديق والدي الحميم منذ أيام المدرسة، هو والد زوجتي الأولي، وهو ابن أفورو، الزعيم الكبير الذي أطلق عليه في شبابه إسم (سرور) وهو إسم عربي. ولم يكن ذلك نتيجة لاعتناقه الإسلام، بل فقط مجاراة للموضة في اختيار الأسماء الغريبة. وبعض هؤلاء التلاميذ ورثوا مناصب وسلطات آبائهم، وآخرون أصبحوا كتبة في المحاكم وغيرها ومحاسبين عند آبائهم وأعمامهم، وذلك بعد إكمال تعليمهم في لاكاننقوا. ووالدي كان من أولئك الذين

تأهلوا لدخول المدرسة العليا في جوبا (كانت تختار تلاميذها من كل مراكز الجمعية الكنسية). ونفس المدرسة انتقلت في وقت لاحق إلى لوكا وسميت (مدرسة نجنت) باسم **Miss Nugent**، المرأة البريطانية التي تبرعت ببناء المدرسة. وهذه المدرسة هي المدرسة الوسطى التي سأواصل فيها تعليمي. وبعد اكتمال سنته الأولى، عمل والدي مساعداً للأب شو، وقاما فعلاً ببناء مراكز جديدة عديدة في المنطقة. وبالإضافة إلى واجباته العادية، كان الوالد يعمل مترجماً للأب شو، بحكم معرفته للغات المادى، قبيلته، والبارى، قبيلة أمه، والاشولى التي تعلمها في المدرسة الأولية، بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية التي تعلمها في السنة الأولى بالمدرسة العليا. وأيضاً التقط بعض كلمات من لغة الدينكا أثناء خدمته مع أرشدياكون شو في مركز ملك، وذلك بالإضافة إلى عدد من اللغات الأخرى خلال خدمته مع الأب شو في مناطق مختلفة، مثل يامبيو وباي وأكوت... الخ.

الإرساليات الأولى في الجنوب كانت تركز نشاطها في نشر المسيحية وسط السكان (الوثنيين) أي السكان المتخلفين، غير المسيحيين وغير المتحضرين. أما نشاطها في مجال التعليم، فقد كان يأتي في الدرجة الثانية. وفي عام 1930 أنهى والدي عمله مع الجمعية الكنسية بطريقة غير متوقعة أثناء رحلة استكشافية في الضفة الشرقية. فقد وصلوا أوباري، موطن والدي، وكان الأخير يريد أن يتزوج زوجته الثانية (والدتي) وهذا يتناقض مع تعاليم المسيحية. ولذلك إنفجرت مشكلة من لاشيء مع رئيس البعثة. ولم يكن من الممكن تسويتها. ولذلك تركه والدي وأختفي وسط الأدغال مصرّاً على إكمال زواجـه رغم كل شـئ. ومن ثم أعتزل في قرية صغيرة تسمى موموكوى **Momokwe** في المولى شمال أرض المادي. أما رئيس البعثة، فقد مرّ بمدينة جوبا في طريقه إلى مركز ملك. وهناك أوصى مدير العمل للاهتمام بوالدي، رغم خلافاته معه. وبعد شهور قليلة أتصل به وعينه كاتباً في الخدمة العامة في مدينة نمولي إبتداء من 1932. وكان عمري ثلاثة شهور عندما تحول والدي وأسرته إلى هناك (زوجتين وثلاثة أطفال) ومنذ ذلك التاريخ

أصبحت نمولي موطناً لنا. لقد ولدت في 21 نوفمبر 1931 في مومكوي. وأنا هنا مدين لوالدي، لأنه كان يهتم بكتابة تاريخ زواجه وتاريخ ميلاد أطفاله. ولولا ذلك لما عرفت تاريخ ميلادي، تماماً مثل معظم أقراني في الجنوب.

لقد كانت الحكومة في تلك الفترة تختار أطفال الشيوخ والزعماء لإدخالهم في مدارسها. وذلك بهدف تمكينهم من التعليم الأولى، القراءة والكتابة بلغاتهم المحلية، ولذلك أصبح هؤلاء طبقة موظفين تعتمد عليها الحكومة وإرساليات التبشير في نفس الوقت. فالسياسة التعليمية في ذلك الوقت كانت تحصر أهدافها في هذا المجال فقط. وفي تلك الفترة كان هناك ثلاث مجموعات من البيض يمكن تمييزهم وسط الناس. هناك أولاً الحكام الذين ينفذون توجيهاتهم عن طريق الشيوخ والزعماء، وكانوا يسكنون في عواصم المناطق. وهناك ثانياً التجار وهم أقل نفوذاً وتقديراً من المجموعة الأولى. فالناس يتناقشون معهم بحرية في محلاتهم. وهناك ثالثاً رجال الإرساليات التبشيرية، الذين يعلمون الأطفال في المدارس ويزورون القرى لتعليم الأهالي رسالة المسيحية. هؤلاء كانوا يستقبلون باحترام وتبجيل. وكان السكان في حاجة كبيرة لخدماتهم ومساعداتهم، خاصة الخدمات الطبية. والتعبير المحلى للتمييز بين هذه المجموعات الثلاث هو مندو **Mundu** أي الصفوة الحاكمة أو الثرية. وهذا التعبير ينطبق أيضاً على الجنوبيين أمثال والدي الذين تمكنوا من الحصول على بعض الامتيازات، مقارنة بالناس العاديين. فمعرفة القليل من اللغة الإنجليزية والعربية وامتلاك عجلة ومحل تجاري وسط الأحراش... الخ كل ذلك يؤهل الجنوبي ليصبح مندو، مثل مجموعات الأجانب المشار إليها.

لقد عرفت البيض لأول مرة من خلال أعضاء الجمعية الكنسية في لاكانغوا، الكاهن غردون ومسز هارسون. فقد رأيتهم أثناء تحركهم بسيارتهم وسط القرى لجمع الناس للصلوات، وذلك عندما كنت مع جدي لأمي في بوريو **Porio** (قرية قريبة من مركز الجمعية في المنطقة) وسيارتهم هي أول ما شاهدت من السيارات. ومستر جون ويندر كان آخر مفتش في أوباري، قبل انتقال المركز إلى

مدينة توريت، ولكنى لا أذكر أنني رأيته. ولم أكن سعيداً عندما تركت الجمعية الكنسية قريتنا، بل شعرت أنهم تركوها دون أسباب مقنعة. وفي البداية كنت أعتقد أن السبب يرجع إلى تخلى أهلنا عن سعاية الأبقار وبالتالي عدم توفر احتياجاتهم من اللبن. ومؤخراً عرفت أن غردون ومسز هارسون قد ذهبا إلى مريدي التي تختلف عن قريتنا في هذا الجانب. وبالطبع أغضبني ذلك ودفعني لأن ألوم الجمعية، وأيضاً لدورها في تأخير دخولي للمدرسة وقبولي في مدرسة بعيدة. وفي وقت لاحق عرفت أن إصرار والدي على تعليم أطفاله في مدارس الجمعية هو سبب ذلك التأخير. المهم أن مدرسة لاكانئقوا أصبحت فرعاً لمركز مالك. والذين يلتحقون عليهم أن يفعلوا ذلك عن طريق مركز مالك أو أكوت حتى يؤهلوا أنفسهم للمدرسة العليا (التابعة للجمعية) في لوكا- ومن خلال هذه العملية كانوا يفقدون عامين كاملين يكرسونهما لتعلم لغة الدينكا. ولكن والدي أعتبر ذلك مضيعة للزمن. وعندما حانت الفرصة أرسلنا مباشرة إلى أكوت.

* **الطفولة:-**

بعد ولادة شقيقي أورى **Ori** (وكان أيضاً يدعى جمعة **Jima**) طلبت جدّتي لأمي أن أستقر معها في منزلها، لأنها تحتاج إلى طفل معها. وهو طلب غير عادى في مجتمع المادي. ووافق والدي وأشترط عودتي إلى المدرسة في نمولى. ولذلك أخذني في عجلته إلى بوريو بالقرب من أوبارى، حيث تسكن عائلة والدتي. وتحركنا إلى هناك كان مباشرة بعد فقد جدّتي لوالدي. وكانت تحبني لأني أحمل إسم جدّي، المرحوم زوجها- ولذلك افتقدتها كثيراً. وفي تلك اللحظات شعرت بأنني أنتقل إلى محيط جديد لا أعرفه. وبقية طفولتي قضيتها في بوريو حيث كانت والدتي تزورني بإنتظام أكثر من والدي. وعندما بلغت السادسة من عمري، بعد ولادة واني، الطفل الثالث لأمي، كرر أخوالي طلبهم لأن أعيش معهم لأقوم برعي أغنامهم في طريق أوباري/باجيري. ولكن والديّ لم يوافقا. فالوالد، الذي كان يخطط لإرسالي للمدرسة، أزعجه الطلب وأعتبره محاولة لاستغلالي. ورغم ذلك

تمت الموافقة لأن أخوالي كانوا مهابين وسط قبيلة المادي. فهناك اعتقاد عام بأنهم يمتلكون قدرات هائلة لمنع أخواتهم وبناتهم من الإنجاب، إذا رفضن مساعدتهم. ولذلك كان لابد من تنفيذ الطلب. وهكذا قمت بخدمة أهل أمي لمدة عامين. وكان معي نياو (إبن أحد أقاربنا في نيونقوا) الأكبر سناً. وكان يعاملني كما لو كنت شقيقه. ومع إهتمام أهلي برعايتي وسعادتي بصحبة نياو، فقد كرهت البقاء في تلك المنطقة ورعاية أغنام الآخرين. كنت أشعر بحنين جارف لموطني الأصلي، ولم أشعر بالارتياح إلا عندما أصرَّ والدي على عودتي والالتحاق بهم في نمولي والاستعداد لدخول المدرسة مع شقيقي جابولون جادا. وكان الوالد مستعداً لمواجهة مع أقرباء أمي، بما في ذلك الوصول إلى المحكمة. فقد كان يعتقد في صحة موقفه، بحكم الخدمات التي قدمتها لهم. وأي محاولة لرفضهم إطلاق سراحي ستعني فقط إصرارهم على حرماني من مواصلة تعليمي. وبحكم ثقافته الدينية (المسيحية) واقتناعه بأن هؤلاء الناس ليس لهم أي مبرر لإبقائي معهم، كل ذلك جعله قادراً على إهمال المعتقدات الروحية التقليدية. وهكذا تراجع أخوالي وقرروا عدم الدخول في معركة خاسرة وسمحوا لي بالذهاب معه. وفي وقت لاحق جاء عمي أونيو وشقيقتي أجووا من بوريو وأخذوني معهما إلى نمولي.

بينما كنت مع أجدادي وأقربائي في بوريو، كان جابولون جادا ومور، إخوتي من زوجة والدي الأولى، يعيشون مع أقربائهم في مولى، حيث كانت تزورهم الوالدة وتقضى معهم معظم فصل الخريف ومتابعة الزراعة. وحدث أن مرّت على بوريو في طريقها إلى نمولى لزيارتي وتفقد أحوالي. وزوجة والدي الأولى، تاكا، كانت إمرأة طيبة. فقد كانت تخدم أمي بعد ولادتي طوال فترة ما قبل السماية، بممارساتها وتقاليدها المعروفة. وهذه الفترة عند الكيلولورو تمتد إلى ثلاثة أيام للبنت وأربعة للولد– وعند معظم عشائر المادي أربعة أيام للبنات وثلاثة للأولاد، حيث تتطوع النساء لخدمة النفساء وطفلها. وعند ولادتي قامت تاكا بخدمة أمي وطفلها، وعندما يجف ثديها كانت ترضعني. وبعد أمي تزوج والدي ثلاث

نساء أخريات: جليلي **Gelili** وشريفة وبرنج **Perenge**- تزوج شريفة عام 1944، قبل دخولي المدرسة. وكانت التاكا، الزوجة الأولى، تتحمل مسئوليات إشرافية، كانت أماً لكل أطفال وأبناء والدي، وكانت تقوم بمسئولياتها التقليدية بكفاءة عالية. وكنت أحترمها وأقدرها. وبجانب ذلك كانت تربطني بها علاقة متميزة، وذلك بحكم خدماتها عند ولادتي. وكنت أنظر إليها كأمي. ومن خلال ذلك أصبحت أقدر أكثر وأكثر تقاليدنا القبلية التي تجعل الأطفال تحت مسئولة الجميع، بعكس ما يحدث الآن بسبب تطورات الحياة الحديثة .

*** الاستعداد لدخول المدرسة :-**

تركت أهل أمي إلى نمولى وكان عمري حوالى8-9 سنوات، لأن أبي كان يجمع أطفاله في موقع عمله. ولذلك جاءنا جابولون وشقيقته مور للتحرك سوياً. وكان الوالد يعدنا للالتحاق بالمدرسة. فأخونا الأكبر، روبين، كان وقتها في مدرسة نجنت في لوكا، التي تعلم فيها الوالد عندما أفتتحت أول مرة في جوبا.

في وقت لاحق بدأت أفهم بأنني لا أحمل اسماً مسيحياً، مثل روبين وجابولون لأنني ولدت بعد أن ترك والدي الجمعية الكنسية وتزوج أكثر من زوجة واحدة. وبما أن الكنيسة لم تعترف بزواجه من أمي، فأنني لا أستحق التعميد، ولذلك عليّ العمل بجد لانتزع تعميدي بنفسي. ونفس الحالة كانت تنطبق على الأخت مور، شقيقة جابولون الذي يصغرني بعام واحد. وكانت الإرساليات الكاثولوكية أكثر مرونة من الجمعية الكنسية فيما يتعلق بتعميد أطفال الزوجة الأولى، حيث كان تعدد الزوجات منتشراً وسط المسيحيين في قبيلة المادي.

لقد وصلت الإرساليات الكاثولوكية إلى الضفة الشرقية بأعداد كبيرة بعد الجمعية الكنسية. ولذلك أصبحت تلك المنطقة تابعة للكنيسة الكاثولوكية بسبب مرونتها ووفرة إمكانياتها. ومع أن الحكومة كانت تعتبر هذا الإقليم منطقة محايدة، فقد سيطرت الكنيسة الكاثولوكية على المنطقة على حساب البروتستانتية.

بعد إنتقال الكاهن غردون ومسز هارسون أصبحت لاكاننقوا محطة فرعية لمركز مالك، وعندما إنتقلت رئاسة المنطقة من أوباري إلى توريت، تدهورت أوباري وحلت محلها نمولي كمخفر حكومي في المنطقة. فموقعها على النيل وفي طريق القاهرة/رأس الرجاء الصالح منحها أهمية إستراتيجية كبيرة. ولا أزال أذكر الأساطيل التي تقلّ الجنود من الجنوب إلى الشمال مروراً بنمولي. واذكر أنها كانت تقف في محطة تسمي بورونقول **Borongole**، حيث يقضون ليلتهم هناك حتى يصلوا جوبا في صباح اليوم التالي. وفي تلك الأيام كانت الميناء النهرية تعج بالحركة. كانت اللواري تتحرك بين جوبا ونمولي تحمل السكر والشاي والقهوة والبطاطس من ظهر الباخرة (ليوغارد (1)) القادمة من يوغندا.. تلك كانت نمولى كما شهدتها في طفولتي مع والدي، الذي كان يعمل كاتباً عاماً. وسمعنا من كبارنا أن تلك الحركة الواسعة كانت بسبب حرب أوجا **Oja** بين البيض. كان الألمان والإيطاليون يحاربون الإنجليز لاغتصاب أرضنا وتنصيب أنفسهم حكاماً على شعبنا. وكان يشاع أن آباء الكنيسة، وكلهم إيطاليون، محصورون في محطة واحدة (أسوك) ولا يسمح لهم بالحركة حتى تنتهي الحرب. وهناك أيضاً بارون ألماني مبعد من وطنه، أجبره الإنجليز ليعمل معهم بالقرب من المعسكر. وكان الناس يعتقدون إن هذه الحرب تدور بين البيض من أجل السيطرة على عمل السود والسيطرة على بلادهم.

*** موضوع تعليمنا :**

أستغرق الوالد وقتاً طويلاً حتى وجد المدرسة المناسبة لأخي جابولون، لأن مدرسة لانكا ننقوا لم تعد جذابة. وفي البداية حاول أن يدرسنا بنفسه، ثم طلب من أندريا (صديق كان يعمل غفيراً في دار الحماية) ليقوم بهذه المهمة.. درسنا الحروف الأبجدية والأرقام. وكنا نجلس معه أمام الدار ونستخدم الرمل المفروش على الأرض كسبورة. وبعد فترة سافر إلى أهله– وعرفنا أنه من أشولي أتياك في يوغندا– ولذلك اعتبره أستاذي الأول، الأستاذ الذي يستمتع بصحبة الصغار، وكان

يعلمنا دون مقابل. وعند سفره انزعج والدي وخاف على مستقبلنا وطلب منا البحث عن أي طريقة لمواصلة تعليمنا، بل سمح لنا بدخول خلوة حسن لوكوروجو. وهي مدرسة غير نظامية ولا علاقة لها بالحكومة أو بمنظمات معترف بها. وكان حسن يغيب كثيراً لأنه كان تاجراً يحمل بضاعته في عجلته ويتجول على القرى. وعندما يعود يفتح الخلوة يلقننا بعض سور القرآن الكريم ويكررها معنا حتى نحفظها. وكنا نستمتع بصوته الجميل دون أن نعي ما يقول. وحسن أيضاً كان يستمتع بتدريس الأطفال ودون مقابل– ولكن الخلوة لم تكن مشجعة، بسبب غيابه المتكرر– لذلك تركناها والتحقنا بالمدرسة الكاثولوكية في موتويو **Motoyo** في نمولي. وبعد أن أكملنا السنة الأولى ودخلنا في إجازة طويلة، توفرت لنا فرصة الالتحاق بمدرسة فيها داخلية للتلاميذ. وذلك عن طريق الكاهن كليرنس إدوارد أرنولد الذي وصل في مارس 1945 عائداً إلى أكوت، مركز إرساليته في بحر الغزال (كانت وقتها جزء من المديرية الاستوائية.) وكان حضوره إلى نمولي في تلك الأيام قدراً إلهياً مكنني من مواصلة تعليمي. كان أبي يعرفه من خلال عمله في الجمعية الكنسية. وقابله في الميناء، حيث يعمل والدي. وشرح له مشكلتنا وطلب منه المساعدة. وقرر أرنولد أخذنا معه للالتحاق بمدرسة إرساليته. وهناك بدأ تعليمي الرسمي وكان عمري 13 عاماً. ومعظم الأطفال كانوا يدخلون المدرسة في عمر متأخر، باستثناء أبناء العاملين في الإرساليات وسكان المناطق القريبة من مراكزها. وفي المدرسة كانت الحياة شاقة وصعبة. فقد كان على التلميذ أن يعتمد على نفسه في تدبير كل شئون حياته. ولو كانت بلدتنا قريبة لهربت إليها.

*** رحلة إلى أكوت : –**

وفي إحدى الأيام أرسل أبي أحد معارفه ليعيدني للبيت، حيث كنت أرعى أغنام الأسرة في منطقة الرعي مع لودوما **Ludoma** أخي الأصغر من زوجة والدي الثالثة. وكان هذا يركب دراجة. وعندما اقترب، بدأ يصيح:– (لاغو.. لاغو.. لقد جئت لأعيدك إلى والدك. هو يريدك سريعاً في الميناء..) فتركت لودوما

مع الأغنام وقفزت في ظهر الدراجة للوصول للوالد. وهناك وجدت أخوى جابولون وجمعة (عمّد بإسم سايمون) يستمتعان بما يجرى في السوق. وأخبرني الرجل أن الوالد يريد إرسال جابولون وشخصي للمدرسة مع رجل أبيض وصل في الباخرة. وهذا الخبر السعيد أثار اهتمامي وجعلني أتشوق لمعرفة الحقيقة. وعند وصولي أرسلني والدي مع جابولون إلى الخليفة علي (تاجر محلى جاء يعرض بضاعته في السوق) فقام بكسائنا بملابس جديدة وجميلة وأخذنا لمقابلة الكاهن أرنولد قبل أن يقفز في اللورى الذي يحمل عفش ركاب الدرجة الأولى. وكان السفر بين نمولى وجوبا يتم بالطريق البري لتعذر الملاحة النيلية بسبب السدود والشلالات. وهناك أخبرنا أرنولد أن نقابله في جوبا، وأنه يمكننا التعرف عليه بطريقة مشيّه، وأضاف أنه سينتظرنا في فناء فندق جوبا. وأكد أنه الأطول والأضخم بين البيض المسافرين إلى هناك. وكان يتحدث بلغة الدينكا ويقوم الوالد بالترجمة إلى لغة المادي. وعندما تأكد أننا سنتعرف عليه في جوبا توجه إلى إحدى عربات السكة حديد التي ستقله إلى هناك. أما نحن فقد بدأنا رحلتنا من الميناء على ظهر لوري الاكسبرس في منتصف النهار– وتلك كانت أولى سفرياتنا إلى جوبا. وبعض الركاب كانوا مرتبطين بباخرة النقل النهري المتجهة من جوبا إلى كوستي صباح اليوم التالي. ومن ظهر اللوري كنا نشاهد مناظر الطريق شمال نمولى، وخاصةً المنطقة المثيرة المخيفة عند منعطف جبل غردون، الذي كنت أعتقد أنه يحمل إسم غردون باشا (حاكم الاستوائية في القرن التاسع عشر). وشاهدنا إستراحة الحاكم في أعلى الجبل، حيث يمكن مشاهدة المنطقة حتى يوغندا. وبما أنى سافرت فقط من أوباري حتى نمولى سيراً علىَ الأقدام، فقد كانت تلك أول مرة أسافر فيها بهذا الطريق. أما جابولون فقــد كان يعرف المنطقة حتى مولى. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر دخلنا منطقة عالية مكنتنا من رؤية مدينة جوبا عاصمة الاستوائية، رغم بعدها. وكانت تبدو لنا كمنطقة مكتظة بالمباني، لم نشاهد مثلها قط. وفي المقدمة بدأت الملكية (منطقة سكن الأهالي) بامتدادها المثير، صفوف متراصة من القطاطي تتخللها شوارع ضيقة.

وفي اليمين هناك مباني كبيرة وسط غابات من الأشجار نراها لأول مرة. ووقتها شعرنا بأننا ندخل عالماً مختلفاً عن عالمنا المعروف. وفجأة دخلنا وادياً عريضاً ونهراً جارفاً، هو نفس نهر ميري، الذي يمر بمنطقة نمولي. وبعدها توقف اللوري لنعبر النهر سيراً على الأقدام ويتجه السائق إلى الميناء. وهكذا دخلنا مدينة جوبا في الضفة الأخرى. وحدقنا باندهاش في المباني المتراصة على جانبي الطريق. وعندما عرج اللوري على فندق جوبا، شاهدنا مستر أرنولد واقفاً في مقدمة المبنى الرئيسي لاستقبالنا كما وعد وبالقرب منه كان هناك أحد عمال الفندق من المادي. تحرك نحونا وأخبر أرنولد (بعربي جوبا) أنه يعرفنا وأن أخونا الأكبر، روبين، يدرس في مركز تدريب ترنسى **Trenisi**. وروبين هذا التحق بمركز تدريب جوبا بعد أن ترك لوكا (أعلى مركز تعليمي في الجنوب آنذاك) الذي كان يقوم بتدريب التلاميذ على أعمال الوظائف المساعدة في مختلف المصالح الحكومية. وتطوع الرجل بأخذنا إلى منزل شقيقنا بموافقة أرنولد. وبذلك وجدنا مكاناً أمناً لراحتنا. وبعدها نواصل الرحلة. وكان روبين مشتاقاً لرؤيتنا. فأكرمنا وتجول بنا في أحياء المدينة لنتعرف عليها- وفي الوقت المحدد أخذنا مرة أخرى للفندق لمواصلة الرحلة حتى أكوت. وهناك وجدنا الكاهن وزميليه (أوثنيل وبنجامين) يقومون بشحن العفش إستعداداً للسفر، رحبوا بنا وحددوا لنا مقاعدنا في العربة. وودعنا روبين، ومن ثم أنطلق بنجامين سائق العربة وبجانبه المستر أرنولد. وفى الطريق شاهدنا مناظر جديدة ومررنا وسط الغابات والجبال. وكان الطريق وعراً. وفي محطة روكون وجدنا شخصين من البيض وإمرأة، عرفت فيما بعد أنهما أرشيدياكون جيبسون ومسز جيبسون ومستر كرستوفركول. وهناك علمت أن أمامنا رحلة طويلة حتى نصل المدرسة.

كانت روكون مركزاً حكومياً محلياً مثل مركزنا في لوا، حيث يعيش زعيم قبيلة نيانقبارا **Nyangbara**. وقضينا ليلتنا هناك في إحدى قطاطى المعسكر المحيط بالاستراحة الحكومية. خلال هذه الفترة خلقنا علاقات حميمة مع الرجال المسافرين

مع البعثة. كنا نعدّ طعامنا معاً ونأكل معاً ونتسامر في طول الطريق. هناك اوثنيل ماكور، المعلم، الذي كان يعاملني أثناء فترتي في أكوت كإبن أخ. كنا نتجادل أثناء الرحلة بعربي جوبا، لغة التفاهم المشترك في جنوب السودان. وفي المساء جاء رجلان يحملان طعاماً من المطبخ، وشاركنا أربعتنا في وجبة دسمة. وفي هذا الأثناء عرفنا أن هؤلاء الرجال يتبعون لنفس إرسالية أرنولد.

بعد الإفطار تحركت الرحلة. وكان الطريق شاقاً كالعادة. ووصلنا المحطة التالية، نقطة تالي، حيث يتجمع شرطة المنطقة ولاحظت أن قبعاتهم تشبه قبعات الشرطة الذين يرافقون اللوري من نمولى إلى جوبا وبالعكس- أما شرطة نمولى قد كانت قبعاتهم مختلفة. وفي وقت لاحق علمت إن شرطة كل منطقة من مناطق الاستوائية لها قبعتها المتميزة. وظللت أستعيد هذه الحقيقة في السنوات الأخيرة، عندما طرحنا إعادة تقسيم الإقليم الجنوبي.

لقد وصلنا تالي في منتصف النهار. وقضينا فيها ليلة ثم واصلنا المسير. وفي اليوم الثالث وصلنا يرول، مركز فرعي تابع لمركز البحيرات. ويرول هذه كانت تبدو أكبر حجماً ومكتظة بالمحلات التجارية، مقارنة مع نمولي. وتربتها كانت مختلفة، كانت تبدو حمراء اللون. في غرب المدينة شاهدنا بحيرة يرول. وبعد إستراحة قليلة واصلنا رحلتنا. وأخيراً وصلنا محطتنا الرابعة والأخيرة. وصلنا إلى معسكر الإرسالية ومنزل مستر أرنولد- وصاح السائق (أنتاكون وصلوا أكوت..) أي وصلتم أكوت. وسعدنا بوصولنا إلى المدرسة بعد رحلة شاقة وطويلة. ورغم أننا وجدنا أن المدرسة غير مريحة في جوانب كثيرة، فقد حمدنا الله على تمكيننا من مواصلة تعليمنا. ومع كل ذلك كان للدراسة في منطقة بعيدة فوائدها العديدة. فهي تجمعك مع تلاميذ من مناطق مختلفة وبالتالي توسع معرفتك ببلدك منذ فترة مبكرة.

الفصـــــــل الثاني

بداية التعلـــيم المـــدرسي

بعد الوصول تحدث مستر أرنولد للرجلين الذين ركبا معنا بلغة الدينكا. وفهمت أنه وجههما بأخذنا للمدرسة. وبعدها ودعنا وتمنى لنا حياة طيبة. وعرفنا أن إتصالنا به قد لا يتم بسهولة. وفي الطريق إلى المدرسة حدثنا الرجلان عن أولاد آخرين من أوباري، أكبر عمراً منا. وذلك يعنى أننا نعيش مع تلاميذ من منطقتنا. والمؤسف أن بعضهم كان قاسياً في تعامله معنا أكثر من أبناء الدينكا. فأبناء الدينكا الأكبر سناً كانوا يتحاشون مشاجرة زملائهم الأصغر منهم. ومن وقت لأخر كنا نرى المعلم أوتثيل ماكور في ميدان الاستعراض أو في العمل. وظلّ يظهر إهتمامه ورعايته لنا. وهذا ما دفعنا لاحترامه وتقديره والنظر إليه كعم في بلاد الغربة.

* بداية الدراسة في أكـــوت :-

لقد تعلمنا في نمولى الحروف الأبجدية والأرقام. ولكننا وجدنا صعوبة في نطق لغة الدينكا. ولذلك اضطررنا للبدء من الصفر. وبعد فترة جاء مستر أرنولد بتلميذ آخر إسمه أثن ماتيانج، لونه أسمر. ومع أن أمه من أتوت ووالده من الزاندي ويتحدث لغة الدينكا بشكل جيد، إلى أنه سجل معنا في نفس الفصل. ويبدو أنه تلقي تعليماً مدرسياً في منطقته. ولكنه واصل معنا حتى أنتقلنا للسنة الأولى. وفي ذلك الوقت كنا قد تعودنا على لغة الدينكا ومتابعة دروسها بسهولة. ولذلك استطعنا النجاح والانتقال للفصل الثاني. ومن زملائنا كان هناك ريك كوت وشقيقه أثيو كوت. وهناك كوروكون (كان ينادى بإسم كالولو الأرنب). وكلهم من منطقة بور، جاءوا إلى المدرسة في عمر مبكر لأن إخوانهم كانوا مدرسين بالمدرسة. وكالولو الأرنب كان طفلاً ماكراً ومشاكساً. وهو أول من تحداني لأصارعه، صراع الديوك، وسمى بهذا الاسم لأن الديوك في الجنوب تستقبل القادمين الجدد بمصارعتها. ورغم مشاكساته، فقد تطورت علاقتي معه إلى صداقة حميمة.

مدرسة أكوت كانت مدرسة مركزية بستة فصول، والسابع فصل البداية (الفصل صفر) حيث يدرس تلاميذه في ظل شجرة. والبلدة تقع بين رومبيك ويرول. ولغة الدينكا كانت هي لغة التدريس في فصولها. ووقتها بدء في تدريس اللغة الإنجليزية حتى السنة الرابعة. وفي السنة الخامسة تصبح هي لغة التدريس. أما الذين يذهبون إلى لوكا من السنة الخامسة والسادسة، فقد كانوا يتخطون الفصل التمهيدي، بينما يلزم تلاميذ السنة الرابعة بقضاء سنة تمهيدية كاملة.

*** الحياة المدرسية في أكوت :-**

كانت المدرسة تقدم الذرة، كغذاء رئيسي للتلاميذ، بجانب إضافة أسبوعية من الفول السوداني والسمسم. ولا يظهر اللحم إلا نادراً، عندما يقرر المبشر ذبح عجل للمدرسة أو عندما يذهب لصيد الحيوانات البرية. وكان زعماء المنطقة يتبرعون ببعض العجول لغذاء التلاميذ، وخاصة ملوال أروب، زعيم أقار، وماكار نيجونق، زعيم أتوت. وكان تلاميذ كل منطقة يتعاونون مع بعضهم في السكن وتجهيز الأكل والخدمات الأخرى. وفي العادة تظهر المشاكل عند طحن الذرة. فالمنطقة لا توجد بها حجارة مناسبة للطحن. لذلك تلجأ نساء الدينكا إلى هاون الخشب، الذي يحتاج إلى عمل شاق ولوقت طويل. ومع أن المدرسة كانت تملك ثلاث مطاحن يدوية، فقد كانت في حالة لا تصلح للعمل. ولذلك كان الطحن يتم بمشاركة مجموعات عديدة. وكانت هذه المجموعات تتشاجر حول المطاحن اليدوية. ولتحاشي ذلك كان المعلمون ينظمون سباقاً لجري المسافات الطويلة، حيث تختار كل مجموعة عدداً من المنافسين. وعلى ضوء النتيجة توزع فرص العمل في المطاحن اليدوية. وفي السنة الأولى كان في مجموعتنا منافسان خطيران، هما قيديون أوجوى ونيكولاو أوكوت. ولذلك لم نكن نعانى من مشكلة الطحن هذه.

وفي السنة اللاحقة، عندما تركنا التلاميذ كبار السن، اختلفت الأحوال. فقد تغير أسم المدرسة عندما أصبحت مدرسة أولية محلية ومركز تدريب للمعلمين، بدلاً من مدرسة مركزية. والتحقت بالمركز مجموعة جديدة من الضفة الشرقية ودينكا بور،

جاءت من مدرسة مالك. ومعظمهم شباب كبار السن يشار إليهم كمتدربين وليس كتلاميذ. وبعضهم عمل بالتدريس وبعض آخر جاء بأسرته. لذلك بني امتداد جديد لسكنهم. المهم أن المجموعات ظلت كما كانت من قبل. وكان المتدرب وليم كيناي من مجموعتنا، وهو من منطقة مولى، شمال أرض المادي. وسررنا عند حضوره وجعلناه رئيساً لمجموعتنا.

*** يوم في الأســــــبوع :-**

كان يوم السبت يوماً للنظافة والأحد للصلاة والراحة. وهكذا يبدأ اليوم في السادسة صباحاً عندما تقرع أجراس الكنيسة. وعندها نبحث عن الماء لنغسل وجوهنا وأيادينا وأرجلنا، ثم نقف في صفوف منتظمة ليقودنا مسئولنا للكنيسة ونأخذ مكاننا في المقاعد الخيزرانية. وفي الوقت نفسه كان المعلمون وعمال الإرسالية يتدافعون إلى هناك ويجلسون في مقاعدهم. وبعد ذلك تقام صلاة صباحية قصيرة، يقودها مستر أرنولد. وبعدها ننتظم في صفوف، كل فصل لوحده، للسير إلى ميدان كرة القدم. وهناك نقوم بتدريبات رياضية لمدة قصيرة. ومعظمنا كان يلبس ملابس بسيطة. ولكن تلاميذ الفصول الخامس والسادس كانوا أفضل منا، حيث يلبسون الشورت. أما المعلمون فقد كانوا يظهرون دائماً في لباس نظيف وأنيق بالمقاييس الجنوبية. وبعد نهاية التمرين يتجمع التلاميذ في مجموعاتهم إستعداداً لتناول الإفطار. وفي الثامنة والنصف صباحاً تبدأ الدروس. ونسبة لضيق الوقت، قد لا يتمكن الكسالى من تناول إفطارهم. وتستمر الدروس حتى منتصف النهار للفصل التمهيدي، وحتى الواحدة بعد الظهر للفصول الأخرى. ومن الواحدة حتى الثالثة كان التلاميذ يستغلونه للراحة وتناول وجبة الغذاء (وأحياناً يكون بليلة ذرة) وبعدها تبدأ فترة العمل وتشمل أنواعاً من الأعمال في معسكر المدرسة. وفي الرابعة والنصف ينتهي العمل وتبدأ فترة أخرى للرياضة والتسلية. وكذلك يستمر الصراع حول المطاحن اليدوية حتى السادسة مساء. وبعدها تتجمع كل المدرسة، بما في ذلك المعلمون، في ميدان كرة القدم للتأكد من وجود كل التلاميذ (تمام المساء) وإقامة

صلاة المساء يقودها في العادة ناظر المدرسة، وبعدها يطلق سراحنا ونعود إلى مساكننا لنستمر في عملية الطحن وتجهيز وجبة العشاء، وجبتنا الرئيسية. وفي التاسعة مساء تقرع الطبلة إعلاناً بنهاية اليوم والاستعداد للنوم. وفي هذه اللحظات يقوم المعلمون والمشرفون بجولات للتأكد من انضباط التلاميذ وبقائهم في أسرتهم. وهنا تبدأ فترة ونسة قصيرة نحكي فيها بعض القصص والحكاوي وننام حتى الصباح. وهناك قصـــة شهيرة تحكي للقادمين الجدد في العادة. وهي تدور حول أسد أسمه ماكيو، قتل العام الماضي ويقال أنه يأكل البشر. وبعدها يسود الصمت ويدخل الخوف قلوب الجميع. فالقصة مخيفة والأسود يمكن سماع أزيرها مما يعنى وجودها بالقرب من المنطقة، والمساكن ليست مؤمنة بطريقة كافية. ولكن نطمئن أنفسنا بأننا موجودون داخل الإرسالية، أرض الله، ونحن تحت حمايته. والصلوات التي تقام في المساء كانت كافية لحمايتنا، حتى عندما كان ذلك الأسد حياً. ولم تشهد الإرسالية أي ضرر من الحيوانات البرية في المنطقة.

برنامج المدرسة كان يسير بإنتظام طوال شهور العام. وفي فترة الزراعة والحصاد نركز على العمل في الحقول. وقد نقضي كل اليوم في الزراعة أو في حصاد محصول الفول.

*** أخـــــــبار :-**

في صباح أحد الأيام أعلن مستر أرنولد (أن الحرب المخيفة التي يقودها هتلر، والتي أودت بحياة ملايين البشر، قد انتهت. فقد تمكن الإنجليز وحلفاؤهم من هزيمة الألمان والإيطاليين..) كانت تلك أخبار سارة لكل الناس. ولذلك بدأنا في إنشاد قصائد الفرح والشكر، مع أننا لم نكن نعرف الكثير عن تلك الحرب. وكانت مناسبة لذبح عدد من العجول للتلاميذ والمعلمين وتناول كميات كبيرة من اللحوم. وبعد أن كبرت وازداد وعي بالأشياء عرفت أن الحرب التي أنتهت في 1945 هي الحرب العالمية الثانية وسبقتها حرب عالمية أخرى (الحرب الأولى) وشاركت فيها نفس القوى، الإنجليز ضد الألمان، انتهت بهزيمة الأخيرين.

انتهت السنة الدراسية ودخلنا في إجازة طويلة، تمكنا فيها، نحن أبناء الضفة الشرقية ومنطقة بور، من السفر إلى أهلنا- وفي فترة الإجازات القصيرة كنا نعمل في حقولنا بهدف الحصول على بعض المال. وتمكنت خلال هذه المدة من توفير 24 قرشاً (الأجر اليومي كان نصف قرش) في فترة شهرين. وكنا نحفظ هذا المال عند مستر أرنولد، نصرف منه حسب الحاجة. وفي إحدى الأيام دعانا مستر أرنولد (أنا وجابولون) عندما كان يتمشى معه الكاهن شو في فناء المدرسة في إحدى زياراته لها- وكانت المرة الأولى التي ينادينا فيها منذ أن حضرنا إلى أكوت. وقدمنا بقوله (..هؤلاء أبناء ياكوبو يانقا، أحضرتهما من نمولي للمدرسة. الأصغر ذكي ويحب العمل. لم يتأخر يوماً عن العمل طوال أيام الإجازة. لذلك تمكن من توفير مال كثير، أكثر من شقيقه الأكبر- عنده الآن 24 قرشاً..) وكان ذلك إطراء كثيراً بالنسبة لي. فابتسمت وشعرت بارتياح بالغ. ولكن جابولون لم يعجبه تقريظي ووصفي بأنني أحب العمل أكثر منه. والمهم كنت فخوراً بذلك وكان المبلغ المذكور يمثل قدراً كبيراً من المال وقتها.

في أكوت وجدنا بعض أصدقاء الوالد الحميمين وكانوا ودودين معنا. هناك أبراهام أيوال، المعلم الأول، وجون ماجاك، البائع الذي درس بالمدرسة، ودانيال كورجوك، المساعد الطبي في المنطقة. الأول كان زميله والآخران كانا من تلاميذه. وأذكر أن جون ماجاك كان يساعدنا في التدريس. كان معلماً موهوباً ويستمتع بالتدريس. وكانوا يحكون لنا كيف أن الوالد كان يعاقبهم بقسوة. وكان دانيال يهددنا بأنه لو كان معلماً (وليس مساعداً طبياً) لعاقبنا بنفس القسوة. كنا سعداء بهؤلاء الناس لأنهم خففوا عنا متاعب الغربة. وفي مرة جاء أبراهام أيوال في طابور المساء وقال:-

(سمعت صراخ أبناء ياكوبو يانقا ولا أستطيع تحملها أكثر. وأياً كان المسئول عن ذلك، عليه أن يوقف هذا العبث وإلا سأتخذ الإجراءات اللازمة..) ومنذ تلك اللحظة إمتنع المشاغبون عن إيذائنا وتركونا لمشاكسات أقراننا. وفي

صباح أحد أيام السبت مثلاً لبست ملابسي وبدأت أتجول في معسكر المدرسة متباهياً. وكان ذلك سبباً كافياً لاستفزاز كالولو الأرنب. فوقف في طريقي وصار يشتمني بكلمات نابية وشتم أمي وتحداني لمصارعته. ومثل هذه المشاكسة كانت عادية وسط الأولاد من القبائل المختلفة. وكنت أعلم أنه كان يريد سبباً لتمزيق ملابسي أو تلطيخها بالطين. ولذلك قررت تجاهل إستفزازه ومواصلة سيري. فوقف كالأخرس لا يحرك ساكناً. وبالطبع لا يمكنك مهاجمة شخص لم يستجب لاستفزازك.

كان مستر أرنولد يسافر كثيراً بسيارته. ولكنه كان يعود في الوقت المحدد ليقود صلاة الأحد. وعند غيابه كان أبراهام أيوال هو الذي يقوم مكانه في الصلاة وخدمات الكنيسة. أما الفرد كورجوك فقد كان المعلم الثاني في الأقدمية وكان يتمتع باحترام واسع، بحكم تعليمه في المدرسة العليا في يوغندا وإهتمامه بالموسيقى وتمتعه بشخصية ساحرة. وكان يقوم بتدريس الأناشيد والتراتيل الكنسية ويشارك أرنولد في تدريس الفصول العليا. وهناك ذكريات كثيرة مع المعلمين الآخرين لا تزال حية، وفى مقدمتهم صمويل، معلمنا في الفصل التمهيدي، المعروف بطيبته وسماحته– ومع إني لا أذكر اسمه الثاني، لكنني أذكر أنه من دينكا سيك. وهناك أيضاً جبرائيل، من دينكا أتوت، وكان يدّرس الفصل الأول. وفي السطور السابقة أشرت إلى أثنيل ماكور، من دينكا أتوت، وكان يدّرس الفصل الثاني. وهناك أيضاً نوا نور، من يرول، وكان يدّرس الفصل الثالث. هؤلاء هم المعلمون الذين ساهموا في تربيتي وتكوين شخصيتي. وأشعر بأنني مدين لهم والآخرين، تعلمت منهم الكثير الكثير.

في وقت متأخر من ظهر أحد الأيام عاد أرنولد من إحدى رحلاته ومعه زوجته وطفله. ويبدو أنه أخذ زوجته إلى كينيا لتضع طفلها هناك، عندما عاد عن طريق نمولى وصحبنا معه إلى أكوت. وعندما وصلت الأم وابنها كان منظرها يثير الجميع. وكنا جميعنا نطلب إلقاء نظرة عليهما. وكانت ميري تستجيب لذلك بصدر

رحب. المهم في ديسمبر، جلسنا للامتحان النهائي ونجحنا بدرجة مكنتنا من الانتقال للفصل الثاني. وبعدها دخلت المدرسة في الإجازة السنوية بمشاكلها وتوتراتها. وهكذا جاءتنا التعليمات، نحن أبناء الضفة الشرقية ومنطقة بور، للاستعداد للسفر على أي لوري متجه إلى شامبي على النيل الأبيض. لذلك أعددنا أنفسنا للرحلة الطويلة وقضاء عطلة الكريسماس مع أهلنا. وأثناء إنشغالي بتجهيز أغراضي سمحت صراخاً يطلب المساعدة، لأن البقرة أخذت ملابس أحد التلاميذ. وقفزت إلى الخارج لأجد البقرة تأكل في بعض قمصاني. وحاولت إخراجها من فمها، ولكن دون جدوى. وبذلك فقدت أجمل ملابسي ولم يتبقى لي سوى قطع بالية. ودون تفكير قمت بقذفها بعيداً وأصبحت أنظر بحقد لهذا الحيوان اللئيم. ولكن دون جدوى، إذ لم يكن هناك ما يمكن فعله. وهكذا تحول هذا الحدث إلى موضوع مثير يمكن الاستفادة منه في أيام الإجازة وربما لسنوات عديدة قادمة. وبالتأكيد سيكون مثار سخرية من قبل عديدين أمثال كالولو الأرنب وغيره.

المهم قفزت إلى داخل اللوري الذي سينقلنا إلى ميناء شامبي. وفي الطريق حاولنا إستعادة أسماء المناطق التي مررنا بها في رحلتنا السابقة بدءاً من يرول. وبعدها واصلنا المسير حتى شامبي لنصلها في العصر. وهناك عانينا الأمرين من جيوش الناموس. ورغم أن نمولي مشهورة بكثرة الناموس إلا أن شامبي تفوقها كثيراً في هذا الجانب.

فاجأنا الكريسماس هناك، ولم أجد ملابس جاهزة في حوانيت المدينة، حتى في مخازن جريجوري، أكبر تجار المنطقة. ومدير المخازن كان إغريقياً، قصير القامة مستدير الشكل، يبدو كخنفساء كبيرة برجلين. ودهشت لوجوده في هذه المنطقة المعزولة والنائية. ولكن البحث عن المال يجبره لتحمل الصعاب. كان لونه يختلف عن لون البيض الآخرين. كان يشبه لون فرس البحر. المهم أحتفلنا بالكريسماس بطريقتنا، وأنا ألبس قميصي الوحيد. وهناك قضينا عدة أيام في انتظار الباخرة القادمة من كوستي. وعند وصول الباخرة (أمدرمان) في مساء الأحد

أصابنا الخوف والزعر. كنا نقف في الرصيف، بجانب جريجوري، الذي كان يساعد البائعين لربط أغراضهم. وفجأة سمحت صوتاً يناديني من الباخرة..(..لاغو..هل أنت لاغو؟..) أستغربت في البداية من يكون هذا المنادي. وبدأت أنظر حولي. فناداني مـرة أخرى.. (لاغو..أنا ألو..) فعرفته، إنه ألو بن جالا (من قرية مالي جنوب أوباري، حيث يسكن عمي مع أسرته) وقد زرت هذه القرية مع جدّي عندما كنت في بوريو. سألني ألو (..لماذا تلبس قميصاً فقط؟ هل أنت من اللاتوكا؟) كان هؤلاء في تلك الأيام يلبسون قميصاً فقط. وكانوا يدخلون مدينة توريت على ظهور درجاتهم بملابسهم تلك. قلت له (لست من اللاتوكا، ملابسي أكلتها البقرة..) فذهب إلى داخل الباخرة وأحضر لي قميصين من ملابسه. ومع أنها كانت كبيرة الحجم إلا أنني كنت مسروراً بها ولبستها على الفور. وكنت محظوظاً بمجيئه في الباخرة، ذلك المساء. دخلنا الباخرة وبعد ليلتين وصلنا بور. وهنا أيضاً كانت المنطقة مليئة بالناموس كما في منطقة شامبي. وكانت المرة الأولى التي أسافر فيها على الباخرة. وكذلك أخي جابلون. كنا في أرضية الباخرة مكشوفين لحملات الناموس القاسية دون أي غطاء. كبارنا كانوا يتسربون لمطابخ الدرجة الثالثة، حيث يمنع الدخان تجمع الناموس هناك. ولكننا نحن الصغار لانحتمل ذلك. وفي الليلة الثانية أشفق علينا مفتش التذاكر وطلب ذهابنا معه. ووقتها أصابنا رعب وخوف، لأننا كنا نسمع قصصاً كثيرة عن مكر المندوكورو (الشماليين) الذين يسيطرون على كل وظائف الباخرة. فقد كان يقال انهم يرمون الأطفال في أعماق النيل. ولكن لدهشتنا أن المفتش قادنا لفرندات الدرجة الثانية لننام هناك. واشترط علينا فقط الرجوع إلى مكاننا عند الصباح الباكر، لان الإجراءات لاتسمح ببقائنا هناك. وأضاف أنه تفضل علينا بذلك حتى ننام بعيداً عن الناموس. وطمأننا بأنه لا أحد سيسألنا إذا التزمنا بتوجيهاته. وكان يتحدث معنا بعربي جوبا (وربما تعاطف معنا لهذا السبب.) وبالطبع لم يعجب ذلك الآخرين الذين لا يتحدثون

تلك اللهجة: وهكذا، وجدنا الشخص الذي خفنا منه في البداية إنساناً طيباً وودوداً وليس حيواناً مخيفاً.

في منتصف الطريق بين بور وشامبي شاهدنا موقعاً في الضفة الغربية يسمى الصليب المقدس. ولم أرى صليباً هناك أو أي أثر لنشاط إنساني. وفي وقت لاحق علمت أن أول بعثة تبشيرية جاءت للجنوب أقامت معسكرها في هذا الموقع. وصلنا بور في ظهر اليوم الثاني. وضربت الباخرة صفاراتها كما تفعل دائماً عند الوصول إلى المحطة أو التحرك منها. ونزل بعض أبناء بور هناك، بينما استمر بعضهم معنا لينزل في مالك. وفي فترة التوقف تجولنا في المنطقة واشتريت قميصين. وفي مالك توقفنا للحظات قصيرة ومنها اتجهنا إلى تركاكا وكودايل وحملت الباخرة المزيد من الخشب. وبدأت أكره هذا التوقف المتواصل. وفي صباح الجمعة وصـــلنا منقلا، مدينة تجاريــــة تشبه نمولي. وهناك شاهدنا كميات كبيرة من قصب السكر والموز معروضة في فناء السوق للبيع. وبنصف قرش (تعريفه) يمكن شراء قصبة سكر أو حزمة من الموز. والآن لا أتذكر الأشياء التي اشتريناها، لكننا بالتأكيد أكلنا وشربنا كثيراً. وفي العاشرة صباحاً تحركت الباخرة المتجهة إلى جوبا، المحطة الأخيرة، حيث وصلنا مع مغيب الشمس. وسررنا لما علمنا إمكانية قضاء الليلة في ظهر الباخرة. ولكن الذين كانوا يعرفون أين يذهبون نزلوا ودخلوا المدينة. أما ركاب الدرجة الأولى. فقد نزلوا في منقلا واستقلوا عربات الصالون التابعة للسكة حديد. ومع أننا نعرف منطقة سكن المتدربين (قضينا فيها وقتاً قصيراً في زيارتنا الأولى للمدينة) فقد خفنا أن نضل طريقنا إليها. ولذلك بقينا في الباخرة.

في صباح السبت تركنا الباخرة ووجدنا بعض عمال وموظفي مستودعات السلع والبضائع الذين يعرفون الوالد وشقيقي. ووجدنا أيضاً شخصاً آخر يعرف شقيقنا روبين الذي توقعنا أن يكون بمنزله في الإجازة الأسبوعية. ولذلك قررنا زيارته والبقاء معه بعض الوقت، بينما اتجه الآخرون إلى ترتيب إجراءاتهم

لمواصلة السفر. واخبرنا روبين أن شقيقتنا أجووا قد تزوجت شرطياً خلال فترة غيابنا. وهذه الأخت أكملت المدرسة الأولية في إرسالية لوا الكاثوليكية وعمّدت هناك باسم أمليا. وفي وقت لاحق ذهبنا لزيارتها. وهناك تعرفنا على زوجها فيستو لوبوكا، كوكو من كاجوكاجي. ووجدناه ودوداً ورقيقاً في تعامله معنا. فاستقبلنا بحرارة وأخذني للترزي لإصلاح قمصاني الواسعة. ومكثنا أياماً في جوبا إنتظاراً لمجيء الوالد. وفي هذا الأثناء تمتعنا بقضاء وقت جميل مع شقيقنا وشقيقتنا وحياة المدينة. وكان الوالد يأتي للمدينة مرة كل شهر لشراء حاجاته ولأخذ مرتبات العمال. وفي هذه المرة عدنا معه لبلدنا بعد غياب امتد إلى اكثر من 9 شهور. وكنا فخورين بالتحاقنا بهذه المدرسة البعيدة، لان ذلك لم يكن ميسوراً للكثيرين من أبناء نمولي.

لقد أحـــدثت عودتنا اضطراباً واسعاً وســط أولاد المنطقة. فقــد كانوا شغوفين لمعرفة ماذا درسنا في تلك المدرسة البعيدة.. هل يختلف عن ما كانوا يدرسونه في موتوبو؟ وفي هذه الإجازة الأولى تحاشينا إجراء أي مقارنة أو الدخول في مجادلات حول هذه المسألة.

فالواقع أننا لم ندرس شيئاً أكثر من ما درسوه، باستثناء مصارعة دينكا أقار والقليل من لغة الدينكا. وكنا فخورين بذلك. فهناك ثلاثة فقط من أسرتنا كانوا يتحدثون هذه اللغة، وهم الوالد ووالدة جابولون وشقيقنا الأكبر (روبين.) وكان الوالد يستمتع بالحديث معنا بالدينكاوية من وقت لأخر (وبالإنجليزية مع روبين.) وتلك كانت طريقته في تشجيعنا للاهتمام بتعليمنا. وكان أيضاً يشجع الآباء الآخرين لدفع أبنائهم للالتحاق بالمدارس البعيدة عن بلدتنا. فهناك فوائد ومزايا عديدة في ذلك، منها أنها تبعد التلاميذ من امتيازات السكن مع الأهل. إذ أن غالبية الدارسين في مدرسة موتوبو لم يسافروا إلى ابعد منها. ومدينة نمولي فيها ما يكفي من شروط الحياة المريحة والممتعة. ولذلك لا يحب الشباب مغادرتها إلا نادراً. والتحاقنا بمدرسة أكوت كان لهذا السبب أمراً مرغوباً، رغم شعورنا بمرارة الغربة ومعاناتنا

من معاملة الدينكا وإشارتهم إلينا بـ(الأولاد الغرباء.) وفي أكوت أو في مالك كنا نشعر باستمرار بأننا غرباء. وهو شعور مزعج ويدفعنا دفعاً، نحن أبناء الضفة الغربية، لكراهية الدينكا. ففي إشارة خفيفة، يصفنا بعض الدينكا بأوصاف مثل:- عقب الاشولي، أشول العظيم. وإحدى عماتهم العظيمات (تزوجت في ارض الاشولي) كانت تسلينا وتضحكنا. وبالنسبة لهم كل أهل الضفة الشرقية يعتبرون من الاشولي. ووصفنا بعقب الاشولي رفع من قدرنا وخلق شعوراً بقرابتهم معنا، أياً كان بعد هذه القرابة.

في مارس 1946 عدنا إلى المدرسة اكثر استعداداً لتسعة شهور أخرى اكثر من المدة الماضية. فقد أعد لنا الوالد والأمهات بعض الضروريات التي نحتاجها في المدرسة. وفي سنتنا الثانية عاشرنا عدداً من أبناء الضفة الغربية، بعضهم سافر معنا وبعضهم الآخر وصل بعدنا. بعضهم جاء مباشرة من أوباري لاكمال تعليمهم الأولى وبعض آخر اكمل تعليمه في مالك بعد ثلاث سنوات في أوباري ثم جاءوا إلى أكوت للكورس التدريبي. وكان هناك أيضاً بعض المتدربين من بور. والواقع اذكر أنني لا أذكر سنتي الثانية بالمدرسة (1946) بسبب تغيير وضعية بحر الغزال. فقد أصبحت وقتها اكثر انفصالاً عن الاستوائية، حيث رقي نائب المدير، رتشارد أوين، إلى رتبة مدير مديرية. وفي نفس السنة أصبحت مدرسة أكوت مدرسة أولية محلية مع مركز لتدريب المعلمين بجانبها. وتغيرت وضعيتنا بحكم تخرج أبناء الضفة الغربية الكبار وقدوم آخرين للالتحاق بمركز التدريب. وبعضهم كان يعمل في التدريس. فجاءوا مع أسرهم. وبما أن مجموعات المعيشة لا تفرق بين التلاميذ والمتدربين، فقد كان معنا وليم كيني، من ارض المادي. فسررننا لذلك وجعلناه رئيساً لمجموعتنا. ومن بين القادمين الجدد من الضفة الشرقية كان هناك دانيال أوشالا الذي جاء لاكمال تعليمه الأولى، وبولين_تيلا باكان في مركز التدريب، وسايمون كيني باكان وميكاك أجيري وموسى أكيم ووليم كيني للتدريب بالمركز أيضاً. وفي سنتنا الثانية أصبحنا اكثر ارتباطا بالحياة المدرسية واكثر

سعادة بها. ووجود رجل من منطقتنا، مثل وليم كيني، أعطانا شعوراً بالحماية والأمان. ووجدنا أيضاً إدارة جديدة للمركز الارسالي بعد نقل أرنولد إلى جبال النوبة في الشمال، وأبراهام ايوال إلى بانكار (مركز جديد مقابل يرول) وألفريد كوجوك إلى مدرسة حكومية جديدة في التونج. وجاء مبشر جديد من لوكا ليحل محل أرنولد، هو ب.ج. سارام ومعه زوجته وطفله. وتم اختياري لمساعدة ميري في رعاية أبنها بعد ساعات الدراسة. وكنت سعيداً عندما تمّ إعتباري أنظف تلميذ في المدرسة واختياري للقيام بهذه المهمة.

*** مشاجـــرة في الإرســـالية :-**

مشاجرات الأولاد كانت عادية، لكن من النادر أن يشارك فيها المعلمون. وفي السنتين الرابعة والنهائية شهدنا مشاجرة حول فتاة أسمها دبورة (يطلق عليها أسم تيانكور في العادة) شقيقة معلم أسمه نوانور. وبحكم نشاطها في محيط المدرسة، فقد تعلمت القراءة والكتابة وإستفادت من الدروس، التي كانت تنظمها زوجة المبشر لزوجات وأخوات المعلمين. وكذلك تعلمت بعض الكلمات الإنجليزية. وكل ذلك رفع من شأنها في نظر المعجبين بها. وذلك بالإضافة إلى جمالها الساحر. وكان معلمنا جوزيف أياك أول المعجبين. فتقدم يطلب يديها من والدها. وطلب منه تقديم المهر، لكنه لم يستطع توفير الأبقار المطلوبة (وفر تسعة رؤوس فقط) وفي مثل هذه الحالات تسمح التقاليد بدخول معجبين آخرين للتقدم بخطوبة الفتاة. وهكذا أعلن مايكا دينق، المتدرب بالمركز، عن نيته لزواجها وقدم 29 رأساً من الأبقار يمكن زيادتها إلى خمسين رأساً من مساهمات الأقارب. وأنتصر مايكا دينق وقبل عريساً للفتاة الجميلة وقرر أهلها تسليمها له، رغم أنها كانت تحب جوزيف أياك.

أخذت تيانكور إلى قطية مايكا دينق في معسكر المتدربين المتزوجين. وحسب التقاليد ستنتهي القصة عند هذا الحد- سوف تحب دبورة زوجها بالعشرة وتتناسى حبيبها الحقيقي. ولكن المسألة تختلف في معسكر مثل هذا المعسكر. فقد يجد جوزيف مدخلاً للاتصال مع الفتاة، بحكم السكن في منطقة واحدة ومحدودة.

ففي أحد أيام السبت، عندما كان مايكا بعيداً في رومبيك في إجازة قصيرة، قرر جوزيف المرور بقطية دبورة للإستمتاع بنظرة إليها. وعندما وصل الباب دخل الدار وحملق في الفتاة وقال لها (.. هل قبلت هذا الشخص زوجاً لك كما تلبسين الآن الملابس التي اشتراها لك؟) ظلّ الاثنان ينظران لبعضهما وبدأت دبورة تبكى. وفي هذا الأثناء كان المتدرب بولين جو (من بور) قد شاهد جوزيف يتجه نحو المعسكر. وظلّ يتابعه من بعيد. وفجأة دخل القطية. وعندما وجد الفتاة تبكى أعتقد أن جوزيف هو السبب. فأمسك به في ميدان المدرسة ولطمه لطمة قوية رمته في الأرض، وتركه هناك وذهب في طريقه. جوزيف كان نحيفاً بينما كان بولين شخصاً ضخماً. وبينما كان بولين يمشى في الطريق فخوراً بما فعل، ظل جوزيف مرمياً في الأرض يجتر مرارة الهزيمة والشعور بالإثم. كان يعلم أنه ارتكب إثماً كبيراً. وربما لهذا السبب لم يحاول مواصلة المشاجرة وربما تركه بولين لنفس السبب. كان شعوره بالإهانة عميقاً. كيف يعرض نفسه لهذا الموقف؟ جوزيف الأكثر تعليماً، اللوكانى، يذلّه متدرب صغير؟ ربما كان يفضل أن يبقى هادئاً ويتجاوز ما حدث، ولكن ما حدث أصبح معروفاً بشكل واسع. وتدخل العامل القبلي ليجعل الوضع أكثر سوءاً. فقد أخذ الدينكا أقار ماجرى كإساءة بالغة لهم بعد أن إنتشر الخبر. وبذلك ارتفعت حرارة المشاعر وبدأت تظهر نذر صراع قبلي بين دينكا بور ودينكا أقار. أما نحن أبناء الضفة الشرقية، فقد أصابنا الخوف، لأن دينكا أقار كانوا يعاملوننا كجزء من دينكا بور. وموقفنا كان ضعيفاً بحكم كثرتهم والمساعدات التي يمكن أن يجدوها من القوى المجاورة. لذلك ظللنا في يقظة دائمة طوال الليل تحسباً لأي تطورات مفاجئة.

انفجرت المشاجرة بين أبناء بور، الذين تجمعوا في مجمع أيثاك، أكبرهم، ودينكا أقار الذين تجمعوا بشكل استفزازي، في السابعة صباحاً. وأدى ذلك إلى تخريب برنامج يوم الأحد وتوقف خدمات الكنيسة. كان الموقف خطراً. ولذلك كان مستر جيل، المبشر المسئول، مضطرباً لا يدرى ماذا يفعل في البداية، خاصة مع

تدفق سكان القرى المجاورة إلى داخل الإرسالية لدعم الأقار. فأرسل يطلب الشرطة لمساعدته. وجاءت القوة بقيادة الزعيم ملوال أروب. واستطاع الزعيم تهدئة الحال، استطاع فعل ما لم يستطيعه المبشر الأبيض. وهذا يعكس قدرة السلطات التقليدية في المحافظة على الأمن والاستقرار. ويعكس أيضاً تقدير الناس واعتزازهم بهذه السلطات. فعند حضور الزعيم، كان جوزيف أياك فاقداً لوعيه بسبب الضربة الأولى التي أصابته في المعركة التي قادها ضد مجموعة بور– وعندما، أمر الذين شاركوا في المشاجرة بتسليم أنفسهم، تقدموا جميعهم باستثناء المجروحين (كانوا كثيرين). وفي وقت لاحق أرسلوا إلى رومبيك للمثول أمام المحكمة ومن بينهم بولين جو، أما مايكا دينق، الذي دافع بولين والآخرون نيابة عنه، فأنه لم يتعرض للمحاكمة، لأنه كان في رومبيك في ذلك الوقت. وبعدها انتهى الموضوع. في مرة أخذني جوزيف إلى المكان الذي ضربه فيه بولين وخاطبني بغضب: (تقول أن نساءنا غير نظيفات عندما تريد أن يساعدنك لأنك صغير السن؟ لماذا أذن جئت إلى هنا؟ لن تذهب إلى لوكا طالما أنا موجود هنا..) وعند سماع هذا الكلام من معلم أصابني الخوف والهلع. وتساءلت: أي مستقبل ينتظرني في ضوء هذا التهديد؟ صحيح أن مثل هذا الكلام لم يكن غريباً عليّ، فالمعلمون كانوا يهددون التلاميذ الذين يريدون معاقبتهم بمثل هذا الحديث. ولكن جوزيف هو معلمنا الأول وهو المسئول عن تهيئتنا لامتحان الدخول للصف الأخير في المدرسة. لقد استعدت شريط الأحداث. فتذكرت أنه أقترح استخدام نساء محليات ليطبخن للتلاميذ الصغار (ومن بينهم شخصي) ودون تفكير جدّي رفضت الفكرة وقلت له أنهن غير نظيفات وأنني لن أكل أي طعام يقمن بإعداده وبأنني قادر على أعداد طعامي بنفسي. ووصله ما قلته وغضب غضباً شديداً. وعندما رآني ظهر إحدى الأيام أسمعني ما قلته قبل قليل ولم يتركني إلا بعد أن صبَّ عليّ كل غضبه. وشعرت بغلطتي، وبأنه يجب أن لا أتحدث بتلك الطريقة عن النساء الطباخات. وكنت آسفاً لما حدث، لكنني لم أستطع الإعتذار وطلب عفوه. المهم أن مركز التدريب والمدرسة لم تفتح أبوابها

بعد إجازة سبتمبر، باستثناء الفصل الرابع (لأنهم سيجلسون لامتحان دخول المدرسة الوسطي. وكنت وشقيقي من بينهم).

*** إجتياز الحـــــاجز :-**

كان مستر كوك، الذي سافر معنا من روكون في رحلتنا الأولى إلى المدرسة، كان سكرتيراً للتعليم في الإرسالية الكاثولوكية. وجاء إلى أكوت لأجراء امتحانات دخول المدارس الوسطى هذا العام- وبعد أداء الامتحانات قام بإجراء مقابلات وامتحانات شفهية مع الممتحنين. وكل ذلك باللغة الإنجليزية. وهذا الأستاذ معروف بالشدّة وعدم المرونة وسط التلاميذ. وفي منطقة الباري كان يسمي مانجيلى (الرجل الصعب) ولذلك دخلت عليه في حالة خوف ورعب. ولكني وجدته شخصاً ودوداً ولطيفاً. سألني: (من أي جهة أنت؟) أجبته (من نمولى، الضفة الشرقية سيدي)..(أوه..أننا لانقبل طلاباً من أوبارى ولوكا هنا.. نأخذ من مالك). هكذا أجاب. قلت له (.. أنا وأخي جابولون لسنا من أوبارى. مستر أرنولد جاء بنا من نمولى إلى هنا. لقد شاهدناك في روكون مع شخص أبيض آخر وسيدة في طريقهما إلى هنا). هكذا تبدد خوفي وهو يومئ برأسه أثناء محـــاورتي لـــه بإنجليزية ركيكة. وفي النهاية قال (..تذكرت. حالتك حالة خاصة). وهنا انتهت المقابلة والامتحان الشفهي. وشعرت بأنني قضيت معه وقتاً أكثر من الآخرين وأصرّ على إبلاغي بأني قد اجتزت حاجزاً هاماً في طريق مواصلة تعليمي. وبهذه الامتحانات انتهت السنة الدراسية وكنت مقتنعاً بأدائي في الامتحانات. وبعدها كان علينا الذهاب إلى أهلنا وانتظار النتائج في أوبارى. والطريق هذه المرة يبدأ من رومبيك ومنها بسيارة البريد إلى جوبا. وعند إقترابنا من رومبيك شاهدنا عدداً من المباني تحت التشييد، توقفنا لمشاهدتها، وعلمنا أنها مباني المدرسة الثانوية (المدرسة الثانوية الوحيدة في الجنوب لعدة سنوات لاحقة وسألتحق بها بعد إكمال الكورس المحدد في لوكا). وبعد يومين قضيناها في رومبيك ركبنا سيارة البريد إلى جوبا لنصل المدينة التالية (أمادى) في الظهر. وبعد توقفات في ليوولينيا وصلنا إلى

جوبا. وكانت تلك آخر مرة يذهب فيها بروتستانت الضفة الشرقية لتلقى تعليمهم الأولى أو كورسات التدريب خارج منطقتهم. فقد ارتبطت لاكاننقوا بإرسالية الأراضي الأفريقية الداخلية (AIM) وصعّدت مدرستها لمدرسة أولية كاملة، بينما استبدلت كورسات التدريب بمعاهد عليا لتدريب المعلمين لكل الجنوب (واحد في مريدي بالقرب من أمادي للبروتستانت وآخر ببشري بالغرب من مدينة واو للكاثوليك.).

* **تعميـدي في لاكاننقـوا :-**

من جوبا ذهبت إلى أوباري مع أصدقائي سايمون باكان وبولين تيلا. وكنت أريد أن يتم تعميدي قبل الذهاب إلى أهلي. وشعرت أن ذلك يمكن أن يجرى في لاكاننقوا، بحكم إكمالي تعليمي الشفهي في أكوت. وفي جوبا علمت أن باستور أندرية أبايا سيكون في لاكاننقوا في عيد الكريسماس في رحلة دينية وأنه سيقوم بتعميد المرشحين أمثالي. أما جابولون، الذي جرى تعميده، فقد ذهب مباشرة إلى نمولى. وبالفعل تم تعميدي، بإسم يوسبا **Yosepa** حسب نطق المورو، أي جوزيف. وذلك في يوم الكريسماس 1948. وبما أن والدي قد عمّد باسم ياكوبو (يعقوب) فقد كان يصّر على تسمية أبنائه بأسماء أبناء يعقوب، وأذكر أنه اقترح تعميدي باسم الابن الأكبر ليعقوب من زوجته الثانية. إذ كان يعتقد أنه يناسبني. ولذلك طلبت تعميدي بهذا الإسم حسب رغبة الوالد- والمهم أن الباستور فرض الإسم يوسبا حسب نطق المورلي. ولكني في وقت لاحق أخذت الإسم الإنجليزي جوزيف عند دخولي مدرسة لوكا الوسطي. وكان ذلك تقليداً سائداً وقتذاك . وكنت أشعر أن الباستور (وهو من المورو) أراد أن يربطني بالمورو. ولكنى من المادي وأفضل إسم لاغو (إسم جدّى) وهو من أسمائهم الأصيلة. والمادي ينطقون جوزيف بإسم يوسفو **Yozefu**. وأشعر بارتياح عندما يخاطبني أصدقائي بهذا الإسم. وهو أسمي المسيحي. والمسيح يجب أن يكون وسط المادي مرتبطاً بثقافتهم- وهكذا أنظر للأشياء في ذلك الوقت وحتى الآن.

بعد أعياد الكريسماس ظهرت نتائج الإمتحانات وحققت نجاحاً يمكنني من الذهاب إلى مدرسة لوكا. وشعرت بسعادة كبيرة، كمن كسب سباقاً ومنافسة حادة. لم أعد باقاني (وثني، تعبير يستخدم للسخرية من الذين لم يعمّدوا وسط المادي في ذلك الوقت) فقد أصبح لي أسم جديد حسب الموضة السائدة وقتها. وبكل أسف لم ينجح شقيقي في الإمتحان. ولذلك لن يستطع الذهاب معي إلى لوكا– المهم ذهبت بعد الكريسماس إلى أهلي في مالي وباتيبي وأخبرتهم بنجاحي وبإسمى الجديد (جوزيف) وليس يوسبا. وبعيداً عن الطقوس المسيحية، هناك تقاليد المادي، حيث يفرض على الأولاد إختيار إسم مناسب عند البلوغ. والذين لا يواصلون الدراسة عليهم أيضاً إختيار أسم ملائم. فوالدتي مثلاً إختارت إسم (مارينى) ويعنى عمود سقف المنزل، تعبيراً عن جمالها (لأنها كانت أجمل بنات المنطقة). وهذا الإسم الجديد هو الذي إستمر على حساب الإسم الأصلي (كالوما). وفي تلك الأيام كان جدّى وجدّتي، الذين عشت معهما طفولتي، مع والدتي في نمولى، بسبب حاجتهما لرعايتها. وعند وصولي إلى هناك كانت أخباري مصدر سرور وإرتياح خاصة للوالد والوالدة. وقدر الوالد أن يذهب جابولون معي إلى لوكا حتى يتأكد من قبوله أو عدم قبوله في المدرسة وليرى إمكانية التحاقه هناك بمصروفات أكثر، كما حدث لأخرين في السنوات السابقة. وكان على استعداد لتوفير أي مصروفات. وبحكم معرفته باللغة الدينكاوية، فقد ألحق بمدرسة رومبيك. وبذلك فقدته كزميل، وعلىّ الآن أن أعتمد على نفسي أكثر وأكثر.

*** مدرسة نجنت في لوكا :–**

هذه المدرسة سميت بإسم سيدة إنجليزية (مس نجنت) لمساعدتها في تشييدها. وكان المفترض أن تكون مدرسة وسطى للأولاد (المدرسة الوحيدة للبرتستانت في الجنوب) وكانت هناك مدرستان للكاثوليك، واحدة في أوكارو بين جوبا وتوريت والثانية في بشري (أضيف إليها مركز لتدريب المعلمين). وقامت الحكومة بفتح

مدرستين أخرتين في تونج وأقار في 1948 و1949. ولم تكن هناك مدارس للبنات في تلك الفترة.

كانت الحياة في لوكا مختلفة بعض الشيء عن أكوت. كنا نعدّ طعامنا بأنفسنا ونأكل في مجموعات. ولكن التسهيلات كانت أكثر وأفضل. فاللحوم توفر مرة في الأسبوع، والخضروات توفرها مزارع المدرسة (يقوم الطلاب بزراعتها ورعايتها تحت إشراف المدرسة). ولما كانت لوكا قريبة من الأهل أكثر من أكوت، فقد كنت أذهب إلى جوبا وحتى إلى أهلي في الإجازات القصيرة. وإدارة المدرسة كانت توفر المواصلات في بداية الدراسة ونهايتها فقط. ولذلك كان طلاب المناطق البعيدة يذهبون إلى أهلهم مرة واحدة في السنة كما كنا نفعل في أكوت. كانت لوكا أفضل مدارس الجنوب في ذلك الوقت. فالمعلمون كانوا في غالبيتهم من البريطانيين خريجي الجامعات، يساعدهم معلمون جنوبيون في تدرس الفصول الأدنى. وفي تلك الفترة كان هناك جنوبيان هما ألوزاى قنابا ومايكل تويل. وفي العموم كان التدريس جيداً وكنا فخورين بمدرستنا (كانت تدخل عدداً كبيراً في مدرسة رمبيك الثانوية كل عام) وأثناء دراستنا هناك حدثت إحداث عالمية كبيرة، منها وفاة الملك جورج السادس، بينما كانت ولية العهد (الأميرة اليزابيث) في كينيا ومن ثم تعيينها ملكة لبريطانيا العظمى. ومنها إلغاء مصر من جانب واحد للاتفاقية الإنجليزية المصرية لسنة 1899 (اتفاقية تأسيس الحكم الثنائي) وإعلان الملك فاروق ملكاً لمصر والسودان. وثالثاً هناك انقلاب 23 يوليو 1952 الذي أطاح بالملكية في مصر. ورابعاً انتخاب الجنرال ايزانهاور رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية (القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوربا أثناء الحرب العالمية الثانية.).

*** قادمون جدد إلى لوكا :-**

كان الطلاب يأتون في مجموعات من كل الجنوب على ظهور لواري البضائع وباص جوبا ياي أو لواري الإرسالية الكنسية. وفي كل الأحوال كانوا يستقبلون استقبالاً حاراً لايتوقعونه. فالذين يسافرون مع طالب جديد ومن منطقتهم، يتظاهرون

بعدم معرفته. وعند الوصول يشاركون في الاستقبال المليء بالقفشات والنكات والسخرية. ورغم إن الفصل التمهيدي قد ألغي في تلك الفترة (كان يسمى فورم بي) فقد كنا نطلق عنوانه على الطلاب الجدد. فنطلق عليهم اسم فورم بي، بيمو، القمر الجديد وماشابه ذلك. وتستمر القفشات والسخرية والمشاغلات البريئة استقبالاً لهم. ويدخل في ذلك إجبارهم على الحديث بالإنجليزية والضحك على أخطائهم الفاضحة. وهذا الجانب على أي حال مفيد لتطوير لغتهم وعلاقاتهم المدرسية. وفي العام اللاحق يقوم هؤلاء بتكرار ماحدث لهم على الطلاب الجدد، وربما بقسوة وسخرية اكثر. وفي الكلية العسكرية بأمدرمان واجهت نفس الموقف تماماً كما كان يحدث في المدرسة.

*** يوم في لوكا : -**

في السادسة صباحاً يضرب طبل خشبي كإعلان ببداية اليوم المدرسي. ومعظم الطلاب يكونون قد قاموا بتنظيف أماكنهم وتجهيز فطورهم. وبعد ربع ساعة يضرب جرس معلناً بداية صلاة خاصة قصيرة. عندما يضرب الجرس يقف الجميع، حيث كانوا. المعلمون ومساعدوهم، يقفون في كل ركن من المدرسة ليتأكدوا أن الجميع قد أدى الصلاة بطريقة جيدة. وبعدها يضرب جرس آخر معلناً بداية النشاطات العادية. وفي الثامنة والنصف ندخل في اجتماع مع ناظر المدرسة، ينظم فيه صلاة قصيرة ويعلن فيه الإجراءات المطلوبة، ثم نذهب للفصول لتلقي دروسنا، حيث تستغرق الحصة 45 دقيقة تعقبها فترة راحة لخمسة دقائق ثم ندخل في الحصة الثانية.. وهكذا حتى نهاية الجدول المقرر (ينتهي في الواحدة ظهراً.) وبعد تناول الغداء وقضاء وقت من الراحة نبدأ برنامج المساء. ففي الثالثة إلا ربعاً يضرب الجرس وفي الثالثة ندخل الفصول لتلقي دروس العصر (حصتان) وبعدها يبدأ برنامج كرة القدم والألعاب الأخرى لينتهي في السادسة مساء. ويختتم اليوم باجتماع عام لكل الطلاب للتأكد من وجود الجميع وأداء صلوات المساء. وبعد ذلك نعود إلى مساكننا لتجهيز العشاء. ثم ندخل في فترة المذاكرة وتحضير واجبات اليوم

التالي. وفي التاسعة ينتهي اليوم. وفي بداية كل سنة دراسية يطلب من القادمين الجدد أن يسردوا بعض القصص باللغة الإنجليزية بهدف التدريب على إجادتها. ويقوم الطلاب المتقدمون بتصحيح أخطائهم. وبذلك يستفاد من الوقت في التسلية والتعليم في نفس الوقت. وعند وقت النوم يؤمر الجميع بالصمت والهدوء. فننام حتى الصباح. وفي أيام السبت نقوم بنظافة مساكننا تحت إشراف المعلمين، أما أيام الأحد فقد كانت تخصص لخدمات الكنيسة والراحة الأسبوعية. وأوقات الفراغ كانت تستغل جزئياً في زراعة الحيازات الخاصة لكل طالب، وخاصة في أيام الإجازة الأسبوعية. وبجانب ذلك، كان تحضير الطعام شبيهاً بالطريقة المتبعة في أكوت. فالطلاب يوزعون في مجموعات وليس هناك أي إجراءات لمنع المشاكسات والمشاكل بين الطلاب. وأيضاً تستخدم نفس أنواع المطاحن. وبعد عامين تغير الوضع، حيث بدأت المدرسة في تقديم خدمات الطعام كاملة.

وبذلك أصبحنا نقف في صفوف لاخذ الطعام من مركز التوزيع وأكله في أي مكان في محيط السكن. إذ لم تكن هناك صالة للأكل وقتها.

*** عقوبات :-**

مدرسة لوكا مشهورة بعقوباتها، كل طلابها يذكرون عقوباتها. فالمعلمون وكبار المساعدين والمشرفون يقومون بإدارة العقوبات العادية. وكانت تتمثل في تنظيف فناء المدرسة أو ميدان كرة القدم من الحشائش أو أي عقوبات مماثلة. وكان لكل عقوبة مساحتها المحدّدة. وقد تفرض على الشخص أكثر من عقوبة واحدة لخطأ واحد. وتنفيذ هذه العقوبات يتم عادة في وقت الراحة بعد الظهر- أما العقوبات الكبيرة فإنها توجه لمعالجة الأخطاء الخطيرة، لكنها لا تشمل الفصل من المدرسة الذي لا يتم إلا بعد موافقة الناظر.

*** الامتحانات النهائية :-**

جلست دفعتنا لامتحان شهادة المدرسة الوسطي ودخول مدرسة رمبيك الثانوية في ديسمبر 1952 مع طلبة اوكارو، بشري، اتار والتونج، وكانت هنالك خيارات

تشمل: التعليم الثانوي في رمبيك أو مراكز التدريب المهني. وتشمل الأخيرة مركز جوبا للتدريب، القسم الكتابي، ومدرسة تدريب المساعدين الطبيين. والطلاب البروتستانت الذين يفضلون التدريس يمكنهم الذهاب إلى معهد تدريب المعلمين بمريدي، بينما يختار الكاثوليك الذهاب إلى بشري. والممتحن يمكنه التقديم لخيارين على الأقل. لذلك تمثل اختياري الأول في مدرسة رمبيك الثانوية. كما فعل كل المتحمسين للتعليم العالي، بينما تمثل اختياري الثاني في القسم الكتابي في معهد التدريب في جوبا.

أرسلت النتائج لمصلحة التعليم في رئاسة المديرية قبل بداية السنة الدراسية الجديدة. ووقتها كنت في جوبا، وسعدت كثيراً عندما وجدت اسمي في مقدمة المتفوقين وبدخول عدد كبـير من طـلاب مدرستنا في مدرسة رمبيـك الثانوية (1952/51) وفي فترة دراستنا الوسطي مرّ على المدرسة ثلاث نظار، هم: ح.أ. باري 1950/49، أيان واطس 1951/50، كول 1952/51. أما مفتشو الجمعية الكنسية في فترة وجودي في لوكا، فقد كانوا هم:- مستر كوك ومستر رامسدال. ومساعد المدير الحكومي للتعليم في الجنوب هو مستر هيربرت، يساعده السيد ســر الختم الخليفة. وفي يوليو 1950 سافرت لقضاء الإجازة القصيرة مع أهلي في صحبة موظفين ومتدربين من المادي، من بينهم متدرب في قسم المساعدين الطبيين يسمى شالستينو فوقا وشقيقته. وكانت الفتاة تصغرني بثلاث سنوات. وفي الطريق تعرفت عليها ونظرت إليها نظرة إعجاب وتقدير (عرفت معناها في قراءاتي اللاحقة) وهي أخت روبين فولي سرور، زميل والدي في المدرسة ومن قرية قريبة إلى نمولي. وخلال فترة الإجازة حاولت البحث عنها وسط القادمين من تلك القرية لسوق نمولي، ووجدتها في بداية 1951 في الميناء. فتعرفت عليّ وأنا أمشي نحوها، وقابلتني بترحاب وابتسامة عريضة متفهمة ما كان يدور في رأسي. فقد كانت تدري أنني مهتم بها. قلت لها: (جوليانا، أريدك أن تكوني زوجتي.) فردت بقولها (تعال إلى منزلنا إذا كنت جاداً.) كان ذلك هو الحوار التقليدي بين الشباب

والشابات في بدايات علاقات التودّد والحب. ولم يكن بإمكانها الحديث أكثر من ذلك. وإذا لم يتابع الشاب محبوبته بعد مثل هذا الحوار القصير، فإنه يعتبر غير جاد ويتم تجاهله بشكل فوري. أما إذا ذهب إلى أهلها، فستقوم الشابة بوضعه في قائمة خطابها، كما تقضي التقاليد في تلك الفترة. فالبنت الجميلة وذات الأصول العائلية المحترمة يتقدم لها عدد كبير من الخطاب. وعليها هي أن تختار من تحب ويتفق عليه الأهل والأقارب والأصدقاء. وتعلن اختيارها هذا في ليلة معينة، ويصاب بقية الخطاب بالدهشة والإحباط. المهم كنت جاداً في قراري، لذلك ذهبت إلى أهلها في اليوم التالي، كما تقضي التقاليد (يمكن الذهاب إلى هذه المهمة في كل الأيام إلا يوم الجمعة ولا أعرف سبب ذلك) وفي مثل هذه الحالات يجلس الشباب والشابات يتسامرون في ظل المنزل. وكل شابه يقابلها خطيبها أمام قطية أمها. وقد يكون هناك عدة خطاب في المنزل الواحد. وفي العادة يصطحب الخطيب أحد أصدقائه معه. وفي حالتي إخترت صديقي سبت موسى لوبا للذهاب معي إلى أهل جوليانا وإعلان اختيارها زوجة لي.

مساكن الأسرة الممتدة في منطقة المادي تتشكل من قطاطي الزوجات وتأخذ شكلاً دائرياً. وأمام هذه القطاطي هناك مجموعة مخازن تشكل دائرة داخلية صغيرة. والرجل قد تكون له عدة زوجات، لكل منهن قطيتها في داخل هذا المجمع. ويشاركه السكن أيضاً أخونه وأبناء أخونه وأخواته. الدائرة الداخلية المحاطة بمخازن الحبوب تسمى زيرو (0) وهي تسمية قديمة ظلت موجودة قبل تعرُّف المنطقة على الأرقام اللاتينية. وهي مخصصة لنشاطات الرقص والاجتماعات المسائية والمناسبات والمؤتمرات الأسرية ... الخ.

والفتاة الجميلة بنت الأسر المعروفة والمقتدرة قد ترتب بشكل مدروس لقاء اثنين أو ثلاثة من خطابها في يوم واحد، وذلك بهدف عرض أهميتها وشعبيتها. وفي فترات سابقة كانت مثل هذه اللقاءات تستهدف تمكين الأسرة من التعرف على هؤلاء وتقديم نصيحة مؤهلة للبنت ومساعدتها في اختيار زوج المستقبل. وهي

أيضاً مفيدة للتأكد من جدية بعض الخطاب وللتأكيد أن هناك منافسة تحسمها العروسة نفسها. وبالنسبة لي كان المنافس الرئيسي من مركز تدريب المعلمين في بشري، يسمى كلمنتيو أويا، إلتقيته عدة مرات في العام الماضي. وكانت لقاءات لها تأثيرها في حياتي.

ولقد ارتبطت مع جوليانا في 1953/2/14 ولذلك فقد صديقي فرصته. وبعد سنتين أكملنا عقد الزواج، وهي فترة معقولة في تلك الأيام. وذلك في فصل الجفاف أثناء الإجازة المدرسية الطويلة، وهو الفصل الملائم لمثل هذه المناسبات، لأن الناس تكون مشغولة في فصل الخريف. والذين يتزوجون في فصل الخريف لا يجدون تعاطفاً من الأهالي، بل يعتبرون عطالى ومتسكعين في نظرهم. وحتى السلطات الحكومية تنظر إليهم بحذر وشك في تورطهم في أعمال التهريب والسوق الأسود. وأيام العرس تعتمد على استعداد وإمكانيات العريس والعروس. وكنت أفكر في إكمال الزواج بعد الانتهاء من المدرسة. ومع إن والدي وشقيقي لم يكونا مرتاحين لتسرعي، فإنهما لم يعترضا على ارتباطي ببنت روبين فولي سرور. لذلك تزوجنا بالطريقة التقليدية، حيث دفع الوالد المهر المطلوب. والمفارقة أن سالستينو فوقو ارتبط أيضاً بفتاة يحبها بعد ارتباطي بشقيقته. وهكذا أرسلنا المهر إلى أهلها. ومن عادات المادي أن يحضر شخص ليحلّ محل الشخص الذي ارتبط بزواج آخر. وبذلك تنتقل الثروة من أسرة إلى أسرة لأغراض نبيلة.

بعد الزواج ذهبت إلى رمبيك وتركت جوليانا حاملاً بطفلها الأول. ولم اكن شاذاً في ذلك. وهذا ما شجع أهلي. فهناك أتاناسيو مورو، من أوباري، الذي تزوج قبل الالتحاق بمدرسة رمبيك ولم يؤثر ذلك على دراسته. وفي تلك الفترة كان معظم الطلاب متقدمين في العمر (حتى في المدرسة الأولية) وكانت المدرسة تعمل على تأهيل طلابها للحياة وليس للتعليم العالي. ففي خطابه في السنه النهائية عام 1952، خاطبنا الناظر بقوله (..مدرسة لوكا لم تعد تعمل لتأهيل الطلاب لمواجهة الحياة وإنما لتأهيلهم للاستمرار في التعليم العالي. آمل للذين يتخرجون من رمبيك الثانوية

حظاً سعيداً في مستقبل حياتهم..) وهكذا، بدأ عهد جديد في جنوب السودان مع تطبيق سياسة حكومية جديدة. وفي وقت لاحق علمت أن مؤتمر الخريجين في شمال السودان قد لعب دوراً إيجابياً في الضغط على إدارة الحكم الثنائي لاتخاذ الخطوات التي أدت إلى افتتاح مدرسة رمبيك في عام 1949- فقد بدأت السلطات الكولونيالية في وقت متأخر جداً في ردم فجوة التفاوت بين الشمال والجنوب في مجالات التعليم والخدمات الأخرى. ولسوء الحظ، فقد أدى السير المتسارع نحو الاستقلال، تحت ضغط الشمال وتشجيع مصر وسيطرة نظرة ضيقة وسط القومية العربية الشمالية، كل ذلك أدى إلى تجاهل الطبيعة المعقدة لتركيبة السودان والي عرقلة السياسات التعليمية ومنعها من تحقيق أهدافها المخططة. ويبدو لي إنه إذا قدر لهذه السياسات أن تطبق منذ وقت مبكر، لما كان الجنوب متأخراً عن الشمال ولأخذت العلاقات بين الشمال والجنوب مجرى آخر، غير مجرى الصراع والاقتتال.

*** مدرسة رمبيك الثانوية : -**

في بداية السنة الدراسية، وفي ظهر أحد الأيام (بداية أبريل 1953) تجمع الطلاب في فناء المدرسة وكنت من القادمين الجدد- وجاء وليم دينق، مساعد المعلم، لمخاطبة الاجتماع نيابة عن ناظر المدرسة. وكان استقبال ومعاملة القادمين الجدد يختلف عن ما كان يحدث في لوكا- فقد كان كبار الطلاب يعاملوننا بأدب واحترام. وكل شئ كان يبدو مختلفاً. وكانت المدرسة تقدم خدمات الطعام كاملة وفي قاعة كبيرة. ولم يكن هناك عمل إجباري، كما كان الحال في لوكا، بل كان هناك عمل اختياري بهدف الحصول على بعض المال. كنا نزرع الفول السوداني ونبيعه للمدرسة من خلال الجمعية الزراعية. وهناك أيضاً جمعيات وأندية أخرى تشمل نشاطات متعددة ومتنوعة.

*** يوم في مدرسة رمبيك : –**

كنا نصحو من النوم في الصباح الباكر دون ضرب على جرس أو طبل. وليس هناك أي نشاط قبل الدروس. لكن الجميع يقوم بتلك النشاطات حسب برنامجه واهتماماته الخاصة. وبعد تناول الفطور في الثامنة صباحاً نذهب للفصول، حيث يضرب الجرس في التاسعة إلا ربعاً وتبدأ الحصص. وفترة الصباح تشمل خمس حصص وحصتان بعد الظهر. وفي فترة الراحة (15 دقيقة بين كل حصتين) نشاهد المارة في طريق رمبيك/ يرول. وكانت البنات بثيابهن البسيطة، يجذبن الطلاب اكثر من الأشياء الأخرى. وفجأة يرنّ صوت الجرس معلناً العودة للفصول. وحصص الصباح تنتهي في الواحدة ظهراً، حيث نذهب لتناول الغداء في قاعة الطعام– وفي الثالثة بعد الظهر نعود للفصول لمتابعة الدروس. وبعد ذلك ندخل في برنامج الرياضة، تماماً كما كان الحال في لوكا. والجديد هنا هو الاستعداد للمنافسات مع مركز تدريب جوبا ومركز تدريب المعلمين في بشري ومريدي. وفي السادسة مساء يعلن صوت الجرس لتجمع الطلاب في فناء المدرسة لطابور المساء. وفي العادة لا يحضر المعلمون هذا الطابور، بل يترك أمره للمساعدين للتأكد من التمام وتبليغ التوجيهات الجديدة وكتابة تقرير بكل ذلك للمعلم المسئول في ذلك اليوم. وطلاب المدرسة في الواقع هم رجال بالغون ويعاملون كذلك من قبل الإدارة. ويفضلون أن يخاطبوا كطلاب **Students** وليس كتلاميذ **Pupils**– ومظهرهم العام يشبه مظهر موظفي الحكومة بالمدينة.

بعد العشاء تبدأ فترة المذاكرة المسائية في داخل الفصـول وتستمر حتى التاسعة. وبعدها نذهب للنوم. وبالطبع ليس هناك تمارين لتجويد الحديث باللغة الإنجليزية، كما كان الحال في المدرسة الوسطى. ولكن الطلاب يشغلون فترة ما قبل النوم في مناقشات ومجادلات حول موضوعات مختلفة، دينية وسياسية واجتماعية. وفي هذه المدرسة، كما في مركز جوبا، يجتمع طلاب من مختلف المدارس الإرسالية (الكاثولوكية الرومانية والبروتستانتية) وسياسة المدرسة، على

أي حال، لا تشجع مثل هذه المجادلات حول المسائل الدينية. وكذلك الإرساليات. ولكن الطلاب لا يلتزمون بتوجيهاتها. ولذلك يجدون أنفسهم متورطين في مناقشة المسائل الدينية في معظم الأوقات.

وإجراءات الانضباط والنظام يقوم بها المشرفون على الداخليات. ولذلك يأمرون بالهدوء والانضباط عندما يشعرون بضرورة ذلك. وأيام السبت والأحد ينتظمها نشاط مماثل لما كان يحدث في لوكا، ولكن مع مرونة اكثر وحريات أوسع- فنحن في الجمعية الزراعية نستغل يوم السبت للعمل في الحقول. أما أيام الأحد والإجازات الدينية، فإنها تخضع لإدارة الكاثوليك والبروتستانت أنفسهم. وفي خارج الفصول والداخليات تنتظم المناقشات السياسية بحرية واسعة، وتشمل حتى المعلمين (وكلهم شماليون) ومعظم كبار المعلمين كانوا من البريطانيين، باستثناء المبشرين. وكان بعضهم من إيطاليا (الكنيسة الكاثولوكية) وآخرون من أيرلندة (البروتستانت) والموظفون البريطانيون كانوا مسؤولين عن الشعب المختلفة يساعدهم بعض المعلمين الشماليين. ومدرسة رمبيك كانت تمثل أعلى مؤسسة تعليمية في جنوب السودان، وتمثل أيضاً مركزاً للتنوير في كل المنطقة. وخلال فترتنا كان وليام كريشتون هو ناظر المدرسة. وكان رجلاً عظيماً ومتديناً. وكان يعزف على آلة البيانو في الكنيسة البروتستانتية عند صلوات أيام الأحد. وكان أيضاً متسامحاً صبوراً وقادراً على مواجهة الظروف الحرجة، وذلك بعكس سلفه (مستر وليامز) الذي نقل من موقعه بعد اضطرابات طلابية خطيرة.

*** مخاطر في الطرق : -**

كان الناس يسافرون باللواري بين رمبيك والمناطق الأخرى. أما الطلاب، فقد كانوا يمنحون تصاريح للسفر وقد يجدون أماكن في الشاحنات التي تحمل البضائع من محطة إلى أخرى. وبحكم وعورة الطرق، فقد كانت هذه اللواري والشاحنات تتعرض للحوادث بشكل متكرر. وأذكر أن زميلين قد راحا ضحية مثل هذه الحوادث، أثناء سفرهما من المدرسة إلى أهلهما- وأذكر حادثاً آخر عندما انقلب

لوريّ كان يقلّ طلاباً من لوكا إلى لوي. فمات في الحال عدد منهم وجرح كثيرون، واحد منهم كان من أقربائي. والحادث الثالث كان عندما كنت مسافراً إلى أهلي من رمبيك في نهاية سنتي الأولى هناك. فاللوري الذي أخذني إلى أهلي كان عائداً إلى جوبا. وفجأة اصطدم مع اللوري الآخر، الذي كان يقلّ زملائي وأبناء قبيلتي. فمات في الحال أفارستو، ابن أخ الزعيم سابازيو أوكومو، زعيم المادي. وبعيداً عن التخوف من مثل هذه الحوادث، فقد مرت سنتان بهدوء في مدرسة رمبيك وسارت الحياة دون مشاكل جدِّية. هناك حادث واحد فقط لم يكن ساراً. وحدث ذلك عندما دخل الشاب، دانيال كوت (يعرف اختصاراً بــ**D. K**) وهو من الناصر، في شجار مع أستاذ الفنون، مستر جرتلي– وتطور الحدث وكاد أن يؤدي إلى إضراب شامل في المدرسة. لكن الناظر قضى عليه في مهده دون اللجوء لعقوبات.

*** هيئة تدريس رمبيك الثانوية 53 / 1954 : –**

1/ في تلك الفترة كانت هيئة التدريس تضم من الأجانب الأسماء التالية :

- مستر كرشتون، الناظر، يدرس اللغة الإنجليزية والأدب.
- مستر ستيفنز، المشرف على القسم الجنوبي، يدرس العلوم ورئيس الشعبة.
- مستر جونز، مشرف القسم الغربي، رئيس شعبة الجغرافيا.
- مستر تمونل، مشرف القسم الشرقي، رئيس شعبة الإنجليزي.
- كار مايكل، مشرف القسم الشمالي، رئيس شعبة الرياضيات.
- الأب فيليني، قسيس، مدرس دين (كاثوليك).
- الأب نويل، قسيس، مدرس دين (بروتستانت).

2/ السودانيون :–

- أستاذ كاكانيس، مدرس إنجليزي وعربي.

- أستاذ مبارك، جغرافيا وعربي.
- أستاذ أمين، علوم.
- أستاذ الباقر، تاريخ وعربي.
- أستاذ عثمان، جغرافيا وتاريخ.
- أستاذ جرتلي، معلم فنون.

هؤلاء هم هيئة التدريس في تلك الأيام. وكلهم كانوا معلمين جيدين. واعتذر هنا للذين لم أتذكر أسماءهم. وفي تلك الفترة كان لسياسة السودنة تأثيرها في وضعية المعلمين الأجانب. ولذلك قرّر الناظر وآخرون ترك العمل قبل أن يطلب منهم ذلك، وبقي معنا كارمايكل وتمونز ومعلم كندي ومستر كيس. وفي العموم كانت السنتان الأولتان في رمبيك من أجمل سنوات الدراسة.

*** تغيير غير مرغوب : -**

عندما رجعت إلى رمبيك في السنة الثالثة، وجدت الوضع مختلفاً. فقد تغيرت الإدارة، الناظر ومساعده أصبحوا من الشماليين. والواقع أن المدرسين الشماليين كانوا أكثر من المعلمين الأجانب. وهذا التغيير لم يكن متوقعاً أو مرغوباً فيه، خاصة في الجنوب. وهذا التغيير في إدارة المدرسة كان جزءاً من تدفق مجموعات من الإداريين الشماليين إلى مناطق الجنوب. وبدا ذلك بالنسبة للجنوبيين كاستعمار جديد يحلّ محل الاستعمار البريطاني. ولذلك كان المناخ العام متوتراً في كل مكان، بما في ذلك مدرسة رمبيك الثانوية. ونحن الطلاب لم نكن ننظر للمدرسين الشماليين بروح ودية. فالمناقشات بين الطلاب والمدرسين كانت تتميز بالحدّة والغضب. والمناقشات والتجمعات السياسية، التي لم تكن معروفة في الجنوب، كانت تنتشر في كل مكان. وزيارات السياسيين الشماليين والمصريين للجنوب أصبحت متواصلة، لكن دون أي ترحيب من قبل الجنوبيين. وفي ذلك الوقت ظلت الشائعات تنتشر في كل المناطق حول نوايا الشماليين، بما في ذلك توجههم لأعادة تجارة الرقيق واستعباد أهل الجنوب.

*** أخبار العاصفة : -**

في 3 مارس 1955 تجمع العمال في أنزارا، المدينة الصناعية في غرب الاستوائية. وهناك في الخرطوم انفجرت مظاهرات الأنصار ضد زيارة الرئيس المصري، محمد نجيب. وتبع ذلك إضراب عام في الجنوب، شارك فيه رجال الشرطة (كان ذلك غير عادي) وكل هذه الأحداث كانت إشارات مبكرة لعاصفة قادمة.

بدأت هذه العاصفة في مدينة توريت في 18 أغسطس 1955، عندما رفضت مجموعة من الوحدات العسكرية الجنوبية تنفيذ أوامر قائدها الشمالي. كان هذا القائد يحاول تنفيذ أوامر بتحريك وحداته إلى جوبا ومنها إلى الخرطوم للمشاركة في احتفالات الاستقلال. ولكن الوحدات تشككت في الأمر، خاصة أن الأوامر وجهت بتحركهم بسلاحهم الشخصي. ولم يصدقوا ضباطهم الشماليين بأنهم سيزودوا بأسلحتهم عند وصولهم الخرطوم. وانفجر الوضع كله، عندما أطلق قائد الفرقة، الكابتن صلاح عبد الماجد، النار على سائقه الذي رفض دخول السيارة. هذه الطلقة أشعلت النيران في كل مناطق الجنوب، التي كانت أصلاً متفجرة. وجاء انفعال كابتن صلاح ليدفع الجنود في موجة عنف مجنونة. كانت سيارته في المقدمة فقفز في داخلها وأسرع في اتجاه جوبا، وفي ذهنه أن جنوده غير مسلحين، ولكن الجنود هجموا على مستودع السلاح، وسلّحوا أنفسهم وبدأوا في مهاجمة الضباط الشماليين الآخرين. فقتلوا كل من وجدوهم وتحركوا نحو المدينة وهم في حالة غضب وانفعال شديد، بهدف اصطياد من هربوا- وبعد وقت قليل بدأوا في مهاجمة المدنيين الشماليين وقتلوا أعداداً كبيرة من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز- وكانوا يستهدفون كل من يشتبه أنه شمالي، عن طريق اللبس والشعر واللون. وفي وقت لاحق انضمت قوات أخرى للمتمردين وشاركتهم قتل وذبح الشماليين. وفي بعض المناطق دخل الجمهور والغوغاء في أحداث القتل والنهب. وانتشرت شائعات واسعة حول قتل الجنوبيين المتواجدين في الشمال. وهذه الأحداث فاجأت طلاب

السنة الرابعة بمدرسة رمبيك في لينيا **Laynia**. كانوا في طريقهم إلى جوبا ومنها بالباخرة في رحلة مدرسية للشمال ــ وكان يقودهم الأستاذ النذير، مساعد الناظر، ومعه زوجته وطفلته، ويساعده مدرس الجغرافيا وأيزاك إلي **Isaac Eli** مدرس الرياضة.. ومع انفجار الأحداث ذبح النذير وطفلته ومدرس الجغرافيا بواسطة الجمهور الغاضب في تقاطع طريق لينيا. وأمام هذه الحالة وقف أيزاك وطلاب السنة الرابعة عاجزين عن فعل أي شيء. والمفارقة أن الجمهور الغاضب لم يقتل زوجة النذير، لكنها تمزقت بمشاهدة عملية ذبح زوجها وطفلتها... هذه الأخبار المأساوية وصلت رمبيك مع عودة أيزاك غير المتوقعة. وكان هو المدرس الجنوبي الوحيد في المدرسة. وعاد معه الطلاب الذين أجبروا على قطع رحلتهم للشمال. ونتيجة لذلك دخلت المدرسة في حالة خوف مريع. وكذلك المدينة بأكملها– وبدأت الإشاعات تنتشر تباعاً، كالنار في الهشيم، في طول وعرض الجنوب، من الاستوائية إلى بحر الغزال إلى أعالي النيل. وشاركت شعبي في مشاعره. وكنت أشعر بأن هناك أسباباً حقيقية لهذه الانتفاضة، رغم حزننا العميق على قتل مساعد الناظر وطفلته ومدرس الجغرافيا– فقد كانا رجلين عظيمين ومخلصين لخدمة العلم ودون اهتمام بالسياسة. وبعد سنوات بدأت أشعر بالخجل من مثل هذه الممارسات وبدأت أقتنع بأن تلك الأحداث تمثل وصمة عار في سمعتنا كجنوبيين.

لقد فقدت الخرطوم السيطرة على الجنوب لبعض الوقت. وفوراً طلب الحاكم العام، نوكس هيلم، من وحدات الاستوائية التسليم للقوة الشمالية المرسلة عن طريق سرب من سلاح الطيران الملكي البريطاني. وهذه الوحدة تمثل جزءاً من قوات الاحتلال الإنجليزي/ المصري. وبهذا المعنى فهي تقع تحت مسئولية الحاكم العام، القائد الأعلى لقوة دفاع السودان وقوات الاحتلال في الخرطوم. والوحدات الشمالية أرسلت للجنوب لحماية مدينة جوبا، المدينة الرئيسية هناك. وبذلك بدأ الاحتلال الشمالي للجنوب. فقد تعهد الحاكم العام للوحدات الجنوبية بمعاملتها بعدالة وأرسل مستشاره الشخصي، السير وليم لويس، نائب مدير الاستوائية السابق، المعروف

لدى وحدات الاستوائية، للتفاوض حول شروط التسليم. وفي هذا الأثناء أعلن عن فرض حالة الطوارئ في الجنوب وإغلاق كل المدارس هناك. وأدى ذلك إلى فقدان الطلاب لعام دراسي كامل- وبعد فترة أسبوعين أدت إلى تهدئة الأحوال، قام حسن أحمد الحاج، ناظر المدرسة، بترتيب سفر الطلاب إلى مناطقهم. فأرسلوا أولاً إلى عواصم مديرياتهم وتسليمهم إلى سلطات التعليم هناك. ومن هناك أرسلوا إلى عواصم مناطقهم ومن ثم سلموا إلى زعماء قبائلهم حتى يصلوا إلى أهلهم سالمين. ورغم ظروف الرعب والإرهاب، كان الناظر يحتفظ بهدوء وثبات مشهود وتمكن من تنظيم سفر الطلاب بكفاءة عالية.

كانت رحلة العودة إلى الأهل أكثر طولاً ومشقة، مقارنة بالرحلات السابقة. فقد سافرنا بالطريق البري (باللواري) من رمبيك إلى شامبي، ثم بالباخرة إلى جوبا كما كنا نفعل في رحلتنا من أكوت. وبعد ذلك سافرنا باللواري إلى توريت، عاصمة منطقتنا. وتلك كانت أولى زياراتي لها. ومن هناك وضع طلاب الأشولي والمادي في أحد اللواري لتوزيعهم على مراكزهم المحلية في ماقوي ولوا. ومن هناك اتجه اللوري إلى نمولي، محطته الأخيرة وموطن أهلي. وشعرت أن بلدي لم يكن يتمتع بالسلم والهدوء، كما كان في الإجازات السابقة. فقد كانت الإشاعات ومظاهر الخوف وعدم الاستقرار تسيطر على المناخ العام- وبعد قليل وصلت أخبار اعتقال شقيق زوجتي، فيستو لوبوكا ومحاكمته بالإعدام. وعلمنا أن شقيقنا الأكبر، روبين، قد هرب إلى يوغندا خوفاً من الاعتقال. وأشيع أنه هو موظف مكتب البريد الذي أوقف رسالة رئيس الوزراء، إسماعيل الأزهري، للإداريين الشماليين في الجنوب وأرسلها للموظفين والسياسيين الجنوبيين. والإشاعة تقول أن رئيس الوزراء قد أمر الإداريين الشماليين بمعاملة الجنوبيين معاملة سيئة وظالمة.

وفي هذا الأثناء ترك الحاكم العام الخرطوم بطريقة مفاجئة، وذلك في إجازة عادية حسب البيان الرسمي. والمفارقة أن هذا الابتعاد حدث في الوقت الذي بدأت فيه القوات الجنوبية في الاستسلام، استجابة لمناشدة الحاكم العام نفسه- وهذا يمثل

حدثاً شاذاً لاسابقة له- فالتقليد البريطاني في تسليم السلطة بشكل رسمي للدول المستقلة حديثاً يتطلب استمرار وجود المسئول الكولونيالي الأعلى، أي الحاكم العام في حالة السودان، ليشرف ويشهد على إعلان الاستقلال- ولكن الحكومة البريطانية تجاوزت هذا التقليد وأرسلت موظفاً أدنى رتبة، هو السير دوقلاس دودز باركر، ليشهد إعلان استقلال السودان وإنزال الراية البريطانية من أعلى القصر في الأول من يناير 1956- وأستبدل الحاكم العام بمجلس سيادة خماسي معين. وهذا المجلس، مع رئيس الوزراء، هو الذي قام بتنظيم احتفالات الاستقلال. أما الحاكم العام فإنه لم يعد للوفاء بتعهده والتزامه للقوات الجنوبية، بل ترك هذه القوات وكل أبناء الجنوب تحت رحمة الإدارة الشمالية غير المدربة وغير المختبرة. فالإداريون والعسكريون الشماليون، الذين تدفقوا داخل الجنوب، كانوا يتصرفون كما يريدون.. بعضهم تورط في أعمال انتقامية دامية ووحشية. وكثير من العسكريين والمرتبطين بالقوات المساعدة والمدنيين، الذين زعم تورطهم في المجازر التي تعرض لها الشماليون في الجنوب، كل هؤلاء أدينوا بارتكاب جرائم كبرى وحكم عليهم بالإعدام، وكثيرون آخرون حكم عليهم بالسجن لمدد طويلة في سجون الشمال. والجنوبيون لا يمكن أن يأمنوا عدالة الشماليين، الذين كانوا جزءاً من المشكلة نفسها- والذين تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات كانوا يشيرون إلى الإسرائيليين الذين أبعدوا وتم نفيهم في بابل- وكنا نشعر أن هذا الاحتلال يعني احتمالات إعادة تجارة الرقيق التي كانت سائدة في القرون السابقة، وذلك مباشرة بعد رحيل البريطانيين. فالجنوبيون كانوا على الدوام يعتبرون البريطانيين سندهم وحماتهم، وينظرون إلى الشماليين كتجار رقيق مستبدين. ولذلك كان رحيلهم المفاجئ يمثل صدمة كبيرة لأهل الجنوب بشكل عام. ولذلك استقبلوا إعلان الاستقلال، بعكس الشماليين، بحالة من الشكوك والخوف من المستقبل. فهو لا يعني استقلالاً حقيقياً للجنوب، بل بداية استعمار جديد من قبل الشماليين، أعدائهم التقليديين. وبالفعل بدأوا يشعرون، منذ ذلك الوقت، أنهم يعيشون في إقليم يحتله الشمال.

المهم، أن فقداننا للعام الدراسي منحنا إجازة طويلة. ولذلك وجدت فرصة لقضاء وقت طويل مع جوليانا وطفلتنا الصغيرة التي ولدت في يوم عيد ميلادي، 21 نوفمبر. وكان جدّي لأمي سعيد بميلادها، لكنه توفي في مايو 1956 عندما كنا نتوقع مولودنا الثاني.

*** إعادة فتح المدارس في الجنوب: -**

أعيد فتح المدارس في الجنوب بعد عام دراسي كامل وحول بعضها للشمال، مثل رمبيك الثانوية، معهد مريدي، وجوبا التجارية الثانوية (وكلها جمعت في منطقة البركس بالقرب من جامعة الخرطوم.) وكانت الرحلة إلى هناك أكثر طولاً ومشقة، تبدأ من جوبا إلى كوستي بالباخرة، ومن هناك إلى الخرطوم بالقطار- وتلك كانت أول رحلة لي بالقطار في الدرجة الثالثة. ولاحظت أن القطار أسرع من الباخرة. واستمرينا هناك لمدة عامين قبل أن أجلس لامتحان شهادة كيمبرج. المهم أن تحويل المدارس العليا للشمال أثار موجة من الشائعات، تقول أن الشماليين سيقتلون الطلاب عن طريق تسميم طعامهم. ولذلك سافرنا إلى هناك محملين بمشاعر مليئة بالخوف والشكوك والأحكام المسبقة. وعندما أصيب الطلاب بوباء الدسنتاريا والإسهالات، كان ذلك سبباً كافياً لتأكيد تلك الشكوك والمخاوف. وفي مدرستنا توفي أحد الطلاب بسبب هذا الوباء، وأنا نفسي تعرضت لانهيار أمام مغسلة الكنيسة. ولحسن حظي أخذني أمين سلامة، المعلم المصري، للمستشفي وتابع علاجي بعناية تامة. وشعرت أنه قد أنقذني من موت محقق. وفي عودتي من المستشفي وجدت الطلاب الجنوبيين قد دخلوا في إضراب عام عن الدراسة، وكانوا في حالة غضب وانفعال شديدين. إذ أنهم كانوا يعتقدون أن خطة تسميم الطعام قد بدأت. ولذلك طالبوا بإعادتهم إلى الجنوب. وأدى ذلك بالضرورة إلى تعقيد الموقف وإرباك ناظر مدرستنا ومسئولي المعهدين الآخرين والمعلمين الجنوبيين. وبسرعة وصلت الأخبار إلى دوائر السياسيين الجنوبيين في البرلمان. وفي الحال قام أحدهم (هو ستانسلاوس بياساما، السياسي الجنوبي المعروف) بزيارة الطلاب ومناشدتهم للتراجع عن الإضراب

بتناول وجباتهم والعودة للدراسة. ووعدهم بإجراء تحقيق جاد حول أسباب الوباء. وأكد أن ما حدث ليس تسميماً مقصوداً وأنه يمكن أن يحدث لأسباب عديدة حتى في الجنوب نفسه. وبرحمة من رب العالمين اختفي الوباء وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعي. وعندما هدأت الأحوال نقل الناظر إلى مدرسة أخرى وحلّ محله ناظر جديد، من قبيلة البجة في شرق السودان. واستقبله الطلاب بترحاب وفرح أكثر من الناظر السابق. وذلك لأنهم اعتبروه من قبيلة أفريقية مثل الجنوبيين. وبنهاية الفترة الدراسية هدأت الأحوال وبدأنا نتأقلم مع محيطنا الجديد.

وصلتني أخبار مولودنا الجديد بعد شفائي من الدوسنتاريا.. فقد ولد في 1956/8/3 وأسميناه لو، تيمناً بعمنا العظيم. وأسمينا طفلتنا الثالثة بإسم زوجته أيدانقوا **Ida-Angwa**. وذلك تمشياً مع تقاليدنا التي تشجع على ذلك. وفي الوقت نفسه أبدى العم وزوجته سروراً عظيماً بإحياء أسميهما وسط الأهل. أما أنا فقد شعرت بسعادة لا حدود لها برضائهما عني وحبهما لأطفالي. المهم انتهت السنة الدراسية وبدأنا في الاستعداد للسفر بالقطار إلى كوستي ومن هناك بالباخرة حتى جوبا. كانت الرحلة ممتعة، حيث يتوقف القطار في المحطات العديدة المنتشرة في الطريق. والباخرة أيضاً كانت تتوقف من وقت لآخر. وفي طول الطريق نشاهد المناظر الجميلة على ضفتي النيل من كوستي حتى جوبا. هناك الغابات وقطعان الأبقار والحيوانات البرية على طول الطريق. وفي داخل النيل هناك التماسيح والأسماك الكبيرة وفرس البحر، كلها يمكن رؤيتها داخل المياه أو مستلقية في الشواطئ، هذه المناظر المتجددة والمتواصلة تجعل الزمن يمرّ سريعاً وتحول متاعب الرحلة إلى متعة لا تعوّض. وكنا سعداء بعودتنا إلى أهلنا من الشمال مرة أخرى. وكانت سعادتي أكبر لأني سألتقي بزوجتي وأطفالي. وبشكل عام عادت الأحوال إلى طبيعتها. ولكن القوات الشمالية كانت تنتشر في كل مكان وكانت تثير سخط المواطنين وغضبهم. ويبدو ذلك أمراً طبيعياً ومشروعاً يعبر عن مشاعر الوطنيين السودانيين الجنوبيين. وكنت أقف معهم بقوة.

وكالعادة كنت استغل وقتي في الإجازة في تجارة بسيطة بهدف جمع بعض المال الضروري لمقابلة مصاريف المدرسة وشراء ملابس للأسرة. وفي هذا سافرت مع سبت موسى (زميلي في مراسم الزواج من جوليانا) وأعز أصدقائي والمتمرس في مثل هذه التجارة. وكنت أقوم أيضاً بنشاط زراعي. فقد بدأ موسم الأمطار وكنت أستهدف توفير غذاء كافي للزوجة والأطفال .

في الرحلة الثانية للشمال اكتسبنا ثقة أكبر بأننا نسافر إلى هناك لتلقي العلم، وليس كعقاب وإذلال. ولذلك إزداد حماسنا للاهتمام بدراستنا ومنافسة المدارس الأخرى. وفي السنة الأخيرة حققت دفعتنا احسن النتائج لدخول الجامعة. وكانت نتيجتي كالآتي: -

اللغة الإنجليزية، جيد، الأدب الإنجليزي، جيد، الرياضيات الأولية، جيد، الرياضيات الإضافية، جيد، العلوم، جيد، اللغة العربية الخاصة، جيد، الجغرافيا، جيد، التاريخ، ناجح، الديانة المسيحية، ساقط... ولم أصدق نتيجتي في الديانة المسيحية. وفي وقت لاحق علمت أن نتائج زملائي كانت أيضاً ضعيفة. وأدى ذلك إلى تحول بعضنا من البروتستانتية إلى الكنيسة الكاثوليكية. وهنا لابد من توجيه صوت لوم لمدرس التعليم الديني. وكنت محقاً في تحميله مسئولية ضعف نتيجتنا في هذه المادة. المهم تقدمت لدخول كلية الحقوق بجامعة الخرطوم وقبلت بالفعل في الكلية.

الفصل الثالث

اختيار المهنة

بعد أن تركت المدرسة كنت مصمماً على دراسة الحقوق في جامعة الخرطوم. وتمثل إختياري الثاني في دراسة العلوم للالتحاق بمهنة التدريس. وبعد الامتحان النهائي كنت واثقاً من نجاحي، لذلك استشرت الأستاذ جوزيف قرنق، المحامي الجنوبي الوحيد في الخرطوم في تلك الفترة. وعندما رافقته ذات يوم للخرطوم جنوب شعرت بتغيير في اتجاهي نحو دراسة القانون. فقد قال لي: (نحن المحامون ننظر للحياة من زاوية سيئة في معظم الأوقات. أنظر، أنا الآن ذاهب لأدافع عن شخص متهم في جريمة استنكرها. ولكني كمحامي عليَّ أن أبذل كلما في وسعي للدفاع عنه.) قلت له (ما هي هذه الجريمة؟) أجابني (..هذا الشخص متهم بإساءة طفل صغير..) وبعدها غيرت موضوع الحديث وبدأت أعيد النظر في اختياراتي. فقررت التفكير في اختياري الثاني. وفي مرّة دخلت المحكمة. ووجدت أنني غير قادر على البقاء في داخلها. وبينما كان الناس يأخذون مقاعدهم لمشاهدة ما يجري في المحكمة، كنت أمسك بيد صديقي للخروج والذهاب بعيداً. المهم بعد أيام من اتصالي مع جوزيف قرنق، تركت الخرطوم متوجهاً إلى جوبا. وهناك وجدت أن شقيقي جابولون قد وظف كاتباً في رئاسة القيادة الجنوبية. وحدثني عن الإعلان لدخول الكلية العسكرية. وشعرت بضرورة التقديم، رغم شكوكي في أنهم لن يقبلوني. ومع تشجيع شقيقي ملأت أورنيك التقديم للكلية وسلمته للجهات المختصة وسافرت إلى أهلي. وبعد أيام وصلتني رسالة عن طريق الشرطة بالحضور إلى رئاسة القوات المسلحة في جوبا بهدف إجراء معاينة الدخول للكلية. فأبلغت والدي وساعدتني شرطة المنطقة للوصول إلى جوبا بأسرع ما يمكن. وهناك ساعدني شقيقي حتى وصلت إلى مكتب الضابط المسئول في الرئاسة، اللواء طلعت فريد. فسألني عدة أسئلة وأجبته بأفضل ما عندي. ويبدو أنه اكتفي بهذه المقابلة

الأولية فأمر بتسهيل سفري للخرطوم بالطيارة وتمني لي حظاً سعيداً. وخرجت من مكتبه مزهواً رغم استمرار شكوكي حول قبولي في الكلية. وذلك لأن مديريتنا، الاستوائية، تعتبر مديرية متمردة، خاصة منطقة توريت، حيث بدأ تمرد 1955- والشماليون يعتبروننا انفصاليين ويعاملوننا بحذر شديد. ومع كل ذلك، فقد تحصلت على التذكرة وحجزت للسفر للخرطوم في اليوم التالي حتى أتمكن من إجراء المعاينة المطلوبة هناك. وقضيت تلك الليلة مع شقيقي وأنا أتساءل:- هل سأقبل في الكلية، رغم موقف الشماليين من منطقتنا؟ ماذا عن تقديمي لدخول جامعة الخرطوم؟ وفي الساعة الحادية عشر صباح اليوم التالي ذهبت إلى رئاسة المديرية لتسهيل وصولي إلى المطار. وهناك رآني سبت فرج، الموظف في الري المصري، رآني أدخل البص المتجه للمطار. واندهش لسفري بالطيارة للخرطوم. وجاء تعليقه وسط أصدقائه يقول (..ياكوبو علَّم إبنه بشكل جيد حتى أنه يسافر بالطيارة..) وهذا التعليق ملأني فخراً وزهواً ومنحني ثقة عالية في نفسي. ولذلك دخلت الطيارة لأول مرة باعتزاز. وهذه السفرة تمثل تجربة لا تنسى. فقد كنت أعتقد أن أي مسافر سيوفر له براشوت تحسباً لاحتمالات الخطر. وعندما لم يوفر حاولت الاستفسار، لكني تراجعت خوف اتهامي بالجبن. وهو اتهام معيب لشخص يأمل في دخول الكلية العسكرية. وعندما أعلنت المضيفة (على الركاب ربط أحزمة المقاعد..) التزمت بتوجيهها، لكني كنت انتظر أي إشارة للبرشوت دون جدوى، حتى تحركت الطيارة وحلقت في السماء. وساعتها دعوت الله ليجنبنا أي مكروه. وعندما ترتفع أعلى وأعلى، كنت أنظر من خلف النافذة لأشاهد ما تحتها. كنت أشعر أن الطيارة تسير ببطء شديد، وبعد لحظات قررت أن اغمض عيني وأنام، ولم أستطع. وظللت أنظر خلف النافذة، فلا أشعر بأي تقدم في السرعة. وبعد ساعة ونصف سمعت إعلاناً آخر بربط أحزمة المقاعد وبأننا نقترب من مطار ملكال. وبدأت أشعر بهبوط الطيارة تدريجياً حتى نزلت في أرض المطار- وهنا شعرت أن سرعتها لم تكن كما قدَّرت. فالمسافة التي قطعتها في تسعين دقيقة، تقطعها الباخرة في خمسة أيام عندما

تسير مع التيار وعشرة أيام عندما تسير عكسه. ولذلك اقتنعت أن الطيارة أسرع من أي وسيلة مواصلات أخرى. المهم نزلنا إلى أرض المطار وبعد نصف ساعة دعونا للعودة لمقاعدنا ومواصلة السير إلى الخرطوم- وبعد ساعتين جاءنا إعلان المضيفة بربط الأحزمة وبأننا نقترب من مطار الخرطوم. وبعد قليل هبطت الطيارة في أرض المطار. وبذلك نكون قد قطعنا المسافة من جوبا إلى الخرطوم في حوالي أربع ساعات، مقارنة بعشرة أيام بالباخرة. فتأمل الفرق بين هاتين الوسيلتين.

في الخرطوم كانت هناك متطلبات عديدة قبل الدخول للمعاينة، وكان الوقت ضيقاً. فقد كان مطلوباً مني شهادة الميلاد والشهادة المدرسية. ذهبت إلى السلطات الطبية لاستخراج شهادة بتقدير عمري، ولكني لم أجد الموظفين. كان هناك أحد الأطباء، "حلبي" يشبه المصريين، قام بمساعدتي واستخرج الشهادة بنفسه (قدَّر عمري بتسعة عشر عاماً) كان ذلك في يوليو 1958. وقال لي أنه يدري بأن عمري أكبر من ذلك، لكنه أراد بهذا التقدير أن يمنحني فرصة أخرى للتقديم للكلية. وهذا الطبيب ربما هو المسئول عن المكتب، كما بدا لي من ثقته في نفسه واستخراج الشهادة دون تردّد. وبعد ذلك أسرعت إلى رئاسة القوات المسلحة لمقابلة لجنة المعاينة المكونة من كبار الضباط. وكانت تتكون من: نائب القائد العام للقوات المسلحة، اللواء أحمد عبد الوهاب، رئيساً- رئيس هيئة الأركان، العميد حسن بشير نصر- قائد الكلية العسكرية، الكولونيل مقبول الأمين الحاج... وفي البداية طلبوا مني تقدير العمر فقط. فقال لي رئيس اللجنة (لا يمكننا إجراء المعاينة دون تقديم كل الأوراق والشهادات المطلوبة.. أذهب وأحضرها قبل الثانية ظهراً..) كان ذلك في منتصف النهار. لذلك أسرعت إلى المدرسة (كانت قريبة من هناك) وهناك وجدت نائب الناظر يقوم بتجهيز أثاثات المدرسة لإرسالها إلى رمبيك. شرحت له مشكلتي. فقال لي (إذا كانت تلك هي مشكلتك فليس هناك داع للانزعاج. فقد ظهرت نتائج الشهادة، وتقديرك جيد، وسأكتب خطاباً للقوات المسلحة بهذا المعنى حالاً..) كتب الخطاب وختمه بختم المدرسة. فشكرته وأسرعت إلى لجنة المعاينة وأنا أفكر

في السودانيين الشماليين الذين ساعدوني، مثل الموظف المسئول في الباخرة أمدرمان، والطبيب الذي ساعدني في استخراج شهادة تقدير العمر، وفي الفترات اللاحقة كانت هذه الذكريات تقاوم أي محاولة مني لانتقاد السودانيين الشماليين بشكل عام دون تحديد.

أسرعت إلى لجنة المعاينة واستقبلتني بتقدير عالي لاهتمامي وحرصي على المجيء في الوقت المحدّد- قدمت لهم الشهادات المطلوبة. نظر إليها الجنرال أحمد عبد الوهاب، وأمرني بقوله: (.. على الخلف دور، سر عشر خطوات، ودور على الخلف مرة أخرى وارجع إلى مكانك..) ففعلت ما أمرني به. وبعدها بدأت أسئلتهم حول الثقافة العامة. ولحسن حظي أني كنت مهتماً ومتابعاً للأحداث السياسية الجارية أثناء فترة الدراسة. فأجبت على الأسئلة بلغة واثقة. وفي النتيجة النهائية كان إسمي ثالث القائمة التي قدمت للقائد العام الفريق إبراهيم عبود. وعند مقابلتي معه وجدته قائداً محترماً وودوداً. وعندما علم من خلال إجاباتي على أسئلته أنني من الضفة الشرقية بالاستوائية، أكد لي أنه يعرف تلك المنطقة وأنه يعرف أوباري عندما كانت عاصمة للمنطقة. وسررت كثيراً لهذه المقابلة ولتوفيقي في اجاباتي لأسئلتها. وعند إعلان النتيجة النهائية حافظت على موقعي في مقدمة القائمة. وبالصدفة كان الجنوبيان اللذان قبلا بالكلية في تلك السنة من قبيلة المادي.. فبالإضافة إلى شخصي كان هناك جوفانى أندروقا، زميلي في مدرسة رمبيك. كان في الخرطوم يبحث عن عمل لأنه لم يكن واثقاً من أدائه في الامتحانات. وفي المعاينة لم يوفق في توفير شهادته المدرسية، بل أحضر شهادة إكمال فقط. وقام أيضا بتغيير إسمه الثاني إلى (دوكه باشا.) وكلمة باشا تركية لاتزال مستخدمة في السودان الشمالي. واستخدامه لهذه الكلمة قد يكون لربط إسمه بلقب تركي (قد يساعده في قبوله بالكلية.) وعند قراءة الأسماء في الكلية، تلفت لأرى من هو دوكة باشا هذا. ودهشت عندما عرفت أنه هو صديقي جوفاني. وكانت دفعتنا تضم سبعين طالباً جديداً.

*** الكلية العسكرية : -**

عند إفتتاح الكلية كانت دفعتنا تمثل الدفعة الثانية عشر، كانت أكبر دفعة منذ إعادة فتح الكلية في 1948 بعد الحرب الثانية- واستقبالنا من قبل طلاب الفصل الأعلى كان شبيهاً لاستقبالنا للقادمين الجدد في مدرسة لوكا. وربما كان أكثر استفزازاً واستبداداً. ولكن الأهداف العامة كانت واحدة. ففي المدرسة كنا نستهدف تشجيع الطلبة الجدد لتطوير لغتهم الإنجليزية. أما هنا فقد كانوا يستهدفون تغيير الطلاب الجدد من مدنيين إلى عسكريين. ومثل هذا الهدف كان يتطلب نوعاً من الخشونة في التعامل لتعويدنا على الانضباط والنظام العام.

عندما عرفت قبولي في جامعة الخرطوم حاولت التراجع عن الكلية العسكرية والذهاب لدراسة الحقوق هناك. وبعد تردّد قررت عدم التراجع خوفاً من اتهامي بالجبن والضعف وسط أهلي. وفي فترة الكلية ولد طفلنا الثالث. وكنت أحذر أهلي وأصدقائي من الإشارة إلى زواجي، لأن دخول الكلية بشترط عدم الزواج – ولذلك قدمت نفسي كأعزب وظللت أحاول إخفاء الحقيقة بكل الوسائل الممكنة. وعند ولادة طفلنا الثالث أرسل لي والدي يقول (أختكم جـوليانا وضعت طفلاً في 1959/2/7 وأسميناه توبو **Tobu** بإسم جدك الكبير.) وسمي أيضاً سبت لأنه ولد يوم السبت، وبإسم حسن لوكوروجو، إسم فكي الخلوة التي تعلمنا فيها وصديق والد زوجتي. وفي تقاليد المادي أن الطفل يمكن أن يحمل عدة أسماء، يطلقها عليه الأصدقاء الذين يشاركون في احتفال (السماية).

*** استقبال الطلبة الجدد : -**

في استقبالهم الحار قام طلبة الفصل الأعلى بتقسيمنا إلى مجموعات، كل مجموعة تحت إشراف عدد منهم. وفي البداية كانوا ودودين في تعاملهم معنا، حيث حدّدوا لنا غرفنا وشرحوا لنا كيفية تنظيم الأشياء والأثاثات وكيفية تنظيم الغرف وغيرها- وبعد ذلك بدأت المعاملة تتجه إلى القسوة والتشدّد. وبدأنا في تلقي الأوامر.. انتبه، قف مكانك، انتباه، أجلس، انهض، نظّف هذا المكان...الخ أوامر

تتتالى علينا حتى منتصف الليل. وفي الرابعة صباحاً نصحو ونبدأ في برنامج النظافة. نبدأ بالمعسكر فالغرف ثم الأثاثات والأواني. وبعد الحمام ننتظم في مجموعات ونسير في صفين إلى صالة الطعام لتناول شاي الصباح. وكل تحركاتنا كانت تتم بهذه الطريقة.. تطلق الصفارة، فننتظم في مجموعات وصفوف. ثم ندخل في تدريب جسماني شاق حتى نهاية البرنامج. ومع مرور الأيام ندخل في تدريبات جديدة أكثر مشقة. نجري لمسافة طويلة، ثم نقف لنستمع لمحاضرات سخيفة من الطلبة الكبار. وفي فترة الاستراحة هناك (الإدارة الداخلية) ويسمونها (دروس خاصة) وكنا لا نحب دروسهم هذه. ولكن لا مفرّ من الطاعة والسمع. وأملنا الوحيد كان يتمثل في مرور الوقت بأسرع ما يمكن ونهاية السنة والبقاء في البركس. كنا نشاهد المسئولين يمشون في الطريق بحرية أكثر، تجذبنا أناقتهم واعتزازهم وفخرهم بأنفسهم. ونتساءل: متى نكون مثلهم؟

*** يوم تقليدي في الكلية : -**

يبدأ اليوم رسمياً في السادسة صباحاً بتدريب رياضي وعسكري (وهذا هو الدرس الأول) ولكن المسئولين يوقظوننا قبل ذلك بكثير ليجدوا فرصة لإلقاء دروسهم السخيفة. وفترة الدرس الواحد تمتد إلى 45 دقيقة. ويتناوب الطلاب الجدد والقدامى في استخدام معينات التدريب والميادين وقاعات المحاضرات. فعندما يكون الطلبه الجدد في قاعة المحاضرات، يذهب الآخرون للتدريب على السلاح أو في الميدان أو للتدريبات التكتيكية بدون سلاح. وبعد الدرسين الأولين، نرجع إلى الثكنات لتناول الفطور وبعد ذلك نعود إلى ميادين التدريب أو قاعات الدرس ونستمر هناك حتى الثانية بعد الظهر- وفي كل تحركاتنا من الثكنات إلى أماكن الدرس والتدريب ننتظم في مجموعات وصفوف ونمشي بخطوات عسكرية محكمة. والفترة الصعبة كانت تتمثل في الفترة من الساعة 12 حتّى الثانية. وتشمل تدريبات ونشاطات خفيفة، مثل التدريب على السلاح في شاطئ النيل والدروس النظرية في الفصول أو تدريبات ميدانية وتكتيكية في مكان مفتوح. وفي الثانية ظهراً نرجع

للثكنات لتناول وجبة الغداء وقضاء وقت قصير للراحة. وبعض الطلبة القدامى يعملون على خلق مشاكل تؤدي إلى معاقبتنا عقوبة جماعية. فإذا فقد أحدنا زرازة قميصه، فإن هؤلاء يلجأون إلى معاقبتنا جماعياً بإسم (الإدارة الداخلية) وفترة الراحة هذه تستغل أيضاً في تنفيذ العقوبات الرسمية على طلبة الكلية التي يفرضها عليهم الضابط المسئول- وعلى المعاقبين الذهاب إلى الميدان الرئيسي بملابسهم الرسمية وأسلحتهم. وهناك يخضعون لعمليات تدريب عسكرية شاقة تحت إشراف أحد ضباط الصف أو طلبة الفصل الأعلى. وبالطبع لا أحد يريد أن يقف تحت شمس الظهيرة لمدة 45 دقيقة. ويشمل العقاب: الوقوف في حالة انتباه، الجري السريع والتوقف، الدبل مارش... الخ. وكلها تستهدف انهاك المعاقب وتلقينه درساً قاسياً حتى لا يعود إلى ارتكاب أخطائه مرة ثانية. وبعد فترة الراحة هناك دروس إضافية وطابور المساء. وفي الثامنة مساء نتناول وجبة العشاء. وبعد ذلك لكل فرد الحرية في قضاء وقته بالطريقة التي يريدها. وهي فترة لها مشاكلها بالنسبة لطلبة السنة الأولى. وذلك لان كبار الطلبة يترصدون حركتهم بهدف توقيع عقوبات قاسية عليهم جميعاً أو على بعضهم. وفي منتصف الليل يذهب الجميع إلى النوم وينتهي اليوم التقليدي في الكلية.

*** خبر هام: -**

في سنتنا الأولي بالكلية حدث أول انقلاب عسكري ناجح في السودان (في 1958/11/17). فقد أعلن راديو أمدرمان أن القوات المسلحة، تحت قيادة القائد العام، الفريق إبراهيم عبود، قد استلمت السلطة في البلاد وحلَّت مجلس السيادة ومجلس الوزراء (كان برئاسة عبد الله بك خليل.) وأيضاً حلَّت البرلمان والأحزاب. وذلك بالإضافة إلى إجراءات أخرى. وبذلك دخلت البلاد في عهد جديد بعد سنتين فقط من إعلان الاستقلال في الأول من يناير 1956.

* **في الإجازة كطالب حربي: -**

انتهت فترة الدراسة بتخريج طلبة السنة الثانية برتبة ملازم ثاني. واستلمت، مع زميلي جوفاني، تذكرة الطيارة إلى جوبا. وهكذا ودعنا الرحلات الشاقة، بالباخرة والقطار واللوري، إلى الأبد. وتلك كانت المرة الثانية التي أسافر فيها عن طريق الطيارة والمرة الأولى لصديقي جوفاني. وعند وصولنا إلى هناك كنا مثار اهتمام الناس بملابسنا العسكرية الأنيقة وأزرارها اللامعة. واستقبلتنا رئاسة الفرقة الجنوبية وجهزت لنا سيارتين لنقلنا إلى أهلنا. وبحكم أقدميتي، فقد تسلمت المسئولية وركبت في سيارة المقدمة. لذلك وصلت أرض المادي دون عناء أو إرهاق. وكان شكلي يبدو نظيفاً وأنيقاً أكثر من زميلي. وهذا التمييز جعلني أبدو أعلى مرتبة من جوفاني، الأمر الذي ضاعف من فخري واعتزازي بوضعي الجديد. وفي لوا توقفنا عند مجمع الزعيم لتحيته وإبلاغه بوصولنا. عندما خرج لاستقبالنا، كان منشرحاً لرؤية اثنين من أبناء أهله بملابسهم العسكرية. وبعدها ذهبنا إلى الكنيسة الكاثوليكية، حيث أنزلنا جوفاني في منزلهم بالقرب منها، وواصلت السيارتان المسير لتصل إلى نمولى في الرابعة بعد الظهر– وبعد توقف قصير في نقطة الشرطة اتجهنا إلى منزلنا بالقرب من الشارع الرئيسي. واكتشف الناس بعد لحظات أن القادم هو لاغو بن ياكوبو، الذي كان قبل 13 عاماً يرعى الأغنام بجانب تلال المنطقة، والذي يجئ الآن في موكب ملوكي وتحت حماية عسكرية. والواقع أن وصولي هذه المرة يختلف عن المرات السابقة. فقد خرجت الأسرة بكاملها وهي مسرورة برؤيتي في هذه العظمة، وكان والدي في غاية السرور والانشراح. فقام بذبح خروف إكراماً للحرس والسائقين الذين قضوا تلك الليلة في محطة الشرطة وعادوا إلى جوبا في اليوم التالي. وهكذا أصبحت شخصاً مهماً في نظر أهلي وأهل منطقتي. وبقي عليَّ أن أهيئ نفسي للتعامل مع هذه الوضعية الجديدة بعيداً عن سلوكياتي السابقة. وكان بحوزتي ما يكفي من المال لمقابلة احتياجات أسرتي ومساعدة والدي. وفي نهاية الإجازة جاءت سيارات الجيش لتنقلنا إلى جوبا. ومن

هناك إلى الخرطوم بالطيارة. وفي هذه المرة أصبح السفر بالطيران أمراً عادياً بالنسبة لي. ووصلنا الخرطوم لنجد أنفسنا في موقع أعلى يمكننا من استقبال القادمين الجدد بنفس الطريقة التي استقبلنا بها.

العلاقات بين الشمال والجنوب أصبحت تتحسن يوماً بعد الآخر. فالهدوء أصبح يسود الجنوب بكامله وأصبحت القوات المسلحة تتجول بحرية في كل المناطق. ولكن أحداث الشغب لم تتوقف. كانت تظهر هنا وهناك في شرق الاستوائية يقودها بعض جنود الوحدات الجنوبية الذين لم يستسلموا– وحتى هذه الأحداث المتقطعة بدأت تتراجع بالتدريج. فوجود عدد قليل من الضباط الجنوبيين وبعض الزعماء ساعد في إعادة الثقة والاحترام للقوات المسلحة. وبدأ الناس ينظرون إليها كمؤسسة قومية أكثر من النظر إليها كقوات احتلال شمالية. وعندما جئت إلى جوبا ملازماً أول، قالت لي إحدى النساء: (يبدو أن الأمور تسير إلى الأفضل هذه الأيام. فالآن عندنا ضابطين في جوبا، مودي أبا وأنت.) ومودي هذا كان أحد ضباط الصف في الاستوائية ولم يكن في الجنوب خلال تمرد 1955 وبالتالي لم يشارك فيه. وهناك الآن شعور عام بأن بعض الإداريين والعسكريين الشماليين يعملون بإخلاص وجدِّية لمساعدة الجنوب وتمكينه من اللحاق بالشمال ودمجه في الحياة الوطنية السودانية. وهكذا بدأت الخطوات العملية في إعادة بناء جسور الثقة. واعتقد أنه كان من الممكن دخول عدد كبير من الجنوبيين للكلية العسكرية في تلك الأيام إذا تشجّع الناس وتقدموا للالتحاق بها. وقبول اثنين فقط في دفعتنا لا يمكن إرجاعه إلى موقف شمالي مسبق من الجنوبيين. فقد كان هناك جنوبي واحد فقط في الدفعة السابقة لدفعتنا ولا أحد في الدفعة التي جاءت بعدنا. وذلك لأن معظم الطلاب في تلك الفترة كانوا يتجهون لجامعة الخرطوم والجامعات الأخرى ولا يتقدم للكلية العسكرية إلا الذين يفشلون في ذلك. ويبدو لي انهم كانوا يقدرون الوظيفة المدنية اكثر من الرتبة العسكرية.

لقد كانت حياة الطلبة المتقدمين في الكلية مريحة وممتعة. لقد كنا نشعر بعزة وأنفة لأننا سنتخرج ضباطاً في نهاية العام. ولذلك تركنا الشعور بالدونية والحياء للقادمين الجدد في السنة الأولى. وفي نوفمبر 1959 تم توزيعنا على مختلف القيادات العسكرية للعمل معها واكتساب الخبرة- وكان حظي أن أسافر إلى رئاسة الفرقة الوسطي في الأبيض، عاصمة كردفان، حيث يعمل شقيقي سايمون جمعة في نشاط خاص، واستطعت مقابلته قبل أن أسافر مع بعض الزملاء إلى الأضية، جنوب غرب مدينة الأبيض.

*** أخبار :-**

في السنة النهائية بالكلية عاصرنا محاولة انقلابية، قادها أحد ضباط مدرسة المشاة، الكولونيل علي حامد. وكنا وقتها في فترة تدريب. والمدرسة كانت تشارك الكلية في نفس المباني وبعض ضباطها يدرِّسون في الكلية. وعندما رجعنا من فترة التدريب وجدنا أن المتورطين في المحاولة قد تمت محاكمتهم بإعدام قائد الانقلاب وبعض زملائه وسجن آخرين. ونفذت أحكام الإعدام بالشنق وليس بإطلاق النار، لتقديرات سياسية وأمنية. وقبل هذه المحاولة شهدت البلاد محاولتين أخريتين، فعوملتا بإجراءات أقل قسوة واكثر لطفاً. ويبدو أن شنق هؤلاء الضباط كان يستهدف إرهاب الآخرين وقطع الطريق على أي محاولة أخرى.

*** التخرج من الكلية :-**

انتهت الدراسة في يونيو 1960 بعد ظهور نتائج الامتحانات وكشف الأقدمية بالنسبة للضباط المتخرجين. وكانت الدراسة باللغة العربية. ولذلك لم أتحصل على درجة عالية، كما حدث في معاينة القبول للكلية- ولكني احتفظت بتقدمي على جوفاني. إذ أنني استطعت، رغم مشكلة اللغة، أن أتفوق على أكثر من نصف الدفعة. وتم اختياري ضمن مجموعة صغيرة لسلاح الطيران، لكني لم أوافق على ذلك. وهذه المجموعة أرسلت للدراسة في كلية الطيران بالمملكة المتحدة.

بعد توزيعنا على القيادات العسكرية المعنية، ذهبنا في إجازة لأهلنا. وكان عليَّ الالتحاق باللواء العاشر، القيادة الشمالية، بينما يلتحق جوفاني باللواء الرابع، القيادة الشرقية.. ذهبنا إلى أهلنا بملابسنا العسكرية الأنيقة ونجمتها اللامعة في الكتفين. كنا غاية في الفخر والاعتزاز. وازداد هذا الاعتزاز بسفرنا بالدرجة الأولى على الباخرة والقطار، حسب قرار أصدره الفريق عبود. وتلك كانت المرَّة الأولى التي أسافر فيها على الدرجة الأولى بالقطار من الخرطوم إلى شندي، رئاسة القيادة الشمالية- أما زملائي، الذين التحقوا بجامعة الخرطوم، فقد كانوا يسافرون في الدرجة الثانية. وكنت أتساءل كيف ينظر الناس إلى امتيازات الجيش؟ لا شك أنهم لا يقبلون حصر هذه الامتيازات في ضباط الجيش وحرمان العاملين في المصالح الأخرى من الاستفادة منها. وربما يكون ذلك أحد أسباب ضعف شعبية القوات المسلحة. ومع تمتعي بتلك الامتيازات بدأت اشعر بتوفيقي في اختيار الالتحاق بالكلية الحربية.

بعد إنقضاء الإجازة استقبلنا العميد مصطفي كمالي، المسئول عن ضباط اللواء العاشر في شندي. وكان رجلاً طيباً وعظيماً، حيث تحدث معنا بطريقة أبوية عطوفة، وشعرت باطمئنان للعمل تحت مسئوليته. وفي تلك الأيام كان عدد الضباط الجنوبيين قليلاً. وأدى ذلك إلى معاملتهم معاملة خاصة من قبل كبار الضباط. وقد أمر العميد الكمالي بنقلي إلى الكتيبة الثانية باللواء العاشر، المعسكرة في أعالي النيل، حتى أكون قريباً من أهلي. ومنذ حلّ الفرقة الاستوائية في 1955 لم يشهد الجنوب تجميع قوات محلية هناك. بدلاً من ذلك كانت وحدات من القيادات الشمالية تقوم بالعمل هناك لفترة تمتد لسنتين ثم تستبدل بقوات أخرى، وهكذا. المهم سافرت فوراً إلى ملكال، حيث استقبلني قائد الكتيبة وقتها، الرائد محمد الباقر أحمد، بترحاب شديد. وهو بدوره أمر بنقلي إلى الكتيبة الثانية المرتبطة بالقيادة العامة في جوبا عاصمة الإستوائية. وذلك حتى أكون قريباً من أهلي حسب قوله لي. وبعد أسبوع في ملكال تحركت إلى جوبا، حيث بدأت العمل مع الكابتن مصلح محمد

الأمين. وكان معه الملازم أول إسماعيل السقاف. وهو من أبناء الغرب. وبعد شهرين نقل الكابتن إلى القصر الجمهوري في الخرطوم وأصبح الملازم أول قائداً للكتيبة وأصبحت أنا بصورة تلقائية نائباً له ومسئولاً عن الإدارة. وبالنسبة لي كان ذلك يمثل تطوراً سريعاً فرضته الظروف. وكانت الكتيبة تعمل بين جوبا واكوتو بالتناوب، بالإضافة إلى بلتون يعمل في لوتومي، محطة في الحدود اليوغندية السودانية– ووصلت وقتها تقارير حول بقايا المتمردين، الذين لم يستسلموا، وتحركاتهم في المنطقة، وشملت الأسماء لاتادا وفيلبو وماراسيلو– وفي تلك الفترة زار المنطقة اللواء الطاهر عبد الرحمن، مسئول القيادة الجنوبية. وكان في رفقته ضباط مكتبه: الرائد محمد عبد القادر، العمليات، الرائد جعفر محمد نميري، الإمدادات، والكابتن أحمد دوكة، مكتب النقل الميكانيكي.

*** أخبار : –**

الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، زار السودان في نوفمبر 1960 للمشاركة في احتفالات الذكرى الثانية لثورة 17/نوفمبر/1958– وامتد برنامج زياراته للجنوب وشمل جوبا ونمولي. واختيرت كتيبتنا للقيام بمهام حراسة وحماية الرئيس عبود وضيفة الرئيس المصري. واختير جعفر محمد نميري ليكون قائداً لمجموعة الحرس (زميلي وأنا كنا في رتبة الملازم. وكان لابد من تعيين قائد برتبة أعلى) ولحسن الحظ جاءت الزيارة في ظروف كان فيها الجنوب يتمتع بالهدوء والاستقرار.

*** عودة الاضطرابات : –**

كانت قوات الأمن تتابع السياسيين الجنوبيين، وخاصة أعضاء البرلمان المنحل. وكانت تركز بشكل واضح على أبناء مديرية الاستوائية. ومع استمرار المضايقات وانتشار الشائعات حول إحتمالات إعتقالهم، بدأ بعضهم في الهروب إلى يوغندا والكونغو. وكان في مقدمتهم زعيم الكتلة البرلمانية لحزب الأحرار الجنوبي المحظور، الأب ساترنينو لوهير. في تلك الفترة جاء مايكاليل، ضابط شرطة في

شرق الاستوائية، في زيارة للمنطقة بعد زيارة مسئول القيادة الجنوبية المشار إليه أعلاه. وكان مسئول القيادة قد أبلغني بأنه يريد إرسالي في مهمة في شمال يوغندا وأنه سيتصل بي بعد عودته إلى جوبا. وعندما سألته عن ماذا تكون هذه المهمة، أنفجر ضاحكاً وقال لي (..ألا تدري أن عدداً كبيراً من السياسيين الجنوبيين قد هرب إلى خارج البلاد وان بعضهم قد يكون في منطقة الاشولي في شمال يوغندا؟ يبدو لي أن الجنرال يخطط لإرسالك لمتابعة تحركاتهم..). فاندهشت لحديثه وقلت له: (..مثل هذه المهمة لا يمكن أن يكلف بها ضابط حديث مثلي. هذه من مهام الشرطة. لماذا لا يرسلك أنت أو أياً من ضباط الشرطة الآخرين؟ فماذا أستطيع أن افعل في شمال يوغندا؟ وكيف وأين أجدهم؟)

أجابني مايكاليل: (.. قد تكون الشخص المناسب حسب تقديره، بحكم معرفتك بلغة الاشولي ولغة المادي..) وبانتهاء المناقشة شعرت بعدم الارتياح للفكرة. ولحسن حظي أن مسئول لم يتصل بي كما وعد. وعلمت أن الأشخاص المطلوب متابعتهم هم:

- الأب ساترلينو لوهير، نائب برلماني هرب من الإرسالية الكاثوليكية في ياي.
- جوزيف أدوهو، برلماني سابق عاد للعمل في التدريس في مدرسة بالوتاكا الوسطى.
- بانكرازيو اوشينق، برلماني سابق وموظف سابق في القسم التجاري بإدارة مشاريع الاستوائية.
- ناثانييل أويت، برلماني سابق وضابط صف سابق في فرقة الاستوائية المحلوله.
- وليم دينق نيال، مساعد مفتش مركز، كان يعمل في مركز كبويتا خلال تلك الفترة.

وكل هؤلاء، باستثناء الأب ساترنينو، تمكنوا من الهروب إنطلاقاً من الضفة الشرقية عبر الحدود إلى داخل يوغندا وكينيا. ويبدو أن تخطيطهم كان محكماً، حيث خرجوا جميعهم في يوم واحد (1960/12/30) وفي وقت لاحق تبعهم وليم دينق نيال.

*** فـــترة التغيير :-**

الفترة بين يناير/فبراير هي التي يتم فيها تبديل كتائب من الشمال مع مثيلاتها في الجنوب. أي أن الكتيبة الأولي في القيادة الشمالية في شندي مثلاً تتبادل المواقع مع الكتيبة الثانية في نفس اللواء المتمركز في أعالي النيل وفي رئاسة القيادة الجنوبية في جوبا. وفي تلك الفترة أمرنا بالذهاب للقيادة الشمالية في شندي. ولذلك جاء الكولونيل جمال الدين عبدالرحمن، الضابط الثاني في قيادة كتيبتنا، إلى جوبا للأشراف على تحركنا إلى هناك. ووقتها شعرت بضرورة الكشف عن حالتي الاجتماعية، وذلك حتى أتمكن من مصاحبة زوجتي وأطفالي للسفر معي للشمال. ولذلك طلبت مقابلة الكولونيل جمال الدين، حيث قلت له بكل شجاعة .. (سيدي، أجد نفسي مضطراً لإبلاغكم بأنني متزوج منذ فترة طويلة وأن أسرتي تشمل طفلين وأرغـــب في ســـفرهم معي للشمال ..) فنظر لي بتعجب وقال:(.. متى تزوجت وأنجبت أطفالاً؟..) فقلت بصوت مضطرب:(..لقد زوجني والدي وأنا طالب في المدرسة. وهذا تقليد معروف في قبيلتنا. ولذلك لم أستطع مقاومة رغبته.) ثم سألني بلطف ومحبة:(.. أين هي زوجتك وأطفالها الآن؟ هل تستطيع إحضارهم بسرعة؟ سوف نتحرك للشمال خلال وقت وجيز.) شعرت بارتياح لسؤاله. فقلت له(أسرتي مع والدي في نمولى وأستطيع إحضارها في يومين إذا توفرت سيارة مناسبة.) ففكر للحظة وقال: (يومان لايكفيان. كن عملياً. سأمنحك أسبوعاً كاملاً إبتداءاً من الغد حتى تتمكن من تجهيز أسرتك للسفر معك للشمال. هل يكفي ذلك؟) فشكرته على كرمه. وبذلك تخلصت من القلق والخوف الذي ظلّ يلازمني منذ دخولي للكلية الحربية.

ذهبت إلى نمولى فرحاً وعدت مع زوجتي وطفليها الصغيرين. وتركت الطفلة أيدي أنقوا مع والدتي، لأنها كانت في عمر الدخول للمدرسة. ووقتها شعرت بأنني مدين لقائدي الذي منحني هذه الفرصة وكنت سعيداً ومستعداً للسفر للشمال. وبعد يومين في جوبا تحركنا بالباخرة إلى كوستي. أخذت زوجتي وأطفالي بهدوء إلى (قمرة) الدرجة الأولى، عندما كان الجميع داخل قمراتهم. لذلك لم يرى الزملاء أسرتي. ولكن الطفل توبو، الذي كان طفلاً يحبو، بدأ يصرخ في الصباح الباكر ملفتاً النظر لوجود أسرة في القمرة. وبعد السير مسافة قصيرة أخبرني إسماعيل شيقاف، الضابط المسئول، أنه عرف أن أسرتي معي في الباخرة. وبعد أن ضمني وهنأني، قمت بأخذه إلى داخل قمرتنا وعرَّفته بزوجتي وأطفالي. وهناك أخبر جوليانا أنه هو أيضاً متزوج وله طفلين وأنه سيعرفها بزوجته وأنهم سيعيشون كأسرة واحدة. وبالفعل عشنا في مدينة شندي كأسرة واحدة. وبعد فترة شاءت الأقدار أن ينقل صديقي إلى مكان آخر. ومن بعده أصبحت مسئوليتنا تحت الكابتن محمد أحمد ميرغني حمو، الذي كان ضمن الفوج العائد إلى الخدمة في الكنغو- وبعكس مصلح وإسماعيل، كان محمد أحمد شخصية صعبة ومتزمتة وفخورة بعسكريتها. وكنت أعتقد أنه لا يفهم العسكرية بمعناها الصحيح، لأنه كان يعامل الرتب الأدنى بقسوة وصرامة، بينما يتعامل مع الرتب الأعلى منه بأدب وإحترام. كنت أري أن ذلك يعكس نفاقاً لا داعي له. ولذلك لم أتمكن من خلق علاقة ودية معه. فمنذ البداية بدأت المضايقات. إذ أنه لم يستلم مني قيادة الكتيبة بالطريقة التقليدية، بل عمل على تطويل عملية الإستلام. ظلّ يجلس في مكتبه ويصدر الأوامر بينما يقوم شخصي بالتوقيع كمسئول بالإنابة. وكنت أرى أن ذلك يمثل سلوكاً غير مسئول ومرفوضاً. كنت أعمل على إجباره على استلام مسئولياته. لذلك فكرت في طلب إجازتي من مكتب الرئاسة. وعند تقديم الطلب اندهش الضابط المسئول، الكولونيل إبراهيم رمضان، وسألني: لماذا أطلب الإجازة؟ فأخبرته بأن المسئول الجديد ظلّ يجلس في مكتبه دون القيام بواجباته وأنه ظلّ

يصدر الأوامر لأقوم أنا بالتوقيع عليها. وأوضحت له إن هذا السلوك قد يسبب لي مشاكل جمَّة. ولذلك فضلت طلب الإجازة رغم عدم حاجتي إليها. وشعرت أن الكولونيل قد تفهم مشكلتي عندما أكد لي أن الكابتن محمد أحمد سوف يستلم مسئولياته وطلب مني البقاء في موقعي. وأخبرني أيضاً أن كتيبتنا سوف تتحرك قريباً إلى المحطة الحدودية في وأدى حلفا ونصحني بأن لا أرفض الذهاب إلى هناك مع الكابتن. ووعدني بأنه سيتحدث معه وباستعداده لمقابلتي في أي وقت لحلّ أي مشاكل في العمل اليومي. وأكد لي أن ذلك حق يكفله القانون، وإذا رفض المسئول إرسال طلب المقابلة بمكتبي عليّ الكتابة للرئاسة مباشرة.

أستدعى الكابتن حمو لمكتب الرئاسة. وبعد عودته أبدي لي عدم رضائه من ما فعلت وأعتبره مخالفاً للوائح العسكرية. ورددت عليه بأنني لازلت أعمل كمسئول بالإنابة، لأنه لم يستلم مسئولياته مني. ولذلك من حقي الإتصال المباشر بالمكتب. وقلت له أنني سأعتبره ضيفاً في كتيبتنا حتى يستلم مسئولياته بطريقة رسمية. وفي الحال أمرت الكاتب بتجهيز الفورمات وقام هو بالتوقيع عليها دون تدقيق فيها. وهنا شعرت بإرتياح شديد، بينما كان الكابتن كئيباً و متجهماً. ولم أهتم بحالته، بل شعرت بأنني لقنته درساً لاينسي. وفي العموم أدى ذلك إلى أن يعاملني بإحترام وحذر. وبعدها امرنا بالتحرك إلى وأدى حلفا لتغيير كتيبة أخرى.

*** أخــــبار :-**

في عام 1961 ونحن في وأدى حلفا أخبرتنا رئاسة شندي أن صاحب المعالي دوق أدنبرا سوف يمــرّ بوادي حلفا في طــريقه للمملكة المتحــدة من دار السلام، حيث مثل جلالة الملكة في التهنئة باستقلال تانجانيقا. وعلمنا أن الدوق وحاشيته سوف يقضون ليلة في فندق النيل وأن على كتيبتنا أن تشرّفه عند وصوله ومغادرته مطار المدينة. وعليها أيضاً دعم الشرطة المسئولة عن حماية الفندق. وبالنسبة لي كانت

فرصة طيبة أن أري الدوق عن قرب. وتلك كانت المرة الثانية التي أشارك فيها في حراسة ضيوف من أصحاب المقام الرفيع.

لقد مرّ عام منذ أن غادرنا شندي. ومرة أخرى حان وقت إجازتي السنوية. وكنت في حاجة إليها. لذلك أكملت الإجراءات المطلوبة وسافرت للخرطوم، حيث نزلنا مع بيتر بونى، ضابط جنوبي، وزوجته اللطيفة في منزلهم بمعسكر الشجرة جنوب الخرطوم. ومن هناك إلى جوبا بالطائرة ومن ثم إلى نمولى بالطريق البرى. وقبيل مغادرتنا تمَّ نقل الكابتن حمو إلى مكان آخر. وظاهرياً لم يكن في علاقة طيبة مع مفتش المركز، السيد/ حسن دفع الله. وكان ذلك في فترة الحكم العسكري الأول، عندما كان الجنرالات والحكام العسكريون يسيطرون على الوضع على حساب الإداريين المدنيين.

وعلى أي حال، عندما يكون قائد الكتيبة في رتبة أقل من لواء كان الإداري المدني يقوم بمهام الحاكم العسكري، كما كان حال حسن دفع الله والكابتن حمو. ولكن الكابتن فشل في التوافق مع هذه الوضعية. ولذلك برزت الخلافات بين الطرفين، الأمر الذي أدى إلى نقل الأخير. ونتيجة لذلك أصبحت مرّة أخرى مسئولاً بالإنابة عن الكتيبة حتى وصول الكابتن الزين محمد الزين. وكان ضابطاً لطيفاً وودوداً في علاقاته معي. ومع كل المضايقات، كانت خدمتي مع حمو فترة مفيدة بالنسبة لي. إذ أنها أعدتني للتعامل مع أناس أكثر صعوبة منه. وفي هذا الجانب أجد نفسي مديناً له بالكثير.

بعودتي من الإجازة تركت جوليانا وأطفالها في جوبا وذلك لأنها كانت على وشك الوضوع. وعندما وصلت وأدى حلفا وجدت أسمي ضمن الضباط المختارين لحضور كورس صغار الضباط في تلك السنة بمدرسة المشاة، التي نقلت من أمدرمان إلى جبيت بعد محاولة إنقلاب الكولونيل على حامد. وكنت سعيداً بذلك، بحكم وجود أسرتي بعيداً في جوبا. وفي 14 فبراير 1962 رزقنا بنتاً هي طفلنا

الرابع، حيث وصلتني أخبارها في جبيت وعلمت أنهم أسموها أوسا **Osa** تيمناً بزوجة توبو **Tobu**. ولكن هذا الإسم لا يتذكره الناس، لأنهم كانوا ينادونها بإسم والدها (بنت ليو **Lio**) و هو تقليد معروف وسط قبيلة المادي. فأنا نفسي لم أكن أعرف أسم جدّتي الكبيرة، مع أنى رأيتها في طفولتي. و لكن للمفارقة سمعت باسمها في وقت لاحق من جوليانا. المهم أن بنتنا سميت أليمة **Alima** بإسم جدّتنا الكبيرة، بنت أوسا. ولكن الأخيرة توفيت بعد شهور قليلة من ذلك.

بعد نهاية الكورس رجعت إلى وأدى حلفا. وهناك عملت على ترتيب سفر أسرتي للخرطوم، بعد ثلاثة شهور من ميلاد أليمة. وذهبت للخرطوم، حيث نزلت مع أحد أقاربي، أونيسيمو فوني **Onesimo Vuni** الذي كان يعمل ضابط صحة عامة في الخرطوم بحري، وأخ صديقي سبت موسى. وصلت الأسرة على طائرة فوكرز (أدخلت حديثاً للخطوط الجوية السودانية) وهي أكثر سرعة وملاءمة من طائرة الداكوتا، كما لاحظت جوليانا- ومن هناك عدنا إلى حلفا ومكثنا حتى بداية عام 1963، عندما تحركت كتيبتنا إلى الجنوب لتغيير الكتيبة الأخرى التابعة لنفس اللواء مرة أخرى. تحركت كتيبتنا إلى شندي للتحرك من هناك للجنوب. وفي شندي استدعيت لمكتب الرئاسة لمقابلة مدير العمليات والتدريب، الكولونيل صلاح عبدالماجد، الذي جاء إلى الحامية أثناء وجودي في حلفا- وقابلت الإستدعاء بقلق وانزعاج، وتساءلت حول أسبابه. فهذا الشخص بالتحديد يتهمه الجنوبيون بالتسبب في أحداث الجنوب، عندما ضرب سائقه برصاصة قاتلة. وهو أيضاً معروف بتشدّده وصعوبته. وعند مقابلتي له وجدته شخصاً لطيفاً وودوداً. وأخبرني بأنه قد تمّ إختياري لكورس شرطة عسكرية في بريطانيا، وأن إختياري تمّ نتيجة لانضباطي وتمكني من اللغة الإنجليزية. وأخبرني أيضاً أن زميلي حسن على قد اختير لكورس مماثل في مصر وأنه سيتولى متابعة إجراءات سفري. وأضاف قائلاً (..منذ الآن ستكون جزءاً من كتيبة الرئاسة وسوف لن ترسل إلى مكان بعيد عندما

يتحرك زملاؤك للجنوب... وسوف تسافر إلى المملكة المتحدة في أغسطس القادم..).

كانت لحظات لاتنسى ، لحظات فرح وسرور. حالة القلق والإنزعاج التي دخلت بها إلى المكتب تحوّلت إلى حالة إضطراب حقيقي. كنت في حالة صمت وإنكسار أثناء حديثه معي.إبتسم وقال لي (.. أرأيت كيف نتعامل معكم بصدق وعدل. نحن نرغب في الوحدة بصدق وإخلاص، لكن أهلكم لم يوفقوا في فهمنا. آمل أن تصل رسالتنا إليهم عن طريقكم أنتم الشباب... أتمنى لك حظاً سعيداً..) فشكرته لحسن تعامله معي وأخباره السارة. ثم حييته وانصرفت بطريقة تعكس فرحتي وسروري بما سمعت.

في مارس 1963 تم نقلي إلى كتيبة الرئاسة. وهناك إستقبلني قائدها، الرائد فضل الله حماد، بطريقة محترمة وودودة. جمعنا أغراض الكتيبة وأدوات المكتب إستعداداً للسفر إلى ملكال. والكولونيل عبدالماجد كان في محطة السكة حديد لمتابعة سفرنا. تحدث معي قليلاً وشدّ على يديّ وتمني لي حظاً سعيداً. تحرك القطار بسرعة نحو الخرطوم ومنها إلى كوستي. ومن هناك بالباخرة حتى ملكال التي وصلناها في أبريل. وهناك قمنا بتنظيم مكاتبنا وإعداد الكتيبة للعمل. وبعد وقت وجيز وصل جواز سفري ومنحت إجازتي السنوية في مايو 1963ومن هناك سافرت إلى جوبا، حيث أخذت أسرتي إلى نمولى بأمل العودة والسفر إلى بريطانيا.

وصلت جوبا لأجد أخواني، صموبل وبنجامين، يستعدان للسفر إلى أهلهم- سايمون كان في الإجازة النهائية بعد أن أكمل سنوات عمله في القوات المسلحة في القيادة الوسطى بالأبيض. وبنجامين أكمل كورساته في مدرسة رومبيك الثانوية في انتظار الالتحاق بكلية الآداب بجامعة الخرطوم. وفي تلك الفترة كان الوضع السياسي في الجنوب، خاصة جوبا، يتميز بالتوتر والإضطراب. فمدير مديرية الاستوائية، السيد على بلدو، كان يعمل على تطبيق قانون الإرساليات لسنة 1962 بقسوة وصرامة،

وشمل ذلك فرض يوم الجمعة كإجازة رسمية في الجنوب، بدلاً من يوم الأحد، ومطاردة ومضايقة السياسيين في المديرية. وأدى ذلك إلى تحرك الطلاب ودخول مدرستي رمبيك الثانوية وجوبا التجارية في إضراب عن الدراسة. والمفارقة أن الإضراب شمل أيضاً خلاوي القرآن المنشأة حديثاً والمعاهد الدينية الإسلامية والمدارس الوسطى. كان عدم الاستقرار والقلق يسود المنطقة كلها. فقد خاطبني أحد الضباط بصلف وعنجهية بقوله: (.. هذه الآليات والأسلحة ستمكن القوات المسلحة من التحرك في كل مكان لمحاصرة بقايا المتمردين..) وكان يشير إلى شاحنات المرسيدس والمعدات والأسلحة الجديدة التي وصلت إلى القوات المسلحة في ملكال. وتعجبت لحديثه هذا وبدأت أشعر بقلق وعدم إرتياح للوضع العام. وبدأ حماسي للقوات المسلحة يتراجع، لأنها أصبحت تستهدف الجنوب، موطني، كخصم وعدو- وقليلاً قليلاً صرت أتعاطف مع السياسيين الجنوبيين الذين هربوا إلى الخارج- وهكذا سافرت إلى أهلي بكل هذه المشاعر والعواطف. وتشاء الظروف أن تؤدى هذه الرحلة إلى قطع صلتي بالجيش بعد خدمة إمتدت إلى تسع سنوات ونصف. كانت القيادة الجنوبية كريمة في تعاملها معي كالمرات السابقة. فقد وفرت سيارة كومر لنقلي إلى نمولى وسيارة أخرى للحماية، ووصلنا إلى هناك لنجد وضعاً مزعجاً. لم أجد أخواني الصغار، لأنهم هربوا إلى يوغندا مع عدد كبير من طلاب المدارس استجابة لنداءات السياسيين المتواجدين في المنفي- وكانت أخبار وشائعات الحرب بين الجنوب والشمال تنتشر في كل مكان، خاصة بعد المطاردات المسلحة التي شهدها منتصف عام 1962 على الحدود مع يوغندا والكونغو وأثيوبيا. وكل ذلك كان يؤشر لبدايات صراع واسع في المنطقة. كانت المنطقة كلها تعيش وضعاً بائساً وكئيباً. وبدأت أشعر أن بقائي هناك ليس له أي معني. ومع كل ذلك استقبلتني عائلتي بكل ودّ وترحاب. وقام والدي بإكرام الحرس الذين قضوا ليلتهم تلك في نقطة الشرطة وغادروا إلى جوبا في صباح اليوم التالي.

الباب الثاني

سنوات المغامرة

الفصل الرابع

الابتعاد من الجيش السوداني

تجديد وضعية نمولي كمحطة حدودية هامة إرتبط بزيارة الفريق إبراهيم عبود والرئيس جمال عبد الناصر للمدينة في نوفمبر 1960- ولذلك نحتت أسماؤهما بجانب المكتشفين الأوربيين الذين يمثلون شجرة الرحالة المشهورين. وشملت القائمة الأسماء التالية:

- جيوفاني مياني، فبراير 1867.
- صمويل بيكر، ديسمبر 1867.
- أمين باشا، نوفمبر 1885.
- ونستون تشرشل، ديسمبر 1907.
- جمال عبد الناصر، نوفمبر 1960.
- إبراهيم عبود، 1960.

أنشئت مدرسة أولية حكومية في ري **Rei** بالقرب من استراحة الري المصري وزيدت قوة الشرطة تحت رئاسة مفتش مسئول. وأدى ازدياد حجم العاملين في المدرسة والمركز الصحي إلى انتعاش السوق وزيادة أهمية المدينة التي كانت مجرد محطة حدودية خلال الحرب العالمية الثانية. ميكايا كيلي، زميلي في مدرسة لوكا، كان يعمل مساعداً طبياً في المركز الصحي، بالقرب من نقطة الشرطة. وهناك زميل آخر هو ألفرد لوباري، كان خلال تلك الفترة يسكن مع ميكايا، جاء لزيارة محبوبته المعلمة بالمدرسة الأولية. والمناخ السياسي العام كان مزعجاً في كل المنطقة. فهناك أخبار حول إعتقالات واسعة وتقارير حول هروب سياسيين وموظفين بشكل متزايد. وشملت هذه التقارير أسماء مفتش الشرطة ديشان

أوجوى، ومفتش الصحة العامة أونسيمو فوني. وكلاهما من منطقة توريت، منطقتنا، الأول هرب من جوبا والثاني من يامبيو.

*** نقطة تحوُّل هامة :-**

عندما سمع السياسيون المقيمون في المنفى بأني في إجازة بالمنطقة فكروا في دفعي وتشجيعي للانضمام إليهم. فأرسلوا أخي وليم أليرا من معسكر يومبو في يوغندا للبحث عني ومقابلتي. جاء متخفياً عبر الحدود بعد أسبوعين من وصولي- وكان يحمل رسالة لي من السيد جوزيف أدوهو، برلماني سابق مقيم في الخارج. ووقتها كان رئيس الاتحاد الوطني الأفريقي السوداني (سانو) وهو حزب سياسي كوَّنه السياسيون الجنوبيون والمقيمون في كمبالا ويقوم على نمط الأحزاب الشعبية في شرق أفريقيا (كانو KANU في كينيا، وتانوTANU في تنزانيا، وزانوZANU في رودسيا.) وجاء في رسالة أدوهو:(لانشك في إخلاصكم ووطنيتكم. ونعلم أنكم ستعملون في سبيل قضية الجنوب أينما كنتم. ولكننا نرى أن مكانكم معنا ونأمل أن تلتحق بنا فوراً.) وكان عليّ أن أقرر في هذا الأمر الخطير، الذي اصبح يزعجني ويزعج أسرتي بعد أن بلغتها به في وقت لاحق.. لم أستطع النوم في تلك الليلة وكذلك أفراد أسرتي. ومع أنني لم اعرف أدوهو بشكل يكفي للثقة فيه، فقد كنت أشاركه في أفكاره واهتماماته حول مستقبل الجنوب. ووسط السياسيين الجنوبيين في الخارج كنت فقط أعرف بانكرازيو أوشنق، الذي كان يمثل دائرتنا في البرلمان المحلول. وفي انتخابات 1958 وقفت معه لاعتقادي بأهمية دعمه بهدف تقوية العلاقات بين الأشولي والمادي (في البرلمان الأول كان يمثل المنطقة أحد رجال المادي.) وكنت سعيداً بفوزه. قرأت الرسالة مرات عديدة. واستشرت أحد كبار المنطقة، موسى لوقبا، الذي كان يعمل خادماً وجندياً في حملات تأديب الألياب والنوير ثم رجل شرطة، وبعد ذلك عمل مع تاجر يوناني في نمولي. وتقول الأخبار أن ابنه أونسيمو فوني قد هرب من يامبيو إلى يوغندا. وموسى لوقبا نفسه كان

معادياً للشمال ويرفض بشدّة تواجد العسكريين الشماليين في الجنوب. وفي الحال رحب بإنضمامي للسياسيين في المنفى وأكد لي: (..هؤلاء العرب جاءوا إلى هنا وظلّوا يتحركون بحرية كاملة ويعاملوننا كنساء وليس كرجال.. هناك تحدّي ينتظركم، أنتم الشباب عليكم العمل لطردهم من أرضكم. أعتقد أن هؤلاء السياسيين يفكرون في إنشاء جيش في المنفى ويريدونك لقيادته.) ثم أقترب مني وواصل حديثه بصوت منخفض (الآن أنظر يابني، أهم واجبات القائد أن يهتم بجنوده ورجاله، خاصة في مشاكل التموين. الجنود لا يقاتلون إذا لم توفر لهم احتياجاتهم. عليك الاهتمام بهذا الجانب. هذه نصيحتي لك..) وكان بالفعل صادقاً في حديثه وملماً بموضوعه، كأنه قد قرأ التاريخ الأوربي وأطّلع على مقولة نابليون الشهيرة (الجنود يمشون على بطونهم.) وبعد ذلك يتحدث عن نفسه بقوله..(..على الناس أن لا يفهموا أنني أحب العرب لأنني أصبحت مسلماً.. هذا الجانب يتعلق بالظروف. إذ أنني لم أصبح مسيحياً بسبب عدم التحاقي بأي مدرسة. ومع تقدم العمر لم يعد ذلك ممكناً. الممكن الآن أن أتعلم مسائل العقيدة بطريقة السؤال والجواب الشفهي. ويمكنني أن انجح في ذلك. لكن سيطلبون منى التخلص من زوجاتي والاكتفاء بواحدة فقط. لذلك من السهل أن اصبح مسلماً لأنهم لا يطلبون مني مثل هذه الشروط. واعتناقي الإسلام هو الخيار الوحيد المتاح لتحاشي المتاعب التي يواجهها الوثني. فالإسلام لا يطلب مني معرفة أشياء كثيرة ولا يجبرني للتخلص من زوجاتي العديدات. وفي هذه الأيام اصبح من المهم أن يعتنق المرء ديناً معيناً حتى لا يشعر بالعزلة عن ما يجري حوله. ولكل ذلك تقبلت الإسلام راضياً..) ثم حوّل رأسه نحوي وهمس في أذني: (مع كل ذلك لم اختن حتى الآن.. قلت لك أنني لا احب ثقافتهم. وأنت تعلم أن أطفالي يتعلمون في نفس المدارس التي تعلمت فيها أنت. وهذا دليل على أني معكم. كلما فعلت كان بحثاً عن الانسجام مع مجريات الواقع، التي تفرض عليك الانتماء لدين معين.) ويبدو لي انه كان صادقاً ومقتنعاً بما فعل. وكلماته الصادقة وتشجيعه لي ضاعفت من المبررات الدافعة في اتجاه

التحاقي بالسياسيين الجنوبيين في الخارج. فقد كنت دائماً أحاول الوقوف بجانب أهلي، سواء كانوا على حق أو باطل- وفي هذه الحالة سأقاتل دفاعاً عن الجنوب في صراعه مع الشمال، سأقف مع أهلي ووطني. وكان إخواني سايمون وبنجامين يدفعاني للهروب إلى الخارج. وفي بعض الأحيان كانا يهدّدان بانضمامهما للحركة الجنوبية في الخارج إذا لم احسم أمري. وفي الجانب الآخر لم تكن جوليانا موافقة على ذلك. فإذا تردّدت وتركت إخواني لينضما للحركة، فسوف يعتبر ذلك بتشجيع وحماية من جانبي . وسوف يعني أني سألحق بهم بعد فترة (ربما بعد انتهائي من كورس المملكة المتحدة.) وتحركات إخواني في الخارج قد تتسبب في مضايقتي وإلغاء سفري للتدريب في الخارج- وفي الجانب الآخر لا يمكنني تجاهل زوجتي وأطفالي. وهناك أيضاً تأثير هروبي على عائلتي وأمي ووالدي وزوجاته. وهناك مشكلة أختي أيدي أنقوا، التي كانت تعمل في مدرسة ري السياحية. كنت أفكر في مصير كل هؤلاء. كيف اتركهم خلفي؟ حتى إذا وافقت جوليانا وقررنا الهروب؟ لقد وافقت جوليانا على الفكرة دون حماس، وبعد ذلك بدأت أفكر في كيفية الهروب، في التخطيط ومناقشة التفاصيل بصوت مسموع.. كيف يتحرك إخواني وعائلتي وأسرتي بهدوء دون أن تصل أخبارهم للسلطة؟ وحتى ذلك الوقت كان الأمر محصوراً في موسى لوقبا فقط ولم يصل إلى الآخرين، رغم تشابك علاقات والدي الواسعة.

بدأت في التخطيط لرحلتي المرتقبة. وتوصلت إلى أننا يجب أن نتحرك قبيل طلوع الفجر، حتى نصل الحدود اليوغندية عند شروق الشمس. وتشمل الخطة أن نأخذ أيدي أنقوا من المدرسة السياحية بمساعدة أحد الأقارب، الذي يعمل غفيراً في المدرسة. ولم نخاف من تعرّفه على تحركنا لأننا سنكون وقتها في الحدود اليوغندية. ولذلك تحركت مع وليم وابن الغفير، حيث ذهبنا للمدرسة في جنح الظلام وأخذنا شقيقتي بطريقة هادئة. ووليم وابن الغفير جاءا من معسكر اللاجئين في يوغندا عند الحدود لاستقبالنا وتسهيل رحلتنا إلى هناك. المهم أن الغفير قام بما

طلب منه على أفضل وجه. فقد دخل إلى مرقد البنت وأيقظها من نومنها وقادها إلى حيث ننتظرها. ولكن الصغيرة لم تكن تفهم ما يحدث لها. فبدأت تصرخ وتبكي. ومع استمرار الصراخ والبكاء تملكنا الخوف من انكشاف أمرنا، فتركناها وواصلنا سيرنا. وعندما تركنا منزلنا كنت قد أوصيت والدتي برعايتها وبأن تخبر الأقارب بحقيقة الأمر بعد تحركنا حتى يقوموا بواجب الرعاية إذا ما تعرضت هي والوالد للاعتقال والسجن.

*** الهروب إلى الخارج : -**

بعد فشلنا في أخذ أيدي أنقوا معنا فكرنا في الاستعداد لمواصلة رحلتنا في الخامسة صباحاً. وكانت ليلة مزعجة بالنسبة للأسرة بكاملها. ومن جانبي ظللت أفكر في مغامرتي هذه.. هل كان قراري صائباً في أخذ كل أسرتي معي وقيادتها إلى مصير مجهول؟ أم انه كان الأفضل البقاء داخل الوطن ومواصلة العمل في القوات المسلحة؟ وإذا لم أدخل هذه المغامرة.. ماذا عن مصير إخواني؟ إزدحمت الأسئلة في ذهني حتى دخلت في نوم عميق. وفجأة استيقظت نتيجة إحساس بألم وتشنج شديد يكاد يمزق صدري. فقفزت من سريري كالمجنون. حاولت أن أجري، لكن أخوتي أقعدوني. أستيقظ الجميع والتفوا حولي. جوليانا كانت في غاية الانزعاج والاضطراب. وكذلك بقية المجموعة. وعندما أستعدت وعيَ طلبت منهم إبلاغ الشرطة حتى تستعد في حالة تكرار ما حدث لإرسال رسالة إلى جوبا تطلب منهم القيام بمعالجتي.!!

ظل وليم في قطيتنا يتابع حالتي. ولكن الطفل الصغير، توبو، لم يكن يفهم شيئاً. لم يعجبني وقوف وليم بجانب والده، فدفعته بعيداً. في الرابعة صباحاً فحصني سايمون وبنجامين ووجداني في حالة جيدة. وحذراني بأني إذا لم أستطع التحرك معهم، فسوف يتحركون بدوني. أجبتهم بأنني بحالة جيدة وسوف أتحرك معهم كما خططنا. لقد تحملت تكلفة سفر الجميع وتركت راديو فيلبس ودراجة لأخي أونسيمو

قور (أخي من زوجة والدي الرابعة.) وفكرت في ترك تلك الدراجة للوالد، لكني غيرت رأيي لأن قور بدأ عملاً تجارياً ويحتاج للدراجة. وكان أيضاً يفكر في الزواج ويتوقع مني مساعدة كبيرة. ورغم تغير أحوالي كنت أرى الوفاء بالتزاماتي. وبعد تأكيد ذلك، تحركنا، نحن الأخوة الثلاثة وكانيارا وجوليانا وأطفالي الثلاثة، إلى يوغندا مشياً على الأقدام. جوليانا كانت تحمل الطفلة الصغيرة، أليمة، على ظهرها- أما توبو فقد كنا نتبادل حمله على أكتافنا، بينما كان لو قادراً على المشي لبعض الوقت. وهكذا وأصلنا المسير لنجتاز كيري أنياما قبيل شروق الشمس كما خططنا. ومن ثم تحركنا باتجاه اتياك، ومن هناك ركـــبنا بصاً لنواصل الرحلة داخل يوغندا - كان ذلك صباح الرابع من يونيو 1963.

قبل أن نصل بيبيا (محطة تجارية على بعد أربعة أميال من الحدود) لحق بنا الوالد على ظهر دراجة. وعندما سألناه عن الأخبار، أجاب: (لا جديد، فقط شعرت أنه لا لزوم لبقائي هناك في انتظار مضايقات الشرطة والجيش، عندما يعرفون هروبكم.) وكان تقديره صحيحاً. فالنساء اللائى بقينا هناك تم اعتقالهن بواسطة القوات المسلحة وأخذن إلى جوبا وتوريت بهدف استجوابهن حول هروبنا وأطلق سراحهن بعد فترات متفاوتة. وذلك يعكس اهتمام السلطات الأمنية بتحركنا وحرصها على جمع أكبر قدر من المعلومات حول ما حدث. المهم استخدمنا دراجة الوالد لحمل الأطفال. لذلك كان تحركنا سريعاً حتى وصلنا الصديق لويس أودور على مسافة ليست بعيدة. وهنا تحصلنا على دراجات أخرى مكنتنا من الوصول بسرعة لأقرب محطة بصات. وفي أتياك تخلف الوالد مع دراجته، حيث يتواجد عدد من أقاربه وأصدقائه. ومن هناك يمكنه متابعة الأوضاع في منطقتنا. ومن أتياك ركبنا البص وتحركنا داخل يوغندا حتى وصلنا محطة جمارك قريبة من قولو، المدينة الرئيسية في شمال يوغندا، وذلك حوالي الخامسة والنصف صباحاً بتوقيت شرق أفريقيا (بفارق ساعة واحدة من توقيت السودان) ومن هناك قادنا وليم إلى منزل حبيبو فولي، مقابل موقف البص. وهو وطني جنوبي هرب إلى يوغندا

في أغسطس عام 1955 ، بعد تمرد توريت، الذي أشعل نيران الصراع الشمالي الجنوبي– ومن ذلك الوقت ظل يمارس نشاطه السياسي بجد ومثابرة. وزوجته لها قرابة مع جوليانا (بنت عمها) وكان المخطط أن نبقى معه بعض الوقت في طريقنا إلى كمبالا– ومع أننا لم نلتقي من قبل، فقد استقبلنا حبيبو بحفاوة وكرم كبيرين– تحدثنا خلال ذلك اليوم عن الشئون السودانية، وجوليانا وبنت عمها عاشتا وقتاً جميلاً أيضاً، خاصة أنهما لم يريا بعضاً لفترة طويلة. وفي المساء أذاع راديو الغابة **The bush radio** أخبار وصولي لمجمع السودانيين في قولو، مشيراً إلى أنى تركت القوات المسلحة وانضممت لحركة تحرير الجنوب. وعندما أعلن عن سفري إلى كمبالا في بص الساعة الثامنة صباحاً، تجمع الجنوبيون لاستقبالي في المحطة. ووصولي كان يعني الكثير لهم. فقد كانوا ينظرون لي كضابط متدرب يمكنني أن أكون قيادياً متميزاً في الجانب العسكري للحركة. وفي الوقت نفسه كان تقديرهم هذا عاملاً هاماً في تشجيعي ورفع معنوياتي في طريقي إلى كمبالا. وهناك، وفي كل مكان زرته في الكنغو وشرق أفريقيا وجدت ترحيباً حاراً مماثلاً من المجموعات الجنوبية هناك. وكان لكل ذلك دور كبير في تشجيعي ودفعي للعمل بمعنويات عالية.

وصل البص كمبالا منتصف النهار ومن موقف البصّات في وسط المدينة نقلنا إلى نكاقوا، حيث يسكن السياسيون الجنوبيون– ومنذ البداية بدت لي كمبالا كمدينة جميلة ومؤثرة، مقارنة بالخرطوم. وهذا الانطباع دفعني للتساؤل حول الخرطوم... لماذا جعلناها عاصمتنا؟ بدأت أشعر أنها مدينة بسيطة، مقارنة مع كمبالا، وأن سكانها يختلفون عنا– شعرت أن كمبالا اقرب إلى من الخرطوم، وأن سكانها أفارقة أقحاح، تماماً كأهلي في الجنوب. ولعنت البريطانيين لقيامهم بتخطيط الحدود اليوغندية/ السودانية دون وضع أي إعتبار لحدود المجموعات الأثنية. وتمنيت لحظتها أن لو كانت قبيلتنا داخل الحدود اليوغندية ولو كانت عاصمتنا هي كمبالا القريبة لمنطقتنا.

وصلنا نكاقوا في ضواحي كمبالا. فوجدنا جوزيف أدوهو في مبنى صغير بسقف مسطح، وينقسم إلى حجرة نوم ومطبخ وحمام صغير ومرحاض على بعد ثلاثة أمتار من المبنى .. هذا هو منزل زعيم حزب سانو ومكتبه في نفس الوقت. وفي المساء شاركه في حجرته اثنان آخران هما جورج اكومبيك وجورج موراس(زاملتهما الاثنين في الدراسة.) وتماماً كما فعل جوفاني أندوقا، قام هؤلاء الزملاء بتغيير إسم الأسرة وأصبحوا ينادونهم جورج كواناى وجورج لومورو- المهم أن هذا المنزل كان يستخدم كمركز للقاءات المرتبطين بالحركة. وعند وصولنا كان مكتظاً بالناس.. واستقبلنا جوزيف أدوهو ومن معه بحب وتقدير- وبعد فترة قصيرة نقلت زوجتي وأطفالها إلى منزل بانكرازيو أوشنق. وكان المخطط أن نسكن مع إحدى الأسر حتى نتمكن من تدبير سكن مستقل. ووجدنا منزلاً مجاوراً للمنزل الذي يسكنه أوشنق وعدد من الشباب. وكان يحتوى على غرفة نوم ومطبخ. أما أخواني فقد سكنوا مع أوشنق، بينما رجع وليم وكانيارا إلى معسكر اللاجئين. ونسبة لضيق المنزل كان الطبخ يتم في منزل أوشنق ورفاقه. وكانت ربّة الأسرة المضيفة تقوم بطبخ الأكل للجميع. وكان ذلك يعكس تطبيقاً عملياً للاشتراكية الأفريقية. وكانت جوليانا تساعدها في هذا الواجب المتعب.

كان التغيير كبيراً بالنسبة للأسرة. فقد وجدنا أنفسنا فجأة في وضعية غريبة. ولم يكن في مقدوري فعل أي شئ. كان عليّ أن أسير مع الحركة وأشجع جوليانا أن تتقبل هذه الوضعية وتتحمّل متاعبها ومضايقاتها. تلك كانت هي الحال في بداية ارتباطي بحركة تحرير جنوب السودان. فرواد الحركة لم يكونوا يسكنون في الفنادق والفلل الجميلة في عواصم العالم، كما كانت تقول سلطات الخرطوم وأجهزتها الدعائية. كانوا يعانون الكثير.

*** المحيط الجـديد :-**

أخذوني لمقابلة جوزيف أدوهو، وزعيم سانو، لتنويري حول أوضاعهم. كان يبدو لي رجلاً هادئاً ومتماسكاً ويتصف بالخجل والتواضع. كان يحاول تنويري بواقع الحال، كما هو دون مبالغة أو تضخيم. ولكن أيضاً دون وضوح كامل- وذلك ربما لأنه كان يريد أن ينقلني تدريجياً في معرفة الحال حتى لا أصاب بالإحباط وأقرر العودة إلى السودان. وكان يعي خطورة ذلك على حركتهم في تلك الفترة. فقد نشروا معلومات كثيرة حول قوة وتنظيم حركتهم. معلومات تعتمد الكذب والتضليل والابتعاد عن الحقيقة. وظلّوا يحاولون تغطية خلافاتهم الداخلية. فلم ينشروا أي معلومات عن إنقساماتهم، وعن تحرك وليم دينق للعمل بشكل منفصل عن الأب ساترنينو وجوزيف أدوهو. وإذا رجعت إلى الجنوب بمثل هذه المعلومات، فسوف يؤدي ذلك إلى فضح مصداقيتهم وأضعاف نفوذهم وتأثيرهم- ومن جانبه قام أدوهو بكل ما في وسعه لإقناعي بالانضمام للحركة. وأعجبني وضوحه وانفتاحه الذي ساعدني في تقييم الوضع بشكل أفضل. وحسب تفهمي لحقيقة الحال، استبعدت الإشاعات التي سمعتها في السودان وقمت بإعادة تقييم الوضع من جديد. وفى كل الظروف فإن الخيارات المفتوحة أمامي لا تشمل العودة للسودان. فما قمت به يعرضني للاتهام بالهروب من الخدمة العسكرية والخيانة العظمي. لذلك قرَّرت عدم الاستجابة لضغوط اليأس والإحباط وتعهدت بالقيام بأي عمل يطلب منى. ولكن دواخلي كانت مختلفة. بدأت أميل إلى عدم الثقة في جوزيف أدوهو وكل السياسيين الآخرين في المنفى. وأصبحت لا أثق كثيراً فيما يقولون، بل أعيد تقييمه ومراجعته.

أخبرني أدوهو أن الحكومة لا تسمح للجنوبيين السودانيين في يوغندا القيام بأي نشاط سياسي معارض لحكومة السودان. وذلك لأنها تعتبر مثل هذا النشاط عملاً معادياً لدولة مجاورة. وحدثني بأنهم ظلّوا يخضعون لمراقبة متواصلة وأن

السلطات لا تسمح لهم بتحركات واسعة. وأكد لي أنه يواجه مضايقات عديدة بحكم موقعه المعلن كزعيم لحركة تحرير جنوب السودان. وأشار إلى أن الوضع في الكنغو أفضل والجنوبيون هناك يمكنهم التحرك بحرية أوسع، بحكم وجود الأب ساترنينو في أرو القريبة من الحدود اليوغندية، حيث يمكنه الإتصال بهم في يوغندا– وأرو كانت في الواقع تمثل القاعدة الأساسية للحركة. أما الأب ساترنينو فقد كان يمثل زعيمها ورئيسها الحقيقي. وقال أن هذا التوجه قرّر بالإتفاق مع قيادة الكتلة البرلمانية لحزب الأحرار الجنوبي قبيل إنقلاب 17 نوفمبر 1958، عندما أنتخب الأب رئيساً للحزب. وقال أدوهو أنه أنتخب رئيساً في المنفى بهدف حماية الأب من الإنكشاف المبكر وأنه أقام في كمبالا لموقعها الملائم للعمل الإعلامي. وحول الجناح العسكري للحركة أكد لي أن ذلك لايزال يحتاج إلى تنظيم وعمل كبير وأن ذلك سيكون عملي الرئيسي بعد إنضمامي إليهم– وأضاف أن بعض رجال الخدمة، الذين هربوا بعد إنتهاء فترة سجنهم في الشمال، قدموا أنفسهم للعمل معهم، وهم الآن في الحدود اليوغندية السودانية مع الملازم ثاني أميدو تافينق، وهناك آخرون في الحدود الكنغولية السودانية مع الملازم على قتلا– وبجانب ذلك، أكد لي أدوهو أنه رغم وضوح موقف الجمعية المسيحية لجنوب السودان بشرق أفريقيا في دعم الحركة، إلا أن نشاطها لم يحظر وأنهم يعملون تحت مظلتها في عموم شرق أفريقيا.

بعد هذا التنوير الوافي أخبرني أدوهو أنه أوصي بسفري إلى أرو لمقابلة الأب وأقترح أقامتي هناك. وأخبرني أيضاً أنه يفكر في أن تتحرك أسرتي لشمال يوغندا، إلى ليرا، حيث يسكن أطفاله مع خالتهم. وأضاف أن الترتيبات سوف تتخذ بعد عودتي من الكنغو. وليرا ليست بعيدة عن حدود السودان وتسكن فيها أختي مور مع زوجها– ولذلك لم أرفض عرضه. فالمنطقة مناسبة بكل الإعتبارات.

*** زيارة إلى بومبو :-**

في بومبو، 21 ميلاً شمال كمبالا، هناك معسكر للاجئين الجنوبيين. وهى المنطقة التي عسكرت فيها بقايا جنود أمين باشا في تراجعهم إلى داخل يوغندا بعد أن هزمتهم قوات المهدية في الاستوائية. والمدينة والمنطقة لا يزال تسكنها سلالات سودانية تتحدث لغة عربية مبسطة تعرف بـ **Kinubi** لغة نوبية. وهى تشبه عربي جوبا المستخدمة في جنوب السودان وتحتوي على عدد من التعابير والكلمات من اللغة السواحلية ولغة البانتو المحلية. وزيارتي إلى هناك كانت بهدف مقابلة إخواني واللاجئين الآخرين قبل السفر إلى أرو في الكنغو- وهناك وجدت أكثر من ألف لاجئ جنوبي، معظمهم من طلبة المدارس الوسطى والثانوية. وهناك أيضاً موظفون، منهم مفتش الشرطة ديشان أوجوى، ومفتش الصحة العامة أونسيمو فونى. وكان يبدو عليهم الخوف والقلق وعدم الثقة. إذ أنهم فقدوا توازنهم وأصابهم اليأس والإحباط وأصبحوا يعيشون مع أناس وفى بيئة ما كانوا يرضونها في الظروف العادية. وحالة أونسيمو كانت هي الأسوأ. فقد كان يعانى من إنهيار عقلي. وعلمت أنه كان يقف ويصرخ بأن المقبول الأمين الحاج، وزير الداخلية في تلك الفترة، يطارده بشكل مستمر. ولذلك كان يحاول الهروب إلى داخل الغابة. وكنت أتعاطف مع حالته لأني عشت نفس الحالة في الليلة التي تحركت فيها إلى يوغندا- وبجانب ذلك وجدت في المعسكر أخي جون، ولم أجد أخي الأصغر دانيال مورى (أبن زوجة والدي الثالثة) وسمعت أنه عاد للسودان عن طريق كاتير مع مجموعة من التلاميذ، حيث تحاشوا الطريق الرئيسي من خلال نمولى.

*** زيارة الكنغو :-**

بعد زيارة بومبو تحركت في نفس السيارة إلى أرو في الكنغو لمقابلة الأب ساترنينو. وكان يرافقني جورج لومورو في سيارة يقودها أمبالى، الجندي السابق في فرقة الإستوائية. وفى عام 1962 قام هذا الجندي بقيادة المجموعة التي هاجمت

نقطة شرطة كاجوكاجى الحدودية وقتلت شرطياً واستولت على بندقية. ونتيجة لهذا العمل الجريء، تحول إلى بطل وسمى نفسه (هتلر) تعبيراً عن اعتزازه ببطولته. ومن خلال عمله كسائق أصبح يعرف طرق يوغندا ومشاكلها. المهم، إجتزنا النيل عند باكواك ووصلنا السير عبر مقاطعة غرب النيل اليوغندية حتى أروا (عاصمة المنطقة.) وبعد إستراحة قصيرة إجتزنا الحدود لنصل إلى أرو (على بعد حوالي 9 كيلومترات من أروا) في شمال الكنغو، وذلك في الساعة الخامسة بعد الظهر- وهناك أتجهنا مباشرة إلى الإرسالية الكاثولوكية، حيث يقيم الأب ساترنينو. وقبيل توقف السيارة ظهر عند باب مكتبه، كأنه تعرّف على صوتها. وبعد التحية والمجاملة أدخلنا إلى المكتب. وفى الطريق أخذ يتحدث مع جورج ولم يشعرني بأي اهتمام من جانبه، حتى عندما قدمني له لومورو. بدلاً من ذلك بدأ يشكو من تأخير السيارة في يوغندا. وشعرت بالإحباط. إذ لأول مرة أستقبل بهذا الإهمال منذ أن تركت السودان. وذلك من قبل شخص جئت لأقدم له نفسي باعتباره زعيم الحركة التي غامرت بحياتي من أجل الانضمام إليها- وتساءلت: (هل هذا هو الرجل الذي سأعمل معه؟ وكيف سيكون الحال في الفترة القادمة؟ هل يحمل المستقبل أي فائدة في تعاملي مع مثل هذا الشخص؟) لم يشعرني الأب بأي اهتمام. جلست صامتاً حيث أجلسني، بينما ظلّ الرجلان يواصلان حديثهما بلغة اللاتوكا، لغة قبيلتهم، مع بعض التعبيرات الإنجليزية (ربما للتركيز) وبدأت أفكر بصوت عالي في اندهاش. وتساءلت: (هل أدوهو لم يستشره عندما كتب لي؟) لاحظت أن لومورو كان يبذل جهداً كبيراً لتوضيح حالتي.وفي النهاية شعرت بان الأب ليست له علاقة بقرار هروبي إلى يوغندا والانضمام للحركة. وافترضت أن ذلك هو سبب فتور استقباله لي. ووقتها بدأت ألوم نفسي لتسرّعي في الاستجابة لدعوة الانضمام للحركة في المنفى- وبدأت أفكر كيف سأعود إلى يوغندا؟ ولكن مخاوفي بدأت تتلاشى عندما أمر باتخاذ إجراءات سكننا - وقد أشار إلى امبالي ليوصلنا إلى سايت **Cite** (منطقة سكنية محلية) وإرجاع السيارة إلى الإرسالية. وهناك أعجبتني

المنطقة، لاحظت أنها اجمل من الملكية في جوبا. مبانيها من الطين والقش، ولكنها مصمّمة بشكل جميل وأشكال متنوعة. والمجمعات والشوارع نظيفة وجميلة. ويبدو أن البلجيك خلفوا نظاماً راقياً، مقارنة مع التصميمات الإنجليزية/ العربية التي ورثناها في السودان.

المهم أن عدداً من السياسيين الجنوبيين كان يسكن في سايت. وعند وصولنا للمنطقة استقبلونا بحب وترحاب، وكان لذلك تأثير كبير في نفسي. وهناك وجدت ماركو روم، نائب برلماني سابق، واكويلا مانيون، زميلي في الدراسة. ومع أني عملت على إخفاء حالة الإحباط النامية في دواخلي، فقد كنت استعيد لقائي مع أبونا كلما اذهب للنوم وكلما استيقظ ليلاً ونهاراً. في الثامنة مساء في اليوم التالي جاء أمبالي بسيارته ليأخذني إلى مكتب أبونا في الإرسالية. وهناك استقبلنا بكرم وحفاوة لم نشهدها في المرة السابقة. وسأل عن أحدث التطورات الجارية في السودان. وفي هذا المناخ الودّي قدم لنا شرحاً مفصلاً للتطورات الجارية في الحركة والمشاكل التي تواجهها والخلافات والصراعات الدائرة وسطهم. وفي هذا الجانب أتهم أدوهو بالإصرار على البقاء في كمبالا حباً في الراحة والحياة الرغدة، التي لا يجدها في آرو– وأتهم وليم دينق بعدم الاهتمام وبأنه فقط يريد التجوال في أوربا وأمريكا. وقال كلنا يجب أن نكون في مكان واحد، لنعمل معاً ولنتابع نتائج عملنا في الميدان. ولاحظت أن رؤيته للأوضاع تتميز بالعقلانية والتماسك اكثر من رؤية ادوهو. ولذلك بدأت أميل لمساندة موقفه الإيجابي، رغم استمرار عدم رضائي من استقباله لي. فقد قدرت أمانته وإخلاصه في حديثه حول خلافاته مع ادوهو ووليم دينق وحول علاقاتهم مع بعضهم: وعلمت انهم لم يلتقوا معاً (الزعيم والرئيس والسكرتير العام) منذ إعلانهم عن قيام حزب سانو في دار السلام بتنجانيكا في 1962– كانت اتصالاتهم تتم فقط عن طريق الرسائل (وهي في الغالب غير ودّية حسب قوله) كان حديثه يعكس وضعاً غير مشجّع. ولكن عليّ أن أصبر وأكبت مشاعري.

وأصل الأب ساترنينو في تنويرنا حول جهوده في الكنغو. وشرح لنا جهوده لتنظيم الجنوبيين هناك من خلال خطوط الجمعية المسيحية لجنوب السودان في شرق أفريقيا. وشعر بأن ذلك كان ضرورياً لحماية نشاط حركة التحرير– وذكر بعض الجنوبيين العاملين معه في هذا المشروع، منهم أليجو راماسوك (كاكوا) وبارتولوميو(مورو) الأول كان يعيش في كومورو قرب الحدود السودانية ومنزله هناك ظلّ يستخدم بانتظام كمركز لاستقبال الوافدين الجدد– أما الشخص الثاني فقد كان يعيش في غرب الكنغو في فرادج **Faradge** حيث يعمل مع شركة تبغ. وكان يقوم بخدمات جليلة من خلال تحركه بسيارة الشركة شمال شرق البلاد. وأخبرنا أبونا أيضاً أن زميله في البرلمان ومفتش الشرطة السابق، أُليا لوب، كان في أبا، المدينة الحدودية المجاور لقرية لاسو في السودان، لم يبد حماساً للعمل في الحركة. وأشار إلى ما فعل مع اللاجئين الراغبين في العمل في الجناح العسكري للحركة، حيث جمعهم في مكان يسمى أدرانجا، على بعد 18 كيلومتر شمال غرب ارو، باعتباره معسكر لاجئين. وكان يقودهم ديفيد دادا، الذي قاد مجموعة من المتطوعين من شرق النيل بيوغندا إلى داخل المنطقة السودانية المجاورة في 1962. ولكن كل الذين شاركوا في هذا العمل كانوا من المطلوبين من قبل السلطات اليوغندية. ومع كل ذلك، اكتشف أبونا بعد فترة قصيرة، أن قدراته الإدارية والعسكرية كانت ضعيفة وانه كان فقط جندياً في فرقة الاستوائية وكان يسمى فكتوريو لوقونونق. وتغيير الأسم كان .لأسباب أمنية، أي حتى تصعب متابعته. وهو تقليد معروف في شرق الاستوائية، حيث يغير الشخص اسمه عندما يترك بلده ويستقر في بلد آخر– المهم أن هوية فكتوريو الحقيقية قد انكشفت تماماً بعد أحداث 1962 التي لعب فيها دوراً رئيسياً.

*** رحلة إلى ادرانجا: -**

في اليوم التالي سرنا إلى أدرانجا عن طريق الشارع الرئيسي المتجه إلى بونيا (مدينة رئيسية في الشمال الشرقي ووقتها حولت إلى مركز لخط الجنوب الشرقي.) وكان طريقاً صعباً- وبعد نصف ساعة رأينا لورياً كان سائقه ينادينا- تعَرَّف عليه سائقنا، هو اليجو راماسوك. فتوقفنا عنده. وظاهرياً كان أبونا يستأجر هذا اللوري لنقل إمدادات معسكر اللاجئين. وفي هذا المكان توقف بسبب عطل فني. وقام سائقنا بمساعدته في إصلاحه وواصلنا رحلتنا.

في أدرانجا وجدنا بمادينومو، دينكاوي من بحر الغزال وجندي سابق وكان مسئولاً عن المعسكر في غياب ديفيد دادا- وعلمنا أن دادا ذهب في رحلة صيد. ومعظم المتواجدين في المعسكر كانوا من الدينكا. وكان أبونا يشجع اللاجئين الجنوبيين للانضمام للمعسكر، حيث يمكنهم الحصول على المؤن الغذائية بدلاً من التسكع في الشوارع وسط الأهالي. وهنا بدأت التعرف على الجانب الإيجابي في هذا الرجل. وعند حضورنا استقبلنا أعضاء المعسكر بترحيب حار وكانوا مسرورين لرؤيتنا، بل اعتبروا زيارتنا دعماً لروحهم المعنوية. وفي المعسكر وجدت من يعرفني من أبناء الدينكا بحر الغزال والبحيرات. وكان ذلك فرصة بالنسبة لي للتحدث معهم بلغة الدينكا، التي انقطعت صلتي بها منذ مدرسة رمبيك الثانوية. ووجدت نفسي وسط أصدقاء قدامى. ومنذ البداية أحببت بمادينو وطلبت منه ليأخذني في جولة حول المعسكر، وذلك لأنني فكرت في إمكانيات التدريب التي يمكن اعتمادها إذا حوّل المعسكر لتبعيتنا بشكل دائم. وفي أثناء الجولة اكتشفت الكثير من مهارات وإمكانيات الرجل وأصبحت أكثر اهتماماً به. وبعدها أصبح من المجموعة الأولي التي اعتمدت عليها في العمل ضد قوات حكومة السودان في فترة الرئيس إبراهيم عبود.

رجعنا إلى أرو دون مقابلة ديفيد، بسبب غيابه عن المعسكر- وهناك قدمنا تقريراً لأبونا عن ما رأينا وسمعنا- فنظر إلينا وقال: (لقد سمعتم مني ورأيتم ما أحاول أن أعمله. أذهبوا وبلّغوا أدوهو أن نفس العمل يجب أن يتم في الحدود مع يوغندا، وذلك حتى لا يشعر الناس، الذين تجمعوا هناك منذ العام الماضي، بالملل واليأس والإحباط ويتفرقوا بعيداً عنا- علينا أن نقوي صلاتنا بالناس المتواجدين في الحدود، ومن خلالهم بالآخرين داخل الغابات في السودان. قد تعودون إلى كمبالا في أي وقت. فاحملوا رسالتي هذه إلى جوزيف أدوهو وزملائه في يوغندا.) وكلماته هذه كان لها تأثير طيب في نفسي. فشعرت براحة لاحدود لها- ثم نظر إليّ وقال: (الآن وقد التحقت بالحركة، فمن واجبك القيام بزيارة هؤلاء الرجال. وذلك للعمل على تدريبهم و تأهيلهم بما تلقيته في الكلية العسكرية. وإذا وافقت على القيام بذلك، فأن هذه السيارة ستكون جاهزة لاستخدامها للوصول إلى هؤلاء الناس وتدريبهم على العمل العسكري. وعندما تتعرَّف السلطات على حقيقة ماتقوم به، ستكون قد أنجزت عملاً كبيراً في تطوير إمكانيتهم و تدريبهم.) هكذا تغير حديث أبونا مقارنة بلقائنا الأول. هو الآن يثق بي، رغم شعوري بشكوكه حول مقاصدي. لقد تأثرت بحديثه ولهجته الصادقة. وكذلك كان حال لومورو كما لاحظت. وبعدها قررنا العودة إلى كمبالا خلال يومين.

في عام 1961/60 قام الجنرال عبود بإطلاق سراح آخر مجموعة من جنود فرقة الاستوائية المحكومين في أحداث 1955. وذلك في إطار عفو عام ورغبة الحكومة في ممارسة سياسة جديدة. لكن هذه المجموعة من الجنود السابقين ظلّت تجترُّ مراراتها وأحقادها- ولذلك دخلوا الغابة بعد وصولهم إلى قراهم- وهؤلاء هم الذين كان يقصدهم الأب ساترنينو عندما قال: (علينا أن نقوي صلاتنا بالناس المتواجدين في الحدود، ومن خلاهم بالآخرين داخل الغابات في السودان..)

لقد أمضيت معظم ما تبقي من الوقت في أرو مع ماركو روم، البرلماني السابق، ومع زميل الدراسة أكويلا مانيون. الأول بإعتباره مسئول الدعاية في

الحركة، الذي يفبرك الشائعات وينشرها حول أسلحة وتدريب جنود لمطاردة العرب وطردهم من جنوب السودان. وحملته الدعائية هذه ساهمت بشكل واسع في تحريك مظاهرات وإضرابات طلبة المدارس وفى هجرة أعداد كبيرة من موظفي الخدمة المدنية والعسكريين السابقين وأعداد أخرى من السياسيين الجنوبيين. ومانيون من جهة أخرى كان يشاركني في ملاحظاتي حول الصراعات القبلية وسط حركة التحرير. فقد أخبرني أن الناطقين بلغة الباري كانوا يتكتلون في تجمع خاص بهم في مواجهة الاستوائيين الآخرين والدينكا والقبائل الأخرى.وكان ذلك مؤشراً خطيراً. إذ أنه يعني أن التعصب القبلي يتبعنا حتى في المنافي خارج أرض الوطن. فمعلوماتي كانت تعكس واقعاً حقيقياً لمسته في علاقاتي اليومية في الفترة اللاحقة.

سمع ديفيد دادا بزيارتنا لمعسكر أدرانجا. وفى اليوم التالي وجدنا مع أبونا في الإرسالية نناقش كيفية رجوعنا إلى يوغندا- فحيانا بفتور ظاهر. وبعد لحظات سأل أبونا ليسمح له بمغادرة الكنغو إلى يوغندا. ولم أفهم طلبه هذا. إذ لم أفهم لماذا يطلب المغادرة من ذهبت للمعسكر لرؤيته؟ بدأت أفكر بعمق في هذا التوجه وأنا في بدايات خطواتي نحو حياة جديدة. وهكذا ختمنا زيارتنا وقررنا السفر غداً إلى يوغندا.

*** العودة إلى كمبالا:-**

ذهبت مع لومورو إلى الإرسالية لوداع الأب ساترنينو. وهناك وجدنا أمبالى في إنتظارنا. وقبيل تحركنا كرر أبونا النقاط الأساسية في رسالته، خاصة حديثه لنا بعد عودتنا من أدرانجا...(كن على صلة بهؤلاء الرجال وأبدأ في تدريبهم على العمل العسكري حتى نجذبهم للالتحاق بالمعسكرات و نضمن إستمرار الموجودين ونمنع هروبهم من المعسكر نتيجة للملل والإحباط..) فاستوعبت الرسالة وودعته بحرارة وإنطلقنا بإتجاه كمبالا. إجتزنا الحدود مروراً بمدينة أروا حتى باكواك على ضفة النيل. ووصلنا هناك في منتصف النهار، ومن هناك إنتقلنا إلى الضفة الأخرى

وتوجهنا إلى منزل جوزيف أدوهو لنصله حوالي السادسة مساء، حيث وجدناه مع أوشنق وكواناى. فقدمنا له تقريراً موجزاً عن زيارتنا للكنغو وتركنا التفاصيل لوقت آخر. وفى هذا الأثناء علم سايمون وبنجامين بوصولنا. وبعد تنويرهما ذهبا معي إلى زوجتي وأطفالي في مسكننا المؤقت. وفى الطريق أخبرني سايمون أن مضيفنا أصبح يتذمر وأن علاقاته مع جوليانا ليست ودية. ففهمت الوضع فوراً. إذ من الصعب أن تقبل المرأة مشاركة أسرة أخرى في منزلها لفترة طويلة. أما سايمون، فقد كان يدفعني للضغط على أدوهو لتجهيز منزل آخر لأسرتي. وكان يصرّ على أن أسكن في منزل مستقل، ويمكنه هو وأخوه تدبير سكنهما. فأجبته بأنني سوف أثير هذه المسألة مع أدوهو.. المهم وصلنا المنزل لنجد الأسرة تجلس أمام الباب الخارجي. فأستقبلني أطفالي بحب وسرور. أما جوليانا فقد شعرت براحة عميقة لوصولي. وأخبرتها بأنني على علم بما حدث وأنني سأعالجه بإذن الله في القريب العاجل.

*** تقرير حول زيارة أرو :-**

في اليوم التالي التقينا أدوهو وآوشنق لتقديم تقرير الزيارة بشكل رسمي. تحدث جورج لومورو حول القضايا السياسية والاجتماعية. أما أنا فقد قدمت تقريري حول الوضع العسكري بجوانبه المختلفة. وفى حديثه قدم لومورو تلخيصاً مفصلاً لما دار في إجتماعنا مع الأب ساترنينو قبل زيارتنا لأدرانجا. فركز على ملاحظات أبونا حول القيادة وعلى تشتتها واهتمامه بجمعها في منطقة واحدة حتى تتمكن من إدارة نشاط الحركة بهمّة وفعالية. وأشار أيضاً إلى انتقاداته لإصرار أدوهو على البقاء في كمبالا وميول وليام دينق للعمل بشكل منفرد وللسفر والتجوال المتواصل. وأيضاً أشار إلى توجه أبونا وجهوده في تنظيم المجموعات الجنوبية في الكنغو تحت مظلة الجمعية المسيحية لشرق أفريقيا.

ومن جانبي قدمت ملاحظاتي حول زيارة الكنغو وركزت على أعداد العسكريين السابقين والحدود الطويلة مع الكنغو غرب دونقو، حيث يقيم على قباتالا **Gbatala** ورغبتهم واستعدادهم للتدريب والمشاركة في حرب التحرير- وتحدثت بحماس عن المجموعة المقيمة في أدرانجا واستعدادهم العالي للتدريب والمشاركة في العمل العسكري. وأشرت أيضاً بتوسع إلى حديث أبونا معنا بعد عودتنا من أدرانجا وركزت على تشديده على ضرورة وأهمية استمرار الاتصال مع العسكريين السابقين من يوغندا مباشرة عبر الكنغو ومنها إلى الحدود مع أفريقيا الوسطى. وأكدت اتفاقي مع أبونا على أهمية تنظيم هؤلاء العسكريين وربطهم ببرنامج محدّد وزيارات متواصلة وتعبئتهم استعداداً للعمل في أي لحظة. وأشرت بشكل خاص إلى نصائحه وحديثه معي حول خطة العمل المفتوحة وما يريده مني. وذكرت أن الأب يشعر أنه إذا بدأنا العمل من الآن، فقد نتمكن من إنجاز خطوات كثيرة قبل أن يتكشف نشاطنا للسلطات المحلية. وأكدت أنني اقتنعت بالفكرة وأن كل ما أطلبه هو ضمان استقرار أسرتي في مكان آمن وتمكين أبنائي من تلقي تعليمهم بشكل منتظم.

وبعد أن انتهينا من تقديم تقاريرنا شعرنا بتأثيرها الإيجابي على المستمعين. وذلك رغم أن أدوهو أبدى اعتراضه على بعض انتقادات أبونا، خاصة انتقاده لبقائه في كمبالا. إذ أنه قال: (..على الأب ساترنينو أن يقدّر أهمية الإتصال بوسائل الإعلام العالمية الذي لايمكن تحقيقه من مكان معزول مثل أرو.. بعض الناس يحب أن يستقر في مدن مثل كمبالا ونيروبى وليوبولدفيل.. ولهذا السبب كان وجودي هنا، ليس بحثاً عن الراحة بالتأكيد..) وكان ردّه مقنعاً. فوجدت نفسي متوزعاً بين وجهة نظره هذه ووجهة نظر الأب من جهة أخرى. إذ أن كلاً منهما يطرح جانباً مهماً في الحالة العامة.

* زيارة الشمال واستقرار الأسرة :-

بعد هذا اللقاء الطويل إقترح أدوهو استقرار أسرتي في شمال يوغندا. ووافقه أوشنق بقوة، وذلك لأن شمال يوغندا يشبه مديرية الاستوائية لحدود بعيدة. ولذلك سوف تشعر الأسرة بأنها في بلدها. ولنفس الأسباب استقرت أسرتاهما هناك. وقبلت الاقتراح دون تردّد، لثقتي في حديثهما. وفى الحال أشرت إلى ليرا في الخريطة وقلت أنها الأنسب لسببين. الأول أن شقيقتي تسكن هناك. وسوف يمكنها تقديم خدمات جليلة للأسرة وكذلك مساعدة زوجتي في مقاومة صعوبات الحياة. والثاني أن ليرا بعيدة نسبياً من حدود السودان. وبالتالي سوف تكون بعيدة نوعاً من مضايقات مخابرات وجواسيس حكومة السودان. وأيد أدوهو ملاحظاتي وأكد أن أطفاله يسكنون في نفس المدينة. وقال أن أدليو، قريبه وصديقه، يعمل في مستشفى ليرا وأنه سوف يطلب منه رعاية أسرتي. وهكذا قررنا تحويل الأسرة إلى هناك- وعلى الفور سافرنا، شخصي وأدوهو إلى ليرا بهدف إيجاد سكن لأسرتي ولمقابلة الملازم أميدو تافنق والعناصر العسكرية الأخرى المتواجدين في الحدود. وقاد سيارتنا إلى هناك الجندي السابق أيريك ليلا. وكان خبيراً بالمنطقة، بحكم سكن أسرته بالقرب منها في كيتقوم. وكان يساعده بين فترة وأخرى أمبالى- وعند وصولنا ذهبنا أولاً إلى أدليو- وبعد ذلك اتصلت بشقيقتي وزوجها، الذي أخبره أدليو بخطتنا. فكانوا يتوقعون وصولنا. ولذلك جهزوا لنا قطية قريبة منهم وفى منطقة يسكن فيها عدد كبير من السودانيين أبناء المادي- وكنت سعيداً بذلك. وبعد ذلك قضينا الليلة مع أدليو الذي أكرمنا بحفاوة.

غادرنا ليرا في الفجر إلى باجولى (25 كم جهة الشرق) حيث وجدنا فاليريانو، ناظر المدرسة الوسطى، لا يزال نائماً. فاستيقظ بانزعاج واستقبلنا في داخل منزله. وفى وقت لاحق علمت أنه قائد الحركة في شمال يوغندا- فقد كان يعمل بشكل سريّ كمسئول عالي للجمعية المسيحية السودانية في شرق أفريقيا. وكان على

إتصال مباشر مع العسكريين السابقين في الحدود. وكشف لنا ذلك عندما سألناه عن إمكانية لقاء تافينق ومجموعته- وبينما كانت زوجته تقوم بإعداد الشاي، أكد لنا أنه لن تكون هناك صعوبة في ذلك، ولذلك أرسل أحد الرجال مع أيريك ليلا لإحضار المذكور ومجموعته. وإنتظرنا وصولهم في المساء حتى لا يشعر سكان المنطقة بأي حركة غريبة – وذلك لأن أدوهو كان ممنوعاً من السفر إلى شمال يوغندا- وأيضاً لم نكن نرغب في إعلان تواجدي وتعريض فاليريانو للخطر، حيث كان يعمل ناظراً للمدرسة الوسطى في المنطقة منذ هروبه من السودان في أعقاب أحداث 1955 المعروفة. وعند بدء اليوم الدراسي تركنا مضيفنا وذهب إلى المدرسة للقيام بواجباته. وهنا عرّفني أدوهو بدوره وموقعه الحقيقي في الحركة، وفى أثناء فترات الراحة كان يعاودنا لبعض الوقت. وبعد الغداء عاد مرة أخرى للمدرسة للإشراف على برنامج الرياضة المدرسية- وذكرني ذلك بأيام الدراسة. وفى المساء عرّفنا فاليريانو بنشاطاته مع العسكريين المتواجدين في الحدود- وحدثنا عن ساترلينو، وكيل بلك أمين (من الأشولى) الذي يصارع تافينق حول قيادة مجموعة الحدود. وهو من الشخصيات المذكورة في تقرير لجنة التحقيق الخاصة بأحداث أغسطس 1955 في الجنوب- فقد كان الممثل المحلى لحزب الأحرار الجنوبي في مجمع العسكريين في توريت. وقد ذكر التقرير أن المذكور ضبط وهو يرمى مكاتب رئاسة الجيش في توريت بالسهام- وذلك قبيل بدء تمرد فرقة الاستوائية. وبناء على ذلك كان يعارض تعيين تافينق قائداً للقوة الحدودية ويدّعى أنه أحق بها منه. وأخبرنا فاليريانو أن هذا الجندي المجنون كان يضايق تافينق باستمرار ويرغب في تولّى موقع القيادة بدلاً عنه. وبعيداً عن ذلك، واصل فاليريانو في شرح الجوانب الإدارية، وخاصة موضوع غذاء هؤلاء الجنود الذين كانوا يعيشون على صيد الحيوانات المتوحشة وبيع لحومها أو مبادلتها بالذرة في يوغندا- ووضح أن عمليات الصيد والمعاملات التجارية قد تكشفهم للسلطات. وأقترح أن تقوم الحركة بمساعدتهم لشراء الذرة والملابس التي يحتاجونها بشدّة. وأشار إلى

عدم كفاية المساعدات التي تقدمها الجمعية المسيحية السودانية. وشدّد على ضرورة البحث عن دعم خارجي. وفكرنا في ما ذكر بجدّية. ومع كل ذلك، اندهشنا لظهور ساترلينو بمطالبه المزعجة. فوجوده حول المعسكر في الحدود كان يمثّل مصدر إزعاج حقيقي. إذ أنه قد يلفت نظر السلطات. ومن جهة أخرى، ليس من المناسب الدخول معه أو مع أي شخص آخر في مسائل القيادة، مع الالتزام الصارم بالأقدمية السابقة في الفرقة الاستوائية. وكان علينا تنويرهم بخطتنا الخاصة بالشهور القليلة القادمة، وتشمل التدريب الذي سأنظمه معهم في الشرق ومع مجموعة علي قباتالا في الغرب. وكان من المفترض أن يتم تقديمي لهم دون إشارة إلى عملي الحقيقي حتى لا ندخل في أزمة قيادة جديدة. وكان الهدف السياسي يتحدّد في إحياء فرقة الاستوائية وتأهيلها لمواجهة الجيش الشمالي، الذي ينظر إليه في الجنوب كجيش احتلال.

في العاشرة مساء طرق باب المنزل. وجاء أيريك ليلا ومعه الملازم أميديو تافينق، والضابط سولومون لوبيالا والرقيب أول ماركو لوهويورو- وخرجنا جميعنا لاستقبالهم. وكانت تلك أول مرة التقي بهم- وكان انطباعي عنهم أنهم مقاتلون جيدون. وكان يمكن أن يكونوا جنرالات ممتازين إذا وجدوا الرعاية التي وجدها الشماليون من السلطات البريطانية. وشعرت بمرارة شديدة تجاه البريطانيين، لأنهم تركونا في تخلف مزرى، ولأنهم تركونا تحت سيطرة أناس نعتبرهم أعداءنا التقليديين- لقد أعجبت بأولئك الرجال منذ اللحظات الأولى للقائي معهم، واعتبرتهم أساس بناء جيش جنوبي في المستقبل. وقدرت فيهم روحهم الوطنية العالية واستعدادهم الكبير للقتال الذي ظلّ مستمراً رغم مرور السنوات الطويلة. ومعظمهم قضي فترات طويلة في السجون وعرّض نفسه للموت في ميدان القتال. كانوا جنوداً متجردين وهبوا كلّ وقتهم لخدمة شعبهم ووطنهم، رغم ضعف الإمكانيات وضعف التدريب الذي تلقوه في فترة الاستعمار البريطاني- والآن جاءوا ليكونوا نواة جيش عصابات ليواصلوا العمل من أجل الأهداف التي ضحّوا بالكثير في سبيلها - وكان

أدوهو قد قدمني لهم وعرّفهم بأن عملي سيكون معهم وأنني سأساعد في تدريبهم وتطوير معارفهم العسكرية . وفى نهاية اللقاء أهديت تافينق ملابس وشارات ملازم، وفى الحال قام بارتدائها ليبدو كملازم سوداني محترم. وبعدها أخذهم ليلاً إلى الحدود. وعدنا إلى ديارنا دون أي مشاكل- وكانت رحلة لاتنسى.

رجعنا إلى كمبالا بنفس الطريق. وهناك وجدت والدي. فقد جاء بمساعدة حبيبو الذي تحمل مصروفات سفره. وأخذته مع أسرتي إلى ليرا، حيث تعيش شقيقتي وزوجها وسط عدد كبير من أبناء المادي- وهناك استقبلتنا هي وزوجها بترحاب شديد. وخلال فترة قصيرة أصبح زوجها صديقاً حميماً للوالد- أما أدليو فقد وطّد علاقاته مع الأسرة، حسب توجيهات أدوهو- وبذلك أصبحت ليرا موطناً لأسرتي لعدد من السنين القادمة.

في كمبالا كنت أواجه مشكلة أخي بنجامين، الذي كان راغباً في مواصلة تعليمه. وكان سايمون يشجعه على ذلك. وهنا أيضاً قدم أدوهو مساعدات جليلة. فعن طريقه وجدنا له فرصة لدخول كلية ناموليانقو لتأهيل نفسه لدخول الجامعة. ففي شرق أفريقيا تختلف شروط دخول الجامعة عن السودان.. وبعد ذلك كان عليّ أن أركز على الواجب الذي تركت الجيش السوداني من أجله.

*** ماذا حدث بعد هروبنا ؟**

عند انكشاف هروبي وانضمامي للسياسيين الجنوبيين في الخارج، قامت قوات الطوارئ في الاستوائية بمحاصرة منطقتنا. وبما أن والدي قد ذهب معنا، فإنهم لم يجدوا في المنزل سوى النساء، والدة روبين، ناكا، والدتي، ماريني، والدة أيمانويل، بيرنج، والدة أونسيمو، جيليلى وزوجة روبين، ليموني. فاعتقلوهن وأخذوهن إلى جوبا أولاً ومن ثم إلى توريت، ثم إلى جوبا ثانية للمزيد من التحقيقات. وبالرغم من غضب وحقد المحققين، فقد عاملوهن بأدب واحترام، ولكن هناك إهانات الاعتقال وإرهاق السفر من مدينة إلى أخرى وإذلال التحقيقات التي

كرهنها. فقد سمعت تفاصيل كل ذلك من والدتي عندما لحقت بزوجتي وأطفالها في ليرا- إذ عندما رجعن إلى نمولى وجدن أن الديار قد سُلبت وخُربت وأن الناس قد نهبوا ما تبقي من ممتلكات، بما في ذلك الأبقار- ووجدن أنه من المستحيل مواصلة الحياة هناك وأن عليهن البحث عن مكان آخر مع الأهل والأقارب. ومولى أنقوا (مولى الصغيرة) لم تعد مكاناً مناسباً كاستراحة للمسافرين. ولذلك قرّرت والدتي عبور الحدود إلى يوغندا، ومعها أيدي أنقوا.

*** زيارات عمل :-**

كنت على علاقة وطيدة مع أدوهو. وفى هذا الأثناء قدمني للكثيرين من أصدقائه من السودانيين الجنوبيين واليوغندين والمبشرين الكاثوليك والدبلوماسيين الخ. وأخذني إلى كل تجمعات السودانيين الجنوبيين في شمال يوغندا وفى إقليم يوغندا وأخذني أيضاً إلى جنجا وكاكيرا لمقابلة أعضاء الجمعية المسيحية السودانية هناك، التي كان يديرها جيتانو أوجيجا وفينستو أوجيدو (كلاهما من قبيلة مادي، قبيلتي) وكنت مسروراً لمقابلتهم. وقمت بتشجيعهم للعمل لمصلحة المجتمع بشكل عام. وفى كمبالا التقيت روزي، الوطني النمساوي، الذي عمل في الاستوائية كخبير غابات وتم طرده من هناك بتهمة تأييده لقضية الجنوب. وروزي هذا كان صديقاً لجورج كواناي، زميلي في الدراسة في مدرسة رومبيك الثانوية. وقد تعلمت منه كيفية استخدام قنابل الملتوف البدائية وفيما بعد علمتها لجنودي، قواد الأنيانيا.

معظم العسكريين قرروا الاستقرار حول الحدود التي اجتازوها، وفتحوا قلوبهم وآذانهم لأي خطوة قادمة. ولذلك كانوا سعداء عند سماعهم بهروب ضابط صغير من جيش الحكومة وانضمامه لحركة تحرير الجنوب. ومن هنا كان انتشار الخبر وسط الغابات والأطفال- وزيارتي مع أدوهو لشمال يوغندا كانت جزءاً من برنامج تشجيع هؤلاء الرجال. وليس من المستبعد أن تكون أخباره قد وصلت إلى المخابرات السودانية. ولذلك جاءت محاصرة ديارنا في نمولى.

لقد قمت بعدة زيارات للاتصال بالجنود في معسكراتهم في طول الحدود اليوغندية والكنغولية. ففي الحدود اليوغندية كان المعسكر الرئيسي، الذي زرته مع ماريو شوقو، في طرف جبل أقو. وأدوهو لم يستطع السفر معي بسبب تقييد تحركاته وإلزامه بتقديم نفسه للشرطة كل عدة أيام- وفى الجانب الكنغولى، تجمع الجنود السابقون في عدة أماكن:- أدرانقا، كومورو، بالقرب من منطقة أليقو راماسوك وحول أبا بالقرب من الزعيم لوكولو (أبن عم أليا لوب.) بعضهم تجمع بعيداً في الغرب حول دونقو، حيث يعيش على قباتالا- وأليا لوب بدأ يهتم بالحركة تحت تأثير إبن عمه، ومنزل الزعيم أصبح أحد مراكزنا الهامة. وهناك فيليب يانق كيجى، ناظر المدرسة السابق والسياسي الجنوبي المحنك، فقد كان من رموز الحركة البارزة في غرب النيل، حيث كان أيضاً يقود الجمعية المسيحية هناك. وكان يقدم خدمات كبيرة للمسافرين من أعضاء الحركة والقادمين الجدد من السودان. وكان يسكن في ضاحية أرو.

وفى جهة الكنغو سافر معي الأب ساترنينو في زياراتي. وكان ملماً ببعض جوانب اللغة الفرنسية واللغة المحلية والسواحلية ويعرف عدداً من الشخصيات البارزة في شمال شرق الكنغو.

في واجباتي الأساسية، علّمت الجنود بعض أساسيات السلاح واستخدام أساليب عرقلة السير في الطرق، مثل الحفر العميقة ورمى الأشجار في الأماكن الضيقة وزرع المسامير في الطريق... الخ. ولم نكن نملك إمكانيات لزرع الألغام الأرضية في تلك الفترة. وممتلكاتنا من الأسلحة النارية كانت محدودة. وعلّمتهم أيضاً استخدام قنابل الملتوف البدائية... الخ. وكانوا سعداء بما تعلموه من معارف جديدة. وساعدني الأب ساترنينو في الحصول على كتب حول حرب العصابات. ومن خلال العلاقة المستمرة تبادلنا الخبرات والتجارب وتعلّمنا من بعضنا الكثير.

*** إستعدادت للعمل :-**

في أغسطس 1963 استدعاني أبونا لمكتبه في الإرسالية الكاثولوكية في أرو لمناقشة التحركات القادمة. وكان يبدو مقتنعاً بالتدريبات القليلة التي درّستها للعسكريين الجنوبيين. ونظر في عينيّ ملياً وقال لي:- (بعد هذه الزيارات ونشاطك الجيد وسط هؤلاء الرجال، الذي ساعد في رفع معنوياتهم دون شك، فقد أزف الوقت لوضع خطة عمل في مواجهة الجيش السوداني قبل أن تتدهور الأحوال إلى أسوأ. أنني أشعر أن هذه الخطة ضرورية حتى لا يتململ الجنود ويحبطوا ويتفرقوا..) ولم اكن أتوقع مثل هذا الحديث منه. فاندهشت. وبعد برهة صمت قلت: (لا اعتقد أننا قد استعدّينا بشكل كافي، أيها الأب الكريم. ولا أرى أسلحة كافية للدخول في عمل جدّي ضد الجيش السوداني. وهل هناك إمكانية للحصول على سلاح من أي مكان ؟) أجابني الأب:(لا ليس عندي بالكمية التي تحتاجها.) صمت قليلاً ثم قال (إذا لم نبدأ العمل فلن نسمع صوتنا للناس ولن نجذب المؤيدين من أي مكان في العالم. إنني أشعر بأن علينا أن نبدأ بما هو متوفر، حتى ولو بأيادينا. علينا أن نرفع صوتنا ضد العدو والعمل على إزعاجه. وعن طريق ذلك سنلفت نظر العالم بأن هناك مشكلة في السودان. سنلفت نظره بأن هناك مشاكل في البلاد- هذه هي رسالتي لكم..) سألته عن المتوفر لنبدأ به، لنرفع صوتنا ونزعج العدو ونلفت نظر العالم لمشكلتنا.. فذهب إلى غرفته وجاء بثلاثة بنادق قديمة، ثم عدد البنادق المتوفرة في أيدي الرجال الذين بدءوا العمل مع أقو في الضفة. وكانت أربعة بنادق، واحدة أستولي عليها من الشرطة في كاجوكاجى في العام الماضي، والثلاث الأخريات أرسلت من الكنغو ، مقابل مبلغ دفعه هو نفسه. أما البنادق الثلاث، التي أحضرها من غرفته، فقد كانت للرجال المتواجدين في أدرانجا. وأخبرني أن أليا لوب عنده بعض الأسلحة الخاصة بالرجال المتواجدين حول أبا- أما مجموعة قباتالا في أقصى الغرب، فلم يكن هناك أي خوف عليهم- وقد أكد له قباتالا أن الأسلحة التي هربوا بها من السودان موجودة في مكان آمن داخل الغابات ويمكن

الوصول إليها في الوقت المناسب. وبعد ذلك أرجع الأسلحة إلى مكانها. وهكذا حدّد إمكانياته اللوجستية بهذه البساطة. ولم يكن عندي أي تعليق على حديثه، فقد تعلّمت الصبر والطاعة من عملي في الجيش وحاولت تطبيق ذلك في ظروفي الجديدة. لذلك أعلنت موافقتي له باعتباره القائد المنتخب لجنوب السودان. فقد كان رئيس حزب الأحرار الجنوبي في البرلمان حتى إنقلاب عبود وقيامه بحلّ البرلمان والأحزاب. هو إذن رئيسنا الشرعي، ورغم عدم اقتناعي وافقت على بدء الإستعدادت للعمل.

* الجناح العسكري لحزب سانو:-

بدأنا البحث عن اسم مناسب للجناح العسكري لحزب سانو- استدعي الأب ساترنينو عدة أسماء:- المنظمة السرية للسودان الأفريقي SASO، جيش أرض الحرية LFA... الخ. وهى أسماء استخدمت أولاً في أعالي النيل عن طريق وليم دينق، الذي كان يعمل منفرداً. والأب يريد إسماً مرتبطاً بالجامعة الأفريقية والوحدة الأفريقية وقادراً على جذب إنتباه قادة حركة التحرر الوطني الأفريقي، أمثال كوامى نكروما (رئيس غانا)، الذين نحتاج لدعمهم وتأييدهم- وأقترح اسم (المقاتلين من أجل حرية سودان الوحدة الأفريقية) Sudan Pan African Fighters (SPAF). واقترحت من جانبي أهمية وضع اسم محلي يفهمه الناس الغاديون في جنوب السودان، أسم من أي من لغاتنا المحلية أو حتى عربي جوبا – كنت أريد إسماً كإسم (الماوماو) في كينيا. وقلت أن اسم (المقاتلين من أجل حرية سودان الوحدة الأفريقية) لن يكون جذاباً للجنوبيين وسيعني لاشيء بالنسبة لهم – لكنه دافع عن إقتراحه بقوله أنه سيجذب دعاة الوحدة الأفريقية ويكسب تأييدهم ودعمهم- وكان معجباً بالقائد الغاني نكروما- وشعرت بعدم ضرورة الاستمرار في المناقشة وتقبلت الاقتراح إحتراماً وتقديراً لموقعه في الحركة. وبدأ لي أنه إرتاح لذلك. وهكذا أصبح تنظيم SPAFF الجناح العسكري لحزب سانو. ومن ثم اقترح القيام

برحلة أخرى لشرح الموضوع لـــ (أليا لوب، بارتولوميو وعلي قباتالا في دونقو ومحاولة إقناعهم بالمشاركة في الخطوة القادمة.) ووافقت دون تردد .

في أثناء الرحلة، في أغسطس، تناقشنا في معظم الموضوعات ذات العلاقة بالحركة ومستقبلها. وبدأنا نتفهم أفكار بعضنا البعض بشكل أفضل. وفى وقت قصير أصبحنا أصدقاء حميمين. وفى طريقنا بين أبا وأرو في أحد الأيام، حدثنا الأب بقوله (إن التضحيات هي مشاعل تضئ طريق النضال) وكان هو أحد هذه المشاعل. وتأثرت كثيراً بكلماته تلك، وأصبحت أتذكرها كثيراً وأعتبرها مصدر تشجيع وإلهام في حالات الضيق والمحن. وقررنا بدء العمل وحدّدنا التاريخ في مكتبه بالإرسالية الكاثولوكية في أرو شمال شرق الكنغو– وظللنا نسرّبه للقيادات حسب الضرورة وكان قباتالا، زميل تافينق، طويلاً وملفتاً للنظر. وكلاهما ترقي لرتبة ملازم ثاني قبل أحداث أغسطس 1955– وكان يبدو مناسبا ليصبح قائداً كزملائه في الضفة الشرقية. أخبرناه بتاريخ بدء العمل. وكذلك أليا لوب وبارتولوميو عند زيارتنا لمحطات تواجدهم– ولأسباب عملية عديدة كان الأب هو القائد العام، بينما كنت أنا في موقع مسئول القيادة العامة. وكتبت أوامر العمليات في موقع قيادتنا، مكتب الأب في أرو، وحدّدنا تاريخ البداية في 1963/9/19– وطبعنا كميات منها لتوزيعها للمواقع المعنية. وقام الأب بنفسه بتجهيز أوراق الدعاية بكميات كبيرة، معلناً تحرك (المقاتلين من أجل حرية سودان الوحدة الأفريقية) كجناح عسكري لحزب سانو، وذلك لتحرير الجنوب من الهيمنة العربية الشمالية. واجتهدت لترجمتها إلى اللغة العربية، رغم ضعفي فيها، حتى تصل قوات العدو ويتعرف على ما فيها.

بعد رحلة نهائية للضفة الغربية مع الأب، تحركت إلى كمبالا في بداية سبتمبر. وأخذت معي نسخاً من أوامر العمليات وأوراق الدعاية لأوصلها إلى أدوهو وزملائنا هناك. وعند الوصول وجدت معه سافرينو فولي. والأخير كان في جوبا عندما مررت هناك أثناء إجازتي. وهو أيضاً هرب من الخدمة الحكومية، حيث كان

يعمل كاتباً. ولذلك عينه أدوهو سكرتيراً إدارياً (= وزير شئون الرئاسة.) وشرحت لهما نشاطي مع الأب ساترنينو وطلبت منهما الإتصال بالزملاء الآخرين لتوزيع الوثائق مقدماً. وبعد ذلك شرحت ملاحظاتي حول SPAF وأخبرتهم أني كنت أفضل اسماً محلياً، أفريقياً أو جنوبياً مثل الماوماو في كينيا- ومع تأييدهما للقرارات في مجملها، إلا أنهما كانا يحبذان وجهة نظري حول الاسم المحلي- واقترحا اسم (أنيانيا) وتعني سمّ الأفعى المطبوخ مع أوراق الخضروات والفول المعفن. هو سُمّ قاتل عند تناوله بالفم. وإذا اتصل بالجسم، فإنه يشوهه. وهو يتسرب في مسامات الجسم وأوردة الدم مثل عضة الأفعى- ولايمكن معالجته. اقترحت أن نكتبها Anya-Nya بدلاً من Inyenya كما في نطقها المحلي، لتصبح مثل ماوماو، حركة نضال السود في كينيا. ووافقني أدوهو وزميله على هذا التعديل. وفكرنا في كيفية التخلص من الاسم الآخر، لعلمنا بأن الأب لن يغير رأيه. وبعد ذلك قررنا كتابة ورقة دعائية تعلن ميلاد الأنيانيا وتوزيعها في الضفة الشرقية. وفى الضفة الغربية قررنا توزيع الورقتين معاً. وكان عليّ أن أخبر الأب ساترلينو بأنني وجدت أسم الأنيانيا جاهزاً باقتراح من مجموعة كمبالا وأن القيادة العسكرية في الضفة الشرقية قد رحبت به. والهدف من اسم الأنيانيا هو تفريغ الاسم الآخر من أي أهمية عملية. فقبلت الواجب بأنشراح. وأخذت إجازة قصيرة وسافرت إلى ليرا لقضاء أسبوع مع أسرتي.

عند عودتي إلى كمبالا أعلمني أدوهو بالشجار الخطير إلى حدث بين تافينق ولوهو يورو في المعسكر. وعلمت أن علاقتهما ليست طيبة وأنه إذا لم تعالج المشكلة بالسرعة المطلوبة، فقد تتطور وتتصاعد. وشعرت بأن الوقت ليس لمعالجة المشاكل الصغيرة بين الأفراد، وإنما للواجب الكبير. ولذلك اقترحت تبليغ لوهو يورو بأن الأب يريده في أرو لمناقشة بعض قضايا العمل. وكنت أعلم أنه سوف يستجيب، بحكم تقديره العالي وحبه للأب ساترلينو، الذي تربطه به أيضاً علاقة المنطقة المشتركة. وإذا جاء إلى كمبالا سوف آخذه معي إلى الكنغو مباشرة. ومن

خلال ذلك يمكن حلّ المشكلة على الأقل مؤقتاً – وأعجب أدوهو بالفكرة وأرسل ليلاً للبحث عن لوهو يورو– وبعد يومين جاء به إلى كمبالا. وكان مسروراً للذهاب إلى أرو لمقابلة أبونا– وهكذا بدأ العمل في تنفيذ الخطة. والتحضيرات كانت تجري بشكل جيد. أدوهو وفاليريانو سيقومان بالإشراف على الضفة الشرقية، بينما نقوم أنا والأب بالإشراف على الضفة الغربية. وتحركنا إلى أرو، مركز رئاستنا.

وجدنا الأب ساترنينو في غاية السرور لتطوّر الأحداث في الضفة الشرقية، عندما شرحت له ما جري في كمبالا– وكان سعيداً بشكل خاص بموافقة الجميع على بدء العمل– أما القضايا الأخرى، فقد كانت أقل أهمية ولا يعيرها أي اهتمام. أطلع على ورقة الدعاية المكتوبة في كمبالا وابتسم بسخرية (كان ابتسامه نادراً.) طلبنا من مجموعة أدرانجا الاستعداد واختيار المناطق المناسبة للعمليات بالنسبة لكل منهم. وبعد ذلك خرجوا من المنطقة. وهكذا تحرك كل المقاتلين من أجل الحرية باتجاه نقاط التجمع التي اختاروها كمراكز عمليات. وبذلك يبدأ العمل العسكري المنظم في الجنوب، بدءاً من مناطق الاستوائية.

الفصل الخامس

بداية العمل العسكري

في البداية كانت لدينا خمس مجموعات، 3 في الضفة الغربية و2 في الضفة الشرقية. وكل واحدة منها كانت مسئولة عن منطقة محدَّدة. ففي الغرب، تشمل المجموعة الأولى منطقة يامبيو والجزء الغربي من منطقة مريدي تحت قيادة علي قباتالا- والمجموعة الثانية تمتد من الجزء الشرقي من منطقة مريدي حتى الجزء الغربي من منطقة ياي، تحت قيادتي. والمجموعة الثالثة تشمل ياي الشرقية والضفة الغربية من منطقة جوبا، تحت قيادة ماركو لوهو يورو- وفي الشرق تشمل منطقة العمليات: المجموعة الأولى، من الضفة الشرقية لمنطقة جوبا حتى سلسلة جبال أماتونج في منطقة توريت، تحت قيادة أميديو تافينق. والمجموعة الثانية، من جبال دونقو تونو في منطقة توريت حتى منطقة كبويتا بكاملها، تحت قيادة لازارو موتيك... والأسلحة القليلة المتوفرة كانت موزعة بين المجموعة الأولى والثانية في الشرق.

في 17 سبتمبر 1963 تحركت كل مجموعة إلى نقطة تجمعها. وكانت مجموعتي (الثانية في الغرب) قد تجمعت في مساء ذلك اليوم في دار الزعيم لوكول، حيث يسكن أليا لوب. وهناك جهز أليا ثلاثة أسلحة قديمة، بندقية صيد قديمة 404، بندقية هنرى مارتينى وبندقية بلجيكية (محلياً تسمى أبو لفتة) وكان الأب ساترلينو قد تركني هناك وعاد إلى قاعدته في أرو- وفى هذا الأثناء تسلم علي قباتالا بعض الذخيرة التي طلبها. ومن منزل الزعيم تحركنا إلى حدود السودان تحت جنح الظلام، متجنبين المركز الإداري للمنطقة المجاورة. ومعلوماتنا إن الزعيم المحلى في المنطقة لا يعتمد عليه – وفى صباح 9/18 كنا في داخل حدود السودان. وهناك نفذتُ أول مناداة بأسماء مجموعتي (50-45 رجلاً) وكانوا مجموعة من الجنود السابقين، الذين عملوا في فرقة الاستوائية، وجنود شرطة

سابقين، وطلبة مدارس تركوا السودان بعد الإضرابات العامة في مداس الجنوب – والأسماء القليلة التي لا أزال أتذكرها تشمل:–

1– الجنود السابقين:

I. برنادينو، دينكاوى من بحر الغزال.

II. الشاويش ألهاى، مودو من منطقة مريدي.

III. صمويل لوليكا، لونجى من منطقة توريت.

IV. الصول (صف ضابط) كاميا، مندو من مريدي.

2– الشرطة السابقين:–

I. فيليب انقوتوا، جندي أمن، أيوكايا من مريدي.

II. رتشارد واني، جندي أمن، كاكوا من منطقة ياي.

3– طلبة المدارس :–

I. أيمانويل لاكو، نيامقبارا، طالب من منطقة جوبا.

II. كلمنت جاندا، كاليكو، طالب من منطقة ياي.

4- آخرون :– الأخ أنجيلو، من المدرسة الكاثوليكية الرومانية، فرتيت من بحر الغزال.

*** تنظيم المجموعة :–**

كان الصول كاميا، الثاني في قيادة المجموعة، مسئولاً عن إدارة وتنظيم المعسكر– وفريقه مزود بالأدوات الخاصة بتنظيف الأرض ونصب خيام المعسكر– وبعده يأتي الشاويش ألهاي. أما صمويل لوليكا وفليب أنقوتوا، فقد كانوا مسئولين عن قسم العمليات العسكرية. ولذلك زودوا بالبنادق الثلاث، وفى الوقت نفسه كان الأخ أنجيلو مسئولاً عن الشئون الهندسية ومعه طلبة المدارس. ويتركز عملهم في وضع العقبات في الطرق وتحطيم كبرى تور في طريق ياي مريدي. ولذلك زودوا بكميات من المتفجرات.

*** المدخل الأولى :-**

شرع الأخ أنجيلو وفريقه في التحرك باتجاه الإرسالية الكاثولوكية في تور كزوار للمنطقة. وكان عليهم التخفي ليلاً والقيام بتحطيم كبري تور. وصوت عملية التفجير سيكون إشارة لبدء العمل في منطقتنا. وتحركتُ مع قيادات الفريق إلى طريق مريدي/ ياي في رحلة استكشافية بهدف اختيار موقع للهجوم المتوقع- وتقديراتي كانت أن يرسل الجيش زمرة من الجنود إلى مكان التفجيرات بعد سماع صوتها مباشرة، وذلك لمعرفة ما حدث. وقد اكتشفوا المنطقة التي نتخفي فيها - وعندما رجعت إلى القاعدة مع قيادات الفريق، وجدنا أن الصول كاميا والشاويش الهاي قد أقاموا معسكراً جميلاً ومناسباً لسكن قوتنا. وبذلك نعمنا بليلة هادئة بعد يوم مرهق ومشوار طويل على الأقدام- وفى منتصف الليل سمعنا صوت متفجرات في كبري تور، كما هو مخطط. وذلك كان إشارة لـبدء العمـل في 1963/9/19. ومع كل ذلك فإن التفجيرات لم تنجح في تحطيم الكبرى، كما كنا نأمل، وإنما تسببت فقط في إحداث بعض الشقوق في سطحه. وذلك نتيجة لانعدام الخبرة الضرورية لمثل هذا العمل. ولكن من خلال التجربة والخطأ سنتعلم كل شئ. وهكذا، تحركنا بعد الفطور تجاه الكبرى. وفى منتصف النهار وصلت ثلاثة شاحنات عسكرية من ياي. وبافتراض أنها جاءت لترى ما حدث، رجعنا إلى كميننا بهدف الاختفاء حتى تنجز مهمتها وترجع- أصدرت أوامر لحملة السهام والبنادق الثلاث بتأجيل إطلاق النار وتركيزه على آخر شاحنة بهدف الاستفادة القصوى من إمكانياتنا الضعيفة. وكان عليهم إطلاق النار عندما تصل آخر شاحنة إلى مكان محدّد. كانت الشاحنات مكشوفة، ولذلك يمكن لسهامنا أن تتوجه للركاب بسهولة. وفى الوقت نفسه عملنا على تأمين خط تراجعنا، عن طريق الأراضي المنخفضة. وهكذا أنجزنا تدريبنا وأصدرت أوامر بالتجمع في وقت قصير.

ومع أنه لم تكن معي سوى مدية في يدي، فقد اتخذت موقعي وسط رجالي لإدارة العمليات وضمان تنفيذ الأوامر بشكل جديد- وصلت الشاحنات إلى منطقة

الكمين حوالي الثانية والنصف بعد الظهر- وبدأ أطلاق النار على آخر شاحنة عندما وصلت المكان المحدّد. ولكن البنادق لم تعمل بطريقة جيدة . ومع ذلك سمعنا صراخاً في جهة الشاحنات. ومن ثم توقفت وبدأ جنودها يطلقون النار باتجاه موقعنا. ولكن وقتها كنا قد تحركنا بهدوء نحو نقطة تجمعنا المحدّدة لنصلها في الرابعة عصراً - وصل الجميع بسلامة دون جروح خطيرة. سألت برنادينو وصمويل عن تحقيق الهدف، فكانت إجابتهما بالإيجاب، وأكدا أن الضرب تركز على المجموعة التي كانت تواجه موقعنا. أما فليب أنقوتوا فقد أشار إلى أن بندقيته لم تعمل بشكل جيد. والواقع أن البعض سمعه يهمس لجاره (أرمي سهامك، بندقيتي لاتعمل بشكل جيد.) وتلك التجربة كانت أول لقاء لنا مع العدو- رجعنا إلى المعسكر قبيل مغيب الشمس، وكان الجميع شغوفاً لسماع تفاصيل المعركة. وفى أثناء النهار قاموا بتنظيف المعسكر واستكمال بناء القطاطي. والقطية المخصصة لي كانت رائعة، استمتعت بالراحة فيها. ولكن ذلك لا يكون- فبعد فترة قصيرة شعرت بحركة في المعسكر. لقد هربوا جميعهم إلى داخل الغابة وتركوني وحدي. ولذلك قمت باللازم في الحال. إذ لم يكن هناك وقت لمعرفة ما حدث وأسبابه. وتساءلت هل تابعنا العدو حتى المعسكر؟ وكنت أتابع من فوق الشجرة التي اختبأت فيها. كان الصمت مخيماً باستثناء أصوات الطيور- وبعد برهة سمعت حركة في الظلام وهمساً قريباً من موقعي. من يكون هؤلاء؟ هل هم رجالي يتجمعون مرة أخرى؟ أم هم رجال العدو؟ وفضلت الصمت وعدم الحركة حتى شروق النهار. وعند الفجر لم أرى أي إشارة لوجود أناس في المنطقة. ماذا أعمل؟ لا أعرف حتى إلى أين أذهب لأني لا أعرف هذه المنطقة. والاختيار الوحيد المفتوح أمامي كان أن أتابع آثار طريقنا في الليلة الماضية حتى حدود الكنغو وأن أجد بعض رجالي في الطريق- وهذا ما حدث بالفعل- فعندما وصلت طريق السيارات على الحدود، بالقرب من قرية الزعيم بروتو، وجدت أن 18-20 من رجالي قد تجمعوا هناك. وفى النهاية عرفنا أن جاموساً قد دخل المعسكر وأحدث كل ذلك الإرباك والخوف- والمضحك

أننا، بعد أن عرفنا الحقيقة، أقمنا معسكرنا في منطقة خالية من الحيوانات وحدَّدنا خفارة دورية للمراقبة الليلية. وبعد ذلك تمكنا من استعادة توازننا وقوتنا. ولكن البعض اختفي وهرب وبقي أكثر من 75% من المجموعة. وفى وقت لاحق تجمعوا من جديد.

بينما كنت واقفاً في الطريق أنظر للمزارع في الجانب الكنغولي، جاء رجل يقود دراجة. توقف عندي وسألني بطريقة سلطوية مستبدة (هل أنت الضابط الذي يقال أنه يجمع الناس ويقودهم لمحاربة السودان؟ إذا كنت أنت هو: لماذا تتسكع هنا حتى الآن؟) وعندما لم أجبه وتجاهلت سؤاله، حرك دراجته وواصل سيره. ذلك الشخص كان هو الزعيم بروتو، زعيم منطقة ميسرا الكنغولية. ووقتها شعرت بخجل شديد. فتحركت بسرعة إلى داخل الحدود السودانية في الجانب الآخر– ولكننا لم نرجع إلى معسكرنا السابق بعد حادث الجاموس، لان هذا الحيوان الأسود يعتبر إشارة سوء وإنذاراً بشؤم قادم حسب تقاليد أهل الاستوائية. وهكذا أعدت جمع رجالي في مكان آخر قرب ضفة نهر– وقررنا البقاء في هدوء هناك لفترة قصيرة بعيداً عن المنطقة المأهولة. وبعد أيام شعرنا بأزمة في المواد الغذائية. وبما أن وجودنا في المنطقة أصبح مكشوفاً للسلطات الكنغولية والسودانية، لم يكن من الممكن إرسال مجموعة منا للبحث عن غذاء، خوفاً من انكشافها واعتقالها بواسطة السلطات (الزعيم بروتو الذي تحدّاني داخل الكنغو ومنسي منقوا في الجانب السوداني. وكلاهما من قبيلة مندو وتربطهما علاقات قرابة ويتبادلان المعلومات معاً.) لذلك عشنا على ثمار الأشجار لعدة أيام– ولكن الله يرزق بغير حساب. فقد اكتشفنا بالقرب من المعسكر مجموعة كبيرة من عشوش الطيور، وفى داخلها كميات من الطيور الصغيرة. فجمعناها وطبخناها وأكلنا منها حتى التخمة وحفظنا بعضها للأيام القادمة. وقضينا هناك أسبوعاً كاملاً معتمدين عليها في أكلنا– وكان ذلك يمثل مخاطرة كبيرة، مع إننا كنا نرغب في الحركة– واقترح إرسال البعض للحصول على طعام من مدرسة لوممبا، في طريق مريدي ياي، في أدنى النهر–

وبما أننا كنا في حاجة إليه، فقد وافقت على الاقتراح- اخترت الفريق الذي سيقوم بالمهمة تحت قيادة صمويل لوليكا، بحكم خبرته في عمليات مماثلة. وكان المفترض أن يصلوا مباشرة بعد مغيب الشمس، وأن يتعاملوا بلطف وأدب مع إدارة المدرسة والأطفال (التلاميذ.) وقلت لصمويل: (عندما تصل إلى المدرسة، شجعهم أن لايخافوا، وقل لهم أنكم جنودهم الذين يقاتلون من أجل حريتهم، وأنكم فقط تريدون بعض الطعام.. وقد يعطونكم ما تريدون برضا كامل. وإذا فعلوا ذلك، قل لهم أنكم لن تعودوا لهم ثانية، لأنكم ستتحركون من منطقتهم إلى منطقة أخرى. واشكرهم لكرمهم وحفاوتهم.) وهكذا تحرك الفريق ليقوم بمهمته.

في صباح اليوم التالي وصل صمويل وفريقه محملين بكميات من الدقيق والفول السوداني والسمك وغيره، بما يكفى غذاء يومين كاملين. ومن ثم تحركنا شرقاً من أرض مندو إلى داخل أرض فاجيلو، باتجاه مدينة ياي – ونصبنا معسكرنا الجديد بين الجبال في أرض مليئة بالأشجار، حيث تتوفر المياه العذبة للشرب. وفي العادة ننصب معسكراتنا في ضفاف الأنهار لهذا السبب. وبعكس زملائنا السابقين، الذين تسببوا في إزعاج المنطقة ثم اختفوا في الأقطار المجاورة، فقد دخلنا الغابة لنستقر فيها ونتأقلم مع ظروفها ونحافظ على بقائنا فيها ونكتسب خبرات متطورة في فنون القتال- ولأجل ذلك عليّ أن أدرب رجالي على الاعتماد على النفس، خاصة في مجال توفير غذائهم دون حاجة للتسلل إلى داخل الحدود الكنغولية أو المناطق المجاورة بحثاً عن الطعام- كنا نقوم بتوفير الطعام عن طريق صيد الحيوانات البرّية. وكنا نستخدم البنادق المتوفرة في الصيد والحماية ونترك واحدة في المعسكر لمواجهة احتمال أي هجوم من العدو- وهذا ما سبب توتراً وإنزعاجاً شديداً في منطقة ياي- وأول صيدنا كان فيلة ضخمة. ويبدو أن لحم الأفيال يحتوى على مواد مغذية ومهدئة. فقد كان له أثر واضح في استعادة الجميع لصحتهم ونضارتهم. ومن تجربتي اللاحقة اكتشفت أنه لا يسبب أي مضايقات، كما تفعل اللحوم الأخرى-

وبتوفر اللحوم يمكننا مقايضتها بالدقيق مع سكان القرى الكنغولية. وهكذا سارت حياتنا في الغابة، حتى عندما نكون في عمق أراضى الجنوب مع أهلنا الطيبين.

في منطقة علي قباتالا، بجهة الغرب، لم تسر الأوضاع كما كان مخططاً. فعندما طلب من رجاله (الذين قالوا أنهم يملكون أسلحة) بأن يحضروها ويجهزوا أنفسهم لبداية العمل، لم يستجيبوا لطلبه. وبعضهم بلّغ السلطات الكنغولية بأن علي قباتالا يوجههم بشن حرب ضد الحكومة السودانية داخل السودان وأنه لا يملك أسلحة للقيام بذلك. ونتيجة لذلك عملت السلطات على اعتقاله واستجوابه، لكنه اختفى عن أنظارها– وفى النهاية تمكن من الوصول إلى مكاننا، بمساعدة بعض رجالنا الذين يتسللون إلى الكنغو لشراء بعض المواد الغذائية. وتلك الحادثة كانت محبطة، لكنها مضحكة أيضاً، كتجربتنا مع الجاموس– ولذلك ظلّ لايملّ من سردها لفترة طويلة. وهكذا لم يكن هناك أي نشاط في المنطقة الواقعة في غرب منطقتنا. ومحنة قباتالا جعلتني أحسُّ بالقلق لموقف المجموعات الأخرى، خاصة المجموعة الثالثة في جهة الشرق– هل دخلت في صعوبات مشابهة لما تعرضت له مجموعة علي؟ أم أنها ظلت تعمل كمجموعتنا ؟ ولاحقاً عرفت أن المجموعة تعيش مشكلة مع قائدها ماركو لوهويورو، الذي كان يتصرف كأخ رئيس دولة فاسد – فقد أعتقل وأرسل إلى أرو أكثر من مرة، حتى أضطر الأب ساترنينو لإبقائه معه في حرسه الخاص – وهنا تسلّم القيادة الشاويش السابق يوسيا – من قبيلة كوكو.

هكذا خلال فترة وجيزة وصلت أخبار نشاطنا إلى الإعلام العالمي. وبدأ الحديث في الإذاعات والصحف عن نشاط الانيانيا ضد الحكومة السودانية. وسمعت ذلك بأذنيّ من إذاعة صوت الإنجيل من أديس أبابا. ونتيجة لذلك طلبت حكومة السودان من الدول المجاورة القيام بمراقبة الحدود وتقييد حركة السودانيين الجنوبيين المتواجدين فيها. ووجدت استجابة من يوغندا، التي قامت باعتقال جوزيف أدوهو وزملائه في قيادات الحركة وأعضاء الجمعية المسيحية السودانية في كمبالا، وحوكموا بالعمل على خلق مشاكل في قطر مجاور وسجنوا في السجن

المركزي في لوزيرا- واعتقل معهم أيضاً أخي سايمون جيما، الذي كان لا يزال يقيم مع بانكرازيو أوشنق في نكاقوا. ولكن افرج عنه بعد أيام وترك كمبالا إلى ليرا والالتحاق بأسرتي هناك - وعندما اتسعت الاعتقالات ترك يوغندا إلى الكنغو وانضم إلى المجموعة الثالثة في الضفة الغربية. وفي الجانب الكنغولي ظلت الأوضاع هادئة بشكل عام، حيث ظلّ الجنوبيون هناك يعيشون ويتحركون بشكل عادي - وفي ذلك الوقت جاء وليم دينق إلى أبا- ويبدو أن نشاطات الانيانيا في الضفة الشرقية كانت اكثر تأثيراً من نشاطها في الغرب. وهذا هو السبب في اعتقادي في تحرّش السلطات اليوغندية بالقيادات الجنوبية هناك، استجابة لضغوط مباشرة من حكومة الخرطوم- وكنت فخوراً بأننا نختلف عن زملائنا السابقين، الذين دخلوا الغابة في العام الماضي، وبأننا لن ننسحب من مواقعنا- وعندما وصل وليم دينق، السكرتير العام لحزب سانو، إلى أبا، اعتبرت ذلك مؤشراً لتقدمنا وتطورنا العملي- فزيارته أدت إلى رفع معنويات أنصارنا ومقاتلينا على السواء. وبدا كأن المؤسسين الثلاثة لحزب سانو قد سوّوا خلافاتهم وانهم سيعملون معاً في قيادة موحدة، كما كان يأمل الأب ساترلينو.

عند سماع وصول وليم دينق إلى أبا، طلب برنادينو مو السماح له بالذهاب إلى هناك لمقابلته. ولم اعترض على طلبه، وأخبرته بأنني سأذهب لمقابلته عندما يعود هو من هناك. ولكن برنادينو لم يعد إلى المعسكر، بل تابع وليم دينق إلى دونقو ونيانقارا في الكنغو، حيث تتواجد أعداد كبيرة من اللاجئين الدينكا- ولم أره بعد ذلك. وأخي انجيلو أيضاً ذهب إلى أبا ولم يعد ثانية. وكل ذلك كان يمثل صفعات مؤلمة بالنسبة لي. وأصبحت اكثر اقتناعاً بان الخلافات السياسية بين وليم دينق وزميليه الآخرين لاتزال قائمة ومستمرة. واصبح واضحاً أن دينق جاء إلى المنطقة، بكل بساطة، بهدف استقطاب أبناء مديريته وأخذهم لبدء نشاط آخر هناك، ينافس به النشاطات الجارية في المديرية الاستوائية- وكان يرجع التطورات الجارية في الاستوائية لجهود ساترنينو وجوزيف أدوهو، اللذان يعملان على إبعاده

– وكنت آمل في مقابلته لإقناعه بعدم صحة ذلك وجذبه لدعم موقفي السياسي. فقد كنت اعتقد أنه يعي عدم قدرته على منافسة زميليه في الاستوائية، ولذلك عليه بناء قاعدته في مديريته.

قام وليم دينق باستقطاب رجال الخدمة السابقين واللاجئين الجنوبيين في الكنغو وحولهم إلى مديرية بحر الغزال تحت قيادة برنادينو مو. وذلك لبدء نشاط آخر تحت إشرافه المباشر. وفي الفترة اللاحقة قام هو ومجموعته بهجوم عسكري في مدينة واو عاصمة بحر الغزال، رغم عدم كفاية تسليحهم. وتسبب ذلك في مأساة كبيرة، كما يتوقع أي شخص ملم بمعرفة عسكرية بسيطة. فقد جرح برنادينو وأسر أثناء الهجوم – واصبح الحدث خبراً رئيسياً في إذاعة أمدرمان وكررته في نشراتها أثناء ذلك اليوم، ووصفته بأنه (انتصار تاريخي للقوات المسلحة في سحق قوة التمرد الغادرة والقبض على قائدها.) وتناقلته إذاعة لندن وصوت الإنجيل والإذاعات الرئيسية الأخرى في العالم. وكان تأثير كل ذلك سلبياً على مجموعتنا التي كان برنادينو أحد عناصرها – وحملنا مسئولية ذلك لوليم دينق، لقناعتنا بأنه إذا لم يعمل على جذب برنادينو وتوريطه لما حدثت تلك المأساة.

كان علي قباتالا قلقاً ومتوتراً، كان يرغب في الحصول على بندقية ليعود بها إلى منطقته – ولكن لم يكن لدينا ما يطلبه. فرفعت طلبه إلى أليا لوب ليرفعه بدوره إلى أبونا– وبعد أسبوعين وصلتنا بندقية صيد وكميات من الذخيرة. وبعد استلامها عاد إلى منطقته.

استمريت في تدريب رجالي داخل الغابة. ومن خلال ذلك تمكنت من تطوير مهاراتي القتالية بالتجربة وبالتعلّم من المقاتلين أنفسهم. وفكرنا في زيادة قدراتنا بالاستيلاء على أسلحة الأفراد المعزولين، مثل سلاح محاكم الزعماء وغيره – وأقربهم كان المزارع صمويل رنزي. فخططنا لنهب بندقيته. وفي هذا الأثناء وصل بعض المؤيدين للحركة إلى أبا نتيجة لاتساع عمليات الاعتقال في الاستوائية. وكان من بينهم أوليفر بتالي ألبينو وموريس لوبانق (زميلي في مدرسة رمبيك.)

المهم كانت هناك تقارير متضاربة حول صمويل رنزي، بعضها يقول أنه من مؤيدي الحكومة (مخبر) وفي تقاليدنا أن نقتل أمثال هؤلاء حتى يكونوا عبرة لغيرهم ولمنعهم من التخابر والتعاون مع العدو- وكنت اشك في هذه المعلومات، لأنني سمعت بخلاف بينه وبين عمّه، الزعيم جيمس طمبرة، حول وراثة الزعامة. ولكن الحكومة شطبت دعواه بأحقية الزعامة (بحكم أنه اكبر أخوان الزعيم.) ونتيجة لذلك طلب منه الابتعاد إلى منطقة ياي، ولذلك لم استطع أن اصدق تعاونه كمخبر لحكومة ظلمته وحرمته من حقوقه - ومع كل ذلك كنا نرغب في انتزاع بندقيته منه. فكيف الحصول عليها دون أن نؤذيه ودون أن نضرّ أسرته؟ اخترت صمويل لوليكا مرة أخرى لهذه المهمة، لأنه ليس من أبناء المنطقة، وبالتالي يمكنه القيام بها دون تأثيرات عاطفية. وأيضاً كان هو الوحيد الذي يحمل بندقية في المجموعة. واخترت أيضاً فليب انقوتوا، الذي يعرف صمويل رنزي جيداً، بحكم أنه من أبناء المنطقة، ليكون نائباً للقائد. وأصدرت أوامر لاختيار مداخل ملائمة في الوصول إلى منزله. وكان عليهم أن يقدموا أنفسهم كمقاتلين من أجل الحرية إذا سلمهم صمويل البندقية بسهولة، وفي هذه الحالة عليهم نصحه بمغادرة المنطقة إلى الكنغو حتى لا يعرّض نفسه للاعتقال. وطلبت من لوليكا أن يقوم بحمايته ودفعه للهروب إلى هناك، لان أهل ياي قد لا يدلون بأي معلومات حوله، بحكم أنه ليس من منطقتهم- وبعد ذلك ودعتهم وتمنيت لهم النجاح في مهمتهم.

تحرك الفريق واستطاع أن ينفذ العملية بدقة. وبعد تقديم أنفسهم، أخبروه أنهم أرسلوا ليأخذوا بندقيته، لان الحكومة ستنزعها منه مع تطور نشاط الحركة. وأكدوا له أنهم لايودون إيذاءه إلا إذا رفض تسليم البندقية. وبعد أن سلّمها بهدوء، نصحه قائد الفريق بمغادرة المنطقة إلى أبا في الكنغو، حيث يعيش أليا لوب بسلام- كان مدخلهم سلمياً وودياً وجذاباً. وترك صمويل المنطقة بعد فترة قصيرة من انسحاب الفريق داخل الغابة. وهكذا عادوا ببندقية ثمينة وأنجزوا العملية دون خسائر . وأكد لوليكا أن صمويل لن يبقى هناك ليوم واحد، لأنهم تركوه يرتجف من

الخوف. وبذلك أصبحنا نملك ثلاث بنادق، بالإضافة إلى المدفع البلجيكي القديم. وبعد ذلك لم نستطع الحصول على أي بندقية أخرى بهذه الطريقة، لأن أصحاب البنادق بدأوا يسلمونها بأنفسهم للحركة (وفي هذه الحالة يتركون ديارهم للعيش في الغابة أو للهروب إلى الخارج) بينما فضل آخرون الابتعاد وحصر تحركهم داخل المدن.

بعد انفجار العمليات توجهت الحكومة، التي يسيطر عليها الشماليون إلى تجنيد المزيد من الشماليين في قوات الشرطة للعمل في الجنوب، والي توسيع المراكز العسكرية وتقويتها. فالنظام الحاكم لم يعد يثق في الجنوبيين. ومعظم الذين جاءوا إلى الاستوائية كانوا من مناطق كردفان، مديرية الحاكم علي بلدو – وهكذا أصبح الشمال يحتل الجنوب عملياً ويمارس ضده حرباً كولونيالية قمعية. وبذلك بدأت الحركة في النمو والتطور وتحولّت بقايا الفرقة الاستوائية إلى نواة صلبة لجيش عصابات (حركة الانيانيا.) وذلك للقتال من اجل انتزاع حقوق الجنوب. وأخيراً اضطرت الخرطوم للاعتراف بوجود هذه الحركة بعد محاولة برناندينو للاستيلاء على مدينة واو- فقد فاجأت العملية النظام الشمالي الحاكم وجعلته يتصرف بردّة فعل غاضبة، حيث أعلن طرد المبشرين الأجانب من الجنوب بدعوى تأييدهم للمتمردين الجنوبيين، بالإضافة إلى إجراءات أخرى مشابهة.

لقد تحركت المجموعات الأولى لحركة الانيانيا (باستثناء مجموعة علي قباتالا) بجرأة وحماس نحو أهدافها المحدّدة. وبعضها دخل في عمليات انتحارية، مثل مجموعة برناندينو. ونتيجة لذلك دخل الجنوب كله تقريباً في انتفاضة واسعة ضد الحكم الشمالي في الخرطوم. وكسبت الحركة تأييداً واسعاً في شرق ووسط أفريقيا وغيرها. وشجع ذلك المعارضين للحكم العسكري في الشمال على الحركة والعمل لإسقاطه. وفي تلك الفترة اصبح السودان مثار اهتمام الإعلام العالمي. وكنا نتابع الأخبار من خلال راديو ترانزستر صغير. وكانت محطاتنا المفضلة تشمل البي. بي. سي وصوت الإنجيل وصوت ألمانيا ...الخ.

*** المسئولية العامة: -**

كنت على وعي كامل بمسئوليتي العامة عن حركة الانيانيا وعن تطورها بشكل عام. وكان طموحي أن أبني قوة عسكرية قادرة على مواجهة جيش الاحتلال الشمالي في الجنوب. وذلك ممكن فقط عن طريق التدريب المتواصل والدعم الخارجي، حسب تقديري – لذلك ركزت على تدريب المجندين الجدد من الشباب. فهؤلاء هم الذين سيواصلون القتال حتى النصر، لان العسكريين الحاليين يتقدمون في العمر مع الزمن – ومهمتي الأساسية هي أن انقل معرفتهم وتجربتهم إلى الأجيال الجديدة. وكنت أعمل على نقل خبراتي للآخرين – فالأب ساترنينو كان يملك وعياً مماثلاً. وكان يشجعني على ذلك. وشعرت منذ البداية بحماس المجندين الجدد للتدريب وتطوير معارفهم العسكرية. فالتدريب كان عامل جذب كبير وكان أيضاً يساعد في تقوية موقفي وتوسيع تأثيري داخل الحركة.

في نهاية نوفمبر تأخر الشاويش ألهاي كثيراً في رحلته لجمع بعض الغذاء. ولم يكن من الممكن انتظاره. لذلك وضعت فليب انقوتوا في قيادة المجموعة الثانية، بينما تحركت أنا إلى أبا وأرو لاستشارة أبونا ولمتابعة تطورات الحركة في المناطق الأخرى.

وكمسئول عن الجناح العسكري للحركة، كان عليّ الاهتمام بالجوانب السياسية ومتابعتها مع القيادات السياسية. فأخذت معي صمويل لوليكا. ولاحظت أنه لم يكن مرتاحاً للبقاء هناك بدوني. وعندما سمع الشاويش الهاي بسفري للشرق، قرر السفر غرباً والالتحاق بمجموعة علي قباتالا. وفي أبا استقبلنا أليا لوب وابن عمّه الزعيم لوكولو – أعدّوا لنا دراجتين للتحرك بهما إلى كومورو لمقابلة اليجو راماسوك. وهناك يعدّ راماسوك مستلزمات رحلتنا إلى أرو – وكان عليه أن يرجع الدراجتين إلى أبا – وكان الطريق شاقاً بالنسبة للوليكا، الذي كان متقدماً في عمره ولا يجيد تحريك الدراجة. وفي كومورو سمعت أخباراً مزعجة من راماسوك. فقد اخبرني أن عدداً من عناصر الشرق، ومنهم أخي سايمون، قد جاءوا من ارو

وذهبوا للالتحاق بالمجموعة الثالثة. وكان ذلك نذير خطر بالنسبة لي. فقد كنت لا ارغب في انضمام أخي للعمل النشط في الحركة، وذلك حتى يتفرغ للبقاء مع والدي وأسرتي في ليرا– لذلك قررت قطع رحلتي إلى أرو ومتابعة هذه المجموعة. فطلبت دليلاً لمرافقتي في الطريق. وهناك في معسكرهم علمت أن فريقاً قتالياً قد تحرك قبيل قليل إلى منطقة تامبيلي، منطقة غابات بالقرب من مدينة ياي، بهدف الهجوم على نقطة شرطتها. وكان الفريق يضم أخي واوليفر باتالي البينو ويحمل بندقية برين قدمها لهم الزعيم أليا كندو (زعيم لينيا.) والأخير تحصّل عليها من جندي ترك البلاد إلى الخارج بعد أحداث 1955. وخوفاً من مضايقات الحكومة قام بتسليمها للحركة. ووجدته في المعسكر مع عدد من المدنيين وطلبة المدارس. وكان هناك أيضاً كرستوفر أمبا، ابن الزعيم اندريا قور (زعيم الباري الجنوبية.).

رغم علمي بسلاحهم، فقد كنت قلقاً على هذا الطريق ومتشككاً في نجاح عمليتهم، إضافة إلى انه لم يكن في خطتنا مهاجمة النقاط المحمية. كنا نعمل على إغراء قوات العدو بالخروج من مواقعها المحصنة ومن ثم مهاجمتها – وذلك للاستفادة من عنصر المفاجأة وانكشاف العدو وضمان حماية قواتنا. ولكن هذا الفريق كان يفتقد كل ذلك، بل إن العدو كان على علم بتحركهم. ولذلك فضل مواجهتهم خارج نقطة الشرطة. وهكذا كان رجالنا يوجهون نيرانهم إلى نقطة خالية من الناس. وردت عليهم الشرطة بنيران كثيفة لم يتوقعوها. وخلال ذلك أصيب أخي، حامل البندقية، وهرب الآخرون. وبذلك تعرض للموت وفقدنا البندقية التي تحصلنا عليها قبيل فترة قصيرة. لقد تحصلت على معلومات كافية حول هذه العملية من مساعده بول (من المادي) عند عودة الفريق للمعسكر– وكان عليّ أن أتقبل فقد أخي نتيجة لعملية غير مدروسة قام بها مدنيون متحمسون. كنت غاضباً على هؤلاء، خاصة اوليفر، الذي قاد الفريق، واعتبرته مسئولاً عن هذه العملية الفاشلة التي تحركت بدوافع سياسية لا علاقة لها بالعمل العسكري. والزعيم أيضاً كان محبطاً عندما علم بفقدان البندقية في أول معركة وندم على تسليمها في ذلك الوقت.

وبدأ لي أن مغامرة تامبيلي هي تكرار لأحداث مدينة واو، التي فقدنا فيها جندياً عظيماً هو برنادينو مو- كان صديقاً حميماً وشاركني معركتنا الأولى مع العدو - وبعد ثلاث شهور فقط فقدت أخي، لا أحد يستطيع الشعور بمآسي الحرب إلا بعد أن تصل إلى أهله وأحبابه الأعزاء. لقد تسربت أخبار هذه الخسائر إلى داخل المعسكر حتى قبل وصول أفراد الفريق. شعرت بانهيار كامل. لقد حاولت إبعاده عن العمليات. تركته في يوغندا ليبقي هناك في سلام وأمان. لكن الأحداث دفعته للالتحاق بنا في ميدان القتال. وسقط هناك كبطل (لا تبكي على بطل.. كن فخوراً به) بدأت استعيد هذه الكلمات، كلمات جدّي الكبير، المقاتل الذي انتزع لقب (موكوموي) في المعارك الحربية. واستعدت أيضاً كلمات الأب ساترنينو (شمعة التضحية من أجل الوطن هم أفضل أبنائه.. هم كالشمعات الطاهرة التي تقدم كقرابين، كما يشير العهد القديم، وكما نمارس نحن في طقوسنا الدينية التقليدية.) كلمات جدّي الكبير والأب ساترلينو هذه ظلّت تمثل لي مصدر عزاء وسلوى في مواجهة المحن والنكبات.

*** كارثتنا وأحداث زنزبار وكينيا:-**

هذه الأحداث تزامنت مع استقلال كينيا وزنجبار، الذي اصبح خبراً أساسياً في نشرات البي. بي. سي، وإذاعة يوغندا وغيرها. وعرفت أن كينيا قد انتزعت استقلالها بالقتال والنضال. فحركة الماوماو، التي اتخذتها نموذجاً لحركة الانيانيا، قدمت تضحيات كبيرة في طريق هذا الاستقلال. وجنوب السودان سيصبح بلداً حراً ومستقلاً. وهو لا يزال في بداية الطريق، المليء بالتضحيات والآلام، عليه فقط مواصلة النضال والقتال.

لقد تابعت قوات الجيش آثار فريقنا في عودته للمعسكر- وساعدهم في ذلك أن رجالنا عادوا عن طريق قرى ومزارع المنطقة، تاركين آثار أقدامهم واضحة وبينة. وفي المساء، بعد وصولهم، وجدوا أننا قد تركنا المعسكر وتحركنا إلى الضفة

الأخرى، وتركنا علامات لتدلهم علي موقعنا الجديد. وبعد وصولهم جاء الشاويش يوسيا ليشرح لي ما حدث وعاد لزملائه في الموقع القديم، حيث قضوا الليلة هناك.

لقد تابع العدو آثار الفريق حتى وصل المعسكر القديم- وبعد محاصرته فتحت نيرانها نحوه في فجر 1963/12/10 يوم إعلان استقلال زنجبار- سمعت فرقعة الرصاص في فروع الأشجار من فوقنا. أمرت رجالي بالنزول في النهر والتحرك مع تياره - سلاحنا الوحيد كان عبارة عن مسدس تسلّمته عند وصولي للمعسكر- وعندما ابتعدنا من نيران العدو، تفقدت رجالي ووجدتهم بخير. وهناك شعرنا باستمرار معركة خفيفة في المعسكر القديم. فقد ردّ رجالنا بإطلاق نار متواصل، وتمكنوا من الانسحاب وإجبار العدو على التراجع والانسحاب. وقد يكون ذلك نتيجة لخسائر مؤثرة. لذلك لم يصلوا إلى المعسكر.

بعد ساعتين من هذا الهجوم، أعدنا تجمعنا وقمنا بإعادة ترتيب المسرح. لم يكن هناك أي اثر لقوات العدو- ويبدو انهم لم يتفحصوا منطقة المعسكر، لأننا وجدنا جثة الشاويش يوسيا وبندقيته وجثة موظف غابات كان في صحبة الفريق. أخذت البندقية وعينت حرساً لمراقبة المكان. وتحركت مجموعة أخرى لفحص موقع المعسكر وجمع مخلفات المعركة. وحدّدنا بعض الرجال لدفن الجثث. بعد الانتهاء من كل ذلك أخلينا المعسكرين وتحركنا إلى موقع قرب الحدود الكنغولية. وهناك أصدرت تعليمات جديدة، تقول (.. في ضوء النقص الواضح في الأسلحة المتوفرة والخسائر الكبيرة التي تحملناها خلال يومين في مجموعة واحدة، فإنني اضطر إلى إعلان الآتي:-

1- على كل الطلبة الذهاب إلى الدول المجاورة لمواصلة تعليمهم لأن التعليم نفسه يمثل سلاحاً قوياً يمكن استخدامه في نضالنا التحرري في المستقبل.

2- على كل السياسيين والموظفين الذهاب إلى أرو:

أ- بعضهم لمساعدة الأب ساترنينو في العمل السياسي.

ب- الآخرون لمساعدته في البحث عن مساعدات وأسلحة للمجموعة الصغيرة التي ستبقى في الغابة وتواصل العمل المسلح.

3- أرغب في البقاء مع العناصر المتدربة وفئة أخرى محدودة، لتكوين قوة يمكن إدارتها بسهولة وتكلفة قليلة.

4- أؤكد أنه حين تتطور الحركة وتصبح قوية وفعَّالة سوف نطلب مشاركتكم وانضمامكم للجناح المسلح...الخ).

وبعد سماع هذه التوجيهات لم يعلق أي واحد منهم عليها ووافقوا على مغادرة الغابة. ونتيجة لذلك ذهب اوليفر باتالي البينو إلى أرو وانضم للعمل مع الأب. وتفرق الطلبة إلى أماكن مختلفة، خاصة يوغندا وشرق أفريقيا والكنغو- وبقيت أنا مع المجموعة الثالثة حتى بداية عام 1964. وبعد ذلك ذهبت إلى أرو لاتسلل من هناك إلى داخل يوغندا، وذلك بهدف تحقيق الآتي:-

1-لأخبر والدي وأقاربي بوفاة أخي وأعزيهم في فقيدنا، مع أنني أعرف انهم علموا بذلك من بول، الذي ذهب إلى يوغندا بعد الحادثة.

2-لرؤية أسرتي ووالدي وأهلي وأصدقائي بعد كارثة 1963/12/10.

في أرو استقبلني الأب بحماس وإعجاب بما حدث من تطورات وأعطاني بعض المال لمساعدتي في رحلتي إلى يوغندا - فتحركت حتى أرو سيراً على الأقدام (9 كم) بهدف تحاشي موظفي الحدود، ومن هناك بالبص حتى ليرا - وهناك وجدت أن أسرتي تعرف، كما توقعت، ما حدث في الغابة وكذلك الهجوم الذي شنه العدو على معسكرنا في الفترة الأخيرة. ووجدت هناك أختي الكبيرة، اميليا أجوا، التي وصلت بعد سماعها بكارثة ديسمبر - وبقيت في ليرا لعدة أيام للقيام بواجب العزاء في شقيقي. وكان المناخ حزيناً، حتى الأطفال كانوا في حزن شديد، لان سايمون كان معهم قبل أسابيع قليلة من حدوث الكارثة. وفي هذه الأثناء زارني الأقارب والأصدقاء وشاركوني الأحزان. وشعرت أن والدي وزوجتي لايريدون

عودتي للغابة مرة أخرى. كانوا يضغطون عليَّ للبقاء في يوغندا والبحث عن وظيفة مناسبة. ولكني وجدت صعوبة كبيرة في الاستجابة لطلبهم هذا – كيف سيفكر أخي في ذلك عندما ينظر لي من أعالي السماء؟ ماذا سأقول له إذا وجدت فرصة للحديث معه؟ لقد غامر بالذهاب إلى الضفة الغربية لأنني هناك – فهل أقوده إلى حتفه وانسحب بعد موته؟ وماذا عن الذين تركتهم في الغابة وثقتهم في قيادتي لهم وفي عودتي إليهم؟ لم يكن بمقدوري الهروب مرة أخرى. هروبي الأول كان من اجل هدف نبيل. أما هذه المرة فسوف يربط بالجبن والأنانية. وتلك سبة ستلاحقني طوال حياتي، بل ستمتد بعدي إلى أبنائي وأحفادي – وإذا وصلت أخبار ابتعادي عن الانيانيا، التي كونتها بجهود كبيرة، إلى زملائي السابقين في الجيش السوداني، فسوف يعتبرونني شخصاً غبياً وغير سوي. ونتيجة لكل ذلك وضحت موقفي لجوليانا ووالدي بأنني سأعود للغابة ومواصلة النضال، حتى لو من أجل الوفاء لأخي فقط. وما كان من الممكن أن يقاوم والدايّ رغبتي هذه، لان ذلك قد يتسبب في ضررهما، كما تقول تقاليدنا. ولذلك وافقا وباركا قرار عودتي ودعيا الآلهة لحمايتي ورعايتي . وبعد ذلك تركتهم وتوجهت إلى كمبالا وارو في طريقي إلى المعسكر – وفي كمبالا زرت بنجامين في كلية نامولياناقو وعزيته في وفاة أخينا. وتحادثت مع جوزيف أدوهو في السجن المركزي في لوزيرا. ومن هناك سافرت إلى أروا ومنها إلى أرو، ثم إلى داخل الغابة في جنوب السودان– وهناك تسلّمت قيادة المجموعتين الثانية والثالثة وأصبحت أكثر اهتماماً بنفسي. وبحكم درايتي بعدم وجود شخص آخر ينافسني في خبراتي وتدريبي، فقد واصلت العمل الذي بدأته في الفترة السابقة. وركزت على بناء نوايات قوة عسكرية قادرة على مواجهة جيش الاحتلال الشمالي في الجنوب. وكثفت جهودي في التدريب ونقل المعرفة للأجيال الشابة. وكنت اعتقد أن هؤلاء هم الذين سيواصلون النضال أكثر من كبار السن العاملين في قوتنا العسكرية. وكان تركيزي على حرب الأدغال. كيف نخطط للهجوم، استخدام المتفجرات البدائية، معوقات الطرق وتحطيم الكباري

وعربات العدو- وكنت أؤكد أن أي عملية تتضمن احتكاكاً مباشراً مع العدو يجب أن تخضع للدراسة المتأنية قبل تنفيذها. ولهذا الهدف أنشأت مدرسة للتدريب للمجموعتين، وأصبحت هذه المدرسة مركز رئاستي مع علي أيومي، مساعدي في القيادة.

*** محاولات التطوير:-**

منذ تحركنا الأول ظللنا نحمل معنا القليل من الإمدادات. ونتيجة لذلك كان بعضها يضيع أثناء المعارك والآخر يسقط في الطريق أثناء سيرنا في الأدغال - عندما فكرت في هذه الخسائر، وصلتني معلومات بأن بعض المعدات والملابس العسكرية المستعملة يمكن شراؤها من أسواق نيروبي - لذلك أخذت إجازة قصيرة وذهبت إلى أرو للتفاكر مع الأب حول إمكانية شرائها. واقترح سفري إلى نيروبي للتأكد من هذه المعلومات وشراء نماذج منها إذا وجدت. ووفر لي مستلزمات الرحلة كاملة.

عندما وصلت نيروبي بدأت بالبحث عن أقري جادين. وكان وقتها يقوم بمهام مساعد السكرتير العام لحزب سانو، وذلك لمساعدتي في مأموريتي. وأخيراً وجدته بمساعدة صديق سوداني من قبيلة الاشولي - وكان جادين يعمل وقتها مع سكك حديد وموانئ شرق أفريقيا في مكتبها في نيروبي. وكان مسروراً لمقابلتي وأخذني للبقاء في منزله طوال زيارتي هناك- وشعرت أنه رجل هادئ التفكير - وفى أثناء فترة إقامتي وتحركي معه في الأسواق، أصبحنا نعرف بعضنا أكثر وأكثر - وتلك كانت بداية علاقتي به في العمل السياسي والعسكري - وفى النهاية شحنت المواد التي اشتريتها في البص وأخذتها إلى كمبالا - ومن هناك إلى أروا وكتجم ليتمَّ توزيعها على رجالنا في وسط الأدغال - وفى الفترة اللاحقة قمت بعدة رحلات مماثلة. وأدى توفير المعدات والملابس إلى تحسين مظهر جنودنا في الميدان - وفى ذلك الوقت كان جنود الجيش الحكومي يلبسون أردية وقمصاناً، الأمر الذي يعرض أرجلهم إلى الاحتكاك بالحشائش والتسبب في إحداث خدوش وجروح عديدة

ومؤلمة. ولذلك كان ظهور بعض رجالنا بملابس الجيش البريطاني والكتائب الأفريقية الملكية القديمة، كان ذلك يمثل عاملاً هاماً في رفع معنوياتنا. وفى الجانب الآخر، كان لها تأثير سلبي واضح وسط قوات الحكومة. وبعد شهور قليلة تمكنا من الحصول على بعض الأسلحة الحديثة من حرب سمبا في الكنغو، مثل الكلاشنكوف وملابس الكاكي الخضراء، المناسبة للتحرك وسط الحشائش، خاصة في موسم الأمطار – وفى الوقت نفسه أصبح جنود الحكومة يتمردون على قياداتهم، ويسخطون على حكومتهم ويستنكرون الاعتماد على البندقية القديمة ماركة أربعة، التي تجاوزها الزمن في كل العالم – وفى تلك الفترة أيضاً أخذوا يلبسون الكاكي الأخضر.

*** بدايات المشاكل الداخلية :-**

بينما كان نظام عبود يعانى من المشاكل والأزمات، كانت القبلية الجهوية تمزق حركتنا. فما حدثني عنه أكويلا مانيون، عند زيارتي الأولى لأرو، أصبح حقيقة ماثلة أمامي. فقد بدأ أبناء الباري في مناطق العمليات التابعة للمجموعة الثانية والثالثة يستاءون من وجـود العسكريين السابقين، أبناء الضفة الشـرقية. وهذه المشكلة جاءت من تجـربتهم مع الشاويش ماركو لوهويورو، الذي كان لايزال في أرو يستمتع بامتيازات موقعه كحرس ومستشار للأب ساترنينو– وعلاقته الحميمة بالأب أساءت للأخير وجعلته يبدو قبلياً في نظر المجموعات القبلية الأخرى، خاصة قبائل الباري في وسط الاستوائية، التي يتركز فيها نشاط حركة الأنيانيا. وتعمقت المشكلة بوجود شخصيات أخرى، مثل باتيرنو أتار، من نفس القبيلة، الذي كان يعمل مراسلة للأب. وكان مهتماً بكتابة تقارير سلبية للأب ساترنينو حول أعضاء الحركة. المهم هذه التوترات أدت إلى تخريب العلاقات بين أبناء الباري، الذين جاءوا لمقاتلة العدو المشترك مع الآخرين – وفى هذا الإطار جاءت نصيحة أكويلا مانيون بأن لا أسافر مباشرة من كينيا إلى الغابة. وحدثني كيف نما وتطور هذا التوجه غير الصحي في أرو أثناء غيابي في شرق أفريقيا، وكيف أنه سمع أبناء

الباري، وبعض السياسيين، يتحدثون بمرارة عن أبناء الضفة الشرقية. ولذلك كان يرى أن هذه الحالة تتطور بسرعة نحو الصراع والتمزق القبلي. ومن جانبي لم أرفض معلوماته ونصيحته، بل شكرته عليها- ولكني شعرت بأنه سينظر إليّ كشخص غير مسئول، إذا تأخرت أكثر من ذلك- ولم أكن أرغب في أن يتهمني الناس بإهمالهم. وكنت أرى أنهم لا يزالون في موقفهم تجاهي وأنهم سيرحبون بعودتي، بغض النظر عن القيل والقال والشائعات السياسية. وأكثر من ذلك، كنت أثق أن أليا لوب سيبقى بعيداً عن هذه التوافه وأنه سيقوم بمساعدتي إذا دعت الحالة. ونتيجة لذلك، تحركت نحو مركز رئاستي، حيث تركت علي أيومى في قيادة العمل- قضيت ليلة مع يوب، في موقعه الأقرب للحدود، مقارنة بموقع راماسوك. واستقبلني، كما توقعت، بحرارة شديدة. وكان رجاله مسرورين عندما رأوا الملابس والمعدات التي أحضرتها معي. وكل شئ كان يسير بشكل عادي. جمعت المجموعتين، المجموعة الثالثة، بقيادة العريف علي أيومي (كان نائبي في القيادة هو الآخر) والمجموعة الثانية بقيادة الشرطي المحترم فليب أنقوتوا. وكان من السهل جمعهم بسرعة، بحكم قربهم لبعضهم في هضبة أواتوكا بالقرب من مزرعة البن التابعة لجورج حجار.

كان أليجو راماسوك يبدو متألماً وحاقداً، عندما تجاوزت موقعه إلى موقع يوب مباشرة وكان مستعداً للدخول في مشاجرة معي حول هذه المسألة. وفى أحد الأيام اصطدم معي في طريق أبا/كومورو، بينما كنت أسير مع أحد الزملاء. وكان هو يسير مع ثلاثة من زملائه. وفجأة رفع ذراعيه وإندفع نحوي وهو يصرخ: (..أمسكو..أمسكو..) وفعلاً أمسكوا بملابسي ويدي. واندهشت لذلك وكذلك زميلي. فتجمدت وصرت أحملق فيهم. قام راماسوك بدفع أحد الرجال وأمسك يدي وظلّ يتحدث بصوت منخفض (أنا بتجيبو الناس من توريت .. ما في رجال هنا.) سأله زميلي:(ده سنو؟) لم يبدي أي محاولة لإنقاذي ولم أتوقع منه ذلك- وعندما شعروا بعدم تحركي لمقاومتهم، قاموا بربط شريط حول يدي اليسرى، ثم أمرهم راماسوك

بقوله (يلله كلى نينا نروه) أي دعونا نذهب. واستداروا معي باتجاه منزل راماسوك. وكان الرجال الأربعة غير مسرورين لما حدث. وعندما ابتعد راماسوك، قال أحدهم: (دا كلو نينا في كلام بتالي ما زول كبيري بلاسى يودي) أي لقد دخلنا في مشكلة مع زول كبير دون سبب. وعندما وصلنا منعطف الطريق باتجاه منزله، بدأ راماسوك يزمجر مرة أخرى..(سببو سنو أتا سيبو محل دي، سنو ما في أنا؟ ياو بقر دى اكلو سمبلا؟) أي لماذا تركت هذه المنطقة؟ ماذا ترى فيها؟ أنظر الأبقار ترعى في حشائش غنية. وبعدها أدخلت إلى "التكل" الذي استقريت فيه قبل ذلك. ومع إنني أعتبر أسيراً فقد وجدت نفس العناية والاهتمام اللذان وجدتهما في مرة سابقة. كان راماسوك يقوم بحراستي، كان يمشي حول التكل من وقت لآخر– لكنه لم يحاول التأكد من حالي داخل التكل، كما كنت أتوقع– كان يتحدث بصوت عالي حتى أسمعه، مكرراً تعبيراته الفارغة. وفي وقت ما سمح لأبنه، ناثالينو، زميلي في المدرسة وصديقي، ليقابلني ويتحدث معي. كنت مقتنعاً بأن راماسوك مدفوع بالغيرة والاعتزاز بالنفس– ففي رحلاتي السابقة للمعسكرات وأرو، كنت أقيم معه في نفس هذا التكل الذي يحبسني فيه الآن. لماذا تجاوزت موقعه وذهبت إلى موقع يوب؟ تلك هي مشكلته. هل قصّر في إكرامي؟ مثل هذه الأشياء، وليس الدوافع السياسية، هي التي دفعته لفعل ما فعل – هذا ما فهمته من حديثه لي. وأنا لم أتجاهل ردّ فعله هذا، بل صرت أفكر فيه بعمق.

بعد يومين قادوني للغابة لمحاكمتي. راماسوك كان هو الخصم والحكم في نفس الوقت. وكان هناك آخرون، منهم علي أيومي وفليب أنقوتوا، دعاهم راماسوك بنفسه. والاتهامات الموجهة لي تمثلت في أنني أحضرت مقاتلين من الضفة الشرقية، وبالتالي تجاهلت إمكانيات أبناء الضفة الغربية، والذين أحضرتهم كانوا يتهمون أبناء الضفة الغربية بالخوف والجبن، وأن قيادات الحركة كلهم من الشرق. وقبل أن أردّ على هذه الاتهامات وصل الأب ساترنينو ووقف الجميع لتحيته، وظللت أقف وحيداً كأسير– استقبل الأب بترحاب وأجلس في مكان مريح– وبعد

ذلك تحوّلت لغة راماسوك إلى لغة مؤدبة واستمر في المحاكمة يقول: (ليس هناك شئ ضدك شخصياً. عملك جيد. لقد علّمت كل هؤلاء الناس وخلقت منهم جنوداً جيدين. علينا أن نحملك على الاستمرار في هذا العمل الجميل، لكن الذين أحضرتهم من الشرق هم سبب المشاكل، خاصة ماركو لوهويورو وأركانجيلو لوكو. إنهم يسيئون أولادنا، يصفونهم بالجبن. عليك إرجاعهم إلى الشرق مرة أخرى. والأب سوف يوافق على حديثي هذا، لأنه يعرف أنه لم تكن هناك مشاكل عندما كنتما معاً هنا.) وتعليقي الوحيد كان (أنني لا أعلم أن النيل الذي يجرى بيننا يمثل حدوداً فاصلة بين شرقه وغربه.) وفجأة قال راماسوك:(سنطلق سراحك، لكن لا تنسي مرة أخرى مكانك وأصدقاءك الحقيقيين.) والتفت إلى الأب ليشرح له ما حدث. ولكن الأب لم يكن مستعداً ليسمعه. بدلاً من ذلك، وقف وأخذني من يدي وقال :(لايمكن أن تريده للبقاء هــنا وفى نفــس الوقت لا تريد أناسه القادمين من الشرق.) ودعهم بيده وقادني نحو الطريق، حيث ترك سيارته. دخلنا السيارة وقادها بنفسه نحو أرو.

في الطريق ضحكنا كثيراً على ما حدث. ولكننا أيضاً كنا نشعر بحزن كثير– ونتيجة لذلك توصلنا إلى ضرورة عودة أبناء الضفة الشرقية إلى مناطقهم عن طريق يوغندا– وهذه الحادثة مع ما قام به وليم دينق قبيل فترة، أدت إلى وضع الضفة الغربية في أيدي أبنائها وأثرت ظهور وقبول التوجهات الجهوية في السياسة الجنوبية. وبدأت أفكر في ضرورة تغيير سياستنا، في مجال التجنيد ومجال توزيع قوات الانيانيا على السواء. فقد أصبح واضحاً أن علينا المحافظة على جنودنا في مناطقهم حسب التقسيمات الإدارية القائمة. وهنا توصلت إلى قرار مؤلم. فقد كانت رسالة راماسوك لأبناء الشرق بشكل خاص والحركة بشكل عام واضحة ومحدَّدة، رغم عدم قدرته في شرحها. وفى هذه الفترة ازدادت أعداد اللاجئين السياسيين الجنوبيين بشكل كبير في الكنغو ويوغندا– والذين يرغبون في القيام بدور سياسي في نشاطنا العملي، كانوا يؤكدون الدور الرئيسي لأبناء الضفة الشرقية. فالرئيس

والأب الروحي كانا من قبيلة اللاتوكا. وأقري جادين (من الضفة الغربية) لم يكن نشطاً في الحركة خلال تلك الأيام. ولذلك كان لابد من وضع الاعتبار الكافي للشائعات وحالات السخط الدائرة وسط جنود الحركة في تلك الفترة بغض النظر عن صحتها.

عندما اكتمل تحريك أبناء الشرق، تركت كمبالا إلى ليرا، وبقيت هناك لفترة وجيزة أفكر في إعادة تنظيم الحركة وفيما ستكون عليه مستقبلاً. فقد هربت من الجيش الحكومي في الرابع من يونيو 1963. والآن بعد عام كامل وجدت نفسي أسيراً في يدي راماسوك في غابات طريق أرو/ أبا شمال شرق الكنغو.. فماذا يعني ذلك؟ هل استسلم وأبحث عن وظيفة أرعي بها أطفالي بعيداً عن هذه المشاكل؟ زوجتي ووالدي يضغطان في هذا الاتجاه. ولكني توصلت إلى ضرورة الاستمرار والعمل على توطيد وحدتنا حول الأهداف المشتركة. واصبح ذلك عقيدة تحكمت في بقية مشواري مع حركة الانيانيا. والمؤسف أن الأب وجوزيف أدوهو كانت لهما وجهة نظر مختلفة. كانا يرغبان في البدء من الضفة الشرقية، استناداً على قبيلة اللاتوكا كنواة للعمل العسكري والسياسي، ومن ثم الانتشار في بقية مناطق الجنوب. وعدم رغبتهما في مناقشة أي فكرة أخرى كانت سبباً مباشراً في تعقيد مشاكلنا- وأبناء قبيلتي وقبيلة الاشولي المجاورة كانوا يشعرون بعدم الاهتمام بهم، مقارنة بالاهتمام الذي يجده أبناء اللاتوكا، وبأن هؤلاء لن يسمحوا لهم بحمل السلاح. وكانوا يضغطون للبحث عن طريقة لتسليحهم والبدء في نشاط عسكري مستقل. وهكذا، كان عليَّ أن أواجه انقسامات أخرى في الضفة الشرقية، ومعالجة هذه المشاكل كان لابد منها، إذا أردنا تحقيق انسجام في حركتنا.

في الفترة اللاحقة ازدادت أعداد اللاجئين، خاصة في يوغندا، بعد إطلاق سراح أدوهو. وذلك بالدخول إليها مباشرة أو عن طريق الكنغو- وهذه الأعداد الجديدة أضافت ضغوطاً جديدة لإعادة تنظيم الحركة على أسس ملائمة. وشهدت تلك الفترة تزايد الانتقادات الموجهة لجوزيف أدوهو. وفى الجانب الآخر كان اللاجئون معجبون بمحاولات ساترنينو لتطوير موارد وتمويل الحركة. لذلك كانوا يضغطون

للوصول إلى اتفاق حول إعادة تنظيم العمل بكامله- ولكن جوزيف أدوهو ظلّ يرفض ذلك، عندما شعر بضعف موقفه لمواجهة التحدي القادم، وليم دينق، السكرتير العام لحزب سانو- ووافقه في ذلك الأب الذي رفض الدعوة إلى اجتماع موسع، بدعوى أنها ستؤدى إلى مزيد من الانقسامات. وكان على حق. ومع كل ذلك، قرر أدوهو عقد هذا الاجتماع في سبتمبر 1964. وفى ذلك الوقت كانت الأوضاع في يوغندا تسير في اتجاه الهدوء والاستقرار وتخلى السلطات عن قمع الجنوبيين. وهذا الاجتماع عقد في فندق سلفر أسبرنق **Silver Spring** في ضاحية قرب كمبالا- وعند شعوره بإصرار أدوهو على الاستمرار في خطته، سافر الأب إلى أوربا قبيل تاريخ الاجتماع. وكان يعرف أن نتائجه لن تكن كما كان يتوقع أدوهو- فوليم دينق بقي بعيداً عنه، بسبب خوفه من الهزيمة. أما أنا فقد اتخذت موقفاً حاسماً مع الذين يريدون تغيير القيادة. تحدثت إلى أليا لوب واقترحت عليه منافسة أدوهو في منصب الرئاسة – وعندما تردّد طرحت الاقتراح على أقري جادين. فوافق على ذلك بحماس وثقة في هزيمة أدوهو – واستسلم الأخير للهزيمة. ولكنه رجع إلى ليوبولد فيل معلناً رفضه الاعتراف بالقيادة الجديدة.

هكذا أصبح أقري جادين أول رئيس منتخب لحزب سانو. وواصل تعيين مجلسه التنفيذي. وطلب مني التخلي عن ترشيح دومنيك موروبل لمقابلة طلبات الدينكا – وكان ذلك شرطاً وضعه ول ول مقابل تأييده لأقري جادين. فوافقت على الطلب. وفى النهاية قام بتعييني قائداً عاماً لقوات الانيانيا برتبة كولونيل، وطلب مني بذل أقصى الجهود لتطويرها إلى قوات فعّالة. وفى ليوبولد فيل أعلن وليم دينق رغبته في العودة إلى السودان لمواصلة النضال من الداخل. وبعد فترة قصيرة سافر إلى الخرطوم بمصاحبة عدد مقدر من السياسيين الجنوبيين، خاصة أبناء الدينكا- أما أدوهو فقد ظل هادئاً في انتظار سماع رأى الأب ساترنينو قبل أن يحدّد خطوته القادمة. وهكذا كان هذا الاجتماع يمثل مؤشراً هاماً لبداية مرحلة جديدة في تطور حركة تحرير جنوب السودان وفى السياسة الجنوبية عامة.

الفصل السادس

سقوط نظام الجنرال عبود وما بعده

* تغييرات متزامنة :-

تزامنت التغييرات السياسية في الخرطوم مع تغيير مماثل في القيادة الجنوبية في الخارج (سقوط الجنرال عبود في الخرطوم وسقوط جوزيف أدوهو وصعود أقري جادين رئيساً لحزب سانو.) وأدى ذلك إلى زيادة فعالية نشاط الأنيانيا ضد حكومة السودان. وذلك بفضل الأسلحة التي تحصلنا عليها من الكنغو – وساعد كل ذلك في توسيع نشاط قوى المعارضة الداخلية ضد الحكم العسكري في الخرطوم، وقاد في النهاية إلى إسقاط النظام الحاكم من خلال انتفاضة شعبية واسعة، دعمتها القوات المسلحة. وهذا التغيير كان يمكن أن يكون لمصلحة قضية الجنوب، إذا كانت الحركة الجنوبية موحدة تحت قيادة واحدة. كان يمكنها استخدام الأسلحة التي ظلّت تصل الحركة في تلك الفترة وتحقيق انتصارات واسعة. وتطورات الأحداث كان يمكن أن تميل لمصلحة الجنوب وحركته – لكن لسوء الحظ، كما شرحنا، كانت الحركة تعاني انقسامات في قيادتها ووسط قوات الأنيانيا المكونة من وحدات قبلية صغيرة ومستقلة.

* مبادرة أقري جادين :-

بعد تغييرات القيادة، تحرك اقري جادين بسرعة وعقد عدة مؤتمرات صحفية في كمبالا بهدف تأكيد موقفه كرئيس لحزب سانو – وسافر، مع نائبه، فيليب بيداك، إلى ليوبولد فيل (الكنغو كنشاسا) لطلب المساعدة من حكومة تشومبي. ووقتها كنت في يوغندا لزيارة أسرتي ولشرح التغييرات السياسية لمجموعات الجنوبيين هناك– وبعد ذلك أعيد تعيين ابن قبيلتي، سافرينو فولي، بواسطة رئيس الحزب، في موقعه السابق وبقي في كمبالا لممارسة نشاطه هناك. وفي الوقت نفسه بقي جوزيف أدوهو وبانكرازيو وبقية أعضاء القيادة السابقة، بقوا في هدوء دون أي حركة

ملموسة، في انتظار ما سيقوله الأب ساترنينو - وكان موقف الأب، كزعيم للحركة، متحفظاً وغامضاً ولا أحد يستطيع التنبوء بما سيفعل بعد عودته من أوربا.

*** رحلة إلى ليوبولد فيل :-**

بعد أسبوع طلب جادين التحاقي به في الكنغو. وأرسل سيارة فلوكسواجن لترحيلي من حبيبو في منطقة قولو إلى ليوبولد فيل - وذلك لكسب الوقت واللحاق بأقرب طيارة في مطار عنتبي ومن هناك إلى الكنغو - وفي كمبالا وجدت سكرتارية جديدة، تضم :- لورانس وول، أوليفر باتالي ألبينو ومايكل وال دواني. وكانوا يبحثون عن مكتب ويخافون ألا يوافق الأب على القيادة الجديدة وأن يرفض العمل معها - ونتيجة لذلك قد يوقف دعمه للحركة تحت قيادتها الجديدة. وكانوا أيضاً يخافون قيامه بتكوين مجموعة جديدة مع أدوهو. وازدادت هذه المخاوف بشائعات تقول بأنه موجود في نيروبي وبأنه متحفظ في موقفه من القيادة الجديدة. والأسوأ أن الشائعات تقول انه يتصل سراً بالرئيس السابق. وكل ذلك دفع اقري جادين وزملاؤه للبحث عن مصادر دعم جديدة.

في كمبالا وجدت تذكرة الطيارة عند سفرينو فولي، ولم تكن هناك مشكلة في سفري، بحكم أنني احمل وثيقة سفر كنغولية. وصاحبني فولي إلى عنتبي، حيث سافرت إلى الكنغو في طائرة بلجيكية (سابينا) وكان ذلك في نوفمبر 1964- وفي ليوبولدفيل قابلني فيليب بيدال مع موظف من المخابرات الكنغولية. وبعد لحظات ابلغني فيليب وزميله بوجود الأب ساترنينو في المدينة. وأكد لي بأنه أتصل بهم، رغم انهم يعتقدون أنه غير مسرور بالتغييرات التي حدثت في القيادة. وكنت سعيداً بهذه الأخبا. فهي تعني أن الأب يفتح قلبه للحوار والمناقشة وانه قد يقبل العمل مع القيادة الجديدة في النهاية، تماماً كما فعل في مرات سابقة - واقترحت على الرئيس الجديد ضمَّه لوفدنا الذي سيتفاوض مع حكومة الكنغو. وكنت أرى أن مشاركته ستحقق هدفين، الأول انه يحمل رسالة بأن الحركة موحدة وليست منقسمة. وبذلك نقوّي موقفنا أمام الكنغوليين. والثاني أن مشاركته ستبعد أي مخاوف لقيامه بإنشاء

مجموعة منافسة لمجموعتنا. وبذلك نقرّبه منا على الأقل. ولكن ذلك لن يحدث، لأن جادين ينتظر الوقت المناسب ليشرح لي تقديره للموقف بشكل عام وخطواته في المرحلة القادمة.

بعد لحظات من لقائي مع أقري جادين، انسحب فيليب، الذي يحب الحياة، ليستمتع بليلته في مدينة ليوبولدفيل وعند انفرادنا أخبرني جادين أنه يرى أن مجيء الأب إلى هناك يستهدف الإعلان بأن أدوهو لا يزال هو رئيس الحركة. وواصل بأن الإعلان الذي نشره في مؤتمر صحفي في كمبالا حول التغييرات المتوقعة في القيادة، هذا الإعلان يمثل أساس تحركاته الحالية. واخبرني أيضاً أن الحالة العامة داخل الحركة ليست جيدة تماماً. وختم تنويره بتأكيد وجود وليم دينق في المدينة وبأنه يقدم نفسه كرئيس لحزب سانو، رغم انه يشغل منصب السكرتير العام. وأضاف أنه يرى ذلك كأنقسام فعلي في الحركة. وفي النهاية نصحني بالحذر واليقظة من الأب ساترلينو وفيليب بيداك. وعلمت منهم أن فيليب يلعب دوراً مزدوجاً وانه ليس مخلصاً لمجموعتنا، التي عينته نائباً للرئيس، وانه يتصل بوليم دينق بشكل سرّي، بعكس الأب الذي رفض مقابلتهما معاً في الفندق.

هكذا وجدت الحالة في ليوبولدفيل. واخبرني فليب بيداك انهم أرسلوا في طلب حضوري لأن السلطات الكنغولية طلبت حضور مسئولنا العسكري – وأضاف (إن مهمتي تنتهي هنا.) وبعد أيام معدودة سافر إلى كمبالا قبل نهاية مهمتنا مع الكنغوليين. وبذلك كان عليّ مواصلة العمل مع أقري جادين لوحده. وحسب جادين وفيليب، فقد كان عليّ مواصلة الحوار مع حكومة الكنغو. ولذلك كنت اذهب يومياً لمكتب المخابرات لمقابلة ضابط متقاعد من هايتي يدعى بول – واخبرني أنه كان لاجئاً من بلده وأنه تطوّع لخدمة المخابرات الكنغولية. وكنت أصله يومياً في العاشرة صباحاً لأغادره في الظهر– وفي حضوره كانت تتم كل الحوارات والمناقشات. وفي الفندق كان الأب ساترنينو يزورني يومياً بعد الظهر–وفي بعض الأحيان يأخذنا للفندق الذي ينزل فيه في الحي الأفريقي، وذلك بهدف الترويح

والونسة. وكنا ثلاثتنا نجتمع يومياً في المساء ونتسامر كأصدقاء ونداعب بعضنا البعض- وفي مساء أحد الأيام ذهبنا إلى ستديو تصوير لأخذ صور تجمعنا مع بعض. وعندما نظرنا إلى الصور، لاحظ الأب كأن صورة جادين لا تشبهه. فضحك وقال: (هذه صورتك. لكن، لماذا لا تشبهك؟ هكذا أنت؟) فغضب جادين، لكنه ابتسم. وبعدها ضحكنا جميعاً : الأب والمصور نفسه وشخصي. ثم تحركنا خارج الاستديو.

في مناسبة أخرى في منزل إحدى الأسر، الذي أخذنا إليه الأب، جاءني طفل وقفز بين ذراعي، فرفعته فوق صدري، كما نفعل عادة. وفي الفندق ذكر لي أقري جادين (هل لاحظت؟ حتى هذا الطفل السعيد لم يحرك الأب. لم يبدي أي اهتمام به. الأطفال ملائكة، يستطيعون قراءة قلوب الناس. يبدو أن قلبك جميل. ولذلك اختارك الطفل وقفز بين ذراعيك..).

*** أخبار جديدة :-**

في أحد الأيام أخذنا الأب ساترنينو إلى مبنى السفارة النيجيرية في الكنغو للزيارة والمجاملة. وعند الوصول قدمنا للسفير بأسمائنا والوظائف التي كنا نعمل فيها في السودان ودورنا الحالي في الحركة. ولدهشتنا قدم أقري جادين باعتباره رئيس حزب سانو بالوكالة – فغضب الأخير، لكنه كظم غيظه. وسارت الأمور كما هي. لذلك لم يلاحظ السفير أي اختلافات بيننا. وفي الرابعة مساء سمعنا أخبار البي. بي. سي، حيث علمنا بوفاة السير ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا العظمى أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد ذلك شاهدنا فيلم (الحرية) في منزل السفير. وكنا في حاجة لرسالة الفيلم في تلك الفترة. وهنا لا أستطيع أن احكي تأثيره على زميليَّ الآخرين، لكنه بالنسبة لي كان كبيراً. كان لتأثيره وللنصائح، التي سمعتها من مستر بول، دور عظيم في تجديد طاقاتي وتقوية معنوياتي لمحاربة نقاط ضعفي منذ ذلك الوقت واستمراري في محاربتها في الفترات اللاحقة، كانت رسالة لأفريقيا كلها وللعالم ولشخصي.

عند عودتنا إلى الفندق، سألني اقري جادين (لماذا قدمني الأب كرئيس بالوكالة؟ ومن هو الرئيس الفعلي؟) فقلت له (لا أعلم.) هزّ رأسه وقال (لا أستطيع فهم الأب.) وسألني مرة أخرى :(هل لهذا السبب أخذنا للسفارة؟) ويبدو أن أقري جادين كان منزعجاً لسلوك الأب في السفارة. وأنا أيضاً لم أكن مرتاحاً لذلك. كنت منزعجاً لسلوك الرجلين، وبدأت لا أطيق هذا الصراع التافه حول السلطة بينهما. وبدا لي أنهما قد نسيا الأهداف المشتركة التي جمعتهما مع بعض. وعندما وجدتهما يتحدثان حول مجيء للكنغو، جاءني شعور بأن هناك تقدماً في علاقاتهما. ولكن لم يكن تقديري سليماً. وبعد ذلك استعدت ما قاله جادين حول الأب وفليب عند وصولي للمدينة. ونتيجة لذلك وجدت نفسي متردّداً بين هذين الرجلين، اللذان يعيشان خلافات أكبر من ما كنت أتوقع. ولم يكن بمقدوري فعل شيء مفيد – فمنذ وصولي ظللت أحاول الاقتراب منهما. وشجعني على ذلك قيام الأب بزيارتنا في الفندق بشكل متواصل– ومع ذلك، هناك ما يربطني بهما. فالأب ترتبط جذوره بمنطقتي. وأقري يربطني به الانتماء للقداس الانجليكاني. كنت أتمنى أن يعملا معاً. وحاولت الصلح بينهما. ولكن خلافاتهما وضعتني في موقف حرج، لأنني لا يمكن أن أفضل أحدهما على الآخر – والأسوأ، أننا علمنا بعد أيام قليلة أن فيليب بيداك قد انشق وانضم إلى جناح وليم دينق، الذي أعلن عودته للخرطوم ومواصلة العمل السياسي من هناك. ومع كل ذلك، لم يثر الخبر أي دهشة. فأقري جادين أخبرني ساعة وصولي ونصحني بالحذر واليقظة في التعامل معه هو والأب ساترنينو.

*** إزعاج جديد :-**

في إحدى الأيام تركني أقري جادين مع الأب في البلكونة وذهب إلى غرفته. وبعد لحظات سمعنا صوتاً مزعجاً، كأن شيئاً قد انكسر، مع صراخ من الألم– وكان أقري وحده. فماذا حدث؟ هل جرح نفسه؟ دخلت الحمام وسألت: ماذا حدث؟ كان أقري يتألم. فقد جرح أحد رجليه وانكسر كرسي المرحاض. وعندما جاءنا حاول الأب إسعافه بالإسعافات الأولية التي يحملها في شنطته – لكنه غير رأيه بسرعة

بعد رؤية الجرح، وأقترح مصاحبته لأقرب مستشفى. وهنا كان الأب مفيداً، بحكم معرفته بالمدينة ولغتها الفرنسية. وبعد اكتمال معالجته عدنا إلى الفندق. ووجدنا هناك تجمعاً وهياجاً كبيراً. فقد وصلت الأخبار إلى مدير الفندق. وكان قلقاً ينتظر عودتنا. وعند اقترابنا منه صاح فينا: (ماذا أفعل لكم؟ هل انتم ثلاثتكم مجانين؟ كيف تكسرون كرسي المرحاض؟ ألا تعرفون كيف يستخدم؟) وضحك الأب حتى كاد أن يقع على الأرض. فهو يعلم أنه ليس من هؤلاء المجانين الثلاثة. كان المدير يظن أنه فليب بيداك، الذي كان معنا. أما أقري جادين وشخصي، فقد دخلنا في ربكة فظيعة. استمر الرجل في حديثه. وعندما لاحظ رجل أقري جادين، اعتقد أنه هو الذي كسر كرسي المرحاض. فاتجه نحوه وقال: (..أخبرني، كيف حدث ذلك؟ أي مرحاض سوف تستخدمه بعد هذا؟) جمعت قواي وقلت له:(لا تصرخ فينا بهذه الطريقة. ماهي تكلفة الكرسي حتى ندفعها؟) وساعتها هدأ صوته وقال: (من الآن أذهبوا إلى ذلك المرحاض، المرحاض العام، حتى نصلح مرحاضكم. لا تكسروه مرة أخرى.) وكل الضيوف المتجمعين في الفرندة كانوا من البيض. كانوا ينظرون نحونا. لكننا لم نهتم بهم- فلا أحد هناك يعرف من نحن وسنغادر الفندق بعد فترة قصيرة.

رجعنا إلى البلكونة. وبعد لحظات اعتذر الأب للعودة إلى فندقه. صحبته لأودعه حتى الشارع. وفي الطريق قال لي (أنظر، أي دولة سيكون رئيسها مثل هذا الرجل؟ هل سيقوم بكسر كراسي المراحيض في أي دولة يذهب إليها؟ ياله من تخلف! لماذا لا تستقروا معنا، أنت وناسك، في الضفة الشرقية؟ هل تتبعه لأنه بروتستانت مثلك؟) وتوقفت في جملته الأخيرة وقلت له: (لا يا سيدي الأب. لم اختار أياً منكم بسبب دينه.) ولم اجب على اسئلته الأخرى. وظللنا نتحدث حتى وصول التاكسي.

وعند عودتي للبلكونة بدأ أقري جادين يتكلم: (عزيزي، أن الأب سيخلق دون شك موضوعاً من هذه الحادثة. سوف يقول أنني متخلف.) لم يكن يدري أن الأب

قد وصفه بذلك التخلف. ولكني لم أقل له إلا بعد فترة طويلة بعد اتفاقية السلام 1972 – ففي وقت كنت أتحدث فيه عن تجربتي السابقة ذكرت ذلك لأنيس حجار، صديقنا الذي لم يتدخل في خلافاتنا السياسية. المهم، حدثته هو نفسه بذلك. وقلت له إن ما حدث كان يمكن أن يحدث لي وأن حديث المدير كان سخيفاً.

*** لقاء مع الكولونيل بول :-**

لقد حاورني الكولونيل الهايتي، مستر بول، نيابة عن المخابرات الكنغولية. وتركز اهتمامه الرئيسي في تنظيمنا السياسي والعسكري. وطلب مني معلومات عن قيادتنا التاريخية: الأب ساترنينو، جوزيف أدوهو ووليم دينق. وشملت المعلومات:

- مستوى تعليمهم.
- وظائفهم السابقة قبل العمل السياسي.
- دورهم في البرلمان.
- كيف ومتى تركوا السودان.
- مصادر تمويلهم في المنفى.

وطلب أيضاً معلومات حول القيادة الحالية: أقري جادين وفليب بيداك:

- كيف ومتى تركوا السودان.
- مستوى تعليمهم.
- وظائف العمل قبل العمل السياسي.
- مقبوليتهم لخلافة القيادات السابقة.

كان أيضاً يريد مقارنتي الخاصة بين القيادة الحالية والسابقة، بالإضافة إلى تقييمي للاستقرار السياسي في جنوب السودان مستقبلاً. وحول تنظيمنا العسكري كان يريد معلومات حول فرقة الاستوائية، قوتها قبل حلّها وكم عدد أفرادها الجاهزين للعمل العسكري. وسأل عن حركة الانيانيا وقيادتها ودوري في الحركة قبل وبعد اجتماع 1964؟ وهل تعتبرني الأجنحة المتصارعة شخصاً محايداً؟ وسأل

أيضاً عن المساعدات العسكرية التي نحتاجها وكيف يمكن توصيلها إلى الميدان من الحدود الكنغولية وأي الطرق يمكن استخدامها لهذا الغرض؟ وسأل كذلك عن حصول سمبا على الأسلحة من السودان، وحول إمكانية مساهمة الانيانيا في قطع طرق إمداد سمبا من جنوب السودان. وكان يريد معرفة قوة الانيانيا وإمكانياتها لنشر قوات على طول الطريق الرئيسي حتى حدود الكنغو. وسأل عن مستوى تعليمي وتدريبي وفترة خدمتي قبل هروبي منها وأسباب الهروب...الخ. واستمرت لقاءاتي مع مستر بول لمدة شهر كامل. كان يسأل وأنا أجيبه. وحذرني من توصيل أي معلومات عن هذه اللقاءات لقيادتي السياسية. وإذا سألوني عليّ أن أقول أنني كنت أدرس معهم كيفية تسليم المواد لقوات الأنيانيا- وشعرت أنه يحاول زرع آسفين بيني وبين القيادات السياسية. ولكني التزمت بتوجيهاته وقدرت قيمتها عندما رأيت أن السياسيين يحبون الكلام في كل شيء دون وضع أي اعتبار لسرّية بعض المعلومات. فالسرّية كانت ضرورية، خاصة في مرحلة صراعات أقري جادين والأب ساترلينو. وكلاهما كان يمكن أن يقوم بنشر ما دار في تلك اللقاءات لمجرد الاستعراض.

كان بول يبدو سعيداً بإجاباتي. وكنت صريحاً معه حول أحوالنا العامة وحول نفسي. وكنت صريحاً عندما قلت له أنني وقتها أقف مع أقري جادين، الذي طلب حضوري للكنغو- وقلت له رأي بوضوح في أدوهو والأب ساترنينو. وفي الوقت نفسه ساعدني بول بمحاضرات حول حرب العصابات وإدارة القوات غير المنظمة وكيفية السيطرة عليها- وسلفني كتاباً حول التمرد والعصيان العسكري ونصحني بقراءته ودراسته حتى أعرف بعض تكتيكات القوات الحكومية، واخبرني أنني، كقائد لمجموعة حرب عصابات، احتاج لمعرفة كيف تعمل القوات المنظمة لتحطيم قواتي غير المنظمة. ونصحني بمحاربة نقاط ضعفي كإنسان بقوله: (..أشعر بأنك غير سعيد مع جوزيف أدوهو وبدرجة أقل مع الأب ساترنينو، تقول

انك جئت من نفس منطقتهم، لكنك من قبيلة أخرى، وانك من البروتستانت وهم كاثوليك.. لكن وأنت في الحياة العامة عليك أن تتعلم كيف تتعامل مع مثل هؤلاء، مع أناس لا تحبهم في الظروف العادية ..عندما يزور رؤساء الدول بعضهم لا يعني ذلك أنهم يحبون بعضهم البعض- هذه الزيارات هدفها تعزيز الناس الذين يمثلونهم. لذلك يحسنون استقبال بعضهم البعض- هذا يجب أن يكون منهجك مع مثل هؤلاء... هناك هدف مشترك يجمعك مع الأب وأدوهو وجادين. ولتصل إلى هذا الهدف، يجب أن تعمل معهم، إذا كنت تحبهـــم أم لا فالإنسان يكتمل نضجه عندما يكون قادراً على مقاومة نقاط ضعفه لمصلحة المجتمع الذي ينتمي إليه. لاحظت أن جادين والأب يتصارعان لكسب موقفك. كل واحد يريدك أن تقف بجانبه – عليك مقاومة مشاعرك الخاصة عندما تبدو أنها تعرقل أهدافك العامة. عليك العمل كشخص عام.).

لقد استمعت إليه كابن مع والده – كان رجلاً نبيلاً. وما تعلّمته منه أكدت الأحداث أهميته الكبيرة في حياتي، كقائد لقوات الأنيانيا وكسياسي في فترة لاحقة.

*** مغامرة :-**

بعد محاوراتي ومناقشاتي معه، تقدم مستر بول نيابة عن الحكومة الكنغولية بمساعدات عسكرية كبيرة لقوات الأنيانيا عن طريق بحيرة ألبرت- وإذا قبلت هذا الاقتراح عليَّ أن أجهز مركبا مناسباً من الشاطئ اليوغندى، لأنه لا توجد مثل هذه المراكب في الشاطئ الكنغولي، وأن أحمل المساعدات إلى مكان محدّد وفي وقت محدّد مع الحكومة الكنغولية وتسليمها في مكان قريب من نمولي لمجموعة تحضر هناك عن طريق حديقة نمولي للألعاب. وبعدها ترجع المركب إلى موقعها الأصلي. وأكد مستر بول توفير المال اللازم لذلك- ولكنني شعرت بأن اقتراحه لايمكن تنفيذه بسهولة. فطلبت دراسة الفكرة بعد ذهابي إلى كمبالا في يوغندا وبوتيابا في شاطئ البحيرة لمعاينة المشاكل في أرض الواقع. ورحب صديقنا بالفكرة وطلب مني

الاتصال به ووضع أقرى جادين في الصورة حتى يعرف أن الحكومة الكنغولية جادّة في مساعدتهم. وطلب أيضاً تبليغه للحضور معي بعد غد للقاء مع مستر فيكتور نانداكا، رئيس المخابرات الكنغولية. وذلك لتبليغنا رسائل من رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة. وأشار بول إلى خلافات بين الرجلين وأشياء أخرى. ونصحني بعدم تنوير الأب بما حدث، لأنه ليس عضواً كاملاً في وفدنا.

في صباح اليوم التالي، جاء بول وأخذنا إلى منزله، حيث كانت تعقد لقاءاتنا، وذلك للقاء مستر نانداكا وإنهاء زيارتنا. وبعد فترة وجيزة حضر القائد إلى المنزل وانتهى حديثه في وقت وجيز. ولكن بول حاضرنا في المجالات السياسية والعسكرية ونصحنا بإلغاء الرتب العسكرية بهدف توطيد الانسجام والوحدة الداخلية. وذلك لأن الحكومة الكنغولية تريد مساعدتنا كحركة موحدة. وأشار إلى أن ذلك سيجد نفس الاهتمام من أي مؤيدين ومانحين آخرين. وقال إنهم جادون في مساعدتنا وأن المشكلة هي طريقة التسليم. وهذه المشكلة سيعالجها معي. ولهذا السبب سأسافر إلى يوغندا- وسأل بول مستر جادين لمساعدتي في تنفيذ هذا المشروع في سرّية كاملة. وتركيزه على السرّية كانت له أهمية في مثل هذه العمليات. وقال إن ما يحتاج رئيس الحركة وقائده العسكري لمعرفته يجب أن لا يتسرب إلى آخرين. وبذلك أنتهي حوارنا في أولى زياراتنا للكنغو. وبعد ذلك وفر لي احتياجات المشروع الجديد. وتناولنا العشاء معاً ثم تركته مع أقرى جادين. وبعد عشرين دقيقة أنتهي لقاؤنا معه. وأرجعنا إلى الفندق بسيارته وسلمنا لإدارة المخابرات لتسهيل عودتنا إلى يوغندا.

بعودتنا إلى كمبالا تركنا الأب ساترنينو يواصل برنامجه الخاص. ولم نقابله بعد ذلك حتى يونيو 1966 في الغابة بالقرب من براجوك في الضفة الشرقية. وقد أخبرني جادين بأنه قابله لاحقاً في نيروبي، حيث وجده مختلفاً عن الأب الذي عشنا معه في ليوبولدفيل- وفى كمبالا علمنا أن الأب طلب من أدوهو مقابلته في نيروبي. وبعد ذلك أعلن الأخير رئاسته لتنظيم جديد، هو جبهة تحرير أزانيا **ALF**

وانضم إليه بانكرازيو أوشنق وجورج كواني. وفى هذا الوقت تحركت سكرتارية سانو إلى مكان جديد في أحياء كمبالا- وفى صباح اليوم التالي تحركت إلى بحيرة ألبرت للبحث عن مركب لاستئجاره حسب الخطة. وهناك رأيت مركباً في الرصيف عند دخولي إلى بوتيابا، الميناء الرئيسي في الشاطئ اليوغندى. وعلمت أن صاحبه من الموزنقو (البيض) ويعيش في مزرعة بن بين الميناء وماسيندى. وهناك، عندما نزلت من السيارة، جاء هذا الموزنقو يمشى نحوي. وسألني (هل يمكنني مساعدتكم ؟) قلت له كنت في البحيرة أبحث عن مركب للاستئجار. فوجدت مركباً مناسباً يقال أن صاحبه في هذه المزرعة، واعتقد أنه أنت. فقال لي :(نعم والمركب للإيجار.) قلت له أريد أن أتحرك عبر البحيرة لمدة يومين أو ثلاثة. كم يكلف ذلك ؟) فأجابني باندهاش (عبر البحيرة ؟ دعني من مسائل السياسة هذه. إذا الحكومة غداً علمت أن مركبي يعبر البحيرة، سوف أدخل في مشاكل صعبة.) ونظر إليّ ملياً وقال (يبدو لي أنك لست من هذه المنطقة.) قلت له (ليس بالضبط. أنا تاجر أبحث عن طريقة لتنمية أعمالي التجارية. التجارة دائماً تأخذ الناس خارج مناطقهم المعروفة. وأنا هنا ليس لوضعك في مشاكل، فقط أريد استئجار المركب. وإذا كان ذلك يسبب لك مشاكل سأتركك. مع السلامة.) وهكذا ركبنا سيارتنا باتجاه كمبالا- ومنذ تلك اللحظة بدت لي صعوبات المشروع وقدمت تقريراً بذلك لأقرى جادين. ومنذ البداية كنت أشك في نجاحه، لكن لم أشرح رأى حتى لا أبدو متشائماً. ووقتها شعرت أنه يمكن تقديم بدائل مناسبة. تركت كمبالا إلى ليرا لقضاء فترة مع أسرتي.

سافرت إلى ليوبولدفيل، حسب الخطة، ونزلت في فندق أستوريا. وفى صباح اليوم التالي وصلني مستر بول في الفندق وأخذني إلى منزله، حيث قدمت له تقريراً بملاحظاتي حول رحلتي إلى البحيرة وشرحت فيه وجهة نظري الحقيقية الخاصة بصعوبات المشروع وضرورة البحث عن بديل- وأخبرته أن مركب الموزنقو قد يكون مناسباً إذا سمحت الحكومةُ في الطَرف الآخر باستخدامه.. لم يناقشني، بل

اقترح أن نلتقي غداً لمواصلة الحديث. ففكرت كثيراً في الموضوع ولكني لم أجد أي اقتراح عملي حتى صباح اليوم التالي.

*** مؤتمر المائدة المستديرة :-**

في الخرطوم جاءت حكومة مدنية بعد سقوط حكومة الجنرال عبود، حكومة انتقالية برئاسة المعلم/سر الختم الخليفة ومجلس سيادة من خمسة أشخاص. وكانت تتعرض لضغوط عديدة للوصول إلى حلّ سلمى للنزاع القائم في البلاد. ولذلك دعت إلى مؤتمر سلام يشارك فيه الجنوب. ووجدت الفكرة قبولاً من الجنوبيين واختلفوا حول مكان انعقاده. الجنوبيون في داخل السودان أرادوا أن يقام المؤتمر في جوبا، بينما فضل السياسيون في الخارج مكاناً أكثر حياداً، لأنهم يعتبرون جوبا تحت الاحتلال الشمالي وبالتالي لايمكن أن تكون آمنة بالنسبة لهم. وبعض المثقفين الجنوبيين والليبراليين الشماليين، الراغبون في تحقيق السلام، بدأوا في إرسال وفود إلى الخارج لإقناع السياسيين في البلدان المجاورة بالمشاركة في هذا المؤتمر في جوبا، عاصمة الجنوب. وبعض هؤلاء الجنوبيين قام بدور هام في التسوية التي تمت في 1972- وفى ذلك الوقت، على أي حال، كانت أحداث 1964/12/6 في الخرطوم لا تزال حيَّة في أذهان الجنوبيين وبعض اللاجئين أنقذته الأقدار من مجزرة بشعة. لذلك كان السياسيون الجنوبيون في الخارج لا يثقون في عقد مؤتمر داخل السودان- وفى وقت لاحق قرر عقده في الخرطوم لأسباب لوجستية وأمنية. وهذا التغيير كان يناسب رغبات الأحزاب الشمالية. وبعد جهود كثيرة عقد المؤتمر في الخرطوم في 1965/3/16 بوجود مراقبين من الأقطار الأفريقية العربية والسوداء (غانا، نيجيريا، يوغندا، الجزائر ومصر.) وأرسل حزب سانو (الحركة الأساسية في الخارج) وفداً كبيراً بقيادة رئيسه أقرى جادين بعد أن أكدت يوغندا ضمان سلامة ذهابه وعودته. أما السياسيون الآخرون، بما في ذلك الأب ساترنينو، زعيم الحزب، وجوزيف أدوهو، الذي فقد موقعه، فقد

كانوا متمسكين بملاحظاتهم السلبية حول إرسال وفـد إلى الخرطوم (أصرُّوا على موقع أكثر حياداً.).

في هذا الأثناء كانت الأنيانيا مشغولة بتسليح قواتها- وكنت شخصياً موزعاً بين ليوبولدفيل وعنتبي، بل طرت من ليوبولدفيل إلى بولس وحديقة قرامبا لتسهيل تسليم الأسلحة المقدمة للحركة. وكان بعض جنود الانيانيا يقومون بجمع أسلحة قوات سمبا الهاربة من الكنغو إلى داخل السودان. وكانوا يتظاهرون بتبعيتهم لحكومة السودان لحماية الحدود- ولذلك كانوا ينزعون سلاح الهاربين لمصلحة الانيانيا. وآخرون كانوا يتحصلون على السلاح مقابل الغذاء الذي يحتاجه جنود سمبا (حركة تتبع للزعيم لوممبا) وهكذا ازدادت إمكانياتنا من الأسلحة والمعدات. ومن جانبنا، كمقاتلين من أجل قضية عادلة، لم نشغل أنفسنا بمشكلة المؤتمر- فقد كان واضحاً لنا أن المؤتمر يمثل عبثاً لا جدوى منه. ولذلك ركزنا على تسليح قواتنا بقدر ما نستطيع.

*** مغامرة أخرى :-**

فكر المستر بول، الصديق الهايتي، في إنزال المساعدات بالبرشوت في مناطق الحركة- وسألني عن خبرتي في مثل هذه العمليات، عندما تقطع الطرق العادية. وحقيقة ليس لي خبرة في هذا المجال- لذلك بدأ بول يلقى على دروساً حول تفاصيل عديدة، نظرية وعملية. وقدم لي لويس، شاب من جذور أفريقية من جواتيمالا، كرفيق مناسب لمرافقتي، بحكم مظهره ومعرفته في أجهزة الراديو- وأشار إلى أننا سنسافر إليه في الشمال الشرقي قرب الحدود. ومن هناك يمكننا دراسة الحال عن قرب وسوف نتمكن من معرفة طريقة لأخذنا (أنا ولويس) إلى الحدود والاتصال بقوات الأنيانيا وتجهيز منطقة إسقاط المواد- وسيقوم لويس بالاتصال بالقاعدة لإسقاط الإمدادات.

شعرت بأنها خطة مقنعة ومحكمة. فوافقت عليها وبدأت أحس بجدّية الحكومة الكنغولية في مساعدتنا. ورحبت بلويس وأعجبت به. وبادلني نفس المشاعر. وفى

يوم لاحق سافرنا إلى لويس في بولس (مدينة استعيدت للتوّ من قوات سمبا المتمردة) حتى نعاين الحال في الميدان- وفى بولس أخذنا قائد القاعدة بسرعة إلى ميز الضباط- وكان، مثل بول، أمريكياً من أصل أفريقي. والطيارون كانوا كوبيين لاجئين في أمريكا. وقام القائد بتنويرنا عن الحالة الأمنية والنظام المتبع في المدينة وأهم الإجراءات الخاصة بالحركة ليلاً. وشعرنا بأن هذه الإجراءات تتضمن تمييزاً بين الأفريقيين والآخرين، فرغم تطبيقها على لويس وشخصي (الذي يشبه السكان المحليين) فقد أستثنى بول الذي يحمل جذوراً هندية ويبدو شكله مختلفاً. وشعر بول بمشكلتنا ووعد بمعالجتها مع قائد القاعدة- لكنه نصحنا بتحاشي الحركة بعيداً عن المبنى حتى يتضح الأمر. وذلك لضمان سلامتنا. تناولنا العشاء مع الضباط وبعدها ذهبنا لننام بعد تعب النهار. وفى الصباح تحدث معنا القائد بعد الفطور- وقال (أقدر مشاعركم لأنني من جذور أفريقية كما ترون- ولكن الجنوب أفريقيون، الذين دخلوا المدينة في البداية، هم الذين أصدروا هذه الإجراءات. علمت أنكم جئتم لعمل خاص مرتبط بالجيش الكنغولي. سأنبه كل المرتزقة البيض بوجودكم. لكن في الوقت الحالي كونوا حذرين في تحرككم- الحركة بالسيارة أفضل لأن جنود سمبا لا يستخدمونها. هذه السيارة لاستخدامكم.) وبعد ذلك رجع بول إلى ليوبولدفيل وتركنا مع قائد القاعدة والطيارين الكوبيين.

*** الجنوبيون في بولس :-**

كنت أدرى بأن هناك جنوبيين في المدينة كلاجئين، خاصة من أبناء بحر الغزال وقبيلة الدينكا. لذلك قصدت التجول بالسيارة حتى يروني وأتعرف عليهم. في مرة حدّدت مجموعة معينة وأخذت لويس وتحركنا نحو المنطقة. فشاهدناهم وحدّدناهم- وقلت للويس أنهم زملاء يمكن الاستفادة منهم عند الضرورة- ولاحظت أن الجنوبيين في المدينة كانوا يتابعونني أيضاً. ففي أحد الأيام، أقترب مني شاب طويل (يبدو أنه من الدينكا) ونظر إليّ، كأنه يريد أن يتأكد من أكون، وذهب في حاله- لذلك كان لابد أن أعرض نفسي عليهم. وأخبرت لويس بذلك. وفى أحد الأيام

تناقشت معه حول تحركنا إلى مجمعهم وتقديم نفسي إليهم. وقلت إن ذلك ضروري حتى يتعرفوا على مهمتنا. وإذا عرفوا أن الحكومة الكنغولية تدعمني، فإن ذلك سيكون مفيداً في تشجيعهم للتعامل معنا- وافق لويس على الفكرة وذهبنا إلى هناك بالفعل- وعندما وقفت السيارة تجمعوا كلهم حولها وقدموا لنا التحايا. ويبدو أنهم سمعوا بوجودي في المدينة وكانوا يأملون في مقابلتي. فقد ذكر أحدهم بأنه سمع بانضمامي للحركة وبعضهم يعرفني شخصياً. قدمت لويس ونفسي للتجمع وجلسنا معهم وتناقشنا لأكثر من نصف ساعة. ورجعنا للميز بثقة زائدة. فقد وجدنا زملاء يمكنهم مساعدتنا في العملية المخطط لها- وكنت سعيداً بمقابلتهم، لأنهم سيقولون أنهم قابلوني في بولس في فبراير1965 إذا انتهت مهمتنا بكارثة. وكذلك رأيت السعادة في وجه لويس.

*** الحاجة إلى زملاء أكثر :-**

رجع بول من ليوبولدفيل بعد أسبوع تقريباً وأعلمنا أن طيارة الهيلوكبتر ستكون جاهزة خلال أربعة أيام لتأخذنا إلى الركن الشمالي من حديقة العاب قرامبا تحت حماية **DC 3**- وتشجعت وأخبرت بول بأنني وجدت بعض الجنوبيين السودانيين في المدينة. وإنني أعرف بعضهم وأننا سنحتاج لخدماتهم في أيامنا المقبلة. وقلت له لقد فكرت في لقائهم لأننا سنحتاج إليهم، وفي تقديري إن استجابتهم ستكون جيدة. أوضحت له أن هؤلاء لا علاقة لهم بجنود سمبا. ووجد ذلك موافقته. وقال أنه من الأفضل أن تكون لنا علاقات مع المناطق المعادية (مع سمبا في الكنغو والجيش الحكومي في السودان) واقترح أن نطلب متطوعين في ظهر اليوم الأخير. وتقبل اقتراحنا بحاجتنا لمجموعات كبيرة لحمايتنا وسلامتنا.

وبعد أربعة أيام فقط من وصوله، وصلت طيارة هيلوكبتر ضخمة إلى بولس ونزلت بالقرب من ميز الضباط. وتبعتها طيارة أكبر حجماً من التي وصلنا بها إلى المدينة. وأخبرني بول بأن هذه الطيارات ستكون في خدمة مهمتنا وعليَّ إبلاغ الجنوبيين السودانيين بمغادرتي قبل يوم واحد. والواقع أني أبلغت بعضهم فعلاً.

وتحركت إلى مجمعهم مع لويس، كفني راديوهات، لأخبرهم بأن وقت التحرك قد حان. وعندما وصلنا تجمعوا حولنا وسلّموا علينا بحماس شديد. فقلت لهم (إن قليلين منكم قد يدركون سبب وجودي هنا في بولس. وللذين لا يعلمون ولأجل أن نكون واضحين معكم، سوف أشرح لكم لتكونوا في صورة ما يجري. وجودي هنا مع صديقي لويس للبحث في إمكانيات تسليم أسلحة ومؤن لقوات الأنيانيا. وأشقاؤنا الأفارقة، خاصة الكنغوليين، مستعدون لمساعدتنا حسب طلبنا. وهم الوحيدون الذين قدموا لنا مساعدات حتى الآن. والدليل يتمثل في طيارة الهلوكبتر والطيارة الأخرى التي تقف الآن بالمطار- وهذه الطيارات جاهزة لاستخدامها منذ صباح الغد. وأنا ولويس سنقوم بتنظيم تسليم الأسلحة لقواتنا عن طريق الجو- وفي هذا العمل نحتاج إلى متطوعين لزيادة قوتنا العاملة. وهذا ضروري في منطقة تنتشر فيها قوات العدو (سمبا من جهة والجيش السوداني من جهة أخرى) الهلوكبتر ستأخذ لويس وبعض المتطوعين منكم وشخصي الضعيف إلى منطقة الحدود. وبعدها ستنزل الطيارة المواد والأسلحة وبعضكم في منطقة فاراج- وستأتي الهلوكبتر لنقل تلك المجموعة..).

كانت فرصة ثمينة بالنسبة لهم. فتطوعوا جميعهم للذهاب معنا. ومعظمهم كان من الدينكا وبعضهم من الفرتيت بغرب بحر الغزال - أخبرتهم بعد ذلك بأنني سأرجع لكم مع منظم المشروع الذي يأمل في لقائكم. وهكذا رجعنا إلى الميز مسرورين بنتائج اللقاء. ورجعنا مباشرة لاختيار الرجال الذين نحتاجهم. وفي المجمع تجمع الرجال بسرعة. وقدمت لهم بول باعتباره مدير المشروع. واخبرهم بأن المهمة ستبدأ غداً وطلب من المتطوعين التقدم إلى الأمام - فتقدموا كلهم- أعجبه هذا التحرك واقترح أننا سنأخذ 12 شخصاً فقط (حسب طاقة الطيارة) وأذكر من الأسماء التي تم اختيارها:- وليم حسن، فرتيت، من بحرالغزال، أيمانويل أيور نيال، دينكا من قوقريال في بحر الغزال، فليب قانق، دينكا من أويل ببحر الغزال، جويل رون، دينكا جوك من البحيرات، أندرو أيثال، دينكا بور بأعالي النيل وفبز

كونغو، دينكا بور. وبخلاف الأخير ووليم حسن، كانت البقية من طلبة رمبيك الثانوية الذين تركوا السودان خلال إضراب 1962. وأثناء عودتنا إلى الميز قال بول (ربما كان أجدادي من جنوب السودان وربما من الدينكا تحديداً.) فقد تأثر كثيراً بأجسامهم ووطنيتهم. وهكذا جمعنا كل هؤلاء وسته آخرين لا أذكر أسمائهم. وكلهم كانوا شباباً غامروا بحياتهم من أجل وطنهم العزيز.

في الرابعة والنصف في صباح اليوم التالي، جمعناهم من مجمعهم للانضمام إلى مغامرتنا، المغامرة الثانية بالنسبة لي خلال شهرين- وشعرت بالارتياح لأن أيام دراستي قضيتها وسط الدينكا- ولأنني أعرفهم أكثر من زملائي في الاستوائية. فقد كنت أثق فيهم. وتحركنا من مطار بولس ونزلنا في الجزء الشمالي لحديقة العاب قرامبا- وبقية المواد شحنت في الطيارة الأخرى التي نزلت في منطقة فاراج، حيث عادت الهلوكبتر وأخذت المواد وممتلكات الموظفين والأسلحة وغيرها. وفي هذا الأثناء بقي بول ليراقب الموقف حتى النهاية. وهنا شاهدنا مئات من جنود سمبا يتجولون في المنطقة ويحاولون الهروب إلى داخل السودان ويسلمون أسلحتهم لقوات الانيانيا – ووقتها كان مرتزقة جنوب أفريقيا وجندرمة كاتنقا يسيطرون على المدن والطرق – لذلك كان الهدوء والصمت أفضل دفاعاتنا حتى نتصل بقوات الانيانيا في المنطقة ونوسع عدد المساعدين. وقد قال بول علينا الانسحاب إلى فاراج في حالة حدوث أي مشاكل وأشار إلى أن القوات الكنغولية في المنطقة على علم بمهمتنا في حديقة الألعاب. وعادت الهلوكبتر حيث أسقطت حمولتها وأخذت بول، بينما كانت الطيارة الأخرى تحوم في سماء المنطقة. وخلال لحظات أصبحت السماء صافية ونحن في حديقة الألعاب.

*** في حديقة الألعاب :-**

في الحال قمنا ببناء سواتر مؤقتة. فالموسم يتميز بأمطار الظهيرة العنيفة. ولحسن حظنا لم تشهد الأيام الأولى أي أمطار- لذلك واصلنا العمل في بناء السواتر. وفي هذا الأثناء قررت الذهاب مع شخص آخر إلى المعهد الكاثوليكي في

توري، أقرب محطة داخل السودان، بالقرب من الكبرى الذي حاولنا تحطيمه في فترة سابقة. وكنت آمل في التعرف على المحيط المحلي لوحدات الأنيانيا، خاصة المجموعة الثانية، التي قدتها في عملياتنا الأولى- وشعرت أن مجموعة المعهد يمكن الدخول عليهم دون مشاكل، مقارنة بالسكان المحليين الآخرين - وكان أندرو أثيل أول المتطوعين بمشاركتي في هذه الزيارة. ولم يقتنع الآخرون إلا بعد تأكيدي على مشاركتهم في زيارات ومهام عديدة في المستقبل. تحركنا نحو توري بعد الفطور على ظهور دراجاتنا وسط الحشائش والغابات. وكنا نتابع طرق سير الأفيال عبر منطقة الحدود وطريق مريدي/ ياي- وحتى لا نضل الطريق تابعنا ضفة نهر توري، التي تقوم عليها الإرسالية الكاثولوكية. وفي الثالثة ظهراً وصلنا إلى هناك. وحاولنا أن نتصرف كأناس معتادين على المنطقة. وعند مقابلتنا أول مجموعة من المعهد سألنا عن القسيس، الأب أدلندو فولي. فقادونا إلى مكتبه. ورحب بنا بطريقة ودودة. وعندما قدمت له نفسي، قادنا إلى إحدى الغرف ونصحنا بقضاء بقية العصر معه ضماناً لسلامتنا. أخبرته بأنه يمكننا أن نتسلل داخل الغابة عند سماع أصوات سيارات الحكومة. واخبرنا أنه لم تكن هناك أحداث عدائية في المنطقة وإن وقف إطلاق النار يبدو مستمراً طوال الفترة الماضية. أضاف أن الجيش لم يدخل الإرسالية حتى الآن، وحتى إذا جاءوا، فليس هناك مشكلة، إذا بقينا في داخل حجرتنا هذه. ومع أننا لم نلتقي قبل ذلك، فإننا ننتمي لمنطقة واحدة ونعيش في قريتين متجاورتين. فهو من قرية أسوا وأنا من نمولي ونعرف أسماء بعضنا. ووالده، دوناتو فولي، كان يعمل في الري المصري، مسئولاً عن قراءة مستوى نهر أسوا. وكان معروفاً لوالدي. ومن خلال هذه العلاقات شعرت بأنني يمكن أن أثق فيه وأقابله دون أي خوف. وهكذا قضينا بقية نهارنا في المعهد- وفي هذا الأثناء استفدت من وقتي في معرفة أحوال قواتنا وقياداتهم وسلوكهم وعلاقاتهم مع السكان المحليين وزعماء القبائل...الخ وأكد القسيس أن العلاقات بين الأنيانيا والسكان جيدة، ولكنها ليست بنفس المستوى بين الزعماء المحليين وقيادات الأنيانيا - هناك تنازع

حول السلطات بين هؤلاء، وبعض قيادات الانيانيا تتسبب في إزعاج الإرسالية. وذكر أن أحد هذه القيادات أوقفه مرة وطلب منه توصيله بسيارته إلى المدينة. ولحسن الحظ لم يقابلوا أي عسكري في الطريق. وفي الغداء اجتمعنا مع هيئة المعهد وقدمني القسيس بشكل واضح لبقية القسس. وأعطاني فرصة الحديث معهم، حيث تعرفت على القائد المحلي، ماندي. وعلمت أن رئيسه المباشر، فليب أنقوتوا، كان يزوره باستمرار- وأكدوا لي أن ماندي رجل مسئول ويحترم نفسه، بعكس فليب، الذي يمثل مصدر إزعاج ومشاكل حيثما يذهب. واخبروني أن معسكر ماندي ليس بعيداً من هنا، ساعات قليلة بالدراجة. وأكدوا لي أنهم سيتصلون به في الصباح ويطلبون حضوره- وهذا يعني قضاء يوم آخر معهم. كنت غير مرتاح، لكن ليس هناك خيار آخر- المهم، سعدت بظهور ماندي وهو يقود دراجته في ظهر اليوم التالي. وحمدت الله وشكرته بأننا لن نكن عنصر إزعاج وخطر لمضيفينا أهل المعهد - وكان ماندي مسروراً بلقائنا. فاقترح أخذنا إلى معسكره لإكرامنا وتنويرنا بنشاطه. وبعد شكر الأب أدلندو وزملاءه، تركنا الإرسالية واتجهنا إلى المعسكر- وهناك نورني ماندي بالتطورات التي حدثت في المعسكر منذ أن تركت المنطقة قبل سنتين. وقال لي إن النواة الأولى قد نمت وتطورت إلى كتيبة عصابات مقسمة إلى مجموعات، وأنه يقود إحداها (تضم منطقة عملياتها منطقة الزعيم أمبانقو شرق مدينة مريدي.) وأضاف إن هذا الزعيم قد انتهى (بمعنى أنهم قتلوه) وأبدى أسفه على ذلك، كما وضح في تعبيراته. وموقف هؤلاء الزعماء كان صعباً، لأنهم كانوا مشدودين بين قوات الأنيانيا والقوات الحكومية، وعليهم اتخاذ موقف مع أحد الجانبين. فالذين يقفون مع الأنيانيا يضطرون لترك منازلهم والتحرك للغابة أو الخارج ليعيشوا كلاجئين في البلدان المجاورة- والذين يقفون مع الحكومة، فإنهم يضطرون للعيش في المدن تحت حماية الجيش الحكومي- أما الذين يقفون بين بين، فمصيرهم الموت على أيدي الأطراف المتصارعة، كما حدث للزعيم أمبانقو-

وفي حالته هذه، قد تكون الأنيانيا هي التي قتلته، كما أشار ماندي في حديثه، لتعاونه مع الحكومة ضد قوات الحركة أو لأي سبب مشابه.
وعلى أي لم يكن في مقــدوري التحــقق حــول ذلك، فقــد جئت لهــدف محــدّد وعاجــل.

أخبرت ماندي بأنني أريد الاتصال بقوات الانيانيا لتنظيم تسليم الأسلحة والمواد القادمة من الكنغو. كان يسمع بحرص واهتمام شديد ومن وقت لأخر ينظر إلى سلاحنا (بندقية رشاش UZI) وكان يمثّل شهادة بليغة بالنسبة له. ولم يشك لحظة في حديثي معه. فسألني (أنا تسيبو سلا دي مانا إنا..؟) أي هل ستترك هذا السلاح معنا هنا؟ قلت له لا أستطيع، لان هذا السلاح لحمايتنا في الطريق. وإذا سلّمته، فذلك يعني أنني قد جرّدت منه بواسطة العدو- ففهم ما اقصده ووافق على تبليغ الانيانيا بأنني قد جئت لحديقة قرامبا بمساعدات كنغولية وأرجو الاتصال لتنظيم استلامها.

في البداية بدت عليه الدهشة والارتياب، فقد جرّب نفس الوعود من السياسيين في 1962، عن طريق ماركو رومي. وفي النهاية لم يتحقق أي شيء، لكنه بدأ يبتسم، عندما شعر بجدّية حديثي. فقال بعربي جوبا(..كويس .. أنا برسلو كبارا لي فليب توالي، واوا يمدو قدام..) أي سأرسل رسالة إلى فليب وهو سيرسلها حالاً... قضينا تلك الليلة في المعسكر وفي الصباح رجعنا بدراجاتنا إلى حديقة قرامبا.. بقينا هناك ثلاث ليالي. وكانت فترة راحة للويس والذين تركناهم معه. أرسلنا رسالة بالراديو إلى ليوبولدفيل لإعلام القاعدة بنجاحنا في الاتصال بالانيانيا وبأننا في انتظارهم في معسكرنا بأعداد كبيرة- وأوصينا بإسقاط بعض الأسلحة حتى قبل بداية ظهور وحدات الانيانيا- وفي ليوبولدفيل كنت قد ذكرت بول بالوعود التي أطلقها بعض السياسيين في عام 1962 عن تنظيم إمدادات عسكرية بالجو- وشرحت له كمدير للمشروع ضرورة أن لا نجعل قواتنا تنظر لمشروعنا هذا كمجرد تكرار لتلك التجربة. ولذلك شعرت براحة وغبطة عندما بدأ العمل بشكل

حاسم. وبعد يوم من إرسال تلك الرسالة وصلت طيارة، ظلت تحوم فوقنا للحظات. وبعد أن حدّدت المواقع قامت بإسقاط بعض القطع. وبذلك تأكدت جديتنا واختلافنا عن تجربة 1962- ولكن تراجعت فرحتنا عندما فتحنا الصناديق ووجدنا فيها أسلحة أقل جودة من الكلاشنكوف ((banana Guns) أي نفس الأسلحة التي أخذتها قواتنا من جنود سمبا في الحدود. وتراجع الفرحة جاء من أنهم كانوا ينتظرون أسلحة متطورة - ولكن هناك أشياء كانت واضحة. أولاً أنني لم أكذب عليهم. ثانياً أن مصدراً للإمدادات من دولة صديقة قد بدأ يرسل مساعداته لقواتنا. وهو أول إشارة لعلاقاتنا الخارجية. المهم جمعنا القطع ورتّبنا الأسلحة والذخيرة وأدخلنا الأغذية في مخازن قمنا ببنائها. وفي نفس اليوم وصل فليب انقوتوا مع بعض رجاله. ولذلك رأوا الطيارة وهي تسقط حمولتها بالبرشوت- وصدقوا أن رسالة ماندي أصبحت حقيقية. واندفعوا ليشاركوا في العمل. وعندما اقتربوا من موقعنا، شاهدناهم من بعيد. واستخدموا تكتيكاً جيداً عندما تقاصروا. وفي المقابل اتخذت مجموعتنا مواقعها الدفاعية. وبقيتُ وقتها واقفاً، أحدّق أمامي لأرى من هم القادمون. كان واضحاً أنهم ليسوا زمرة من جيش الحكومة أو من جنود سمبا. شعرت أنهم قوات الأنيانيا، من مجموعة ماندى أو فليب. وعندما اقتربوا شاهدت فليب. فناديته باسمه وعرّفته بنفسي. وقلت له كل شيء تمام وعليه التقدم بشكل عادي - فتقدم نحوي وترك بعض رجاله في حمايته. وبعد السلام، بلّغ رجاله بأننا أيضاً من قوات الأنيانيا- ولسنا من قوات العدو- وبعدها أبلغت وليام حسن (نائبي في القيادة) ليأمر رجالنا بالخروج من دفاعاتهم للقاء زملائهم من قوات الأنيانيا الذين جاءوا للاتصال بنا.

كان المناخ ودياً في البداية، لكن بعد لحظات، بدأ فليب أنقوتوا وجون مونيا (من المنداري) بدأوا يهمسون حول تكوين المجموعة. واستاءوا لأنها كلها كانت من الدينكا، باستثناء وليم حسن ولويس - شرحت لهم إن ذلك لم يكن مقصوداً، بل لأنهم هم الذين تطوّعوا عندما احتجنا لفريق حماية. وشعر زملائي بما حدث. فحاولت

تهدئتهم. تحدثت بالتحديد مع أيمانويل أبور، الذي كان أكثرهم نضجاً ووعياً سياسياً- كنت أدفعهم لأن لا يهتموا بهذه الوسوسة. وقلت لهم بأن مجموعات ودودة سوف تصل بعد قليل ومن بينها عناصر من مناطقكم- المهم هذه المجموعة قضت تلك الليلة معنا وسافرت في الصباح وحملت معها نماذج من الأسلحة لتعرضها على وحداتها. وكان جون مونيا قد جاء من المجموعة الثالثة، التي تركتها تحت قيادة علي أيومي.

خلال أسبوع أنتشر الخبر في كل ربوع الضفة الغربية ومنطقة البحيرات في بحر الغزال. وبعد فترة أرسل علي قباتالا مجموعة أخرى من منطقة البحيرات بقيادة قائد المنطقة فليب نانقا. ووصول هذه المجموعات كان له وقع وسط زملائي من مدينة بولس ورفع روحهم المعنوية. وفليب نانقا احضر معه عدداً من الشباب، قام بتدريبهم هناك. ومعظمهم كان من الأولاد الذين تركوا المدرسة خلال الإضرابات وبقوا داخل البلاد وانضموا للأنيانيا عندما بدأت نشاطها في المنطقة- واندرو ماكور ثوكان من هؤلاء- وفي أثناء تواجد هاتين المجموعتين، تسلمنا كمية أخرى من الأسلحة. ولذلك رجعوا إلى مناطقهم وكانوا سعداء بما حصلوا عليه من أسلحة ومؤن. وترك فليب نانقا شبابه معنا بهدف إخضاعهم لمزيد من التدريب. وبعد فترة قصيرة سافر جويل رون، الذي سيخلف لويس، مع الأخير إلى ليوبولد فيل للدراسة والتدريب. وكان واضحاً منذ البداية أن لويس لن يمكث معنا فترة طويلة. لذلك لم يكن سفره مستغرباً- ولكن معدات الاتصال ظلت معنا تحت إشراف جويل، وذلك حتى نكون في اتصال مع أصدقائنا الكنغوليين. وهذه المعدات، بالتجربة التي اكتسبتها مع الكنغوليين، كانت مفيدة في الفترات اللاحقة عندما بدأ الآخرون في مساعدتنا.

بعد أسبوعين استلمنا آخر شحنة من الأسلحة والمواد - وكانت مجموعات الانيانيا تجيء وتذهب لاستلام نصيبها من الأسلحة وأيضاً لاستهلاك المواد الغذائية الخاصة بمعسكرنا. ولذلك تقلص مخزوننا ودخلنا في مشكلة نقص في هذه المواد

خلال فترة وجيزة. ومع أننا كنا في حديقة مليئة بالحيوانات، فقد كنا نتحاشى صيدها لحمايتها وأيضاً حتى لا نلفت نظر قوات الحكومة وسمبا لوجودنا في المنطقة. وشدّدنا في الالتزام بذلك لتأكيد ثقة الكنغوليين في التزاماتنا واستمرار علاقاتهم معنا– ومرة أخرى يرزقنا الله من حيث لا ندري. فقد اكتشفنا مجمعاً مليئاً بالطيور الصغيرة بالقرب من المعسكر– اعتمدنا عليها في غذائنا لفترة من الزمن.

اتصلت بالرائد جونسون، قائد قوات المرتزقة في أبا وكان ودياً معنا. كان يعرف وجودنا في الحديقة فيقدر دورنا في قطع خطوط إمدادات قوات سمبا من جنوب السودان، وقلت له أن ذلك يمثّل أحد أسباب تواجدنا هنا. أخبرته أنني فقدت اتصالي مع ليوبولد فيل بعد سفر الفني المسئول عن ذلك وتأخر مجيء بديله. وطلبت منه مساعدتي في الاتصال بالجهات المسئولة واستفسارها عن ما جرى. وكان متعاوناً ومتحمساً في مساعدتي. ومع ذلك فكرت في الذهاب إلى هناك بنفسي– فقمت بتفريغ الحديقة وإعادة توزيع رجالي لضمان التزامهم بالتوجيهات الخاصة بالصيد وإطلاق النار وغيرها– ولذلك وضعتهم بين أبا في الكنغو ولاسو في السودان، بهدف مراقبة تحركات قوات سمبا ولإظهار تعاوننا مع قائد قوات المرتزقة في المنطقة. وذلك بالإضافة إلى استقبال أنصارنا الهاربين من داخل البلاد. ولهذه الأسباب ربطت أيمانويل أبور مع قائد المنطقة في واتسا الكنغولية، ونصحته بالاستفادة من قوات جنوب أفريقيا في الجوانب العسكرية المختلفة.

* تغيير في الخرطوم وتوقف الشحنات :-

عندما التقيت مستر بول في ليوبولد فيل، اخبرني أن التغيير الذي حدث في الخرطوم تسبب في إيقاف شحنات الأسلحة إلى معسكرنا– ويبدو أن الحكومة الكنغولية الموالية للغرب قد أجبرت على إيقاف المساعدات بعد صعود حكومة موالية أيضاً للغرب في الخرطوم، بقيادة محمد أحمد محجوب. وبما أن الحكومات الغربية قد اطمأنت لزوال الخطر الشيوعي في السودان، فإنها لم تعد في حاجة لخدماتنا. ولذلك قررت إيقاف المساعدات. ومن هنا كان توجه الحكومة الجديدة لشن

عمليات واسعة ضد قوات الأنيانيا. كانت عمليات بشعة تقوم بقتل المدنيين دون تمييز واعتبار الجميع طابوراً خامساً للحركة. وفي حديقة قرامبا شاهدنا أعداداً كبيرة من سكان ياي والمدن الأخرى يهربون إلى أبا وفاراج والقرى المجاورة. ووصلت العمليات حتى إلى مهاجمة الإرسالية الكاثوليكية في توري وكلية الأسقف جويني في مندري. ونتيجة لذلك هربت هيئة الإرسالية والكلية عن طريق الحديقة- وأخبرونا عن صراعات قوات الأنيانيا في طريق ياي/ مريدي، بين فليب أنقوتوا وجون مونيا، وأكدوا مقتل الأخير. ولحسن حظي جاء الكولونيل مولامبا، قائد الجيش الكنغولي في الشمال الشرقي، جاء إلى أبا وساعدني في الوصول إلى ليوبولدفيل مع أليا لوب. وفي اليوم التالي ذهبت لمقابلة بول في منزله- وهناك بدا لي أنه ليس سعيداً بما يجري، كما كان في المناسبات السابقة. وبدأ يتحدث معي حول تطور المشاكل السياسية الداخلية والخارجية. فقال (من الواضح أن هناك تنافساً بين الرئيس ورئيس الوزراء، وأن الأمريكان والبلجيك أخذوا يعملون على تأييد ودعم الأطراف والمجموعات المتصارعة في الكنغو- وأدى ذلك إلى تطور المنافسات إلى مواجهة واستقطاب بين القيادات الكنغولية، ظناً منها أن ذلك سيخدم مصالحها ونفوذها في البلاد. وذلك دون وضع أي اعتبار لتأثير كل ذلك في اقتصاديات البلاد وأوضاع السكان- ومن الواضح أيضاً أن العلاقات بين رئيس الوزراء وقائد الجيش ليست على ما يرام... كل هذه العوامل، مع التغييرات السياسية في الخرطوم، كانت لها تأثيراتها في مشروعنا وإيقاف شحن الإمدادات إلى قواتكم- وحسب تقديري، فإن الجيش هو الطرف الوحيد الذي لا يزال مهتماً بمشروعنا- السياسيون مشغولون بصراعاتهم ولا وقت عندهم لسماعنا...) واخبرني أن جويل قد اكمل تدريبة ويمكن أن يرجع معي- ثم سألني (...المهم، كيف وصلت إلى هنا؟) قلت له: (اتصلت بقيادة المرتزقة في الحدود عندما شعرت بحاجتي إليهم- ووجدت منهم تعاوناً كبيراً. عرفوني بالكولونيل مولامبا، قائد الجيش الكنغولي هناك. وأمر بترحيلي إلى ليوبولدفيل. وجئت مـــع أليا لوب، عضو برلماني سابق،

وتركته في فندقَ ميملنق حيث نسكن معاً. وجئت إلى هنا لأرى سيادتكم ولأعرف منكم ماذا حدث؟). ومن ثم نصحني بالبقاء في الفندق حتى يتصل بي ويبلغني بالتطورات الأخيرة.

بعد يومين أتصل بول ليقول لي أن هناك معلومات تخصنا وطلب منى الاتصال بمنزله في الوقت المتفق عليه- وأخبرني أن المسئول الكنغولي سيلتقي بنا. وعندما أخبرت أليا لوب بذلك أرتاح كثيراً وقال: (وأخيراً وجدنا بعض الاهتمام من مضيفينا.) ذهبنا إلى منزل بول في الوقت المحدّد في اليوم التالي. وهناك أخبرنا أن قائد الجيش الكنغولي، الجنرال ديزيري موبوتو، سيرسل شقيقه لمقابلة أليا لوب وشخصي خلال ساعة واحدة. وقال أن ذلك يمثل مؤشر جدِّية وصداقة. ووصل الأخير في وقته. وبعد تقديمه لنا بواسطة بول، بدأ يقول:(شقيقي أرسلني لأقول لكم أنه علم بوجودكم معنا ويرحب بكم في بدلكم. وهو لم ينساكم، وإنما لا يزال يدرس ويعمل على مساعدة حركتكم- ويقول لكم أن العدو الذي تحاربونه هم نفس العرب الذين وصلونا في مديرية الاستوائية. لذلك عدوكم هو عدونا. والمهم أنه وجهني لأنصحكم بالرجوع إلى الشمال الشرقي وأن المساعدات العسكرية ستصلكم عن طريق الجيش بعد تحرير المنطقة واكتمال سيطرته عليها. والجنرال مولامبا، قائد المنطقة، على علم بعلاقاتكم مع رئاسة الجيش الكنغولي. ولهذا السبب قام بتسهيل سفركم إلى العاصمة حتى وصلتم إلى فندقنا المحترم (خمسة نجوم) فندق ميملنق. عليكم البقاء بالفندق حتى نرتب إجراءات رجوعكم إلى هناك. والجنرال موبوتو يتمني لكم كل الخير..) وبعدها أعطانا بعض الهدايا النقدية بإسم الجنرال وودعنا وذهب في حاله- وبعدها أكد مستر بول (جميل أن يهتم قائد الجيش بنفسه بقضيتكم. الأوضاع في هذه البلاد قد تتغير في أي يوم، ربما تحت سيطرة الجيش نفسه..) وأضاف أنه سيتابع إجراءات سفرنا وسفر جويل وإكمالها بأسرع وقت وسيتصل بنا في الفندق- وفى الطريق إلى الفندق أخبرني صديقنا (أن ذلك قد يكون نهاية علاقتنا بالحكومة الكنغولية وأن الوقت مناسب لعودة جويل معكم).

بعد يومين رجعنا بنفس الطريق الذي جئنا به- وفى أثناء الرحلة أخبرني جويل أنه أحتك بالجنوبيين في المدينة وأنه شرح لهم نشاطنا في الميدان، رغم التوجيهات الصادرة بعدم اتصاله بهم لأسباب أمنية. وقال أنه متأكد أن أبناءنا لايمكن أن يسربوا تلك المعلومات للعدو الذي هربوا من جحيمه. وقال أنهم عبّروا له عن سرورهم بالتطورات الجارية وأن بعضهم أبدي رغبته في الانضمام إلينا عندما تتوفر فرصة ملائمة وبعض آخر بدأ يستعد للتحرك إلى الشمال الشرقي في اتجاه الحدود. المهم، نزلت الطيارة في فاراج. ومن هناك أوصتنا القوات الكنغولية إلى أبا، التي حولّناها إلى مركز لعدة شهور. وهناك قابلت أساقفة انجليكانيين (أليانانا انقالامو وبريميا دوتيرو) في طريقهم إلى يوغندا. فأخبروني أن الجيش قد دمّر مراكزهم وأنهم هربوا عن طريق الغابة لطلب اللجؤ مع رجال الكنائس في الخارج- وخلال تلك الفترة تدفقت موجات من المثقفين الجنوبيين إلى البلدان المجاورة وبقيت إعداد منهم في الغابات. ومن الشخصيات البارزة، التي انضمت للحركة، هناك اليابا جيمس سرور، زميلي في الدراسة، وبيتر سيريلو، ضابط السجون. وأفاد الأخير أن زميله في الشرطة، جوزيف كيسانقا، قد قتل رمياً بالرصاص بواسطة زميل عسكري شمالي. وخوفاً من هذا المصير هرب هو وأسرته إلى داخل الغابة.

حملات المحجوب كانت قاسية ومدمّرة. ولكنها أيضاً أفادت في هروب الجنوبيين وبالتالي تعزيز قدرات الحركة في القوي البشرية والمادية. فبعضهم، مثل اليابا سرور وبيتر سريلو، بقي في الغابات مع قوات الأنيانيا. وآخرون دعمونا بالمال لشراء الأسلحة من جنود سمبا والمرتزقة وجندرمة كاتنقا (يبيعون الأسلحة التي ينزعونها من جنود سمبا.) وهناك قلة منهم التحقوا بالسياسيين في المنفي- ولكن أغلبيتهم بقيت في الحدود تدعم الحركة بما تستطيع- وفى تلك الفترة انتشرت تجارة السلاح في شمال شرقي الكنغو- وشعرت وقتها بأننا إذا لم نستلم أي أسلحة إضافية من الحكومة الكنغولية، فيمكننا تعويض ذلك بما نقوم بشرائه من تبرعات

أهلنا السخية. ولذلك عينت اليابا سرور، الرجل المخلص والأمين، رئيساً لمكتب مشترياتنا. وقام بتلك المسئولية بشكل ممتاز- وهكذا تدفقت مجموعات من الأنيانيا وأنصارها في منطقة أبا لشراء الأسلحة والمؤن- وكان المرتزقة يبيعون كل شئ، كانوا يسرقون سلاح بعضهم ويبيعونه لأنصارنا- فأحد بلتونات جندرمة كاتنقا باع كل مخزونه من السلاح تقريباً للأنيانيا. وقبل أن أغادر إلى يوغندا، عبرّ الجنرال جونسون عن سخطه على جنوده بقوله: (ماذا أفعل مع هؤلاء الجندرمة بدون أسلحتهم؟ هذا الشاب الصغير، الجنوبي النشط، أشترى كل أسلحتهم وأخذها إلى داخل السودان.. هل يمكن أن نقنعه بأن لا يشتري سلاحهم الشخصي؟ هذه الأسلحة ضرورية للدفاع عن أنفسنا. ماذا نفعل بدون سلاح إذا تحرك الجيش السوداني إلى داخل أبا لاصطيادهم مثلاً؟؟) وفى تلك الفترة بدأت خلافات السياسيين تنعكس على قواتنا. وكان عليَّ أن أعمل بشكل حازم للمحافظة على وحدة وانسجام المقاتلين من أجل الحرية، حرية الجنوب الأفريقي.

*** زيارة يوغندا :-**

عندما يأسنا من وصول أي مساعدات من الكنغو، قررت السفر إلى يوغندا لإجراء فحوصات طبية. فقد كنت آنذاك أعاني من اضطرابات حادّة في الصدر- لذلك تركت أليابا سرور في الإدارة المدنية وتنظيم الجوانب الخاصة بالأسلحة. ووصلت إلى هناك في سبتمبر/أكتوبر. ويوغندا كانت البلد المفضل لمعظم الجنوبيين. فحزب سانو وجبهة تحرير أزانيا كانا يعملان من مركزيهما في كمبالا، حيث يتواجد الجنوبيون بمختلف أشكالهم. وشهدت تلك الفترة تحركات واسعة لتوحيد الحركتين في حزب واحد- وخلال ذلك قمت بترحيل أسرتي من ليرا إلى قولو ووجدت لها سكناً مريحاً بجوار رئاسة الأسقفية الأنجليكانية لشمال يوغندا. وكان هناك الأسقف الينانا انقالامو، الذي قابلته في الكنغو. وساعدني كثيراً في تسجيل أبنائي في المدرسة الأنجليكانية هناك. وفى يناير 1966 زارني أوليفر باتالى ألبينو في قولو، حيث وجدني أقوم بسقف منزل من الطين لسكن أسرتي. وأخبرني أن الحزبين قد

اندمجا في جبهة واحدة ، تحت إسم جبهة تحرير أزانيا، برئاسة جوزيف أدوهو وأقرى جادين كنائب له- وفهمت أن ذلك يعنى فقط اندماج حزب سانو SANU في حركة تحرير أزانياALF – ولاحظت أن اسمي لم يرد في اللجنة التنفيذية الجديدة وأن الحركة الجديدة لم تشر إلى أي إجراءات عسكرية. ولذلك شعرت بجدّية استمراري في إجازتي وترتيب أوضاع أسرتي وأطفالي. وفى وقت لاحق علمت أن بعض أعضاء لجنة أقري السابقة قد رفضوا قبول مواقعهم الجديدة مع أدوهو، ومن ضمنهم ألبينو- كانوا غير مقتنعين بما حدث. ولذلك رفضوا الوحدة. ووقفت إلى جانبهم. ولم ألاحظ أي تغيير في أسلوب أدوهو في العمل- وبعد فترة من مغادرة مستر ألبينو، جاءني الأب أدليندو فولى، أسقف معهد توري. كنت مسروراً بلقائه في منزلي الجديد. قال لي :(لقد تحدث الأب ساترلينو مع عدد من الأساقفة الكاثوليك مشيداً بجهودك في الحركة ومقدراتك العسكرية وصبرك ومثابرتك، كمزايا مثالية لقائد في حرب عصابات. أخبرنا أنه يأسف لأن يقول بأنك متأثر في نشاطك السياسي بمذهبك الديني. هو يشعر بأن ذلك هو السبب في اختيارك لتقف مع أليا لوب في بدايات حركة الأنيانيا ومؤخراً في دعمك لموقف أقرى جادين- وأخبرنا أيضاً أنه لاحظ أنك واصلت وقوفك مع جادين ولوب حتى بعد أهانتك وإذلالك في الضفة الغربية، رغم أن هؤلاء لم يقفوا ضد ما حدث لك- ورغم كل ذلك تجاهلت الأب ساترلينو الذي جاء لإنقاذك- وقال إن أبناء قبيلتك من بيننا يجب أن يتحدثوا معك ويطلبون منك مراجعة موقفك... والمحبة تبدأ في البيت، كما يقولون..) ووصلتني الرسالة. وهي بالتأكيد تتضمن بعض الحقيقة. ففكرت فيها ملياً وبجدّية قبل أن أردّ عليها- وكنت أعلم أن الأب سيوصلها إلى زملائه. قلت: (أنا سعيد، أولاً لرؤيتك مرة أخرى بعد تلك الأيام المزعجة، التي أعقبت الهجوم على إرساليتكم واضطررتم للمرور عن طريق معسكرنا في المنفي. ثانياً لقد شدّتني المشاعر الطيبة التي أوصلتها لي من رفيق السلاح، الأب ساترنينو. لا أشك في إخلاصه ووفائه لقضية الجنوب وأقدر إمكانياته القيادية. ولكني ألاحظ فيه هو وجوزيف أدوهو

تركيزهما الشديد على الإقليمية والجهوية والقبلية، التي نكرهها نحن في الضفة الشرقية. وفى وقت قريب سمعت أن هذه الصراعات القبلية قد بدأت تظهر حتى وسط قبيلتهم، اللاتوكا- يقال أن كلاً منهما يميل إلى فرعه القبلي ويؤيده. هذا السلوك أزعجني وأبعدني كثيراً منهما لأبحث عن أصدقاء سياسيين في مكان آخر- أنني لست منحازاً ضدهما، لأنني بروتستانت وهما كاثوليك. أعلم أن أغلبية أهلي في قبيلة المادي في السودان ويوغندا يعتنقون المذهب الكاثوليكي، كما هو حال معظم مواطنينا في الضفة الشرقية. ولا أستطيع استبعادهم لذلك السبب. لقد ولدت في الضفة الشرقية وترعرعت فيها قبل أن أرى أي منطقة أخرى- لكننا الآن نعمل في إطار حركة وطنية. وعلينا أن نؤكد مسئوليتنا في إطار أوسع- علينا أن نشيع الاحترام المتبادل بيننا وعلينا أن نشارك بعضنا في كل شئ، في السرّاء والضرّاء، في النصر والهزيمة. هذا هو موقفي. لكن أولاً دعنا نبدأ ثانيةً من جديد وفى منطقتنا.. هذا ما ألتزم به من الآن- وآمل أن يبادلني الأب وأدوهو نفس الالتزام حتى نصل أولاً إلى وحدة الضفة الشرقية. وإذا نجحنا في ذلك، فسوف يسمع الآخرون بهذا النجاح وينضمون إلينا- وبذلك لن تكون هناك حاجة لتصدير تجاربنا. لقد حاولنا ذلك من قبل أنا والأب، صحيح أن المحبة تبدأ في البيت، لكنني أفهم ذلك بشكل مختلف عن فهمهم- بالنسبة لي تعني أن نبدأ التنظيم من البيت. وهذا ما أخطط له- أرجو أن تنقل تحياتي ووجهة نظري هذه لزملائك في الكنيسة ولصديقي ورفيقي في السلاح الأب ساترلينو..) ووعدني الأب أدليندو بنقل رسالتي لزملائه. وكنت مسروراً لهذا اللقاء الحرّ، البعيد عن المضايقات والإزعاج. وتركني أفكر في ما سأفعل في خطوتي القادمة.

الفصل السابع

العمل للبداية في البيت

*** الصمـــود أو الانهيار :-**

بينما كنت أستعرض تطورات الأحداث خلال العامين السابقين، أثناء قيامي بسقف منزل أسرتي في قولو، وقبيل عودتي للغابة مرة أخرى، بينما كنت أستعرض أحداث العامين السابقين شعرت بصراع داخلي عنيف. كانت هناك فكرتان تشدّاني في اتجاهين متناقضين :- أما أن أبتعد عن الحركة كلية وأبحث عن وظيفة تساعدني في الاستقرار مع أسرتي.. وأما .. أن أبقي في الحركة وأواصل نشاطي حتى النهاية أياً كانت النتيجة. وبدأت أوازن منطقي في كل حالة بعناية وعقلانية لأقصى حدود ممكنة. هناك في الاختبار الأول عامل الاهتمام بزوجتي وأطفالي، كما هو متوقع من أي ربّ أسرة- ومن هنا الحاجة إلى الوظيفة والاستقرار. وهناك الخوف من المجهول، صعوبات ومخاطر العمل في الغابة. كل ذلك كان يدفعني في اتجاه واحد. وهناك أيضاً منطق أخر يشّدني للبقاء مع الأنيانيا. أولاً: إن ابتعادي من الأنيانيا بعد أن لعبت دوراً هاماً في بنائها خلال العامين الماضيين، كل ذلك لا يجعل ابتعادي موقفاً جباناً فقط، بل وغير مسئول على الإطلاق (هروب من المسئولية) ثانياً: لا يمكنني أن أبتعد عن قضية ناضل من أجلها كثيرون وقدموا أرواحهم في سبيلها:- أخي، أخ زوجتي، عمّي، أصدقاء وأقارب وزملاء عديدين، منذ بداية النزاع في 1955- وهي قضية أومن بعدالتها وسمّوها وكنت على استعداد لتقديم روحي في سبيلها- ثالثاً: ككل الجنوبيين، كنت أرفض الاحتلال العسكري والغزو الثقافي الشمالي في الجنوب وأعمل على مقاومته بشدّة- وقراري الأخير تمثّل في الأتي:

أولاً: إن العمل من أجـل الحرية والكرامة الإنسانية هو واجب يستحق التضحية من أجله.

ثانياً: ليس من الكرامة أن تترك قضية ضحي من أجلها إخوانك وأقاربك وأصدقاؤك وزملاؤك. فالحاجة لأن تكمل مابدأوه يجب أن تعلو فوق الاعتبارات الشخصية والأسرية وفوق الصراعات الداخلية حول السلطة والمناصب في قيادة الحركة. وذلك لأن الهدف هو مقاومة الغزو العسكري والثقافي الشمالي. ولكل ذلك عزمت على الاستمرار في العمل داخل الحركة أياً كانت المشاكل ومهما كانت التكلفة.

*** التأمل في الماضي :-**

بدأت أفكر في أحداث العامين الماضيين، عملي مع جوزيف أدوهو والأب ساترلينو، الجهود التي بذلتها في الضفة الغربية وأخيراً عملي مع أقري جادين. فقررت أنني في مثل هذه الظروف لا يمكن أن اعمل كضابط مطيع في جيش نظامي، بل عليَّ أن أطور فلسفة خاصة بموقفي وأن أجذب إليها المؤيدين والأنصار من وسط الحركة. ولتطوير هذا الهدف قررت إنشاء قاعدة في موطني، في مناطق مادي ولولوبو وأشولي- وحاولت إقناع الأب ساترلينو للقيام بنفس العمل مع المجموعة الثالثة، كقاعدة يبدأ منها- وكنت مهتماً به بسبب إخلاصه للحركة وتقديراً لكرمه الأخوي الفياض في ليوبولدفيل. ووضعت في اعتباري نصيحة صديقي الهايتي، بول، الذي قال لي (في الحياة العامة عليك أن تتعلم العمل مع أناس ربما لا تحب أن تراهم في الظروف العادية، إذا كان ذلك يساعد في تطوير الأهداف المشتركة..) وفي النهاية توصلت إلى برنامج بإنشاء قاعدة مع المجموعة الرابعة في منطقة قبيلتي. وقررت أنها مناسبة لخطتي ولجذب الآخرين للانضمام لنشاطي أكثر من الذهاب بعيداً، كما فعلت من قبل- وحاولت إغراء الأب وأدوهو للعمل في نفس الاتجاه. وكان ذلك بديلي في مواجهة إغراق جنودنا في صراعات قبلية لا معنى لها- تلك كانت رسالتي، عندما بدأت استعدَ للعودة إلى الغابة للعمل مع المجموعة الرابعة.

لقد أكد قائد المجموعة الرابعة ونائبه (بيتر موقا ولورنزيو على التوالي) أنهما معاونان جيدان- فبمساعدتهما استطعت بناء قاعدة لورنز في أقصى شمال حديقة

نمولي. وبدأت في تدريب الشباب هناك بشكل هادئ ومنتظم، وأقوم بتوزيعهم خلال شهور الجفاف، عندما تكون قوات العدو مشغولة في أماكن أخرى، وفي يونيو نتحرك من هناك إلى الطرق لبدء العمليات. وفي ذلك الوقت فقط بدأت أخبار نشاطاتنا تصل إلى المجموعات الأخرى والي السياسيين في الخارج- وهذا الأداء الجيد جلب لنا الاحترام والتقدير، حسب المعلومات التي بدأت تصلنا. وأدى ذلك إلى جذب اهتمام المجموعات الأخرى والسياسيين في المنفى. وذلك هو بالضبط ما كنت أريده، جذب اهتمام الناس بالعمل- ووقتها وصلت إشاراتي إلى الأب ساترلينو- فاستجاب لفكرة (البدء في العمل من البيت). وقرّر تحويل مساعداته المالية من الحزب السياسي إلى المجال العسكري- وفي وقت لاحق قام بحشد قُوة كافية للعمل في الضفة الشرقية وترسيخ نفوذه وسط أهله في منطقة عمليات المجموعة الثالثة، شمال مدينة توريت- وبذلك وضع جبهة تحرير أزانيا في حالة من الارتباك والفوضى، بعد أن أَصبح أدوهو مشلولاً بسبب مشكلة التمويل. وأكد ذلك عدم صحة الحجة التي تقول أن قيادته سوف توفر تمويلاً من المصادر الكاثولوكية. واصبح واضحاً أن الأب هو الشخص القادر على توفير التمويل- وفي هذا الخصوص كان هو الأنسب والأكثر كفاءة وتأهيلاً لقيادة الحركة. ولكن جوزيف أدوهو لم يتنازل له كما فعل أقري جادين معه- بدلاً من ذلك قام في حركة غير محسوبة بفصل الأخير من منصبه كنائب له- والمؤسف أن صراعات أدوهو والأب امتدت إلى الضفة الشرقية، رغم انتمائهما معاً للمذهب الكاثوليكي ولنفس القبيلة. والسبب الرئيسي في هذه الصراعات يعود إلى الصراع حول السلطة. وهذا الصراع الذي يظهر في شكل صراعات طائفية واثنية وطموحات شخصية هو المصدر الأساسي لعدم الاستقرار في السودان ككل- لم يكن عندي موقف محدّد عندما انفجرت تلك الصراعات. كنت مشغول بتدريب المجندين الجدد من وسط أهلي في منطقة عمليات المجموعة الرابعة- والأب أيضاً لم يكن يهتم كثيراً بخلافات وصراعات السياسيين، بل كان مشغولاً في شمال شرق الكنغو بشراء وتهريب السلاح إلى

مجموعته وسط قبيلة اللاتوكا في المجموعة الثالثة (منطقة تحت قيادة الشاويش ماركولوهويورو.) أما أدوهو، الذي بقي مع عدد محدود من الأصدقاء في كمبالا، فقد كان أسيراً لمضايقات ومطاردات السلطات اليوغندية. وهناك انضم إليه أزبوني منديري، الذي قدم حديثاً من السودان- وهو وزير سابق في وزارة سرالختم الخليفة اعفي من منصبه بسبب إساءته لموظف عام في وزارته. ونتيجة لذلك قرر الهروب من البلاد والالتحاق بالحركة في الخارج- وذلك عندما قام المحجوب بإعلان سياسته للقضاء على قوات (التمرد) في الجنوب- ومن خلال صراعات لجنة أدوهو، تمكن من استلام أمانة الدفاع بدلاً من أليا لوب الذي عين في أمانة الداخلية. وكان يقوم بتوحيد قوات الأنيانيا والبقاء معها في الأحراش. ولكن اللجنة الجديدة أبلغت الرئيس بضرورة عقد مؤتمر مصالحة مع التيارات المتصارعة. وذلك لشعورهم بالعزلة وعدم القدرة على فعل أي شيء بدون الأب ساترلينو. واقترحوا عقد المؤتمر المقترح في جنوب السودان في المناطق المحرَّرة، لأن ظروف الحركة في يوغندا لا تسمح- وحدَّدوا أجندة المؤتمر في الآتي:-

- المصالحة بين الزعيم والرئيس.
- إعادة تنظيم وتدريب الأنيانيا.
- وضع تصور للإدارة المدنية في الجنوب.
- موضوعات أخرى.

*** مؤتمر تول 1966:-**

لإقناع الأب بحضور مؤتمر المصالحة، أعلن المجلس التنفيذي لجبهة تحرير أزانيا عقده في مكان مناسب لظروفه، في الضفة الشرقية- وكانت مركزاً نشطاً وقريبة من يوغندا، المنفذ الرئيسي للحركة مع الخارج- ويبدو أن المنطقة اكتسبت أهمية كبيرة، عندما أنشأنا فيها (أنا والأب) قواعد للعمل العسكري. وكانت مقسمة إلى معسكرات عسكرية مرتبطة بعدة قيادات سياسية (أي لوردات حرب) فأميدو تافينق يقود المجموعة الأولى، تحت تأثير جوزيف أدوهو- ولازارو موتيك يقود

المجموعة الثانية، أيضاً تحت تبعية أدوهو- وماركو لوهو يورو يقود المجموعة الثالثة، تحت تبعية الأب ساترلينو- وبيتر موقا يقود المجموعة الرابعة، تحت تأثير جوزيف لاقو- وكنا أنا والأب نتابع تسليح مجموعاتنا. ولذلك كنا، بعكس المجموعات الأخرى، نسيطر عليها. والمجموعة الثالثة كانت الأفضل في تسليحها (قاعدة الأب) وتأثيره الرئيسي يرجع إلى قدرته على توفير التمويل. أما الأفضل في مجال التدريب، فقد كانت المجموعة الرابعة، مجموعتي. وكانت مفتوحة لقوات الأنيانيا من المجموعات الأخرى كمركز للتدريب. وتأثيري الرئيسي كان يتمثل في جنوري العسكرية. وبما أن أدوهو لم يكن يهتم كثيراً بالمجموعتين الأولى والثانية، فقد كان تأثيره عليهما ضعيفاً- وعندما انقطع اتصاله بهما تركناه. وبذلك بقي دون قاعدة مؤثرة- وفي ذلك الوقت كانت الحركة مبعثرة في وحدات قبلية- ولم تكن هناك شخصية سياسية أو عسكرية متفق على زعامتها وسيطرتها- وما يجمع جماهير شعبنا في تلك الفترة كان يتمثل في إرادة القتال ضد العدو المشترك- فالسياسيون في الخارج لم يكونوا يملكون النفوذ الذي يدّعونه. والصراع حول القيادة كان يهدف لضمان السلطة والمصداقية التي تساعدهم في الحصول على الدعم الخارجي- ولكن تأثيرهم ونفوذهم العملي كان محدوداً في المناطق التي ساهموا في تسليحها وإمدادها بإحتياجاتها.

لذلك كانت الأنيانيا لا تزال تبحث عن قائد وطني قادر على إمداد جميع المجموعات باحتياجاتها، وبالتالي السيطرة عليها وتوجيهها- وعملي الأساسي مع الأب ساترنينو وأدوهو، وفي وقت لاحق مع أقري جادين، ساعد كثيراً في تنمية وتطوير صورتي كرمز وطني- وعملي في حديقة قرامبا قدمني للأنيانيا ككل- وقيامي بتدريبها، حيثما سمحت ظروفي، أدى إلى توسيع علاقاتي معها وتقوية مركزي في وسطها- ومن خلال التجربة تعلّمت أن النفوذ السياسي في الجنوب يترافق جنباً لجنب مع تقديم المعدات العسكرية وتوزيعها بعدالة على الجميع دون تمييز قبلي. لاحظت أن الناس يمنحون ولاءهم واحترامهم للقيادات التي تخدمهم،

بغض النظر عن انتمائها القبلي- فالذي يوفر السلاح هو الذي يضع نفسه في طريق القيادة- واستنتاجاتي هذه أكدت صحتها في أرض الواقع- فعندما بدأت في توفير السلاح وقمت بتوزيعه بعدالة دون أي تمييز قبلي، ازداد تأييد الناس ودعمهم لي في كل مكان. ولذلك جعلت هذه المبادئ أساس سياستي، باعتبارها الطريق الوحيد لتوحيد الجنوب والسيطرة عليه.

في نقطة حدود بعيدة تجمع قادة المجموعات في الضفة الشرقية وممثلوها (باستثناء المجموعة الثالثة) لعقد مؤتمر يناقش قضايا العمل. تجمَّعوا في لوبون المجاورة لـ لوكونق في الجانب اليوغندى. وانضم إليهم السياسيون الجنوبيون في كمبالا، ومعظمهم من أعضاء برلمان 1958 المحلول- وانتظرنا ثلاثة أيام لمجيء الأب ساترلينو. ولأجل الاستفادة من الوقت قمنا بتنظيم محاضرات عامة. فتحدث أزبوني منديري حول عمل الحكومات وقدمت أنا محاضرات حول الجوانب العسكرية، يتركز على حرب العصابات. وتحدثت أيضاً عن استخدام المولوتوف التقليدي. واستفدت من المناسبة بعرض إمكانياتي وقدمت رسالة للجنود بأنني املك ما أقدمه لهم ولغيرهم في مجال فنون الحرب ومهاراتها.

المجموعة الثالثة أقامت معسكرها في تول، على بعد 12 ميلاً غربي لوبون. وهو معسكر عبور في الطريق إلى منطقة عمليات المجموعة. وكان الأب يزوره من وقت لأخر- وطلبنا من جوزيف أدوهو إرسال رسالة للأب، تتضمن أسماء العناصر الأساسية في لوبون. وكان عليه أيضاً أن يخبره بأنه سيكون مع تلك العناصر لحضور المؤتمر. وإرسال الرسالة مع وفد لمقابلته في معسكره كان إشارة لاحترامه وتقديره كزعيم للحركة. وبجانب ذلك، لم يحضر أميدو تافينق، الذي كان ساخطاً، على الأب بسبب تفضيله للوهويورو- ولكنه أرسل جوزيف أوبيو لتمثيله في المؤتمر (وهو من الاشولي ومن كبار العسكريين السابقين في مجموعته).

مع كل ذلك لم نجد الاستجابة التي كنا نتوقعها- فقد اعترضتنا مجموعة الأب ساترلينو على مسافة من المعسكر. وجاء مرشدوهم وحرّاسهم وقادونا إلى

صخرة مستقلة، ثم خاطبنا أحدهم بقوله (الذين يريدون منكم مقابلة الأب يتقدمون في هذا الجانب..) فتقدم كل السياسيين وشخصي في الجانب المحدّد حسب الأوامر. وبعد ذلك أخضعونا لتفتيش شامل لم نفهم أهدافه- وهنا بدا البعض يتزمر ويتساءل عن المقصود من هذا التفتيش- هل هو عمل مقصود للضغط علينا وإهانتنا؟ كان أدوهو متوتراً وغاضباً، حتى كاد أن يفقد أعصابه ويدخل في عراك مع رئيس الحرس، زميله من اللاتوكا، وكان يعرفه جيداً. والمدهش أن أزبوني منديري، المعروف بحدّة مزاجه، قد قام بكبحه وإيقافه وظلّ هادئاً ومتماسكاً في تلك اللحظات. وخاطبه قائلاً:- (دعنا لا نعطي الأب فرصة للدخول معنا في مشاكل وصراعات. لقد جئنا إلى هنا بأمل التفاهم والتصالح والبحث عن طريقة لتوحيد شعبنا.. أرجوك أن تضبط نفسك. ودعنا نرى ماذا سيفعل هؤلاء الرجال- دعنا نؤكد لهم أننا لا نحمل أي نوايا شريرة تجاه الأب..) بهذه الكلمات سلّمنا كلنا لأوامر الحراس. ياله من تناقض فظيع!! فقبل شهرين تقريباً، قام هذا الازبوني منديري بالتهجم على موظف عام جاء متأخراً عن مواعيده لإصلاح تلفونه- وقاد ذلك إلى إبعاده من منصبه كوزير في حكومة أكتوبر 1964- هذا الرجل نفسه كان في الحالة الأخيرة قادراً على ضبط نفسه ودفع الآخرين لضبط تصرفاتهم في ظروف تعرّض فيها الجميع إلى إهانة وإذلال شنيع. المهم، تركنا أسلحتنا خلفنا وتقدمنا نحو الأب في صخرته لنحييه. قام من جلسته بأدب واحترام وتقدم خطوات لاستقبالنا. وكان يتصنع عدم علمه بما جرى قبل قليل- واتفقنا معه أن يبدأ المؤتمر في اليوم التالي الساعة الثامنة صباحاً. ورجع كل الذين جاءوا من لوبون إلى الصخرة الأخرى، التي تركنا فيها أسلحتنا والجنود الذين كانوا في رفقتنا. وهكذا بدأ المؤتمر، وشارك فيه، بشكل أساسي، كل نواب برلمان 1958 المحلول. وشمل الحضور:-

- الأب ساترنينو لوهير .
- جوزيف أدوهو.
- بانكرازيو أوشنق.

- أزبوني منديري.
- ضابط الصف ناثانيل أويت.

والعناصر العسكرية الأساسية التي حضرت المؤتمر، شملت قيادات المجموعات ونوابهم. وضابط الصف ناثانيل أويت ترك السياسيين في وقت لاحق وأنضم إلى المجموعة العسكرية. والرتب التي يحملها هؤلاء كانت هي نفس رتبهم قبل أغسطس 1955 (في حالتي يونيو 1963).

كان المؤتمر هو الأول من نوعه منذ أن بدأت حركة الأنيانيا نشاطها في سبتمبر 1963. وبعيداً عن الصعوبات التي اعترضته في البداية، فقد سارت أعماله بشكل جيد- ويبدو أن مجموعة الأب قد اعتبرت إطاره العام كافياً ومناسباً. وهكذا قسمت الأجندة إلى بندين، سياسي وعسكري. ومن جانبي ساهمت في مناقشة كل الأجندة، بتركيز خاص على الجوانب العسكرية.

كانت مجموعة الأب في تول تملك أسلحة متنوعة، بعضها جديد حتى على العسكريين السابقين- ومن جانبي بذلت جهداً كبيراً لأشرح لهم كيفية استخدامها. وعند شرحي لكيفية استخدام الأسلحة الجديدة، دعوت السياسيين لحضور محاضراتي ومشاهدة تلك الأسلحة. وكنت أبتعد عنهم عند مناقشة خلافاتهم أو الموضوعات التي قد تضطرني للانحياز لإحدى وجهات النظر المتصارعة. وبعد ثلاثة أيام من العمل الجاد، قرر السياسيون الأربعة الآتي :-

1) أن يبقي الأب ساترنينو زعيما للحركة ومسئولاً عن التمويل، بالإضافة إلى دوره الحاسم في قيادة الحركة.
2) يستمر جوزيف أدوهو رئيساً تنفيذياً لجبهة تحرير أزانيا، مع مجلسه كسلطة تنفيذية للحركة وله أيضاً سلطات تشريعية على الأنيانيا.
3) المجلس التنفيذي للحركة سيتحرك في داخل الغابة جنباً إلى جنب مع الأنيانيا.

4) سوف يتم تعيين مبعوثين لتمثيل الحركة في العواصم الأجنبية بدلاً من ترك ذلك للقيادات السياسية.

5) جوزيف لأقو يرقّي إلى رتبة كولونيل ويعين موجهاً رئيسياً مسئولاً عن تعبئة وتنظيم وتوحيد الإمكانيات القتالية للأنيانيا في كل أنحاء جنوب السودان.

بخلاف ذلك لم يشر المؤتمر إلى أي مرجعية للمسائل العسكرية الأخرى. وهو لم يذكر مثلاً القائد الأعلى للقوات العسكرية أو رئيس الهيئة العامة. وهذا القرار أجيز بالإجماع.

في داخل المؤتمر قدم أزبونى منديري برنامجاً طموحاً لنفسه وشخصي. وشمل ذلك زيارة كل ربوع الجنوب وكل معسكرات الأنيانيا والقيام بما بدأناه في لوبون... عليه الأشراف على تنوير الناس بالوضع السياسي وزيادة وعيهم السياسي وفى جانبي يجب عليّ تدريب قوات الأنيانيا ورفع قدراتها القتالية... كانت الفكرة رائعة وجذابة، ولكن تنفيذها لم يكن عملياً. ومع ذلك، فقد تحاشيت مناقشتها بتقديم اقتراح ببداية التوجيهات مباشرة بالقيادات الموجودة في المؤتمر- ووجد ذلك تأييد ودعم الأب ساترلينو والسياسيين الآخرين.

*** انقســـــام :-**

في نهاية المؤتمر ظهرت مشكلة توزيع الأسلحة. فقد سأل أحدهم عن توزيع الأسلحة التي أحضرها الأب. وردّ عليه الأب ساترلينو سريعاً، حيث قال: (لماذا توزع؟ لقد اشتريت هذه الأسلحة من حرّ مالي، وسوف أوزعها على أنصاري..) ووجد هذا الحديث معارضة واسعة. فقد فوجئ السياسيون. ولذلك خرج جوزيف أووبيو، ممثل تافينق، ولازارو موتيك، في إشارة إلى احتجاجهم وعدم رضائهم بما قاله الأب- ارتفعت حرارة المشاعر داخل الاجتماع، لأن الجميع كان يعتقد أن الأب قد أنحاز لمجموعته من قبيلة اللاتوكا وأنه أصبح بذلك قبلياً في تفكيره وتخلي عن دوره كقائد وطني- وظاهرياً كانت بعض الوحدات قد بدأت تسير في هذا الاتجاه

وتستعدّ للخروج ومقاومة أي إهانة للأب في اجتماع عام أمام السياسيين الآخرين- وفى تلك اللحظات ظلّ جوزيف أدوهو صامتاً وهادئاً. ولكنه سيستفيد من هذه الحادثة لاحقاً عند عودته إلى كمبالا، وذلك لتبرير استمرار معارضته للأب... ضغطت على بيتر موقا (من المجموعة الرابعة) للبقاء وإقناع رجاله بأننا لم نأت إلى هنا لتوزيع أسلحة الأب، وإنما لتوحيد جهودنا في مقاومة العدو المشترك بشكل فعَّال- وقلت له ذكرّ رجالك بأنني أيضاً قادر على توفير أسلحة لكل الناس، كما رأوا في الكنغو- وذكرتهم كيف وقفت القرى المجاورة في وقت سابق في وجه الأعداء دون انتظار وصول أسلحة من أحد.. كل مجموعة كانت تسلّح نفسها بطريقتها- فتفهموا حديثي وبقوا في الاجتماع حتى نهاية المؤتمر- بقي أزبوني منديرى معنا في الأحراش ، بينما تفرق الآخرون- كان يأمل في مرافقتي له في جولة حول الجنوب. ولكنه تراجع عن ذلك بعد أن شعر بعدم استجابتي- فقد كنت مهتماً بالبدء في تنفيذ البرنامج الذي كلّفت به- أخبرته أنني لست قائداً أعلى أو رئيساً لهيئه القيادة. وأكدت له أنني لو كنت في أي من الموقعين، لما تردَّدت في مشاركته في زيارة المناطق المختلفة بصفته مسئولاً عن الدفاع في الحركة. وقلت إن مسئولية الموجه العام تتطلب الاستقرار وأن عملية التدريب يمكن إنجازها فقط في قاعدة مؤمنة، مثل هذه المنطقة. وفى هذه الفترة زارنا سفرينو فولى في المعسكر. وطلب منه مرافقة أزبونى في زيارة لمعسكر آخر في الضفة الغربية.

بعد نهاية المؤتمر كتبت رسالة سرية إلى أميديو تافينق، عبَّرت فيها عن سروري لموقفه وأسباب خروج مجموعته من المؤتمر. وأشرت إلى أنني كنت أتوقع بقاءهم واستشارة الآخرين في الموقف المطلوب- وأخبرته أنني أيضاً فوجئت بإجابة الأب، لكنني كنت أتوقع انتظارهم لاتخاذ موقف موحد، لأن الأب شخص عنيد لا يمكن التعامل معه بسهولة- وأكدت له أنه إذا استمرت المجموعات كلها في المؤتمر لكان من الممكن الوصول إلى توحيدها تحت قيادة واحدة، ولتمَّ اختياره قائداً عاماً لها، لأنه هو الأعلى بين القيادات الموجودة- المهم، وجدت الرسالة

استحسانه، لكنه كان متشككاً في الوصول إلى هذه النتيجة حتى لو بقيت مجموعته- وبالطبع كنت واعياً بأن تافينق لن يقبل أن ينزل ضيفاً على لوهويورو.

*** رحلة أزبوني منديرى :-**

قرر أزبونى منديرى أن يبدأ رحلته داخل الجنوب مباشرة بعد المؤتمر. ولذلك لم يرى أي ضرورة للعودة إلى كمبالا- وأتفق مع سفرينو لمصاحبته في هذه الرحلة. وهو سياسي نشط كان يقوم بمهام الإدارة في المجلس التنفيذي لحزب سانو في فترة جوزيف أدوهو وفترة أقرى جادين على السواء. ومن جانبي رافقتهم عبر منطقة عمليات المجموعة الرابعة حتى موقع آمن قريب من النيل، حيث يمكنهم العبور والتحرك إلى المجموعة الثالثة في الضفة الغربية. أما الآخرون، فقد رجعوا إلى كمبالا، باستثناء الأب. جوزيف أدوهو ذهب ليصفي مكتبه هناك وتعيين مبعوث قبل أن يعود ويلحق بنا في تول. ولكن الأمور لم تسر كما كان متوقعاً. لذلك غيّر أدوهو موقفه بعد نهاية المؤتمر.

كنت في صحبة أزبونى منديرى وفولى لمدة شهر كامل في رحلتهما عبر منطقة المجموعة الثالثة مروراً بالمناطق المأهولة بالسكان- وهناك وجدت أن معظم السكان في منطقة المادي قد نزحوا إلى يوغندا ولم يبقي منهم سوى مجموعة صغيرة منتشرة في داخل الغابات بعيداً عن الطرق. وبعضهم تحرك إلى مناطق قريبة من النيل. وفى منطقة الأشولي بقي الأقورو في مواقعهم، لكن بعضهم وصل إلى أوميمو وبانيكوارا. والزعماء الذين وجدتهم هم :- أكيرى جيرى، زعيم مولى، وأمكنقو أمبرويو، زعيم بانيكوارا- وأخبرني الزعيم أكيرى أن الزعماء لا يهاجرون إلى أرض أجنبية وبالتالي يصبحون أناساً عاديين، بل يبقون في مناطقهم ليواجهوا مشاكلها ويحافظون على كرامتهم ومكانتهم. هذان الزعيمان بقيا في وسط أهلهما المنتشرين في الغابات، حتى اتفاقية 1972 التي أوقفت الحرب وحققت السلام- ووقتها أصبح هؤلاء وأهلهم أركاناً أساسية في حركة الأنيانيا وساهموا

بشكل بارز في صمودنا واستمرارنا- دعمونا وساندونا مادياً ومعنوياً وشجعونا على الاستمرار في القتال.

خلال الرحلة والعودة، كنت أفكر في كيفية تطوير وترقية إدارة مسؤولياتي كموجه عام لحركة الأنيانيا- فكرت في تطوير برامج التدريب التي بدأتها في المؤتمر، وأصبحت أكثر وعياً بأهمية خلفيتي العسكرية ودورها في التقدير والاحترام الذي وجدته من الناس- ونتيجة لذلك قررت القيام بتنفيذ ما كلفني به المؤتمر بأحسن وجه ممكن. ومع ذلك، كان عليَّ أن لا أغامر بالذهاب بعيداً عن قاعدة تأثيري مرة أخرى، بل عليَّ أن التزم بمبدئنا الجديد (.. أبدأ من البيت- أجذب الناس إليك بدلاً من الذهاب إليهم بنفسك.) وفى ضؤ ذلك ناضلت وعملت من أجل الوحدة والتفاهم داخل بيتي أولاً، منطقتي. وأياً كانت أخطاؤنا في مؤتمر تول، فقد نجح في جمعنا مع بعضنا. فباستثناء أزبونى منديرى، الذي جاء من مريدي، فقد كانت البقية كلها من منطقة توريت. كنت أريد تطوير وتعميق قضية الوحدة والمصالحة وسط السياسيين ومجموعات الأنيانيا المختلفة الذين اجتمعوا في المؤتمر- وهذا التوجه هو أحد الأسباب التي منعتني من الذهاب مع أزبونى منديرى في رحلته الطموحة حول الجنوب- وهناك سبب أخر، تمثل في أنني لم أكن أعرفه بشكل كافي يجعلني أغامر بالسفر معه في رحلة غير مدروسة وغير مخططة- وهكذا رجعت إلى تول لأجد الأب قد ذهب أيضاً إلى يوغندا، ومن هناك إلى الكنغو بحثاً عن موارد عينية ونقدية. أما ناثانيل أويت وباكرازيو أوشنق، فقد بقي الأول ليلعب دوراً عسكرياً. ولذلك استقر في المعسكر مع جنوده، بينما عمل الثاني في مسئولية الإشراف على الإمدادات والتموين.

لقد التقط أدوهو مشكلة جديدة مع الأب بعد عودته إلى كمبالا. واستخدم في ذلك ردَّ فعله غير المدروس على سؤال أحد المؤتمرين حول توزيع الأسلحة. فقام ينشر إجابة الأب على نطاق واسع بهدف تقوية مركزه الخاص- والأب في الجانب الآخر أعاد النظر في المسألة برمتها وحاول موازنة موقفه حولها، أثناء تواجده في

يوغندا والكنغو- فأصبح أكثر دبلوماسية، حيث بدأ يقول أن الأسلحة سوف تستخدم بكفاءة أكثر إذا حصرت في مجموعة واحدة قادرة على الاستفادة منها- وضرب مثلاً بالأسلحة التي استخدمت في المحاضرات أثناء المؤتمر (كل الناس يمكنهم استخدام الأسلحة هناك.) كما قال- وأكد لمنتقديه أنه كان يجمع تلك الأسلحة للمقاتلين من أجل الحرية، ولكن يجب استخدامها من خلال مركز موحد وتحت إشراف قيادة منظمة. وأضاف أنه ليس من الحكمة توزيع أسلحة على أفراد يمكن أن يهربوا ويستخدمونها لأغراض أخرى أو إعطائها لقيادات غير مجرّبة. وتساءل (ماذا يمكن أن نفعل غير هذا في ظلّ هذه الظروف؟) المهم تمنيت لو أنه أتخذ هذا الخط منذ البداية.

حاولت مع ناثانيل إبعاد أدوهو عن الحرب الكلامية مع الأب ودعوناه للعمل معنا من أجل تطوير التفاهم والعمل المشترك وسط الجنوبيين ورفع القدرات القتالية لقوات الأنيانيا- وكان أويت قد قام بعدة تحركات بين كتجم وتول، حاملاً رسائل بيني وبينه. وذلك بالإضافة إلى رسائل أخرى مع تافنيق تستهدف تحسين العلاقات بين أبناء اللاتوكا في الحركة- ولم أدخل في مشاكل مع أي منهم. فقد كنت ملتزماً لسياستنا الجديدة والبدء بها في الضفة الشرقية. المهم، كادت محاولاتي للمصالحة أن تنجح- فقد وافق أدوهو مرة على المجيء إلى كتجم في طريقه إلى تول، استجابة لطلبي- ولكنه غير رأيه وعاد إلى كمبالا دون سبب واضح- ولذلك تصاعدت حربه الكلامية مع الأب ساترنينو.

في هذا الأثناء استمرت علاقاتي مع الأب في التحسن، عندما عملنا معاً وبدأنا نفهم بعضنا بشكل أفضل. ويبدو أنه كان على علم بالرسالة التي بعثتها له مع الأب أدليندو فولى وأصبح مقتنعاً بمبدأ (البداية من البيت.) وذلك نتيجة احتكاكه بالنجاحات القليلة التي حققناها معاً وسط أهلنا في المنطقة خلال شهرين فقط، خاصة في مجال تدريبهم وتجهيزهم للعمليات قبل موسم الجفاف- فقد بدأ يتفهم أهمية التدريب وإعادة بناء الثقة بين المقاتلين. وفى وقت لاحق شاهد نتائج كل ذلك

عندما رأى بعينيه الجنود في الميدان وتمني لو بدأنا مثل هذه التدريبات في الفترة السابقة.

عندما أكملنا استعدادنا لخطوتنا القادمة، تركزت في ذهني ملاحظة هامة من خلال تجاربي السابقة. فقد لاحظت أنه عندما يسقط زميل في المعركة، فإن الذي يسارع بالاهتمام به منذ البداية يكون في الغالب من أقاربه أو أبناء عشيرته في فريقه، هو الذي ينبه زملاءه الآخرين ويقوم بالإجراءات الأخرى. ولذلك استفدت من هذه الملاحظات في الفترات اللاحقة.

*** الأب ساترنينو يتحرك :-**

في أكتوبر 1966 قرّر الأب أن نبدأ التحرك بالقوات المتوفرة تحت أيدينا في المجموعتين الثالثة والرابعة اللتان وجدتا تدريباً أفضل من المجموعات الأخرى- وهدفنا الأول في ذلك تمثل في تدمير الكباري، بدءاً من الكباري الكبيرة في طريق جوبا/نمولى وطريق جوبا/توريت. وذلك لحرمان قوات العدو من استخدام السيارات والشاحنات. وعنصر المفاجأة في مثل هذه العمليات كان ضرورياً- لذلك تحركنا بهدوء حتى لا نلفت انتباه العدو- سرنا عن طريق بانكوارا وأقورو نحو الهدف الأول، كبرى نهر كيت- وبدأنا العمل هناك في الرابعة والنصف بعد الظهر وانتهينا في الثامنة صباح اليوم التالي. وتأكدنا من انهيار الكبرى بالكامل. وبحكم معرفتنا بحساسية الأب، فقد أنجزنا العمل بمشاركة الفريقين. بدأ هو العمل وقمت بمساعدته بمراقبة دفاعاتنا عند التحرك من كبري إلى آخر- فتحركنا من كبري كيت إلى آخر في نهر لوقورو- وصلنا بعد يومين وبدأنا العمل مباشرة. وبحكم صغر هذا الكبرى واستفادتنا من تجربتنا السابقة، فقد قمنا بإنجاز المهمة في وقت أقصر. وبذلك بدأنا نفهم بعضنا بشكل أفضل- وقررنا أن إصلاح هذين الجسرين سيتطلب ستة شهور على الأقل. ومن ثم تحركنا لتدمير كباري طريق جوبا/توريت. بدأنا بالصغيرة ثم تحركنا شرقاً للكبرى الأكبر، كبرى

نهر كودو بالقرب من تقاطع أوكارو. بدأنا العمل في العصر لتحاشى الاحتكاك مع العدو. قمنا أولاً بتدمير الكباري الصغيرة حتى نحرم العدو من استخدام آلياته في الحركة وبالتالي تمكيننا من العمل بهدوء وأمان. والملفت أننا لم نشاهد أي قوات حتى بعد أن دمرنا عدداً من الكباري.

*** مرض الأب ساترنينو :-**

في بداية نوفمبر كنا في الجزء الشمالي لطريق جوبا/توريت. وبعد تدمير كبـــرى كودو، بقي لنا كبرى خـــور دليـــب، على بعد 14 ميلاً من توريت. وفى7 نوفمبر 1966 توجهنا نحوه. اقترحت أن نعمل بالنهار لمنع العدو من القتال ولاختبار قواتنا. كنت أرى أن الوقت قد حان لذلك، بعد أن قمنا بتدمير معظم كباري المنطقة. فرحب الأب بالاقتراح. ولذلك عسكرنا على بعد سبعة أميال من الكبرى حتى نصله في اليوم التالي في صحة وعافية.

بعد تحركنا في 8 نوفمبر بدأ الأب يتقيأ ويرتجف من الحمي. فقام بروتو أورول، مساعد الحكيم المجرَّب، بمعالجته من الملاريا ونصحه بالبقاء تحت بطانيته في ساعات الصباح الباردة- وتسبب ذلك في إزعاج الأب، لأنه يعني عدم مشاركته في العملية المتوقعة أو إلغائها- فبدأ يتوتر ويتشنج- طلبت منه التذرع بالصبر والسيطرة على نفسه- وقلت له أنني أتفهم وضعيته وأن المرض لا يستأذننا ولا أحد يريد أن يمرض. دعوت له بالشفاء العاجل وطلبت منه البقاء في المعسكر لأنني سأقوم بتنفيذ العملية كما خططناها معاً. ووجد حديثي دعم ومساندة المساعد الطبي. المهم، أدى ذلك إلى تهدئته فطلب مني جمع قيادات الفريق حتى يتحدث معهم بنفسه. ونفذت طلبه في الحال.

*** عندما تكلم الأب :-**

كان الأب لا يزال يرتجف من الحمي ويعمل كلما في وسعه للسيطرة على مشاعره، عندما بدأ حديثه معنا- ركز على أهمية الوحدة والانضباط والنظام- فقال

(هذا أهم عامل في تحقيق انتصاراتنا وإنجازاتنا..) ونصح المجموعتين الثالثة والرابعة بالتمسك بوحدتهما في سبيل الهدف المشترك ولمصلحة الحركة بشكل عام، لأن الحركة، كما قال، ستتوحد حولهما بشكل تلقائي. وطلب منهم بلغة عربي جوبا البسيطة: (كان أنا مافى ما تسيبو لاغو.. كان أوا روا بليت تا مادي، رووا، كون ورا أوا.. أوا ياوو رجا أتا في بليت.) أي حتى عندما لا أكون هنا لا تتركوا لاغو.. إذا ذهب هو إلى أهله المادي، تابعوه، هو سيرجعكم إلى بلدكم... كانت الدموع تجرى من عيونه وهو يقول تلك الكلمات الصادقة، التي كرمتني أمام جنودي. أخذت ذلك كتحدى، كثقة غالية عليَّ الالتزام باستحقاقاتها بشكل عملي. وبالنسبة للجنود، فقد قدمني لهم باعتباري قائدهم دون منازع، بحيث لا يمكن أن يستمعوا بعدها إلى أي شائعات تمس هذه الثقة- كانت كتذكير لهم، خاصة الذين جاءوا معه من منطقته، بأنه إذا حاول السياسيون استغلال المشاعر القبلية لإبعاد الناس من حولي في المستقبل، فإنهم لن ينجحوا.

بدأنا التحرك تجاه بقية أهدافنا (كبري خور دليب) في الساعة التاسعة صباحاً. وتركنا الأب وبروتو في المعسكر مع اثنين من الحرس- ووصلنا إلى الموقع في منتصف النهار. وهناك وجدنا عدداً من الكباري الصغيرة وليس واحداً فقط، كما كنا نتوقع- فاخترت أكبرها للبدء في تدميره. وكان عليَّ أن أقوم بواجبي وواجب الأب في نفس الوقت. ولذلك بدأت في تنظيم رجالي في مواقع دفاعية، بدءاً باتجاه جوبا، حيث كنا نتوقع هجوم العدو- فوضعت بلتوناً هناك، ثم تحركت لنشر القوة الرئيسية في اتجاه توريت، حيث كنا نتوقع مجيء العدو بآليات وشاحنات. وصدقت توقعاتي. فعندما كنت أدرس المنطقة مع قياداتي، سمع البعض صوت آليات قادمة من توريت. فأبلغوني بذلك. وفي نفس الوقت كانت هناك طيارة (تتبع خطوطاً عالمية) تمر من فوقنا. ولذلك لم اصدق البلاغ، باعتبار أن ما سمعوه هو صوت الطيارة. ولكن أصدرت أوامر سريعة باتخاذ مواقع في جانبي الطريق وتوجيه البنادق تجاه الأسطول المتوقع وصوله. ووجهت بتأجيل ضرب النار حتى

سماع صوت البازوكا أو رصاص البنادق – اتخذ الرجال مواقعهم بسرعة، وذلك قبل فترة قصيرة من وصول أول شاحنة إلى المنطقة. وهنا ابلغني رجال البازوكا والبنادق باستعدادهم لإطلاق النار– وعندما اقتربت الشاحنة بشكل كافي، همست في أذان جندي البازنكا (اضرب.) ولكن السلاح لم يعمل. لذلك قام لويس بإطلاق قنابله، لتصيب الشاحنة. فضحكت بصوت عالي (ممتاز، جيد جداً..) وسمعني جنود العدو. لكننا لم ننتظرهم. أمرت رجل البازوكا بالانسحاب مع سلاحه وسحبت الكلاشنكوف من حرسي وأعطيته مسدس وطلبت منه مرافقة حامل البازوكا– وفي سرعة قمنا بتغيير مواقعنا لترتيب ميداننا والاقتراب في تمهل من العدو– وفي تلك اللحظات قاموا بتوجيه نيران ثقيلة في اتجاهنا. فغير جنودنا مواقعهم بشكل ملائم واستمروا في إطلاق النار تجاه قوات العدو المتراجعة. قام العدو بتوجيه نيرانه نحو الغابات، لكننا كنا بجانب الطريق بالقرب منه– ووضح أن هذه النيران كانت غطاءاً لانسحابهم. وبعدها هربت الآليات بعيداً عنا. وعندما تأكدنا من ابتعادهم، خطوت نحو الطريق مع اثنين من رجالي. وهناك وجدت الشاحنة التي ضربناها مشتعلة بالنيران. فأطلقت صفارة، سمعها جنودي واندفعوا نحو الطريق أيضاً. وعندما تجمعوا أمرت بعضهم بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الشاحنة الملتهبة وبقاء الآخرين في مواقع دفاعية استعداداً لمواجهة احتمال عودة القوات المعادية.

*** شفاء الأب :–**

اندهشنا كثيراً عندما رأينا الأب والمساعد الطبي يقفزان إلى داخل الطريق في تلك اللحظات. كنت وقتها لا أزال أفكر في تنظيم ميدان المعركة، عندما أندفع بعض الرجال لإطلاق النار. وكادت روحي أن تخرج عندما سمعت صراخه (أوقوتو مونياميجي. تحياتي لكم أيها الشباب المناضل..). وهكذا لحق بنا الأب وشاركنا في إطفاء النيران المشتعلة في الشاحنة، حيث وجدنا ثلاث جثث محروقة في داخلها. واستطعنا إنقاذ أسلحتهم الخاصة (بنادق **G3**) وكانت في حالة جيدة.

وتمكنا أيضاً من إنقاذ مدفعين ثقيلين (رشاش) ولكن لم نستطع تشغيلهما. ومع ذلك احتفظنا بهما للعرض. وبعد فحص المنطقة اكتشفنا أن أحد رجالنا قد قتل. فدفناه في مكانه وانسحبنا إلى موقع آمن في الأدغال لقضاء الليلة هناك. وفى اليوم التالي تحركنا إلى لودو، شمال غرب توريت. وكان من الضروري الذهاب إلى هناك ومخلفات المعركة واضحة في أيدينا، وذلك لنؤكد للسكان المحليين إمكانية هزيمة العدو وإجباره على التراجع- والشاهد على ذلك ما كنا نحمله من مواد جمعناها من الشاحنة المحطمة. قضينا يومين هناك للراحة والاحتفال بنصرنا، بينما كان سكان قرية موياميجى يراقبون تحركات العدو في المنطقة. وهناك سمعنا، بكل أسف، أن جماعة تافينق قد بدأت نشاطاً عدائياً ضد عناصر المجموعة الثالثة ومصادرة المواد التي يحملونها. وعلمنا أيضاً أنهم قد قاموا بحرق قافلة تابعة للمجموعة كانت تمرُّ في الطريق. وأدت هذه المعلومات إلى سخط الأب وماركولوهويورو، عدو تافينق اللدود، الذي إقترح مهاجمة رئاسته في لوريفا في أعلى جبال أماتونج- وفى البداية لم أهتم بالأمر، بل اعتبرته لا يخصني، مع أنني استنكرته. وبعد يومين في لودو تحركنا إلى أدالى (نقطة إدارية قديمة في جبال لوبيت، اختارتها المجموعة الثالثة كقاعدة لمعسكرها) وهى منطقة آمنة. لذلك أخذنا ما معنا من غنائم إلى هناك لإصلاحها وتخزينها.

ومن خلف ستار، كان ماركو لوهويورو، يدفع الأب لمهاجمة مركز تافينق وإنهاء الإزعاج الذي يسببه. وحسب رأيه أن ذلك سيفرغنا لمواجهة عدو وحيد هو جيش الاحتلال العربي الشمالي في الضفة الشرقية. وكنت قلقاً من هذا التوجّه. ولذلك حذرت الأب من السماح بصراعات دموية بين وحدات الأنيانيا أياً كانت الأسباب. وأخبرته بقناعتي بأنه مهما كان حجم انحراف أي قائد من القيادات، فإننا سننجح، في النهاية، في توحيد الأنيانيا. وركزت له على ضرورة عدم السماح بتطور أي حالة قد تخلق مرارات بين الناس وتعرقل أي إمكانية للوحدة في المستقبل- ولكن الأب كان محاصراً في أزمة بيني وبين لوهويورو- وعند عودتنا

إلى لودو سمعنا تفاصيل أكثر عن نشاطات مجموعة تافينق. علمنا أنهم استولوا على مواد عسكرية كانت تحملها عناصر تابعة للمجموعة الثالثة في الطريق بين أدالى وتول- وهذا العمل العدائي كان يمثل نوعاً من القرصنة تحت حماية تافينق نفسه- فقد قيل أنه يبرره بحجة أنه الطريق الوحيد للحصول على نصيبه من المواد العسكرية. وهنا شعر الأب بضرورة إيقاف مثل هذه التجاوزات، حتى لو كان ذلك بالهجوم على مركزه في لوريفا في جبال أماتونج- وبعد قليل من التفكير، إقترح القيام باستعراض قوة عن طريق تسيير قوة كبيرة إلى مركزه في الأماتونج، بشرط عدم إطلاق النار إلا في حالة الدفاع عن النفس - وعلى أي حال، عندما وصلنا إلى هناك خاطب الجمع بقوله: (..علينا مصادرة أي مواد عسكرية تقع في أيدينا، تماماً مثل ما فعل جنوده مع المجموعة الثالثة. وإذا أطلق جنوده النار على قوتنا، علينا الردَّ عليهم بقوة وأخذ مواقعنا لمهاجمة لوريفا.) فصعقت لحديثه، لأنني لم أكن مستعداً لقيادة حرب بين وحدات الأنيانيا.

*** الهجوم على مركز تافينق :-**

استناداً على رسالتي لتافينق من تول، وافقت على السير إلى مركزه- فقد كان واضحاً أن ذلك سيتم، حتى لو أعلنت اعتراضي عليه، وسيقوده الأب ولوهويورو- وهناك سيجدون الرسالة التي أرسلتها إلى تافينق، وسوف أبدو كشخص منافق يتعامل مع الطرفين. هذه الرسالة يجب تأمينها وإعادتها إليّ لإعدامها- يجب أن لا تقع في يد الأب ومجموعته. وانطلاقاً من ذلك اتفقت مع ناثانيل أويت على الحصول على ملفات تافينق قبل أن تصل إليها أيدي مجموعة الأب.

تحركنا من لودو نحو المركز. وكنا نقول للسكان المحليين الذين يتساءلون عن هدفنا، بأننا نريد أن نضع يدنا في يد تافينق. وقد أكدنا ذلك بإرسال رسل للقرى المجاورة أثناء سيرنا. والهدف من ذلك أن نحمّل تافينق مسئولية ما قد يحدث في

حالة انفجار معركة بين الطرفين- ووقتها ستظهر مجموعته كمجموعة غير راغبة في مصالحة إخوانها الذين يشاركونها القتال ضد العدو المشترك- ستظهر كمجموعة عاطلة تعيش في الجبال لتمارس القرصنة وقطع الطرق وقتل زملائها، كما يكشف الواقع، كمجموعة لا تملك أي خطة لمحاربة العدو الحقيقي، الذي يضطهد ويقمع زملائهم المقاتلين من أجل الحرية. ومن جانبنا، فقد أوضحنا للناس أننا جادون في مقاومة العدو- هذه الرسالة نشرها راديو الغابة في كل قرى اللاتوكا. وكان ذلك بهدف إجبار تافينق بإعادة النظر في موقفه وسلوكه- فسيرنا نحوه كان يحمل رسالة بحسن نوايانا تجاهه، رغم أنه لم يدعونا لزيارته. قطعنا الطريق عبر أفوتو.. وكررنا نفس الرسالة، كأننا نقوم بهجوم سياسي، بأننا في طريقنا إلى أخينا الذي رفض الوقوف معنا ضد عدونا المشترك.

قضينا الليلة في أسفل الجبل استعداداً للصعود للمركز في اليوم التالي- واخترنا من سيتقدموننا في الصعود- وما أسميناه رسالة نوايا حسنة كان في حقيقته عملاً عسكرياً محضاً. فمجموعة المقدمة أعدت للمعركة في حالة أقدام جنود تافينق على إطلاق النار في وجههم- واخترت ناثانيل أويت لقيادتها وليهتمّ بحرصي على تأمين الملفات- ووافق الأب على ذلك، بحكم جهله بأسباب اختياري ناثانيل وموافقتي على العملية- وتأكدت أن الأخير قد تفهم أن تلك الملفات هي التي دفعتني إلى الموافقة على المجيء إلى هنا وأنه يجب عليه تأمينها- ويبدو أن المجموعة فاجأت تافينق، لأنه خرج تاركاً خلفه أشياءه الشخصية، مثل القبعة التي وضع فيها شارته كنوع من شرف الجنرال. ووقتها كان قد رقّي نفسه لرتبة اللواء والقائد العام لقوات الأنيانيا، دون سند من أي قيادة سياسية. فماذا يعنى له الناس الملتفين حوله إن الأب وشخصي يقفون هناك لمواجهته وربما لاعتقاله؟ كيف كان تقييمه للموقف عندما علم بمجيئنا؟ ربما فكر في الأمر كرسالة نوايا حسنة أكثر من كونه عملاً عدائياً. وإذا كنت في محله، لوضعت الاختيارات التالية:(1) مواجهة الغزاة بإطلاق النار في حالة الدفاع عن النفس(2) تفريغ المعسكر حتى لا يجد الغزاة شيئاً مفيداً...

والمدهش أنه بقي دون قرار حاسم حتى وصول مجموعتنا دون أي اعتراض، ثم اختفي وسط الحشائش تاركاً كل شئ تقريباً خلفه. ويبدو أنه لم يتعامل معنا بجدّية، لأنه لم يجرى أي ترتيبات دفاعية حول معسكره- وربما أعتقد أن الدفاعات الطبيعية كافية لصدّ المهاجمين- ولكن ذلك لم يكن صحيحاً. ويبدو أن هذا الضعف الخطير في الثقافة العسكرية كان يشكل سمة عامة في نشاط الأنيانيا ولا يخص تافينق وحده- فبعض القيادات كانت تقيم معسكراتها في مناطق بعيدة ومعزولة وتعيش حياة مدنية عادية، بوهم أن العدو لن يصل إليها- ولذلك كان تافينق مهملاً. وعندما فوجئ بالهجوم هرب وترك مكتبه كما هو. وهكذا تحرك ناثانيل ليصادر كل الملفات ويؤمن رسالتي، كما اتفقت معه. وبذلك تحقق هدف موافقتي على العملية. وعندما وصلت القوة الرئيسية مع الأب ساترنينو، وجدنا كل شئ هادئاً ومستقراً- وظهر بعض رجال تافينق في وقت لاحق، بما في ذلك حرسه الخاص، وبدءوا يتحركون بحرية مع جنودنا- وأكثر من ذلك، أن حرسه الخاص جاءني مباشرة وقدم نفسه. وانطلاقاً من مؤشرات هذه الثقة والجرأة استبعدت كل احتمالات الدخول في معركة، بل بدأت أحس بالذنب، كشريك في جريمة ضد زميل (تافينق.) وتذكرت الأسباب التي جاءت بي إلى هنا، هدفي الخاص، الرسالة التي كتبتها لتافينق. ولم أكن أحمل أي شئ شخصي ضد المذكور- فاحتفظت بممتلكاته الخاصة ومنعت جنودي من نهبها ودعوت حرسه الخاص لجمع هذه الممتلكات من بين المواد الموضوعة أمامنا وحفظها في مكان منفصل- وأثناء قيامه بهذه العملية، قام لوهويورو بسحب القبعة، قائلاً أنها ليست شخصية، بل هي جزء من اللبس الرسمي. فاعترضت ولم أوافق على رأيه وطلبت منه إعادتها إلى محلها. ولكنه رفض ودخل معي في مشاجرة لا معني لها- فنزلنا إلى مكان التجمع ومعنا الحرس الذي كان لا يزال يطالب بالقبعة. اتجهت إلى الأب وتحدثت معه بجدِّية، لأن المذكور لا يطيع سواه. وتعمدت الحديث بصوت عالي حتى يسمعني الجميع. وهنا همهم الجنود (.. لوهويورو مشكلة، يريد أن يفسد العلاقة الممتازة بين الأب ولاغو

ويدفع هذا الشاب ليبتعد عنا مع مجموعته- يجب أن لا نسمح بحدوث ذلك.) وبعد لحظات تحوّلت الهمهمة إلى حديث مسموع. فتحدث أحد الرجال (من قرية الأب ولاهويورو) وقال (.. لوهويورو يجب أن يرجع القبعة لتسلم للحرس. وإذا رفض علينا أن نربطه. يجب أن لا نتركه يستمر كعنصر مشاكل وتفتيت.) ووجد حديثه قبولاً واسعاً- وأكد الجنود أن المذكور يمثّل مصدراً لخلق المشاكل والانقسامات، وهو سبب المشاكل مع تافينق، والآن يريد أن يخلق مشكلة أخرى مع لاغو- وعندما شعر بأن الجميع لا يؤيدونه، أصبح خائفاً ومضطرباً. فقذف القبعة لي وقمت بتمريرها على الجنود تقديراً لموقفهم، ثم سلمتها للحرس. وقلت بعربي جوبا(..رجا دى لي تافينق، نينا ما جا في نياكاما والا في دشمان. نينا لي أوو أكو بتانا. نينا كان أزو كليمو ما أوا بس) أي رجع هذه إلى تافينق، لم نأت هنا للنهب أو القتال. جئنا إليه كأخ ونريد أن نتفاهم معه... وركزت على مسألة الوحدة ومزايا العمل المشترك، كما تعلمنا في عملياتنا الأخيرة- وأخبرت الحرس أن هدفنا الرئيسي هو دفع تافينق ليضع يده في يدنا لنحارب العدو المشترك:- العرب. وبذلك أنتهي هذا التمرين الفريد من نوعه.

*** إجازة للكريسماس :-**

قضينا بقية اليوم في لوريفا نخطط لخطوتنا المقبلة قبل التحرك إلى منطقة آمنة في المساء. وكان الوقت مناسباً لمنح الجميع إجازة لاحتفالات الكريسماس وقضاء بعض الوقت مع أسرهم- فقمنا بتقسيم القوة المشتركة إلى مجموعاتها الأصلية وتحركت كل مجموعة إلى قاعدتها قبل بدء الإجازة. وكان ذلك ملائماً لأن الأب يريد الذهاب إلى يوغندا والكنغو للبحث عن أسلحة وتمويل إضافي. واتفقنا على التجمع مرة أخرى في تول بعد هطول الأمطار في أبريل القادم. وتوقفنا في اقوتو لقضاء اجمل وقت مع بعضنا- ولسوء الحظ كانت تلك آخر مناسبة تجمعنا مع الأب ساترنينو.

تحرك الأب مع حرس من المجموعة الثالثة عن طريق ليرى إلى تول والحدود اليوغندية. وبعد عودة الحرس، توجهت إلى أوميمو مع المجموعة الرابعة. وأثناء مرورنا عبر أيدو، قام أوموبونو بيلى، أحد قيادات تافينق ومحارب قديم في فرقة الاستوائية، بمهاجمة مجموعتنا المتقدمة. فعندما توغل رجالنا في الغابات، ظهر وأمرهم بالاستسلام أو رميهم بالرصاص- وكان يحاول الثأر لما حدث في مركز تافينق قبيل أيام وعلى أي حال، هرب أحد رجالنا ووصل لإبلاغنا بما حدث- فأوقفت القوة الرئيسية وأخبرتهم بأنني سوف أعمل للتفاوض معه سلمياً- وفى هذا الأثناء أمرت القوة بالبقاء هناك حتى سماع صوت رصاص أوموبونو أو كلمة مني- تحركت إلى الموقع في الغابة وقدمت له نفسي كقائد لفريقنا وطلبت منه لقاء القيادات الأخرى. تقدم نحوي وقدم نفسه (الميجر نوبيلى أوموبو) وسألني: (اتا أكو بتانا، أتا أوزو سنو ؟) أي (أخي ماذا تريد؟) قلت (أريد سلاحاً بديلاً للسلاح الذي نهبته من تافينق.) أحد رجاله صاح قائلاً (سلاح تافينق نهبته المجموعة الثالثة وليس نحن.) فقال الميجر إننا ذهبنا إلى لوريفا مع المجموعة الثالثة وشاركنا في أعمال إجرامية. ولذلك يجب أن ندفع ثمن ما فعلنا- أخبرت بعض رجالي برمي بعض البنادق حتى نتحاشى أي صراع دموي، كما كانوا يريدون- وعندما بدأ رجاله في جمع تلك البنادق، ضحكت وقلت له:- (هل أنتم سعداء بالاستيلاء على سلاح رفاقكم؟ لقد جمعنا السلاح من العدو بعد أن ضربناهم.) أجاب بقوله (إننا لا نملك السلاح الذي عندكم. لكن، سوف نفعل ما فعلتموه.) تحرك أحدهم وأخذ مسدسي. فصرخ الميجر في وجهه (سبو سلا بتا أووا، ولى دى بكوا بى نافى نينا كلو. أوا أنا بتانا. بادير ياوو جيبو دوسا..) أي اترك سلاحه، هذا الولد سيساعدنا كلنا غداً، أنه عيننا- الأب مسئول عن هذه المشكلة (أنتهي.) أعجبتني ملاحظته. وشعرت أن رجالنا غير المتعلمين والأقل فصاحةً يظهرون مسئولية أكثر منا نحن المتعلمين. ففي وطنيتهم وعلاقاتهم مع بعضهم يعكسون جوانب إنسانية أكثر. إنه

يعتبرني ثروة وطنية عامة، للجميع، بينما تعكس نظرة المتعلمين مشاعر سياسية مختلطة غير واضحة. المهم هذا الحادث فتح مناطق جديدة للتفكير والتأمل.

تحركنا إلى أوميمو، قرية بانكرازيو أوشنق، حيث استقبلنا بحرارة وعوملنا كأبناء المنطقة. أخذنا قسطاً من الراحة مع أقربائه مدة يومين، ثم واصلنا المسير عن طريق بانيكوارا إلى منطقة أخرى، منطقة أوباري في شاطئ نهر أتابى، غرب جبل أيبا. المنطقة ليست غريبة عليّ. ووجدت أنها ملائمة لتدريب مجموعات كبيرة من المجندين- فكرت في إعادة فحصها أكثر ومن ثم الذهاب إلى قولو مع زميلي إيمانويل لقضاء بعض الوقت مع أسرته- ولسوء الحظ لم أتمكن من تنفيذ الفكرة الأخيرة. فقد قام رئيس الوزراء، السيد الصادق المهدى، بمبادرة دبلوماسية وكسب تعاون الحكومة اليوغندية. وأدى ذلك إلى توسيع العداء للجنوبيين السودانيين في يوغندا ومنطقة الحدود بين البلدين، وصاحب ذلك إعتقالات واسعة في أوساطهم وترحيلهم إلى معسكرات اللاجئين. وعلمت أن أنجيلو فوقا كان من بين المعتقلين. وكان قريباً مني، حيث أننا من فرع واحد يتبع قبيلة المادي، وكنا زملاء في مدرسة رومبيك الثانوية. ونتيجة لهذه الحملات المعادية لم أغامر بدخول يوغندا. فقد كنت أعلم بوجود اسمي في قائمة المطلوبين من السلطات الأمنية، وأن هناك وحدات شمالية تحوم في شمال يوغندا بحثاً عن انتصارات موهومة. وهذه المخاوف كانت مبررة- فقد حدثني الرائد صلاح عبدالعال، بعد اتفاقية 1972، بأنه كان (.. أحد الضباط الذين كانوا يتحركون حول لوكنق مع القوات اليوغندية. فتطوعت بالذهاب إلى هناك، حتى أتمكن من القبض عليك حياً أو ميتاً. وتذكر أنك أستلفت كتاباً من مكتبتي حول الثورة. وكنت أعمل لاستعادته. كنت أخاف إذا وجده ضابط آخر، فقد يؤدى ذلك إلى اتهامي بمشاركتك في التمرد الجنوبي- وكان يمكن تصديق ذلك، لأننا كنا معروفين كأصدقاء ولوني أسود، تماماً كالجنوبيين.) كنت مسروراً أن اسمع ذلك من صلاح. ومع ذلك فإنني لا أتذكر استلاف كتاب منه، وربما يكون ذلك صحيحاً بحكم حبي لقراءة الكتب. وإذا حدث ذلك، فإن حالته تكون مشابهة

لحالتي عندما وافقت على الهجوم على رئاسة تافينق. وفى كل الأحوال تبقي شهادته دليلاً على أن القوات اليوغندية كانت تحاربنا وقتها جنباً إلى جنب مع عدونا الحقيقي، الجيش السوداني. فقد كانت الاتهامات في تلك الفترة تشير إلى قيام الجنود اليوغنديين بقمع واضطهاد النساء الجنوبيات، خلال حملات اعتقال الجنوبيين وترحيلهم إلى معسكرات خارج المدن- وأدى ذلك إلى قتل عدد كبير منهن. وكان الجنود السودانيون يشاركون القوات اليوغندية في عملياتها هذه في المناطق الحدودية والمدن المجاورة.

جاء شهر ديسمبر وانتهى ولم نحتفل بالكريسماس في تلك السنة. لا أتذكر بالضبط أين كنت في ذلك الوقت. أتذكر فقط أنني كنت في حالة طوارئ، في حالة حركة، مع أيمانويل وآخرين- وفى يناير اشتدت حملات المتابعة والاعتقال والتمشيط بواسطة القوات اليوغندية والسودانية. وعلمنا أن أدوهو قد نجا من الاعتقال وهرب إلى ديتو، قاعدة المجموعة الثانية، حيث بقي هناك مع قائد المجموعة لازارو موتيك- في تلك الأيام لم يجد الجنوبيون ملجأ مناسباً. سمعنا بصدامات بين وحدات الجيش اليوغندى وعناصر الانيانيا في الضفة الغربية، بالقرب من موبو، عندما شن اليوغنديون حملات في طول الحدود وقاموا بقمع النساء واغتصابهن. ووقتها وجهت وحداتنا بالتحرك في الحدود وإطلاق النار على كل العناصر المسلحة غير المرتبطة بنا- وهكذا، أدى ذلك إلى إحباط وسط الجنوبيين والى خلق مرارات وأحقاد ضد الحكومة اليوغندية وعملياتها الوحشية ضد المدنيين. وقد عبّر أحد الاشولي عن هذه الحالة في قصيدة بعنوان Wilobo wire (العالم يتحوّل) وصل فيها إلى سبّ الحكومة اليوغندية ورئيسها ملتون أبوتى. ولحّن القصيدة وأصبحت تغني في رقصة أراكا. يقول فيها:

العالم يتحوّل

أرسلت شبابك

لقتل الأطفال السودانيين

عليك اللعنة

أبوتى أعاد النظر في أفكاره

أعاد النظر في أفكاره

العالم تحول

القتل العشوائي انتشر

لم نعد نعرف القتلى

أرسلت شبابك

لقتل أطفالنا

عليك اللعنة

إننا لا نحاربك

نحارب عدونا

ومع ذلك ترسل شبابك

لقتل أطفالنا

عليك اللعنة

أبوتي غيّر أفكاره

غير أفكاره

العالم تحوّل

*** موت في ليمور :-**

كنا نتوقع الأب ساترنينو للالتحاق بنا في الغابة في شهر أبريل حسب خطتنا. ولكنه وصل للحدود في وقت مبكر من ذلك التاريخ- وذلك ربما لسماعه أخبار ما يجرى. فقرر المجيء، مع أنه كان يمكن أن يبقي في نيروبى الآمنة- المهم، لم تكن حالتنا في الغابة أكثر سوءاً من حالة إخواننا في يوغندا. ونتيجة لقراره هذا تعرض للاعتقال في الحدود اليوغندية. والظروف المحيطة بعودة الأب المريض للالتحاق بقواته في الميدان ليست واضحة تماماً. فقد سافر مع إبن عمه، بيتر أودى، وآخر من قبيلته. والرواية التي سمعتها تقول أنه بعد عبور نهر ليمور، وقعوا في أيدي الجنود اليوغنديين الذين أوقفوهم في داخل الحدود السودانية- وبعد تحقيقات قصيرة أمروهم بالذهاب معهم إلى رئاستهم في لوكونق- ويقال أن الجنود كانوا في حالة سكر شديد، وكانوا يحملون معهم شراباً إضافياً- عندما وصلوا إلى منطقة عبور النهر، جلس الجنود على الأرض وبدءوا يشربون وأمروا الأب ورفاقه بالجلوس على الأرض. وهنا فكرت المجموعة في الهروب لأن الجنود فقدوا صوابهم ولن يستطيعوا مطاردتهم. وأقترح الأب على رفاقه انتزاع أسلحة الجنديين والهروب إلى داخل السودان- يهاجم الأب وجون الجندي الأقل سكراً، بينما يهاجم بيتر الجندي الآخر- وبعد أخذ الأسلحة عليهم الهروب. وكان على الأب أن يعطى إشارة البدء في العملية بالقفز على هدفه ومن ثم يشاركه جون وأودى. ولكنه وجد نفسه يصارع الجنديين وحده. إذ لم يتمكن رفيقاه من الحركة لأن الجنديان امسكاهم من إقدامهما. ولذلك تعب من المصارعة ورمى قتيلاً بالرصاص. وبيتر أودى الذي نجا من المعركة لا يوافق على هذه الرواية، لكنه فشل في نشر روايته. المهم هذا الحادث كان في 7 فبراير1967. وفى وقت لاحق أعيد دفن جثمان الأب في الكنيسة الكاثولوكية في كتجم شمال يوغندا.

في ذلك الوقت كنت في نيونقوا، عندما جاءني رسول بهذا الخبر المجنون بعد يوم من الحادث. وكنت قد رجعت تواً من جولة حول باراسيل في الحدود اليوغندية برفقة أخي أيمانويل وعدد من جنود المجموعة الرابعة، وذلك لمراقبة تحركات القوات اليوغندية. شعرت بصدمة صاعقة وحزن شديد عند سماع الخبر- شعرت أيضاً بانهيار جسماني ومعنوي. فقد فقدت الحركة قائداً نشطاً وفعالاً، لا يمكن تعويضه. كنت غير قادر على العمل بأي حال مع جوزيف أدوهو. ويمكنني منذ الآن رؤية المشاكل وسط السياسيين في المنفي، صراعاتهم من أجل السلطة- أتوقع مشاكل من أدوهو، الذي سيحاول فرض قيادته على الآخرين- وسمعت بالفعل أنه أعلن رئاسة موتيك عاصمة لحكومته في الغابة بعد وصوله إلى هناك من كمبالا- وفى الوقت نفسه أعلن وزيره للدفاع، أزبوني منديرى، هذا الرجل الطموح أعلن لوميلنقوا في منطقة المورو مركزاً لقيادة قوات الأنيانيا- كانت الحالة العامة مرتبكة ومشوّشة.. إلى أي عاصمة أو رئاسة أتجه؟ بقية أعضاء المجلس التنفيذي التابع لجوزيف أدوهو لم يدلوا بأي موقف ولا أحد يعرف أماكن تواجدهم- ظلوا صامتين وموزعين في ربوع يوغندا. بعضهم سافر إلى كينيا أو الكنغو هروباً من الاعتقال- إذ لم يكن من الممكن التحرك بحرية في البلاد في تلك الفترة التي تمثّل أصعب الفترات بالنسبة للسياسيين الجنوبيين منذ بداية الحرب الأهلية في السودان. فماذا يخبئ المستقبل في إطار تلك الظروف ؟؟

فكرت في العمل من موقعي المستقل بعيداً عن جوزيف أدوهو ووزير دفاعه. وقررت أن أجمع المجموعتين وأناقش مع قياداتهما الوضع الراهن واحتمالاته وموقفنا منها- فذهبت إلى لورونيو- قرية الأب- لأشاطر أسرته وأهله في مأتمه، وكانت قوات الحكومة قد قامت بحرق القرية في العام الماضي قبل وفاته، ولكن الناس استقروا قريباً منها في الغابة- وهناك زرنا أخته التي سعدت بحضورنا. تحدثت بصوت خفيض ونبرة متواضعة بلغة اللاتوكا. وركزت على الوحدة وكرّرت كلمة الوحدة (أبوتي) كثيراً في حديثها- كانت تكرّر حديث شقيقها

عندما مرض في المعسكر، كأنها حفظت كلماته: (إذا أردتم بلادكم، فتوحدوا معاً) كما قالت.

*** رسالة من أدوهو إلى المجموعة الثالثة :-**

في عودتنا عن طريق لودو وجدنا رسالة من جوزيف أدوهو لقيادة المجموعة الثالثة. وفى رسالته طلب من القائد ومجموعته الالتحاق به في ديتو، وذلك لحضور المراسيم التقليدية لتأبين الأب ساترنينو- لم يذكر اسمي في رسالته، بل تجاهل وجودي بشكل متعمد- وكل من يقرأ تلك الرسالة يشعر بأنه لا يستهدف خيراً. كان يدعو الناس للوصول إليه أكثر من وصوله هو للناس، كما فعلت أنا عندما ذهبت إلى قرية الأب لتقديم العزاء لأسرته وأهله. والمفارقة أنه يريد أن ينظم مراسيم تقليدية في تأبين أسقف كاثوليكي- والمكان الملائم لذلك، إذا كان لابد منه، هو قرية الأب أو مكان ميلاده- المهم رفضت رسالته، باعتبارها مناورة سياسية صرفة. كان يبحث عن طريقة تفصل بيني وبين اللاتوكا- واعتمد في ذلك على المشاعر القبلية، بهدف فرض قيادته على القبيلة أولاً ثم على كل الضفة الشرقية لاحقاً. ولكن ذلك لا يكون – فكلمات الأب لجنوده بالبقاء معي لاتزال حيّة في الذاكرة- ولذلك اعتبرت تحركات أدوهو كتوجه انتهازي مرفوض منذ البداية. من لودو اتجهنا إلى موليك وعسكرنا بالقرب من أحد روافد نهر كودو، في غابة دليب مليئة بالثمر- ومع توفر الطيور والحيوانات، أصبحنا نقايض اللحوم بالحبوب مع السكان المحليين هناك- كنا فقط نفتقد الملح. ولكن رماد حطب الدليب كان يوفر بديلاً ملائماً، بعد تنقيعه في الماء. قررت البقاء هناك حتى نهاية موسم الجفاف- وذلك لإعادة تنظيم قوتنا المتحركة الموحدة. وموليك كانت تمثل موقعاً استراتيجيا ومركزاً بالنسبة للمجموعتين- وهناك انضمت إلينا جماعة صغيرة انشقت من مجموعة تافينق، كانت تتكون من اللوكويا بقيادة ساترنينو أريها (شرطي الحق ببلتوني في نقطة عسكرية في شرق ايكوتو عام 1961/60) فرحبت به

وبمجموعته. وبعد ذلك أستمر الهروب من معسكره، وشمل جوزيف أوبيو وأموبونو بيلى - والأخير جاء بسلاحه الذي سلمته له. ويا للمفارقة أن يجئ هو وذلك السلاح تحت قيادتي. تجمع الناس حولي مندهشين لما فعلته بدون ممارسة أي ضغط أو قمع لإخضاعهم. وكان ذلك أمراً مزعجاً لجوزيف أدوهو.. كيف أصبح قائداً يعتقد فيه الناس في الضفة الشرقية؟؟

*** سلسلة رسائل :-**

بدأ أدوهو في إرسال سلسلة من الخطابات لصغار الجنود من أبناء اللاتوكا في الـCMF يدعوهم فيها إلى ترك معسكرنا والانضمام إليه- وبعض هذه الخطابات قاموا بترجمته حتى أفهم محتواه. وفى ذلك الوقت كنت مستمراً في تدريب وتأهيل المتعلمين وسط الشباب حتى يصبحوا قيادات سياسية وعسكرية- وكانوا يقدرون قياداتهم حق قدرها. كانوا يثقون في نصائح الأب، عندما يستعيدونها ويتأملونها كما وردت في خطابه في نوفمبر 1966- كانوا يعلمون أنهم لن يجدوا ما أوفره لهم عند جوزيف أدوهو- والواقع أن أحد المتدربين (مارشيلو أوتوارى) اقترح الذهاب إلى دينو وإسكات جوزيف أدوهو، كما فعلنا مع تافينق من قبل- وبالطبع لم أوافق على مثل هذا العمل- فهو غير ضروري ويكلفنا تبديد موارد بشرية ومادية كبيرة. لذلك رفضت الفكرة واستمريت في عمليات تدريب الجنود.

مع استمرار الرسائل بين ديتو ومونيك، رأيت خطاباً من لازارو موتيك إلى أحد زملائه القدامى من العسكريين السابقين- جاء فيه: (ليس هناك اختلافات بين أدوهو ولاغو- وما سمعته هو مجرد خداع- فالرجلان يحملان نفس وجهة النظر حولنا. وهدفهم معاً يتمثل في إبعادنا، نحن الذين لم نتعلّم في المدارس، من مواقعنا في القيادة والكمندانية. أنظر من حولك. سيبعدوننا كلنا ليبنوا جيشاً جديداً من أولاد المدارس.) هذا حديث مدهش. ماذا يجرى في ديتو؟ وماذا حدث هناك بين لازارو وأدوهو بعد هروب الأخير إلى هناك؟ الجنود كانوا يناورون بالطبع، ومارشيلو

أخبرني أن المعلومات المذكورة قد تكون صحيحة. قد يكون هناك توتر بين لازارو وأدوهو. وقال إنهم عاشوا مشكلة مشابهة مع ماركو لوهويورو، الذي لايطيق المتعلمين- كان لا يحب رؤيتهم حول الأب وينظر إليهم بسخط وكراهية. وأخبرني أيضاً أنه حتى في معسكرنا، هناك من ينظر إلى المتعلمين بمشاعر مختلفة. فهم لا يحبون حديثهم باللغة الإنجليزية، لأنه يشعرهم بأن هؤلاء يتآمرون عليهم. ويعتبرون التدريب الذي أنظمه مع المقاتلين الشباب، كعمل مقصود لإلغاء دورهم وقيادتهم.

لقد صدقت مارشيلو في ملاحظاته- فقد وصف أحد الصحفيين موتيك بالجنون لرفضه وجود أدوهو المستمر في المعسكر- ويبدو أن وجود القائد الأعلى يؤدى إلى تهميش منزلته وسط جنوده- وهذا السبب يكفي لخلق توترات ومشاكل بين الرجلين- فالتاج الواحد لا يمكن تقسيمه بين ملكين كما يقولون- فأدوهو هو القائد، عندما كان بعيداً وعندما كان يقدم دعماً سياسياً ومادياً متواصلاً- وعندما يصبح قريباً، لا يقدم أي شئ ويعيش بما يوفره هذا المجنون ورجاله، يصبح شخصاً لا أهمية له سوى تهميش القائد الأدنى. وذلك قد يكون هو الذي دفع القائد المجنون إلى كتابة مثل هذا الخطاب لصديقه أثناء وجودنا في موليك. وكنت أرى أن أدوهو قد يواجه مشاكل مع هؤلاء الرجال في وقت ما - فهناك الكثير المشترك بيني وبينه أكثر من الذي يجمعه مع موتيك. لذلك لم أهتم بخطاباته. هي فقط تعبرّ عن أزمة في علاقاته الداخلية.

*** مشكلة قانونية :-**

وجدت نفسي، كما توقعت بعد هذه الأخبار، مواجه بحادثة قتل- كان القتل نتيجة مشاجرة بين شابين حول بندقية. وكان المتهم هو ابن المرحوم الزعيم بيتر أسارا. وكان المتوقع أن أقوم بتسوية المشكلة بين الأطراف المعنية- ولم تكن لي أي تجربة سابقـــــة في مثل هذه المشاكل. فقد رفضت دخول كلية القانون، لأني لا أحب أن أرى الحياة من جانبها السلمي والسيئ- ولذلك لم أكن مرتاحاً لمواجهة

جريمة قتل، والمتهم فيها ابن زعيم عظيم- والزعيم نفسه كان قد قتل في توريت بواسطة القوات الحكومية، بتهمة تأييد ومساعدة الأنيانيا- ومع ذلك كان أهل المنطقة ينظرون لي كرئيس لحكومتهم ويطلبون العدالة- فأهل القتيل كانوا يطلبون حكم العدل، وأم المتهم كانت تطلب الرحمة والعفو وأبدت استعدادها حتى لتقديم بنتها لأسرة القتيل كمقابل، حسب الطريقة التقليدية في تسوية حالات القتل- وكنت أسمع عن زوجها، الزعيم أسارا، زعيم لودو، كقائد بارز مات كبطل- وركزت أرملته على ذلك، ولكني أيضاً شاركت أهل القتيل في أحزانهم- لقد حوصرتُ بين الطرفين وعليّ أن أجد طريقة للخروج من هذه الوضعية. ووقتها عاد سفرينو من رحلة منديرى واقترح تحويل الموضوع برمته إلى الزعيم لوليك لادو، زعيم قبيلة لوكويا البارز ورئيس محكمة جوبا، أعلى محكمة أهلية في المنطقة- وهو معروف بقدرته الكبيرة في تطبيق القانون القبلي التقليدي. وقبيلته هي فرع من قبيلة اللاتوكا، القريبة من معسكرنا- وهذا الزعيم أبتعد من الحكومة، بعد مقتل زميله الزعيم بيتر أسارا، وتسلل إلى داخل الغابة بعد معركة بين القوات الحكومية وقوات الأنيانيا بالقرب من أوباري في منطقتهم، أدت إلى جرح عدد من الجنود- إذ أنه خاف أن اندلاع هذه المعركة في منطقته قد يقوده إلى نفس مصير زميله أسارا- المهم قبلت اقتراح سفرينو، ومباشرة أرسلت في طلب الزعيم الذي جاء حالاً- سمع مني تفاصيل الحادثة وأوصي بتعويض لأهل القتيل، لأن عمر المتهم كان أقل من عشرين عاماً- ووجدت توصيته قبولاً في نفسي وقبلتها أيضاً أسرة القتيل. وفي وقت لاحق عينت الزعيم رئيساً للقضاة التابعين للحركة.

*** مؤتمر أماكورو :-**

فكرة هذا المؤتمر جاءت بمبادرة من سفرينو فولي. وذلك بهدف معالجة الخلافات الجارية وسط قيادات المجموعات في الضفة الشرقية، خاصة القيادات العسكرية والسياسية في منطقة توريت. ولذلك أرسل رسائل إلى القيادات العسكرية

البارزة يدعوها لحضور المؤتمر المزمع عقده- وعمل أيضاً على دفع الزعيم لوليك ليترأس الجلسات. وسافرت معه لمقابلة الزعيم وإقناعه بالفكرة- كان هناك معسكران داخل المؤتمر:- معسكر جوزيف أدوهو وتافينق وموتيك في جانب، ومعسكر قيادة القوات المتحركة الموحدة (قواتنا، قوات المجموعتين الثالثة والرابعة) في الجانب الآخر- جلسنا مباشرة بعد أن جلس الزعيم في الكرسي المخصص له. ولكن أدوهو ومجموعته عملوا على الوصول بعد دخول الجميع وجلوسهم في أماكنهم. وذلك حتى يقف جميع الناس عند دخولهم للقاعة. وقررت أن لا يحدث ذلك. فأخبرت مجموعتنا بالبقاء في أماكنهم عند وصول أدوهو وجماعته- وأكدت لهم أن الشخص الوحيد الذي يجب أن نقف له في المؤتمر هو الزعيم لوليك- لذلك عندما وصل أدوهو بقينا جميعنا في أماكننا. فصدم أدوهو وجماعته من كبار الضباط وجلسوا في أماكنهم بوجوه متجهمة وشعور واضح بالتهميش والدونية.

في الافتتاح ألقي الزعيم خطاباً بعربي جوبا، ركز على ضرورة المصالحة والحاجة للعمل المشترك.(مونيا ميجي أيها المجموعة النشطة. لقد أجبرت قوات العدو للتراجع والانسحاب بفضل الجهود التي بذلها القسيس (الأب ساترنينو) وهذا الشاب (لاغو.) لأول مرة يترك العدو موتاه من خلفه وتشتعل النيران في ناقلاته وآلياته. إذا وضعتم أنتم، الأنيانيا في منطقة توريت، جهودكم تحت قيادة واحدة، فإن النتائج سوف تكون كبيرة وباهرة. والمندوكورو (الشماليون) سوف يطردون خارج أرضنا- لماذا لا تفعلوا ذلك مونيا ميجي؟) ومن ثم بدأت المناقشات، ومعظمها سار في هذا الاتجاه وتحدثت بنفس اللغة، وبعد ذلك فتح الباب للحضور. فتحدث في البداية جوزيف أدوهو. فألقي كلمة طويلة تحاشي فيها أي إشارة إلى المرحوم الأب ساترنينو، على الأقل لإغراء أنصاره في المؤتمر- وكان يركز نظره من وقت لآخر على رجال المجموعة الثالثة، ربما للفت نظر الذين أرسل لهم خطاباته المشار إليها في مكان سابق- وكذلك عمل بعناية خاصة على تحاشي أي إشارة لشخصي. وراهن على تضخيم دورهم في حركة التحرر الوطني الذي بدأ بعد تمرد الجنرال

عبود 1958- وذلك في إشارة إلى انقلاب 1958 الذي أدى إلى استلام الجيش للسلطة وحلّ البرلمان. أما أميديو تافينق، فقد خاطب المؤتمر كلواء، حيث استعاد قصة اعتقاله في بداية تمرد فرقة الاستوائية 1955، عندما سُفِّر للخرطوم- وقال إذا لم يحدث ذلك، فإن الأحوال كانت ستختلف الآن وأن المندوكورو كانوا سيتواجدون في كل جنوب السودان. وتطاول ليقول أنه لا يزال قادراً على توفير القيادة الضرورية لطرد الجيش العربي من الجنوب. وأبدي أسفه لأن القسيس منعه من القيام بواجباته. وذلك ليس فقط بتجاهله، بل ومهاجمته بهدف قتله.(ماذا فعلت للقسيس حتى يعاملني مثل هذه المعاملة؟ في أي منطقة في العالم يحمل القساوسة السلاح؟ هذه الأسئلة موجهة إلى الذين تعلَّموا في المدارس حتى يجيبوا عليها.) ثم واصل (..وأنت يا ابني أغو (لاغو) لقد جئت مع القسيس لمهاجمتي- لماذا تريد أن تقتلني يا ابني، مع أني كنت أعمل لتسليمك قيادة كل قواتنا؟) وكان يشير إليَّ وقتها، ثم واصل ليحكي قصة طويلة حول الهجوم المذكور وكيف هرب بأعجوبة. وحمّل مسئولية الهجوم للأب ساترنينو، بقوله إن هؤلاء هم المسئولون وأنه يفهم أنهم قادوه إلى هناك ضد رغبته، ولكنه لا يحمل أي مرارات ضدي. وقال أنه يعـرف أني شاب جيد ومــفيد في تدريب الأنيانيا في الأسلحة الحديثة.

أما لازارو فقد خاطب المؤتمر ككولونيل- وهو ليس بمتحدث جيد. فهمهم بكلمات ضد الذين تعلَّموا في المدارس، وقال أنهم خطرون ثم عاد إلى موقعه. ولاحظت أن تافينق قد أشاح بوجهه بعيداً تعبيراً عن رفضه لتلك الكلمات. وعندما جاء دوري للكلام، وقفت وأعلنت التزامي بقرارات مؤتمر تول الذي عقد في بداية العام- وكررت تصميمي على القيام بواجبات الموجِّه العام التي كلَّفني بها ذلك المؤتمر. وذكرت المؤتمرين أن مسائل الرتب وهيكل الأنيانيا وغيرها يجب أن تقررها القيادات السياسية وبشكل جماعي وفى مستوي وطني. وأكدت رفضي لأولئك الذين تلبسوا رتب الجنرالات والكولونيلات. وأعلنت أنني لا أوافق على الترقية الذاتية أو الترقيات التي تتم بواسطة سياسيين يعملون لمصلحتهم- واعترفت

أن الهجوم على تافينق كان خطأ اعتذرت عنه نيابة عن المجموعة. وأكدت أنه نتيجة لذلك الخطأ سمحت بأن يقوم أوموبونو بيلي بجمع أسلحة من رجالي، عندما هربنا إلى الغابة، أسلحة كان يمكن استخدامها لشق طريقنا- وكررت أنني لا أرغب في صراعات دموية بين وحدات الانيانيا، وأنني لن أمانع من إعطاء أسلحتي لآخرين لمقاتلة العدو المشترك ولكن لا يمكن أن أحارب زملائي.

توصل المؤتمر إلى أن وحدات الأنيانيا يجب أن تتحرك بحرية وأن تساعد بعضها في كل بقاع جنوب السودان، وأن الوحدة هامة ويجب تحقيقها بأي ثمن. ولتحقيق هذا الهدف من الضروري عقد مؤتمر آخر، يضم ممثلين من كل أنحاء الجنوب. ولم ترد أي موضوعات أخرى في المناقشات، كما لم تتخذ أي قرارات أخرى. وهكذا أعلن الرئيس انتهاء أعمال المؤتمر، حيث ودعنا بعضنا البعض وتفرقنا، كل مجموعة رجعت إلى قاعدتها.

*** تراجيديا أخرى :-**

بعد شهر واحد من مؤتمر أماكورو، تسلمت تقريراً بأن الأب ليوبولد سيقوم بزيارتنا في المعسكر، وأنه سيحضر معه بعض الأدوية. وجنودنا من أبناء الأشولي، الذين يعرفونه، أخبروني أنه أخ باسكوالي باكوتو، زميلي في مدرسة رمبيك الثانوية. وطلب مني أن أرسل مرافقين، لاستقباله في محطة إرسالية ليروا وقيادته حتى المعسكر - كنت مسروراً لذلك. وطلبت من المســاعد الطبي، بروتو أورلي، مقابلته مع مرافقين في ليروا. فسافروا في الحال. ولكن هذا السرور تحوّل إلى مأساة، عندما رجع الفريق الذي أرسلناه- فقد قامت مجموعة من الخارجين على القانون، من برجوك، تحت قيادة دورتيو أوريانق، بمهاجمة مركز تسويق لوكونق ونهبت بضائعه وهربت باتجاه الحدود. وقامت قوة الشرطة الخاصة اليوغندية بمتابعتهم. ولكن آثار أقدام الخارجين اختلطت بآثار الأب ورفاقه الذين اتجهوا مباشرة إلى محطة الإرسالية المهجورة في ليروا، حيث من المفترض أن

يقابلوا بروتو ورفاقه- والتقى الفريقان هناك، كما مخطط، وسار كل شيء على ما يرام- وكانت المنطقة تبدو آمنة من أي احتمال لهجوم من العدو- وهناك قضوا ليلتهم في أمن وسلام- ولكن المفاجأة كانت عند الفجر، حيث انهمر عليهم سيل من الرصاص من الشرطة اليوغندية، التي كانت تستهدف مجموعة قطاع الطرق التي كان يقودها دورتيو أوريانق. وردَّ عليهم فريقنا بإطلاق النار حتى أجبروهم على التراجع- وعند فحص مخلفات الحادث، وجدوا بروتو ميتاً على الأرض. يالها من فاجعة! لقد ضربنا اليوغنديون مرة أخرى. جحيم رصاصهم ضرب مساعدنا الطبي الممتاز- ودفن جثمانه هناك في ليروا.. وبعد ذلك انسحب الفريق وعاد مع الأب إلى المعسكر ليبلغني هذا الخبر المحزن- فصدمت، لأن فقد اثنين من الزملاء الشجعان خلال شهرين فقط كان لا يطاق. وبعد فترة وجيزة تلقيت تقريراً بضربة أخرى من قولو، حيث اعتقل سفرينو فولي في موقف البصات هناك وحكم عليه بالسجن تسعة شهور- ورغم حقيقة وجود عدد كبير من الناس حولي، فقد حرمت من صحبة هؤلاء الذين شاركوني توجهاتي الأساسية. ومع كل ذلك، بدأت أحس بالوحدة، لكني قاومتها. فشغلت وقتي في موليك بتدريب الرجال وتأهيلهم لهجوم فصل الأمطار- وبقينا هناك لشهر آخر.

*** الهجـوم :-**

قامت القوات الحكومية بإصلاح الكباري وإعادة تشغيل الطرق من جديد. ووصلتنا معلومات بأنها وضعت هذه الكباري تحت حراسة مشدَّدة- لذلك حولنا مواقعنا إلى أماكن أخرى. وفي يونيو قمت بتخطيط وتحديد موقع قريب من استراحة لولوبو الواقعة بين كيت ولوقورو- وهناك حدَّدنا أربع شاحنات في طريق نمولي وانتظرنا عودتها. قمت بتوزيع الجنود إلى مجموعات، تبعد عن بعضها بمسافات قصيرة على جانبي الطريق- وكان على المجموعة الأولى أن تبدأ إشارة العمل، بإطلاق النار عند وصول الشاحنة الأمامية إلى شجرة معينة. وكان المخطط

أن يضرب هذا الهدف بنيران كثيفة، حتى لا تتمكن الشاحنات الأخرى من حمايتها. ومن ثم تنسحب المجموعة بسـرعة (تضرب وتجري) ولم يكن في مقدورنا الاستمرار في إطلاق النار لمدة طويلة، كما فعلنا في عملية خور دليب.

وصل العدو في الثانية بعد الظهر. وكانت الشاحنات تسير بسرعة 25 ميلاً في الساعة. وعند وصول الشاحنة الأولى للموقع المحدّد، قامت المجموعة الأولى بإطلاق النار وتبعتها المجموعات الأخرى. ومع أن الشاحنات لم تكن منتظمة في المسافات التي توقعناها، فقد قامت المجموعة الأولى بدورها بشكل جيد. ولم تردّ الشاحنة الأولى بأي طلقة، وإنما جاء الرد من الشاحنات الأخرى. فقامت المجموعة بالانسحاب سريعاً بعد أن واصلوا نيرانهم لمدة نصف ساعة تقريباً- وعند الفحص، وجدت أن أحد الرجال غير موجود. وبعد عودتنا للموقع حوالي الرابعة والنصف. كان الوضع هادئاً ووجدنا بقع دم في مكان الشاحنة الأولى- ولذلك توقعنا حدوث خسائر وسط جنودها- وفي جانبنا وجدنا زميلنا المفقود ميتاً وسط الحشائش، نتيجة رصاصة طائشة من الشاحنة الأخيرة. المهم أن العدو لم يغامر بمتابعتنا داخل الأحراش ولا بفحص خسائره. ولذلك قمنا بإجراء اللازم ودفن الجثمان في مكان قريب من الطريق.

*** حرب الشرق الأوسط :-**

في موعدنا في أحد الأيام، سمعت تقريراً من الـ بي. بي. سي. عن انفجار حرب بين إسرائيل والدول العربية، وبشكل رئيسي مصر وسوريا والأردن- وكان خبراً ساراً بالنسبة لي. فإذا استمرت هذه الحرب، فإن الشماليين السودانيين، الذين يعتبرون أنفسهم عرباً، سيكونون مشغولين بدعم ومساندة أشقائهم العرب- وهذا ما يدفع إسرائيل للانتقام والثأر- وفي هذه الحالة يمكننا الاستفادة من الظروف الجديدة. وهنا استعدت المقولة القديمة (أضرب الحديد ساخناً.) نشرت هذه الأخبار وسط مجموعتي وقلت لهم أن الله لم ينسانا، إنه يعمل بطرقه الخاصة في الاهتمام بجنوب

السودان ورعايته. وقلت في مقالتي، كما أذكر (.. أعزائي إخواني، لكم البشرى. عندما دخلنا الغابة أول مرة، ذهبنا بأيدينا، بأسلحة بدائية. ولكن الله، الذي يرحم من حيث لا نعلم، جعل الأسلحة، التي صنعت في روسيا والصين وغيرها، والتي لم يكن من المتوقع أن تصل إلينا، جعل هذه الأسلحة تصل إلينا داخل الغابات.. تدفقت إلى جوبا، ثم شحنت إلى الكنغو إلى مقاتلي سمبا. وبعد أن فقدوا الحرب، تدفقت هذه الأسلحة باتجاهنا.. أنه لأمر مدهش! انظروا، بعض هذه الأسلحة في أيديكم. والآن، في الوقت الذي نعاني فيه نقصاً في السلاح والمؤن، تظهر لنا فرصة جديدة في الأفق – سوف نحصل على شيء بالتأكيد من هذه الحرب الإسرائيلية/ العربية- لذلك دعونا نستبشر خيراً، دعونا نأمل حتى في هذا الزمن الصعب. فلسنا شعباً منسياً، إن الله معنا..).

إن قصة الأسلحة، التي لم تصنع ولم تشحن لنا، لتنتهي في أيدينا، كانت حقيقية ومقنعة. وأدت إلى رفع معنويات شعبنا وفتحت أمامه أبواب الأمل- ذلك هو ما قصدت أن أركزه في الأذهان لشحذ الهمم وإرادة القتال حتى النصر- أرسلت فرقاً في مختلف مناطق عملياتنا، بما في ذلك لوكويا كونتي، منطقة الزعيم لوليك لادو، وذلك لأسباب متعددة:-

أولاً : لإرسال رسالة للعدو بأننا موجودون في المنطقة وأننا نشطين ولم نهزم، كما يدّعي.

ثانياً : لكشف تافينق وموتيك، هذان العجوزان اللذان يجلسان في الجبال ويطلبان خدمات من الناس الذين لم يفعلا شيئاً من أجلهم.

ثالثاً : لنشر حقيقة أننا نحن الذين نعمل لقضية التحرير وبالتالي نحن الذين نستحق الدعم والمساندة.

الفصل الثامن

مبادرة سياسية ودبلوماسية

* من أين نبدأ ؟

كان هدفي استغلال الظروف الجديدة الناتجة من الحرب العربية الإسرائيلية، انطلاقاً من المثل المشهور، الذي لا يزال يرنُ في أذني، (أضرب الحديد ساخناً..) فقررت الاتصال سريعاً بأقرب سفارة إسرائيلية، وكانت في كمبالا- وبينما العالم مشغول بالحرب، فقد كنت اعتقد أن الوقت مناسب لي لدخول العمل السياسي. ولذلك تحركت نحو أدودي، قرية حدودية داخل يوغندا، وكانت مهجورة بسبب الحرب الأهلية في السودان- أخذت معي سكرتارية إدارية محدودة. وذلك لأكون قريباً من الأوضاع اليوغندية لمراقبتها وحتى أتمكن من تحديد اتجاه الحكومة هناك من شعبنا وإمكانية سفري إلى كمبالا- وقمت بهذه المبادرة، لأني شعرت بأنني ظاهرياً القائد الوحيد في منطقة أصبحت مركزاً لنشاط الأنيانيا. وشعرت أن الوقت مناسب لتقديم نفسي في المسرح السياسي، لأنه لا يمكنني الاعتماد على جوزيف أدوهو ولجنته المتصارعة أكثر من ذلك- وبجانب ذلك، كانت محاولاته لإثارة اللاتوكا وإبعادهم عني، كانت هذه المحاولات قد دفعتني لعدم الاهتمام به وفقدان الثقة في التعامل معه- وبما أن أقري جادين لم يظهر في المسرح حتى ذلك الوقت، فقد قررت الاتصال به ومحاولة تحريكه. أرسلت كاميلو لودونقي، أحد العاملين في مكتب المرحوم الأب ساترنينو (من منطقة أدودي) أرسلته إلى يوغندا لاستكشاف الوضع وجمع بعض المعلومات. كنت أريد أن أعرف كيف كان يعامل الجنوبيون وقتها هناك، وللاتصال بأصدقاء الأب لمعرفة مدى اهتمامهم بحركتنا واستعدادهم للعمل معنا.

بعد أن تحرك كاميلو، وصلني تقرير مزعج بأن جوزيف أدوهو قد تمَّ اعتقاله من قبل الملك المجنون، صديقه لازارو موتيك. وقالت أخبار القادمين من رئاسة

تافينق أنه يتهمه بعلاقة مع زوجة شخص يدعى لوهيتي، أقوى العناصر في مجموعة موتيك. وفي الحال طلبت خطاب هذا المجنون لأحد زملائه السابقين في المجموعة الثالثة، عندما كنا في موليك، حيث عبَّر فيه عن سخطه على المتعلمين. شعرت أن أدوهو قد يكون في خطر ولابد من عمل شيء لإنقاذه- فأرسلت خطاباً ودياً إلى تافينق، أخبره فيه ما سمعت وأطلب منه العفو والرحمة بالرجل، إذا صحت المعلومات، والقيام بحمايته من أي عناصر غير مسئولة- وذكرته بأن هؤلاء ليسوا معروفين كما هو. ولذلك فإن أسماءهم لن يذكرها أحد إذا حدث مكروه لأدوهو. وقلت: (لكنك لن تستطيع أن تهرب من المسئولية، لأنك الشخص الوحيد المعروف وسط المجموعة. إنني أرجوك أن تعمل على إبقاء اسمك وسجلك نظيفاً وبعيداً من أي تشويه. وحتى الآن لم أسمع عنك أي شيء يضرُ بسمعتك. وخيارك الوحيد الآن هو أن تطلق سراح الرجل وترسله إلى الحدود اليوغندية..).

بعد أيام قليلة رجع كاميلو مع أركانجيلو وانجي، زميل الدراسة في رمبيك الثانوية- جاء وانجي بخبرين مزعجين. الأول هناك معلومات في كمبالا تقول أن أدوهو قد اعتقل بواسطة لاغو- واخبرني أن قوردون مورتات، سياسي وضابط بوليس سابق هرب من السودان للانضمام للحركة، قد أرسله ليطلب مني، نيابة عن السياسيين الجنوبيين في كمبالا، إطلاق سراحه. والثاني أن صديقي القديم أقري جادين قد ظهر وأعلن حكومة في الغابة أسماها (الحكومة المؤقتة لجنوب السودان) واتخذ من أنقودي في الحدود الكنغولية قاعدة لها- وأكد وانجي أن أقري يطلب وصولي إليه هناك. وأضاف أن مورتات يستعد للذهاب إلى هناك بعد عودته. يا للدهشة! فكرت في الأمر ملياً- بالنسبة لجوزيف أدوهو أخبرت وانجي أنه اعتقل في موقعه وبواسطة شخص يعتبر من أقوى أنصاره وأرسله للمحاكمة في رئاسة تافينق- وأكدت له أنني سمعت ذلك من خلال تقرير وليس لي علاقة بما حدث. وعرضت عليه صورة من الخطاب الذي أرسلته إلى تافينق قبل أيام قليلة. وعلمت

بعد ذلك أن تافينق قد استجاب لطلبي، وذلك لأنه هو نفسه قد بدأ يتضايق من تصرفات موتيك. ولذلك أطلق سراح الرجل وأرسله إلى الحدود اليوغندية.

وبالنسبة لأقري جادين، أخبرته أنه ليس هناك مشكلة بيني وبينه، لأننا كنا أصدقاء وعملنا معاً لفترة من الزمن وسأحاول لقاءه في مكان مناسب. وسألت وانجي أن ينقل تحياتي إلى قوردون مورتات ويقول له آمل أن أراه أيضاً عند حضوري إلى كمبالا في وقت لاحق، وأن يتمهل ولا يستعجل الانضمام للحكومة المؤقتة، لأنها قد تنهار في أي لحظة. ونصحته بدراسة الأحوال أولاً ووضع الاعتبار لاحتمالات الفشل والحاجة للتعاون مع الآخرين مستقبلاً، نظراً لعمره وتجربته ووضعه السابق في السودان- ووعدت وانجى بأنني سألحق به في كمبالا وأن لقاءنا القادم سيكون هناك. أخذ نسخة من خطابي لتافينق، كدليل على عدم علاقتي باعتقال جوزيف أدوهو- وعاد إلى كمبالا.

*** السفر إلى كمبالا :-**

طمأنني كاميلو بأن الحالة هادئة في كمبالا وأن معظم المعتقلين الجنوبيين قد أطلق سراحهم وأن الجميع يتحرك بحرية- وأعلمني أيضاً أن الأسقف الكاثوليكى السابق في جوبا ، سيستو مازولدى، موجود في موروتو، في منطقة كاراموجا، وقد عين أسقفاً هناك وأنه يرغب في مقابلتي، وأن كل أصدقاء المرحوم الأب يعتبرونني كخليفة له. امتلأت مشاعري بهذه الأخبار واعتبرتها أكثر أهمية من الحكومة المؤقتة. وبعد أيام من مغادرة وانجى، سافرت مع كاميلو إلى قولو، حيث تتواجد أسرنا هناك. واتفقنا على أن لا نتوسع في علاقاتنا مع الناس- كل شئ كان عادياً في المنطقة. وذهبنا إلى موروتو لمقابلة الأسقف مازولدى، الذي كان سعيداً لزيارتنا له. وشجعني لمواصلة البرنامج الذي بدأناه مع الأب ساترنينو. وأخبرني أنه سيستمر في تقديم مساعدات قليلة للحركة وأشار إلى ضرورة اهتمامي بالحصول على دعم حكومي. ونصحني بأن لا أعتمد على السياسيين، أمثال أدوهو، لأنهم فقدوا ثقة الناس فيهم، وأن أركز نشاطي في قوات الانيانيا. ونصحني أيضاً

بالاتصال بالسفارة الإسرائيلية. ومنحني بعض المال لمساعدتي في السفر- ومن هناك واصلنا إلى كمبالا، حيث اتصلت بالسفارة الإسرائيلية. وكان جوزيف أدوهو قد قدمني لهم في وقت سابق، عندما وصلت أول مرة للانضمام للحركة في يونيو 1963- وكان استقبالهم لي أكثر حماساً من المرة السابقة. وهناك سلّمتهم رسالة إلى رئيس وزراء إسرائيل، ليفى اشكول- وقدّرت حساباتي استناداً إلى مبدأ (عدو عدوك صديقك.) وفى الخطاب هنأت رئيس الوزراء وحكومته وشعب الله المختار وأطفال إسرائيل على انتصارهم على العرب. وأعلمت رئيس الوزراء أننا في جنوب السودان كنا أيضاً نقاتل نفس العرب المتجولين الذين يريدون استعبادنا واغتصاب أرضنا... الخ. المهم أكدوا لي أن خطابي سيصل رئيس الوزراء. ولكن خليفة ليفى اشكول قد يكون هو الذي قرأ خطابي. فبعد أيام قليلة من زيارتي للسفارة، أعلنت وفاة ليفى شكول. وكنت وقتها في كمبالا. فذهبت للسفارة لتقديم العزاء في فقدهم العظيم- لقد وجدت قضيتنا اهتماماً كبيراً من الإسرائيليين. فالقنصل الإسرائيلي في كمبالا نصحني بالذهاب إلى نيروبي لمقابلة زميله هناك. وأخبرني أنه اطلعه على كل شئ وأنه يتوقعني في المدينة في أي يوم- وأخبرني القنصل، مستر سفاتى، أيضاً أن سفارتهم في كمبالا تخضع لمراقبة دائمة من قبل العرب. أما سفارة نيروبي، فوضعها مختلف. إذ أنها تقع في منطقة بعيدة من مركز المدينة ولا تخضع لمراقبة مماثلة. وبالتالي، ليس من المرغوب ظهوري في سفارة كمبالا- وفى النهاية أشار إلى أني سأتصل بمندوبهم هناك وأنهم سيرتبون طريقة لقائهم معي. ونصحني بعدم استخدام إسمي الحقيقي (أسميت نفسي شارلس.) في اتصالاتي مع الإسرائيليين في يوغندا.

*** رحلة إلى نيروبي :-**

قبل توجهي إلى نيروبي، أعطاني القنصل رقم التلفون واسم الشخص، الذي سأتصل به هناك، وبعض النقود لمقابلة مصروفات السفر- وكان إسمي في نيروبي (ناثان.) والدبلوماسي الذي سأتصل به أخبر بأني سأتصل به بذلك الاسم. وكان

السفر وقتها سهلاً للأفارقة في بلدان شرق أفريقيا (كينيا، يوغندا، تانجانيكا.) فاللون الأسود كان جواز مرور كافي لهذه البلدان- وذلك بالإضافة إلى إيصال بدفع ضريبة الدقنية. وكنت دائماً أوفر شخصاً من مكونقو يوغندا في الحدود قبل دخول كينيا لمساعدتي في تسهيل الإجراءات. وكنت أستخدم إسم (بانقا) إسم والدي، لأن العرب في السودان لا يعرفون ذلك الاسم.

وصلت نيروبي واتصلت بالمسئول في السفارة هناك، ولا أتذكر إسمه الآن. فقد كنت لا أحتفظ بيومية لأسباب أمنية في حالة اعتقالي. وسارت محادثاتي في السفارة بشكل جيد. واقترحوا سفري إلى إسرائيل لمقابلة المسئولين هناك- ولسوء الحظ، كانت هناك صعوبات عملية، بحكم عدم امتلاكي لوثيقة سفر معتمدة. الوثيقة التي استخرجتها في الكنغو كانت صالحة فقط للسفر بين الكنغو ويوغندا. فقال لي القنصل أن تلك مشكلة علينا العمل لحلّها- ثم قال لي أنهم سمعوا عن أقري جادين وحكومته المؤقتة، وطلب مني أي معلومات حولها- فأخبرته بأني على علم بوجود الحكومة المؤقتة لجنوب السودان، برئاسة أقرى، وبقوتها العسكرية، وبدوري كقائد عام لقوات الأنيانيا- ووضحت له موقفي من الحكومة المؤقتة. قلت له، مع أنه تجمعني صداقة قوية مع أقرى وعملنا معاً لفترة من الزمن، فقد صدمت من تكوين حكومته الجديدة. فبينما كنت القائد العام في هيئته السابقة، فقد أنزلني إلى رئيس هيئة القيادة في حكومته الجديدة وعين في مكاني كقائد عام المقاتل تافينق.

مع كل ذلك، قلت للدبلوماسي الإسرائيلي إنني سأعمل على لقاء جادين بعد عودتي إلى كمبالا- فشجعني على لقائه والاستمرار في العمل معه- وركز على أهمية الوحدة بالنسبة لحركتنا. وفى وقت لاحق نصحني بأن لا أنزعج من إبعادي عن موقع القائد العام، لأنه موقع عاطل. وقال إن هذا المنصب ليس موجوداً في إسرائيل، ورئيس هيئـة القيــادة يمثل أعلى رتبـــة عسكريـــة. وبالتالي عليَّ أن لا أنزعج لفقدان لقب منح لعسكري أمّي، إذا كان ذلك في مصلحة الوحدة. ثم سألني: (..هل تعلم أن جوزيف أدوهو في نيروبي؟) في تلك اللحظة لم أكن أعلم ذلك،

فأجبته بالنفي. ويبدو أن أدوهو كان على اتصال بهم. وبعدها طرح لي مقترحات عن كيفية الاتصال به ونصحني بالاتصال به ومعرفة خططه. وكانت نصيحته متطابقة مع ما سمعته من الضابط الهايتي، بول، في الكنغو، حيث قال لي (.. في الحياة العامة عليك أن تتجاهل المرارات الشخصية وأن تبدي استعدادك للعمل المشترك مع أي شخص للنضال من أجل المصالح العامة..) وأقترح القنصل الإسرائيلي جولة محادثات أخري بعد لقائي مع جوزيف أدوهو- التزمت بنصيحته وتابعت تحركات أدوهو حتى وجدته. وكان منفتحاً معي بشكل واسع، لكنه كان يبدو ضعيفاً وكرباً- وتعاملي الودي معه كانت له تأثيرات في وجهه. وبعد التحية وعبارات المجاملة، عبَّر لي عن أدانته لما حدث له في ديتو على أيدي لازارو موتيك وعصابته والطريقة التي أخذوه بها إلى رئاسة تافينق- فأخبرته بأني أستنكر مثل هذا السلوك بشدّة- وقلت له أنني لم أتجاهل ما حدث له، بل تحركت وعبَّرت عن اهتمامي في خطاب نصحت فيه تافينق بحمايتك وإطلاق سراحك وإرسالك للحدود- وهنا كشف لي أن تافينق كان منزعجاً أيضاً. وقال أنه لم يكن يعرف ما يفعله معه، ويبدو أنه استفاد من خطابك ليقرر إطلاق سراحه ويسفّره إلى الحدود- وأكد لي أن تافينق عرض عليه الخطاب.. المهم، كان شاكراً ومقدراً للتحرك الذي قمت به لحمايته وإطلاق سراحه- وبعد ذلك شرحت له خططي، وسألته:- (أنت الآن في الخارج.. ماهي خطط عملك الخاصة؟) قال: (أخطط للذهاب لفرنسا للراحة وليس لي خطط محدَّدة بعد ذلك. استمر في محاولتك وسوف أتعاون معك بأي قدر تراه مناسباً.) شعرت أن ذلك يعني تسليمي قيادة الحركة. لذلك سألته: (ماذا عن الحكومة المؤقتة لجنوب السودان؟ هل سمعت بها؟) فقال لي: (لا تزعجني بذلك الزميل. لا أعتقد أنه سيقوم بعمل أي شئ أكثر من الذي عملناه- هو فقط يستغل الحالة الراهنة، حالة الفراغ القيادي. الإجراء الصحيح هو أن ينتظر ليسمع مني أولاً- إذا بقيت صامتاً، فيمكنه هو، أو أي شخص آخر، أن يدعو إلى انتخاب قيادة جديدة- أنني لا أنظر إليه بجدّية..) شكرته لاستجابته لمحاولتي وعلى

استعداده للتعاون معي. وأكدت له أنه لا يزال محلّ احترام وسط الحركة وعليه الاستمرار في القيام بدوره.. فتحت له صدري، ومع ذلك كنت على وعي بأن أفكاره مثل أفكار كل السياسيين الجنوبيين في المنفي، الذين ينظرون لي كمنافس على الموقع الأعلى.. لقد تحصلت على ما أريده منه في ذلك الوقت، أي خططه، ودعته.

قابلت القنصل الإسرائيلي حسب طلبه وقدمت له تقريراً كاملاً عن لقائي مع أدوهو :- خططه ودعمه لمبادرتي. وكذلك موقفه السلبي تجاه أقرى جادين وتحركه الجديد- وهنا نصحني بالاستماع إلى الطرف الآخر، أقري. وأضاف أن المهم الآن هو التفكير في وثائق السفر الخاصة بي.

*** رحلة إلى أبا :-**

رجعت عن طريق يوغندا إلى أبا بالكنغو لمقابلة مستر جادين وتنويره باتصالاتي وأيضاً لأسمع رأيه في ما يجرى. وعند وصولي علمت أنه سافر إلى كنشاسا (ليوبولد فيل سابقاً.) ووقتها كان الكنغوليون قد أعادوا النظر في أسماء مدنهم، حيث أسقطوا الأسماء الأجنبية واستبدلوها بأسماء أفريقية. وكنت سعيداً بقيام جادين بتلك الزيارة، التي تشبه زيارته لنفس المدينة بعد انتخابه رئيساً لحزب سانو عام 1964- وكنت مسروراً لأنضم له في بحثه عن أسلحة للحركة، كما فعلنا من قبل- لذلك شعرت بضرورة زيارة رئاسته، التي حولها من أنقودي إلى بونقو، بالقرب من أبا ومجاورة لمعسكرنا الثالث عند بداية حركة الأنيانيا- وبونقو ليست الاسم الحقيقي لذلك المكان، بل هي اسم حركي (أصلاً اسم جبل على بعد 30 ميلاً من جوبا.) وفكرت في الذهاب هناك لدفع معنويات المقاتلين في المعسكر- وعندما سألت لماذا سميت العاصمة المؤقتة بذلك الاسم؟ علمت أن هناك هدفين وراء هذه التسمية :-

❖ لتضليل وتشويش العدو وجعله ينظر للمعسكر حول بونقو الجبل وبالتالي يجد صعوبة في تحديد المكان.

❖ عامل معنوي، لدفع معنويات الناس بالتأثير عليهم بأنهم بالقرب من جوبا، العاصمة الحقيقية لجنوب السودان.

لقد أعجبتني الفكرة كثيراً- ومع ذلك، فعند وصولنا وجدنا الحالة العامة في المعسكر بائسة وكئيبة ولا أمل في تغييرها. وكان ذلك يمثل صرخة بالخطر، تماماً كما كان الحال عندما اجتمعنا في تول بالضفة الشرقية قبل فترة. كان هناك عدد محدود من جنود الانيانيا في بونقو- والموجودون كان معظمهم من أبناء الدينكا، مع قلة من الضفة الشرقية، جاءوا إلى هناك مع تافينق- وكلهم كانوا يعانون من نقص حادّ في الغذاء والملابس. ورجال المجموعة الثالثة والرابعة، الذين تقوم العاصمة في منطقتهم، لا أحد يراهم- والأكثر إزعاجاً أنني وجدت أحد قياداتنا البارزة، فليب نانقا، معتقلاً تحت حراسة شديدة- وهو أحد الرواد الذين بدأوا نشاط حركة الأنيانيا في منطقة البحيرات. وتحوّل سروري إلى إحباط ويأس- حزنت لهذه الحالة البائسة، وبدأت أشعر بالقلق وعدم الارتياح، خاصة عندما أخبرني تافينق بأنه لا علاقة له باعتقال فليب، وأن الاعتقال تم بأمر من أكوت أتيم، وزيرنا المفترض- فقدت الثقة في سياسيينا. ولم أطيق البقاء هناك. وأشفقت على تافينق لوجوده في تلك الظروف الصعبة. والمدهش أنه استقبلني بحرارة وعاملني كضيف عزيز، رغم كل ما حدث بيننا من صراعات حول السلطة والسيطرة في الضفة الشرقية- لقد أسرتني صداقته ومعاملته الطيبة.

اعتقال فليب نانقا، بأمر من الوزير، كان بداية سيئة وخطرة. كانت إنذاراً. يا لها من فوضي؟ نظرت إلى تافينق وبدا لي كرجل عجوز لا حيلة له. تساءلت (لماذا هو هنا في المقام الأول؟) أعرف أنه يريد السلطة. ولكني لاحظت أن أكوت أتيم، وزير الدفاع ورئيس الحكومة بالوكالة، كان متعطشاً للسلطة وكان يسئ استخدامها في غياب الرئيس، مستر جادين- وقد يتساهل تافينق في ذلك. أما أنا فلا أستطيع- سوف اصطدم بهذا الوزير إذا كنت هناك- فما يجرى لا يساعد على العمل- وفى حديث مع تافينق، قلت له أنني لم اسمع بوزراء ينتهجون مثل هذا

السلوك. فوزير الدفاع، في العادة، يعمل حسب نصائح أعلى ضابط في القوات العسكرية، السلطة العليا، وتنحصر سلطاته في السياسة العامة. ثم حاولت توضيح موقفي وأخبرته بأنني كنت متردداً في المجيء إلى هنا بسبب مثل هذا السلوك. وقلت له أنه ليست هناك مشكلة لا يمكن حلها، مع الوزير أو مع الرئيس، هم المسئولون (ولكن ماذا نفعل عزيزي مع مثل هذا السلوك، كما لاحظنا من وزيرنا؟) فأجابني بقوله (..ياو دا ياوليدى، انتا شوفو سياسين جا كرابو لينا شكل-كدى رو فتش لينا سلا. بادين بشوف كلام بتا أومون ورا..) أي (تلك هي الحال يا ابني، لقد لاحظت أن السياسيين يخربون عملنا. أذهب وفتش لنا سلاح- ولاحقاً نعالج مشاكلهم-) قضينا وقتاً طيباً، ذكرنا بالأيام الجميلة التي عشناها في كمبالا- وافترقنا كأصدقاء نعيش مشاكل مشتركة، مشاكل مزعجة، تسبب فيها السياسيون الجنوبيون.

*** العودة إلى نيروبي:-**

رغم نصيحتي له عن طريق وانجي، اندفع مورتات إلى أبا وقابل اقري جادين قبل أن يغادر الأخير إلى كنشاسا، وتمَّ تعيينه وزيراً للزراعة ووزيراً للخارجية بالوكالة- والوزارة الأخيرة، التي يفضلها مورتات، كانت من نصيب زراعي من بحر الغزال وكان يعيش لاجئاً في أفريقيا الوسطى- ومثل هذه التعيينات تجرى عادة دون علم المعينين. المهم شرحت له، كوزير خارجية بالوكالة، اتصالاتي في شرق أفريقيا ودعوته لمرافقتي إلى نيروبي لمواصلة محادثاتنا- فوافق، ثم ذهبنا إلى أبا وقضينا ليلة مع كاميلو دول في استراحة الحركة الخاصة بكبار المسئولين (البيت الأخضر.) تحركنا على ظهر لورى إلى أرو، ومن هناك إلى أروا في يوغندا ومنها إلى كمبالا بالبص- سارت الرحلة بشكل مريح دون مشاكل وكانت الشرطة اليوغندية ودّية ومنضبطة معنا- وعند صعودنا البص المتجه إلى نيروبي، بدأت أفكر في مشكلة عبور الحدود- لم أتوقع أي مشكلة مع اليوغنديين، لكن شرطة الحدود الكينية تقفز إلى داخل البص وتفحص البطاقات الشخصية. ولهذا السبب كنت دائماً أحمل معي إيصال ضريبة الدقنية- وكنت أيضا

أخاف من تشككهم في مورتات كأجنبي، بسبب الشلوخ البارزة في وجهه- فكرت كيف أتجاوز هذه المشكلة، رغم علمي بتركيزهم على الموزونقو (الأوربيون) والمايندي (الهنود.) وعندما وصلنا إلى تورورو بالقرب من الحدود، شرحت له مخاوفي وتفهمها- تناولنا بعض الطعام وفكرنا معاً في المشكلة. وهنا خطرت في ذهني فكرة قد تكون مفيدة. قلت له (..عندي حلّ. ألبس قبعتي هذه لإخفاء شلوخك. ستبدو كمواطن جنتلمان من أبناء اللو (قبيلة كينية) مظهرك لن يلفت نظرهم وسيتركونك تمرّ... وبعد دخول الحدود ليس هناك أي مشكلة..) فأعجب بالفكرة. وعندما لبس القبعة بدأ فعلاً كجنتلمان من اللو- وفى الحدود ركزت الشرطة على الموزونقو والمايندي فقط. ودخلنا كينيا بسلام.

في نيروبي قدمت نفسي للسفارة الإسرائيلية لوحدي وأخبرت القنصل، الذي نصحني بالاتصال بأقرى جادين، أنني جئت مع وزير خارجيته- وذكرته بدور السودان في الحرب العربية الإسرائيلية حتى يتعامل معنا بجدّية- وأعلمته أن السودان أرسل مجموعات عسكرية (لواء) لتحارب مع القوات المصرية- وإذا لم نشغل الجيش السوداني بعمليات واسعة في الجنوب، فسوف يدفعون مزيداً من القوات إلى هناك.

وبدأنا نفكر في الطريقة التي تمكنني من السفر إلى إسرائيل، لمقابلة المسئولين هناك ومناقشة مساعداتهم العسكرية لحركتنا وكيفية تسليمها في الجنوب- وبعد أيام وافق على لقاء قوردون مورتات وطلب مني إحضاره معي في اليوم التالي- وقدمت تقريراً شاملاً لمورتات حول مناقشاتي مع السفارة، بما في ذلك اقتراحهم بسفري إلى إسرائيل لترتيب تسليم المساعدات العسكرية. وأخبرته أيضاً أن مناقشاتنا سوف تستمر بحضوره. فوافق وأشاد بهذه الخطوة كبداية جيدة. وبعد صمت للحظات قال: (يجب أن لا تذهب وحدك إذا أراد الإسرائيليون مساعدتنا، يجب أن يقبلوا سفر وفد منا معك.) واعتبرت كلامه هذا كنوع من عدم الثقة في شخصي- وبذلك يطعن في إخلاصي وأمانتي- وأدى ذلك إلى تغيير مشاعري

نحوه- وتساءلت (بعد كل جهودي في الذهاب إلى أبا لمقابلة رئيسه وإحضاره هو إلى نيروبي، لا يزال يتحدث هذه اللغة؟) ضغطت على أعصابي وقلت له بأدب إن هذا القرار قد أتخذ منذ مدة، حتى قبل ذهابي إلى أبا للبحث عنه، وأنا ذاهب إلى هناك عن طريق التهريب وليس بطريقة عادية- وبالتالي لا يمكن الحديث عن سفر وفد في هذه الرحلة. ومع ذلك أصَّر الرجل على موقفه غير المنطقي. واستغربت لذلك ولم أعرف ماذا أقول بعد ذلك- وبما أني ملتزم بأخذه معي للسفارة، فقد شعرت بضرورة التمسك بموقفي كما هو- ولكني طلبت منع عدم إثارة هذه النقطة في لقائنا المرتقب وإعادة مناقشتها بيننا فيما بعد.

في السفارة، في حضور مورتات، واصلنا المناقشات مع الإسرائيليين- فبعد تقديمه لهم، تركته يتحدث أولاً، بحكم عمره وموقعه في الحركة. وفى البداية كان حديثه جيداً. ولكنه لم يوفق في بقية الحديث. أشاد بدوري في الحركة وأخبر القنصل أنني كنت الضابط الجنوبي الوحيد الذي ضحي بوقته وحياته وقدم خدمات جليلة للحركة- وأعترف بأنني أمثِّل الخبرة العسكرية الوحيدة وسط الحركة. ولكنه بعد ذلك لخبط كلماته الجميلة في عبارته الختامية، حيث قال أن أي رحلة إلى إسرائيل لمحادثات إضافية يجب أن تتم بواسطة وفد مفوض وليس عن طريق شخص واحد- وساعتها أصبت بصدمة عنيفة وانهارت أعصابي.. عليك اللعنة مورتات. ولاحظ المضيف انقباضي وتغيُّر مشاعري. فقام القنصل بإنهاء اللقاء بطريقة دبلوماسية سريعة. وعند قيامنا طلب مني العودة في اليوم التالي لمقابلة خبير عسكري قادم من إسرائيل، وذلك لمناقشته في الجوانب العسكرية، بمفردي دون مشاركة القنصل ومورتات. وودعناه ورجعنا إلى الفندق. وبعدها لم أناقش مورتات ولم تعد علاقتنا حميمة كما كانت. وبدأت ألوم نفسي على قيامي بإحضار شخص لا أعرفه بشكل كافي من قبل. شعرت بارتباك شديد، لكني تماسكت من خلال إقناع نفسي بأنني أحضرته معي بنية حسنة وبهدف المشاركة وإشاعة روح العمل المشترك في نشاطنا- وكانت تجربة يجب عدم تكرارها في المستقبل.

في السفارة مرة أخرى، واصلت المحادثات مع نفس القنصل. لم يكن هناك أي خبير عسكري- كانت الإشارة إلى مجيء خبير من إسرائيل، مجرد طريقة ملائمة لمنع مورتات المجيء معي للسفارة- فالإسرائيليون لم يكونوا على استعداد لمشاركة آخرين في الوقت الراهن. حماسي الأكثر من اللازم هو الذي تسبب في حضور المذكور ومشاركته في اللقاء السابق- المهم، واصلت مع القنصل مناقشة كيفية سفري دون وثائق معتمدة- وفى النهاية اقترح استخدام وثيقة سفري المحلية للسفر إلى كنشاسا. وهناك أحاول الحصول على وثيقة سفر من الأمم المتحدة، بحكم تسجيلي كلاجئ في الكنغو- وبهذه الوثيقة يمكنني السفر إلى أوربا ومن هناك إلى إسرائيل- وأضاف أن زملاءه في كنشاسا سيساعدون في تذليل أي عقبات تعترضني- فقبلت الاقتراح واعتبرته خياراً مناسباً.

في الفندق وجدت أن مورتات قد خلق مشكلة أخرى. فقد قام بتقديم نفسه لسلطات الهجرة الكينية. وفى العادة لم نكن نقوم بذلك، وإنما نعالج وضعنا بطريقة هادئة. ولكن بعد إعلامهم، طلبوا منه مغادرة البلاد في ظرف أسبوعين. سألته (هل ذكرت لهم أنك جئت مع شخص آخر؟) أجاب بالنفي- شعرت بارتياح واستعدت توازني- كنت لا أزال أحس بعدم رغبة في الحديث معه، بحكم لخبطته في لقاء السفارة المشار إليه- وبدأت أبعد نفسي عنه ولم التزم بوضعه في صورة تحركاتي ولقاءاتي. ويبدو أنه أتصل بسلطات الهجرة بهدف الإعلان عن نفسه أمام السلطات الكينية حتى يبدأ اتصالاته الخاصة- رغم ذلك، لم أعد أهتم به. ولذلك رجع كل منا بطريقته إلى كمبالا.

*** لقاء مع باسيل شابلين :-**

في دار السلام أبدي باسيل هـ.ج. شابلين اهتماماً مستقلاً بقضيتنا وبدأ اتصالات مع الإسرائيليين في السفارة هناك. وسافر إلى عنتبي للقائي. وفى النهاية التقينا في كمبالا، بعد عودتي من نيروبي- وهذا الرجل أتذكره جيداً. فقد عمل في السودان مع مدارس الإرسالية الكاثوليكية كمدير لكلية المعلمين في مندري-

وأتذكره عندما مرّ من خلال لوكا في الطريق إلى الكلية وشارك مع أساتذتنا في طابور السبت. وأذكر عنايته بي عندما علم أنني قد قصصت أظافري بطريقة مؤلمة. فقال لي (.. لا تقصّ أظافرك بهذه الطريقة، أترك هامشاً بينها وبين جسمك حتى لا تجرح نفسك.) وعندما سألته: هل يتذكر هذه الحادثة ؟ ضحك وقال: (من الصعب على المدرسين تذكر كل ما يقولونه لتلاميذهم.) فقلت له: (لكن التلاميذ يتذكرون النصائح الغالية التي ينصحهم بها مدرسوهم. لقد ظلت راسخة في ذاكرتي حتى اليوم.) كان مسروراً لأنكره بهذه التفاصيل الصغيرة. وكنت سعيداً بلقاء مبشر من كنيستي ومهتم بقضيتنا- شرحت له مناقشاتي مع الإسرائيليين في كمبالا ونيروبي. وأخبرته بسفري إلى كنشاسا بهدف الحصول على وثيقة سفر من الأمم المتحدة تساعدني في السفر إلى أوربا وإسرائيل. وشرح لي هو أيضاً ما فعله مع أصدقائي في السفارة الإسرائيلية في دار السلام. وبعد ذلك أخبرني أنه سيحاول مساعدتي في هذه المسألة، رغم الصعوبات المتوقعة. وفى الوقت الراهن شجعني لمواصلة خطة عملي. ومن هناك عاد إلى دار السلام واتجهت أنا إلى كنشاسا- قام الأصدقاء الإسرائيليون في كمبالا بترتيب إجراءات سفري إلى كنشاسا عن طريق خطوط سابينا للطيران- واهتمام شابلين بدعم حركتنا وحماس الأسقف مازولدي كان مصدر راحة وتشجيع في تحركي. فإخواننا المسيحيون، الكاثوليك والبروتستانت، الذين عملوا في بلادنا، لم ينسوا أيامهم معنا. وكنت سعيداً بأن دولة قد بدأت تهتم بقضيتنا ودعمها- وذلك كان أحد نصائح غالية أوصاني الأسقف مازولدي بالاهتمام بها.

*** إلى كنشاسا وإسرائيل :-**

أصبحت تحركاتي بعد ذلك تحت إدارة الأصدقاء الإسرائيليين- أخبروني أن شخصاً سيقابلني في المطار وأنهم أبلغوه بالخطوط الجوية ورقم الرحلة ووقت وصولها- لذلك صعدت للطيارة وكلي ثقة في مستقبل العملية. وفى المطار تمكن المذكور من التقاطي بعد خروجي من مكتب إجراءات القادمين لكنشاسا. ومن هناك

أخذني إلى المدينة، وسألني إن كنت أعرف أي شخص هنا لمساعدتي في الحصول على وثيقة سفر دون تدخل من جانبه. قلت له أعرف محامياً جنوبياً، إسمه فرانسيس ماييرِ. فقام الرجل بمتابعة هذا المحامي حتى وصله وأخبره بوجودي في المدينة- وقام فرانسيس بمساعدتي في الحصول على وثيقة سفر من الأمم المتحدة خلال أيام قليلة- وعلمت أنه يمكنني السفر بها إلى أي مكان في العالم، باستثناء السودان- كما يمكنني الرجوع بها إلى كنشاسا دون أي مشاكل.

*** الرحلة إلى روما :-**

مرّت شهور عديدة منذ أن بدأت مبادرتي السياسية والدبلوماسية. وفى ديسمبر سافرت من كنشاسا إلى روما عن طريق الخطوط الجوية الإيطالية (أليتاليا) ومن هناك سأواصل إلى إسرائيل- كان من المفترض أن يقابلني أحد المسئولين الإسرائيليين، كما حدث في مطار كنشاسا- إسمي الحركي في روما كان (ليوناردو.) كنت قد اكتسبت تجربة معقولة في السفر جعلتني أثق في نفسي كثيراً- فبالرغم من أنني لم أسافر إلى أوربا من قبل، فقد كنت أعرف أنني في أيدي أمينة- وبعد الانتهاء من الإجراءات الرسمية، جاءني رجل جنتلمان طويل وسألني بصوت عميق (هل أنت مستر ليوناردو؟) قلت له نعم- بعد السلام والمجاملة أوصلني إلى بنسيون **Pensione** كانت تديره سسترات من الكاثوليك، حيث يمكنني، كما قال، أن أشعر فيه براحة كبيرة كأنني في منزلي- والفندق كان مجاوراً لكلية نشر العقيدة، حيث شاهدت عدداً من طلاب علم اللاهوت الأفريقيين في المنطقة. وفكرت في الذهاب إلى هناك والسؤال عن تواجد طلاب من جنوب السودان، رغم نصيحة المسئول الإسرائيلي بعدم الاحتكاك بالآخرين لأسباب أمنية. شعرت أنه ليس هناك ما أخاف عليه. لذلك ذهبت إلى الكلية وسألت عن زملائي الجنوبيين . وجاء كثيرون منهم لاستقبالي. وقدمت لهم نفسي كما فعلت مع الجنوبيين في بولس في الكنغو قبل سنتين. كانوا مسرورين للقائي بهم وأخبروني أن جوزيف أدوهو أيضاً موجود في روما. طلبت منهم أن يخبروه بمكان سكني وأنني أود أن أراه قبل أن

أغادر المدينة. وفى اليوم التالي أتصل أدوهو من استقبال الفندق ورحبت به في غرفتي- وهناك شرحت له اتصالاتي مع الإسرائيليين وشكرته على دوره في كل هذه العملية، لأنه هو الذي قدمني لهم عندما جئت من السودان للانضمام للحركة- فأومأ لي بإشارة سرور ورضي عن الاعتراف بمساهماته، وقال: (يسعدني أن أسمع أن الإسرائيليين في النهاية قد بدءوا يهتمون بالحركة بشكل جدّي.) وكرر العرض الذي قدمه لي في نيروبي، وعبَّر عن أسفه لغياب الأب ساترنينو والمساعد الطبي بروتو في وقت نحن في أشد الحاجة إليهما. وأكد اعتذاره عن أي خلافات حدثت بيننا في الضفة الشرقية وعبَّر عن أمله في أن نستمر في العمل معاً. وطوال أكثر من أسبوع ظلَّ يواصل زياراته لي في الفندق. وأخذني أكثر من مرة لنتجوّل معاً في المدينة وزيارة المواقع التاريخية مثل الكوليزيوم وغيره. وهكذا أصبحنا أصدقاء من جديد.

ومن خلال طلاب كلية اللاهوت أيضاً التقيت مبشراً سابقاً في السودان، كان يعمل وسط الدينكا في المناطق الكاثولوكية- وعندما أخبرته بأنني درست في مدرسة في منطقة الدينكا وأكوت، قام بنطق إسمه الدينكاوي بطريقة مرحة. وقلت له وأنا كنت أسمي (مايور) في تلك المنطقة. وهكذا كنا الاثنان دينكا بالتبني، أحدنا أبيض والآخر أسود، يتحدثان باللغة الدينكاوية في بنسيون إيطالي.

*** في فصل الشتاء الأوربي :-**

كان الوقت شتاء. وهو فصل لا نعرفه في جنوب السودان- وفى أحد الأيام نظرت خلف الشباك. فرأيت كرات بيضاء تتساقط من أعلى. فاستغربت ولم أعرفها- وعندما سألت قالوا لي أنها الثلوج تتساقط. وتعجبت لهذا المناخ الأوربي البارد. وكانت تلك أول مرة أري فيها هذا المنظر.

بعد ستة أيام وصل صديقي الإسرائيلي، وكان يتابع أحوالي يومياً بالتلفون. وكان يحمل معه جوزاً، بإسم شخص من جزر القمر، تركيبة وجهه تشبه وجهي بشكل كبير- وقال لي صديقي أن أهل تلك الجزر يتكلمون اللغتين الإنجليزية

والفرنسية. وإذا سئلت، ونادراً أن يحدث ذلك، فيجب أن أذكر الاسم المذكور في الجواز، وعليَّ أيضاً أن أقلد توقيعه- وبعد ثمانية أيام تركت روما إلى إسرائيل.

*** أخيراً في إسرائيل :-**

هبطت الطيارة في مطار اللّد قبيل المغرب. وفى باب الطيارة قابلني رجلان وقاداني إلى مبني المطار. أحدهما أخذني إلى قاعة الانتظار، والثاني تحرك للقيام بإجراءات الدخول نيابة عني- وبعدها أوصلاني إلى الفندق. وأخيراً وجدت نفسي في إسرائيل، الأرض المقدسة. وفى اليوم الثاني بدأوا معي برنامجاً مزدحماً- وكانوا يخبروني بفقراته في يومها المحدَّد. لذلك لم أستطع ترتيب نفسي لأي مناسبة، وأصبحت مشغولاً طوال أيام الزيارة حتى غادرت. في البداية أخذني ضباط سياسيون متخصصون في الشئون الأفريقية. وبدأوا برنامج أسئلة وحوارات استمر لمدة يومين. وهناك يوم قضيته مع كبار الضباط في رئاسة قوات جيش الدفاع الإسرائيلي. وحضرت محاضرات، قدمها ضباط من الرتب المتوسطة من الفروع المختلفة، استمرت لمدة ثلاثة أيام- وبعد ذلك تحركت إلى خارج المدينة لمدة يوم واحد لتمرينات تكتيكية بدون قوات. وأخذت أيضاً لمشاهدة تمرين في توزيع الإمدادات بالبرشوت حتى أجدّد تجربتي السابقة مع الكنغوليين- وقضيت يوماً مع خبير في استخدام المتفجرات. وبين وقت وآخر كنت أزور ميادين المعارك في حرب الستة أيام، حيث قابلت ضباطاً وسمعت منهم وكانوا لا يزالون في مواقعهم الدفاعية.

وبجانب ذلك، خصص يوم لزيارة الأماكن المسيحية المقدسة. فأخذوني لدخول الكنيسة المقدسة. وفي أثناء الزيارة نسيت أن المرافقين ليسوا من المسيحيين، فقرأت بصوت عالي صلاتي المفضلة، من كتاب الصلاة الأنجليكاني- واندهش المرافقون لذلك، كما ظهر في همسهم مع بعضهم- ولم اهتم لاندهاشهم، لأنهم سيفعلون ما فعلت إذا كانوا في نفس موقفي.

في رئاسة القوات الإسرائيلية أخبرت كبار الضباط عن برنامج تدريبي السابق، مدة الخدمة والخبرات، بالإضافة إلى التجارب التي اكتسبتها في الكنغو خلال تعاوننا مع حكومة تشومبي. وأخبرتهم أيضاً بالمحاضرات التي تلقيتها من الكولونيل الهايتي، خريج الأكاديمية العسكرية الأمريكية، وكذلك الخبرات التي اكتسبتها مع مرتزقة جنوب أفريقيا في الكنغو كنشاسا- وقلت لهم أنني أعتبر نفسي كمريض يطلب علاجهم كأطباء. لذلك يجب أن يعرفوا كل شئ عني حتى يتمكنوا من معرفة ما ينقصني- وسألتهم زيادة معارفي حتى أتمكن من رفع قدرات قواتنا وتحسين أدائها في الميدان- وتقبل الجنرالات صراحتي هذه بغبطة وسرور وأمروا بترتيب البرنامج الذي أرغبه- وقال أحدهم أن الجنود الشماليين يعتبرون مقاتلين جيدين، كما لاحظوا هم في حربهم مع العرب في 1948، عندما قاتل المتطوعون السودانيون بجانب المصريين. أما ضباط الرتب المتوسطة، فقد قدموا لي محاضرات مفيدة وأكدوا لي أن تدريباتنا للمشاة تعتبر كافية، كانت المحاضرات غنية. واعتقد أنني استوعبت كل ما أستطيع.

في مشكلة تسليم المواد والمعدات العسكرية، طالبتهم بإسقاطها من الجو، وذلك كخيار أفضل وأسرع، حسب تجربتي مع الكنغوليين. ووصفت لهم معدات الاتصال التي استخدمناها وقتذاك. وعرضوا عليَّ بعض النماذج لأحدّد ملاءمتها للعمل. المهم، أن الإسرائيليين قرروا إرسال وفد لجنوب السودان بعد عودتي هناك، وذلك لدراسة الأحوال على الطبيعة. والمطلوب مني أن أبلّغهم عن طريق سفارة كمبالا الوقت المحدّد لاستقبالهم هناك. وسوف يتركز عملهم في زيارة المناطق التي أسيطر عليها ومقابلة السياسيين وزعماء القبائل وكذلك مقابلة المقاتلين لتقييم قدراتهم العامة، بالإضافة إلى تحديد مواقع إسقاط المواد. وكنت سعيداً بهذه الخطة وتعهدت بحماية الوفد وضمان سلامته- وفى النهاية طلبت منهم تسهيلات مالية لتمكين رموزنا السياسية من الحركة في المنطقة وخلق رأى عام مساند لقضيتنا

ولشراء سيارة لتسهيل حركتنا في الحدود- وقبلوا الطلب الأول من حيث المبدأ، بينما وافقوا على الثاني فوراً، حيث يتم تسليم المبلغ عن طريق السفارة في كمبالا.

*** رحلة العــودة :-**

كان المفترض أن أعود بنفس الطريق الذي جئت به. ولكن تطورات حدثت في الكنغو جعلتني أتردّد. فالخلافات بين رئيس الوزراء والقائد العام للجيش ظهرت إلى السطح بعد أن كانت مجرد توقعات، وأدت في النهاية إلى انقلاب عسكري. ونتيجة لذلك سافر رئيس الوزراء السابق إلى أسبانيا ليعيش في منفي اختياري. وفى أثناء تحليقها في جنوب أسبانيا خطفت طيارته وأجبرت على الهبوط في الجزائر- وهناك احتمال لتسليمه للسلطات الكنغولية لتقديمه لمحاكمة صورية، كما تقول معظم الإذاعات الرئيسية- لكل ذلك بدأت أخاف من اعتقالي بمجرد وصولي إلى مطار كنشاسا، وبالتالي مقايضتي بتسليم تشومبي. وفى تلك الحالة قد تطلب الجزائر تسليمي لحكومة السودان- وكنت على قناعة بأن الجزائر ستقابل ذلك بفرح كبير خدمة لأشقائها العرب في السودان- ولكني لم أفصح بهذه المخاوف للأصدقاء الإسرائيليين. فقد كنت لا أريد أن أظهر أمامهم بمظهر الجبان. لذلك قلت لهم أنني أرغب في العودة مباشرة عن طريق شرق أفريقيا، وهو طريق أسرع وأقصر من الطريق الأخر. فوافقوا ورتبت عودتي من بون في ألمانيا حتى أتمكن من الحصول على تأشيرات دخول من بلدان شرق أفريقيا عن طريق سفاراتها هناك (لم تكن لها سفارات في روما.) ومن هناك سأسافر بطريق البرّ كالعادة إلى جنوب السودان- عدت إلى روما وسلمت الجواز المزوّر وتحصلت على تأشيرة لدخول ألمانيا الغربية بوثيقة سفر الأمم المتحدة، ومن ثم اتجهت إلى كولون. لم تكن هناك حاجة لترتيب استقبالي في المطار، فقط أعطوني عنوان شقّة واسم شخص لاستقبالي فيها وبعض النقود كمصروفات. وسارت الخطة دون مشاكل. فوجدت الشقة والشخص المضيف- وفى اليوم التالي تحركت بالقطار إلى بون. وهناك تحاشيت الذهاب للسفارة اليوغندية، حتى لا أنبه الموظفين في السفارة بتحركاتي- وأيضاً كنت لا

أريدهم أن يعرفوا وجودي في المدينة- كنت أريد المرور بهدوء عبر بلادهم ودون علمهم، كما في السابق- ذهبت أولاً للسفارة الكينية، حيث قالوا لي أن الطلب سيرسل إلى المكتب الرئيسي للهجرة والجوازات لتقرير الموافقة. وعلمت أن ذلك قد يستغرق مالا يقل عن أسبوعين. وطلب القنصل رسوم إرسال الطلب. وبحكم وعي بمرونة الكينيين في التعامل العام، فإنني لم أنزعج من ذلك- ولكن، لا أستطيع الانتظار لمدة أسبوعين في انتظار نتيجة قد تكون سلبية- لذلك ذهبت لمحاولة السفارة التنزانية كفرصة ثانية- شعرت أن قنصلها سيكون ودياً مع الأفارقة. لذلك أخبرته بوضوح أنني لاجئ من جنوب السودان، مسجل في شمال شرق الكنغو كنشاسا. وطلبت منه تأشيرة للسفر إلى دار السلام كمحطة ترانزيت ومنها إلى مكان اللجوء- وترجيته أن يتعامل معي دون أي تعقيدات، لأني لا أريد البقاء في تنزانيا- فتقبل صراحتي وتعاطف مع حالتي ومنحي تأشيرة لمدّة أسبوعين. شكرته ورجعت إلى كولون في نفس اليوم، حيث أكملت إجراءات الحجز لدار السلام. وأقرب الطريق لعودتي كان عن طريق روما ونيروبي، حيث يمكنني الحجز على الخطوط الجوية لشرق أفريقيا لدار السلام.

عند وصولي مطار نيروبي، اكتشفت أن عفشي قد فقد بسبب تغيير الطيارات في روما. ولكني واصلت إلى دار السلام ولم أهتم بما حدث- ولحسن الحظ أني وجدت تلفون وعنوان مستر شابلين في مفكرتي (أخذته منه عندما التقيته في كمبالا.) ولذلك اتصلت به بعد الانتهاء من الإجراءات الرسمية في مطار دارالسلام. ردّت زوجته وأخبرتها بأني في المطار وأحتاج مساعدتهم- أجابت بأنها ستصلني هناك وأن باسيل في حجرة المحاضرات مع الطلاب.

وصلت في حوالي ربع ساعة وأخذتني إلى منزلهم في مجمع الجامعة. كان باسيل مسروراً لرؤيتي في منزلهم. شرحت له تجربتي مع الإسرائيليين وأسباب تغيير طريق عودتي- فضحكنا كلنا وقالوا إنني اتخذت الاحتياط اللازم- والواقع أني أيضاً كنت متأثراً بحكمتنا التقليدية التي توصي بعدم العودة من نفس الطريق-

وذلك بافتراض أن هناك شخصاً يعمل لإيذائك. وأبلغتهم أيضاً بفقد عفشي في روما وأعطيتهم إيصال الشحن لمتابعة المسألة مع الجهات المعنية. ولكن دون جدوى.

خلال إقامتي القصيرة في دار السلام، قدمني مستر شابلين لأصدقائه في السفارة الإسرائيلية، السفير والقنصل- والأخير قام بدعوتي للعشاء في كليمنجارو أوتيل ولمواصلة الحديث حول المسائل المشتركة- وبعد راحة لمدة يومين، تحركت بالطريق البري عبر نيروبي وكمبالا حتى قاعدتي في جنوب السودان. وفى الطريق اتصلت بالسفارات الإسرائيلية في نيروبي وكمبالا للمجاملة وإبلاغ تل أبيب. وفى كمبالا وجدت الموافقة على شراء السيارة قد وصلت. ووجهت مبعوثنا في كمبالا، سرفينو واني سواكا باستلام قيمتها بالعملة اليوغندية. وحتى ذلك الوقت كنت أتعامل معهم كرئيس للقيادة العامة لقوات الأنيانيا في الحكومة المؤقتة لجنوب السودان- قضيت أسبوعاً مع أسرتي في قولو قبل العودة إلى الغابة. وكان كاميلو لودنقي ينتظرني هناك ليقودني للمعسكر الجديد، الذي أنشئ في فترة غيابي (ثلاثة شهور.).

كان المناخ العام مليئاً بالاحتمالات في المعسكر- كل الناس كانوا على علم بما فعلت وكانوا ينتظرون عودتي بفارغ الصبر. فقمت بشرح الزيارة ونتائجها وقدمت لهم قيمة السيارة وبعض الأدوية التي جمعتها من السفارة الإسرائيلية في كمبالا- وكل ذلك كان يؤكد نجاح العملية بشكل عام. وهذه النتائج أدت إلى تجديد الأمل وسط الشعب ورفع معنويات المقاتلين في الميدان. وقلت لهم أن وفداً من الإسرائيليين سيزورنا قريباً لدراسة أوضاعنا والتعرّف عليها- وبمساعدة هذا الوفد، يمكننا اختيار الموقع الملائمة لإسقاط المؤن والمعدات العسكرية بالبرشوت، كما فعلنا مع الكنغوليين في حديقة قرامبا. وطلبت منهم الاهتمام بالوفد الصديق والترحيب به وإكرامه- وركزت على مسألة تأمينه، باعتبارها مسئوليتنا الرئيسية أثناء تواجدهم معنا وحتى عودتهم بسلامة. والمساعدات في النهاية ستعتمد على تقديرهم حول أوضاعنا- وبعد ذلك أمرت ببناء معسكر في موقع مناسب لاستقبالهم

فيه – وأقيم بالفعل في المكان الذي قابلت فيه كبير قبيلة مادي (اودريكو) الذي سمي ذلك المكان باسم أوويني- كي- بول (معناه سمع بصوت الطبل.) والمنطقة عموماً ملائمة لإسقاط المواد والمؤن- وقلت لهم نتوقع وصول الوفد في مايو/يونيو بعد موسم الجفاف- وفى هذا الأثناء استلم مبعوثنا في كمبالا، مستر سواكا، قيمة السيارة وبدأ البحث في شرائها. ووجهت الرئاسة بالهدوء طالما أن موسم الجفاف قد بدأ- وأكدت لهم أننا سنفاجئ العرب وأننا على ثقة بأن عملية الإسقاط ستتم. وبعد ذلك تركتهم وعدت إلى كمبالا.

*** إحباطات :-**

المزعج أن مستر سواكا لم يسجل السيارة بعد شرائها، كتاكسي يملكه اثنان من معلمينا في يوغندا (لينو واني وانجلو فوقو) كما اتفقنا- بدلاً من ذلك قام بتسجيلها باسمه ولم يخبرني بذلك- وفى ذلك الوقت كان أقرى جادين قد عاد من الكنغو صفر اليدين وكان في كيبولي، قرب كمبالا- فأخبرته بسلوك سواكا، لكنه لم يهتم به- بدلاً من ذلك بدأ يتحدث عن سيارته الخاصة، وقال أنها تآكلت بسبب خدمتها في نشاط الحركة. فذهلت من حديثه وتوصلت إلى أنه أصبح شريكاً في جريمة الاستيلاء على السيارة. وهذا التصرف جعلني أفكر بجدِّية في إبعاد نفسي من السياسيين بشكل نهائي ومحاولة شقّ طريق خاص- حدثت الإسرائيليين بما حدث وبفقدان الثقة في هذين الرجلين وشكوكي في أمانة وشرف الآخرين. كنت أمهّد الطريق لإختيار القيادات الأعلى. ونتيجة لذلك طلبت الاستمرار مع الإسرائيليين بدون السياسيين وقمت بتعيين مبعوثي الخاص، أنجلو فوقا، للقيام نيابة عني بكل ما يخص علاقاتنا معهم. وتفهم الإسرائيليون هذه الوضعية لأنهم، هم أنفسهم، لاحظوا أن أقرى جادين قد أصبح مفسداً منذ عودته من كنشاسا. وفى هذا الأثناء واصلنا استكمال الترتيبات لاستقبال الوفد الإسرائيلي اكتشفنا طرقاً آمنة لدخولهم وخروجهم من الجنوب- وبقي كل ذلك بعيداً عن السياسيين حتى لا تتسرب أخباره إلى الجهات المعادية.

في بداية مايو علمت بتاريخ وصول الوفد من إسرائيل. ووقتها كان جوزيف أدوهو قد رجع من رحلته في الخارج. وكان ودوداً ومتعاوناً، خاصة عندما علم بقطع علاقاتي مع أقرى جادين- أخبرته هو وسفرينو فولى بتاريخ وصول الوفد- واستقبلا الخبر بانشراح واضح واقترحوا مشاركتهما معي في مصاحبة الوفد في رحلته الداخلية- فقبلت العرض وكنت طرباً للتفاهم والتعاون المتزايد بيننا في الضفة الشرقية.

في الأسبوع الثاني من مايو وصل وفد من ثلاثة أشخاص إسرائيليين، وقدموا أنفسهم بأسماء :- جون، ضابط عسكري، رئيس الوفد، ألان، ضابط سياسي، وجينو، مذيع- كنت وقتها في كمبالا لاستقبالهم وقيادتهم للجنوب عن طريق آمن- واتفقنا أن يسافروا بطريقتهم حتى نقطة محدَّدة قريبة من الحدود، حيث نكون في انتظارهم- حدّدت النقطة في الخريطة، في أبالو- كودي، موطن الكشاف لويس أدور. وذهبنا أنا وأدوهو وفولى لانتظارهم هناك- سافروا كسواح ليصلوا في الموعد المحدّد في السابعة مساء، قبيل الغروب. ومن هناك إتجهنا بالطريق الرئيسي من بلدة الكشاف إلى أماكن حدَّدناها مسبقاً- بقينا الليلة هناك للراحة قبل أن نستأنف مشوارنا الطويل في اليوم التالي- أخذتهم أولاً إلى أووني- كي- بول لرؤية الموقع الذي اخترته كمنطقة إسقاط- ومن هناك ذهبنا إلى الزعيم لوليك لادو، الزعيم القبلي الكبير في المنطقة. فرحب بهم وأضاف طلبه الخاص بالمساعدات العسكرية لحركة الأنيانيا- وأكد رئيس الوفد للزعيم لادو أن طلبه سيصل إلى السلطات العليا في إسرائيل، وأنهم سيستجيبون له. ومنه مررنا بمعسكرنا القديم، موليك، عبر جبال أمورك ثم إلى أفاتو. ومن هناك إلى جبال الأشولي ثم صعدنا إلى لوبون داخل يوغندا. وتوقفنا بعد عبور كبرى ليمور، شرق المكان الذي قتل فيه الأب ساترنينو.

هنا لخص رئيس الوفد هذه الرحلة بقوله (لقد تأكدنا من نجاح مهمتنا.. لقد رأينا كل شئ ضروري وآمن بالنسبة لنا.. رأينا كباركم والسياسيين وتحدثنا معهم،

وتحركنا مع جنودكم النشطين. بعض تقاريرنا تم إرسالها إلى بلدنا إسرائيل- وسوف نكملها عند رجوعنا إلى تل أبيب. حكومتنا تتطلع بجدّية لمساعدة حركتكم. ولهذا السبب أرسلتنا إلى هنا...) شكرت الوفد على مجيئه. وفى السابعة مساء كانت أنوار السيارات ترى من بعيد. أخذوا الوفد للعودة، كما هو مخطط، وركبنا البص من لوكونق واتجهنا إلى كتجم ومنها إلى قولو، حيث بقيت يومين مع أسرتي. ومن جهة أخرى تحركت جماهير شعبنا، خاصة اللاتوكا، لاستقبال ثلاثتنا (أدوهو وفولى وشخصي.) ونحن نعمل معاً مرة أخرى.

بعد أسبوعين وصلني إخطار من مبعوثنا الجديد في كمبالا (أنجيلو فوقا) بأن وفداً إسرائيلياً ثانياً سيصل قريباً، وعليّ أن أحضر إلى كمبالا لتنظيم رحلتهم إلى جنوب السودان، كما حدث للوفد الأول- كنت لحظتها في غاية الابتهاج. وعلى الفور أرسلت فريق مرافقة للانتظار في الحدود، كالمرة السابقة، لتهيئة لويس أدور وإكمال استعدادها- وفى كمبالا عرفت أن مستر جادين موجود في المنطقة، وإن تآمر الدينكا لإبعاده قد منعه من العودة إلى عاصمته، بونقو، خوفاً على حياته- لكن ذلك لم يعد يثير اهتمامي. فعندما ناقشت الموضوع مع أنجيلو فوقا، قلت (دعهم يواجهون ذلك في وسطهم.) واستعدت ما قاله لي أدوهو في نيروبي، إضافة إلى تجربتي الخاصة مع هذا الرجل- واقتنعت تماماً بأنه يفتقد الثقة في النفس والشجاعة الكافية وقوة العزيمة الضرورية لممارسة العمل القيادي. فتركته وحده وواصلت مشروعي الجديد بعيداً عنه.

*** إسقاط المواد في الجنوب :-**

وصل الوفد الثاني، وشمل نفس أعضاء الوفد السابق وإضافة ضابط صحّي، حلّ محل الضابط السياسي- أخذتهم إلى أووينى- كي- بول بنفس الطريق السابق. ولكن لم يشارك أدوهو وفولي في هذه الرحلة- ومهمة الوفد كانت تتلخص في تنظيم عمليات الإسقاط الجوي بأسرع وقت ممكن. والمكان كان يعتبر ملائماً كمنطقة إسقاط للمواد وهبوط الطيارات الصغيرة عند الضرورة- وبعد فترة قصيرة بدأت الطيارات في تسليم مختلف أنواع الأسلحة التي طال انتظارنا لها. وذلك رغم

أنها كانت، بشكل رئيسي، أسلحة مشاة: بنادق ماركة 4 ، رشاش برين، ستن، مورتر 2 بوصة وغيرها- وانتشرت أخبارنا في أوساط بقية مجموعات الأنيانيا، التي وصلت إلى معسكرنا في موجات متتالية وبأعداد أكبر من المجموعات التي جاءت إلى قرامبا في المرة السابقة- وفى هذه المرة وصلت كميات من الأغذية مع الأسلحة والمؤن. فقد كان الهدف الأول هو تقوية موقف الأنيانيا في مواقعها المختلفة، كما هي، ومن ثم إعادة تنظيمها وتدريبها.

في الضفة الغربية أدى تأخير وصول جادين إلى بونقو إلى قيام قوردون مورتات باتهامه بالجبن والهروب من المسئولية، والدعوة إلى انتخاب قيادة جديدة- ولم تجد دعوته هذه موافقة جماعية من القيادات السياسية، بل أدت إلى انقسامات جديدة- فقد أنتخب مورتات من قبل المجموعة المحدودة التي استجابت لدعوته. وبعد انتخابه هذا أطلق على الجنوب اسم (دولة النيل) وسمى حكومته الجديدة (حكومة دولة النيل المؤقتة.) وقام أيضاً بإعادة تسمية العاصمة المؤقتة(سماها بالقوبندي) في مكان من نفس المنطقة، تماماً كالعاصمة السابقة. ولكن أكوت أتيم، وزير دفاعه، رفض هذا التغيير، وكذلك الجنرال أميدو تافينق، القائد العام، وفريدرك ماقوت- رفضوا ترتيبات مورتات وانفصلوا عنه وكونوا (حكومة الأنيانيا العسكرية المؤقتة) تحت رئاسة الجنرال تافينق. وتبع ذلك صراعات ومنازعات وسط قوات الأنيانيا بين وحدات تؤيد مورتات وأخرى مع تافينق، وأدت إلى خسائر في الأرواح من الطرفين.

ما حدث في الضفة الغربية جذب الانتباه للمنطقة. وبالتالي ساعد في سير عملياتنا الجارية في الضفة الشرقية بهدوء ودون أي مشاكل- فقد أدت إلى توفير الهدوء المطلوب ومكنت الطيارات من القيام بعمليات الإسقاط لفترة طويلة في هدوء كامل. وفى الجانب الآخر، لم نبدي أي اهتمام بما كان يجري هناك في الضفة الغربية. واصلنا عملياتنا مع الأصدقاء الإسرائيليين، كأن الحكومة في الضفة الغربية غير موجودة. وفى ذلك الوقت أصبح الناس على وعي بأنني قد قمت ببناء

الفصل التاسع

انقلاب عسكري في الخرطوم

*** تغيير آخر :-**

في 25 مايو 1969 حدث انقلاب عسكري آخر (بعد الانقلاب الأول في 1958.) وعلمت بالحدث من راديو تاكسي في طريقي إلى كمبالا. في البداية لم ينطق المذيع اليوغندى اسم قائد الانقلاب بشكل واضح. ولكن في وقت لاحق، أكدت الإذاعات الأخرى انه الكولونيل جعفر محمد نميري- فتذكرت الاسم، لكن لم أتمكن من تذكر صورة صاحبة في البداية- وبعد تأمل تذكرت انه الرائد الذي كان رئيس قسم المسائل اللوجستية في رئاسة القوات المسلحة في جوبا في الفترة 1961/60، عندما كنت ملازماً في موقع الرتبة الثانية في قيادة المشاة هناك- وهذا الانقلاب أدى إلى تقوية موقفي في الحركة- وذلك لأنه ساعد في إيقاف صراعات السياسيين الجنوبيين في المنفى ونزاعاتهم غير المبرّرة في الغابة- فقد اصبح جوزيف أدوهو مؤيداً لخطي بشكل معقول. أما أقري جادين فقد ضاقت به الحال وفضل الذهاب إلى نيروبي والبقاء هناك- وبقي الوافد الجديد، قوردون مورتات، الرجل العجوز- فقد كان يريد حرباً غير مبررة لإخضاع الميجر تافينق والآخرين الذين رفضوا الاعتراف بقيادته- فالميجر تافينق وهيئة قيادته العامة انسحبوا إلى الضفة الشرقية، وقبلوا برتب أدنى من رتبهم في الضفة الغربية والعمل تحت قيادتي. وبذلك تركوا رئيس حكومة دولة النيل المؤقتة في حالة إدقاع سياسي في منطقة معادية- ونتيجة لذلك وجد نفسه في وضعية عجز كامل، أجبرته على حلَ حكومته المؤقتة- وفي وقت لاحق أرسل وزير إعلامه، ستيفن لام سيك، إلى كمبالا لإعلان حلّ الحكومة- وأدى ذلك عملياً إلى إنهاء عهد الحكومات في الغابة والصراع حول السلطة وسط السياسيين الجنوبيين في المنفى- وبذلك اتجه التركيز على ما كنا نقوم به في أووينى- كى- بول. فأصبح صوتنا مسموعاً في كل مكان

داخل السودان وخارجه. وأصبحت نشاطاتنا، خاصة أخبار إسقاط المواد والمؤن، عاملاً مؤثراً في زرع الأمل في نفوس شعبنا في جنوب السودان. ونتيجة لكل لذلك وجدت نفسي القائد العسكري والسياسي الوحيد للحركة بمجملها دون منازع.

بقي الوفد الإسرائيلي معنا لوقت طويل، وبالتأكيد كانوا ثلاثتهم يشكلون جزءاً هاماً في قيادتي العامة. فقد ساعدوا في تدريب الضباط والجنود في الموقع- وبمساعدتهم استطعت إرسال عدد من العسكريين والفنيين للتدريب في إسرائيل وإثيوبيا- والأصدقاء الإسرائيليون قاموا بإدارة عمليات التدريب في أثيوبيا، بينما قدمت الأخيرة تسهيلات التدريب وعدداً من ضباط الصف كموجهين- ونتيجة لكل ذلك بدأت وحدات الأنيانيا تسير بثبات في طريق الوحدة والتماسك الداخلي. فقد انتظم إمدادها من الأسلحة والمؤن من مصدر مستقر ومتواصل، وأصبحت هذه المساعدات توزع بشكل رئيسي من مركز واحد، هو أووينى-كي- بول. ولم تستخدم القوة في إخضاع أي مجموعة، بل ولم نفكر في ذلك عندما اكتملت سيطرتي على مجمل الحركة- وخلال عامين من بداية وصول المساعدات الإسرائيلية، استطعنا استكمال عملية توحيد قوات الانيانيا بطريقة سلمية وطوعيه وأصبحت قائدها الأعلى دون منازع- ولذلك رفعت رتبتي إلى رتبة لواء وأعلنت (حركة تحرير جنوب السودان) الجناح السياسي لحركة الانيانيا (SSLM) بهدف بناء تنظيم سياسي مقتدر، في مواجهة النظام الحاكم في الخرطوم، وقادر على التعامل مع أي تطورات سياسية متوقعة، مثل مفاوضات مؤتمر المائدة المستديرة أو غيرها.

*** خيبة أمل :-**

معظم الجنوبيين السودانيين، بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية والجغرافية، يعتبرون يوغندا جاراً وشقيقاً وفياً يأملون باستمرار في دعمه ومساندته من أجل استقلالهم من هيمنة الشمال العربي المسلم- وهذه النظرة تنطبق بشكل صحيح على جماهير الشعب اليوغندى في غالبها، ولكن الحكومات كانت تعمل، بشكل عام،

بطريقة مختلفة، وذلك بحكم ارتباطها بمصالحها المباشرة- ومن جهة أخرى، فإن يوغندا تعتبر قطراً صغيراً مقارنة بالسودان- وكان جيشها لا يتجاوز كتيبة واحدة عند إعلان استقلالها- وأياً كانت درجة حماس الحكومة اليوغندية وتأييدها لحركة تحرير جنوب السودان، فإن الحزب الحاكم هناك ظلّ يفكر باستمرار في تأمين بقائه في السلطة- ولذلك يبقى هادئاً ومترددًا وحذراً في تعامله مع مجريات النزاع في السودان. ونتيجة لذلك لا تمنح السياسيين الجنوبيين كامل الدعم والمساندة التي يتوقعونها. وفي بعض الأحيان قد تتعاون مع الحكومة السودانية في الخرطوم، وبالتالي محاصرة الحركة الجنوبية داخل حدودها- وهذا الموقف المتردّد والمتذبذب جعل السياسيين الجنوبيين في حيرة من توجهات الحكومات اليوغندية: هل هي معهم أم ضدهم؟ واكثر من ذلك، كان بعض العسكريين اليوغنديين ينظرون بقلق وعدم ارتياح لتزايد أعداد اللاجئين الجنوبيين في بلادهم، خوفاً من تأثيراتها السلبية وتكرار تجربة الفلسطينيين في الأردن ولبنان- ويزداد الموقف تعقيداً تحت تأثير العامل الديني. فالحزبان الرئيسيان في يوغندا (مؤتمر الشعب اليوغندى والحزب الديمقراطي) يقومان على الارتباطات الدينية- الأول، الحزب الحاكم وقتها، تتكون قيادته من البروتستانت، بينما تتكون قيادة الثاني من الكاثوليك الرومان- والشخصيات الجنوبية القيادية التي وصلت يوغندا في البداية كانت من الكاثوليك، وهم: الأب ساترنينو وجوزيف أدوهو ووليم دينق- وكان من الطبيعي أن تتعامل حكومة المؤتمر اليوغندى معهم بحذر وخوف من احتمال تعاونهم مع المعارضة (الحزب الديمقراطي) وفي الجانب الآخر كان من الطبيعي أيضاً أن يعلن الحزب المعارض تأييده ودعمه لقضية الجنوب، بحكم وجوده في المعارضة وبحثاً عن توسيع نفوذه- وهكذا أصبحت قضية جنوب السودان عاملاً هاماً في السياسة اليوغندية- وفي ذلك الوقت لم تكن هناك أحزاب في جنوب السودان أو في وسط السياسيين الجنوبيين في يوغندا أو أي مكان آخر- كان الجميع يعمل من اجل التحرر والاستقلال بشكل عام – وكانوا يتطلعون إلى ظهور قيادة قادرة علي تحقيق

هذه الأهداف بغض النظر عن انتماءاتها الدينية والإثنية- ومع إن الأحزاب اليوغندية الرئيسية تختلف في نظرتها لقضية الجنوب، فقد كانت جماهير الشعب تتعاطف مع اللاجئين الجنوبيين الذين تدفقوا إلى داخل بلادهم منذ بداية النزاع في السودان- كانت تبرز سخطها عليهم فقط في حالات النزاعات الفردية والجماعية العادية وعندما يؤثر وجود اللاجئين في مصالحها المباشرة- ومع كل ذلك كان الجنوبيون يعتبرون يوغندا وطنهم الثاني.

لقد وجد اللاجئون الجنوبيون ترحيباً حاراً من النوبيين في يوغندا، وذلك رغم انهم مسلمون- أي انهم لم يتأثروا بعملية غسل الدماغ، التي ظلّت تقوم بها حكومات الخرطوم المتعاقبة، والتي تركز علي معاداة الحركة الجنوبية للإسلام- ولذلك لم يكن مستغرباً، عندما قام قائد الجيش هناك، اللواء عيدي أمين (نوبي فخور بجذوره السودانية) بإعلان تأييده ومساندته الواضحة لقضية الجنوب- ولعل هذا الموقف يكون درساً بليغاً للعرب في السودان وخارجه، الذين يعملون لاستغلال الإسلام في توسيع إمبرياليتهم العربية- فالدين قد يكون عاملاً في تشكيل المجتمعات الإنسانية، لكن ليس بنفس قوة تأثير العامل العرقي والإثني- لو كان ذلك صحيحا، لنجح العرب في تكوين دولة واحدة، ولما كانت هناك نزاعات بين العرب والأكراد في العراق وسوريا، بين الأكراد والفرس في إيران أو بين الأكراد والأتراك في تركيا- وأيضا لما استمرت مشكلة شمال ايرلندا، وهي، في أساسها، مشكلة إثنية اكثر من كونها دينية، ولما ظهر دور الأنجلو ساكسون البروتستانت (**WASP**) في السياسة الأمريكية المعاصرة- وإذا كان بعض العرب النيليين السُمر في السودان يحاولون، دون حياء، فرض سيطرتهم علي السودان باسم الإسلام، فقد كان موقف عيدي أمين صدمة لهم، عندما وقف مع الحركة الجنوبية في نضالها ضد هيمنة العرب المسلمين وتحرير الجنوب وبناء دولته المستقلة- وهو هدف يعمل علي تحقيق وضع مشابه للوضع في يوغندا نفسها، حيث يشكل المسلمون أقلية مقارنة ببقية السكان. وإذا كان العرب المسلمون في السودان قد أمّلوا كثيراً علي صعود أمين لقيادة الجيش في

مجتمع يوغندا المتنوع اثنياً ودينياً، فقد خاب ظنهم. فالمثل السائر (الدم اكثر كثافة من الماء) عمل في غير صالحهم- والجنرال أمين، الذي كان يعتز بجذوره السودانية الجنوبية، أكد صحة ذلك المثل بموقف عملي- أعلن تأييده لقضيتنا في أسوأ الظروف التي عاشتها حركتنا- فعندما أمرت القيادة السياسية اليوغندية المسيحية، بالتحرك ضد الحركة الجنوبية، اتخذ الجنرال أمين، قائد الجيش، موقفاً مختلفاً، حيث قام بتوصيل تلك المعلومة للجنوبيين هناك ونصحهم باليقظة والحذر ونجح في إطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين الجنوبيين في سجون يوغندا- وقام أيضاً بتجنيد بعض العسكريين الجنوبيين، مثل كرستوفر أومبا قور وغيره، وقدموا له خدمات جليلة في القوات المسلحة اليوغندية وساعدوا في تقوية مركزه وفي تغيير توازن القوى داخل القوات المسلحة لمصلحته، عندما انفجر الصراع بينه وبين د.ملتون أبوتي- ونتيجة لذلك تمكن من هزيمة أنصار أبوتي وبالتالي الصعود إلى السلطة. والانيانيا كحركة، لم تشارك في الانقلاب الذي أدى إلى هذا التغيير السياسي، وحتى لم يكن يتوقع حدوث انقلاب، ولكن تأييد الجنرال أمين ومساندته لقضيتنا هو الذي جعلنا نرحب بصعوده للسلطة. كنا نأمل في تغييرات سياسية تعمل لمصلحة حركتنا- وإذا كنا نأسف لموقفه السلبي من الحركة في فترة لاحقة، فقد كنا نعي أن السلطة مفسدة، كما يعرف الجميع، وقد يحدث ذلك لأي حاكم، سواء كان مسلماً أو مسيحياً- ومع كل ذلك، فهو الرئيس اليوغندى الوحيد الذي لا يزال يذكره الجنوبيون، رغم مواقفة السلبية المشار إليها. وكقائد للجيش قام أيضاً بتشجيع الإسرائيليين لمساعدة حركتنا. وقام بزيارتي مرتين في أووينى- كي- بول مغامراً بمنصبه وحياته. ولكل ذلك تعاطف معه الجنوب ووقف معه في صراعه مع أبوتى. كان شقيقنا في يوغندا.. واذكر هنا إجابة المسيح على السؤال: (من هو أخي وأمي وأختي؟) فقال (هنا أمي وأختي.. كل من يطيع إرادة الرب هو أخي وأختي وأمي.) **Mark 3.34 – 35.** – وبالنسبة للسودانيين الجنوبيين فإن كل من يقف معهم في

لحظات أزماتهم ومشاكلهم هو أمهم وأبوهم وأخوهم وأختهم. والجنود الجنوبيون الذين وقفوا معه داخل الجيش اليوغندى كانوا ينطلقون من هذا الأساس.

*** النوبيون في شرق أفريقيا :-**

النوبيون مجموعة ثقافية اكثر من كونها إثنية، في شرق أفريقيا- وجذورهم ترجع إلى السودان. فهم أحفاد الجنود، الذين حصرتهم الثورة المهدية في نهاية القرن التاسع عشر في المديرية الاستوائية بجنوب السودان. وبقية أفراد القوة كانوا من جنوب السودان، خاصة المديرية الاستوائية- ومن هناك تراجعوا إلى داخل يوغندا، نتيجة تقدم قوات المهدية نحو الجنوب بعد سقوط الخرطوم في 1885 – وكانوا تحت قيادة سليم بك، مع أمين باشا، حاكم الاستوائية، بعد مقتل شارلس غردون حاكم عام السودان في قصره بالخرطوم من قبل ثوار المهدية- وفي يوغندا تخلى أمين باشا عن جنوده، عندما وصل ستانلي من الكنغو لإنقاذه – وفي ذلك الوقت استخدمت القوى الكولونيالية هؤلاء النوبيين في إنشاء مجموعات من القوات النظامية المحلية، في ما يسمى وقتها شرق أفريقيا البريطانية والألمانية- وحتى بعد أن حققت تلك الأقطار استقلالها، ظلَّ النوبيون يشكلون جزءاً هاماً في قواتها المسلحة، خاصة في يوغندا- وبذلك اصبحوا جزءاً من التركيبة السكانية المحلية وظلُّوا ينافسون الآسيويين في مجال التجارة الصغيرة والمتوسطة، بالإضـــافة إلى العمـــل في مجـــالات أخـــرى، مثل قيادة سيارات التاكسي والبصات...الخ. والمجموعة ككل تعتبر الثالثة وسط ما يسمى المجموعات المتحضرة (الأوربيون، الآسيويون والنوبيون.) وفي أدنى السلم يأتي السكان المحليون- وبعد الاستقلال بدأ الناس يتندرون حول إمكانية تغيير هذه الوضعية في الاتجاه المعاكس، عن طريق إعادة الترتيب ليصبح حسب الأهمية (الأفريقيون، الآسيويون، الأوربيون) مع بقاء كل مجموعة في حالها- والنوبيون كانوا يعتبرون أفارقة، بحكم لونهم واندماجهم في المجتمعات المحلية. وكان الجنرال عيدي أمين يرى أن الآسيويين لن يفقدوا شيئاً، لأن وضعهم لن يتغير- ولذلك قرر طردهم من البلاد. وهو أمر لم يكن

متوقعاً من مجموعة ظلت تتمتع بامتيازات الطبقة الوسطى في المجتمع. وإذا لم يكن النوبيون قد تمكنوا من الاندماج مع المجموعات المحلية، وحافظوا على مواقعهم، لأصبحوا المجموعة الثالثة بعد الأوربيين والآسيويين. وبعد هذا التغيير المعاكس في الترتيب الاجتماعي يصبح النوبيون في المرتبة الثانية (الأفارقة ، النوبيون، الآسيويون، الأوربيون.) ليحلّوا محل الآسيويين. وفي هذه الحالة لن يصبح عيدي أمين مواطناً له حق الصعود إلى منصب القائد العام ومن ثم القيام بانقلاب عسكري يسيطر به على البلاد. وبالتالي لما حدث ما حدث للآسيويين في عام 1972 في يوغندا- المهم، فقد تحسنت أوضاع حركتنا بعد صعود الجنرال أمين للسلطة، حيث أصبحت إمداداتنا تخرج من ميناء ممبسا باعتبارها بضائع ترانزيت إلى الجيش اليوغندى، بدلاً من الشحن بالطيارات المكلف مالياً- والسودانيون الجنوبيون في يوغندا اصبحوا لفترة محدودة مجموعة مميزة جنباً إلى جنب مع أحفادهم النوبيين. كانوا موضع تقدير واحترام الجميع، باعتبارهم أهل الرئيس- واستمر الحال كذلك لمدة ثمانية شهور. وفجأة تغيرت الأوضاع، عندما دخل الجنرال في صراع مع الرئيس التنزاني، جوليوس تايريرى، وبدأت الإشاعات تدور حول حركة مسلحة معادية للسلطة وتتجمع عناصرها في الحدود مع تنزانيا والسودان- وهذا الوضع دفعه لطلب دعم عسكري واسع من إسرائيل. وعندما شعر ببطء الاستجابة لطلبه، تحوّل إلى العرب. وبذلك بدأت علاقاته مع إسرائيل في التدهور- وأدى ذلك إلى تغيير مفاجئ في موقفه من حركة الانيانيا، حيث بدأ في شن حملات شرسة ضد عناصر حرب العصابات من خلال الإذاعة والتلفزيون اليوغندى. وذلك في تجاهل كامل لعلاقتنا معه وكحلفاء يمكنهم احتواء أو منع أي محاولة لغزو بلاده من السودان بواسطة المجموعات المعادية لحكومته- والواقع أننا قمنا بهذا الواجب وبنجاح، عندما عرقلنا تدفق الناس إلى داخل الحدود السودانية، بهدف التدريب هناك استعداداً لعمليات عسكرية- ومن جانبي تعاملت مع حملاته ضد عناصر حرب العصابات باعتبارها إنذاراً لنا- وكنت أرى انه قام بذلك

بهدف كسب ود حكومة الخرطوم للتحالف معه ضد العدو المشترك: مجموعات حرب العصابات. وهكذا السياسة. ليس هناك أعداء دائمين ولا أصدقاء دائمين والعلاقات تفرضها المصالح القائمة. وبعد وصوله للسلطة، اصبح الاهتمام الرئيسي للجنرال يتركز في ضمان البقاء في السلطة، تماماً كما كان يفعل أبوتي. ولذلك لم يعد منشغلاً بمشكلة الجنوب. وبعد اتفاقية أديس أبابا 1972 سألت اللواء محمد الباقر احمد:- ما الذي منع حكومة السودان من الاستجابة لدعوة عيدي أمين للتحالف معه؟ فقال باختصار:- (لأننا ببساطة لا نثق فيه- فضلنا الاستمرار في العملية السلمية بدلاً من الاستجابة لصراخ أمين ضد عناصر حرب العصابات).

*** مبادرة السلام الأولى :-**

في منتصف 1969 أصبحت قواتنا في وضع افضل من ناحية السلاح والإمدادات. وذلك بفضل المساعدات الإسرائيلية. فقد كانت مخازننا مليئة بالمتفجرات. وفي 1970 شهدت قدراتنا القتالية تحسناً ملحوظاً. وظهر ذلك في إحساس العدو بالمخاطر المتوقعة في الطرق وعلى طول خطوط النقل النهري. فالبواخر في النيل الأبيض وبحر الغزال والسوباط، كانت تواجه عمليات متكررة، أدت إلى تعطل حركتها- وامتدت العمليات إلى الطرق البرّية أيضاً. وبدأت الحكومة تشعر باستحالة الحلّ العسكري لمشكلة الجنوب- ولذلك بدأت في إرسال بعض القيادات السياسية الجنوبية إلى الخارج، كما فعلت قبل مؤتمر المائدة المستديرة عام 1965 - وكنا نصف هؤلاء بـ(الذين يشعرون بأهمية تحقيق السلام.) واهم ما في مبادرات الخرطوم جاء من سفيرها في المملكة المتحدة، السيد/عابدين إسماعيل، حيث قابل مادينق دي قرنق، مبعوثنا هناك- وسأل السفير مبعوثنا أن يبلغني شخصياً رغبة حكومة السودان في الحوار من أجل تحقيق السلام- وكتب لي مادينق بعد ذلك اللقاء الهام- أرسل الخطاب إلى انجيلو فوقا في كمبالا، وقام الأخير بإرساله لي فور استلامه- وعند الاطلاع عليه دهشت ولم استطع أن افهم ما وراء دعوتهم للحوار!! لم يكن هناك جناح سياسي أو حزب

سياسي لاستشارته في الموضوع، وذلك نتيجة لعبث السياسيين وخلافاتهم. كنا نعمل كحركة عسكرية. ومن هنا قمنا بتنظيم الإدارة المدنية تحت إدارة قائد المنطقة. والآن علينا التفكير في موقفنا على ضوء هذه التطورات. ونتيجة لذلك أعلنت حركة تحرير جنوب السودان كجناح سياسي لحركة الانيانيا- وكان من الضروري أن نكوّن جهازاً سياسياً في مواجهة حكومة الخرطوم. وكل الأعضاء، بخلاف المقاتلين، هم أعضاء في هذه الحـركة SSLM بما في ذلك مبعوثان في الخارج وكبار الضباط العسكريين. وابتعدت بقدر الإمكان عن استخدام تعبيرات رئيس وخلافها حتى لا أثير أي حساسيات وسط القيادات السياسية القائمة. وبهدف فتح أبواب الأمل أمام الطامحين وسط السياسيين الجنوبيين في المنفى وفي داخل السودان.

بعد قراءة رسالة الحكومة، قمت باستشارات واسعة وناقشت الاقتراح مع قيادتي وأنصار الحركة وشيوخ الجنوب، خاصة الزعيم لوليك لادو، وذلك قبل الذهاب إلى كمبالا للردّ على مادينق دي قرنق- وتمثلت أهم محاور الردّ في الآتي:-

1- أي تحرك مخلص في اتجاه السلام يجد ترحيبنا.

2- رفعنا السلاح لأسباب وأهداف تعرفها حكومة السودان.

3- نعلم أن أي نزاع مسلح، مهما كان حجمه، ينتهي عند طاولة مفاوضات. ونحن على استعداد لحلّ قضية الجنوب بالمفاوضات.

4- نرغب في لقاء ممثلي حكومة السودان في مكان محايد.

5- نحن، أيضاً، توّاقون لوضع نهاية لنزيف الدم الجاري الآن.

سألت مادينق لنقل رسالتنا للحكومة عبر نفس القناة، أي سفير السودان في لندن- ولكن لم أتلقى منه أي رد على رسالتي. وهناك تخمينات بأن جوزيف قرنق، القيادي الشيوعي الجنوبي في الحكومة في ذلك الوقت، كان ضد أي تسوية سلمية لمشكلة الجنوب، لأنه كان يحتاج إلى مزيد من الوقت لاستكمال بناء قاعدته

الشيوعية في الجنوب. وعلى أي حال، ظلت الخرطوم صامته ولم تبد أي حركة تجاه العملية السلمية. وهناك سبب آخر تمثل في وصول إمدادات عسكرية إضافية من الاتحاد السوفيتي، وشملت دبابات **T55** وناقلات أنتنوف وطيارات هيلوكبتر، وهذه الإمدادات لا يمكن مقارنتها بما تحصلنا عليه من إسرائيل- وذلك يعني أن ثورة 25 مايو، بقيادة الكولونيل جعفر نميري، الذي رقيّ لرتبة لواء بعد استلام السلطة، قد اتجهت نحو الحلَ العسكري وتخلَت كلية عن الحل السلمي. ولكن حركة الانيانيا، رغم ضعف تسليحها، مقارنة بالجيش السوداني، أصبحت تملك أسلحة أكثر من أي وقت مضي، بما في ذلك كميات كبيرة من المتفجرات- وبجانب ذلك أصبحنا أيضاً نملك تسهيلات في مجال الاتصالات، بحيث يمكن للوحدات المختلفة أن تتصل ببعضها في أي وقت لنقل المعلومات وتحركات العدو، بالإضافة إلى استقبال الأوامر والتوجيهات والتقارير وغيرها. وبكلمة فقد بدأت الانيانيا تتطور لتصبح قوة نظامية تقليدية- وبالتالي لا يمكنها انتظار السلام ليأتي إليها من الخرطوم، بل ستعمل على توسيع عملياتها في كل ربوع الجنوب. ولذلك أصدرت الرئاسة الخطط العامة للرئاسات الإقليمية في بحر الغزال وأعالي النيل وغرب الاستوائية للعمل على متابعة تنفيذها.

*** وصول الجنرال تافينق إلى الرئاسة :-**

وصل إلى رئاستنا في القيادة العامة كل من اللواء أميدو تافينق والعميد علي قباتالا والكولونيل فردريك بريان ماقوت بصحبة قياداتهم بعد أن تركوا مورتا- وسألوا عن إمكانية انضمامهم لي متعهدين بالعمل تحت قيادتي. وفي ذلك الوقت كنت في رتبة كولونيل ولم أرقّي لرتبة لواء- ومع أنى رحبت بهم وبطلبهم للعمل تحت قيادتي، فقد أخبرتهم بكل أدب واحترام أن ذلك غير ممكن بسبب النظم العسكرية التقليدية. قلت لهم أن الرتبة الأدنى لا يمكن أن تقود رتباً أعلى منها- وانهم إذا أرادوا العمل تحت قيادتي، عليهم أن يقبلوا رتباً ادني من رتبتي أو يحالوا للمعاش- وإذا اختاروا المعاش، يمكنهم أن يعملوا معي كمستشارين أو يعيشوا في

ديارهم كمواطنين محترمين- ومنحتهم وقتاً مناسباً لمناقشة هذه الخيارات مع أنفسهم وإبلاغي بقرارهم- وفي اليوم التالي طلبوا مقابلتي، وقبلوا على مضض رتباً أدنى من رتبتي. ولكني تشككت في إخلاصهم، خاصة الجنرالين الأكبر عمراً. لذلك خططت لفصل الكولونيل ماقوت، الذي احتاج إلى خدماته وتعاونه معي، عن الجنرالين الآخرين- فأنزلتهما إلى رتبة نقيب وتركت ماقوت في رتبة كولونيل، ليكون أدنى مني، وفي نفس رتبة كولونيل الشرطي، ديشان أوجوي. وهذه الإجراءات أدت إلى إحساسهما بالغبن والإساءة لكرامتهما. وبدءا يشعران بالغيرة من رئيس هيئتهم السابقة. فقد كان التغيير كبيراً بالنسبة لهما- ولكني، على أي حال، احتاج إلى خدمات هذا الكولونيل النشط والأصغر عمراً- ولم اعتبر كبار السن في نفس الرتبة. وذلك لأنهم إذا قرروا تركنا، فإن ذلك لن يكون خسارة لنا. وهذا ما دفعهم لاتخاذ موقف مني ومحاولة الثأر لكرامتهم في وقت لاحق- وجاءت الفرصة، بينما كنت في رحلة قصيرة إلى كمبالا. فقاما بمحاولة انقلاب. وفي عودتي وجدتهما تحت الاعتقال. وهكذا نجحت سياسة فصلهما من ماقوت، الذي اثبت إخلاصه وولاءه- فعندما بلّغ الجنود عن مؤامرتهما، قام الكولونيل ماقوت مع رئيس الشرطة الكولونيل ديشان والنقيب بيتر سريلو، باعتقالهما مع شركائهم في المؤامرة في مكان آمن انتظاراً لعودتي. فكونت محكمة إيجازية لمحاكمتهما. فأدينوا وحكم عليهما بالإعدام. وأعلنت الحكم في طابور المساء بحضورهما- ومن ثم ينفذ الحكم في صباح الغد قبيل الفجر- قادوهما للسجن لقضاء الليلة هناك تحت حراسة مشدَّدة- وأخبرت الحرس بأني سأطلبهما في وقت مناسب. لكني طلبتهما في الثامنة صباحاً. جيء بهما في ميدان الطابور بدلاً من أخذهما لساحة الإعدام. وهناك خاطبتهما بقولي: (لقد قررت أن اخفف الحكم الخاص بشيوخنا الواقفين أمامكم. وأخذت في الاعتبار عمرهما وخدماتهما السابقة والتضحيات التي قدماها في عودتهما بعد فترة سجن طويلة. ووضعت الاعتبار أيضاً لدخولهما مباشرة للغابة للعمل من أجل وطنهم، رغم تقدمهما في العمر، كشرفاء ووطنيين يستحقون

الاحترام والتقدير- لذلك قررت مكافأتهم بإنقاذ أرواحهم. فحولت الحكم بالإعدام إلى السجن.. أميديو تافينق وزملاؤه من الضفة الغربية سينقلون إلى غرب الاستوائية ليقضوا فترة سجنهم في غابات الزاندي الكثيفة، حيث لا يمكنهم الهروب. وعلي باتالا سينقل إلى منطقة جبال أماتونج، حيث لا يمكنه أيضاً الهروب من هناك.. لا أريد أن ألطخ يدي بدماء شيوخ كبار. فانقلوهم إلى سجونهم..) وعندما وصل تافينق إلى مورتا تقدم له حرس الشرف. ولكن خلال لحظات قامت قوات العدو بهجوم على مواقعنا- وخوفاً من القبض عليهم أو قتلهم بواسطة العدو، أمرت بعودتهم جميعاً إلى رئاستنا- وكذلك قباتالا- وعند وصولهم اعتذرت لهم وأطلقت سراحهم وأرسلتهم إلى أهلهم، حيث يجدون عناية وحماية كاملة من قوات الانيانيا المحلية هناك.

*** رولف شتاينر :-**

كان شتاينر مغامراً من ألمانيا الغربية، وأخبرني الإسرائيليون أنه كان نازياً في شبابه. وفي وقت لاحق سجل في خدمة الفرقة الخارجية للجيش الفرنسي. وحارب في الجزائر والهند الصينية وأخيراً في بيافرا في شرق نيجيريا- وعندما سمع بالنزاع السوداني، تعاطف مع حركة الانيانيا وقدم خدماته للعمل معنا- وبمساعدة أنصارنا تمكن من الوصول إلى يوغندا، حيث كان مستعداً للدخول إلى جنوب السودان- قابل الجنرال عيدي أمين، الذي ساعده وأرسله إلى الضفة الغربية بالاستوائية، حيث رئاسة حكومة الجنرال تافينق العسكرية في أبيدي. كان أمين يستهدف تلك المجموعة، بحكم ارتباطها بقبيلته، الكاكوا، الموزعة بين يوغندا والسودان وزائيري- وعلي أيومي، الذي تركته في قيادة المجموعة الثالثة في الضفة الغربية، يقال أنه من أقربائه.

وعندما وجد شتاينر أن ذلك المركز قد حول إلى الضفة الشرقية، جاء عبر أوويني-كي- بول وقدم خدماته هناك، ولكنه تشكك في قبولي لطلبه، بحكم وجود الإسرائيليين معنا- وعلم أيضاً أنني لم أكن راضياً عنه، لأنه نظم حرس الشرف

للجنرال تافينق، عندما عاد كسجين إلى مورتا في طريقة إلى غرب الاستوائية. ومن جانبي لم أكن أعرف ما أفعل معه، عندما قدم نفسه لنا- وهناك عوامل عديدة، كان عليَّ أخذها في الاعتبار قبل التقرير بشأنه، تمثلت في الآتي :-

- احتاج إلى أي شخص بطاقته القتالية.
- لم يطرح أي شروط ولم يطلب مقابلاً مالياً.
- سيكون مفيداً، حتى كمدرب.

أما العوامل السلبية فتتمثل في الآتي :-

- الوفد الإسرائيلي سمع بوجوده في الضفة الغربية وكانوا غير مرتاحين لذلك- تحدثوا عن دوره كنازي في شبابه وأنه لا يمكن قبوله كزميل.
- شتاينر يحارب دائماً مع الجانب الخاسر- ولا أريده أن ينقل هذا السلوك السيء إلى الأنيانيا.
- سمعت أنه عنيد ومشاكس. ولا أريد شخصاً سيصبح بعد حين مشكلة.

وهكذا يتضح أن المضار المتوقعة من تجنيده وقبول خدماته تفوق المزايا المتوقعة. ولذلك لم أوافق على قبول عرضه. فأبلغته بأدب واحترام أنني لا أستطيع قبول طلبه، لأن الإسرائيليين، الذين كانوا معي، لا يقبلونه كزميل لأسباب يعرفها- وقلت له بوضوح أنني كنت سأقبله كموجه، إذا كان الأمر بيدي وحدي- وكان الوفد الإسرائيلي قد عاد إلى بلاده عندما جاءنا شتاينر. وقد كنت أفضل أن لا يكونوا متواجدين في موسم الجفاف واحتمالات تعرّض معسكرنا لهجوم من القوات الحكومية- وأوصيت أن يرجع شتاينر إلى ألمانيا للقيام بالدعاية اللازمة وجمع تبرعات لحركتنا- فأعجب بصراحتي وطلب مني إمهاله شهراً وأحداً لتمكينه من العودة إلى مورتا ليرتب أشياءه ومن ثم يرجع بالطريقة التي دخل بها للجنوب- وقبلت طلبه كخطوة لإخراجه من الضفة الشرقية قبل أن يعود إليها الأصدقاء الإسرائيليون- وبعد ذلك سافر إلى مورتا ومكث هناك أكثر من المدة التي طلبها- وعندما كثفت قوات العدو هجماتها، حاول أن يترك المنطقة- ولكنه وجد الوضع

مختلفاً جداً، وجد أنه مطلوب القبض عليه من قبل الجنرال أمين ود. أبوتي لأسباب مختلفة. والرجلان في ذلك الوقت كانا في حالة مزعجة من القلق والاضطراب. فقد كان أبوتي واعياً بتورط الجنرال في إدخال شتاينر إلى الجنوب وفى خلق توتر في علاقاته مع السودان- وكان يريد أن يحصل على أي وثائق من شتاينر يمكنه الاستفادة منها لإدانة الجنرال- والجنرال أمين من جانبه كان يريد الوصول لنفس الهدف قبل خصمه. وبعد فترة قصيرة من مغادرة شتاينر لمنطقة مورتا، قام الجنود اليوغنديون، الذين قادوه إلى داخل الجنوب، باعتقاله وتجريده من أي وثائق وأوراق قد تورط رئيسهم، ومن ثمَّ سلموه لوحدة الخدمات العامة التابعة للرئيس أمين، فقط كموزنقو- وهناك أخضعوه لتحقيق مكثف وأودعوه السجن لفترة من الزمن. وفى وقت لاحق قاموا بتسليمه للحكومة السودانية. وبعد فترة علمت أنه قام بمغامرة مع الأنيانيا في مورتا للهجوم على حامية كاجوكاجي، قبل عبوره للضفة الشرقية لمقابلتي- وعلمت أيضاً أن تلك المحاولة دفعت الحكومة السودانية لتنبيه الحكومة اليوغندية بأن هناك مرتزقة يدخلون جنوب السودان عبر الأراضي اليوغندية- ومنذ ذلك اليوم بدأت القوات السودانية في متابعة تحركات شتاينر بين أوويني-كى- بول ومورتا.

بعد فترة قصيرة من تسليمه لحكومة السودان، قامت قواتها بمهاجمة قاعدتنا الرئيسية في أوويني-كى- بول. وسبق هذا الهجوم قيام طيارات الأنتنوف برحلة استطلاعية في المنطقة- ولكنها لم تنجح في مهمتها. وذلك لأننا بدأنا في تحويل المعسكر الرئيسي إلى موقع جديد في جبال أشولي. واستطعنا في وقت وجيز تحويل مخازننا وتأمينها في مناطق داخل الغابات- وتضاريس الأرض وسط جبال أشولى كانت ملائمة لدفاعاتنا بشكل ممتاز- وعندما بدأ الهجوم الحكومي، كانت كل احتياطاتنا من الأسلحة والمخازن خارج منطقة المعسكر الرئيسي، باستثناء المستشفى. بدأ الهجوم بقذف عالي، في وقت تتقدم فيه قوات المشاة نحو مواقعنا بمساعدة نيران كثيفة من طيارة هليكوبتر- وفضلت عدم حماية أوويني-كى- بول-

فقد قامت المنطقة بدورها المحدّد في عمليات إسقاط المؤن والأسلحة، وانسحبنا منها إلى مواقع أخرى، لا يستطيع العدو الوصول إليها بسهولة- المهم عندما وصلوا الموقع وجدوه خالياً. وبينما كنا نقوم بإعادة تنظيم معسكرنا، وصل الوفد الإسرائيلي بقيادة جون، الذي كان يقود الوفدين الأولين.. جاء في وقت مبكر، كأنهم قد جاءوا لإنقاذنا. ومع ذلك، فقد كنت أريد تأخير وصولهم حتى نهاية موسم الجفاف- وكان ذلك هو الوفد الخامس.

*** حادثة قنبلة :-**

في الحادية عشرة مساء وبعد وصول ضيوفنا، حدث انفجار هائل في المنطقة. فقمنا من النوم مزعورين في سكون تلك الليلة المظلمة- في البداية توقعنا أن يكون هناك هجوم من العدو، ولكن مرت لحظات دون أي حركة . لذلك عرفنا أنه ليس هناك هجوم- ثم سمعنا صوتاً يئن من الألم- وجاء صوت أزكيل أوندو مسموعاً وواضحاً، أزكيل زميلنا الجديد، فني أجهزة الاتصال، (ماذا فعلت؟ لماذا تريد أن تقتلني؟) كان يكابد جروح شظايا أصابته بعد انفجار القنبلة. وعندما اندفعنا نحو المسرح في ضوء البطارية، وجدنا أن لاورو البلك أمين، الفني، هو الذي تسبب في الانفجار- كانت حالته خطيرة، وطلبت من بيتر سريلو أن يسأله، طالما أن الطبيب، الذي وصل مع الوفد ذلك اليوم، قد بدأ في معالجته مع المساعد الطبي، فيلكس أبوي. وكشف تقرير سريلو أن لاورو قد خضع لتضليل آخرين في قيامه بما حدث. وكانت الشائعات تركز على جوزيف أدوهو وجورج لومورو- وحسب الشائعات الجارية، فقد ذهب لاورو إلى كمبالا خلال غياب طويل من العمل. وهناك قابل أدوهو ولومورو، واتفقا معه على اغتيالي بقذف قنبلة نحوي أثناء النوم- واختياره هو شخصياً تم لأن عمله يجعله قريباً مني معظم الوقت. ولذلك قرر أن يتحرك في الليل في خطوات هادئة ويقذف القنبلة في قطيتى. وبعد ذلك يختفي وسط الآخرين في لحظات الاضطراب المتوقعة بعد الانفجار- ولسوء حظه أن الأمور لم تجري كما خطط لها- فبعد أن جهز القنبلة للانفجار، استلقى في سريره في انتظار

اللحظة المناسبة لقذفها- ولكن القنبلة سقطت من يده بسبب استرخائه ونعاسه. وفى لحظة يقظته كانت القنبلة قد انفجرت وأصابته بجروح خطيرة وعصفت برجله المتدلية في الأرض. والضباط الآخرون المتورطون في الحادثة، كانوا هم: النقيب كاميلو لودوقى والكابتن أدوارد بيتر. ويقال أن الكابتن قضي معظم يومه مع لاورو يعلّمه كيفية استخدام القنبلة. وبعض الذين يقولون أنهم رأوا المذكورين وهما يحملان القنبلة في أياديهما كانوا مستعدين للإدلاء بشهادتهم أمام لجنة مسئولة- وبالنسبة لي، فقد أعلمت بالموضوع ولا يمكنني معاملته بخفّة وتجاهل. لذلك قمت على الفور بتجريد المتهمين من السلاح واعتقالهما. كما قمت بفصل كاميلو لودونقى وطرده من المعسكر وتنبيه كل القيادات بالحذر واليقظة وإبعاد الضابط المطرود من الوحدات العسكرية والمخازن- وأصدرت قراراً بترقية ساترنينو أرهيا إلى رتبة نقيب في محله- وبالنسبة للكابتن إدوارد، فقد قررت تجريده من رتبته واحتفظت به في المعسكر تحت المراقبة الشديدة. واعتبرته شخصاً خطراً، بحكم قيامه بقتل أحد الأفراد في وقت سابق.

حاولت منع انتشار أخبار الحادثة. ولكن ذلك لم يكن ممكناً، لأن عدداً كبيراً من ممثلي الوحدات المختلفة في كل أنحاء الجنوب كانوا هناك في المعسكر لتلقي بعض التدريبات والمشاركة في حماية مركز الرئاسة العامة- والمتورطون في العملية قاموا بنشرها بطريقة تفيد في تبرئتهم- وفى كل الأحوال انتشرت أخبار الحادثة باعتبارها مؤامرة تستهدف اغتيالي.

في وقت لاحق، تصالحت مع جوزيف أدوهو، الذي كان سياسياً ملائماً قادراً على قبول الأمر الواقع والتكيف مع الظروف. فقبل عرضي ليرافقني كأخ أكبر في طريقي إلى أديس أبابا لتوقيع اتفاقية 1972 للسلام. وفي عودتنا من هناك، طلب، نيابة عن لودونقى وبيتر، أن أعيد النظر في قضيتهما، وقال لي بطريقة مازحة (عندما يسقط الجاموس، فإن كل شخص في القرية يجد نصيبه من لحومه أو شوربته على الأقل- وفى ضوء ذلك، آمل أن تراجع موقفك من الضباط الذين

عاقبتهم، أقصد كاميلو لودونقي وأدوارد بيتر- أرجو أن تراجع مواقفهما..) وقلت له (مع احترامي وتقديري لك، ومع تقديري الكبير لتقاليد شعبنا في الضفة الشرقية، وحتى لا تستمر مرارات وأحقاد الأحداث السابقة، فإنني سأعمل بنصيحتك.) وقدرت أن كلماته تلك كانت اعترافاً بدوره في الحادثة. وبما أن البلاد تمرّ بعملية مصالحة وطنية عامة، فقد عفوت عنهم. وأخذت أسمائهم لإعادتهم للقوات العسكرية، وأضفت اسم صمويل أبوجون، نائبي بعد توحيد الأنيانيا، والذي فصل بسبب الإهمال وتعامله غير المسئول مع شحنة إمدادات عسكرية. ولكني تنكرته أيضاً لدوره الهام في توحيد الأنيانيا- وكما لاحظ أدوهو، فإنه يستحق التقدير. لذلك أعيد ثلاثتهم للخدمة مع عقوبة بتخفيض رتبهم.

أما لاورو، فقد قام الطبيب والمساعد الطبي بقطع رجله، لأنه لم يكن من الممكن إنقاذها- وبعد ذلك سُفر إلى مستشفى مولاقو بكمبالا لمواصلة العلاج. والشكر للأطباء اليوغنديين الذين قبلوا معالجته دون تردد. وفى وقت لاحق توفي المذكور لأسباب طبيعية في الخرطوم، بعد اتفاقية 1972- وأذكر أنه عندما ساءت حالته في مستشفى الخرطوم، سألوه عن أقربائه في المدينة، فذكر اسمي- وتحمّلت مسئوليتي تجاهه فقد كان أحد ضباطي. واعتبرت إشارته إلى اسمي في أخر لحظات حياته كنوع من الاعتذار ومحاولة لمصالحتي- ولذلك قمت بنقل جثمانه إلى جوبا ومن هناك إلى قريته. وساعدتني في ذلك السلطات الحكومية في الخرطوم وجوبا.

*** عوامل ساعدت في صعودي للقيادة :-**

هناك عدة عوامل ساعدت في صعودي للقيادة العامة للمؤسسات العسكرية والسياسية للحركة. وفى تقديري أن <u>أول</u> هذه العوامل تمثّل في الحظ. ففي كل نجاح حققته كان الحظ يعمل لصالحي- والعامل <u>الثاني</u> ربما كان صغر قبيلتي مقارنة بالقبائل الجنوبية الأخرى. فقبيلة المادي ليست لها أي مشاكل مع القبائل الأخرى، وليست هناك أي مخاوف من سيطرتها على الآخرين- والعامل <u>الثالث</u> تمثّل في

الموقع الاستراتيجي لمنطقة المادي في الحدود السودانية/اليوغندية، التي تشكل المدخل المثالي للعالم الخارجي عبر يوغندا، الملجأ الرئيسي للسياسيين الجنوبيين المبعدين من بلادهم- والعامل الرابع يرجع إلى أنني أرتبط بخلفية معروفة. فعمل والدي مع الإرسالية الكاثوليكية في السنوات الأولى للنشاط التبشيري المسيحي في الجنوب، وفى وقت لاحق مع الحكومة في نمولى في محطة الجمارك والميناء النهري، كل ذلك جعل أسرتي معروفة بشكل واسع نسبياً- وهذه الخلفية المعروفة جعلتني شخصاً موثوقاً فيه من قبل الآخرين- والعامل الخامس يعود إلى أن تعليمي الأولى في منطقة الدينكا قدمني إلى مناطق أخرى بعيدة ومنحني امتياز معرفة لغة إضافية، هي لغة الدينكا، أكبر مجموعة إثنية في جنوب السودان- وعن طريقها كان يمكنني أن أتخاطب مع أبنائها بشكل مباشر- وبالإضافة إلى ذلك كنت أتحدث اللغة المشتركة في جنوب السودان (عربي جوبا) بطلاقة جعلتني في اتصال واسع مع المجموعات الأخرى. وفى وقت لاحق بدأت أتحدث قليلاً من لغة الاشولي، المفهومة نسبياً في معظم مناطق الضفة الشرقية، مركز الحركة السياسية الجنوبية- والعامل السادس يتعلق، في تقديري، بتدريبي العسكري. وهى ميزة كان يفتقدها السياسيون الآخرون- أي أنني كنت املك معرفة غالية يمكنني تقديمها للآخرين- وفى النهاية هناك عناية الرب وهدايته. فلولاها لما فعلت كل هذه المزايا شيئاً يذكر- فقد منحني الهداية والرشد والقدرة على استيعاب العلم والحكمة من محيطي القبلي، بمختلف تكويناته، ووفقني في مواصلة تعليمي النظامي حتى بلغت سن الرشد- كل ذلك كان له تأثير إيجابي في تكويني الشخصي. وتحضرني هنا بعض الأمثلة القبلية، أذكر منها الآتي :-

1) مثل من قبيلة المادي، تعلمته منذ نعومة أظافري، يقول: (لا تأكل وحدك- شارك أخاك في وقت الحاجة حتى في حبة فول واحدة. فهو سيعمل للحصول على أخرى يشاركك فيها).

2) هناك مثل من قبيلة الدينكا أقار، حيث قضيت فترة تعليمي الأولى في منطقتهم، يقول: (عندما تتشاجر مع أخيك، أمسك العصا برفق، لا تضع إبهامك عليها حتى لا تقتله- أستهدف معاقبته وليس قتله، لأنه سيقف معك عندما تواجه الآخرين.).

وبجانب ما سبق ذكره، فقد طورت عادة الاستفادة من فترة الصباح الباكر في التأمل والتفكير فيما يشغلني من قضايا ومشاكل- هذه العادة، كما تعلمت من تربيتي المسيحية، أكدت أهميتها وفائدتها الكبيرة. وهناك أيضاً الانضباط والنظم العسكرية التي تعلمتها في خدمتي العسكرية. وكل ذلك جعل المتعاطفين معنا يفضلون العمل معي- وحاولت نقل هذه التقاليد للمتدربين من خلال تشجيعهم على العمل الجماعي وكنت أستخدم مبادئ التمرينات التكتيكية في شرح فوائد العمل الجماعي بطريقة بسيطة. وذلك مع التركيز على أهمية العمل مع الآخرين، بطريقة (النار والحركة) في العمل العسكري. أي تغطية حركة المجموعة من خلال قيام آخرين بضرب النار على مواقع العدو- المهم هذه العادات والمزايا جعلت الناس يثقون في طريقة تفكيري وعملي.

*** تداعيات الوحدة :-**

ظلّ أكويلا مانيون وأحمد قرنق (من طلائع المقاتلين من أجل الحرية، وهما من منطقة بور) لقد ظلا قريباً مني طوال فترة نضالنا من أجل الحرية. وذلك لعلاقاتي الشخصية بهما منذ أيام الدراسة. ونتيجة لذلك، وقفت منطقة بور معنا قبل بقية الضفة الغربية بوقت طويل. وبعد توحيد مجموعات الأنيانيا، أستمر هؤلاء القادة في العمل معي. وكانت وحداتهم تستلم إمداداتها مباشرة من الرئاسة. وكنت أضع اعتباراً خاصاً لمنطقة دينكا بور، الذين خدم والدي في وسطهم في مدرسة الإرسالية الكاثوليكية. فالناس هناك، ودينكا أقار، الذين عشت وسطهم في مدرسة أكوت، يعتبرونني واحداً منهم- وساعد ذلك في توسيع دائرة علاقاتي ونفوذي السياسي- ومن الضفة الغربية هناك صمويل أبوجون ومايكل تويل، الذين جاءوا ومنحوني تأييدهم ودعمهم قبل وصول المساعدات الإسرائيلية. وتبعهم بعد ذلك

سايمون جادا من الضفة الغربية ورفض دولة تافينق العسكرية واعتبر نفسه تحت قيادتي كما كان من قبل. وعند شعورهم بالعزلة، قام تافينق وقيادته بالاتصال بي ووضع أنفسهم تحت قيادتي. وبذلك أكتمل توحيد الأنيانيا في مديرية الاستوائية. وجاءت بعدها مديرية أعالي النيل. فقد سافرت إلى أديس أبابا للبحث في إمكانية توفير إمدادات للحركة في بقية مناطق أعالي النيل عن طريق أثيوبيا- ونجاحي في ذلك أكسبنا ولاء المقاتلين هناك.. إنه الانتصار السلمي كما كان يقول صديقي الهايتي، كسب قلوب وعقول الناس- وبهذه الطريقة كسبنا جوزيف أكوون، المقاتل الرئيسي في أعالي النيل، وحوّل معه كل أعالي النيل لمصلحة حركتنا الموحدة.

بقيت بحرالغزال وحدها بعيدة عنا- فعندما وصل أيمانويل أبور وأندرو ماكور شو، الذين دربتهم في قرامبا، عندما وصلوا إلى بالقو بندي، لم يستطيعوا تحمل مشكلات العزلة في بحر الغزال- ولذلك تحركوا إلى الاستوائية للقائي هناك. أما قوردون مورتات، فقد شعر بالعزلة وبصعوبات العمل. فأرسل وزير إعلامه إلى كمبالا ليعلن حلّ حكومة دولة النيل المؤقتة والسماح لجنوده بالالتحاق بأي مجموعة يختارونها- وفى وقت لاحق عينت أيمانويل أبور ضابطاً رئيسياً في بحر الغزال، ثم قائداً للمنطقة- وهذه التطورات أدت إلى استكمال عملية التوحيد، كانت عملية تدريجية، نمت وتطورت عبر التفاهم والاقتناع وليس عن طريق القوة والإكراه. فقد بدأت بثلاث قبائل في الضفة الشرقية: المادي والاشولى ولولوبو- وهؤلاء تكاتفوا مع الناطقين بلغة اللاتوكا- وبعد ذلك، جاء دينكا بور، الذين ارتبطوا بي قبل فترة، وتبعتهم منطقة كبويتا، ومن ثم وسط وغرب الاستوائية. وفى النهاية جاءت بحر الغزال- وهكذا توحدّت قوات الأنيانيا تحت قيادتي.

*** إعادة التنظيم :-**

عندما توليت مسئولية قيادة الحركة، قمت بإعادة تنظيمها على النحو التالي:-

1- عسكرياً:-

اعتبرت مجمل القوة العسكرية لحركة الانيانيا في الجنوب كمجموعات جيش موحد. واعدت تنظيمها على هذا الأساس- فأشرت إلى تكويناتنا في المديريات الثلاث كفرق بهدف توحيد سياستنا وأهدافنا في هذا المجال- وذلك رغم أن قوة الاستوائية كانت اكبر من القوة الموجودة في أعالي النيل وبحر الغزال معاً- وهذا الاختلال كان نتيجة لقرب الاستوائية من خطوط الإمداد- وإعادة التنظيم كانت تستهدف بناء تركيب متوازن يمكن أن يقوم عليه إنشاء جيش لجنوب السودان- وكنت أيضاً أريد إزالة مخاوف المديريات الأخرى من احتمال هيمنة المديرية الاستوائية، التي تتميز بوجود قوات متدربة ومسلحة بشكل افضل من غيرها- وكنا أيضاً نعمل على عدم تكرار الأمراض التي انتشرت في الضفة الغربية بالاستوائية وتمثلت في صراعات قبلية ضد أبناء الضفة الشرقية في بدايات الحركة- وكنا من جهة أخرى نريد جذب مديريات أعالي النيل وبحر الغزال، التي تأخرت في انضمامها للحركة. وذلك حتى يشعروا بمشاركتهم في حركة المقاومة، تماماً كمديرية الاستوائية- ومن أجل توسيع وتعميق هذه الروح في المستويات الأدنى، قمنا بتحويل البنية التنظيمية للمديريات، حيث وزعت الفرق إلى كتائب في المديريات الثلاث، رغم تفاوتها في التدريب والتسليح- وكذلك وزعت الكتائب إلى مجموعات لتغطي كل المناطق، وذلك حتى تتمكن من إشغال أي وحدة في الجيش السوداني في أي منطقة في الجنوب.

- التركيب القيادي الابتدائي :-

- القائد العام وقائد الفرقة الأولى، اللواء جوزيف لاغو.
- نائب القائد العام وقائد فرقة الاستوائية الغربية، الكولونيل صمويل أبوجون كاباسي.
- رئيس هيئة الأركان وقائد فوج القيادة العامة، الكولونيل فريدريك بريان ماقوت.
- قائد الفرقة الثانية، الكولونيل جوزيف أكوون.
- قائد الفرقة الثالثة، الكولونيل أيمانويل أبور نيال.

يجب ملاحظة أن أقدمية الوحدات وقوادها تقوم على أسبقية دخولهم في عملية التوحيد.

2- الإدارة المدنية :-

* قمنا بتقسيم كل من المديريات الثلاث إلى ثلاث مناطق إدارية أو أقاليم، موازية لتشكيلات الكتائب العسكرية- ونتيجة لذلك قسمنا الاستوائية إلى:-

أ- الإقليم الشرقي ويتكون من منطقة كبويتا وتوريت ومقاطعة لوكويا- لولويو التابعة لمنطقة جوبا.

ب- الإقليم الأوسط، ويتكون من الناطقين بلغة الباري في منطقة جوبا الوسطى ومنطقة نهر ياي.

ت- غرب الاستوائية، يتكون من منطقة مريدي ويامبيو وطمبرة.

* وقسمت بحر الغزال إلى:-

أ- الإقليم الشرقي، يتكون من منطقة البحيرات (رمبيك) ويرول.

ب- الإقليم الأوسط، يتكون من منطقة تونج وقوقريال وأويل.

ج- الإقليم الغربي، يتكون من مناطق واو وراجا.

* وقسمت أعالي النيل على النحو التالي:-

أ- الإقليم الجنوبي، يتكون من مناطق بور وبيبور.

ب- الإقليم الأوسط، يتكون من ما تبقى من مناطق فرجوك وبانتيو وأكوبو.

ج- الإقليم الشمالي، يتكون من ما تبقى من مناطق أعالي النيل.

3- الهيكل الإداري :-

- اليا لوب واي واي، المفوض الأعلى (رئيس وزراء) لجنوب السودان (بدون وزراء).
- اليسابانا كبى مولا، مفوض (رئيس المديرية) لمديرية بحر الغزال، بدون مجلس تنفيذي.

- البابا جيمس سرور، نائب مفوض (حاكم) الإقليم الأوسط بالمديرية الاستوائية.
- مفوض أعالي النيل ونواب المفوض لم تعلن أسماءهم وقتها.

يبدو واضحاً أن الإدارة العسكرية والمدنية في مديرية الاستوائية كانت هي الأفضل، من حيث تقسيمها وإدارتها. أما المديريات الأخرى، فقد كان المخطط أن يتطور هيكلها مع نمو وتطور الحركة في مناطقها- ففي بعض المناطق التي دخلت في وقت متأخر، لم يكن من الممكن ملء مختلف المواقع في هيكلها القيادي. ولذلك لم تكتمل هذه العملية إلا في عام 1970- ومع ذلك كان التنظيم يعمل بنظام اتصالات جيد نسبياً- فعندما يقوم العدو بتصعيد عملياته ضد مراكزنا الرئيسية، كنا قادرين على تنظيم اتصالاتنا بسهولة- الوحدات تتصل ببعضها ومع قياداتها دون أي مشاكل، بل كان يمكننا متابعة تحركات العدو منذ البداية. وبذلك نعمل على تحريك وحداتنا بشكل يربك العدو ويشلّ مبادراته ويعرّضه لهجماتنا من داخل الغابات- ومع تزايد كميات السلاح والمعدات، تمكنا من التسلل إلى داخل مناطق العدو نفسها، الأمر الذي اجبره علي نشر قواته في مناطق واسعة، وبالتالي تعريضها لعملياتنا المتواصلة وإضعاف مقاومته لهجماتنا.

*** عمليات انتقامية:-**

بعد هجوم العدو علي معسكراتنا الرئيسية، قمنا بحملة انتقامية واسعة في معظم مناطق الجنوب- قامت زمرة صغيرة من قيادتنا العامة، تحت قيادة الكابتن وليام أليرا يانقا، تسللت إلى داخل المنطقة بالقرب من معدّية الميناء على ضفة النيل واتخذت مواقعها هناك. وقاموا بإطلاق نيرانهم بمدافع البازوكا والمتفجرات وأصابوا عدداً من المراكب وتحطمت واحدة- ثم انسحبوا بعيداً تاركين المنطقة في حالة من الفوضى والزعر- وكل وحداتنا الفرعية كانت مجهزة بمعدات إشارات قصيرة المدى، تمكنها من الاتصال بقياداتها- أما الوحدات الرئيسية، في المراكز الثابتة، فقد كانت ترتبط بأجهزة طويلة المدى، تساعدها على الاتصال بكل أنحاء

الجنوب. وشبكة الاتصالات المتطورة هذه، ساعدت أيضاً في تطوير وتحسين أداءنا العام في الميدان- ولذلك لم تكن تحركات العدو بعيدة عن أعيننا. فقد كانت الطرق البرية وموارد المياه تمثل أهدافنا الأساسية. وكنا نعمل بشكل ثابت على مهاجمة هذه الأهداف. ولذلك ظلت الطرق والبواخر النيلية تعيش حالة متواصلة من الخوف والزعر والاضطراب- وذلك عن طريق الهجمات المباغتة والمتفجرات الأرضية المضادة للشاحنات والمتفجرات المحدودة وغيرها، التي تتسبب في قتل الأشخاص وتحطيم الشاحنات والآليات- وهنا لابد من الإشارة إلى أن الجندي الجريح يمثل مشكلة للنظام الحاكم في الخرطوم اكثر من الجندي القتيل، والشاحنات المحطّمة تؤلمه أكثر من القتلى المجندين من المناطق الفقيرة والمهمشة، الذين لا يؤثرون في موقف الطبقة الحاكمة.

ومع كل ذلك كنت اطمح في تطوير أدائنا بشكل افضل واكثر تقدماً- فعندما سمعت بالمتفجرات النهرية، بدأت ابحث عنها، وطلبت إمدادات منها بهدف عرقلة الملاحة النيلية وإيقافها كلية- وطلبت أيضاً وسائل فعّالة لمضايقة الطيران ومنع الخطوط الجوية من استخدام الأجواء السودانية- وكنت اشعر أن توفر المعدات والمواد الضرورية، يمكن أن يؤدي إلى خلق صعوبات كبيرة تجعل الخرطوم غير قادرة على حماية قواتها في الجنوب- وفي هذه الحالة ستضطر إلى البحث عن السلام بكل الطرق الممكنة أو إلى الانسحاب الكامل من الجنوب وتركه لتقرير مصيره بنفسه- وذلك لقناعتي بقدرات قواتنا ولأن نشاط حرب العصابات، في كل مكان، يستهدف فقط هزيمة العدو وإجباره على التفاوض وفق شروط ملائمة.

وفي تلك الفترة بدأت القوات الحكومية تشعر بتأثيرات نشاطنا العسكري، أي بعد أقل من عامين من وصول المساعدات الإسرائيلية، وعام واحد فقط من استكمال عملية توحيد مجموعات الانيانيا- ففي البداية حاولت الحكومة العمل على اختراقنا وتحطيمنا. واستخدمت في ذلك كل الطرق الممكنة، بما في ذلك أساليب (فرق تسد) الكولونيالية المعروفة. حاولت ذلك من خلال إرسال عملائها لمقابلة السياسيين في

الدول المجاورة ومعسكرات اللاجئين- وعندما فشلت هذه التكتيكات، قامت العصابة الحاكمة في الخرطوم وعملاؤها، قامت بإعادة النظر في نهج الحل العسكري لمشكلة الجنوب. وكان لأحداث باكستان في تلك الفترة تأثير واضح في ذلك. فبدأت تخاف من ظهور دولة أخرى مثل بنقلادش في جنوب السودان، دولة أطلقت عليها في وقت سابق اسم (دولة جنوب السودان المستقلة). واعتقد أن كل ذلك قد اجبر حكومة الخرطوم لتنظر لمسألة الحل السلمي باهتمام وجدَية ومن ثم التحرك للقاء حركة تحرير جنوب السودان في طاولة مفاوضات.

*** التركيب القيادي الجديد :-**

بعد أن توليت قيادة حركة الانيانيا بشكل كامل، قمت بإعادة تنظيم القيادة العليا، وأسميتها القيادة العليا للأنيانيا- فأبعدت الكولونيل صمويل أبوجون بعد أن استولى العدو على كميات كبيرة من الإمدادات العسكرية التي كانت تحت مسئوليته- وكنت استهدف تحقيق هدفين من هذا الترتيب غير العادي، وهما:-

1- خلق قيادة تتبادل المواقع **Rotating**، تقوم بقيادة العمل في الجنوب ككل، بمديرياته الثلاث، وبمساواة كاملة في جنوب حر ومستقل.

2- تأسيس وضع مستقر، عن طريق بناء نظام يمنع الاغتيالات والمؤامرات والانقلابات في المستقبل.

والقيادة العليا هذه تكونت من الآتية أسماؤهم :-

- القائد العام، اللواء جوزيف لاقو.
- نائب القائد العام، قائد الفرقة الثانية العميد جوزيف اكوون.
- قائد الفرقة الثالثة، الكولونيل أيمانويل أبور نيال.
- قائد الفرقة الأولى، الكولونيل فريدريك بريان ماقوت.

ملء المناصب في قيادة الحركة والقيادة العليا لقوات الانيانيا يفترض أن يقوم على هذا الأساس في حالة الإبعاد أو الاستقالة أو الموت- وهي إجراءات مفهومة

وسط الانيانيا، لأنها تقفل الطريق أمام أحلام الصعود للمناصب الأعلى عن طريق المؤامرات والانقلابات- وتعيين الكولونيل ماقوت كقائد للفرقة الأولى، كان بهدف تأسيس بداية لعودة القيادة بشكل نهائي للاستوائية. فبالرغم من أنني قد تخليت له عن قيادة الفرقة الأولى، فقد واصلت سيطرتي على قوات الاستوائية بشكل فعّال- وهذه الفرقة تتكون من ثلاث وحدات، كل واحدة منها تساوي تقريباً فرق المديريات الأخرى مجتمعة. وهي تتكون من الوحدات التالية:-

1- الكتيبة الأولى، تتكون من كل قوات الانيانيا في الإقليم الشرقي بالاستوائية، بقيادة النقيب ساترلينو أريها.

2- الكتيبة الثانية، تتكون من كل القوات في الإقليم الأوسط بالاستوائية، بقيادة النقيب جيمس لورو.

3- الكتيبة الثالثة، تتكون من كل القوات في الإقليم الغربي بالاستوائية، باستثناء منطقة مورو، بقيادة النقيب هباكوك سورو.

4- لأسباب لوجستية قمت بتأسيس وحدة خاصة، من قوات الأنيانيا في منطقة مورو ووضعتها تحت قيادة الرائد سندي قيريون.

*** المؤتمر الأول:-**

خططنا لقيام أول مؤتمر للقيادة العليا لقوات الانيانيا في مبنى القيادة العامة في أغسطس 1971، وذلك في وقت يسمح للقادة بترك مناطقهم- فقد كان العدو، في العادة، لا يقوم، بأي نشاطات في ذلك الوقت من السنة (موسم الأمطار) ولذلك اعتبرته وقتاً مناسباً لأن يترك الكولونيل ماقوت منطقته ويحلّ محله النقيب بيتر سريلو أثناء فترة انعقاد المؤتمر- ولكن في ذروة موسم الأمطار، قام العدو بشن هجوم واسع لاحتلال موقعنا أو طردنا منه- كانوا يأملون في مفاجأتنا بالهجوم، حيث لم نكن نتوقعه في ذلك الوقت- ولكنهم فشلوا- لان موقعنا الجديد كان يختلف عن موقعنا في أوويني- كي- بول، الذي كان في مكان مفتوح بهدف استقبال إسقاط المواد والأسلحة والمؤن. ولم نكن نحتاج لحمايته. أما موقعنا الجديد في جبال

الاشولي، فقد كنا مستعدين لحمايته- وكانت هناك تعزيزات من بحر الغزال وقوات الانيانيا المحلية، المنتشرة على طول الطريق بين جوبا وتوريت وعلى طريق توريت/ماقوي/بالوتاكا. وكانت كافية لحمايتنا- وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك نقاط مراقبة عديدة لمتابعة تحركات العدو في مواقعنا القريبة من توريت في جبال أيموروك وأيفوتو. وفي الوقت نفسه قمنا بإنشاء نقاط مراقبة في مواقعنا الغربية في جبال لولوبو- وهكذا، كل المداخل المؤدية إلى مواقعنا كانت محمية. ولذلك وجدت قوات العدو مقاومة قوية منذ لحظات خروجها من ثكناتها. وكذلك كان الحال عندما قررت التحرك على رئاسة قيادتنا العامة- فقد انتشرت وحدات الانيانيا على طول الطريق وظلت تضرب وتعود إلى مخابئها وسط الغابات. وبجانب ذلك وضعت عناقيد من المتفجرات الأرضية بهدف منع تقدمها- وفي السنوات السابقة كنا نستخدم دفاعات متحركة، بمساعدة تعزيزات من بحرالغزال، بقيادة النقيب أندرو ماكور شو، الذي أصيب في رأسه في معارك جبال أيموروك- وكان أداؤه ممتازاً في عمليات الضرب والاختفاء هذه- ومع تجاربنا في هذا المجال وتطور سلاحنا، ظلَ العدو يواجه مقاومة عنيفة كلما يقترب من موقعنا- فقد كانت المدافع الثقيلة الموضوعة في الجبال بين بالتوكا وأقيت تمنعهم من التقدم إلى الأمام. والانسحاب نفسه لم يكن أمراً سهلاً، لأنِ الملازم بيتر بارا كان يمطرهم برصاصه أثناء انسحابهم إلى الوراء.

*** صراع دامي في الخرطوم :-**

في هذا الأثناء كان تطور الأحداث في الخرطوم يجري لمصلحتنا- فقبل انسحاب العدو إلى توريت، سمعنا أخباراً عن انقلاب آخر في الخرطوم يقوده الرائد هاشم العطا- وبعد استلام السلطة قام بإلقاء خطاب طويل من إذاعة أمدرمان، شرح فيه أسباب انقلابه وملامح سياسته الجديدة- وكان الخطاب اكثر تمسكاً بالحلّ العسكري لمشكلة الجنوب من مجموعة نميري. وبعد ثلاثة أيام سمعنا بعودة نميري إلى السلطة واعتقال هاشم العطا وزملاءه وإعدامهم بعد محاكمات إيجازية (كان

بينهم جوزيف قرنق السياسي الجنوبي والقيادي الشيوعي المعروف) وفي وقت لاحق عرفنا أن انقلاب هاشم العطا كان مسنوداً من الحزب الشيوعي.

وبعد عودة نميري الظافرة للسلطة، خيّم الصمت هناك لأكثر من شهرين، حتى تستعيد الطغمة الحاكمة توازنها بعد صدمة الانقلاب المفاجئ- والقوات الحكومية في الجنوب كانت أيضاً صامته، أثناء فترة الإعتقالات والمجازر الواسعة وسط الذين دعموا وساندوا المحاولة الانقلابية الفاشلة- وبما انه لم نكن نعمل على مهاجمة الوحدات المحميَّة، فقد التزمنا نحن أيضاً الصمت ولم ندخل في معارك- فالمتفجرات الأرضية كانت قادرة على حماية الطرق وعلى تنبيه نقاط مراقبتنا. وكانت في بعض الأحيان تعطي إشارات خاطئة، عندما نكتشف أنها انفجرت تحت أقدام الأفيال - ولذلك استفدنا من هذه الفترة في استكمال استعداداتنا لعقد المؤتمر العام. كان العميد جوزيف أكوون يعمل للمجيء عن طريق أثيوبيا وكينيا ويوغندا، عندما كانت قوات العدو تتقدم نحو رئاسة القيادة العامة- وكان مجيئه مفيداً ليحلَ محل الكولونيل ماقوت وليقف بجانبي في محاولات العدو لإبعادنا عن موقعنا الجديد- وكان لوجوده مع الكابتن يوهانس يور في الرئاسة أهمية خاصة، بحكم ارتباطهما بمديرية أعالي النيل- كان وجودهما يرمز للطابع الوطني الذي يمثله جيش الانيانيا في تطوره الجاري، ويشير إلى القول المأثور بأهمية الوحدة والتكاتف في وجه العدو المشترك.

انعقد المؤتمر بعد مواجهة الهجوم على موقعنا الجديد، ولم يكن من الممكن الانتظار حتى مجيء الكولونيل أيمانويل أيور، خاصة أن أسباب تأخيره لم تكن معروفة لدينا- وبالفعل وصل بعد انتهاء المؤتمر- وقمت مع بيتر سريلو بتنويره بالقضايا الخاصة بقيادته ومناقشته في إضافات حولها- والكولونيل أيور جاءنا بعد شهر من دحر الهجوم. ووقتها كنا قد تحركنا إلى موقع آخر، أوويني- كي- بول (3)، وتجدر الإشارة إلى أننا اسمينا الموقع السابق أويني- كي- بول(2). ووقتها كان الموقع (4) تحت التشييد. وتغيير المواقع والتحرك بشكل متواصل اصبح

ضرورياً، تماماً كما كان الحال في بداية نشاط الانيانيا- فالمخازن توزع في أماكن مختلفة لتأمينها من العدو- والمعسكرات تقام في وقت مبكر، تحت إشراف الكابتن سيبريانو أوكولو، مهندسنا الذي نال تدريباً معقولاً عندما كان في خدمة الفرقة الاستوائية. وكانت تعمل معه وحدات نسميها (فرقة المهندسين) وظلت تقوم بعملها بهمة ونشاط لا نظير لهما.

وصل كولونيل أيور عندما كانت الأوضاع هادئة ومستقرة- وكان العرب الشماليون قد قاموا بتسوية مشاكلهم وصراعاتهم حول السلطة بعد محاولة انقلاب العطا. فجلست مع بيتر سريلو لشرح قرارات المؤتمر للكولونيل أبور- وكانت أهم القضايا تشمل:-

1- مناقشة وتقوية القيادة العليا لقوات الانيانيا، والموافقة على تعيينات الرتب العليا في كل الوحدات.

2- خطة مركزية تدريب كادر الضباط في رئاسة القيادة العامة، وتحديد أسس الاختيار للكورسات المحلية والخارجية.

3- موجهات مستوى تدريب الانيانيا.

4- الإدارة المدنية، المراجعة وتأكيد خطة الأقسام الإدارية في المديريات في موازاة مع التشكيلات العسكرية واعتبار الموظفين المدنيين تابعين ومستشارين للقيادة العسكرية.

5- خطة للتدريب والتعليم السياسي بهدف إعداد صغار الضباط، المدنيين والعسكريين، لأداء واجبهم بفاعلية وكفاءة عالية.

6- مراجعة خطة المطبوعات (الانيانيا: لماذا تحارب؟) التي كتبها القائد العام وخطة للفترة القادمة.

7- خطة لتطوير مجلة (**The Grass Curtain**) لتصبح أداة فعالة في تنمية وعي الحركة وزيادة فعاليتها.

8- الموافقة على قيام (حركة تحرير جنوب السودان) كجناح سياسي لقوات الانيانيا يلتزم نفس خطة التناوب في ملء المناصب المعتمدة في العمل العسكري.

وناقشنا كل هذه القضايا أيضاً مع العميد أكوون وتمت الموافقة عليها. وكان ذلك المؤتمر هو الأول والأخير للقيادة العليا لقوات الانيانيا- ومكث الكولونيل أيور ووفده عدة أيام معنا في المعسكر الرئيسي، وفحصنا مواقع القتال بين بالوتاكا واقاتا بهدف تطوير دفاعاتنا لمواجهة احتمالات المستقبل. وقمنا أيضاً بترشيح مواقع إضافية لإقامة معسكرات ومخازن آمنة ومحميّة.

*** مبادرة السلام الثانية :-**

بعد القضاء على محاولة الانقلاب الفاشلة وعودة نميري للسلطة، بدأنا نسمع عن تحركات الخرطوم في اتجاه السلام- وفي البداية لم نأخذ تحركاتها هذه مأخذ الجد، بحكم تجربتنا معها في تحركات مشابهة. بدأت بإرسال سياسيين وموظفين جنوبيين من الذين (كانوا يبحثون عن السلام)، بهدف اكتشاف نوايا السياسيين الجنوبيين في المعسكرات والبلدان المجاورة وكسب تأييدهم لأي تحرك مع حركة تحرير جنوب السودان. وذلك لمعرفة الحكومة بعلاقات الحركة مع هؤلاء السياسيين في المنفى. وفي ذلك الوقت ابرز مؤتمر كنائس عموم أفريقيا ومجلس الكنائس العالمي اهتماماً كبيراً بتحقيق السلام في السودان وأرسلوا ممثلين منهم إلى الخرطوم وعبّروا أيضاً عن رغبتهم في مقابلتي عن طريق مبعوثنا في لندن وباريس. رحبت بالفكرة وباقتراح لقائهم في كمبالا. وفي الوقت نفسه علمت أن حكومة الخرطوم مستعدة لإجراء محادثات أولية، وطلب مني تحديد أسماء وفد الحركة.. وفى الحال قمت باختيار: مادينق دي قرنق، من أعالي النيل، لورانس وول وول، من بحرالغزال، إضافة إلى مستر أليسابانا، حتى يكون هناك ممثل لكل من المديريات الثلاث. وذلك لتركيزي على تحقيق تمثيل متساوي في كل نشاطاتنا- وكنت أعتقد وقتها، وحتى الآن، أن ذلك هو مفتاح وحدتنا الوطنية في جنوب السودان.

كانت الخرطوم تعمل لاختبار رغبتنا في السلام ومعرفة الأجندة التي نريد مناقشتها في المفاوضات. ومن جانبي قمت باستشارات واسعة، مع أصدقائنا الإسرائيليين وزعماء القبائل، خاصة الزعيم لوليك الذي قال في خطابه أمام تجمع لبعض قوات الأنيانيا في مركز القيادة العامة (.. موياميجى .. بموافقتنا على إرسال ممثلين لمحادثات أولية مع الحكومة، لا يعني ذلك أنكم تستسلمون للعدو- ستكونون هنا تحملون سلاحكم. فقط سيذهب الوفد لمقابلة وفد الحكومة- إذن ليس هناك ما تخافون منه. إذا لم تكن المحادثات مثمرة، فستكون قضيتنا قد طرحت أمام العالم الخارجي. وقد يكسبكم ذلك أصدقاء ومؤيدين أكثر.. لماذا لا تغتنمون هذه الفرصة؟ لماذا تستمرون في سجن أنفسكم بين الأحراش هنا، لا أحد يسمعكم في بقية بلدان العالم؟ وإذا نجحت المحادثات وأدت إلى وقف إطلاق النار بين الجانبين أو إلى تسوية معينة، لماذا لا تحاولون ذلك؟).

كان هناك أيضاً الفريق الذي اخترته للمفاوضات في الرئاسة لاستلام تفويضه كممثل لحركة تحرير جنوب السودان، عندما كان الزعيم يخاطب الجمع. الجميع استمعوا إليه باهتمام وتركيز، والبعض أبدى إشارات برفض إرسال وفد للمحادثات. ولكن الغالبية العظمي كانت مع الفكرة، حتى ولو فشلت ستحقق بعض المكاسب. وشعرت بإرتياح وتشجيع في موقفهم. ومن ثم غادر الممثلون عبر يوغندا إلى أديس أبابا بموافقة أثيوبيا التي أعلنت استعدادها لاستقبالهم- وبدأنا نفكر في الأسباب التي دفعت الخرطوم لتغيير سياستها تجاه مشكلة الجنوب- ففي السابق لم تكن تعترف أن هناك مشاكل في البلاد تتطلب حلاً سياسياً. وكانت تسمي السياسيين الجنوبيين في المنفي بـــ(المتمردين وقطاع الطرق والعصابات) وكنا أيضاً نتساءل عن المكاسب التي يمكن أن تحققها المفاوضات للحركة؟ هل سنكسب وعياً أكبر بأوضاع الجنوب ومواقف أهله؟ كنا نأمل بالطبع في مقابلة أي جنوبيين في وفد الحكومة. فربما تعلّمنا منهم شيئاً لا نعرفه. كل هذه الأسئلة والأفكار كانت تدور في أذهاننا بعد تحرك وفدنا إلى أديس أبابا- وتوصلنا في النهاية إلى أننا سنكسب

الكثير، على الأقل الاعتراف الحكومي بقضيتنا والإعلام الواسع الذي ستجده حركتنا ومواقفنا في أجهزة الأعلام العالمي.

*** مجازر في الكنيسة :-**

بينما كانت الخرطوم تتحرك في مناوراتها الدبلوماسية، قامت قواتها في مدينة ياي بمهاجمة قرية في المنطقة المجاورة. وكان بعض الناس مجتمعين للصـــلاة في الكنيســـة. وظنـــوّا أن الجنـــود سيحترمون مكان العبادة والصلاة ولا يقربونها- ولكن ذلك لم يحدث. فقد قاموا بإطلاق نيرانهم على الكنيسة وقتل جميع من في داخلها- وبعضهم حرق حياً بعد انهيار سقف المباني واشتعال النيران. وتلك كانت إحدى الفظائع الوحشية التي ارتكبتها القوات الحكومية ضد مدنيين أبرياء، مسالمين وغير مسلحين، لم نشهد لها مثيلاً منذ بداية الحرب الأهلية. وعندما سمع بهذه الحادثة الفظيعة فريق تلفزيوني نرويجي، كان يزور معسكرات اللاجئين الجنوبيين في يوغندا، تحرك إلى مسرح الأحداث وقابل المواطنين الذين هربوا عبر الحدود- وهناك قام هذا الفريق بتصوير أنقاض الكنيسة وعظام البشر المحروقة. وكان لذلك دور في جذب اهتمام العالم بتلك المجزرة البشعة، حيث وجد تقريره اهتمام معظم أجهزة الأعلام العالمية.

*** تحطم طيارة :-**

جاءتنا فرصة كاختبار من الربّ العظيم. فبعد فترة قصيرة من مجزرة الكنيسة في منطقة نهر ياي، تحطمت طيارة سودانية بالقرب من مدينة مندارى (في منطقة المندارى) كانت في طريقها من الخرطوم إلى جوبا، وذلك في 1971/12/6- والمنطقة التي سقطت فيها الطيارة كانت تحت سيطرة وحدتنا العسكرية الخاصة، بقيادة الرائد قيديون، الذي أرسل لي الرسالة التالية :-

(هناك طيارة تابعة للخطوط الجوية السودانية، كانت في طريقها من الخرطوم إلى جوبا، ضلّت طريقها وسقطت وتحطمت بالقرب من موقعنا- فاندفع رجالنا إلى مكان سقوطها ووجدوا أن قائدها، مواطن كندى، وراكب آخر من شمال السودان،

قد توفيا نتيجة لاصطدام الطيارة بالأرض- وهناك 29 راكباً نجوا من الحادث بسلام، معظمهم شماليون مع عدد من الجنوبيين وثلاثة أجانب: مصري وسوري وهندي- في انتظار توجيهاتكم حول طريقة التعامل مع الأحياء من الركاب الذين نقوم بحمايتهم..) وشمل ردّي على رسالته الآتي :-

(استمروا في حماية الأحياء وكذلك ممتلكاتهم. واقتسموا معهم كل ما تملكون من مواد غذائية وعاملوهم معاملة إنسانية حسنة- سأخبركم بما تفعلون معهم خلال أربع وعشرين ساعة..).

كنت منزعجاً لذلك الحادث. فنظرت وقلت (يارب.. ما هذا البلاء؟ لماذا لم توجه هذه الطيارة لتسقط في مكان آخر؟ لماذا تورّطني يارب في تقرير مصير هؤلاء الناس؟) وقمت بتمرير الرسالة إلى رئيس الوفد الإسرائيلي. فضحك وقال لي:- (ماذا تريد أن تفعل بهؤلاء؟) قلت له لا أدري وأطلب استشارتك- فأجاب (نصيحتي أن العدو الجيد هو الميت.) فقلت له (أريد رأى رؤسائك أيضاً. هذه مسألة هامة بالنسبة لي. هل تخبرهم بأني أريد نصيحتهم حول كيفية التعامل مع هذه المشكلة؟ إنني في حيرة.) طلبت منه إرسال الورقة إليهم. فنظر بعيداً وأمر فني الراديو لإرسالها إلى إسرائيل- وفى هذا الأثناء دعوت لاجتماع مع كبار ضباط رئاسة القيادة العامة، بما في ذلك الوفد الإسرائيلي، وذلك لاستشارتهم في التوجيهات المطلوب إرسالها إلى مسئول الوحدة الخاصة في منطقة مورو- وفى الاجتماع اختلفت الآراء. بعضهم قال (اقتلهم، لأنهم كانوا سيفعلون نفس الشيء إذا قبضوا على أي واحد منا.) كانت حجتهم أن العدو لا يحتفظ بسجناء. وآخرون قالوا نطالب بفدية مالية لتسليم الأحياء. ولكن هذه الاقتراحات لم تريحني. كنت ضجراً ومتوتراً. فأمرت بتأجيل الاجتماع لليوم التالي حتى أجد فرصة للتأمل والتفكير وانتظاراً لأجابة أصدقائي في إسرائيل.

كان عقلي مشغولاً طوال اليوم. لم أنم في الليل، كنت أتقلب وأتلوي وأحوم في كوخي طوال الليل- مرت أفكار كثيرة في ذهني، أفكار شيطانية وروحية. ولكن

عقيدتي المسيحية كانت الأكثر تأثيراً في تفكيري. ظللت أسائل نفسي (بماذا ينصحني السيد المسيح إذا كان موجوداً معي؟) ومرت بذهني صورتان من الكتاب المقدس- الأولي كانت حول حنُو وشفقة السيد المسيح على مجموعة من الجوعي، كيف قام بإطعامهم ولم يتركهم للرجوع إلى منازلهم وهم جوعي.. ماذا دهاني؟ هل لا أشفق على هؤلاء المسافرين الأبرياء وأرحمهم وأتركهم يذهبون في حالهم؟ هكذا ساءلت نفسي.. والصورة الثانية كانت المحادثة التي تمت بين السيد المسيح والحوارىّ بيتر، عندما سأل الأخير: (كم مرة علىّ أن أعفو عن أخي؟ سبع مرات؟) فأجابه المسيح: (سبعون في سبعة.) وكان يعني عدداً غير محدود- وقمت أيضاً باستدعاء ما يقوله شعبنا بأن أخذ أرواح الأبرياء عمداً يجلب ثأر الإله في شكل أوبئة مخيفة. وهكذا خفت أن ألطخ يدي بدماء الذين نجوا من تحطم الطيارة- وشفقتي بهم صارت أقوي من كراهيتي للشماليين السودانيين. إذ أن تربيتي المسيحية تتطلب مني العفو والرحمة. واستدعيت أيضاً سلوك جنودنا في أحداث أغسطس 1955، الذي أشعرني بالخجل وجعلني أفكر في الموضوع أكثر وأكثر- حاولت إقناع نفسي بأنني من جيل مختلف، جيل أكثر استنارة من الجيل السابق في الفرقة الاستوائية، ويفترض أن يكون سلوكه أفضل. ففكرت في إطلاق سراح المجموعة دون شروط.

هذه الفكرة سيطرت على تفكيري وتذكرت ما قاله القسيس البروتستانتي المبجّل، نويل هوايت، في عام 1953، في مدرسة رمبيك الثانوية، قال (الأفكار الجيدة التي تأتيك في هدأة الليل أو في الساعات الأولى من الصباح، قد تكون هداية من الربّ. فأعمل بها ولا تحاول استشارة الآخرين حولها- الهداية لك.) وبدأت أشعر أن الموقف الصحيح هو أن أطلق سراح هؤلاء دون شروط، أدعهم يذهبون في حالهم- ولكني لم أكن بعد قادراً على الحسم، لعدم تأكدي من موقف الأصدقاء الإسرائيليين. فسألت الرب، الذي منحني الحكمة. في التفكير في إطلاق سراح هذه المجموعة، أن يمنح الإسرائيليين نفس الحكمة سألت الرب أن لا أدخل معهم في

خلاف، أن تكون نصيحتهم متوافقة مع ما توصلت إليه- إذ لا يمكنني أن أتخذ القرار بمفردي، بعد أن أخبرتهم بالحادثة وطلبت نصيحتهم- وفى تجمعنا لتناول إفطار الصباح، قدم فني الراديو ورقة لرئيس الفريق الإسرائيلي. فافترضت أنها تحتوي على الإجابة المنتظرة- كنت متلهفاً لمعرفتها. رأيت جون يبتسم وهو يقرأ الورقة، ابتسامة رفض وليس ابتسامة استحسان. ودفع بها نحوي، كانت يدي ترتجف وأنا أحاول تناولها من يده، خوفاً من أن تكون متطابقة مع وجهة نظره. فقرأتها بتأني وأعدت قراءتها. كانت تقول :-

(نقترح عليك أن لا تأذى الناجين من تحطم الطيارة، ولا تطلب منهم فدية- هؤلاء ليسوا هم العدو الذي تحاربونه. هؤلاء مسافرون أبرياء. وأنت أيضاً قد تكون في مكانهم. ننصحك أن تطلق سراحهم بدون شروط. أصدر بياناً بأنك أطلقت سراحهم دون شروط، دون أي مقابل، لأنك لا ترغب في الاستفادة من مآسي الآخرين- هذا الموقف سيقوى موقفك أمام الرأي العام..).

شكرت الله أن نصيحتهم لم تأت متوافقة مع رأى جون. جاءت كما تمنيت. فنظرت إلى أعلى مع ابتسامة ارتياح وسرور- فضحك جون وقال (هذه هي الإجابة التي كنت تريدها بالتأكيد. الآن كل شئ سيبقي على ما يرام.) أجبته (نعم. الآن ارتحت. هذه نصيحة مخلصة من أصدقاء عزيزين. شعبك في إسرائيل أصدقاء أعزاء بالنسبة لي- ويبدو أنهم يقرأون تفكيري مسبقاً ويتنبأون بما أريده بدقة فائقة. كنت سأكون متألماً طوال حياتي إذا قتلنا هؤلاء المسافرين الأبرياء. اشكر الربّ وأشكر شعبكم بأن ذلك لن يحدث.) حملت الورقة وقرأت محتواها على قياداتي. ونتيجة لذلك أعلنت قراري ليجئ متطابقاً مع نصيحة الأصدقاء. وكان رد فعل القيادات رافضاً لتلك النصيحة. وهو موقف مفهوم من جانبي- فذكرى مجزرة الكنيسة وحرق المصلين وهم أحياء في منطقة ياي كانت لا تزال حية في الأذهان- وبالتالي علىّ أن أعمل على إقناعهم بكل الطرق الممكنة- وفى النهاية قدروا ارتياحي وسروري بالنصيحة. وقلت لهم أن هؤلاء وأقاربهم سيكونون سفراء لنا في

وسط أهلهم عندما يصلون إلى هناك- أعددت بياناً صحفياً جاء فيه الآتي :- (في 1971/12/6 ضلّت طيارة صديقة تابعة للخطوط الجوية السودانية، كانت في طريقها من الخرطوم إلى جوبا، ضلّت طريقها وسقطت بالقرب من مدينة مندري في منطقة تحت سيطرة قواتنا. فاندفع جنودنا إلى مكان الحادث وأنقذوا 29 راكباً من بينهم ثلاثة أجانب: مصري وسوري وهندي. وتوفي في الحال الكابتن، كندي، وأحد المسافرين نتيجة إرتطام الطيارة بالأرض- وقام جنودنا بمعاملة الإحياء معاملة إنسانية ولا يزالون مستمرين في نفس المعاملة. وعندما وصلتنا أخبار الحادث قررنا إطلاق سراح كل الركاب الإحياء دون أي شروط- أننا نتفهم المآسي والكوارث التي يمكن أن تحدث لأي مسافر. ولا نرغب في الاستفادة من مآسي الآخرين. سوف نطلق سراحهم في مجموعات، بدءاً بالأجانب والشماليين السودانيين القادرين على المشي، عندما يعلن هذا البيان- وعلى الخرطوم أن تعلن قواتها في مندري باستلام المجموعة الأولى التي ستصل هناك- وسوف يقوم جنودنا بإطلاق سراح المجموعة في أقرب نقطة لقوات الحكومة وبعد التأكد من سلامة الطريق.).

أرسلنا البيان إلى إسرائيل ليسلم لمبعوثينا في الخارج، والذين سيقومون بدورهم لتسليمه لوكالات الأنباء والإذاعات العالمية، خاصة البي. بي. سي. وإذاعات يوغندا في كمبالا- وبعد ذلك انتشر الخبر في الإذاعات والصحف واستقبلته الخرطوم باندهاش واستغراب. ولم تعلن الحقيقة على الرأي العام في البداية، كما لم تكن تعرف موقع سقوط الطيارة- فقد كانت الطيارات تحوم حول كل أراضي الضفة الشرقية حتى الحدود الكينية، بحثاً عن حطام الطيارة. وكانت ترجح أنها سقطت نتيجة قذف من قواتنا- وكان لبياننا وقع طيب في نفوس الناس، بعد أن قام بوضع الحقيقة كاملة أمامهم وطمأنة أهل وأقرباء المسافرين في الطيارة المحطمة على سلامة من نجا منهم وإطلاق سراحه وتسليمه للقوات الحكومية. وهذا ما فعلنا بعد إذاعة البيان الصحفي مباشرة.

عندما وصلت المجموعة الأولى إلى جوبا، تأكد الناس من صحة ما أذعناه في بياننا- وجاءت بعد ذلك المجموعات الأخرى، باستثناء صادق فرج الله، الذي أخذوه عن طريق الغابات إلى رئاسة قيادتنا العامة. وكما توقعت، فقد تحوّل الناجون إلى سفراء لحركتنا عند وصولهم إلى أهلهم- كانوا يتحدثون عنّا بشكل مفتوح وبصوت عالي، يعكس حقيقة الأسباب التي دفعتنا لحمل السلاح- فقاموا بدحض اتهامات الحكومة لقواتنا باعتبارها مجرد قطاع طرق وعصابات. ولكن قطاع الطرق لا يمكن أن يتصرفوا بمسئولية ووفق تسلسل قيادي محددّ- وأبانوا أيضاً أن الحركة تشكل حكومة في مناطقها وتقودها عناصر اكثر إنسانية من حكومة الخرطوم- وعبَروا بوضوح عن إعجابهم بقرار القيادة العامة لإطلاق سراحهم. ووصولهم إلى أهلهم سبب إزعاجاً وقلقاً للحكومة وأدى إلى توسيع الضغط الشعبي عليها للجوء لسياسية الحلّ السلمي بشكل جدَي.

الصادق فرج الله، أحد الجنوبيين الذين نجوا في الحادثة، قيل أنه مخبر مشهور. فطلبت إحضاره للقيادة العامة بهدف استجوابه والتأكد من حقيقة ارتباطه بالمخابرات الحكومية. وإذا لم تثبت إدانته، فسوف يطلق سراحه هو أيضاً- وقبل وصوله علمنا من مصادر في جوبا إنه ليس المخبر المقصود، وإنما هو فقط يحمل نفس الاسم- وتأكدنا من ذلك عن طريق يومبيو كوبي، أحد سائقينا من نفس قبيلته (باري.) وعند وصوله قابلته لإبلاغه أننا عرفنا أنه ليس الشخص المقصود. واعتذرت له لأي مضايقات حدثت له. أخبرته بإطلاق سراحه وتوصيله إلى قرية بلينيا في منطقة الباري، ومن هناك يمكنه الذهاب إلى جوبا- فشكرني وحمد الله على سلامته- وكان واثقاً من عدلنا ومن إطلاق سراحه. بحكم تعاملنا مع الناجين الآخرين من الطيارة. وبذلك انتهت قصة الطيارة المزعجة.

*** الإعداد لعملية السلام :-**

قام الجيش الشمالي بتصعيد أعماله العدائية ضد مواقعنا حتى خلال مبادرة الحكومة للسلام- ونظرنا إلى ذلك كاستعراض للقوة بهدف تحسين موقف الحكومة

في طاولة المفاوضات- وقمنا بالرد على أعمالها بنفس القوة- فأصدرت أمراً بحملات واسعة في كل ربوع الجنوب اسميتها (عمليات محادثات السلام) وبالإضافة إلى ضرباتنا من مواقع الاختباء ووضع المتفجرات في الطرق وعرقلة الملاحة النهرية، بدأنا في مرحلة جديدة من هجوماتنا على النقاط العسكرية المعزولة وقذف المواقع المحصنة بالأسلحة الجديدة (مورتر.).

بعد عودة وفدنا الثلاثي من أديس أبابا، قدموا لنا تقارير متناقضة- فقد كانوا منقسمين في المؤتمر مع المبعوثين الآخرين: دكتور وول وول وماديئق دي قرنق، في جانب، والمبعوثان وحاكم الاستوائية، أليسابانا مولا، في الجانب الآخر- الفريق الأول قبل الاقتراح الذي قدمته الحكومة، الخاص بمناقشة المسائل المختلفة في إطار ما سموه (السودان الواحد.) أما الفريق الثاني فقد كان يريد طرح موضوع جديد في المفاوضات، هو انفصال الجنوب عن الشمال، وكان ذلك خارج الإطار الموضوع من قبل الحكومة- فوقفت مع الفريق الأول. ويبدو أن مستر مولا لم يفهم الأسس التي قام عليها تفويض القيادة العامة. فإنسحب من المحادثات وبقي بعيداً، بينما استمر العضوان الآخران.

بعد ذلك سافرت إلى كمبالا مع المبعوثين لمقابلة ممثلي الكنائس: نيلس، ممثل مجلس الكنائس العالمي، وكانون بيرقس كار، السكرتير العام لمؤتمر كنائس عموم أفريقيا- وكان قادة الكنائس يتوقعون حضوري في فندق الاستوائية. فشرحوا لي أهداف ونتائج زيارتهم للخرطوم وكذلك المناقشة التي دارت هناك مع أعضاء الحكومة- وأخبرونا أن الخرطوم جادَّة في توجهها نحو محادثات السلام وأنها تريد أن تبدأ العملية السلمية في العاصمة الأثيوبية قريباً- وأكدوا أن الحكومة قد حدَّدت وفدها للمحادثات ويتوقعون أن أقوم من جانبي بتحديد وفد الحركة- وبلّغاني تحيات اللواء محمد الباقر أحمد، وزير الداخلية، والعميد عمر الحاج موسى وزير الإعلام والثقافة- وبلغاني أن الوزيرين يقولان أنهما يعرفانني عندما كنت معهما في الجيش السوداني- وذلك صحيح، فقد كان الضابطان ضمن كادر الكلية العسكرية عندما

كنت أدرس هناك. وبالإضافة إلى ذلك عملت مع اللواء الباقر كملازم أول بعد تخرجي من الكلية.

شكرت ممثلي الكنائس على جهودهم واهتمام منظماتهم بقضية السلام في السودان وعلى المعلومات التي بلّغونا بها- أخبرتهم بأنني سأستشير حركة تحرير جنوب السودان حول تحركنا التالي- وأكدت لهم موافقتنا على التسوية في إطار السودان الواحد، حيث يقوم الجنوب بإدارة شئونه كشريك مع الشمال. وطلبت منهم نقل ذلك لحكومة الخرطوم. وقلت أن ذلك هو الذي دفعنا إلى إرسال وفد للمحادثات الأولية. وتفاصيل علاقات الشمال/ الجنوب يجب أن تناقش في طاولة المفاوضات- وبتلخيص عام، أخبرت ممثلي الكنائس بأنني سأختار فريقنا لمباحثات السلام وأنه سيشمل مبعوثينا الاثنين، وول وول ومادينق دي قرنق- وطلبت منهم إبلاغ تحياتي للوزيرين الذين أعرفهما وأحترمهما كضباط كبار.

بعد هذا اللقاء أجريت مشاورات واسعة لتحديد ممثلي الحركة للجولة القادمة من المحادثات في أديس أبابا- ومبعوثنا في يوغندا، أنجيلو فوقا مورقان، ساعد في ترشيح الأسماء. وركزنا على أن تمثل القائمة الجنوب كله، بشكل عادل بقدر الإمكان، بشرط توفر المؤهلات المطلوبة دون النظر للانتماءات السياسية- وشعرنا أن الجنوبيين سيتوحدون ويقفون معاً. وكانت القائمة الأولية كما يلي:-

* في البداية اخترت قوردون مورتات كرئيس للوفد وممثل للإقليم الشرقي لمديرية بحر الغزال- وشملت بقية الوفد الآتية أسماءهم :-

- اركانجيلو وانجي، ممثل الإقليم الغربي، بحر الغزال.
- د.لورانس وول، ممثل الإقليم الأوسط، بحر الغزال.
- أزبوني منديري، ممثل الإقليم الغربي، الاستوائية.
- أنجيلو فوقا مورقان، ممثل الإقليم الشرقي، الاستوائية.
- أوليفر باتالي ألبينو، ممثل الإقليم الأوسط، الاستوائية.
- مادينق دي قرنق، ممثل الإقليم الجنوبي، أعالي النيل.

- ماثيو أبور أيانق، ممثل الإقليم الشمالي، أعالي النيل.
- الأسقف/ بول بوث، ممثل الإقليم الأوسط، أعالي النيل.
- الكولونيل فريدريك بريان ماقوت، ممثل قوات الأنيانيا.

الكولونيل ماقوت كان مكلفاً بالاهتمام بالقضايا الخاصة بقوات الأنيانيا- أما تركيبة بقية الوفد فقد استهدفت تمثيل كل الأقاليم الإدارية للحركة في جنوب السودان. وعندما قدمت القائمة للمرشحين، اعتذر اثنان من بحر الغزال (مورتات ووانجي) بحجة عدم المشاركة في عملية السلام- وبذلك لم يتوحد الجنوبيون كما كنا نتوقع- وهؤلاء قالوا أنني قائد عسكري فقط، وليس من صلاحياتي تعيين وفد لمحادثات السلام- وطرحوا ضرورة عقد مؤتمر عام لانتخاب قيادة سياسية جديدة مخولة بتعيين الوفد- واعتبرت هذه المناقشات مضيعة للوقت يقوم بها أناس يحبون خلق المشاكل وتعقيد الأمور. واعتذر أيضاً ماثيو أبور، الذي كان طالباً في جامعة ماكريرى، وذلك بحجة قرب فترة الامتحانات. ولكنه اقترح وضع شخص آخر في مكانه بكل أدب واحترام- ووقتها لم أعد أفكر في التمثيل المتساوي. فقمت بتعيين أزبوني منديري قوانزا كرئيس للوفد وطلبت منه ليحلّ محـل ماثيو أبور مع جوب أدير، مبعوثنا في أديس أبابا- وهكذا، مثلت الاستوائية وأعالي النيل (بدرجة أقل) ولكن بحر الغزال مثلت بواحد فقط (لورانس وول) ويجب أن نذكر أن هذا التمثيل نفسه تعرض للخطر، لأن أليا دواني وأنقولونق قد تابعوا دكتور وول وول حتى أديس أبابا لإثنائه عن المشاركة في الوفد كممثل لبحر الغزال- وقاموا بهذه المحاولة اليائسة بهدف إفشال عملية السلام، ولكن دون نجاح يذكر- وفي وقت لاحق، واصل هذان الشخصان، مع مجموعة محدودة، بقيادة قوردون مورتات، معارضتهم في الخارج بعد توقيع اتفاقية السلام في مارس 1972- وفي عام 1977 اختلف أليا دواني مع البقية وقبل الاتفاقية وعاد إلى الخرطوم ليشارك مع الآخرين في إطار النظام السياسي القائم والحكم الذاتي الإقليمي للجنوب.

الباب الثالث

دخول الحياة العامة

الفصل العاشر

العمليـــــة السلميـــــة

* كان وفد الحكومة يتكون من الآتية أسماؤهم :-

- o أبيل ألير، نائب رئيس الجمهورية، رئيس الوفد.
- o اللواء محمد الباقر أحمد، وزير الداخلية.
- o د.منصور خالد، وزير الخارجية.
- o الكولونيل كمال أبشر، رئيس الاستخبارات العسكرية.
- o عبد الرحمن عبد الله، وزير العمل والإصلاح الإداري.
- o د.جعفر محمد علي بخيت، وزير الحكم المحلي.

* وفد حركة تحرير جنوب السودان كان يتكون من :-

- o أزبون منديري، رئيس الوفد.
- o الكولونيل فريدريك بريان ماقوت
- o مادينق دي قرنق، مبعوث الحركة في لندن.
- o د.لورنس وول وول، مبعوث الحركة في باريس.
- o أوليفر باتالي ألبينو، مبعوث الحركة في نيروبي.
- o أليجو فوقا موقان، مبعوث الحركة في كمبالا.
- o جوب أدير، مبعوث الحركة في أديس أبابا.
- o الأسقف / بول يوث.

* **مباحثات السلام :-**

في فبراير 1972 التقى الوفدان، تحت رعاية الإمبراطور هيلاسلاسى، إمبراطور أثيوبيا- وتمثلت المشكلة الأولى في الاتفاق على رئيس لإدارة المباحثات متفق عليه من الطرفين- وما كان من الممكن قبول رئيس من بين أعضاء أحد الوفدين- وإثيوبيا لم تتحمس لتقديم مرشح، بل قامت بتعيين مراقب (بدرجة وزير)

بهدف تقديم تقارير حول سير المفاوضات لجلالة الإمبراطور- ولذلك لجأ الطرفان إلى القس كانون بيرقس، السكرتير العام لمؤتمر كنائس عموم أفريقيا، كحكم. فقبل واصبح يشار إليه كرئيس لإدارة المفاوضات وكوسيط **Moderator** بين الأطراف المتفاوضة. ومن جهة أخرى، كان وجود السيد/ أبيل ألير، في وفد الحكومة، يمثل مشكلة لوفدنا- والأسوأ أنه كان يرأس وفد الحكومة المكوّن من شماليين- وهو وفد يمثل، من وجهة نظرنا، حكومة العرب الشماليين- وهذه المشكلة جعلتنا نشك في جدّية الحكومة في الوصول إلى اتفاق سلام حقيقي. وكنا ننظر إلى ذلك كمناورة، تستهدف منها دفع الجنوبيين لمواجهة بعضهم في المحادثات.. ونظر إليه السياسيون الجنوبيون في المنفي، كسلوك موروث من المرحلة الكولونيالية ونهجها القائم على سياسة (فرق تسد.) كنا نشعر بمناورات الحكومة وباتجاهها لتحويل المفاوضات إلى مواجهة بين الجنوبيين، مواجهة بين المضطهدين أنفسهم. والأخطر أن المناورات التي ظهرت أثناء المفاوضات وقبلها، كانت تطرح أبيل ألير كمرشح من قبل الشمال لقيادة الجنوب بعد اتفاقية السلام- وكان ذلك أمراً مزعجاً بالنسبة للجنوبيين في الغابة وفى الخارج وحتى وسط الدوائر المؤيدة لأبيل ألير نفسه - المهم، لم أهتمّ كثيراً بهذه المسألة ولم أحاول أن أجعل منها مشكلة. فوجهت بالسير في المفاوضات رغم بوجود جنوبي رئيساً للوفد الحكومي.

بدأت المفاوضات من حيث انتهت المحادثات الأولية. فاتفق على البحث عن حلّ لمشكلة الجنوب في إطار (سودان واحد.) ونتيجة لذلك، ركزت، في بياني لوفد الحركة قبل سفره، على الصلاحيات التي سيتمتع بها الجنوب في إطار دولة موحدة، أكثر من المصطلحات التي توصف تلك الصلاحيات (حكم لا مركزي، فيدرالية، حكم ذاتي... الخ.) وفى الوقت نفسه وجهت الوفد لتركيز اهتمامه بقضايا الأمن والثقافة في وضعية الحكم الذاتي الإقليمي القادمة. وكان على لورانس وول، خبيرنا الاقتصادي، أن يركز على الجوانب الاقتصادية في المحادثات. ولذلك اقترح وفدنا، في البداية، نظام حكم فيدرالي يتكون من أربعة ولايات (الجنوب وثلاث ولايات في

الشمال.) وهي فكرة تبنتها حركة تحرير جنوب السودان بمبادرة من أزبوني منديري كإطار عام لسودان موحد- ولكن تركيزها واهتمامنا الأساسي كان يتمثل في الجنوب. كنا نرغب في أن يتمتع الجنوب بقوات نظامية (جيش وشرطة وقوات مساعدة) منفصلة عن القوات الشمالية، وأن تكون الإنجليزية هي اللغة الرسمية في البلاد، كما هو الحال في نيجيريا والهند- ولكن الوفد الحكومي رفض هذه المقترحات، بحجة أن الأقاليم الأخرى لم تطالب بنظام فيدرالي أو حكم إقليمي، كما فعل الجنوب. وذكروا وفدنا بأن مهمته في تلك المفاوضات أن يحصر نفسه في مشكلة الجنوب فقط- وانطلاقاً من ذلك جاء اقتراحهم بمنح الجنوب ما يحقق تطلعاته من أجل حكم لامركزي أو حكم ذاتي في إطار السودان الموحد- فوافق وفدنا على هذا الاقتراح دون تردّد، وذلك حتى تتواصل المفاوضات.

مع أن الحكومة اعترفت بوجود الاختلافات الثقافية بين الشمال والجنوب في بيانها المؤرخ 1969/6/9، فقد كانت هناك بعض الخلافات حول هذه الجوانب الثقافية. فالوفد الحكومي كان يعمل لفرض اللغة العربية كلغة رسمية- ولكن وفدنا رفض ذلك، لأن اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ظلت تستخدم لحرمان الجنوبيين من تولي الوظائف والمسئوليات العليا- وفى النهاية توصل الطرفان إلى حلّ وسط، باعتبار العربية لغة رسمية للسودان والإنجليزية لغة رئيسية للجنوب، مع العمل على تطوير اللغات المحلية هناك- ولكن موظفي الحكومة المركزية قاموا في الفترة اللاحقة بتجاهل الفقرة الأخيرة (الخاصة باللغات المحلية) وعرقلة تطوير تلك اللغات- والواقع أن هذا الموقف بدأ في الظهور منذ بداية تطبيق اتفاق 1972 فقد ظلت وزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة والإعلام المركزيتان تعملان لعرقلة أي تقدم في هذا الاتجاه، كما هو واضح في المشاكل التي اعترضت قيام المعهد الصيفي للّغات والمعهد الإقليمي للّغات، والمعهد الأخير أنشأته الحكومة الإقليمية في مدينة مريدي جنباً إلى جنب مع معهد التربية لتطوير اللغات المحلية.

المهم، كانت الإجراءات الأمنية من أصعب القضايا التي واجهت محادثات السلام. لذلك استغرقت مناقشتها وقتاً أكثر من الوقت الذي استغرقته مناقشات القضايا الأخرى- وقد قمت بتعيين رئيس هيئة أركان القيادة العامة لقوات الأنيانيا في وفد الحركة للمفاوضات بهدف التركيز على مناقشة هذه المسألة وضمان الوصول فيها إلى ما يحقق طموح الحركة وقوات الأنيانيا- ففي البداية تقدم وفدنا باقتراح بتكوين جيش منفصل للجنوب، بحكم الدور الكبير الذي أصبحت تلعبه القوات المسلحة في السياسة السودانية. وأشار الوفد إلى قيام هذه القوات بانقلابين ناجحين ، أديا إلى تغيير الوضع السياسي في البلاد- ومن هنا، فإن وجود جيش مستقل سوف يضمن حماية مصالح الجنوب وكذلك الإجراءات التي ستقرُّها المحادثات الجارية الآن- وقد يقوم أيضاً بمنع حدوث انقلابات في البلاد- وكان لهذا المنطق تأثيره الكبير في نفوس أعضاء الوفد الشمالي، الذي يمثل حكومة جاءت إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري. وتركزت حججه لرفض الاقتراح في أنه يتناقض مع وحدة السودان. وهكذا وصلنا إلى خلافات واسعة في مسألة هامة أخري.

وعندما سمع الإمبراطور بذلك، تقدم بحلّ وسط، تمثل في اقتراح بقيام وحدات عسكرية في الجنوب، تتكون من مجموعات شمالية وجنوبية (50% لكل) وتتبع لقيادة القوات المسلحة في البلاد- وذلك مع اعتماد قوات الشرطة والقوات الأخرى على التجنيد من الأوساط الجنوبية- والنقطة الأخيرة كانت محسومة باتفاق الطرفين حولها. وفى النهاية وجد اقتراح الإمبراطور قبول المتفاوضين، ومن ثم رفع للرئيس نميري وشخصي لتأكيده. ومن جانبي، قمت بعرض الاقتراح على قيادتي، وبعد تقييمه بشكل دقيق، توصلنا إلى أنه يحقق ما كنا نطمح إليه- ولذلك أبرقنا وفدنا بقبوله- وكذلك وافقت عليه حكومة الخرطوم.

أما في المسائل الاقتصادية، فقد كان موقفنا ضعيفاً. وذلك بحكم فقدان الخبرة والمعرفة الضرورية بمثل هذه القضايا (إذا استثنينا د. لورانس وول.)

وعلمت أن جعفر بخيت قد لاحظ هذا القصور وحاول تقديم المساعدات الممكنة، ولكن أعضاء الوفد الحكومي الآخرين منعوه من القيام بذلك. وتأثير الضعف والقصور في هذا الجانب، شعرنا به في بدايات فترة الحكم الذاتي في الجنوب. والمفارقة أني سمعت ذلك من أبيل ألير شخصياً، عندما كان رئيساً للمجلس التنفيذي الانتقالي للإقليم الجنوبي. ونسي أنه كان رئيس الوفد الحكومي في تلك المفاوضات.

*** التوقيعات الأولية :-**

في 28/فبراير 1972 انتهت مفاوضات السلام بتوقيع الطرفين على اتفاق يتكون من ثلاثة أجزاء :

1- مسودة قانون لتنظيم الحكم الذاتي الإقليمي في المديريات الجنوبية.

2- اتفاقية لوقف إطلاق النار.

3- برتكول لإجراءات فترة انتقالية.

ووقع عن حكومة السودان :-

1- أبيل ألير، نائب رئيس الجمهورية ووزير شئون الجنوب.

2- د.منصور خالد، وزير الخارجية.

3- د.جعفر محمد على بخيت، وزير الحكم المحلي.

4- اللواء محمد الباقر أحمد، وزير الداخلية.

5- عبد الرحمن عبد الله، وزير الخدمة والإصلاح الإداري.

6- العميد ميرغني سليمان.

7- الكولونيل كمال أبشر، رئيس المخابرات العسكرية.

ووقع من جانب حركة تحرير جنوب السودان :-

1- أزبوني منديري، رئيس الوفد.

2- د.لورانس وول وول، سكرتير الوفد.

3- مادينق دي قرنق، الناطق باسم الوفد.

4- الكولونيل فريدريك بريان ماقوت، الممثل العسكري الخاص.

5- أوليفر باتالي ألبينو، عضو الوفد.

6- الأسقف بول بوث، عضو الوفد.

وشهد على التوقيع :-

1- نبيلول كفلي، ممثل الإمبراطور هيلاسلاسي، إمبراطور أثيوبيا.

2- الأسقف ليوبولد ج.نيلس، ممثل مجلس الكنائس العالمي.

3- الأسقف كودو انكرا، ممثل مجلس الكنائس العالمي.

4- الأسقف كانون بيرقس، السكرتير العام لمؤتمر كنائس عموم أفريقيا.

5- صمويل أثي بونقو، ممثل مجلس الكنائس السوداني.

- بشهادة كانون بيرقس، الوسيط ورئيس المؤتمر.

وقامت مجلة **The Grass Curtain** بنشر الاتفاق كاملاً في المجلد الثاني بتاريخ 1972/5/3- وشمل هذا الاتفاق في محاوره الرئيسية:- الحكم الذاتي الإقليمي لجنوب السودان (اتفاقية أديس أبابا) الذي أصبح جزءاً من دستور 1973، (قانون الحكم الذاتي لسنة 1972 وبرتكول إجراءات الفترة الانتقالية التي لاتزيد عن خمس سنوات.) وقامت أجهزة الإعلام العالمية بمتابعة أخبار الاتفاق ونصوصه، خاصة إذاعة لندن، وفى الوقت ذاته قامت قوات الأنيانيا في سهول ومستنقعات وغابات وجبال الجنوب بمتابعة هذا الحدث باهتمام بالغ- وكانت تسود هناك حالة من القلق والشكوك والترقب، عندما وصل الكولونيل ماقوت يحمل معه تفاصيل ما حدث في أديس أبابا- وازدادت حالة القلق والترقب هذه، عندما أبلغني بطلب حضوري إلى أديس أبابا للتوقيع على الاتفاقية مع نظيري اللواء جعفر نميري، وبالتالي تصبح قانوناً نافذاً- وكانت لحظات صعبة بالنسبة لي، لحظات يختلط فيها القلق والشكوك والترقب.. وعندما وصل وفد الحكومة للخرطوم، أعلن نميري وقف إطلاق النار من جانب واحد. وذلك لشعوره بعدم أخلاقية محاربة قوات توصلت معه لمثل هذا الاتفاق. ومن جانبي قمت أيضاً بإعلان وقف إطلاق النار. وبعدها دعوت قيادات الوحدات لاجتماع في القيادة العامة لمناقشة الاتفاقية.

وفى أثناء تحركهم نحو معسكرنا، تسللت إلى نيروبي. وهناك أصدرت بياناً صحفياً نشرته جريدة الـ **The Standard** أعلنت فيه قبولنا للاتفاقية مبدئياً وأننا نحتاج لوقت لمناقشة بنودها مع قياداتنا الميدانية قبل التوجه إلى أديس أبابا للتوقيع النهائي عليه. ورجعت من هناك عن طريق كمبالا، حيث أجريت مشاورات مع بعض السياسيين الجنوبيين هناك، شملت جوزيف أدوهو، الذي أبدي استعداده لدعمي رغم اعتراضه على الاتفاق. وفى الوقت نفسه لم أشعر بأي انزعاج من الذين رفضوا الاتفاقية، مثل قوردون مورتات، ولكني دفعت آخرين لمجادلتهم ووضعهم في صورة ماحدث. ونتيجة لذلك لم أكلف نفسي بالحديث مع أليا دواني وأقولونق، عندما قابلتهم، لأنني كنت أعرف أنهم من مجموعة مورتات.. أخبرتهم أنهم يقاتلون بألسنتهم وأقلامهم فقط، دون أي إحساس بالمسئولية. وأكدت لهم أن الذين لا يهتمون بذلك ولا يعرفون أي شئ عن الظروف التي يعيشها المقاتلون في الميدان، لايمكنهم أن يحسوا بالحالة العامة التي يعيش فيها سكان الجنوب الذين ظلوا يعانون من تأثيرات الحرب ومآسيها. كنت فظاً معهم. قالوا لي أن الاتفاقية باعت الجنوب للشمال وادعوا أن لورانس وول، الممثل الوحيد لبحرالغزال، هو مجرد عميل وخائن. المهم، نظرت إلى قائمة وفد الحكومة الذي يرأسه أبيل ألير – ثم نظرت إلى هذين الرجلين، دواني وأقولونق. فتأكد لي أنه رغم أن هؤلاء ينتمون إلى قبيلة واحدة، فإنهم يقفون مواقف متعارضة ومتناقضة ؟؟ وساءلت نفسي... ما هذا؟ لماذا يحدث ذلك ؟ ألا يمكن أن يتفق هؤلاء الناس على قضية واحدة ؟

في الوقت الذي أسفت فيه على وجود أبيل ألير في الوفد الحكومي، رحبت بوجود الجنرال الباقر في مفاوضات السلام، واعتبرته كإشارة إيجابية، ربما كرسالة عن نوايا حسنة. فالجنرال كان أحد المعلمين الذين علموني في الكلية العسكرية. وبعد تخرجي كان لي شرف العمل تحت إمرته. كنت أعرفه واحترمه. ووجوده في المفاوضات كان أحد العوامل التي شجعتني للذهاب إلى أديس أبابا للتوقيع على الاتفاقية- فقد أقنعني وجوده بأن الحكومة قد تكون جادة في تحقيق السلام والالتزام

بما توقع عليه. وبالنسبة لحركة تحرير جنوب السودان، كانت هناك بعض المشاكل. فقد وصلتنا في تلك اللحظات أخبار حزينة من أعالي النيل، أخبار موت الرجل الثاني في القيادة ونائب رئيس الحركة جوزيف أكوون، الذي قتل خلال هجوم فصل الجفاف- وبالإضافة إلى ذلك، لم استمع إلى كبار القادة الميدانيين، وكنت واعياً بالمشاكل التي قد يواجهونها عندما يناقشون جنودهم- كنت في حاجة إلى دعمهم ومساندتهم. ولذلك قررت إنتظار استجابتهم بصبر وتأني، حتى أحملهم معي وأشركهم في التوقيع الرسمي على الاتفاق. وهناك مشاكل أخري، بما في ذلك العلاقات المتدهورة بين الجنرال عيدي أمين، في يوغندا، ودولة إسرائيل- فعندما تدهورت علاقات الطرفين، قمت بإخلاء الإسرائيليين الذين كانوا معنا في المعسكر- وهناك أيضاً موضوع تشتت الجنوبيين وعدم وحدة صفوفهم- كنت قلقاً تجاه انقسامات السياسيين في الخارج، خاصة موقف المتشدّدين، مثل مستر مورتات ومجموعته في كنشاسا- كنت أحاول إبعاد العناصر البراجماتية، مثل أدوهو، الذي كانت علاقاته طيبة معي ومع المتشدّدين. وحتى أحمل معي معظم اللاجئين في الخارج، كان من الضروري مقابلة القيادات القبلية والدينية القريبة منا وتنويرهم بنتائج مفاوضات السلام، وإقناعهم بأننا قبلنا الاتفاق لأنه يحقق لنا معظم تطلعاتنا في الحكم الذاتي الإقليمي وإيقاف الغزو الثقافي العربي الشمالي وتنمية وتطوير مورثاتنا الأفريقية.

حمدت الله أن الصبر قد حقق نتائجه. فعند وصولي إلى قاعدتي، وجدت رسالة مشجعة من القائد المسئول عن الفرقة الثالثة لقوات الأنيانيا في بحرالغزال.. تقول الرسالة :-

(أننا نتابع تقدم مفاوضات السلام ببهجة وسرور- استمروا في عملية السلام- بارك الله فيكم. نثق أنكم تسيرون في الطريق الصحيح... توقيع :- أيمانويل أيور نهيال.).

وفى الاستوائية اجتمع قادة الوحدات في القيادة العامـــة برئاسة الزعيم لوليك لادو، وقرروا بالإجماع تفويضي للسير قدماً في عملية السلام- ونتيجة لذلك شعرت بأنني قد فوضت من قبل أغلبية المقاتلين من أجل الحرية وشيوخ الغابة لتمثيلهم. فأخذت معي بعض القادة، بعد إخلاء الإسرائيليين ووصول رغبة الحكومة اليوغندية في منحنا وثائق سفر للخارج.

*** مشاكل في كمبالا :-**

في كمبالا حاولت مصالحة السياسيين المعتدلين، مثل أدوهو، مع أعضاء وفدنا للمفاوضات، الذين رجعوا من أديس أبابا. كانوا أربعتهم هناك :- أزبوني وقرنق ولورانس وفوقا- ودارت مناقشات ساخنة. وفى بعض الأحيان كنت أقف بجانب أدوهو، ليس فقط لبعض الأفكار المقنعة التي يطرحها، ولكن أيضاً لمجاملته وجذبه إلى جانبنا. كنت أحاول كسب السياسيين المشاكسين وإبعادهم من معارضة الاتفاقية. وفى هذا الاتجاه قمت أيضاً باختيار فريق جديد للسفر معي إلى أديس لحضور التوقيع على الاتفاقية، وكان معظمهم من العسكريين بالإضافة إلى جوزيف أدوهو كمستشار- ولحق بنا هناك لورانس وول ومادينق دي قرنق بطريقتهم الخاصة. وهذا التكتيك ساعدني في إعادة مناقشه الاتفاق على ضوء الملاحظات التي برزت في مناقشاتنا لتفاصيلها- وهنا لا أستطيع أن ألوم المعارضين بشكل عام. فقد كانت لي ملاحظات محدّدة حول بعض فقرات البرتكول الخاصة بالفترة الانتقالية، خاصة تكوين القوات العسكرية وتوزيعها في الإقليم الجنوبي. فقد حدّد الاتفاق أن يكون نصفها من أبناء الجنوب بشكل عام وليس من قوات الأنيانيا تحديداً- ولذلك اقترحت أن تقرأ هذه الفقرة على النحو التالي :- (الـ 50% الخاصة بالجنوب سيتم تجنيدها من قوات الأنيانيا.) كنت آمل في إعادة إحياء الفرقة الجنوبية القديمة. (فرقة الاستوائية) .. أو.. تأسيس قوات تكون غالبيتها من الجنوبيين. كنت أرفض وجود قوات عسكرية في الجنوب يسيطر عليها الشمال، لأن ذلك سيكون احتلالاً كولونيالياً جديداً. لم أحاول مقابلة الجنرال عيدي أمين خلال تلك

المناقشات، رغم علمي بتوقع اتصالي به، وذلك لأني لم أعد أثق فيه. وكل ما أريده من دولة يوغندا هو وثائق السفر ومن ثم التحرك بهدوء إلي أديس أبابا مع فريقي عن طريق نيروبي- وهناك في نيروبي وجدت د.قاما حسن، أحد أبناء قبيلتي، الذي شرفني بالسكن معه في منزله. وكنت قد إلتقيت به أول مرة في كمبالا، مع زميل آخر من قبيلتنا هو ليقيو أوبيرا- والأخير كان يقوم مع انجيلو فوقا بمساعدتي في تحركاتي كلما أزور كمبالا- وفي ذلك اللقاء قدم قاما نفسه لي بأنه زميل أخي بنجامين في رمبيك الثانوية- وعندما لاحظ أن ملابسي لا تتناسب مع المناسبة والمهمة التي سأقوم بها في أديس، قدم لي بدله ملائمة، كانت أجمل ما عندي لفترة بعد ذلك. وفي أديس أبابا استقبلنا مندوبنا هناك، جوب أدير، وموظف أثيوبي، في المطار- أخذونا إلى وفدنا في فندق أثيوبيا، حيث وجدنا وفد حكومة السودان قد سبقنا وأنه يسكن في فندق أديس أبابا- وهناك قمنا بالتوقيع النهائي على الاتفـاق بعـد شـهر كامل من التوقيع الأولى عليه- كانت هناك توقعات بأننا جئنا لاعادة مناقشة الاتفاقية. وظلت غرفتي في الفندق تستقبل مجموعات عديدة من الجنوبيين، وكانوا كلهم يدفعونني للتوقيع. ووصلتني أيضا رسائل عديدة تدفعني في نفس الاتجاه، وبعضها نشرته **The Grass Curtain** في عددها الأخير- وهذه الضغوط السياسية كانت تمثل ظاهرة جديدة لم أشاهدها من قبل. ولذلك لم أرتاح في تلك الليلة بسبب الزحام ومواصلة النشاط طوال اليوم- وشاركني في ذلك مستشاري الرئيسي، جوزيف أدوهو- وقررنا الاستجابة لرغبة هذه الجموع بتوقيع الاتفاق- ولكننا ركزنا على إعادة مناقشة مسألة المشاركة الجنوبية في القوات العسكرية في الجنوب وضرورة تجنيدها بشكل كلّي من الانيانيا- ولهذا السبب طلبت مقابلة الجنرال محمد الباقر أحمد، الذي احترمه وأقدره واثق فيه. كنت أريده ليوضح لي مسألة تركيب هذه القوات وكيفية تجنيدها- فزارني في الفندق والتقينا كمعارف، كمسئول وضابط، كقادة كتائب وبلتونات، وليس كخصوم وأعداء- وكان اللواء مسترخياً ومسروراً. وبعد التحية والمجاملة، فتح الموضوع بشكري على دعوتي

لمقابلته من بين كل أعضاء وفد الحكومة العديدين- فقلت له إنني أعرفه أكثر من الآخرين. ومن ثم تطرق إلى المشكلة، وجوزيف أدوهو جالس بجانبي- قلت له إنني جئت لأوقع على الاتفاق بإنهاء الحرب الأهلية الجارية، بحكم القبول الواسع الذي وجده وسط الجنوبيين في الداخل. (لكن يجب ضمان وتأكيد المصالح الخاصة بقوات الانيانيا.) وأكدت له (أنني أريد أن اعرف من سيادتكم، من مسئولي العسكري السابق، هل سيتم تجنيد مشاركة الجنوب في القوات المشار إليها في الإجراءات الانتقالية من قوات الانيانيا أم من أوساط أخرى؟) ففكر في السؤال للحظات، مشيراً إلى أن تلك ليست هي المشكلة، وقال: (ليست هناك قوات أخرى في الجنوب تنافس قوات الانيانيا في هذا الجانب- فالمفترض أن يتم تجنيد مشاركة الجنوب من أوساطها..) فقلت له أن هناك قوات أخرى، مثل حراس الوطن التي تحارب بجانب قوات الحكومة- فقال لو كانت هناك حاجة لاستيعاب هذه القوات، فإن ذلك سيتم ضمن مشاركة الشمال أو تجنيدها للعمل في مكان آخر غير الجنوب. وأكد أن مشاركة الجنوب المشار إليها في الاتفاق، هي مسئولية الانيانيا- وعند هذه النقطة شعرت بإرتياح شديد. وهنا اقترح الجنرال أن أقوم بالاتصال بنائب الرئيس نميري في فندق هيلتون للتحية والمجاملة. وعندما أبديت موافقتي، ذهب لاستشارة نائب الرئيس، وعاد سريعاً ليأخذني معه إلى الفندق. وهناك فتح أبيل ألير باب شقته ليحضنني بكلتا ذراعيه ويسلّم عليّ سلاماً حاراً ودوداً- كانت لحظة سعيدة أن يلتقي زملاء الدراسة بعد سنوات من الابتعاد، متناسين لحظات المواجهة في المفاوضات. استقبلنا بحفاوة وكرم. وضاع وقت طويل في التساؤلات الخاصة بأحوالنا وأسرنا وأصدقائنا- كان يريد أن يعرف، بشكل خاص، أحوال أسرتي- فقلت له إن والدي قد توفي في قولو في يناير من تلك السنة.. وبعد ذلك بدأنا نتحدث في الأوضاع السياسية في البلاد. ورغم شكوكي حول موقفه في ذلك الوقت واستغرابي حول المكانة الكبيرة التي منحها له الشماليون، كنت لا أزال احترمه وأقدره كمدافع مخلص عن قضية الجنوب- كنت اقدر استقالته من القضاء من أجل أن يقوم بدور

سياسي في مؤتمر المائدة المستديرة، عندما كان الجنوب يحتاج إلى شخص في مثل قدراته ومؤهلاته- فمثل هذه التضحية لا يمكن أن تأتى إلا من شخص شجاع ومخلص للقضية. شعرت بإرتياح في الحديث معه وكنت أخاطبه بحرية كاملة دون أي قيود- وبعد دخولنا في هذا المناخ الودي، انسحب صديقنا الشمالي، اللواء الباقر، بهدوء، ربما ليتيح لنا حرية الحديث كجنوبيين دون مضايقات من وجوده (رغم تقديري له كشخص معتدل وله وزنه الخاص.) قلت لأبيل ألير إنني سعيد برؤيته كنائب للرئيس (كان وقتها النائب الوحيد.) وبدا لي وقتها أن المساواة في حقوق وواجبات المواطنة، التي قاتلنا نحن الجنوبيين من أجلها، قد تحققت الآن بشكل عملي- فالجنوبي الذي اصبح نائباً للرئيس، قد يصبح يوماً ما رئيساً للجمهورية- المهم كررت له ما قلته للواء الباقر حول قوات الأنيانيا. طمأنني بنفس كلمات الجنرال، بل أضاف أن بعض هذه القوات سوف يستفاد منه في ملء مواقع الشماليين في الشرطة والسجون، وإن بعض الذين تلقوا تعليماً ضرورياً سوف يضمون للخدمة المدنية- وأكد أنه لن يكون هناك منافسون لقوات الانيانيا في هذه المواقع. أيضاً سألت ألير: هل تخلى الشماليون عن توجهاتهم السابقة تجاه الجنوب؟ اقصد نظرتهم للجنوب كمستعمرة ورثوها من الحكم البريطاني. وأكد لي أن هناك تغييراً في هذه التوجهات وبدءوا يعتبرون الجنوبيين كإخوان وزملاء في وطن واحد- فقلت له: (إنني لا اشك في حديثك. وإذا كان هذا هو الواقع، فإنني مستعد منذ الآن للتوقيع على الاتفاق.) وهنا انتهى هذا اللقاء بمناقشاته الخاصة، التي أزالت شكوكي حول نوايا الحكومة والشماليين- وبعد ذلك اتصل نائب الرئيس باللواء الباقر ودعاه للانضمام لجلستنا.

والموضوع الآخر الذي برز إلى السطح، تمثل في من سيوقع نيابة عن الرئيس نميري، لأنه لم يأتي بعد كما وعدنا- وفي هذا الخصوص رفضت، بشكل قاطع، أن يكون بديله هو أبيل ألير- ووافقني المذكور على ذلك. وبعد لحظة صمت، قال الباقر: (سأقوم بهذه المهمة بكل سرور، فقط أخاف أن نجرح مشاعر د.

منصور خالد، وزير الخارجية. إنني افضل أن يوقع هو نيابة عن السيد الرئيس.) فوافقت على ذلك. وأكدت أنني أريد التوقيع مع نظير شمالي. ولذلك رفضت قيام ألير بذلك، لأنه لا يمثل من قمنا بمحاربتهم، أي الشماليين.

*** توقيع الاتفاقية:-**

مع الاتفاق على هذه النقاط والملاحظات، اجتمع الوفدان في القصر الإمبراطوري في 28 مارس 1972 لإستكمال إجراءات التوقيع الثاني، بعد شهر من التوقيع الأولى- وعندما جلس الجميع في مقاعدهم، أشرت إلى كانون بيرقس، الوسيط ورئيس إدارة المفاوضات، وسألته أن يقوم بافتتاح الاحتفال ببعض الصلوات المباركة من أجل السلام والتي اخترتها من كتاب الصلوات الانجليكاني **The.. Second Collect**. فوافق وقام بإجراء اللازم في الوقت المناسب- وفي الاحتفال وقعت بإسم زعيم حركة تحرير جنوب السودان، بينما وقع منصور خالد نيابة عن الرئيس جعفر نميري. وبذلك انتهت لحظات التوتر المحموم وبدأت فترة جديدة يسودها السلام والاستقرار.

بعد هذا الاحتفال، قام الإمبراطور هيلاسلاسي بتنظيم حفل استقبال للوفدين، كإشارة لتقديره ومساندته لاتفاقية السلام، التي سميت بـ (اتفاقية أديس أبابا) عاصمة أثيوبيا، وأوقفت حرباً استمرت لأكثر من 17 عاماً بين الجنوب والشمال- وتبع ذلك حفل استقبال آخر نظمه مستر ديالو تللَي، سكرتير منظمة الوحدة الأفريقية في ذلك الوقت، في صالة أفريقيا. وفي هذه المناسبة قدم أبيل ألير وشخصي خطابين قصيرين نيابة عن وفدينا. وأذكر أنني شاهدت الدموع تنهمر في وجه أبيل ألير وهو يلقي كلمته في البداية. فنهضت وألقيت كلمة قصيرة حشوتها بالنكات والقصص الفكاهية حتى أبعد شبح الدخول في موقف عاطفي مشابه لموقف مولانا أبيل. بدأت بشكر سكرتير منظمة الوحدة الأفريقية لاستقبالنا في قاعة أفريقيا، قاعتنا جميعاً. وعبّرت عن سعادتي بدخولها لأول مرة في حياتي. وقلت (إن نضالنا وأهداف حركتنا تستهدف، بشكل رئيسي، هدفين: النضال من أجل المساواة مع الشمال

والحرية والعدل وحق شعبنا في الجنوب بإدارة شئونه. وصراعنا مع الشمال ينبع من أن إخواننا في الشمال يدَعون بأنهم عرب، رغم انهم لا يشبهون العرب، كما نعرفهم في الأردن مثلاً، كما تلاحظون من ممثليهم الجالسين في مواجهتنا بجهة اليمين.. قد تتفقون معي بأنهم يبدون أقرب إليَ من أولئك العرب- ليس ذلك فقط، بل هم يحاولون فرض ثقافتهم العربية على الجنوب. والآن وقد قبلوا واعترفوا بأن هناك اختلافات ثقافية بين الجنوب والشمال، ووافقوا على الحكم الذاتي الإقليمي للجنوب، فإننا لن نحمل أي مرارات تجاههم ولن تكون هناك مشكلة للتعايش معهم في سودان واحد، نعمل جميعاً للمحافظة عليه وتطويره- إننا ننظر إلى الأمام، إلى المستقبل، لنشاركهم ما يجمعنا ويوحدنا في الحكومة المركزية..).

بعد الاحتفال حاولت جمع معلومات حول السياسيين الجنوبيين البارزين الذين كانوا يعيشون في الخرطوم، وخاصة كلمنت أمبورو- فقد كنت أفكر في ترشيح واحد منهم لرئاسة المجلس التنفيذي العالي الانتقالي- كان كلمنت مرشحي الأول وبعده أبيل ألير- وفي ذلك الوقت لم أكن أفكر في السياسيين الموجودين خارج القطر، لأنني عانيت من انحرافات سلوكهم وخلافاتهم في المنافي- وكنت أفكر في الاحتفاظ بمنصب نائب رئيس الجمهورية لنفسي- وهي وظيفة تشريفية وليست تنفيذية، حيث يمكنني أخذ قسط من الراحة وتهيئة نفسي للاندماج في الحياة العامة في البلاد، بعد غياب دام تسع سنوات ونصف- ولكن أبيل ألير أكد لي أن كلمنت بصحة جيدة، لكنه يعاني من الاضطراب والتوتر، ربما بسبب تردُده الكثير على السجون والمعتقلات. وهو كان وزيراً في الحكومة الانتقالية التي أعقبت سقوط النظام العسكري الأول. وبعد انقلاب 1969 تعرض للسجن بتهمة الفساد (لم نكن نعرف ذلك بحكم ابتعادنا عن الساحة.) وكنا نعتقد أنه سجن بسبب معتقداته السياسية. ولذلك جاء إسمه في رأس قائمة المعتقلين والمسجونين الذين طالبنا بإطلاق سراحهم كشرط لدخولنا في مباحثات السلام- وبحكم عمره المتقدم وتجربته الطويلة، حاولت تكريمه بترشيحه لرئاسة أول مجلس تنفيذي عالي في الجنوب.

*** قرار السفر للخرطوم :-**

كانت خطتنا الأولية أن نرجع إلى رئاستنا في الغابة بنفس الطريق الذي جئنا به- وفي ضوء التغييرات الجارية أبديت للسيد نائب الرئيس ووزير الداخلية رغبتي في الذهاب معهما للخرطوم، تعبيراً عن حسن النوايا والالتزام باتفاقية السلام- والهدف من هذه الزيارة القصيرة للخرطوم هو مقابلة الرئيس نميري وعرض نفسي علي الرأي العام السوداني، كتعبير عن جدّيتي في تحقيق السلام- رحب نائب الرئيس السوداني ووفده بالمبادرة وأبلغوا الخرطوم بها، وعرفت أن العاصمة كلها تنتظر قدومي بفرح وسرور.

بعد توقيع الاتفاق وجدت نفسي محاطاً بالصحفيين والإعلاميين السودانيين والأجانب- لذلك أصدرت بياناً لإذاعته من راديو صوت الإنجيل، التي كانت مشهورة وسط قوات الأنيانيا بحكم وضوح إرسالها في مناطقها- وقام لورانس وول بكتابة البيان وصحبني حتى محطة الإذاعة- واكتشفت أخيراً أنه لم يقاتل بجدّية ومثابرة في الجوانب الاقتصادية أثناء المفاوضات. ولاحظت أنه من الصعب الاحتفاظ بالمتفائلين والمتحمسين، مثل لورانس وقرنق، جنباً إلى جنب مع المتردّدين والمتشككين من السياسيين، مثل جوزيف أدوهو- ومع ذلك، كانت التجربة ضرورية، كانت واجباً لابد من القيام به. وسأظل شاكراً للرَّب الذي مكنني من الصبر والقدرة على التحمّل والإرادة الصلبة في التعامل مع هذا الوضع وعلى رحمته الواسعة. فقدرته هي التي اختارتني من خلفية متواضعة لقيادة شعبه في جنوب السودان، هذا الذي كان يوماً راعياً للأغنام- واشكره من كل قلبي، عندما انظر وأرى شعبنا يعود إلى مواطنه القديمة. وأستطيع أن أتخيل تدفقهم من كل الاتجاهات ومن كل أطرافِ الدنيا، من البلدان المجاورة، من مديريات السودان الأخرى ومن مختلف أنحاء الجنوب نفسه.. أتخيل أبناء شعبي يتدفقون نحو قراهم ومدنهم، رجالاً ونساءاً وأطفالاً، مستخدمين في ذلك كل وسائل المواصلات المتوفرة القديمة والحديثة.. في القطارات والبواخر والبصات والناقلات. وأراهم ينهون رحلة

العودة على ظهور دراجاتهم وما نسميه (بص الغابة نمرة 11) أي سيراً على الأقدام.. كنت في حالة نشوة وفرح غامر- وأنا في هذه الحالة قمت بترجمة الرسالة، التي ستذيعها إذاعة صوت الإنجيل، إلى عربي جوبا حتى يسمعها ويفهمها شعبنا في السودان والجنوب، وقام فريق من راديو وتلفزيون السودان بتسجيلها بصوتي لإعادة بثها في الخرطوم- وفى وقت لاحق علمت أن الناس استقبلوها باهتمام جيد في كل أنحاء البلاد، وتأكدت أن لغتي كانت مفهومة للجـميع. وفي اليوم التالي أخــذنا قسطاً من الراحة والتجوّل في أنحاء مدينة أديس أبابا.

*** مزيد من الاستقبالات :-**

أخذني نبيلول كفلى، ممثل الإمبراطور في مباحثات السلام، للتسوّق في أسواق المدينة. وكانت تلك أول مدة أتجوّل في مناطق عديدة من أديس أبابا، وذلك رغم أنني تردّدت عليها في زيارات سرِّية عديدة. وما رأيته أكد لي ما قرأته وسمعته عنها. هي بالتأكيد أكبر قرية في العالم، حيث تقف المباني الحديثة في بعض مناطقها جنباً إلى جنب مع المباني التقليدية (القطاطي) وأخبرني مستر كفلى أن الإمبراطور قد أمر بشراء كل ما أحتاجه من ضروريات وهدايا لي ولأسرتي وغيرها- ولكني لم أحاول استغلال هذه المكرمة. ولذلك عملت على اختيار ما احتاجه فعلاً دون مبالغة- وأذكر أني اشتريت بدلة صيفية خفيفة، لأضيفها للبدلة التي اشتراها لي قاما حسن في نيروبي- ولونها كان نفس لون البدلة التي اشتراها لي جنود مجموعتي في القيادة الشمالية في مدينة شندي، كهدية بمناسبة نقلي، قبل عشر سنوات تقريباً. وكنت أريد بذلك استدعاء الأيام الجميلة التي قضيتها مع المجموعة، حتى إذا قابلني أحدهم سوف يصرخ ويقول (آه. هذا هو صديقنا. البدلة التي يلبسها هي نفسها التي اشتريناها له كهدية في وداعه..) كان ذهني مزدحماً بالأفكار التي تستدعي الأيام الجميلة مع الزملاء والأصدقاء السابقين في شمال السودان . واستمريت مع صديقي الأثيوبي في التسوّق، نتحرك من منطقة إلى أخري داخل المدينة الواسعة.

الأثيوبيون يشبهون السودانيين الشماليين- أما الجنوبيون فهم واضحون بملامحهم المميزة في أديس أبابا. ولذلك لم أحاول التحرك بشكل علني في شوارعها خلال زياراتي السابقة. وذلك حتى لا أجد نفسي مكشوفاً وغير قادر على التحرك وسط الناس، كما كنت أفعل في نيروبي وكمبالا ودار السلام، وذلك لأنه يمكن التعرف عليّ كأجنبي بسهولة. ولم يكن ذلك مرغوباً وقتها. ولهذا السبب استمتعت كثيراً بتحركي وتجوالي في المدينة في تلك الفترة، كنت حراً طليقاً أعيش حياة عادية.

بعد انتهاء التسوّق والتجوال في المدينة، أخذني الصديق الأثيوبي إلى العشاء في منزل أحد الدبلوماسيين في السفارة السودانية. وفى ذلك المساء كان هناك حفل استقبال في منزل كفلي، حسب البرنامج المعلن وقتها- آه، يا له من عشاء احتفالي! قدموا لنا أنواعاً عديدة من الأطعمة، بعضها حار، يكاد يحرق فمك. كان مساءاً بهيجاً، ولكن بقية الليلة كانت مختلفة. فقد صحوت أثر شعوري بألم حاد في معدتي، لم أشعر بمثله من قبل. دخلت الحمام عدة مرات. وفى إحداها كدت أن أنهار هناك- كنت أخشى أن أكون قد تسمَّمت، نتيجة لما أكلته في العشاء- أسفت أني قبلت تناول العشاء هناك. ولكن بعد لحظات من الألم الشديد، بدأت حالتي تتحسن. إذن ليس هناك تسمم، وربما يكون السبب هو هذا الطعام الأثيوبي الحار، الذي لم أعتاد على تناوله. وفى الصباح شعرت براحة أكثر. ولم أذكر هذه التجربة للآخرين إلا بعد سنوات. وفى وقت لاحق بدأت أشعر بضرورة الاعتذار لذلك الدبلوماسي الذي شرفنا بضيافته في شقته.

*** السفر إلى الخرطوم :-**

في الطيارة الأثيوبية المتجهة إلى الخرطوم من أديس أبابا، جلست في مقعد مجاور للباقر في الدرجة الأولى- وعندما لم أشاهد زملائي بدأت أتساءل أين هم؟ وهنا قام اللواء الباقر بقيادتي إلى حيث يجلسون. وهناك رأيت لورانس وول يجلس في مقعد مريح في الدرجة السياحية، حيث كنت أجلس عادة في سفراتي السابقة.

وحتى ذلك الوقت لم أكن أعرف أن هناك درجات في داخل الطيارات، كما هو الحال في القطارات.

وفى أثناء الرحلة سألت الجنرال عن بعض الأصدقاء والزملاء في القوات المسلحة، عن أحوالهم وتطوراتهم. علمت أن الكولونيل مزمل غندور ، أحد المعلمين الذين تعلمت منهم في الكلية ، موجود في الخرطوم- فطلبت مقابلته- فقد درسنا القانون العسكري ، وفي وقت لاحق أصبح الضابط المسئول عن كتيبتنا، بعد نقل الباقر- كنت أراه ضابطاً مؤدباً ومستقيماً. وكنت أقدّره وأجلّه، لأنه رشحني لكورس في المملكة المتحدة لدراسة القانون العسكري، الذي فشلت في دراسته بسبب التحاقي بالحركة- وأكد لي الجنرال الباقر أنه بخير وأنهمـا كانا معاً في الكلية العسكرية في القاهرة، عندما قام نميري وزملاؤه بإنقلابهـم في مايو 1969 - وحدثني عن التعذيب والإهانات التي وجـدها مزمل خلال انقلاب 19 يوليو 1971.

*** في الخرطوم بعد غياب طويل :-**

بعد رحلة امتدت لساعة وربع، وصلنا مطار الخرطوم. ومن هناك تحركنا إلى صالة كبار الزوار، بينما كان موظفو البرتكول يقومون باستكمال الإجراءات الرسمية- وأثناء تحركنا من المطار بدأت أشعر بالاختلافات الكبيرة بين حكومة السودان والحكومة الأثيوبية- فصالة كبار الزوار والسيارات المخصصة للوفود في مطار أديس أبابا كانت أفضل وأجود وأجمل- والطقس أيضاً كان مختلفاً، كان طقساً حاراً- وبدت الخرطوم مختلفة، كأنها ليست المدينة التي عشت فيها من قبل- وشعرت بعدم الارتياح بشكل عام. و.. هذا يكفي.

وصلنا إلى الاستراحة. وبعد فترة راحة قصيرة، أخذنا إلى مبني القيادة العامة لمقابلة الرئيس نميري.. كل شئ كان يبدو هادئاً وعادياً. والجمهور لم يكن له علم بوصولنا، كما بدا لي. وصلنا إلى القيادة العامة قبل وفد الكنائس، الذي لعب دوراً هاماً في مفاوضات السلام، وأجلسنا في غرفة الانتظار. وبقينا هناك حتى

مجيء الوفد لنلتقي معاً بالرئيس- ولكن، بعد لحظات، قرروا عدم الانتظار وأدخلنا مباشرة للرئيس، كسودانيين. وهكذا دخلنا إلى مكتبه في وزارة الدفاع.

فتح باب المكتب ودخلت خطوات بعد الباب. فقام الرئيس من مقعده مبتسماً ورفع ذراعيه لاستقبالي. وحضننا بعضنا على الطريقة السودانية، كانت لحظات مليئة بالعواطف، لحظات لا تنسى، لحظات تمثل ذروة المصالحة الوطنية- وأشار الرئيس إلى أنه قابلني في آخر مرة في 1962 في وادى حلفا، حيث كنت مسئولاً عن حامية حلفا، بينما كان هو في طريقه إلى القاهرة مع زوجته. وقال إنني سمحت له بقيادة سيارة الحامية حتى تجلس زوجته معه في الكرسي الأمامي، بينما جلست أنا في الكرسي خلفه ومن جانبي ذكرته بخدمتنا معاً في جوبا، في مركز القيادة الجنوبية في الفترة من يونيو 1960 حتى بداية 1961، خاصة عندما عملنا معاً في حرس الشرف، أثناء زيارة الرئيس عبود والرئيس عبد الناصر لمدينة جوبا.

*** صور فوتوغرافية :-**

كان المصورون الفوتوغرافيون مشغولين- وقد أخذت لي مجموعة صور مع الرئيس نميري وآخرين (مادينق دي قرنق، منصور خالد، أبيل ألير، محمد الباقر أحمد، عبد الرحمن عبد الله ولورانس وول.) وبعد ذلك دخل كانون بيرقس وزملاؤه، بعد انتظار لفترة قصيرة، قضيناها مع الرئيس شغلناها بالتحايا والمجاملة والذكريات وصور مناسبة التقاء قيادات سودانية ظلت تحارب بعضها لسنوات طويلة- شكر الرئيس وفد الكنائس لدورهم (في تحقيق التفاهم والسلام بين الأخوة والأشقاء..) وعندما قابلت الرئيس كان زملائي، أدوهو والآخرين، يجلسون في غرفة أخرى- وأسفت لذلك، مع أن جوزيف أدوهو نفسه لم يبدي أي شكوى- وقلت للواء الباقر إنني منحت أدوهو وضعاً خاصاً، بحكم عمره وتجربته الطويلة، وإنني لا أريده أن يشعر بأنه قد استبعد بواسطة لورانس وقرنق- وشعرت أنه تفهم الموضوع وسجله في مذكرته.

بعد ذلك رجعنا إلى الاستراحة لقضاء بعض الوقت والاستعداد للبرنامج التالي وكان مؤتمراً صحفياً في وزارة الإعلام والثقافة. ووقتها فقط عرف الجمهور العريض بوصولنا إلى البلاد- كان ميدان الوزارة مليئاً بالجمهور بالإضافة إلى الصحفيين المحليين والأجانب، كان مدخل الوزارة مزدحماً. وكذلك المنطقة المحيطة بالمبني، بينما تسلق الشباب في الأشجار... الكل كان يحاول رؤيتنا وسماع حديثنا في المؤتمر الصحفي- كان أكبر مؤتمر صحفي أتحدث فيه كشخص رئيسي. ووقتها تأكدت أن جوزيف أدوهو يقف بجانبي.

أدار المؤتمر عمر الحاج موسى، وزير الثقافة والإعلام- وأهم الأسئلة التي طرحت كان الآتي: متي يسلّم جنودكم سلاحهم للقوات الحكومية ؟ وبدون أي تردّد قلت: (لن يكون هناك طرف مهزوم حتى يسلّم أسلحته- ما حدث أن الاخوة المتحاربين قرروا إنهاء الحرب الجارية بينهم وحلّ مشاكلهم بالمفاوضات- وجنودي سيسلمون سلاحهم، عندما يأخذون مواقعهم في التركيب الجديد للقوات المسلحة والقوات المساعدة الأخرى، حسب نصوص اتفاقية أديس أبابا- عندما يسلّحون بنفس أسلحة زملائهم في تلك القوات، ستصبح أسلحتهم القديمة وقتها ملكية عامة يمكن استخدامها حسب خطة الدولة.) كان الحضور الجنوبي في المؤتمر فرحاً ومبتهجاً بما يسمع. وكانوا يصفقون ويصرخون ويهتفون تعبيراً عن دعمهم ومساندتهم للاتفاق- وهو نفس موقف الأنيانيا في الأدغال، كما تقول التقارير- ووجدت وقائع المؤتمر، التي أذيعت مباشرة في إذاعة وتلفزيون أمدرمان، صدي واسعاً في الإذاعات العالمية الرئيسية.

والسؤال الهام الثاني الذي وجه لي كان يقول: (ماذا عن مستقبلكم السياسي بعد هذا الاتفاق؟) وكان سؤلاً حرجاً ومزعجاً- ولكني كنت مستعداً لأجابة أي سؤال. ولذلك أجبت بالآتي: (لا أدري ماذا سيكون مستقبلي السياسي. أنا شخصياً أفضل خلع هذا الكاكي بعد تحقيق السلام وبدء تطبيق الاتفاقية.) وكنت أقصد أنني آمل دخول عالم السياسة وأن أعمل كنائب للرئيس وأشارك في إدارة البلاد من

خلال ذلك- كنت أري أنه ليس وارداً أن أعود للقوات المسلحة كضابط نشط- وكان جوزيف أدوهو يهزّ رأسه من وقت لآخر، تعبيراً عن دعمه ومساندته لما أقول. وبعد المؤتمر الصحفي عدنا إلى الاستراحة، لنستعد لحفل استقبال يقام هناك على شرف زيارتنا ويحضره السيد الرئيس.

كان الحفل مناسبة رسمية قامت بها الدولة. فبجانب الرئيس، كان هناك نائبه والوزراء وأعضاء وفدي المفاوضات، بالإضافة إلى ضيوف مختارين، من بينهم الأسقف الكاثوليكي، مونسقنور باروني، والأسقف الانجليكاني في السودان، أليفر أليسون، والعميد مزمل غندور، وكان وقتها في المعاش- وتشرفت بالحديث معه ومع زملاء آخرين خلال ذلك الحفل- كانت مناسبة لها وقعها في نفسي- فقد جمعت زملاء وأصدقاء عديدين، بالإضافة إلى الطلبة الجنوبيين في جامعة الخرطوم وبعض رموز الجنوبيين في المدن الثلاث (الخرطوم والخرطوم بحري وأمدرمان.) وفى هذا الحفل قابلت آمنة، التي تزوجتها في وقت لاحق- جاءت لتحييني وجلست بجانبي للحظات، كما فعل كثيرون، ولم يكن شكلها العام يشبه الجنوبيات- لذلك سألتها: من أي منطقة في الجنوب ؟ قالت أنها من منطقة توريت (ولدت في مدينة توريت.) حاولت معرفة المزيد عنها. فأخبرتها إنني أيضاً من منطقة توريت، ولكني ولدت في نمولي، في منطقة المادي- قلت لها أنني سأكون في جوبا حوالي منتصف أبريل القادم. وطلبت منها أن تحاول مقابلتي هناك إذا ما سمحت ظروفها- فوافقت على ذلك وعادت إلى مكانها- واستمر الحفل حتى منتصف الليل، كما يحدث دائماً في مثل هذه المناسبات في السودان.

*** في القصر الجمهوري :-**

في صباح اليوم التالي قمنا مع زملائي الثلاثة (أدوهو وقرنق ولورانس) بمقابلة الرئيس نميري في القصر الجمهوري. عند دخولنا أجلسنا في مكتب في الجزء الجنوبي للقصر، الذي شيِّد لسكن الرئيس إبراهيم عبود أثناء الحكم العسكري الأول- وهذا المبني أصبح في تلك الفترة مكتباً لنائب الرئيس الجنوبي. وبعد

لحظات دخل علينا أبيل ألير وتبعه نميري، الذي حيَّانا وسحب كرسياً جلس عليه معنا- لم يكن هناك برتكولاً رسمياً في جلوسنا معاً. كلما أذكره أن أدوهو ومادينق دي قرنق كانا يجلسان في جهة اليمين في مواجهتي. وكذلك وول وول، بينما جلس أبيل ألير في شمالي في جهة باب المكتب. وعندما جاء الرئيس جلس في مكان يمكنه من مواجهة الجميع- وبعد لحظات صمت، قال الرئيس (نحن هنا لمناقشة تكوين الحكومة الإقليمية في الجنوب.) وكان يركز نظره تجاهي- ثم سألني (ما هو رأيك يا جوزيف ؟) فقلت (أنا ضيفك يا سيادة الرئيس، لذلك أفضل أن أسمع منكم أولاً.) فقال على الفور: (لقد قمت بتعيين أبيل ألير رئيساً للمجلس التنفيذي العالي الانتقالي للإقليم الجنوبي.) واستخدامه لفعـل الماضي (قمت بتعيين ...) أكد لنا أن القرار قد أتخذ مسبقاً قبل اجتماعنا معه. فشعرت بصدمة وخيبة أمل – فهذا يؤكد تقديرنا منذ أيام المفاوضات أن الشمال يعمل لإعـداد أبيل ألير كرئيس وقائد للجنوب. وفى هذه الحالة سيكون رجل الشمال في الجنوب. وفى تلك الغرفة نظرنا إلى بعضنا نظرات تساؤل واستغراب، بينما كان ألير يوجه نظره إلى تحته. فقام الرئيس بتبرير اختياره هذا بقوله (قمت بتعيين ألير لأنه مخلص.) ونسي أنه كان يتحدث إلى جنوبيين مقاتلين من أجل الحرية، حرية بلدهم ومواطنيهم، وليس إلى زملاء شماليين، وجدهم أدوات طيّعة. نظرت إليه وقلت : (ليس لي وجهة نظر محدّدة، وليس عندي ما أقوله أكثر من ذلك، طالما أنك قررت وعينت أبيل ألير رئيساً للمجلس التنفيذي العالي الانتقالي في الجنوب. لقد قمت بالواجب..) ثم سألني سؤالاً محرجاً ومزعجاً، قال: (وماذا عنك أنت؟ ماذا تريد أن تفعل؟) ضغطت على أعصابي وعواطفي وقلت بصوت متماسك: (سيدي الرئيس ليس من اللائق بالنسبة لي أن أطلب منك تعييني في منصب معين- أنت كرئيس لك أن تقدر أي مكان يناسبني..) ربما فهم حديثي هذا كاستسلام لقبول الأمر الواقع، فقال: (أعينك نائباً لأبيل ألير، رئيس المجلس الانتقالي العالي في الجنوب.) اعتبرت ذلك إهانة وإذلالاً لا يمكن السكوت عليه. فرددت عليه بشكل حاسم: (لا يمكن أن أكون نائباً لأبيل

ألير، سيدي الرئيس.) وحركت وجهي للجهة المعاكسة، كتعبير عن إحباطي وخيبة أملي فيه- وواصلت بقولي: (قد أضطر للاستقالة والعيش مع أهلي، إذا لم تكن هناك وظيفة مناسبة لي في الوقت الحالي.) وبعد صمت لبرهة، حتى أوضح أنني لست غاضباً، واصلت: (في تلك الحالة سأحتاج إلى مساعدة من الدولة للاستقرار في مدينتي، نمولي، وسأتوقع معاشاً معقولاً. وسوف أستمر في تقديم استشاراتي وخدماتي إذا كنتم تحتاجونها..) طأطأ نميري رأسه وقال: (أنت لازالت شاباً.. ماذا تفعل في بقية حياتك في تلك القرية؟ لقد بدأت ثورة ويجب أن تكون جزءاً من تلك الثورة.) مادينق دي قرنق هو الوحيد الذي تدخل بدعمي ومساندتي، حيث قال: (سيدي الرئيس، ليس واضحاً حتى الآن، هل تعترفون برتبة قائدنا- اللواء. ماذا تقول في ذلك؟) وبهدوء أجاب نميري: (ليس هناك مشكلة بالنسبة له، لأنه تدرّب في نفس الكلية العسكرية، التي تدرّبنا فيها نحن. لكن، ماذا عن ضباطه الآخرين؟ هل نعترف أيضاً برتبهم التي ترقوا إليها في حرب العصابات؟ إذا تدرّب شخص على وضع المتفجرات الأرضية أو تحطيم الكباري أو غيرها، هل يؤهله ذلك للعمل كضابط في جيش نظامي؟) وعلى الفور أجبت دفاعاً عن ضابطي: (سيدي الرئيس، إذا اعترفت بي، يجب أن تعرف أنني أنا الذي قمت بتدريب هؤلاء الضباط. لقد أسست كلية عسكرية هناك في الغابة. وضباطي مدربون أكثر من ما قد تظن. ووضع المتفجرات وتحطيم الكباري بطريقة صحيحة، يحتاج إلى مهارات أخري أيضاً.) كان نميري يهزّ رأسه أثناء كلامي، مؤكداً صحة ما أقول، ثم التفت إلى مادينق وقال: (هل تري؟ كان غائباً عن القطر لفترة طويلة ولا يعلم ما يجري الآن في الداخل.. يمكنه أن يجد كل ما يريد، حتى رئاسة الجمهورية نفسها...).

في محاولة لتغيير مجري المناقشة وتمحورها حول وضعي وتحويلها إلى أبيل ألير، سألت: (سيدي الرئيس، أعتقد أن أبيل ألير هو نائبك هنا في الخرطوم، نائب رئيس الجمهورية. كيف يمكنه أن يقوم بوظيفتين في وقت واحد؟) وبسرعة أجاب نميري: (سيكون هناك في الجنوب، ليس له أي عمل هنا.) وتلك كانت صدمة

أخرى. شعرت بخيبة أمل حقيقية ولم تعد لي أي رغبة في مواصلة المناقشة. كنت أود أن أقترح عليه أنه إذا كان يريد أبيل في الجنوب، كرئيس للمجلس الانتقالي، فيجب أن أحلّ أنا محله كنائب لرئيس الجمهورية. لكن (إذا كان ليس هناك عمل ليقوم به أبيل كنائب لرئيس الجمهورية في الخرطوم، فلماذا قام بتعيينه في هذا المنصب منذ البداية؟) هكذا ساءلت نفسي، وأنا أنظر إليهما معاً. بدأت، في الواقع، في إعادة تقييم الوضعية كلها- كنت أستغرب صمت أبيل ألير وتحفظه في الكلام- وهذا الموقف جعلني أتشكك في ما قـاله لنا في فـندق أديـس أبابا حول تغييرات حدثت في موقف الشماليين تجاه الجنوب والجنوبيين- وأيضا لم أكن سعيداً بصمت زميليَّ جوزيف أدوهو ولورانس وول. تعجبت وسألت نفسي: ماذا حدث لهما؟ فقد كان أدوهو يطرح نفسه كمتشدّد. فلماذا لم يطرح أفكاره المتشدّدة أمام الرئيس؟ لماذا ترك مادينق ليواجه الرئيس وحده؟ وبالنسبة للثاني، لورانس، لماذا لم يطرح رأيه أمام الرئيس؟ لقد طرح ملاحظات رائعة في أديـس أبابا، عـندما كنا نكتب في البيان الصحفي. وأذكـر أنه قـال لي (يجب أن لا نترك العرب الشماليين يخدعوننا مرة أخرى.) وتنبأ بأنهم يعدّون أبيل ألير كرئيس للجنوب، حيث قال: (إذا صدق ذلك، فعلينا أن نصرّ على تعيينك نائباً لرئيس الجمهورية أو على الأقل وزيراً للدفاع- علينا أن نقف في وجه العرب ولا نقبل بأقل من حقوقنا..) وهكذا صدقت نبؤته. لذلك استغربت لماذا لم يقف في تلك اللحظة ويقول رأيه هذا؟

لقد قدّرت دعم مادينق ومساندته لموقفي. فقد أكد أنه صديق شجاع وجرئ ويعتّمد عليه، وقف معي كزميل ومقاتل في خندق واحد. ومرة أخري كان هو الذي كسر حاجز الصمت، بعد أن كادت الأمور أن تصل إلى طريق مسدود. فقال للرئيس نميرى: (لقد سمعنا ما قدمته لقائدنا. أمنحه فرصة للتفكير بهدوء في ما طرحته عليه..) وهنا أنهي نميري اللقاء وخرج- كان ذلك حوالي الحادية عشر والنصف نهاراً.

رجعنا إلى الاستراحة. وفى الطريق طلب أدوهو مناقشتي في ما دار في القصر. كنت محبطاً ومستغرباً من سلوكه. شعرت أنه خذلني بصمته. لذلك لم استجب لطلبه بإعادة تقييم المناقشات، ولكنني كنت على استعداد للاستجابة لو جاء الطلب من مادينق. ومع كل ذلك، كتمت مشاعري وعواطفي واستمعت لما قال. فتحدث عن أبيل، وقال أنه لا يثق فيه. وأضاف أن الشماليين حوّلوه إلى أداة طيّعة أخري، مثل سانتينو دينق... ولا أشك في ما قاله. لكن لماذا أذن ظلّ صامتاً هناك؟

***غداء في وزارة الخارجية :-**

بينما كان أدوهو يتحدث معي، جاءنا أحد موظفي البرتكول وبلغنا أنه سيكون هناك لقاء في وزارة الخارجية حوالي الواحدة ظهراً- ووعدنا بأنه سيعود ليأخذنا إلى هناك- ولكن، د.منصور خالد حدّد مواعيده في الوقت المحدّد للقائه مع وفد الكنائس. وهناك جلست وحيداً وسط تجمّع الناس- وكنت كئيباً.

جاء اللواء الباقر وجلس بجانبي ولاحظ أنني لست عادياً. فسألني: (لاغو.. ماذا دهاك؟ لا تبدو سعيداً..) قلت له ليس هناك شئ، جلست وحيداً لأنه لا أحد جاء ليجلس بجانبي ويحادثني- ولم يقنعه كلامي هذا- المهم، واصل جلوسه بجانبي أثناء الغداء. وفى وقت لاحق أحضر لنا جوازاتنا السودانية بنفسه. وفى المعلومات الضرورية لجواز السفر، لم أضع تاريخ ميلادي الذي أكده لي والدي، بل وضعت تاريخاً آخر، وذلك حتى أتمكن من دخول الكلية العسكرية. وهذه العادة كانت منتشرة وسط السودانيين.

*** حفل شاي في استراحة الرئيس :-**

كان يوماً مزدحماً بالنشاط، وكان هناك حفل شاي في استراحة الرئاسة في الخامسة مساء، حيث كرَّم الرئيس أعضاء وفد الكنائس لدورهم البارز في تحقيق السلام في السودان- وفى نهاية الحفل جاء الرئيس وأخذني جانباً، في أحد أركان الحديقة وقال لي (أعلم أنك لم تتفهم اقتراحي هذا الصباح. إنني لا أحمل أي شئ ضدك ولا أفضل أبيل ألير عليك بأي حال. فمعك أنت وقعنا اتفاقية السلام وليس مع

أبيل ألير- لا أحد يستطيع إنكار هذه الحقيقة التاريخية- وكما قلت هذا الصباح، أنك كنت بعيداً عن البلد، عن الداخل، ولذلك تحتاج إلى وقت لتتكيف مع الأوضاع الراهنة. هؤلاء المدنيون الذين تراهم من الصعوبة أن تتعامل معهم- تحتاج إلى وقت لتفهمهم ولتتفهم الواقع قبل أن تتولي وظيفة تنفيذية قيادية في البلاد.. ذلك هو سبب اقتراحي بتعيينك كنائب لأبيل، لتكون مسئولاً عن خدمات الإدارة والشرطة والسجون في الجنوب- وإذا لم تقبل ذلك لأي سبب كان، فلن أجبرك على القبول. في هذا المساء سأوقع على أوراق التعديلات التي طلبتها وكذلك أمر تعيينك لواء في القوات المسلحة السودانية، بدءاً من الغد، الأول من أبريل 1972- وسوف أقوم بتعيين قادة الوحدات والهيئة العامة وكل الأسماء التي قدمتها- وسوف يشاركون في اللجنة الفنية العسكرية ولجنة وقف إطلاق النار، مع زملائهم في القوات المسلحة- والأسماء والرتب سوف تتخذ إجراءاتها بعد تقديم طلبكم بذلك- وسوف يعلن ذلك بعد إعادتك أنت...) هذا الحديث الطويل أعاد إليَّ توازني وخفَّف انفعالاتي كثيراً. ويبدو أن اللواء الباقر قد قابل الرئيس بعد غداء الخارجية وتحدث معه حول هذه المسائل تحديداً- ولكني قلت للرئيس: (أشكر سيادتكم وارحب بهذا التوجه. هو توجه مفهوم- اهتمامي الأساسي هو إنجاح الاتفاق الذي وقعناه. وإذا استشرتُ، ربما لا أعترض على تعيين أبيل الير- وأنا شخصياً لست راغباً في رئاسة المجلس الانتقالي بشكل واضح- ولكن لدي بعض الأفكار حول هذا الموضوع. كنت أفكر في آخرين لملء هذا الموقع. وبدأت بمناقشة أبيل حوله في أديس أبابا- ولا أدري هل حدثك عن ذلك أم لا- فكرت في قيادات جنوبية في الداخل، وشعرت بأن أحدهم يمكن أن يقود أول حكومة جنوبية انتقالية- ولم أفكر في أي واحد من السياسيين الذين معنا في الغابة أو في المنافي- فهم، كما أعتقد، مشغولون بمعاركهم مع بعضهم- وتوقعت أن يقوم سيادتكم وأبيل ألير بمساعدتي لحلّ هذه المشكلة- وكنت أعتقد بوضوح عدم رغبتي في تولي ذلك الموقع، بل أبحث عن آخرين- وأبيل لم

يبلغني بأنه يرغب في ذلك الموقع. إذا أبلغني ذلك لكنت رحبت بتعيينه..) كان مناخ المناقشة ودياً وأخوياً أكثر من ما حدث صباح ذلك اليوم. وتصافحنا وافترقنا.

*** توقيعـات ثانوية :-**

في ذلك المساء جاءني د.منصور خالد بعدد من الأوراق- كانت نفس الأوراق التي وقعنا عليها في أديس أبابا، مع تعديلات أجريناها معاً، وذلك للتوقيع عليها من الطرفين (الرئيس وشخصي.) ووقعت دون مناقشتها مع زملائي مرة أخري- وهنا جاء الجنرال الباقر، أثناء انشغال منصور بجمع الأوراق ليحملها ويذهب. طلب مني الجنرال قائمة الضباط الذين سيعلنون معي، كما وعد الرئيس في لقائه معي خلال حفل الشاي- وأيضاً إذا ما كنت أشعر بتحسن الحال بعد ذلك، فأجبته بنعم- ثم طلب مني أسماء السياسيين الذين أود ترشيحهم في الحكومة الإقليمية والمركزية- وأعطيته قائمة طويلة: جوزيف أدوهو، أليا لوب، أقري جادين، وبعض الذين لعبوا دوراً في عملية السلام: أزبوني منديري، مادينق دى قرنق، لورانس وول- وقدمت أيضاً أسماء مبعوثينا في كمبالا ونيروبي للتعيين في الخدمة الخارجية وسفاراتنا في تلك المدن.

لاحظت أن المدنيين في فريقنا كانوا شقوفين ليصبحوا وزراء. ولذلك قررت تركهم في الخرطوم- ولكن أدوهو كان مختلفاً، كان يريد الرجوع معي. وكنت أعمل لإبقائه مع الآخرين، حتى لا تثير مغادرتنا أي شكوك- وذلك لأننا كنا نمثل العناصر الأساسية في الحركة- أخبرت أدوهو بأن الحال قد تغير بعد مقابلة الرئيس نميري في حفل الشاي، وأن تعديلاتنا قد قبلت... سيتم استيعابي في القوات المسلحة برتبتي في قوات الأنيانيا، مع أسماء الضباط الذين سأقدمهم- لذلك دفعته ليبقي وليقوم بمراقبة الوضع السياسي خطوة خطوة- وأخبرته بأن اسمه في مقدمة الأسماء التي يمكن تعيينها في المناصب الوزارية، حسب القائمة التي قدمتها- وطلبت منه التزام الاعتدال والمرونة في جانبنا وفي قبول الوضعية الجديدة، لإفساح المجال للعمل وإعادة الاستقرار لشعبنا- ولدهشتي، تقبل أدوهو هذه

الموجهات وتفهمها ووعد بمساندتي وبالبقاء في الخرطوم- وإذا لم يتراجع نميري في خطواته الأخيرة، لما تركته خلفي، كنا رجعنا معاً لنعلن عودة العداء والصراع مع الشمال فور وصولنا إلى قاعدتنا في الغابة.

*** رحلة العودة :-**

في السادسة صباح الأول من أبريل غادرت مطار الخرطوم مع بقية الوفد(عسكريون أساساً.) وكان في وداعنا اللواء الباقر. كنا عائدين إلى قاعدتنا بتفس الطريق الذي جئنا به. وصلنا مطار أديس أبابا في السابعة والنصف. وفي المطار وجدنا أعضاء السفارة السودانية في أثيوبيا. وفي ترحيبه بنا خاطبني السفير بـ(سعادة اللواء.) هكذا تغيرت وضعيتي. وأخبرني السفير إن إعادة التعيين قد أذيع في أخبار السادسة والنصف صباحاً وأن الخبر وصل إلى بعض الأقطار وبدأت الإذاعات تشير إليّ بـ(الجنرال السوداني.) ومن هناك أخذونا لمقابلة الإمبراطور في إحدى قصوره. وفي فناء القصر شاهدنا عدداً من الأسود، بعضها يتحرك بحرية وبعض آخر مستلقي في الأرض، كأنها حيوانات أليفة ومدلّلة. وكلنا شعرنا بالخوف واحتمال الخطر- وقيل لنا إن تلك الأسود أصدقاء الإمبراطور، وهي تعرف إن الأصدقاء فقط هم الذين يدخلون تلك الدار- وبذلك انتهي خوفنا- شئ لا يصدق. أحد الأسود كان قريباً منا- فبدأ يزأر، أثناء مرورنا نحو فرندة القصر- وبالفعل كانت تلك الأسود غير مهتمة بحركتنا، بل بقيت في أماكنها، كما شاهدناها من داخل المبنى.

*** مع الإمبراطور:-**

دخلنا القصر ووجدنا الإمبراطور في زيّه الرسمي، تماماً كما رأيناه في الاستقبال السابق، ولكني في المرة السابقة لم أرى الكلاب الصغيرة- وتساءلت هل تتبادل واجب الحراسة مع الأسود؟ المهم، انحنيت لتحيته وهو في كرسيه- وفي تلك اللحظة تذكرت قصة حكاها لي صديق إسرائيلي، قنصل السفارة في نيروبي، حول سفير بريطاني طويل القامة في باريس. وعندما جاء لتحية الإمبراطور نابليون،

انحني واحدودب كثيراً حتى يصبح أقصر من الإمبراطور. ففكرت إن حالتي افضل من ذلك السفير، لأنني لست طويلاً والإمبراطور كان جالساً في كرسيه وكان عليّ فقط الانحناء للتحية والإجلال- كنت اجلس قرب الإمبراطور والسفير السوداني بجانبي، وبقية الوفد علي بعد خطوات. فقدمت تقريراً لجلالته عن رحلتي للخرطوم. وكنت حذراً في حديثي، بسبب وجود السفير. لم أستطع الحديث بصراحة عن إحباطاتي، ولكني أشرت إلى أنه لا تزال هناك مشاكل وإننا سنحتاج إليه لفترة لاحقة. وطلبت منه أن يلتزم الحذر وأن يتابع مجرى الأحداث في السودان، طالما أن الاتفاقية لم تدخل بعد طور التنفيذ- وكنت ارغب في الحديث، بتفاصيل اكثر، لكن وجود السفير منعني من ذلك.

تحدث الإمبراطور قليلاً وأكد أنه سعيد لرؤيتي بعد عودتي من السودان بصحة جيدة- أضاف انه سيستمر في متابعة تطورات الأوضاع في السودان وأنه يأمل أن تسير علاقات الشمال والجنوب في اتجاه السلام والاستقرار وأن يستمر تنفيذ الاتفاقية دون مشاكل كبيرة- وكان هذا الحديث إشارة إلى انتهاء المقابلة. لذلك، قمت وأديت التحية وخرجت. ثم تبعني السفير وبقية الوفد.

تحركنا بهدوء واجتزنا الأسود بسلام نحو سياراتنا- ومن هناك تحركنا للسفارة. وهناك قابلت علي التوم، الموظف السوداني في منظمة الأغذية والزراعة (FAO) التابعة للأمم المتحدة، في أديس أبابا، وكان وقتها في رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية- ووجه لنا دعوة للعشاء في شقته- ومن ثم تحركنا إلى الفندق الذي نزلنا فيه من قبل. وكانت غرفنا لا تزال محجوزة بأسمائنا.

*** عشاء مع علي التوم:-**

صاحبنا السفير إلى منزل علي التوم في ذلك المساء. وفي أثناء العشاء سألني علي التوم إذا ما كنت اعرف قاما حسن (جنوبي، يعمل مع شركة إيطالية لمكافحة الحشرات.) قلت له (اعرفه. أنا وهو من منطقة واحدة وقبيلة واحدة-) فقال إنه يشعر أن هذا الرجل يبدّد إمكانياته في الخارج (اعتقد انه

يمكن أن يكون مناسباً لوزارة الزراعة الإقليمية في الجنوب.) هكذا كان رأيه. وعندما تناولنا القهوة في كراسي مريحة، طلبت من السفير إرسال رسالة للخرطوم لإدخال اسم قاما حسن في قائمة ترشيحاتي لوزارة الزراعة الإقليمية، وقلت له إنه يعيش في نيروبي ويمكن الاتصال به عن طريق السفارة هناك.

في اليوم التالي واصلت رحلتي إلى نيروبي، حيث كان معي فريق قيادتي الأصلي:- المقدم جيمس لورو، الرواد اليسون مقايا وأنانيا لوفول والكابتن أوقو ماكواك (من بحر الغزال، ممثل الفرقة الثالثة) الكولونيل بول أويل، خليفة العميد جوزيف أكوون وأحد ضباط قيادته، الرائد ماثيوباقان، سوف يتحرك من أديس مباشرة إلى رئاسة قيادتهم. وفي تلك اللحظات كانوا جميعهم ضباطاً في الجيش السوداني وأعضاء في اللجنة الفنية العسكرية أو لجنة إيقاف إطلاق النار- وتعيينهم أعلن مع إعادة تعييني.

*** رحلة العودة، إلى الأمام:-**

مع أن الأصدقاء الاسرائلين قد قطعوا اتصالهم معنا، بعد زيارتي للخرطوم، فقد كنت ارغب في شكرهم ووداعهم- ومع أن رحلتنا إلى نيروبي قد نظمتها السفارة السودانية في أديس أبابا، فقد حجزنا في مطار نيروبي لأربع ساعات. وذلك لأننا غادرنا كينيا بوثائق سفر يوغندية ورجعنا بجوازات سودانية ولكن بدون تأشيرات. وبدا أن موظفي السفارة في نيروبي لم يكونوا على علم بتفاصيل سفرنا، مع انهم كانوا يتوقعون وصولنا- ولم تحلّ المشكلة إلا بعد أن وصلت أخبار وصولنا للسفارة، ومن ثم جاء أحد موظفيها مع موظف في مكتب الهجرة الكيني للبحث عنا داخل المطار- والمهم اعتبرنا ما حدث نوعاً من التغيير بعد الاستقبالات الرسمية في الخرطوم وأديس أبابا- وبوصولنا هناك وجدنا أنفسنا وسط الأصدقاء والأحباب- وكان د. قاما حسن ينتظرني في أي لحظة. فاتصلت به من الفندق، الذي أنزلتنا فيه السفارة- وقضيت معظم أيامي في نيروبي معه- أخبرته بأنني قبلت ترشيح علي التوم له لوزارة الزراعة الإقليمية. وقلت له بوضوح، أنني افضل

البقاء خارج الحكومة لبعض الوقت- وذلك لتركيز اهتمامي بقواتي واستيعابهم في القوات المختلفة، التي قد يوزعون عليها- وأشرت إشارة خفيفة إلى خيبة أملي في أبيل ألير وجعفر نميري، وذلك لأني قررت أن احتفظ بتفاصيل ذلك لنفسي وإعطاء الآخرين انطباعاً بأن بقائي خارج الحكومة هو اختياري الشخصي، بهدف خدمة الوطن بشكل أفضل في الفترة الانتقالية. ويبدو أن ذلك هو ما فهمه معظم السودانيين ذوي العلاقة. المهم، قضينا أياماً معدودة في نيروبي. ولذلك وصلت أخبار تعيين قاما حسن قبل أن نتحرك إلى عنتبي.

*** استقبال في يوغندا :-**

في مطار عنتبي لم تواجهنا أي مشاكل، كما حدث في مطار نيروبي- وهناك استقبلنا القائم بأعمال السفارة السودانية، عمر بريدو، وموظفون يوغنديون- وفي يوغندا وجدت أخبار اتفاقية السلام اهتماماً كبيراً، عكسته كل أجهزة الإعلام المحلية- وبالإضافة إلى ذلك، اندفع الجمهور اليوغندى في الشوارع، مع الجنوبيين السودانيين، لاستقبالنا وتحيتنا- ولم يكن ذلك حدثاً غريباً. فاليوغنديون، على الدوام، كانوا يتعاطفون مع الجنوب والجنوبيين، أياً كانت سياسة حكومتهم القائمة. شعرت بسعادة كبيرة في يوغندا وبتقدير عالي للحكومة اليوغندية والشعب اليوغندى. ففي كل مكان كانوا يستقبلونني بالبساط الأحمر- والجنرال أمين استقبلني بود وترحاب وقدم لي تسهيلات في تجوالي حول معسكرات اللاجئين الجنوبيين في يوغندا- ومثل هذه العواطف الصادقة والنبيلة تريح النفس وتملؤها بالثقة. فقد كنت اشك في مواقفه منذ أن تحركت لمباحثات السلام- وعندما تحركنا من المطار قلت للقائم بالأعمال السوداني إنني اشك في مواقفه ولا أثق فيه، رغم أننا كنا أصدقاء. وطلبت منه أن تتكفل السفارة بمسئولية إقامتي وحمايتي أثناء فترة إقامتي في يوغندا. فوافق واقترح إقامتي في منزل السفير، الذي كان فارغاً في ذلك الوقت، ونتيجة لذلك، اقترح الحجز لبقية أعضاء الوفد في أحد الفنادق- وذلك لتسهيل الاتصال والزيارات المتوقعة- وهكذا ذهب كل منا إلى مكان إقامته.

*** مشاكل تنتظرنا في كمبالا :-**

عند وصولنا إلى كمبالا، عرفت في التوَ أن هناك مشاكل عديدة تنتظرني- فالكولونيل أيمانويل أبور، قائد قوات الانيانيا في بحر الغزال، وصل من هناك وهو في انتظاري. وأخبرت أيضاً أن الكولونيل في علاقة مع اثنين من السياسيين، هما أليا دواني وأقولونق شول. وكلاهما من بحر الغزال- وهناك إشاعات حول وجود قوردون مورتات في المدينة وعلاقته بهؤلاء الضباط، وكل ذلك لا يمثل أخباراً سعيدة بأي حال- وأكثر من ذلك، هناك تقرير حول نشوب أزمة في معسكر قاعدتنا. فقد علمت أن الكولونيل فريدريك ماقوت، ورئيس الشرطة، ديشان أوجوى وأليسابانا مولا، حاكم الاستوائية، قد هربوا من المعسكر وينتظرون مقابلتي- ويقال أن هؤلاء الثلاثة قد خططوا للقيام بانقلاب بهدف إفشال اتفاقية السلام، وهربوا عندما شعروا بانكشاف مؤامرتهم لقائد المعسكر، خوفاً من الاعتقال والمحاكمة- فصعقت عندما سمعت ذلك، لأنني لم اكن أتوقع منهم القيام بمثل هذا التخريب.. كنت أثق ثقة عالية في الكولونيل ماقوت. وعلى كل حال، فقد كانوا هناك في انتظاري- جاءوا لمقابلتي وشرح موقفهم قبل أن يتصل بي قائد المعسكر، بيتر سريلو، الذي هربوا منه- ويقال أنهم يبرئون أنفسهم ويتهمون سريلو بتلفيق تلك القصة بهدف التخلص منهم- هكذا كانت الأوضاع عند وصولي إلى كمبالا.

هؤلاء الثلاثة الذين هربوا من المعسكر، قاموا بسرد روايتهم عن ما حدث ودافعوا عن أنفسهم. وأكدوا أن الاتهامات الموجهة ضدهم لا تستند إلى أي وقائع، وأن قائد المغسكر فقط يريد التخلص منهم- ولكنني تشككت في صدقهم وأمانتهم. فقد سمعت عن مؤامرة أخرى تشمل الكولونيل ماقوت، وكانت تستهدف إغراء الكولونيل أبور للوقوف معهم في رفض اتفاقية السلام، التي كان يؤيدها- وماقوت تمت استمالته لرفض الاتفاقية بضغط من السياسيين في بحر الغزال.

بعد اجتماعي مع مجموعة الثلاثة، أرسلت للكولونيل. كنت غاضباً من ماقوت، بسبب تورّطه في هذه الفوضى- فقد كان اقدم عضو في الجناح العسكري للحركة.

وفي الواقع العملي كان هو الشخص الثاني، وشارك في مفاوضات السلام ووقع على الاتفاقية. وأعلم أنه هو الذي أغرى الكولونيل أبور ليقف نفس موقفه. رفضت أعمالهم، باعتبارها غير مؤسسة، وقلت: (انظروا أيها السادة، لا تحاولوا تضليلي. فأنت يا ماقوت، مثلتنا في مباحثات السلام. وهذا هو اسمك بين الموقعين. وإذا كان هناك أي شخص من بيننا يمكن أن نلومه، فهو أنت. بالنسبة لك أنت يا أيمانويل، فموقفك مسجل في الرسالة التي أعلنت فيها موافقتك وطلبت مني المضي قدماً في عملية السلام.) لقد قمت بتحذيرهم وإنذارهم بأن لا يهربوا من مسئولياتهم. ولذلك حمّلت ماقوت مسئولية تقصيره في أداء واجبه في المفاوضات، الذي أضطرني لإعادة مناقشة بعض بنود الاتفاقية والمخاطرة بسفري للخرطوم- أخبرته بأنه عليه أن يشكرني لا أن يلومني... وعندما حاولوا الاعتراض، توترت وأشتدّ غضبي، وسألتهم: (ما هذا؟ ماذا تحاولون أيها الدينكا أن تفعلوا معي ؟ أبيل ألير يشدني في اتجاه وأنتم تشدوني في اتجاه آخر... هل تريدون تحطيمي؟ سياسيوكم الآخرون يتجولون حول المنطقة، بعضهم يريد أن يصبح وزراء في الخـرطوم وآخرون يريدون أن يواصلوا الحرب؟ ماذا دهاكم يا أبناء هذه المجموعة الاثنية؟ كيف نفهمكم؟).

كان إيمانويل حزيناً وكرباً – فقد صدم بالحقائق التي عدّدتها، وبالفعل، فقد كان السياسيون الدينكا يشدَون حبل السياسة في كل مكان في اتجاهات متعارضة... أبيل ألير في الخرطوم وقوردون مورتات في كنشاسا، يدفعون الأوضاع في اتجاهات متناقضة ومتعاكسة... نظرت إليهما وذكرّت أيمانويل بقرفه واشمئزازه من قيام هؤلاء السياسيين بخلط الأوراق وتشويه الأهداف النبيلة ومن ثم تأييدي ودعمي لموقفه. وعند وصولي إلى هذه النقطة، بدأت أعصابي تهدأ قليلاً قليلاً... واتجهت لتغيير الموضوع، حيث قلت لهم:(أهنئكم الاثنين. فمن المفترض أن تكونا قد سمعتما الآن تعيينكما في القوات المسلحة السودانية برتبكما في قوات الأنيانيا وتكليفكما بعضوية اللجنة الفنية العسكرية- وأيضاً أخونا صمويل أبوجون كاباسى أعيد

استيعابه في الجيش السوداني برتبة كولونيل وعين في لجنة وقف إطلاق النار... عليكما تقديم أنفسكما في نمولي، حيث ستنتقل رئاسة قيادتنا العامة. وسيارتنا، تويوتا لاندكورزر، ستكون جاهزة لنقلكم إلى هناك في أي يوم، بدءاً من الغد- وسوف أبلغ اللواء فضل الله حماد، القائد المسئول عن القيادة الجنوبية، حتى يستقبلكم بطريقة مناسبة. وإذا كنتم لا تزالون ضباطي وزملائي المخلصين، كما اعتقد، فلن تكون هناك تعقيدات أخرى. وإذا كنتم خلاف ذلك وترغبون في الاستمرار في الحرب، فسأكون وقتها في الجانب الآخر- كان الحديث صعباً، لكني استطعت أن أعبّر عن ما أريد قوله بقوة ووضوح- وتفهموا أنني لا يمكن أن أتراجع- فقال الكولونيل أبور، تلميذي وضابطي المخلص، قال: (لم نقصد التمرد، فقط فكرنا في التعبير عن رأينا..) أجبته بقولي: (يمكن قبول التساؤلات والاستفسارات منك أنت ولكن لا يمكنني قبول مشاكل وتعقيدات من ماقوت، الذي قام بتمثيلنا في المفاوضات ووقع على الاتفاقية نيابة عن الانيانيا- ليس من حقه أن يلومني على ما فعل هو..) ثم التفت إلى زميله: (ماقوت، هل يصحّ ذلك؟) فظلّ صامتاً. وهنا طلب أبور بعض الوقت حتى يستعدوا للسفر. ووافقت.

تحرك الضابطان إلى نمولي، بينما أرسلت الرائد أليسون ماقايا في سيارتنا الأخرى إلى بيتر سريلو لتحريك قواتنا إلى رئاستنا الجديدة في نمولي- وعاد أليسون ليبلغني أن جنود دينكا بحر الغزال، تحت قيادة الرائد ألبينو اكول اكول، ترددوا وطلبوا حضوري شخصياً- وعندما أخبرت القائم بأعمال السفارة بذلك حزن كثيراً وحاول إرسال المعلومات للخرطوم- فقلت له لا تهتم، هؤلاء رجالي وأعرف كيف أتعامل معهم- وأضفت: (لقد جاءوا كلهم من بحر الغزال سيراً على الأقدام. ولن يخلقوا مشاكل الآن..) قررنا إرسال لوريين لترحيل معداتنا عبر يوغندا واتفقت مع ألبينو أكول لمقابلتي في كمبالا- وعند وصوله وجد أن أبور وماقوت قد سافروا إلى جوبا . كان مندهشاً. فسألني: (ماذا تريد أن تفعل معي وقد عفوت عن الضابط الذي أمرني بعدم تنفيذ أوامرك؟) وقف بعيداً وهو يضحك. فأجبته: (عفوت عنك

أنت أيضاً. لكن لا تخلق لي مشاكل مرة أخرى.) كان أكول شخصاً مرحاً ومعروفاً بسعة أفقه. وزملاؤه من القبائل الأخرى كانوا معجبون به وبنهجه في قيادتهم- وكنت أعلم إخلاصه. لكنهم أمروه ونفذ الأوامر. لذلك عفوت عنه وتناسيت كلية ما حدث في المعسكر.

بعد هذه المواجهة، أبلغني عمر بريدو بأن توصياتي الأخرى قد قبلت وصدرت توجيهات بتنفيذها. فتمَ تعيين أوليفر باتالي وأنجيلو فوقا في الخدمة الخارجية، الأول كقنصل والثاني سكرتيراً أول في السفارة في نيروبي وكمبالا. أما سفرينو فولي فقد عين مفوضاً للجنة إعادة توطين اللاجئين في شرق أفريقيا (مقرها كمبالا.) وحسب معلوماتي، سارت أوضاعهم بشكل جيد دون أي مشاكل حتى الآن.

*** إعادة النظر في سكننا :-**

لقد تحقق السلام بشرف، كما يبدو، ولكن بتكلفة ثقيلة تحمّلتها أسرتي- فبدأت أفكر في أهلي، في مساكن والدي وأسرتي. وتيقنت أن الوضع لن يكون كما كان في السابق- سأعود بدون والدي وأخي- فقد توفي الأول في يناير 1972، أثناء استعداداتنا لمحادثات السلام- وأخي سايمون قتل في معارك ديسمبر 1963، وعمي واني لو، المعروف بإسم (وسطو بنات) فقدناه أيضاً. فقتل هو الآخر في بدايات نشاط الانيانيا- وكان عليَ أن أوفق أوضاعي على ضوء هذه الحقائق، خلال استعدادي للرجوع إلى موطني الذي لن يعود كما كان مرة أخرى. الأسر والعائلات الأخرى أيضاً عانت من مآسي الحرب الأهلية ومشاكلها في عموم السودان وليس في الجنوب وحده- عليّ أن أتعلم كيف أتسامى على مراراتي وأحقادي وتناسي ما مضى وفات. وهنا مرة أخرى أستدعى كلمات الأب ساترنينو، خلال سفرنا من أبا إلى أرو في الكنغو، حيث قال لي: (الشموع التي أحترقت وضحّت من أجل الوطن هم أفضل أبنائه..) وعليّ أن أعزي نفسي بذكرى الأب، فهو، أيضاً، سقط في طريق نضالنا من أجل الحرية.

*** معسكرات اللاجئين في يوغندا :-**

قام الجنرال أمين بتسهيل رحلاتي لمراكز اللاجئين الجنوبيين في يوغندا. فوفر لي المواصلات وحتى طيارة الهيلوكبتر، للوصول إلى تلك المراكز- ومنحني أيضاً هدية شخصية، سيارة بيجو404 ، لأخذها معي للسودان- وبهذه التسهيلات قمت بزيارة معظم المعسكرات قبل أن أتوجه إلى السودان، بالطريق البرّي عبر نمولي- وفي قولو كان أبنائي يقاتلون من أجل الوصول إليَّ وسط حشود الناس الذين جاءوا لاستقبالي. ولكن بعد الاستقبال، قمت بزيارتهم في منزلهم بمصاحبة محافظ المنطقة، مستر بيتر أبي. ولقائي مع والدتي وبقية الأسرة، كان لقاءاً عاطفياً بمعنى الكلمة. فقد تجمعوا كلهم هناك للقائي. فتدفقت دموع الفرح وعشت معهم لحظات لا تنسى. وعند مغادرتنا، تركت البيجو وبعض المال مع أخي جون لمقابلة احتياجات الأسرة. وبعد ذلك تركت الأبناء لمواصلة تعليمهم في يوغندا وجمعت الأسرة هناك في قولو- ومنها عدت إلى داخل منطقة الاشولي، حيث استقبلوني هناك، مع فريقي، كضيوف لحكومة السودان.

لقد استقبلني الجنوبيون في يوغندا، وأيضاً السكان المحليون هناك، استقبالات حارة ومشجعة- فقد أكدوا لي دعمهم ومساندتهم للاتفاقية دون أي قيود واعتبروني قائدهم وزعيمهم- وكنت فخوراً بموقف شعبي ووطني (جنوب السودان) كما أفضل أن أسمية. والجنوبيون في داخل البلاد، كانوا ينتظرون قدومي هناك لتنظيم استقبالات أكبر وأوسع- وبدأت أعيد ترتيب وضعي وتوجهاتي، بالتحرك من موقفي الانفصالي إلى قبول الوحدة مع الشمال، الوحدة بين الشمال والجنوب، القائمة على المساواة، مساواة الطرفين، والحرية والعدل.

*** من كمبالا إلى جوبا :-**

مكثت حوالي أسبوع في يوغندا- وكنت أحاول السفر إلى جوبا بأسرع وقت ممكن، حتى التزم ببرنامجي مع الخرطوم- فحدّدت تاريخ السفر وطلبت من عمر بريدو أن يشاور الجنرال فضل الله حماد، ليقوم باستقبالي هناك. وتحركت مع الرائد

أليسون مقايا في الطريق الطويل إلى نمولي في سيارتين من السفارة- توقفنا مرتين، الأول في معسكر كتجم للاجئين، والثانية في قولو، حيث زرت أسرتي- ومن هناك توجهنا إلى نمولي. وفي أتياك (على بعد 25 كم من نمولي) وجدنا أنفسنا وسط جمهور غفير من أبناء شعبنا- وتعرفت على بعضهم أثناء تحركنا وسط تلك الجموع. وشعرت بأن معظم قبيلة المادي، التي نزحت من مواطنها بسبب الحرب، قد استوطن في تلك المنطقة. وتوقفنا أيضاً عند مركز تدريب ستياكويا في دكان بوليادورو دارو، أحد أقربائي- ومن هناك تحركنا إلى داخل الحدود، حيث كان ينتظرنا فريق متابعة ومراقبة- ومن ثم سار موكب السيارات ليمرّ بمدينتنا المدمَّرة، كرمز للتخريب والدمار الذي أحدثته الحرب الأهلية- وفي الطريق شاهدنا أكواماً من بيوت النمل، في المنطقة الممتدة من الكبرى إلى مركز التدريب، والمنطقة كانت مأهولة بالسكان من موتويو حتى المدرسة والكنيسة الكاثوليكية، إلى نقطة الشرطة، كل هذه المنطقة كانت مهجورة وبائسة، كل مبانيها تهدمت وإنعدمت فيها مظاهر الحياة الإنسانية. وعند وصولنا إلى نقطة الشرطة، في شمال دارنا السابقة، نظرت إلى منزلنا، فلم أرى سوى شجرتين. وقادتنا سيارة المقدمة إلى راى، موقع استراحة الري المصري في السابق، حيث رأيت طيارة هيلوكبتر في انتظارنا- ومن بعيد شاهدت الجنرال فضل الله حماد يقف بالقرب من الطيارة- فنزلت من السيارة وحييته بالطريقة السودانية الحميمة. وبعد تبادل السلام والتحايا مع طاقم الطيارة، نقلنا العفش من السيارة إلى داخل الهيلوكبتر، وشكرنا السواقين وودعناهم ليعودوا إلى كمبالا- وأقلعت الطيارة باتجاه جوبا، لكنها فجأة غيّرت طريقها إلى كمبالا، بسبب رداءة الطقس.

وفي الطريق كنت أمتع نفسي بالنظر في منطقتنا، في غاباتها وخضرة أريافها. وعند وصولنا إلى جوبا لم نجد من يستقبلنا، لأن وقت وصولنا لم يكن محدداً- كان المتوقع أن يتم استقبالنا في ميدان الحرية في اليوم التالي، حيث أخاطب الاحتفال

بحديث حول السلام والوحدة- وأخذنا إلى مبنى القيادة الجنوبية، حيث أقمت هناك، وأقام مقايا في ميز الضباط.

ظهرت مع الجنرال حماد في رئاسة القيادة صباح اليوم التالي. وأصبحنا معاً شركاء في القيادة الجنوبية الجديدة- وفي الظهر شاركنا في حفل الاستقبال الجماهيري، الذي نظمته السلطات الإقليمية في ميدان الحرية. فقدمني اللواء حماد، رافعاً يدي اليمنى مع يده اليسرى، بقوله: (هذا أبنكم الذي ظلّ يقاتل من أجل قضيتكم. نحمد الله ونشكره أن المشاكل التي كانت تفرقنا قد حلَت وانتهت وإننا عدنا موحدين مرة أخرى- الجنرال لاغو كان ضابطاً في وحدتي، عندما اخذ إجازة للاستعداد للسفر والدراسة في المملكة المتحدة. لم أعرف ما حدث له لأنه لم يرجع بعد انتهاء الإجازة، وفي وقت لاحق علمنا بالتحاقه بالحركة في الخارج. أرحب به مرة أخرى في بلده وموطنه- وأعتقد أنكم ترحبون به أيضاً. والآن لكم اللواء لاغو..) أخذت الميكرفون وبدأت أتحدث بعربي جوبا (يا ناس بتانا، أنا ياوو دي، يسلم أتا وايد وايد كلو) أي يا جماهير شعبي، أحيّ كل واحد منكم في هذا التجمع الكبير- ثم وأصلت حديثي (أنا سعيد أن أكون بينكم مرة أخرى. وكما تذكرون، فقد تركت البلاد قبل تسع سنوات ونصف. طلبني قادتنا السياسيون، الذين سبقوني في حركة النضال التحرري- طلبوا حضوري والانضمام إليهم للعمل من أجل قضية الجنوب. وكما تذكرون، هؤلاء السياسيين تركوا البلاد، عندما أجبروا على ذلك، بســبب سياسات نظام عــبود العسكري. هؤلاء القادة لا يمكنهم مواصلة العمل لتحقيق تطلعات الشعب بالطرق الديمقراطية، فالأوضاع تغيرت منذ ذلك الوقت بفضل رحمة الربّ وبركاته. لقد جاءت حكومة لبرالية في 25 مايو 1969- وبعد أسبوعين فقط طرحت بيان 9 يونيو لحلّ مشكلة الجنوب، حيث أكدت أن الجنوب يمثل منطقة متمايزة في إطار جمهورية السودان. الشعب هناك يختلف عن أخونه في الشمال ثقافياً وتاريخياً- وله الحق في الحكم الذاتي الإقليمي، لإدارة شئونه بنفسه والمحافظة على موروثاته المتمايزة- وبعد هذا البيان، شعرت بضرورة

الاستجابة لمبادرة الحكومة حول العملية السلمية، التي أعلم أنكم تدعمونها- وقادنا ذلك إلي عملية مفاوضات أدت إلي اتفاقية أديس أبابا. وعند وصولنا إلى أثيوبيا، حيث تمت مفاوضات السلام، وصلتني رسائل عديدة من أبناء شعبنا، كلها كانت تدفعني لتوقيع الاتفاقية بعد توقيعها الأولي بواسطة مندوبينا- فقبلت ووقعت، احتراماً لإرادة الشعب. ونتيجة ذلك تمثلت في إنهاء العداء والصراع. الاتفاقية تمنح الجنوب حكماً ذاتياً إقليمياً كاملاً، ودوراً في القوات المسلحة، نصف القوات المتواجدة في الإقليم الجنوبي ستكون من الجنوبيين- والقوات النظامية والمساعدة الأخرى ستكون كلها من الجنوبيين. واعتقد إن هذا الحكم الذاتي يقترب من صيغة الحكم الفيدرالي، التي كان يتحدث عنها الذين سبقونا في النضال. وموافقتكم ومساندتكم للاتفاق أكدته رسائلكم لي. ونتيجة لذلك وقعت الاتفاقية. ولذلك جئت إلى جوبا والآن اقف وسطكم. لنعمل معاً، كلنا، من أجل تنفيذ الاتفاقية. وأنا سعيد أن أجد أحد الزملاء السابقين، الصديق اللواء فضل الله حماد في جوبا كمسئول عن القيادة الجنوبية. إنني آمل أن أعمل معه في تعاون وانسجام وبدعمكم ومساندتكم..)

وبالإضافة إلى ذلك، طلبت من الجنوبيين العفو عن السودانيين الشماليين، بعد أن أعترفوا بالوضعية الخاصة والمتميزة للجنوب في إطار السودان الموحد، وقبلوا التعامل معه على هذا الأساس- وكانت أفكاري متأثرة بفلسفة الزعيم الكيني، جومو كنياتا- وانتهى الاحتفال في أفضل طقس أشاهده في جوبا. وأكد لي الجنرال حماد أن أخاطب التجار الشماليين في جوبا لأطمئنهم وأبعد مخاوفهم حول مستقبلهم. ولذلك اجتمعت بهم في صالة جوبا- وفي مخاطبتي لهم، استخدمت كلمات وأسلوب جومو كنياتا، فطلبت منهم البقاء في الجنوب للعمل معاً كإخوان من أجل بناء الجنوب، جنوب وطننا السودان، حتى يلحق بالشمال. واستقبل خطابي بشكل جيد. وقال اللواء حماد أن مخاطبتي العامة أفضل من مخاطبات السياسيين الذين تركتهم خلفي في زيارتي للبلاد- وأضاف أن إشارة جوزيف أدوهو للقوات المسلحة وقوات الأنيانيا، واتهامه لهذه القوات بتدمير البلاد، ودعوته لها بالعمل معاً من أجل البناء،

هذه الإشارة لم تكن مناسبة ولم يستقبلها الناس بروح طيبة. واستفدت من هذه الملاحظات في خطاباتي اللاحقة. واستفدت أكثر وأكثر أثناء عملي في القوات المسلحة والإدارة المدنية خلال الإحدى عشر عاماً التي عاشها السودان في أمن وسلام، مقارنة بالفترات السابقة واللاحقة.

*** جولة في ربوع الجنوب :-**

بعد أسبوع من وصولنا إلى جوبا، بدأنا زيارات للمراكز الرئيسية لقوات الأنيانيا وحاميات القوات المسلحة في الجنوب- بدأنا بمديرية الاستوائية ثم أعالي النيل وانتهاءاً ببحر الغزال. وكنت، مع زملائي الآخرين، نلبس الزيّ الموحد للقوات المسلحة بعد استكمال إجراءات الاستيعاب. وأخبرني الجنرال فضل الله بأن أقدميتي في القائمة العامة تأتي بعده مباشرة، مع أنه كان هناك جنرالين آخرين لم تؤكد رتبهما بعد. ولذلك كنت أقدم منهما، بحكم تعييني بكل امتيازات الرتبة. وكنت سعيداً بهذه المعلومات، لأنني كنت لا أزال أحترم اللواء حماد وطريقته في استقبالي والتعامل معي وأعتبره أعلي مني في الأقدمية.

كنا نقدم بعضنا في كل معسكر أو حامية. واستخدمنا في هذه الرحلات طيارتين هيلوكبتر، واحدة لنا والثانية للصحفيين والإعلاميين- وكان من بينهم صحفيون أجانب ومراقبون، بجانب الصحفيين المحليين- وأذكر منهم صحفياً أمريكاً، هزّه الاستقبال الذي وجدناه في رئاسة قوات الأنيانيا في وسط الاستوائية، فبكي من الفرح والإعجاب- فقد استقبلنا هناك بواحد وعشرين طلقة عند خروجنا، أنا وفضل الله، من الطيارة. ولاحظ الصحفي الأمريكي (هؤلاء لا يمكن أن يكونوا هم نفس الناس الذين خاضوا معارك ضارية ضد بعضهم حتى قبل أيام قليلة؟).

كثيرون بكوا من الفرح والإعجاب أثناء تجوالنا في المعسكرات والحاميات، لشرح الاتفاقية والتبشير بانتهاء الحرب وتحقيق السلام- وتحركنا وعملنا معاً كان أكبر دليل على ذلك. فقد كنا نحمل نفس الرتبة ونلبس نفس الزيّ الموحد للقوات

المسلحة ونقف معاً تحت حماية ضباط الأنيانيا والقوات المسلحة الذين كانوا يحاربون بعضهم قبل أيام قليلة.

في مديرية أعالي النيل بدأنا من بور، أكوبو، بيبور، الناصر، ثم ملكال- وأكبر استقبالاتنا كان في ملكال، عاصمة المديرية، حيث بدأت خدمتي في جنوب السودان، ومن هناك سافرت للإجازة وهربت إلى خارج السودان- وهذه الذكريات تركت في نفسي انطباعات خاصة عن تلك المدينة- فكلما أنظر في خلفيتي، أجد نفسي مديناً لأهل ملكال، وذلك لاستقبالهم الفخم والرائع. كانت الجموع تصطف من المطار حتى بيت الضيافة، أي لمسافة ميل ونصف الميل. ولذلك قطعنا هذه المسافة القصيرة في أكثر من ساعة. كان تحركنا بطيئاً وسط بحر من البشر، يصرخون ويهتفون (مرحب، مرحب لاغو) بلغة واحدة وصوت واحد. ويبدو أن صديقي حماد تفهم هذه الوضعية، فظلَّ يرفع يدي اليمني ويعرضني للجمهور المتزاحم. يا له من صديق عزيز- كان رجلاً معتدلاً وآسراً، لا يحب أن يلومنا الناس لما فعلنا في الفترة الماضية، طالما توحَّدنا ولبسنا زينا الموحد وحملنا نفس الرتب. كان جنتلمان بامتياز، وظلَّ رفيقاً وصديقاً وفياً طوال فترة خدمتنا في الجنوب.

بعد ملكال اتجهنا إلى بقية مراكز أعالي النيل، ثم إلى مديرية بحر الغزال، حيث نزلنا في مدينة واو، العاصمة- وصلنا هناك في وقت مناسب واتجهنا مباشرة إلى ميدان الحرية، حيث كان ينتظرنا استقبال جماهيري ضخم- وتلك كانت أول مرة أزور فيها واو- ومن هناك تحركنا لزيارة الحاميات والمعسكرات في المديرية. وفى كل مكان نحلّ فيه كان الناس يستقبلوننا بالفرح والترحيب الحار- ومن خلال التجربة استطعت تطوير وتحسين طريقتي في مخاطبة الجمهور.. كنت أتعلم من التجربة والخطأ وملاحظات الأصدقاء. وبدأت أقتنع بإمكانية استمرار الاتفاقية، رغم الإحباطات الناتجة من تصرفات البعض هنا وهناك- وفى هذه الزيارات ووجهت بحقيقة أن الناس في الجنوب يعتبرونني بطلهم وقائدهم. وفى مخاطباتي لهم عبَّرت

عن رضائي وقناعاتي بمسيرة السلام. ومع ذلك، ظللت أحتفظ ببعض المرارات، وظللت أنظر لنميري وأبيل ألير بغضب واحتقار- ويؤسفني أن أقول ذلك.

بعد ذلك رجعنا إلى جوبا عن طريق غرب الاستوائية. وبذلك ننهى رحلاتنا حول الجنوب. وفى هذه الزيارات ظلّ جمهور الشعب ينظر إلينا كأبطال وعظماء حققوا السلام. وفى ذلك الوقت كان أعضاء مجلس أبيل ألير التنفيذي العالي الانتقالي يتجمعون في الخرطوم، حيث تمّ تعيينهم في الوزارات والمكاتب. ومعظمهم كان لا يزال في مكاتب المديرية، التي حولت إلى مكاتب لنائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذي العالي الانتقالي.

*** مقابلة آمنة في جوبا :-**

في جوبا أخبرت قاما حسن بتوقع مجيء آمنة عبد الرحمن، التي قابلتها في استقبال الخرطوم، وقلت له أن يبلغني إذا جاءت وسألت عني، حسب اتفاقنا معاً في الخرطوم- وكنت قد طلبت منها محاولة الاتصال بي في مكاتب المديرية في منتصف أبريل، حيث أكون هناك حسب برنامجي- فجاءت بالفعل مع أختها الصغيرة، التوكا، ولحظها قاما حسن. فسألها إذا ما كانت تسأل عني. وفعلاً كانت هي. فنظم لقائي معها خارج المكاتب. وعندما التقينا، اتفقنا على مواصلة الاتصال. وبدأت علاقتنا تتطور- وكنت أفكر في الزواج للمرة الثانية، لأن الزواج الأول أنهكته سنوات النضال من أجل قضية الجنوب.

الفصل الحادي عشر

تطبيق اتفاقية أديس أبابا

* بدايات الحكم الذاتي الإقليمي :-

بدأ الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب رسمياً، بوصول مولانا أبيل ألير إلى جوبا لتوليّ رئاسة المجلس التنفيذ العالي الانتقالي PHEC، وكان وقتها نائباً فقط لرئيس الجمهورية. وحدث ذلك مباشرة بعد رحلتي الأولى حول مديريات الجنوب مع الجنرال فضل الله حماد في أبريل 1972. وبوصول مولانا أبيل، بوضعيته الجديدة، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ جنوب السودان، بتعميد الحكم الإقليمي هناك. ووصف حماد هذا التكليف بأنه تقدير عالي لنائب الرئيس. ولكنني لم أكن متحمساً لما حدث. والواقع أنني كنت حذراً وغير راضي، ولكن لا يمكن أن أرفض بشكل واضح- المهم، لم أنظر لهذا التطور كخطوة في طريق تنفيذ الاتفاقية. كنت في المطار مع الآخرين لاستقبال السيد النائب. وبعد وصوله بدأت عملية ترتيب الأوضاع بتكليفه رئيساً للمجلس التنفيذي وإعلان عودتي للقوات المسلحة. ولم أكن وحدي في موقفي من هذا التكليف. كان هناك كثيرون لم يكترثوا به. فخطاب التعيين نفسه لم يجد قبولاً شعبياً واسعاً وكذلك وسط دوائر السياسيين الجنوبيين، بل أحدث بلبلة في أوساطهم وأدي إلى انقسام وسط المرتبطين به في تنظيم جبهة الجنوب- وبرز ذلك في معارضة كلمنت أمبورو، رئيس التنظيم. فقد شعر أن حقه قد سُلب منه ومنح إلى من لا يستحقه. وسانده في موقفه هذا بعض أعضاء الجبهة، بينما وقف المصلحيون مع أبيل ألير- ومعظم الجنوبيين كان يشعر بالاختلال الجاري. كانوا يقولون، إذا لم يكلف رئيس الحركة بتولي هذا الموقع، كان من الواجب مشاركته في اختيار الشخص المناسب، على الأقل- وإجراء التعيين دون هذه المشاركة، أو حتى الاستشارة، من قبل قائد شمالي (رئيس الجمهورية) كان مثار جدل واهتمام. وكان إشارة مبكرة لتدخلات شمالية لاحقة في شئون الحكم الذاتي المفترض لجنوب السودان ولبدايات عملية تمزيق اتفاقية أديس أبابا. ولذلك لم

يكن مستغرباً أن لا تسير تطورات الأوضاع كما كان يتوقع غالبية الجنوبيين- ولإسكات الأصوات المعارضة، لجأت الجهات المعنية إلى سياسة Akum thok. أي ملء الخشوم كما يعبّر الدينكا بلغتهم عن سياسة الرشوة وشراء الذمم- وكلمنت أمبورو كان في مقدمة هذه الأصوات، التي يجب إسكاتها. ولذلك تم تعيينه رئيساً لصندوق إعادة الأعمار والتوطين. وخليفة وليم دينق، صمويل أرو بول، في قيادة حزب سانو، كان أيضاً أحد قادة المعارضة المطلوب إسكاتهم. فعين وزيراً إقليمياً للإدارة والشرطة والسجون (ولم أكن متحمساً لذلك.) ولكنه حرم من موقع نائب رئيس المجلس الانتقالي. وهناك أيضاً شخص آخر، كان ألير يخاف تركه خارج تلك التعيينات، هو أزاكيل ماكوي كودي، أحد الذين نجوا من حادثة تحطم الطيارة السودانية في 1971/12/6- فعيَّنه محافظاً لمديرية بحر الغزال، المركز الرئيسي لحزب سانو، جناح وليم دينق، بدلاً من د.توبى مادوت، الذي عُين وزيراً إقليمياً للصحة.

هذه التعيينات ساعدت في تهدئة الأوضاع وإسكات الأصوات الرئيسية في المعارضة. ولكنها أيضاً سلَّحت هذه الأصوات بأدوات هامة لمواصلة العمل السرّي لضرب قيادة ألير من تحت أقدامها- فهؤلاء لم يسجنوا أنفسهم بين جدران المكاتب، بل بدأوا في إرسال صدمات لرئيسه في الشمال. بدأوا في تعبئة الرأي العام حول شعار الديمقراطية لتمكين الجنوبيين من اختيار قياداتهم بأنفسهم. ويمثل ذلك ضربة موجعة لأبيل ألير ورئيسه جعفر نميري- فمحاولاتهم لشراء الأصوات المعارضة لم تنجح. ولذلك لجؤا إلى تكتيكات أخري- فقاموا بتجميد صندوق إعادة الأعمار والتوطين قبل أن يقف على قدميه. وذلك بهدف الخلاص من كلمنت أمبورو- وكذلك أبعد صمويل أرو في تعديل وزاري مبكر- وهكذا وجد أمبورو نفسه منبوذاً من تنظيمه ومجموعته التي كان يقودها. ولذلك بدأ يلجأ إلى خصومه السابقين، وظلّ يسب ويلعن أبيل ألير في كل مكان، واتهامه بالقرصنة والاستيلاء على جبهة الجنوب بالقوة والسلطة. وكنت أشاركه في اتهاماته هذه، لأن أبيل ألير قام أيضاً

بوضع يده على ما كنت أشعر أنه حق طبيعي بالنسبة لي بعد اتفاقية أديس أبابا- فاستولي على موقع نائب رئيس الجمهورية، رغم أني ظللت صامتاً- وهكذا بدأت مناورات نميري وألير تصبح عاملاً مشتركاً لتوحيد جماعتي مع جماعات المعارضة الأخرى.

لقد بدأت أتفهم حقيقة الأوضاع السياسية في البلاد، عندما عينت عضواً في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي السوداني. وهذا الاتحاد لم يكن حزباً سياسياً، لأنه لا مكان للأحزاب السياسية في تفكير ثورة 25 مايو، بل هو تنظيم أو حركة، كما يقول منظوره- وهو يضمُ ويجمع تيارات سياسية متعددة ومتنوعة. والذين أحبطوا من ممارساته، لأي سبب من الأسباب، كانوا يعلنون موقفهم بصوت عالي ويقولون ass-as-you أي حشاشون- وكنت أجد متعة كبيرة في الاستماع إلى مثل هذه التعبيرات اللاذعة. وبذلك يتضح أن الاتحاد الاشتراكي، كان يجمع معاً التكوينات السودانية المختلفة، وذلك بحكم اتساعه كتنظيم فضفاض ولقدرته في الاتصال مع الجماهير حتى في الأرياف البعيدة، أكثر من الأحزاب السياسية. وهكذا بدأت أتقبله كتنظيم سياسي مناسب لأوضاعنا، رغم مراراتي مع نميري وأبيل ألير- وبحكم شعوري بضرورة لعب دور أكثر من مجرد جنرال في القوات المسلحة، بدأت أبحث عن حلفاء وأصدقاء سياسيين. ووجدت ذلك في المجموعات المشاكسة والمتمردة، التي ظهرت في معارضتها لتوليّ ألير منصب رئيس المجلس الانتقالي.

لقد جاء تفكك المجموعات السياسية الجنوبية وفقدانها لوحدتها وانسجامها واتساع الخصومات والصراعات في أوساطها، جاء كل ذلك مع تعيين أبيل ألير، غير المتوقع، في رئاسة المجلس الانتقالي، إضافة إلى موقع نائب رئيس الجمهورية- فعدد كبير من المؤيدين للاتفاقية، باستثناء جناح أبيل ألير في جبهة الجنوب، أصيبوا بالصدمة والإحباط عند سماعهم تعيينه في ذلك الموقع- وبدءوا يتشككون في صدق وإخلاص نميري. إذ بدأ لهم كأنه قد التقط ألير من بينهم بهدف تنفيذ خططه الخاصة في الجنوب- ولكن هذا التكتيك، سئ الحظ، لم يحقق أياً من

أهدافه، بل أدي فقط إلى إبعاد دعم ومساندة مجموعة كبيرة من الوطنيين الجنوبيين، الذين بدأوا في اتهام أبيل ألير كأداة شمالية طيّعة أخرى. وبعض المراقبين الآخرين بدءوا يتشككون في بقاء واستمر اتفاقية السلام نفسها- وذلك لأنها أصبحت اتفاقاً بين شخصين فقط، نميري وألير- وبعض التقارير أشارت إلى أن الصادق المهدي قد وصفها بأنها (مجرد برتكول لإيقاف إطلاق النار..) ووصفه هذا تأكدت صحته في التطورات اللاحقة.

أدت تحركات كلمنت أمبورو إلى انشغال أبيل ألير بمتابعتها وانزعاج نميري وخوفه من تأثيراتها- ولكن كان هناك شخص أخر، يخافان أيضاً من تحركاته، ربما بشكل اكبر وأخطر- ومن جانبي كنت أتمهل في دراسة تطورات الأوضاع واستكمال استعداداتي لمعاركي السياسية في السنوات اللاحقة- إذ لم يكن هناك أي مبرر لرفع صوتي دون أرجل وأسنان، أتحرك وأعضّ بها- كما لم يكن مرغوباً أن أنطح رأسي بجدار هذين الرجلين، الذين أسسا وجودهما في السلطة.. عليّ أن أحدّد سرعتي بضوء حساباتي، تماماً كبطل سباق الضاحية، وأترك الآخرين لدفع الرياح تجاهي. وهذا هو ما كان يفعله كلمنت وصمويل أرو. لذلك ظللت متمسكاً باتفاقية السلام وبالوقوف مع مؤيديها في الشمال والجنوب على السواء- وبينما كنت أجاهد لمواصلة واستدامة توازني، الذي دفعني لأن أطلب من كانون بيرقس ليلقي صلاتي المفضلة (The Second Collect) من أجل السلام، كنت أعمل للاستمرار في ذلك التوجه وأن لا اخضع لمناورات وخدع نميري وأبيل ألير- وقلت لنفسي: (سيأتي وقت أستطيع فيه أن أنقلب عليهم واضربهم ضربة قاضية.).

وهناك أيضاً جهاد أخر، جهاد ونضال في مواجهة نقاط ضعفي كإنسان، كالغرور والطموح غير المشروع والكراهية وغيرها- فصمّمت على مقاومة تلك الروح الشيطانية في محاولاتها لدفعي في هذا الاتجاه. ولذلك كنت قادراً على القيام بدور متواضع في تلك الفترة. وهناك عدة عوامل ساعدت في ذلك، منها:-

1- كنت أري نفسي باعتباري القائد الذي كانت إنجازاته مركز اهتمام واسع في السودان وخارجه.

2- بعض الناس ظلوا يثيرون مشاكل عديدة لنميري وأبيل ألير.

3- كنت أدرس تطور الأوضاع وتحديد الحلفاء المحتملين في المستقبل القريب.

4- أصبحت راضياً بدوري في القوات المسلحة، على الأقل مرحلياً، كما كنت ملزماً بالتأكد من استيعاب قوات الأنيانيا في الخدمة العسكرية قبل دخولي في العمل السياسي.

5- لم أكن أريد أن أواجه إحباطات وأزمات إضافية من قبل العائدين المستائين في الأيام الأولى لإعادة التأهيل والتوطين بصعوباتها ومشاكلها العديدة.

6- كنت أريد أن أقدم لزملائي الجنوبيين نموذجاً جديداً في التضحية والإيثار بعيداً عن الأنانية وحبّ النفس.

*** خطوات في تطبيق الاتفاقية :-**

الخطوة الثانية في تنفيذ الاتفاقية كانت إعلان أسماء أعضاء المجلس التنفيذي العالي الانتقالي للإقليم الجنوبي وبداية نشاط الحكومة الإقليمية من جوبا، كعاصمة للإقليم- وفى ذلك الوقت كان يشار إلى أعضاء المجلس كمفوّضين والى رئيسهم كمفوّض رئيسي. ولا أدري من أين جاءت هذه المصطلحات؟ ففي الاتفاقية يشار إليهم كأعضاء في المجلس ورئيسهم كرئيس للمجلس- المهم، هذه المصطلحات لم تكن معروفة أو حتى مفهومة. ومرة أخرى كان مادينق دي قرنق، الذي تصدّى لهذه المشكلة. فقد أشار إلى أن المصطلحات لا تحمل المعني المناسب للموقع، وإنما تستهدف، كما يبدو، تقليل أهمية الحكومة الإقليمية- واقترح أن يخاطب الأعضاء كوزراء. ووافق نميري علي الاقتراح، فوضع لقب(وزير) قبل كلمة (إقليمي) ليقرأ (الوزراء الإقليميون) وبذلك أصبحت التسمية متوافقة مع التركيب الجديد، أي

(رئيس المجلس التنفيذي العالي الانتقالي والوزراء الإقليميين.) ومن ثم، اصبح يشار إلى الرئيس بـــ (رئيس الجمهورية) لتمييزه عن رئيس المجلس التنفيذي العالي. وهكذا، فإن إكتساب لقب (وزير) لوصف موقع أعضاء ذلك المجلس يرجع حقيقة إلى مادينق الذي تصدي بشجاعة للمشكلة- ومن ناحية مبدئية، كان هؤلاء يتلقون نفس مرتب الوزير المركزي، ورئيس المجلس كان في وضعية رئيس الوزراء في الحكومة المركزية- وفى وقت لاحق، زيدت مرتبات الوزراء المركزيين، بينما ظلت مرتبات الإقليميين كما كانت- وعدلت مرتبات وزراء الدولة المركزيين لتصبح في مستوي مرتبات الوزراء الإقليميين- واستمر الحال كذلك حتى إلغاء قانون الحكم الذاتي الإقليمي في يونيو 1983- وأعضاء المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي كانوا في درجة أعلي من الوزراء وكذلك مرتباتهم وامتيازاتهم، وكان من بينهم عدد قليل من مؤسسة الإقليم الجنوبي- وهذه الوضعية كانت ملائمة لمعظم الجنوبيين، لأنها تعمل على تقييد حركة (الانفصاليين) وإضعافها، بما فيهم شخصي الضعيف- ولذلك بدأت أنظر لنميري كرمز وطني، بعيداً عن مراراتي الشخصية. وكنت أنظر لهذا النظام المتميز في ذلك الوقت، كنظام كونفيدرالي بين الشمال والجنوب، تحت رئاسة واحدة، واعتباره بديلاً مناسباً للنظام التنزاني، الذي كنت أفضله.

*** بداية عدم الانسجام :-**

على أي حال، أدت زيادة مرتبات الوزراء المركزيين، الذين لم يكونوا في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي، بقدر أكبر من مرتبات نظرائهم في الحكومة الإقليمية، أدي ذلك إلى سخط وعدم ارتياح في الجنوب- فقد نظر إليه باعتباره توجهاً لإضعاف وضعية الحكومة الإقليمية. وإثر ذلك، بدأت تسمع أصوات السخط والتذمر وسط أعضاء المجلس- ولكنها صمتت وتلاشت في وقت وجيز. ويبدو أنها لم تتعلم من دروس أول خلاف حول مشكلة مماثلة في منتصف الأربعينات. فالبعض لا يزال يتذكر كيف قامت مجموعة محدودة من الكتبة، ومن بينهم كلمنت

أمبورو، في مؤتمر جوبا 1947، بدفع الجنوب للارتباط بالشمال، فقط بهدف إغراء المساواة في الأجور والمرتبات. ولذلك، فإن الخلاف حول المساواة في الأجور وتحويله إلى معركة، لن يجد أي دعم ومساندة من الجنوبيين- فقبل كل شئ، كان هناك جنوبيون في الحكومة المركزية يتلقون مرتبات مساوية لمرتبات نظرائهم الشماليين. ويبدو أنه لا مفرَّ من درجة من عدم المساواة بين الحكومة المركزية ومؤسسات الحكم الإقليمي، سواء في المرتبات أو في الوضعية العامة. وكان يمكن تحاشي ظهور مثل هذه المشكلة، إذا ما استندت الإجراءات على الحقوق منذ البداية- فقد لاحظ اللواء فضل الله حماد، كضابط محترف، ظهور الممارسات غير النظامية في أداء بعض الوزارات بعد تكوين الحكومة الإقليمية وبداية ممارستها لصلاحياتها، حيث قال لي: (يجب أن تكون مع هؤلاء الناس في المجلس الانتقالي حتى تطرح لهم نموذجاً في الانضباط والالتزام بالقوانين واللوائح الحكومية.. إنهم يفتقدون ذلك كلية-) وكان لا يعلم أنني رفضت عرضاً مماثلاً من الرئيس نميري، لأنني لم أقبل أن يكون أبيل ألير رئيساً لي- ولكن حتى في تلك اللحظات لم أكشف له حقيقة موقفي. وذلك لأنني لاحظت أن معظم الشماليين في ذلك الوقت، كانوا يعتبرون أبيل ألير شخصية فوق الشبهات والجنوبي الوحيد الذي يستطيع حماية مصالحهم- فقلت له أنني لم أكن راغباً في دخول المجلس في ذلك الوقت. وكنت اعتبر خدمتي معه في القوات المسلحة أكثر أهمية. وهكذا كنت مستمراً في إخفاء مشاعري وموقفي الحقيقي.

*** ضعف وارتباك :-**

كان في برنامجي أن أعود إلى يوغندا وكينيا لاستكمال جولاتي في معسكــرات اللاجئين لتشجيع المتردّدين منهم للعودة إلى أهلهم- كان الجنرال فضل الله يشجعني على السفر ويعتقد في أهمية ما سأقوم به- المهم، وصلت الطيارة الرئاسية إلى جوبا لتأخذني إلى عنتبي. ولم أكن على علم بما كان يجري بين الخرطوم وجوبا- ولذلك أندهشت عندما وصل إلى جوبا في نفس الطيارة لورانس

وول، عضو المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي ووزير التخطيط، قادماً من الخرطوم- ولحق به وزيران إقليميان، هما: مادينق دى قرنق، الوزير الإقليمي للثقافة والإعلام، وميكائيل وال دواني، الوزير الإقليمي لشئون المجلس الانتقالي- سافروا جميعهم معي إلى عنتبي، حيث كان المتوقع أن أصل وحدي. والناس هناك يعرفونني كزعيم سياسي وعسكري جنوبي بارز- ونتيجة لذلك، كان في استقبالي في المطار كل من وانيوم كبيدى، وزير خارجية يوغندا، وعمر بريدو، القائم بأعمال سفارة السودان هناك، بينما لم يجد الوزراء أي اهتمام يذكر، بل عوملوا كجزء من وفدي- ووجدت أيضاً تركيزاً من الإعلاميين وكاميرات التلفزيون في المطار. ومن هناك أخذوني لبيت الضيافة، حيث كان ينتظرني الرئيس عيدى أمين لمقابلتي- ومنذ تحركنا من المطار، شعرت بمظاهر الانزعاج وعدم الارتياح في وجوه السادة الوزراء. فحشروا أنفسهم معي في سيارة السفارة، ربما لأنها ترفع علم السودان، وتركوا السيارات الأخرى بدون ركاب- وبعد لقاء الرئيس نقلت إلى منزل السفير، بينما نقل الوزراء إلى الفندق.

وفي المساء كانت أخبار الإذاعة والتلفزيون مربكة ومزعجة- فقد ذكرت أن الجنرال جوزيف لاغو قد وصل إلى مطار عنتبي هذا الصباح في طيارة خاصة، وذلك في مهمة رسمية في يوغندا ويرافقه وفد وزاري. وحقيقة الأمر أن رئيس الوفد هو د.لورانس وول. فشعرت بقلق وانزعاج شديدين نتيجة لهذا الارتباك- وفى وقت لاحق علمت أن لورانس أخبر كبيدى بأنه هو رئيس الوفد وليس جوزيف لاغو. وقام الوزير اليوغندى بتصحيح الخبر لأجهزة الإعلام، بعد مغادرتنا لبيت الضيافة- وبعد ذلك قامت هذه الأجهزة بمحاولة إصلاح الوضع، لكن محاولتها أدت إلى المزيد من الإرباك- فالمستمعون والمشاهدون للإذاعة والتلفزيون لم يستطيعوا معرفة رئيس الوفد أو الزائر الرئيسي- ولذلك تحوّلت المسألة إلى موضوع مناقشة عامة في الشارع اليوغندى. ونتيجة لذلك ازداد قلقي وانزعاجي. فقلت للقائم بالأعمال بأنني لن أستمر مع الوفد، إذا وصفت في أجهزة الإعلام بأنني مجرد

مرافق لهؤلاء الوزراء. وأوضحت له سوء التنظيم والترتيب وعدم الانضباط الذي صاحب هذه الزيارة. وقلت له بإصرار أنه كان الواجب توضيح المسألة منذ البداية وتحديد المسئولية. ولو كنت أعلم أن هؤلاء الوزراء هم المسئولون عن الزيارة، لحّددت منذ البداية موقفي: هل أحضر معهم أم لا؟ فأكد لي عمر بريدو أنهم أبلغوا بحضوري وحدي، ولذلك استعدوا لاستقبالي، وأنه كان يفترض أن الآخرين قد جاءوا لأسباب خاصة. ومع كل ذلك، طلبت منه إبلاغ الخرطوم بالربكة التي حدثت في الزيارة وما سببه لي ذلك من إحباط وإزعاج. منذ تلك اللحظة لم أعد أهتمُّ بهم أو بلقائهم حتى، وفى وقت لاحق علمت أن الجميع كان غاضباً وساخطاً على سلوك لورانس خلال تلك الزيارة وأنه لا أحد في السودان يدافع عنه. فقد كنت حتى ذلك الوقت مسئولاً عنهم وموقعي في الجهاز التنفيذي يأتي بعد نائب رئيس الجمهورية في المجلس الانتقالي. وكنت أحمل جواز سفر دبلوماسي، كعضو في ذلك المجلس. ولم أكن مجرد جنرال في القوات المسلحة وأقلَّ منهم في الرتبة والموقع.

بعد إكمال مهمتي في يوغندا، تحركت إلى نيروبي لمقابلة تجمعات الجنوبيين هناك، وأيضاً بعض الأصدقاء الآخرين. ولكن الجنرال أمين كان يشك في أني ذاهب إلى هناك لمقابلة الإسرائيليين. وعندما حاول إقناعي بالعدول عن ذلك، أخبرته أن هذه الرحلة مرتبطة ببرنامج حدَّدته منذ فترة وأن الجنوبيين في كينيا يتوقعون حضوري هناك- وبذلك تحركت إلى نيروبي. ولكن شكوك الجنرال كان لها ما يبررها. فقد كنت فعلاً أفكر في مقابلة الإسرائيليين عن طريق سفارتهم في كينيا- وذلك لشكرهم علي مساعداتهم وإنهاء علاقتي معهم بطريقة وديّة تفتح الطريق لأي تعاون معهم في المستقبل. وأيضا لمنعهم من القيام بدعم أي مجموعات جنوبية أخرى معارضة للاتفاقية- ففي أديس أبابا لاحظت أنهم كانوا يتوقعون عدم قيامي بتوقيع الاتفاقية. ونتيجة لذلك كان من الضروري أن اشرح لهم الصعوبات التي ستبرز بعد إبعادهم من يوغندا، بموقعها ودورها في ربطنا بالخارج عموماً. إذ كان واضحاً لي، وقتها، أن حركتنا سوف تتأثر كثيراً بإبعادهم

من هناك- وبالفعل كان هذا أحد الأسباب الأساسية التي دفعتني للدخول في مفاوضات السلام- كنت أريد أن اشرح لهم هذه الظروف بشكل واضح، حتى يتفهموا الأحوال في حقيقتها- وكان ذلك، في الواقع، هو السبب الرئيسي في تحركي إلى كينيا- وبالطبع لايمكن أن اكشف ذلك للمسؤولين في الخرطوم، ولذلك كان الهدف الظاهري للرحلة هو زيارة معسكرات اللاجئين في كينيا وتشجيعهم للعودة إلى بلادهم- المهم، كانت الخطوط الجوية لشرق أفريقيا تقوم برحلات يومية بين عنتبي ونيروبي. وخوفاً من خلق مشاكل إضافية، تركت الطيارة الخاصة، وسافرت عن طريق طيران شرق أفريقيا- وعند وصولي مطار نيروبي، وجدت زيارتي اهتماماً إعلامياً واسعاً، كما حدث في يوغندا- والحكومة الكينية كانت علي استعداد لتوفير كل التسهيلات الضرورية لزيارة معسكرات الجنوبيين، لو كانت هناك معسكرات فعلاً- ولكن أعداد الجنوبيين هناك كانت محدودة ومحصورة في مدينة نيروبي فقط، حيث قمت بمقابلتهم خلال أيام قليلة.

لقد كان تقديراً سليماً، عندما تركت الطيارة الخاصة في يوغندا وسافرت إلى نيروبي عن طريق خطوط شرق أفريقيا- فقد ظهر كلمنت أمبورو في السفارة السودانية هناك. وفى ذلك الوقت لم أكن أعرف موقعه الجديد في مؤسسات الدولة أو أسباب مجيئه لنيروبي. ولكن أوليفر ألبينو أبلغني بأنه يقول أن المهام التي أقوم بها تمثل جزءاً من مسئولياته. وكان ذلك أمراً مربكاً ومحيراً- فقد كان حضوري هناك بطلب من اللاجئين أنفسهم وبمساندة وتشجيع من حكومة السودان، بصفتي المسئول الذي وقع الاتفاقية نيابة عن هؤلاء الناس- فساءلت نفسي: (إذا كان كلمنت أمبورو قادراً على القيام بهذه المهام، فلماذا طلب مني السفر منذ البداية؟) وهنا شعرت بالامتعاض والقرف من سلوك السياسيين الجنوبيين، وقررت عدم الاستمرار في مواصلة الرحلة-. كنت أرثي حال هؤلاء السياسيين وأشفق عليهم. فقد بدأوا يفكرون في أن زمان التعب والشقاء قد انتهي وجاء زمان السلب والنهب

والصراع حول مواقع القوة والامتيازات- وبدأت أفقد احترامي وتقديري لهم، بل بدأت احتقرهم وأزدريهم.

أنهيت زيارتي باجتماعات سرّية مع الإسرائيليين (هدفي الرئيسي من هذه الرحلة.) بعضهم كان من كبار المسئولين الذين قابلتهم في إسرائيل وكمبالا، وأخر كان قد تحرك مع الجنرال عيدي أمين لمقابلتي في أووينى-كي-بول. ومعظمهم جاء من إسرائيل لحضور هذه الاجتماعات. والإسرائيليون مغرمون باستخدام الأسماء السرّية. فكل الذين جاءوا للعمل معنا كانوا يستخدمون أسماء سرّية. وعلى أي حال، كانت مناقشاتنا في تلك الاجتماعات صريحة وواضحة. فقد كان الإسرائيليون مفتوحين معي- وضحوا لي أنهم لم يستفيدوا من دعمهم لقضية جنوب السودان. وكانوا في الفترة السابقة يقولون إنهم يقومون بمساعدتنا للوصول إلى تسوية عادلة ومشرفة مع الشمال، حتى نعيش كشعب حرّ في وطننا. وكنت وقتها أعتقد أنهم يتحركون في دعمنا لاعتبارات إنسانية مرتبطة بتجربتهم الخاصة- ومع كل ذلك، عبّرت لهم عن تقديري لدعمهم ومساعداتهم، المرتبطة بدوافع إنسانية كما فهمتها آنذاك، وأكدت لهم أنهم قد كسبوا أصدقاء ثابتين وسط الجنوبيين السودانيين، وأن دعمهم لنا يمثل استثماراً وأصولاً غالية يمكن الاستفادة منها في أي وقت في المستقبل- وأكدت لهم أن الجنوبيين سيظلون يذكرونهم باستمرار- وأشرت إلى أن النواب الجنوبيين في البرلمان السوداني الأول وقفوا ضد قانون (مقاطعة دولة إسرائيل.) وأكدت لهم أيضاً أن الجنوبيين يتفهمون قضيتهم وأننا قمنا بمناصرتهم حتى قبل مساعداتهم الأخيرة. وقلت أن مساعداتهم العسكرية لم تكن في مستوي المساعدات التي وصلت أعداءنا من الاتحاد السوفيتي وغيره. وفى ظلّ هذه الظروف، شعرت بضرورة إيقاف الحرب وإعطاء شعبنا فرصة للسلام والاستقرار- والأصدقاء الإسرائيليون كانوا يعرفون عدم كفاية مساعداتهم- وأضفت أنهم لم يقدروا إمكانياتنا القتالية بشكل جيد- وعبّرت عن أسفي عن التدهور المتسارع في علاقاتهم مع الرئيس اليوغندى، الذي أبعدهم عن بلاده.

وأكدت أن ذلك قد أدى إلى إضعافنا بشكل كبير، الأمر الذي دفعنا للاستجابة لمبادرة الخرطوم للسلام- وهم أيضاً أبدوا أسفهم لذلك التدهور في العلاقات مع يوغندا وأكدوا أنه لم يكن بإمكانهم معالجته- وقالوا أن عيدي أمين كان يطلب المستحيل من حكومتهم (كان يريد استدراجهم لتوريطهم في صراعه مع تنزانيا، بهدف هزيمتها والاستيلاء على ميناء تانقا واستخدامها كمنفذ لبلاده البعيدة عن البحر- وهو طلب لا نستطيع الوفاء به) كما قال أحدهم.

وبعد ذلك تقدمت لهم بطلب غريب، قلت: (هل لي أن أتحدث مع الجنرال أمين لتخفيف موقفه المتشدّد تجاهكم والقيام بتحسين علاقاته معكم؟ ..) هنا نسيت نفسي، وافترضت أنني يمكن أن أقوم بدور أكبر من ما أستطيعه فعلاً في تلك الظروف. فاستغرب أحدهم بقوله: (ماذا؟ أنت، جوزيف لاغو، تتوسط بين دولة إسرائيل ويوغندا؟) أجبته بقولي: (قلت إذا استطعت.) فنظروا إلى بعضهم نظرات تعبّر عن الشك والاستغراب- وقالوا إنهم يشكون في قيامي بأي دور في علاقاتهم مع الجنرال، وتشككوا في قبول حكومتي لمثل هذه المبادرة، بحكم عدم وضوح وضعي في بلادي وموقف حكومة السـودان المعادي لهـم- واتفقت معهم بأنني لا يمكن أن أقوم بذلك وتحققت من أنني قد نسيت نفسي وتعقيدات وضعي ودخلت في أحلام لا علاقة لها بالواقع- ومع كل ذلك، أبديت أمنياتي بتحسن علاقات الطرفين في وقت سريع. وختمنا اجتماعاتنا بأمنيات لاستمرار التعاون بيننا وبمستقبل أفضل لجنوب السودان وإسرائيل. وافترقنا كأصدقاء، وشعرت بأنني أوصلتهم رسالة هامة. فودعتهم كأصدقاء. وكان فراقنا بشكل نهائي صعباً على الطرفين. وبعد ذلك تحركت إلى كمبالا.

*** العودة إلى كمبالا :-**

في عودتي ليوغندا، وجدت أن الرئيس أمين كان يريد مقابلتي بشكل عاجل. فذهبت إليه وشرحت له لقاءاتي مع الجنوبيين في كينيا والمساعدات الأخوية التي وجدتها من الحكومة الكينية. ولكني شعرت أنه يريد أن يسمع أكثر وخاصة عن

اتصالاتي مع الإسرائيليين، التي كان يتوقعها حسبما ورد في مكان سابق من هذه المذكرات. فدخلت مباشرة في الموضوع. وقلت له: (لقد قابلت أصدقاءنا السابقين) وذلك لمعرفته أنهم لم يعودوا أصدقاء- ومن خلال ذلك طلبت منه تخفيف موقفه المتشدّد تجاههم، ونصحته بأن لا يخلق عداوة مع هؤلاء الناس. ومرة أخرى افترضت إمكانية الحديث بتلك الطريقة مع رئيس دولة- وكان ردّه سريعاً وعنيفاً، حيث انفجر في وجهي قائلاً: (أبعدني من هؤلاء اليهود، لن أتعامل معهم مرة أخرى.) وتعبيرات وجهه كانت تعكس صدق كلماته- ولذلك تراجعت عن حديثي وحاولت تغيير الموضوع.

بعد أيام قليلة، أخبرني عمر بريدو أن الفونسو مالك أشار إلى أنه كان في نيروبي ويدّعي أنه قد رآني أتردد على السفارة الإسرائيلية هناك. وأضاف أن الفونسو لاحظ أن سلوكي كضابط كبير كان غير لائق، لأن السودان عضو في الجامعة العربية ويشارك رسمياً في مقاطعة دولة إسرائيل- ولم أشك في ما قاله عمر، وأعرف من هو الفونسو، الذي كان يدّعي أنه لاجئ سياسي في ذلك الوقت ويقود حزباً تحت اسم (الاتحاد السوداني الإفريقي للمقاتلين من أجل الحرية.) وقد تكون وشايته تلك، بهدف الحصول على بعض الأموال من السفارة- فاتصالاتي بالإسرائيليين في نيروبي كانت في غاية السرّية ولم يحدث أن ذهبت إلى مبنى سفاراتهم، بسبب قناعتي بخضوعها لمراقبة شديدة- ولذلك قلت للقائم بالأعمال أن ما قاله الفونسو كذب وتلفيق. فقال لي إنهم يعرفونه، وإنه يفبرك التقارير للكسب والارتزاق، وأنه متورط في الصراع الجاري بين الكباكا، رئيس يوغندا في ذلك الوقت، ودكتور أبوتي، رئيس وزرائه، الذي أدي إلى إبعاد الأول من الحكم وتسفيره إلى الخارج- وأضاف أن بعض المراقبين اليوغنديين يصفونه بأنه (سياسي جشع) يعمل لاغتنام أي فرصة لتوسيع مكاسبه الشخصية. وهذا السلوك أدي إلى مضاعفة سخطي واحتقاري للسياسيين. لقد كنت مندهشاً لممارسات بعض زملائنا الدينكا، لأنهم كانوا، كما يبدو لي، يختلفون عن أعضاء القبائل الأخرى.

فأبيل ألير ود.لورانس وول في الخرطوم يتظاهرون بأنهم مخلصون للحكومة، بينما ينتهج قوردون مورتات نهجاً انفصالياً في الخارج- وهناك أيضاً الفونسو مالك الذي يجري هنا وهناك ويلهث ككلب جائع ومسعور- وهذا الوضع ذكرني بحواري ومناقشتي مع الكولونيلات أبور وماقوت قبل فترة قصيرة- وساءلت نفسي وقتها: (ماذا دهاهم، هؤلاء الدينكا؟ إنهم دائماً يقفون مواقف متعارضة ومتناقضة.) وعندما فكرت في هذه المشكلة، خطرت إلى ذهني صورة الرجل المحترم، أليا سابيتي، رئيس أساقفة يوغندا ورواندا وبوروندي، فقد قابلته بعد عودتي من أديس أبابا. وفى أثناء حديثنا، قال لي كلمات ساعدتني كثيراً، قال: (ابني، لقد فعلت كل ما تستطيع من أجل مصلحة شعبك، ولاتزال تواصل العمل في نفس الاتجاه- يجب أن تعرف أن نفس هؤلاء الناس قد يخذلونك أو يحطمونك في يوم من الأيام- تلك هي طبيعة مجتمعنا. لكن عليك أن تبقي وفياً ومخلصاً لالتزامك واستمرارك في العمل في كل الأحوال وبقدر ما تستطيع ..) كانت كلمات لاتنسي. وبالفعل، فقد بدأت أواجه مشاكل عديدة من ضباطي عند عودتي من أديس أبابا. كانوا يحاولون الانقلاب على قيادتي. وذلك مثل واحد فقط. وممارسات السياسيين الذين سافروا معي من جوبا إلى كمبالا، تمثل مثلاً آخر. وهناك أمثلة أخري عديدة لا حصر لها.

*** تغييرات في السودان :-**

بينما كنت أفكر في هذه المشاكل، أخبرني القائم بالأعمال أن رئيس هيئة الأركان العامة في الخرطوم، الجنرال محمد عبد القادر عمر، قد أعفي من منصبه وحلّ محله قائد سلاح الطيران، اللواء عوض خلف الله- وأضاف أن وزير الداخلية، اللواء محمد الباقر أحمد، قد عيّن نائباً أول لرئيس الجمهورية، بجانب مسئوليته عن وزارة الداخلية- واستقبلت الخبر الأخير باضطراب شديد- فبقدر ترحيبي بتعيين الباقر، كصديق مؤهل للموقع، بقدر ما أصبت بالإحباط والخذلان نتيجة لإبعاد أبيل ألير (رغم موقفي منه.) وذلك لأن ترفيع الأول يعني تدحرج الثاني للموقع الثالث في الدولة، وبالتالي الجنوب الذي يمثله- وهذا التطور أكد

انطباعي بأن اللواء الباقر كان هو القائد الفعلي في مفاوضات السلام، أكثر من أبيل ألير، الذي كان رمزاً فقط، وضع على رأس الوفد الحكومي للملاءمة السياسية. ولولا ذلك، لمنح لقب (النائب الأول) لأبيل ألير، لأنه كان نائب الرئيس الوحيد، إذا كانت هناك حاجة فعلية لذلك- وفى هذه الحالة سيصبح المعين الجديد نائباً ثانياً، لموازنة الحالة السياسية في البلاد وتوطيد الوحدة الوطنية، كما كان الحال في تنزانيا- وبعد ذلك، فكرت ملياً في ما كان يقوله أبيل حول تغيير نظرة الشماليين للجنوب والجنوبيين، كمواطنين أخوة- وشعرت أن الشمال لا يزال يحتفظ بنظرته للجنوب، كمستعمرة موروثة من الفترة الكولونيالية. وإبعاد ألير من الموقع الثاني كان يمثل حالة الإحباط الثانية في تعاملي مع نميري. والأولى كانت، بالطبع، تعيينه غير المتوقع لأبيل ألير نفسه في رئاسة المجلس التنفيذي العالي الانتقالي في الإقليم الجنوبي- رغم كل ذلك، طلبت من القائم بالأعمال إرسال تهنئتي للجنرال الباقر بترقيته نائباً أول، ولم أفصح بموقفي الحقيقي إلا إلي عدد قليل من الوطنيين الجنوبيين.

*** الاهتمام بالصحة :-**

كنت مصاباً بمرض البواسير، وظللت أعاني من آلامه المبرحة خلال السنوات السابقة في الغابات والأدغال. وقابلت جراحاً آسيويا في مستشفى مولاقو، عن طريق جنوبي من أبناء قبيلتنا كان يعمل هناك، هو دكتور أنثوني لاغو. كنت أريد أن أجري العملية خارج السودان، لأنني لا أثق في الأطباء المحليين- وأيضاً كنت متردداً في كشف مثل هذا المرض، لأن ذلك ليس مقبولاً اجتماعياً- ولذلك اتصلت بطبيب في يوغندا، أثناء تجوالي على المعسكرات. ففحصني وحدّد تكلفة العملية واتفقنا على تاريخ أجرائها- وعندما عرف الرئيس نميري بالقصة، أكد لي أنه من حقي أن أجري العملية في أي مكان أريده على حساب الدولة وشعرت أن ذلك أفضل- وفى تطور لاحق، بعد عودته من زيارة لتنزانيا وفى مطار جوبا، أبلغني ببعض معلومات وصلته من عيدي أمين، خلال توقفه في مطار عنتبي-

وقال أن الجنرال أمين أبلغه بأنني سافرت إلى نيروبي، رغم نصيحته لي بعدم السفر إلى هناك، وأنني سافرت فقط لمقابلة الإسرائيليين- وأكثر من ذلك، أن الرئيس نميري أخبرني أن الرئيس اليوغندى يتهمني بالتعاون مع الإسرائيليين وأربعة يوغنديين في مؤامرة لإسقاطه وتنصيب فليكس أومانا، وزير الدفاع السابق، كرئيس ليوغندا- وأضاف أن الجنرال أخبره أن فليكس أومانا ينتمي إلى قبيلتي، قبيلة المادي- ويعتقد نميري أن الجنرال يري أنني أريد وزير الدفاع السابق ليصبح رئيساً، لأنه سيسمح بعودة الإسرائيليين. وبالتالي أتمكن من تحقيق طموحي في السودان بمساعدة الإسرائيليين- وأكد له أيضاً خطورتي وضرورة متابعتي ومراقبتي. وبالنسبة لليوغنديين الأربعة، فقد أكد أمين أنه يعرف كيف يتعامل معهم.

كنت أستمع باهتمام لما يقول نميري، وتوصلت إلى أن هذه الرواية هي روايته فعلاً. فقد كان شخصاً ماكراً ويمكنه فبركة أي شئ من خياله الخصب. وواضح أنه أستخدم بعض ما أخبرته به حول لقائي بالإسرائيليين في نيروبي، وقام بفبركة تلك الرواية لتشويه سمعتي وتحطيمي- ووقتها كان قد استغني عن خدماتي وبدأ يفكر في تحسين علاقاته مع الخرطوم على حساب مستقبلي معها- وكان نميري يعلم بحقيقة توازن القوي في تلك الفترة وحساسية وضعه السياسي- ولذلك حاول ضبط أعصابه والمحافظة على توازنه وقال:- (لا تقلق، أنا، أعرف أمين. إنني لا أثق فيه. وهو يمكنه أن يلفق أكاذيب كثيرة حولك، من أجل إفشال اتفاقية السلام التي وقعناها معاً، بسبب الغيرة والحسد- وأعتقد أنه من الشهامة أن تذهب إلى نيروبي وتودع الإسرائيليين. فعلاقتك معهم كانت معروفة بشكل واسع، كل الناس تعرف أنهم كانوا يدعمونك- لقد فعلت ما يجب حتى تفارقهم بطريقة ودودة، وحتى تضمن عدم تحويل دعمهم للذين يرفضون الاتفاقية..) هذا الكلام المقنع أخجل تواضعي، ولكنه كان بمثابة إنذار من الرئيسين، يعكس خوفهما مني وتخطيطهما لإبعادي لأي سبب كان- ولذلك قررت الابتعاد عن عيدي أمين وعدم العودة إلى يوغندا- وطلبت من السفارة هناك إلغاء مواعيدي مع الجراح الآسيوي

في مستشفى مولاقو. وقررت أيضاً ترحيل أسرتي من يوغندا بأسرع وقت ممكن- ولكن نميري نصحني بعدم التسرع في ذلك. ونتيجة لهذه النصيحة أبقيت الطفلين لإكمال دراستهما العالية هناك وترحيل بقية الأسرة لجنوب السودان.

ومن جهة أخري، لم استطع تحمل آلام البواسير. ولذلك قررت أجراء العملية في الخرطوم- فقدمت نفسي لمدير الخدمات الصحية في القوات المسلحة، الجنرال دكتور حسين عبد الرحمن الشلالي، فعرضني على أحد الجراحين، الذي أكد لي أنها عملية بسيطة يمكن أجراؤها في المستشفى العسكري بأمدرمان. ولكن الشلالي اقترح علاجي في الخارج، رغم تأمينه على حديث الجراح- وذلك لأنه كان يخاف أن يحدث خطأً في العملية وقد يعتبره البعض خطأً مقصوداً- وبرَّر خوفه هذا بضرورة تحاشي كل الأسباب التي قد تؤدي إلى خلق مشاكل واضطرابات، خاصة أنني أمثل رقماً هاماً في اتفاقية السلام التي دخلت للتوّ في مجري التنفيذ- وقال إنني أحتاج إلى اهتمام خاص من الدولة. ولذلك اقترح علاجي في المملكة المتحدة. وبالفعل وافق الرئيس على ذلك. وسافرت إلى لندن في سبتمبر 1972 لأول مرة في حياتي- وهناك تابعت السفارة السودانية علاجي في مستشفى لندن، حيث أجريت العملية بسلام.

عندما رجعت للسودان بعد العملية، وجدت أن ترتيبات استيعاب قوات الأنيانيا في القوات المسلحة والشرطة والسجون والخدمات الأخرى، قد قطعت شوطاً كبيراً أثناء فترة غيابي في الخرطوم أو في لندن- ولكني لاحظت ارتباط العملية بتجاوزات وأخطاء عديدة. ولذلك شعرت بأسف لغيابي، في تلك الفترة، الذي تسبب في حرماني من المتابعة وتصحيح تلك التجاوزات ومعالجة المشاكل الناجمة عن كل ذلك.

*** تزايد اهتمامي بآمنة :-**

بدأ اهتمامي بآمنة يتطور إلى علاقة جادة أكثر وأكثر بعد عودتي من لندن، خاصة بعد أن بدأت تتحدث عن خلفيتها الأسرية بجديّة وانطلاق- فأبوها تاجر

شمالي قتل في مجازر توريت في أغسطس 1955. وبعد ذلك الحدث المؤسف، هربت هي وأمها الجنوبية إلى منطقة المادي بحثاً عن الأمن والسلامة، حيث تولىّ حمايتهما زعيم المادي وقتها، سابازيو أوكومو- وإشارتها الحميمة لهذا الزعيم، ابن قبيلتنا، دفعني لأواصل أسئلتي وأعرف أكثر عن تاريخ حياتها- قالت لي: [عندما توترت الأحوال في مدينة توريت، بعد محاولة اغتيال الضابط المسئول في القيادة الجنوبية، نصحنا خدامنا في المنزل بالهروب إلى يوغندا- وفى ذلك الوقت، كان سليم يوسف، زوج خالتي، يقود أسرته في طريقه إلى يوغندا في لوربية. ولكن والدي كان واثقاً في علاقاته مـع السكان المحليين وزواجه منهـم (كان مرتبطاً بزوجتين جنوبيتين) وبالتالي كان يستبعد حدوث أي أذى لأسرته- وعندما شعر الخادم بأن والدي لا يرغب في الهروب، نصحه بتهريب الأسرة إلي مجمع السجن، الأكثر أماناً- ولكنه استمر في تردّده ورفضه للهروب. وفي تلك اللحظات كانت أصوات طلقات الرصاص تسمع في ثكنات الجيش- فتشتتت الأسرة، حيث اتجهت زوجة والدي، مع أبنائها التسعة، عن طريق الأقارب، إلى أهلها في أوباري- وفي تلك اللحظات، اندفع كل الشماليين مع أسرهم إلى مباني السجن، بحثاً عن الأمن والسلام- وضعت النساء والأطفال في جناح واحد داخل السجن، بينما حشر الرجال في جناح آخر- وعندما حاول الغوغاء الهجوم علي السجن، بادر القس الكاثوليكي بأخذ كل التجار وأسرهم إلى الإرسالية، لاعتقاده أنها اكثر أماناً- ولكن التجار رفضوا عرضه، بحجة انهم مسلمون ويريدون أن يموتوا مسلمين وليس كمسيحيين- فأكد لهم القس أنه فقط يريد أخذهم إلي هناك لضمان سلامتهم وليس لتحويلهم إلى مسيحيين، ولكن رغم تأكيده هذا، رفضت مبادرته بشدّة- وحراس السجن أيضاً رفضوا ترحيل التجار وأسرهم وتعهدوا بحمايتهم. جاء جدي الكبير ونصح بناته المتزوجات من شماليين بالذهاب مع القس، فقامت والدتنا بأخذنا إلى الإرسالية، وصاحبتنا إلى هناك أسرة شمالية واحدة فقط- وبعد ثلاثة أيام جاء خادمنا إلى الإرسالية واخبرنا بأن كل الذين بقوا في السجن قد قتلوا- جاء الجنود

وهدّدوا حراس السجن ودخلوا بالقوة إلى داخل السجن وقتلوا كل الشماليين الموجودين هناك، رجالاً ونساء وأطفالاً. وبرحمة من السماء نجا أحد الرجال من الموت، يسمي محمد عثمان، لأنه تسلق بعمود إلى السقف وبقي هناك. وبعد نهاية المجزرة، وجده الجنود حياً، فأمروه بشحن الجثث في أحد اللواري ودفنها في مقبرة جماعية. وخططوا لقتله بعد ذلك. ولكنه فهم ما يضمرونه له، بحكم معرفته بلغة اللاتوكا. ولذلك، قفز إلى الأرض،عند وصول اللوري إلى موقع المقبرة، وهرب إلى داخل الحشائش والغابات. فأمطره الجنود بوابل من الرصاص، ثم توقفوا بعد لحظات وقالوا (إلى أين سيذهب؟ سنقبض عليه بعد حين أو يموت في الغابة.) وهرب الرجل بعيداً عنهم.

وبعد مجزرة السجن ذهب الجنود إلى الإرسالية، بهدف قتل الشماليين المجتمعين هناك. في البداية تفاوضوا مع القس لتسليمنا لهم وإبقائنا في سجن آمن. وعندما شعروا بأنه لا يصدقهم، قاموا بمحاولة الدخول بالقوة. فوقف في المدخل ونشر ذراعيه ليبدو جسمه في شكل صليب، وقال لهم:- (هناك فقط نساء وأطفال لجأوا إلى ديار الرب..لا يمكن أن تقتلوهم هنا. وإذا أصرّيتم علي قتلهم فاقتلوني معهم أولاً. لا أريد أن أشاهد قتلهم في الإرسالية..) وعندما شعروا بإصرار القس وتصميمه انسحبوا بسلام، لكنهم واصلوا مراقبة الإرسالية- وهنا شعر القس بعدم الاطمئنان علي حياة المحتمين بإرساليته. فأرسل إلى جدّي الكبير، الذي كان يتحرك بحرية كاملة، وطلب منه ترحيلنا إلى مكان آمن، خوفاً من عودة الجنود ودخول الإرسالية بالقوة وقتلنا جميعاً- فجاء جدّي الكبير وجهز لورياً لنقلنا بطريقة سرية إلى خارج المدينة- قام بترتيب صندوق اللوري بأخشاب سميكة ووضع بضائع في قمتها، بينما ترك فراغات كثيرة في داخلها،حيث اختبأنا فيها- ومن ثم قام بتهريبنا إلى خارج المدينة، وكأنه ينقل عفش منزله إلى مكان آخر-اتجه بنا نحو نمولي علي طريق يوغندا- وعندما وصل لوا انحرف عن الطريق الرئيسي إلي منطقة الزعيم سابازيو بهدف الراحة قبل مواصلة السير. وهناك أخبر الزعيم بأنه متجه

إلى يوغندا باعتبارها المكان الملائم لحماية هؤلاء الشماليين من الفوضى التي أعقبت أحداث توريت. وأخبره أيضاً أن كل التجار الشماليين وأسرهم في توريت قد قتلوا، بما في ذلك اثنان من أزواج بناته، عبد الرحمن محمد خير وعثمان نمر – وقال له أن ابنه، الذي كان يبشر بمستقبل واعد، قد قتل، لأنهم كانوا يظنونه شمالياً– وزوجته حبيبة، المولّدة، ضربت برصاصة في فخذها، ظناً منهم أنها شمالية، وتركها في المستشفي لتلقي العلاج–وأضاف بأنه نصحها بلبس (القرقاب) حتى لا يستهدفونها مرة أخرى. وقال انه ترك ابنه، أمين، مختفياً في الإرسالية كطالب. وكان جدَي هذا قلقاً على وضع أفراد أسرته الذين تركهم خلفه... وتفهم الزعيم حالته وتعاطف معه، واقترح أن يترك الذين هرَبهم في اللوري في لوا تحت حمايته (الزعيم) ويرجع لرعاية الذين تركهم في دائرة الخطر– وأكد له الزعيم أن الذين سيبقون معه سيقوم بحمايتهم حتى تستقر الأوضاع ويعود الأمن والسلام.

عدنا مع الزعيم، الذي تكرم بإيوائنا في مكان آمن وظلّ يراقب الجنود على طول الطريق المؤدي إلى نمولي. وفي أحد الأيام اعترضوا الأمهات، عند ذهابهن للنهر لإحضار الماء– وربما كانوا على علم بوجودنا هناك عن طريق عيسى جوكندو، زميلهم وقريب جدَنا الكبير والذي زارنا مرة في منطقة الزعيم– وعندما أطلقوا رصاصاً في الهواء، انطلق الزعيم إلى هناك وصرخ في وجههم وحذرهم من تمديد القتال إلى منطقته. وطلب منهم الابتعاد من هناك، ففعلوا. ومن ثم قام بإرجاع الأمهات إلى الدار، حيث بقينا هناك حتى وصول الوحدات العسكرية الشمالية، وحدات قوة دفاع السودان. وفي هذا الأثناء تمكن محمد عثمان، الذي هرب من المقبرة الجماعية، تمكن من التسلل عن طريق الغابات حتى وصل إلى منطقة المادي ومن هناك إلى يوغندا. وكذلك تمكن آخر، يسمى دياب، من الاختفاء هو وأسرته في أحد بيوت اللاتوكا داخل مدينة توريت نفسها، حتى وصول الوحدات العسكرية الشمالية...] وهكذا أنهت آمنة قصتها.

وفي نمولي كانت هناك أحداث مماثلة لا أزال اذكرها. فقد كان يوسف، الشمالي زميل والدي، محظوظاً. كانت الباخرة تيمو (باخرة السبت) والباخرة ليوقارد في الميناء النهري- وعندما صعد يوسف على ظهر الباخرة، كانت لواري الجيش تنزل من أعلى الجبال في جهة الشمال- وبوصولهم هناك، كانت الباخرة قد تحركت لتوَها من الرصيف. وعند سؤالهم عنه بالاسم، اخبروا أنه ضمن ركاب الباخرة المتجهة إلى يوغندا. ولم يكن بمقدورهم فعل أي شيء سوى إساءة والدي وقذفه لمساعدته في تهريب هذا الشمالي- ولذلك حركوا لواريهم واتجهوا إلى منطقة أخرى. وفي وقت لاحق، قام يوسف بالوفاء لهذا الموقف، وذلك بحماية عموم قبيلة المادي، التي عمل في وسطها، من حملات القوات الشمالية الانتقامية، عندمَا عادت بعد استسلام القوات الجنوبية. فقد قام الناس وزعماؤهم هناك باستقبال وحماية كل الشماليين والجنوبيين الآخرين، الذين هربوا من توريت أو مرَوا بمنطقتهم. ولم تشهد منطقة المادي في تلك الأيام العصيبة، سوى حادث واحد فقط، حيث قتل شمالي كان يعمل فورمان في مصلحة الطرق. والذين قتلوه لم يهربوا بعيداً، بل سلَموا أنفسهم للزعيم وانتظروا محاكمتهم- وفي المحكمة وضح انهم كانوا في حالة دفاع عن النفس- فحكم عليهم بالسجن.

* الزعيم سابازيو بين الذهول والابتهاج :-

في سنوات نضالنا، كما في كل الحروب، تعرضت الزيجات لمشاكل ومعوقات عديدة. وزيجتي لم تكن استثناء. لذلك فكرت في الزواج للمرة الثانية، ومن هنا كانت رغبتي واهتمامي بآمنة- فقد تطورت علاقتنا بشكل سريع، وارتبطت بها بعد عودتي من المملكة المتحدة. وعندما أخبرت الزعيم سابازيو أوكومو بقصتي معها وقيامي بخطوبتها، كان سعيداً ومبتهجاً- كانت الخطوبة خبراً ساراً بالنسبة له- وذلك لأنه وجد من بين الشماليين، الذين قام بحمايتهم أثناء أحداث توريت، أن هناك بنتاً قد كبرت وتذكرته في يوم خطوبتها- كان سعيداً بحبنَا وخطوبتنا- وأكد أن روح أورى، الذي يقدَره المادي، هي التي قادت إلى تلك الزيجة. وذلك عندما

دفعت الأقدار هذه البنت للارتباط بهؤلاء الناس الذين ستكون جزءاً منهم في يوم من الأيام- فشجعني على الزواج منها، طالما أن علاقتي بها قد صارت معروفة بشكل واسع- فأعلنا الخطوبة وحدّدنا يوم الزواج في 24 ديسمبر، عشية عيد الكريسماس. وكان علينا معاً مواجهة اعتراضات أسرتينا، بسبب اختلاف عقيدتنا الدينية. ولذلك اخترنا الزواج التقليدي، الذي يسجل أمام الزعيم أندريا فرج الله في مدينة جوبا. ووجدت المناسبة اهتمام الدولة، عندما وصل نميري مع بعض الوزراء لحضور الاحتفال في ميز الضباط هناك- وهزّتني هذه اللَفته الرائعة من قبل الرئيس والوزراء- فقمت باختيار صديق شمالي، هو الرائد زين العابدين محمد احمد عبد القادر، ليكون وزير العريس، بينما اختارت آمنة بنتاً جنوبية، جارتها وزميلة دراستها، هي أوسنتا، لتكون وصيفة العروس- كان زواجنا زواجاً خاصاً له دوره في تطوير مصالحة الشمال والجنوب. وفي ذلك الاحتفال التقى لورانس وول بالوصيفة، وتطورت علاقته معها حتى توجت بزواجهما- وعن طريق الزوجات أصبحنا صديقين مرة أخرى- وبعد ذلك تمت زيجات عديدة وسط أفراد القوات المستوعبة والسياسيين العائدين إلى البلاد.

بعد الزواج فكرت في السكن في الخرطوم، كإشارة لحسن النوايا والرغبة في الاندماج الاجتماعي- وأبديت رغبتي للرئيس نميري، فرحب بالفكرة. وقلت له أنه من المهم أن ابرز رغبتي للعمل في أي مكان في السودان، وذلك لإقناع الرأي العام بإخلاصي والتزامي باتفاقية السلام- وكنت أيضاً أريد أن اترك الجنرال فضل الله حماد ليتحمل وحده مسئولية القيادة الجنوبية، دون مشاركتي، ولذلك طلبت نقلي إلى رئاسة القوات المسلحة وتعهدت بمواصلة الاتصال مع الجنرال فضل الله والوقوف بجانبه في أي وقت يريدني- وهكذا تمت إجراءات النقل وتحركت إلى الخرطوم، تاركاً بعض أفراد أسرتي في منزلي بالقيادة الجنوبية. وكان ذلك سبباً إضافياً لزيارة مدينة جوبا بشكل متواصل في الفترة اللاحقة.

*** الانيانيا والاستيعاب :-**

قوات الانيانيا كانت تقوم على أساس إقليمي. وبعد وقف إطلاق النار، أمرت كل وحدة أن تعسكر في موقع يمكن الوصول إليه بسهولة من اقرب مدينة أو محطة في منطقة عملياتها- وذلك بهدف توفير اتصالات سريعة للَجنة الفنية ولجنة وقف إطلاق النار، حتى تتمكن من القيام بمهامها المنصوص عليها في برتكول الإجراءات المؤقتة. ولحسن الحظ لم تحدث أي حالات خطيرة في المراحل الأولى لتطبيق الاتفاقية- وعندما بدأت الانيانيا في تنفيذ تلك الإجراءات، حوالي مايو/ يونيو، ظهر منشور في منطقة توريت يطالبها برفض الاستيعاب في الجيش السوداني (كان يشار إليه وقتها بالجيش القديم.) وهذا المنشور، الذي يدعو الجنود لمواصلة الحرب، كان يقف خلفه ضابطنا الجامعي جون قرنق في بور- وبسرعة قمت بتنبيه المقدم ساترنينو أريها وأخبرت اللواء حماد بأنني أستطيع معالجة هذا الموضوع دون ضجيج واحب أن أتحرك في معالجته بهدوء- ولذلك قمت بتوجيه ساترنينو وبيتر سريلو، قوّاد قوات الانيانيا في الضفة الشرقية وحامية الرئاسة على التوالي، لمحاولة احتواء توزيع المنشور في أضيق نطاق ممكن- وكان جون قرنق قد استوعب في القوات المسلحة برتبة نقيب، نفس رتبته في قوات الانيانيا، وكنت قد منحته هذه الرتبة قبل شهور قليلة من اتفاقية السلام. واتبعت في ذلك تقاليد الجيش السوداني، الذي يمنح هذه الرتبة لخريجي الجامعات عند التحاقهم بالخدمة العسكرية كأطباء ومهندسين وقانونيين. وجون قرنق كان يحمل شهادة **B . A** من جامعة أمريكية، اعتبرتها كافية لنيل هذه الرتبة- والتحق بالانيانيا في منتصف 1971 وكان يتوقع رتبة أعلى- وبالفعل كان يطلب رتبة رائد، ولكنني عاملته حسب التقاليد المعروفة بالنسبة لي. ولمصلحته الخاصة تجاهلت طلبه- فقد كنت لا أريد أن يشعر الذين خدموا فترة طويلة بأي نوع من الغيرة والحسد، وبالتالي التآمر لقتله، كما حدث في حالات مشابهة عديدة- المهم، بعد ظهور المنشور، طلبت قرنق في جوبا دون أي تأخير. وعندما استجاب لطلبي، هدأت

مشاعري تجاهه- وقدمت له نسخة من المنشور، وسألته إذا كان قد كتبه- فنظر إلى تحته، ثم رفع حاجبيه واعترف بذلك- فقدّرت شجاعته وأمانته. ولذلك قرَرت أن أساعد في إصلاحه وليس في تدميره- فقد قمت، رغم كل شيء، بالعفو عن الكولونيل ماقوت والكولونيل أبور قبل أسابيع.. فلماذا لا أعفو عن ضابط جديد في الخدمة العسكرية؟ نظرت إليه بتفحص وأنذرته بعدم العودة لمثل هذه الممارسة وشدَدت عليه للإلتزام بالسلوك العسكري والمنضبط. ولما كان يهزّ رأسه أثناء حديثي معه، أشعرني بأنه قد تفهم ما أريد. ولذلك مزقت المنشور أمامه، في إشارة بنهاية المشكلة وعفوي عنه- وهذا القرار كان نتيجة لاعتبارات عديدة، تمثل أهمها في الآتي:-

أولاً : إنني اشعر بارتباط عاطفي قوي مع الدينكا، خاصة دينكا بور وأقار، الذين خدم والدي في منطقتهم في المدرسة الكاثولوكية. وأنا نفسي تلقيت تعليمي في تلك المنطقة- كنت اعتبرهم أهلي، تماماً كقبيلة المادي- ولم اكن أريد أن يشعر الدينكا بأنني قد أبعدت جون قرنق بسبب موقفي من أبيل ألير- وحتى مشكلتي مع هذا الأخير، كنت أحس بأنني قد تنازلت من موقعي لأخ عزيز وسوف أستعيده في وقت لاحق- لكل ذلك، تعاملت مع جون قرنق كأخ صغير. وهدفت إلى إصلاحه وتقويمه اكثر من معاقبته وتعويقه.

ثانياً : إن جون قرنق كان الخريج الجامعي الوحيد الذي عاد إلى أهله بعد إكمال تعليمه في الخارج، وعاش وقاتل معهم في حرب العصابات. وهذا موقف يحمد له.

ثالثاً : أنني رأيت فيه إمكانيات قيادية واضحة تستحق الاهتمام والرعاية لتطويرها وصقلها- لذلك أمرت بنقله إلى ملكال ليبقى بالقرب من الكولونيل بول أويل، قائد الانيانيا في مديرية أعالي النيل. وكل قيادات الفرق كانت وقتها قد أمرت بتحويل مراكزها إلى عواصم المديريات بالقرب من حاميات القوات المسلحة. وحتى رئاستي حولّتها من نمولي إلى جوبا.

ومن خلال العمل اليومي، تمكنت من تحويل مناخ التفاهم والعلاقات الحسنة السائد بيني وبين اللواء حماد، إلى مناخ عام وسط الرتب الأدنى في قوات الطرفين- وظلَ تركيزنا على العفو والتسامح والنوايا الحسنة هو الأساس في العمل ومعالجة ما يظهر من مشاكل على ضوء ذلك- ففي وسط قوات الانيانيا، عفونا عن كل الذين فصلوا من الخدمة لتجاوزات بسيطة وسمحنا لهم بتلقي تدريبات معينة مع الآخرين، بهدف استيعابهم في القوات المسلحة أو الشرطة أو السجون- والتعبير العام السائد في أوساطهم كان يقول دعونا نتشارك في كل شيء من أجل مصلحتنا جميعاً ومصلحة البلاد.

*** توزيع عادل بين المديريات :-**

لقد وجهت بتوزيع الستة آلاف جندي من قوات الانيانيا على المديريات الجنوبية الثلاث بطريقة متساوية- وذلك رغم أن مديرية الاستوائية كانت تملك قوة اكبر من المديريات الأخرى- كنت أرى أن تلك هي الطريقة الوحيدة لتحاشي الاتهام بمحاباة مديريتي، الاستوائية، والطريقة الأفضل للمحافظة على توازن معقول بين المديريات الثلاث. ومع الترحيب بهذا التوجه، باعتباره توجهاً عادلاً ومتوازناً، فإن هذا الفهم لم يشمل كل المناطق، خاصة أعالي النيل- فقد شمل التوزيع بعض المستحقين وأهمل آخرين- ولذلك تدفقت الشكاوي في رئاسة القيادة الجنوبية، وكان علينا مراجعة بعض القوائم خلال برنامج التدريب. فوليم نيون باني كان رائداً في الانيانيا واستوعب في القوات المسلحة كرقيب أول. ولذلك كان لابد من تصحيح وضعه الوظيفي- فرفعنا رتبته إلى كابتن- والمرحلة التالية كانت خاصة بالتدريب. وكانت لها مشاكلها وصعوباتها- ففي خلال رحلتنا في معسكرات التدريب، واجهتنا بعض المشاكل المتعلقة بتجاوزات في استيعاب الانيانيا في القوات المسلحة- وكان أكثرها في أعالي النيل. فالكولونيل صمويل قاي توت، نائب قائد الانيانيا في أعالي النيل، أراد معالجة تلك التجاوزات بإشاعة روح التمرد والفوضى- ووصلت الحالة إلى اجتماع مع قائد الحامية، العميد يوسف أحمد

يوسف، لتنويرنا، اللواء فضل الله وأنا، بالمشاكل التي واجهته في استيعاب بعض الضباط وجنودهم- وعندما بدأت في تقديم بعض المقترحات حول كيفية مواجهة تلك المشاكل، صرخ الكولونيل صمويل قاي في وجهي وامرني بالتوقف عن الحديث واخرج مسدسه ووجهه نحوي وهدَدني بالقتل. فأمرت بصوت عالي: (اعتقلوه، اعتقلوه، ليس المهم ماذا فعل، اعتقلوه، وإذا أطلق الرصاص عاملوه بالمثل.) فحوَل المسدس باتجاه الأرض. اخذوا المسدس منه واعتقلوه دون مقاومة. وبعد إبعاده استمر الاجتماع. لم اكن ادري ما كان يتوقعه، لكني فكرت بسرعة وقمت بما يمكن عمله في تلك الظروف. ولم يكن من الممكن معاملته بطريقة خاصة كما فعلت مع جون قرنق- لذلك أوصيت بتقديمه لمحاكمة عسكرية. وبعد ذلك حوكم وفصل من القوات المسلحة. ووافقت القيادة الجنوبية على قرار المحكمة. وفي زيارة لاحقة لمدينة ملكال، طلب الكابتن وليم عبد الله شول، صديق حميم لصمويل قاي، طلب إعفاءه في احتجاج على فصل صديقه- فوافقنا على طلبه وتمَ إعفاؤه فعلاً- وبينما كانت هذه الإجراءات تبدو قاسية، فقد كان المؤمل أن تؤدي إلى تركيز قواعد الانضباط والنظام العسكري. وفي تلك الفترة كان جون قرنق في ملكال. ومع أنه كان هادئاً، فقد كنت أشك في تورّطه مع هؤلاء الضباط. ولذلك أمرت بنقله إلى مركز التدريب في بشرى ببحر الغزال- وبعد وصوله هناك ظهرت عدة مشاكل واضطرابات.

قمت، مع الجنرال فضل الله، بزيارات منتظمة لمعسكرات تدريب حاميات الجيش والقوات المستوعبة، وذلك لمتابعة عمليات التدريب والاندماج. وأصبحنا نعمل كفريق واحد، حتى أن أحد الصحفيين الأجانب وصفنا بـ (ضباط العلاقات العامة.) فمعظم الوقت كنا نعمل معاً. وبهذه الطريقة استطعنا منع تطور الأحداث الصغيرة إلى مشاكل معقدة- كنا ملتزمين بالمحافظة على السلام والاستقرار وتوفير ظروف ملائمة لتطبيق الاتفاقية- فبعد فترة قصيرة من مشكلة ملكال، علمنا أن هناك مشاكل مع القوات المستوعبة في بشرى وأن علاقات قائد حامية منطقة بحر

الغزال، العميد السر المقبول والكولونيل جوزيف كوال آمون، قائد معسكر القوات المستوعبة، علمنا أن علاقاتهما ليست على ما يرام- ولذلك سافرت إلى هناك مع الجنرال فضل الله. وأخذنا معنا العميد أيمانويل أبور نيال- ووقتها كان الكابتن جون قرنق في بشري، بعد نقله للمرة الثانية- ونقله إلى هناك كان نتيجة لشكوكي بتورطه في مشكلة ملكال بطريقة خفيَّة- وعندما رآني كان يبدو عليه القلق والانزعاج، ربما لإحساسه بأنني سأحمله مسئولية ما حدث في المنطقة. ولذلك، حاول تحاشي مقابلتي، عندما كنا نتحرك داخل المعسكر- فتعاطفت معه، بحكم تقديري لحالته النفسية الصعبة. وقلت لنفسي (قد يكون بريئاً.. فلماذا أطارده؟) وبعد أسابيع قليلة، طلب مني العميد عبد الماجد حامد خليل، مدير التدريب، اختيار أحد الضباط المستوعبين لبعثة دراسية مقدمة من الجيش الأمريكي. فأنقذت قرنق من محنته وأوصيت باختياره لتلك البعثة.

كنت أشعر بأسف لمعاملتي القاسية مع صمويل قاى ووليم عبدالله شول. ولكن، كنت أدري أن ذلك ضروري لتدريب قواتي وإدخالهم تدريجياً في الخدمة النظامية. وجون قرنق كان أكثرهم تأهيلاً، بحكم تأهيله الجامعي ومعرفته باللغة الإنجليزية- ولرفع روحه المعنوية، أبلغته بالبعثة بنفسي قبل أن يبلَّغ رسمياً من قسم التدريب. وشجعته ليعمل بمسئولية على توسيع معرفته العسكرية والالتزام بالنظم والقوانين السارية حتى يصبح قائداً مؤهلاً. قلت له (لا تدخلنا في مشاكل لا معني لها. التزم الانضباط والسلوك الحسن وأعمل لتطوير نفسك للمستقبل- أعمل للاستفادة من هذه البعثة بمزيد من التدريب في بلد درست فيه من قبل، أمريكا، وتحاشي المشاكل حتى عندما تحدث..) .

كانت خطتي أن أركز نشاطي في الأنيانيا (القوات المستوعبة) لتأكيد الأمن والاستقرار في الجنوب والقطر بشكل عام. وكنت آمل أن القوات المستوعبة يمكن أن تصبح عامل توازن في القوات المسلحة، بحكم فقداني للثقة في السياسيين الجنوبيين، الذين أصبحوا يفكرون فقط في المواقع والمصالح- وفى تلك الفترة كنت

استخف بدورهم وأبدي ملاحظات لاذعة حولهم في اللقاءات العامة، كنت أقول: (الحديث حول المسائل السياسية فقط لا يعكس أي مؤهلات، لأن التخصص في بعض الجوانب ضروري للحياة ..) كنت أنظر للسياسة كعلم اجتماعي، يتعامل مع شئون الناس اليومية، وأنها يجب أن تكون مثار اهتمام كل فرد في المجتمع- كنت استهجن وأرفض سلوك الذين يجعلون من العمل السياسي أسلوب حياة وطريقة معيشة، بينما كنت أحترم وأقدّر الذين ضحّوا بأرواحهم وقضوا فترة في الغابات والأدغال، كوطنيين حقيقيين، وبالتالي كانوا سياسيين أكثر احتراماً والتزاماً من هؤلاء الذين ظهروا بعد تحقيق السلام- كنت أعمل على فضح هؤلاء السياسيين والتقليل من شأنهم، وبمعني آخر أصبحوا خصومي الجّدد.

في تلك الفترة عرض عليّ الاختيار بين موقعين في رئاسة القيادة العامة للقوات المسلحة: نائب رئيس هيئة الأركان للإدارة والمفتش العام. فاخترت الأخيرة. كانت وظيفة جديدة، وظيفة تمكنني من زيارة كل الوحدات العسكرية. وبدأت أفكر في زيارة المناطق الشمالية التي لم أزرها من قبل، بالإضافة إلى المناطق الجنوبية. سوف أتمكن من السفر إلى أي مكان داخل القطر، حسب ظروفي وأولوياتي، دون حاجة لمصاحبة قائد المنطقة المعنية. ومع أن الموقع كان تحت أشراف رئيس هيئة الأركان العامة، فقد مكنني من الاتصال المباشر مع الرئيس نميري أو وزير الدفاع. ووصف الموقع (مفتش عام القوات المسلحة) كان يبدو أكثر جاذبية وأهمية من (رئيس هيئة الأركان). ويبدو أنه كان أيضاً ملائماً لتطلعاتي وغروري.

بعد دخولي للقيادة العامة كمفتش عام، في عام 1973، علمت بتنظيم كورس في كلية القادة والأركان بأمدرمان لكبار الضباط الذين كانوا في الكلية وعلى وشك الترقية لرتب أعلى- وكان زملائي أيمانويل وماقوت وصمويل أبوجون وشخصي ضمن المرشحين لحضور ذلك الكورس. ولكن زميلنا الرابع، بول أويل، لم يرشح، بحجة عدم توفر الشروط الضرورية (التعليم النظامي

الضروري.) وكان يشرف على الكورس فريق من الجيش البريطاني، حلّ محل المدربين السوفيت، بعد توجه النظام الحاكم نحو الغرب. كان التدريس باللغة الإنجليزية وكانت المحاضرات مفيدة وراقية في شكلها ومحتواها.

*** تغيير أقدميتي :-**

في أثناء تواجدي في الكلية ووسط زملائي الضباط، لاحظت بعض الممارسات والأشياء غير النظامية. فقد كنت أعتقد أن أقدميتي هي الأعلى وسط كبار الضباط الذين حضروا الكورس- ولكنني فوجئت واندهشت عندما رأيت التقارير ترسل إلى اللواء عوض أحمد خليفة. فقد كان المذكور في رتبة لواء تحت التجربة عند إعادة تعييني في رتبة لواء بكامل حقوقها- ولذلك كانت أقدميتي أعلى منه- ومن هنا كان قلقي وإنزعاجي- فسألت قائد الكلية عن أسباب تجاوزي. وبأدب واحترام عرض عليَّ قائمة تشمل أسماء الضباط الذين يحضرون الكورس حسب الأقدمية، والتي أرسلت له من القيادة العامة- فشعرت بغضب وتوتر مفاجئ، لاحظه حتى الموجهون البريطانيون. إذ لم أعد مرحاً ومفتوحاً مع الآخرين، كما كنت من قبل- ولذلك فكرت في معرفة معلومات أكثر حول هذا الموضوع من العميد الفاتح بشارة، نائب رئيس هيئة الأركان للإدارة في ذلك الوقت. فقدم لي قائمة أقدمية الضباط، حيث وجدت أسمي بعد ضابطين، كانا تحت التجربة ولم تؤكد رتبتاهما بعد، هما: اللواء عوض أحمد خليفة واللواء محمد عثمان هاشم - فتأكيد رتبتاهما كان في 31 مارس1972، قبل يوم كامل من إعادة تعييني. وعلى الفور طلبت مقابلة الرئيس نميري، للتأكد من أن هذا التغيير في أقدميتي قد حدث بمعرفته. وعند لقائي به أكد الرئيس بأن ذلك تمَّ بقرار منه وبأنني لن أفقد شيئاً نتيجة لهذا التغيير، لأن اللواء هاشم متقدم في عمره وسوف يحال للتقاعد بعد فترة قصيرة. ولذلك جاء هذا الإجراء، بهدف تحسين معاشه- فقلت له بأنني أريد فقط التأكد من أنه كان على علم بما حدث. وهكذا أحبط مرة أخرى في علاقتي مع نميري. فسألت نفسي: (لماذا فعلوا ذلك؟) إذ لم أكن أتطلَّع لمنصب رئيس هيئة

الأركان. وتتطلعاتي الحقيقية كانت في المجال السياسي وفى الجنوب بشكل خاص- ومع كل ذلك كان عليّ أن أضغط مشاعري وأن أبدو عادياً في سلوكي طوال فترة الكورس- وشعرت بالحزن لأن ما حدث قد خرَّب علاقتي مع عوض أحمد خليفة، التي كانت جيدة وعامرة حتى ذلك الوقت. فقد كان نائب رئيس هيئة الأركان للشئون اللوجستية، والتزم بأن يوفر لي منزلاً مناسباً، وظلّ يجدّد لي هذا الالتزام من وقت لآخر- ومع كل ذلك، لم يكن من الممكن أن أتجاهل ما حدث. كان لابد من إثارته ومعرفة حقيقته- فقد كان يمسني مباشرة.

استمرينا في الكورس حتى إنتهاء فترته المحدّدة (ثلاثة شهور.) وكان هدفه يتمثل في تمكين كبار الضباط من بناء ثقتهم في أنفسهم وإعدادهم لمسئوليات أعلى- وبجانب ذلك أستفدت منه في تقييم الضباط الآخرين، الذين لم يوفدوا في بعثات خارجية. وفى المناقشات لاحظ المعلمون أن أدائي كان أفضل، بحكم تجاربي العملية في الميدان، وظلّوا يكررون ما كنت أقوله حول اكتشاف المواهب والقدرة على اكتشاف المواهب وتنمية وتطوير الإمكانيات القيادية في العاملين تحت قيادتك- وفى الدروس النظرية كنت مبرزاً أيضاً- والواقع، وجدت أنني قد تعلمت الكثير من تجارب العمل الميداني والمحاضرات التي تلقيتها في الخارج، في الكنغو وإسرائيل- ولذلك فكرت في تدبير كورسات إضافية في الخارج لأثنين من ضباطي: أيمانويل أبور وصمويل أبوجون، لأن أداءهما لم يكن جيداً- وبعد نهاية الكورس، سافر الأول لحضور كورس في باكستان، بينما سافر الثاني إلى الهند- ورجعنا، أنا وماقوت، إلى مواقعنا، وكلنا ثقة بأننا سنقوم بواجباتنا، كالضباط الآخرين- والجدير بالذكر أنه قد تمَّ تعيين ماقوت وأبوجون في اللجنة العسكرية الفنية ولجنة وقف إطلاق النار، بعد التوقيع على اتفاقية السلام، بينما بقي أيمانويل وبول أويل في مواقعهم القيادية بالمعسكرات.

* في المسرح السياسي :-

انتهت فترة المجلس التنفيذي العالي الانتقالي بعد انقضاء الثمانية عشر شهراً المحدّدة في الاتفاقية. وكان السياسيون مشغولين في الأعداد للانتخابات المتوقع إجراؤها في الجنوب بعد نهاية الفترة الانتقالية. وبعض الوزراء كان قلقاً على مستقبله، بحكم خوفه من عدم النجاح في الانتخابات. وبالتالي قد يفقد موقعه، بامتيازاته، التي تشمل السكن والسيارة والامتيازات الأخرى المخصصة للوزراء- وكلهم تقريباً، كانوا يفتقدون إمكانيات الاعتماد على أنفسهم. ومن هنا كان خوفهم على المستقبل- ومن جهتي، كانت لي وجهة نظري حول هؤلاء الوزراء. كنت أنتقد بعضهم بشكل لاذع، تماماً كما كان يفعل اللواء حماد- وبعض أسباب انتقاداتنا تلك كانت لها جوانبها الإنسانية. ففضل الله حماد كان عليه أن يعمل تحت إدارة جنوبية. وبعض أعضاء المجلس العالي الانتقالي، كان يفتقد التجربة والخبرة العملية. وعندما يكون في مثل هذا الموقع العالي، لأول مرة في حياته، قد يكون متغطرساً ووقحاً- ومن جانبي، فقد وجدت صعوبات كبيرة في أن أكون تحت إشراف أفراد، أوصيت قبل أسابيع قليلة بتعيينهم في هذا الموقع- وأذكر هنا ما لحق بي من إهانة وإذلال، عندما وجدت نفسي في مهمة في يوغندا مع وزراء يفتقدون كل متطلبات الموقع والسلوك الحسن- كانت تجربة غريبة ومعركة يجب أن ننتصر فيها حتى نتصالح مع أنفسنا. لقد أزف الوقت بالنسبة لهؤلاء الوزراء لأن يتخلوا عن غرورهم واستعلائهم في مواجهة تحدي الانتخابات. وبالنسبة

لأبيل ألير، فقد بدأ البعض يصفه بصوت مسموع بأنه مجرد أداة شمالية طيّعة، أداة وضعت في رأس الحكومة الإقليمية الجنوبية لعرقلة تنفيذ الاتفاقية لمصلحة الشمال- ومنطقة أب ياي وشان الفيل وحفرة النحاس خير شاهد على ذلك- فقد رفض أبيل ألير تحريك مشاكل هذه المناطق لمناقشتها، حسب نصوص الاتفاقية، بحجة حساسيتها. ولذلك، كانت له أيضاً مشاكله وتعقيداته. ومن هنا كانت هناك ضرورة لدفع هؤلاء الناس لمواجهة معركة الانتخابات.

لقد استفدت من تجوالي حول المناطق المختلفة في تقديم نفسي لجماهير الشعب، كخطوة في الطريق لدخول عالم السياسة- وفى هذه الجولات ذكرّت الناس بأنني، مع الرئيس نميري، قد قمنا بتحقيق السلام، عندما قررنا، كزملاء قدامي، إنهاء الحرب ومنح الجنوب حكماً ذاتياً إقليمياً ودمج قواتنا في جيش موحد- كان الناس ينظرون لي، وليس لأبيل ألير، كحامي وحارس لاتفاقية السلام في الجنوب- وكنت أستخدم هذا التعبير عندما أريد التقليل من شأن أبيل ألير ووزرائه- وكلما أستذكر إحباطاتي في نميري، أقوم بتعديل هذا التعبير بشكل مناسب. فأشير إلى أن إهتمامي يتركز في المحافظة على السلام الذي تحتاجه بلادنا، مهما كانت إحباطاتي، وبأن اتفاقية السلام ليست مجرد تفاهم شخصي بيني وبين الرئيس نميري، بل هي اتفاقية توصلنا إليها لمصلحة البلاد وشعبها، هي اتفاقية كل الشعب وعلينا جميعاً العمل على حمايتها وحراستها. وكنت أستهدف من ذلك التأكيد للشماليين بأنني لم أفضل نميري على القيادات الشمالية الأخرى، كما فعل هو مع أبيل ألير في الجنوب- كنت أهدف إلى التأكيد بأنني شخصية مختلفة، شخصية مفتوحة للعمل مع القيادات الأخرى- وكنت أتحدث بتلك الطريقة للتأثير على زميلي اللواء حماد- وكنت واثقاً من أنه سيفهم ما أريد توصيله له. فهو لم يكن معجباً بنميري، بل كان أقرب إلى السيد الصادق المهدي- كان يحدثني كثيراً عن موقع أسرته في وسط أنصار المهدي، جدّ الصادق المهدي. وكان لا يخفي تعاطفه مع الصادق وإعجابه به. ومن خلال ذلك بدأت أفهم الكثير عن حزب الأمة وأسرار السياسة الشمالية عموماً. وحتى بعد أن تسلمت مهام مفتش عام القوات المسلحة في الخرطوم، واصلت علاقتي مع الجنرال حماد ومناقشاتي معه حول السياسة الشمالية. كنا نطور علاقتنا مع بعض ونراقب معاً أداء اللجنة الفنية ولجنة وقف إطلاق النار- اللجنة الأولى كانت مسئولة عن استيعاب قوات الأنيانيا (حوالي 6000) في القوات المسلحة والأعداد المطلوبة لملئ الوظائف التي كان يشغلها شماليون في الشرطة والسجون. وهي مسئولة أيضاً عن متابعة الشكاوي الخاصة

بأي تجاوزات تحدث في الاستيعاب- أما اللجنة الثانية فكانت مسئولة عن مراقبة وقف إطلاق النار لإحتواء الخروقات والمشاكل الناجمة عن ذلك حتى لا تتحول إلى أزمات كبيرة- ومن جانبي إستمريت في أداء مهامي مع المسئولين في القيادة الجنوبية في إطار مهام هذه المؤسسات في الجنوب.

*** تخطي الجنرال حماد :-**

اللواء حماد لم تكن علاقته جيدة مع اللواء عوض خلف الله، رئيس هيئة الأركان وقتها. فالأول كان يتوقع تسميته رئيساً للأركان بعد إحالة اللواء محمد عبد القادر للمعاش- وفى أول زيارة لنا للخرطوم بدأنا نشعر بأننا نعامل في القيادة العامة كضيوف. وكان الأمر بالنسبة لي طبيعياً. إذ لم يكن لي مكان آخر في الخرطوم لاستقر فيه. فتلك كانت زيارتي الثانية للمدينة منذ توقيع اتفاقية السلام. نزلنا معاً في بيت الضيافة. وهناك وجه رئيس هيئة الأركان بمعاملتي كضيف على حساب القيادة العامة. أما زميلي، حماد، فلم يكن على علم بذلك. كان يعتقد أننا سنعامل معاً كضيوف، طالما أننا نقوم بعمل واحد- وعندما طلب منه دفع فواتير الإقامة، أصيب بصدمة كبيرة- وقال إنه استقر في بيت الضيافة، لأنه جاء معي لعمل محدد وإنه لم يكن من الممكن تركي وحدي والذهاب للسكن في مكان آخر- وتساءل: (أي عجز في ميزانية القوات المسلحة سيحدث إذا تحملت القيادة العامة كل تكلفة الزيارات المماثلة؟) شعرت بحرج وارتباك. وفى الزيارات اللاحقة بدأت أصرّ على دفع فواتير إقامتي كاملة.

*** الانتخابات العامة في الجنوب :-**

كانت هناك مشاكل عديدة أثناء فترة الانتخابات وقبلها وبعدها- فمن الطبيعي أن تفرز الانتخابات في الجنوب، كما في منطقة أخرى، بعض المشاكل وأن تترك خلفها بعض الإحباطات والمرارات لفترة من الزمن- وكنت في ذلك الوقت أبدي اهتماماً كبيراً بتلك الانتخابات، رغم أنني لم أكن مشغولاً بالسياسة، مثل معظم ضباط القوات المسلحة- ولو كنا مهتمين لحققنا انتصاراً دون عقبات تذكر- ففي

تلك الفترة كنا نشعر باحترام الرأي العام لنا كمقاتلين من أجل الحرية حققوا تغييراً كبيراً أكثر من لو كنا سياسيين محترفين- وتعبير (سياسي) كان يعني في نظر الناس العاديين شخصاً مراوغاً ومخادعاً لا يعتمد عليه- ففي دائرتي غرقت في مواقف وخطوط متناقضة- كان هناك قاما حسن، الوزير في حكومة أبيل ألير، يعمل للفوز بالدائرة. واستناداً إلى أدائه الجيد في الفترة الانتقالية، شعرت بالتعاطف معه وفضلته على سفرينو فولي وأنجيلو فوقا، الذين ينحدرون من نفس الدائرة. وذلك لأن الأخيرين كانا يقومان بعمل هام يتطلب استمرارهما فيه- أحدهما كان يعمل، بشكل ممتاز، كموظف كبير في لجنة التأهيل وإعادة التوطين. والثاني استوعب في وزارة الخارجية، حيث كان عدد الجنوبيين محدوداً- ولكنهما لم يقتنعا بتلك المواقع. كانوا من نفس المنطقة والقبيلة، تماماً مثل قاما حسن وشخصي. وكانوا ضد تعيين قاما حسن وزيراً في المجلس الانتقالي منذ البداية. وذلك بحجة أنهم هم الأفضل للترشيح للوزارة. ونتيجة لذلك ترشح فولي في مواجهة قاما. ومع أني لم أبدي أي دعم ومساندة لزميلي قاما بشكل واضح، فقد كان فولي متشككاً في موقفي وظلّ يراقب تحركاتي خلال فترة الانتخابات بشكل متواصل. وغضب غضباً شديداً عندما علم بسفري مع قاما إلى نمولي في مناسبة معينة خلال أيام الانتخابات- وكان ذلك سبباً كافياً ليتهمني بمساندة قاما حسن وبالعمل على إسقاطه عندما فاز الأخير- ووقف أنجيلو فوقا معه في اتهاماته وفى مخاصمتي لفترة من الزمن- وبذلك فقدت صديقين حميمين لمصلحة شخص وقف مع أبيل ألير، عندما نافسته في وقت لاحق- المهم خسر قاما حسن الانتخابات الثانية بعد أن تحول إلى أداة مطيعة في أيدي أبيل ألير لاستخدامه ضدي ولتقوية مجموعته على حساب منطقتنا.

في الانتخابات الأولى، تدخل نميري بطريقة فظّة، أدت إلى إفساد العملية الديمقراطية. فقد أعلن من راديو وتلفزيون أمدرمان أن نائب رئيس الجمهورية، أبيل ألير، هو مرشح الاتحاد الاشتراكي السوداني لرئاسة المجلس التنفيذي العالي.

وكان بونا ملوال، وزير الإعلام وقتها، يتباهي بأنه هو الذي نصح نميري بالتدخل- ولم يكن هناك سبب لهذا التباهي، بل أدي ذلك فقط إلى إضعاف موقف ألير وتأكيد حقيقته كأداة شمالية طيّعة في انتخابات كان يمكن أن يكسبها دون عقبات كبيرة- فقد كنت أقف معه قبل الإعلان الرئاسي، ولكني بعد ذلك حوّلت مساندتي للذين كانوا يدعون للديمقراطية في الجنوب وإيقاف التدخل الشمالي في شئونه- شعرت بمرارة وإحباط عندما سمح أبيل ألير لنفسه، وللمرة الثانية، بأن يكون أداة سهلة لتفكيك الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب. ونظرت إلى هذه الخطوة، كخطوة ثالثة في استخدامه لتمزيق اتفاقية أديس أبابا- خطوة سبقتها خطوات تعيينه غير المتوقع لرئاسة المجلس الانتقالي العالي وقبوله للتراجع من الموقع الثاني في الدولة إلى الموقع الثالث، كنائب ثاني للرئيس، ولولا تدخل نميري باعتباره المرشح الوحيد لرئاسة المجلس التنفيذي العالي، لجاءت أول انتخابات في الجنوب كانتخابات حرّة ونزيهة. ومع أن الأحزاب لم يكن مسموحاً بها، فقد تجمع الجنوبيون وتكتلوا في مجموعتين خلال تلك الانتخابات وبعدها- مجموعة أبيل ألير والمجموعة المعارضة له، والمجموعة الأخيرة رفضت تدخل الرئيس بشدّة واعتبرته عملاً لا ديمقراطياً.

وهكذا، أنتخب أبيل ألير من مجلس الشعب الإقليمي، رئيساً للمجلس التنفيذي العالي دون معارضة. وفى الجانب الآخر كانت عملية انتخاب أعضاء مجلس الشعب الإقليمي تتميز بالحرية والمنافسة والنزاهة. والوزراء الذين فقدوا دوائرهم هم:- أليا لوب، أزبون منديري، صمويل أبوجون- وكانت تلك الانتخابات جزءاً من تطبيق اتفاقية السلام، خلال فترة محدّدة (18 شهراً.) والشيء الوحيد غير المتوقع كان هو تدخل نميري لفرض أبيل ألير- ومع كل ذلك، أفرزت الانتخابات مشاكل عديدة وحركت الإحساس بأهمية الديمقراطية في الشمال نفسه. فقد كان من المفارقات العجيبة أن يكون الشمال محكوماً بنظام الحزب الواحد، بينما يمارس الجنوب نظاماً ديمقراطياً تعددياً- ومع أن هناك معارضة شمالية معروفة ونشطة

لنظام الخرطوم، فقد أدت اتفاقية السلام إلى تقويته ودعمه والى أضعاف المعارضة الشمالية بشكل عام- وفى كل الأحوال، فقد ساعدت الممارسة الديمقراطية في الجنوب على تحريك تطلعات الشمال في نفس الاتجاه، وعلى دفع قوى المعارضة الشمالية لمضاعفة جهودها من أجل تغيير النظام القائم واستبداله ببديل ديمقراطي.

الباب الرابع

الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب

الفصل الثاني عشر

الديمقراطية ومشاكل الإقليم الجنوبي

* فترة جديدة لأبيل ألير :-

بعد الانتخابات دخل أبيل ألير ومجلس وزرائه الإقليمي في فترة جديدة تميزت بالاضطرابات والمشاكل- إذ لم يعد في مقدور المجلس أن يفعل ما يشاء كما كان في المرة السابقة- فالمجلس الجديد انتخب من الشعب لمراقبة ومحاسبة الحكومة. وكانت هناك قضايا هامة عديدة تنتظر المعالجة الحاسمة، مثل توزيع الإداريين التابعين للانيانيا وبقية الجنود المسلحين- وقد قمت بمعالجة بعض هذه المشاكل مع نائب الرئيس، حتى أمكنه من استغلال وقته في معالجة المشاكل الأخرى، حيث استوعبنا عدداً مقدراً من الإداريين في الخدمة المدنية بالإقليم الجنوبي. كما استوعبنا عدداً من جنود الانيانيا في حرس الغابات وحرس الصيد- وبعضهم أرسل للعمل في مناطقهم- أما المتبقين، فقد منحوا مرتب ثلاثة شهور لمساعدتهم في بداية حياة جديدة- وخلال تلك الفترة سعدت بعلاقة طيبة مع أبيل ألير وعملنا معاً لمعالجة مشاكل كثيرة في تلك الأيام الصعبة.

* 3 مارس 1973 :-

الاحتفال بالذكرى السنوية الأولى لاتفاقية أديس أبابا، كان أكبر مناسبة خلال الفترة الانتقالية، عندما كان تطبيق الاتفاقية يجري على قدم وساق. وتطلب الاحتفال تحضيرات كبيرة. فقد عبدّت الشوارع الرئيسية في مدينة جوبا وممرات المطار، عبدَت بالإسفلت لأول مرة في تاريخها- وكان ذلك يمثل تطوراً كبيراً بالنسبة للجنوبيين الذين لم يزوروا الشمال أو عواصم البلدان المجاورة- كانوا يقفون هناك معجبين بشبكة الطرق المسفلتة- وكان الإمبراطور هيلاسلاسي هو الضيف الرئيسي في الاحتفال- ووجهت له الدعوة لتشريف الاحتفال، تقديراً لدوره في تحقيق الاتفاقية. وكان هناك عدد كبير من الجنوبيين ينتظرون رؤية هذا

الضيف العظيم- فقد كانوا يقدرونه ويعزونه ويتشوقون لرؤيته- امتلأ مطار جوبا بالجمهور، بشكل لم يشهده من قبل- وطيارته، البوينق التابعة للخطوط الجوية الأثيوبية، كانت أول طيارة أجنبية تنزل أرض الجنوب- وهكذا، استمتع الناس برؤيته. والذين كانوا بالقرب من المطار، رأوه ينزل من الطيارة ليستقبله الرئيس نميري ويحييه. آلاف الأنظار كانت تتابع هذا الرجل العظيم، القصير القامة، وهو يتحرك نحو المنصَة ليعزف له السلام العسكري. واستمرت الأنظار تتابعه وهو يمشي لمشاهدة الرقصات القبلية التي نظمت على شرفه- ووقتها كنت أجلس بجانب نميري، تقديراً واحتراماً لدوري في المناسبة- وفي ذروة الاحتفالات في دار الرياضة بمدينة جوبا، كنت أجلس على شمال الإمبراطور والرئيس نميري على يمينه، وعندما سألت موظفي برتكول القصر عن أسباب جلوسنا أنا ونميري حول الإمبراطور، أجابوا لأنني وقعت اتفاقية السلام مع الرئيس- كان اليوم يومي والاحتفال احتفالي- هآنذا مع الرئيس نحيط ضيفنا العظيم، بينما كانت القوات المسلحة والقوات المساعدة تمرَ أمامنا وتتبعها مجموعات من المدنيين وفرق الرقص الشعبي- ووجودي بالزيّ الرسمي، كما كان الإمبراطور والرئيس نميري، أعطاني شعوراً بالأهمية أكثر من أبيل ألير ووزرائه- فوقتها كان ينظر إلى دورهم في درجة أقل- وبدت السلطة بالفعل في أفواه البنادق، كما كان يقول ماوتسي تونج- إذ أن الجنوبيين كانوا ينظرون لي كقائدهم وزعيمهم الذي يشارك الرئيس نميري- ويبدو أن تصعيدي لموقع متكافئ مع موقع الرئيس كان له تأثير كبير وسط الشباب الجنوبي. ولذلك لم يعودوا يعتبرون القوات المسلحة كخيار أفضل للفاشلين في المجالات الأخرى، بل كخيار للناجحين. وضمن هذا الإطار بدأ الباحثون عن السلطة يهتمون بالعسكريين. وربما يكون ذلك أحد أسباب التي دفعت المثقفين الجنوبيين في الخارج للانضمام لجيش تحرير شعب السودان **SPLA**، وريث قوات الانيانيا، بشكل واسع وحماس شديد.

هكذا مرّت ذكرى الاتفاقية بفرح وابتهاج في عموم جنوب السودان. أما في الخرطوم، فقد كان الحال مختلفاً، كما سأناقش ذلك في صفحات قادمة. المهم، في صباح اليوم التالي، كان الإمبراطور هيلاسلاسي يبدو منشرحاً، حيث ودّع في المطار بنفس الطريقة التي استقبل بها. وفي الخرطوم أعلن عن اعتبار يوم 3 مارس عيداً وطنياً (أصبح يشار إليه فيما بعد بيوم الوحدة) وهو اليوم الذي أعلن فيه نميري اتفاقية السلام بعد عودة وفد الحكومة من أديس أبابا- والواقع أن الاتفاقية وقعت في 28 فبراير، وفي 27 مارس 1972 تمت إجراءات التوقيع النهائي- وفي مساء الثالث من مارس 1973 (ذكرى الاتفاقية) قامت إحدى مجموعات منظمة التحرير الفلسطينية بتنفيذ عملية فدائية، أدت إلى إحداث اضطرابات في الخرطوم، حيث هاجم فدائيون فلسطينيون احتفالاً في السفارة السعودية في الخرطوم وقاموا باحتجاز السفير الأمريكي ونائبه ودبلوماسي إيطالي وآخر بلجيكي- وعندما رفضت مطالبهم لإطلاق سراح زملائهم في الوقت المحدّد، قاموا بقتل هؤلاء الدبلوماسيين. وبعيداً عن هذا الحدث المأساوي، كانت الاتفاقية قد أكملت في ذلك اليوم عاماً كاملاً دون أي مشاكل أو عقبات حقيقية- وذلك يعني أنها يمكن أن تستمر كنموذج إذا لم تتدخل بعض العوامل وتؤدي إلى انهيارها بعد عشر سنوات من ذلك اليوم. وعلى أي حال، كانت فترة ما بعد الانتخابات اختباراً صعباً لأبيل ألير ومؤيديه في الحكومة الإقليمية- كانت هناك العناصر المعارضة في مجلس الشعب الإقليمي. فرغم عدم الاعتراف بوجود الأحزاب، كان المجلس ينقسم إلى مجموعتين متميزتين:- مجموعة مؤيدي الحكومة ومجموعة المعارضة، تماماً كما يحدث في البرلمان البريطاني. وهذه المعارضة لم يكن لها زعيم محدّد، بل كانت مجموعة أعضاء يعارضون قيادة الحكومة في ذلك الوقت، ممثلة في أبيل ألير، الذي يعتبرونه مجرد أداة شمالية طيّعة. وكان يشار إليه في الأوساط الشمالية بـــ(ابن السودان البار.) وأدى ذلك عملياً إلى إضعاف موقفه وسط الجنوبيين الذين كانوا يشعرون بأنه يعمل لخدمة المصالح الشمالية. ولهذا السبب اختاره نميري

وفضله على كل الزعماء الجنوبيين الآخرين- وكان من الطبيعي أن يحاول الشمال الاعتماد على بعض العناصر لضمان استمرار مصالحه في الجنوب. فحتى في الشمال نفسه كانت هناك مجموعات عديدة داخل الاتحاد الاشتراكي، حزب الحكومة. وكان الرئيس نميري يتلاعب بتلك المجموعات ويستفيد من صراعاتها مع بعضها في المحافظة على سلطته واستمرارها. ولكن هل يمكنه الاستمرار في هذه اللعبه الميكافيلية إلى ما لانهاية ؟ بالطبع لا يمكن. ولذلك لم يكن المستقبل مأموناً في إطار ذلك النظام. كان نميري متعطشاً للسلطة. وفي سبيل ذلك كان يتلاعب بالجميع وبكل شيء. ويبدو أنه لم يدرك حكمة ابراهام لنكولن، حيث يقول (إذا فقدت ثقة زملائك المواطنين، فانك لن تكسب احترامهم وتقديرهم. فقد يمكنك أن تكذب على كل الناس لبعض الوقت، ويمكنك أن تكذب على بعض الناس كل الوقت، ولكنك لن تستطيع أن تكذب على كل الناس كل الوقت.).

وفي الجانب العسكري، كانت الأمور تسير بشكل حسن- فقد استكمل تدريب القوات المتحدة الجديدة قبل الانتخابات العامة في الجنوب، حيث وزع الجنود والضباط الجنوبيون في وحدات موازية لوحدات زملائهم في الجيش الشمالي القديم، المنتشرة في الجنوب- والمشاكل قد تبرز خلال عملية دمج المجموعتين. وذلك لأن كل مجموعة كانت تتفهم الوضع بشكل مختلف. فالشمال كان يفهم عملية الدمج خلال الفترة المحدّدة (خمس سنوات) بمعنى العودة إلى الوضعية التي كانت سائدة قبل اتفاقية السلام. وكان ينظر للفترة الانتقالية كفرصة لاستكمال إبعاد القوات المستوعبة خارج القوات المسلحة. والجنوب كان يفهم تلك الفترة كفرصه للعودة التدريجية للوضعية التي كانت سائدة في الفترة الكولونيالية، وذلك بإبعاد القوات الشمالية خارج الجنوب. وأدى ذلك، بالضرورة، إلى تنمية حالة من عدم الثقة والشكوك المتبادلة بين الطرفين- وفي هذا الأثناء بدأت عملية الدمج وفق خطة تدريجية، تبدأ بإدخال العناصر الشمالية العاملة في مجال الإدارة للقوات

المستوعبة. ولكن هذه البداية لم تستقبل بحماس وترحيب. ومع ذلك، كان يمكن أن تتم العملية بسهولة لولا تأثير عاملين هامين، هما:

1- اختلاف النظر لأغراض وأهداف الفترة الانتقالية.

2- عدم استقرار الأوضاع في مجلس الشعب الإقليمي.... فقد بدأت العناصر المعارضة لفرض أبيل ألير في رأس الحكومة الإقليمية، ووسط المثقفين الجنوبيين، في تنظيم مقاومتها في خلايا سرّية، امتدت تأثيراتها إلى داخل القوات المسلحة في الجنوب، وخاصة في وسط القوات المستوعبة. وتبع ذلك ظهور سلسلة أحداث في القوات المسلحة، كانت تستهدف إضعاف النظام الحاكم وتبعيته في الجنوب. وكانت ولاية أبيل ألير الثانية فترة اضطرابات وعدم استقرار- والمعارضة الشمالية، التي كانت تتابع تطورات الجنوب باهتمام متزايد، بدأت تلاحظ تأثير تلك الاضطرابات في إضعاف النظام الحاكم. ولذلك قامت بتوسيع حملاتها الخارجية وتركيز نشاطاتها الداخلية، من أجل إرباك سلطة نميري ودفعها في طريق الانهيار.

*** 3 مارس 1974 :-**

في الذكرى الثانية للاتفاقية، ذكرى يوم الوحدة الوطنية، تحولّت الاحتفالات إلى مدينة ملكال. فسافرت مع رئيس هيئة الأركان، الجنرال خلف الله، إلى هناك لحضور المناسبة. ومع إنني لم أجد الاهتمام الذي وجدته في احتفالات الذكرى الأولى، فإنني لم أهتم بذلك، بل كنت سعيداً بمرافقة الجنرال خلف الله، ذلك الرجل المهذب والمعتدل والقانع بدوره العسكري دون أي تطلعات سياسية- وكان معنا أيضاً الجنرال المتقاعد مبارك عثمان رحمة، الذي كان يدرّس التكتيكات في الكلية العسكرية، عندما كنا ندرس هناك- وهو شخص ظريف، يحب المرح وكان يقدمني للناس بقوله (درّسناه تكتيك، طبقو فينا.) وفي إحدى المناسبات أخذ قبعة عوض خلف الله، وبعد فحصها قال له: (يا عوض، ماتودي واحدة من الدبابير دي في الخلف..) وكان بالطبع يحاول إثارة عوض ومضايقته. فردَّ عليه بغضب واضح:

(أعملها أنت..) وفي الإجمال كنت سعيداً بمرافقة هذين الصديقين العزيزين- وسلوكهما ذكرني بما كان يحدث في ليوبولد فيل بين الأب ساترنينو وأقري جادين- وبعد نهاية الاحتفال رجعنا إلى الخرطوم. وفي الخرطوم لم يكن خلف الله يرغب في البقاء في منصبه- فقد طرح إحالته لتقاعد مبكر بمعاش مناسب- وخروجه من القيادة العامة خلق مشكلة أخرى لصديقي الجنرال حماد، حيث تخطّوه للمرة الثانية وعينوا بشير محمد علي، رئيساً للأركان. وكان أدنى منه في قائمة أقدمية الضباط. فغضب حماد وطلب إحالته للمعاش. وبدلاً من إعادة النظر في المسألة برمتها، شعر نميري بأن هذا الطلب يمثل احتجاجاً على قراره- فتصرف بحماقة وأحال حماد للتقاعد بمعاش متدني. ولم أكن أتوقع أن يبعد هذا الضابط بهذه الطريقة، بعد عملنا المضني والصعب في ظروف ما بعد الاتفاقية- فتساءلت (آه عزيزي، قد يحدث لي ذلك في وقت لاحق.) كنت أرى أن نميري قد تعامل بقسوة وانفعال مع حماد- كان عليه أن يستشيره، وإذا كان يعتبره غير مناسب للمنصب المذكور، فقد كان من الممكن إحالته للتقاعد وتعيينه في وظيفة ملائمة خارج القوات المسلحة- وأكثر من ذلك، كانت توقعاتي، التي شاركني فيها عدد كبير من الجنوبيين، أن أخلف حماد في موقعه بالقيادة الجنوبية- ولكن ذلك لم يحدث. فقد اختير اللواء خالد الأمين، شمالي آخر، ليحلّ محله- ويبدو أن رغبة الشمال في الاحتفاظ بالسيطرة على أجهزة الأمن في الجنوب تنبع من عدم الثقة في الجنوبيين، بما في ذلك شخصي الضعيف، الذي وقع اتفاقية السلام مع الشمال نيابة عن الجنوب كله- وإرسال ضابط شمالي إلى هناك، وتركي جالساً في مكتب في الخرطوم دون عمل، كان في نظر الدوائر الجنوبية يمثل نوعاً من البطش والإرهاب. ومن جانبي شعرت بقلق وعدم ارتياح، لكني تمالكت أعصابي وتظاهرت برضائي عن وظيفتي، رغم أنه لم يكن هناك ما يمكن فعله في المكتب- فحاولت ملء وقتي بالسفر المتواصل لتفتيش مختلف الوحدات العسكرية. ورغم كل ذلك، تمكنت، من خلال ذلك، زيارة مناطق عديدة في السودان لم تتاح لي زيارتها من قبل. ولإبداء حسن النية، قمت

أيضاً بزيارة الجنوب وتفتيش بعض الحاميات هناك، مع الجنرال خالد الأمين، كما فعلت مع سابقه- وشعرت بأن من واجبي أن أقدمه لقوات الأنيانيا التي أصبحت جزءاً من القيادة الجنوبية. وهو أيضاً كان حريصاً على معاملتي كضابط أعلى منه، وكان ذلك يكفي. وبعد وقت قصير واجه تمرداً في الكتيبة 116.

*** الكتيبة 116 :-**

حولّت قوات الأنيانيا السابقة في القيادة العامة لتشكّل الكتيبة 116 ووزعت بواسطة القيادة الجنوبية، بعد تدريبها كقوات مشاة- أما الوحدات الأخرى من القوات المستوعبة، فقد بقي بيتر سريلو (قائدها)، هو الضابط المسئول. وكانوا يقومون بحراسة مخازن قيادة الأنيانيا السابقة. وانفجرت مشكلة وسط هذه الوحدات، عندما رأى بعضهم مولّداً به علامة تلك المخازن يستخدم في دكان أحد التجار. فاشتبهوا في أن الضابط المسئول قد سرقه من المخازن وباعه لذلك التاجر- وانتشر الاتهام في أوساط عديدة. وبحكم جهلهم بإجراءات محاسبة الرتب الأعلى منهم، فقد قرّروا معالجة المسألة بطريقتهم الخاصة. وفي صباح أحد الأيام انتشر خبر انفجار مشكلة، نتيجة قيام الضابط المسئول بمعاملة رجاله معاملة قاسية. وجاء في الخبر أن وحدات الأنيانيا السابقة قد تمردت واعتقلت الضابط المسئول وأخذته إلى جبل الكجور، غرب مدينة جوبا- وفي ذلك الصباح كنت في طريقي إلى مدينة جوبا للبدء في تشييد منزلي هناك. وعند اقتراب الطيارة من المطار، كنت أنظر خلف النافذة، استمتع بخضرة أرضنا الطيبة. وهناك رأيت عدداً من الناس يتحركون وسط الحشائش، كأنهم يصطادون فئران الغابة- وعند هبوط الطيارة، استقبلني أحد ضباط القيادة الجنوبية. وفي العادة كان زميلي الجنرال هو الذي يستقبلني، إذا كان موجوداً في المنطقة. فاعتذر لي الكولونيل نيابة عنه وقال لي أنه مشغول ببعض المشاكل في مركز القيادة الجنوبية. وقال لي أن الضابط المسئول في القيادة ينتظر وصولي ويأمل في أن أتمكن من مساعدته في حلّ المشكلة التي أجبرته للبقاء في المكتب. وفي هذا الأثناء شعرت بعدم الارتياح والانزعاج في وجه هذا

الكولونيل ووجوه الجنوبيين المقربين منا- وبعضهم التفت وحيّاني وأشعرني باهتمامه بي- وبعدها تحركنا إلى القيادة الجنوبية. ولكسب الوقت، بدأ الضابط في تنويري بما حدث ونحن في الطريق إلى مبنى القيادة- وهناك استقبلني الضابط المسئول بحرارة وترحاب وسألني إن كان الكولونيل قد شرح لي ما حدث. فأجبته بنعم.

وبعد دقائق معدودات وصل أبيل ألير، نائب رئيس الجمهورية. وقام الضابط المسئول بتنويرنا بالمشكلة الجارية وقتها. وهنا شعرت بأنه يختلف كلية عن القائد السابق، الرجل الهادئ والمهذب، اللواء فضل الله حماد- ففي تنويره لنا استخدم تعبير (المتمردين) في إشارته إلى العسكريين الذين اعتقلوا بيتر سريلو (مسئول القوات المستوعبة.) وهو تعبير مستهجن ومكروه في الأوساط الجنوبية، بحكم دلالاته التي تحتقرهم وتحطّ من قدرهم- وبدا لي أنه كان على استعداد لاستخدام القوة لإطلاق سراح بيتر سريلو وحرسه، حيث كانت هناك مجموعة من الجنود المسلحين والعربات الجاهزة للتحرك- وهنا شعرت بالقلق والخوف، لأن المشكلة ليست بالخطورة التي تتطلب استخدام القوة المسلحة، والشخص الذي يستهدف تحريره قد يفقد حياته عند استخدام القوة. ومثل هذا التصرف الانفعالي سيؤدي فقط إلى إشعال شرارة موجة من الاضطرابات والفوضى في الإقليم الجنوبي بأكمله، اضطرابات وفوضى لا يمكن إيقافها بسهولة. فكتائب القوات المستوعبة في كل مناطق الإقليم سوف تتحرك في ردّ فعل عاصف لا يمكن احتواؤه. سوف تتحرك بأسلحتها إلى داخل الغابة، تضامناً مع الكتيبة 116 وللبدء في حرب عصابات جديدة تعود بالوضعية العامة إلى المربع الأول- ولذلك نصحت بمعالجة المشكلة بهدوء وحذر واستغلال كل الوسائل السلمية الممكنة من أجل إطلاق سراح المقدم بيتر سريلو، الضابط المسئول عن الكتيبة 116 – وقلت إن مثل هذا الحدث ليس غريباً على قوات الانيانيا، وأكدت على ضرورة اتباع الوسائل السلمية. وعند انتهاء حديثي، دخل علينا العميد محمد يحي منور، الضابط الثاني في

القيادة، ومعه المقدم جيمس لورو، أحد الضباط المستوعبين.. جاءوا يحملون بصيص أمل في حلّ المشكلة بطريقة سلمية، حيث قال العميد إنهم تمكنوا من الاتصال بالمجموعة التي اعتقلت بيتر سريلو وأكدوا لهم أنه بخير. وأكد استعداده للذهاب، مع زميله لورو، للتفاوض مع المجموعة المعنية بدون أي سلاح- واقترح إيقاف أي تحركات عسكرية، خاصة حاملات الجنود والآليات المسلحة- وأضاف إنه سيخبر جنود الكتيبة 116 ، وكلهم من قوات الانيانيا السابقة، بوصولي للمساعدة في تهدئة الأحوال. وهنا التفت نحوي وقال: (سيدي، يمكنك الالتحاق بنا والمشاركة في المفاوضات، إذا احتجنا لذلك.) وهكذا، كانت أفكاره واقتراحاته تتفق مع ما كنت أفكر فيه. فقلت له :(ممتاز. هذا هو الأسلوب الأفضل، وقد تعودون ومعكم المقدم سريلو..) ثم وجهت حديثي إلى نائب الرئيس وقائد القيادة الجنوبية، وقلت لهما أن ما يقوله العميد هو الأسلوب الأمثل وعليه مواصلة العمل في هذا الاتجاه. ووافق السيد النائب على ذلك. وبذلك بدت إمكانية حلّ المشكلة دون مواجهة عسكرية. وهكذا تحرك العميد يحي منور والمقدم لورو لأداء مهمتهما الصعبة. وعند عودتهما هدأت الأحوال. فقد تمثلت مطالب المجموعة في استعادة المولّد إلى مخازن القيادة ونقل المقدم سريلو من وحدتهم. وأطلقوا سراحه كعربون عن حسن نواياهم. وكلها كانت مطالب معقولة. وكانوا يأملون في الاستجابة بتحقيقها وفي عدم إخضاعهم لأي عقوبات جزائية. وهذا أيضاً كان مطلباً معقولاً- ولذلك اقترحت الاستجابة لمطالبهم واستيعابهم بالتدريج في النظم العسكرية. كنت أرى أنهم يجهلون النظم العسكرية وكيفية التعامل معها فيما قد يعترضهم من مشاكل- وتفهم الضابط المسئول وجهة نظري هذه والتزم بموجهاتها. وهكذا انتهت ما عرف وقتها بـ(مشكلة بيتر..).

المهم، كان ما حدث يمثل بداية سيئة للجنرال خالد أمين في موقعه الجديد- وكنت أشك في قدراته على إدارة المشاكل والأزمات. وبعد تلك المشكلة، بدأ الجنوبيون يتشككون في قدراته وإمكانياته. وبعضهم بدأ يتهمه باستغلال مثل هذه

المشاكل لإشعال نيران الفتنة والاضطرابات في الجنوب- وظلّت هذه الشكوك والاتهامات تتسع وتنتقل من دائرة إلى أخرى ومن مدينة إلى مدينة، حتى شملت مناطق ودوائر واسعة. واصبح يوصف في الأوساط الجنوبية كمتشدّد ومتطرف يعمل على مقاومة التغيير الجاري في أوضاع البلاد بشكل عام- وبالتدريج اتسعت قاعدة المطالبين بإبعاده من القيادة الجنوبية. وبدأ البعض يتساءل عن أسباب نقلي للخرطوم وحول إمكانية عودتي للجنوب على رأس القيادة العسكرية في جوبا- ووصلت هذه الاتهامات والتساؤلات إلى سمع رئيس الجمهورية نفسه، الذي كان يعتبر اتفاقية السلام أهم إنجازاته السياسية- وبالتالي لا يمكنه أن يترك مثل هذا الشخص للقيام بتخريب هذا الإنجاز أو أن يسمح بتآكل اتفاقية السلام وانهيارها في النهاية نتيجة أخطاء وإهمال ضباط متدهورين- وهذا ما كان. فبعد هدوء الأحوال، طلب مني الذهاب إلى الجنوب واستلام القيادة الجنوبية من الجنرال أمين، الذي نقل ليحلّ مكاني في القيادة العامة بالخرطوم. كان ذلك في الربع الأخير من عام 1974. وفي طابور وداعه، أبدى الجنرال عواطف طيبة، عندما قال: (كنت اعتقد أنني سأبقى معكم لفترة أطول من ذلك. إنني حزين لنقلي بعد فترة قصيرة معكم. ولكن الحالة العامة هي التي فرضت ذلك.) وفي أثناء حديثه هذا، طأطأت رأسي وتألمت لحاله- فقد فرضت الحالة العامة نقله، كما قال، ولم اكن اشعر بأي مرارات تجاهه. والواقع أني شعرت بتعاطفي معه، وتذكرت الاهتمام الذي وجدته من شقيقه الأكبر، الكولونيل مقبول الأمين الحاج، قائد الكلية العسكرية في 1959/58، عندما رتب لنا دروساً خاصة في اللغة العربية (أنا وزميلي جوفاني دوكو باسا) لتمكيننا من التعامل مع زملائنا الشماليين. فودعته بحرارة وتمنيت له أماني طيبة وأملت أن يتفهمني. وأياً كانت مشاعرنا الخاصة في تلك اللحظات، فقد استمرت علاقتنا الطيبة حتى مغادرته إلى الخرطوم.

لقد رحّبت أعداد كبيرة من الجنوبيين بعودتي إلى جوبا، حتى الذين كانوا يقفون ضدي لأسباب سياسية. وبحكم مسئوليتي الجديدة هذه، قمت بجولات

وزيارات للوحدات العسكرية المختلفة في الجنوب- وهي كتجربة ليست جديدة بالنسبة لي- فقد قمت بذلك عدة مرات مع الجنرال فضل الله حماد ومع خليفته الجنرال خالد الأمين. ولكن كان هناك فرق أساسي. ففي هذه المرة أقوم بذلك وأنا في موقع المسئول عن القيادة الجنوبية- وهو موقع يعني الكثير بالنسبة للجنوبيين في ذلك الوقت. إذ أنها المرة الأولى التي يشعرون فيها أن أحد أبنائهم يقوم بالإشراف على أمنهم وسلامتهم- وأدى ذلك بالضرورة إلى توطيد ثقتهم في النظام الحاكم- ولذلك سارت الأحوال بشكل جيد في العموم، وربما كانت تلك الفترة أفضل الفترات التي مرّت على الجنوب منذ إعلان الاستقلال في مطلع 1956، حيث كانت الإدارة المدنية والعسكرية هناك في أيدي الجنوبيين أنفسهم.

*** 3 مارس 1975 :-**

بعد الاحتفال بالذكرى الأولى لاتفاقية أديس أبابا، أعلن نميري أن الاحتفال بـــ (يوم الوحدة) سيكون كل عام في أحد عواصم المديريات المختلفة. وكانت الاحتفالات في هذا العام في مدينة واو، عاصمة بحر الغزال، وشرّفها القائد الليبي، العقيد معمر القذافي، الذي أصبح صديقاً بعد إعلانه احترام اتفاقية أديس أبابا- وفي البداية كان يقف ضد الاتفاقية. ففي زيارة غير متوقعة للبلاد، خاطب جمهور أمدرمان بقـــوله: (شمال السودان أرض عربية وشعبها عربي. وجوزيف لاغو يمكنه الذهاب جنوباً مع أخونه الأفارقة الزنوج. وعليه أن يبتعد بأفكاره عن الأمة العربية..) وعندما قال ذلك، لم يقابله الجمهور بالتصفيق والهتافات، بل بالصمت والاستغراب- وعند سماعي بحديثه هذا، ابتسمت وقلت لزملائي الجنوبيين: (لقد ناضلت وحاربت من أجل قضية الجنوب. وجنوب السودان لا يريد ولم يحاول قط حكم الشمال. بالعكس، الشمال هو الذي يعمل على الدوام لتوسيع نفوذه السياسي وفرض ثقافته العربية الإسلامية في الجنوب بهدف احتلاله وحكم شعبه واستيعابه- ليعمل العقيد القذافي على إيقاف هذه النزعة التوسعية الشمالية أولاً قبل أن يوجه لنا هذا الاتهام الجائر.) وللشماليين قلت: (قد يكون محقاً في قوله بقربكم منه أكثر من

الجنوبيين، وعليكم أنتم تحديد من تقفون معه، مع الشعب الأفريقي الزنجي في الجنوب أم مع أشقائكم العرب في ليبيا؟) والواقع أنني أعجبت بما قاله- وعندما أصبح صديقاً اقترحنا (أبيل ألير وشخصي، بصفتي مسئول القيادة الجنوبية.) للرئيس نميري دعوته لحضور الاحتفال الثالث بذكرى الاتفاقية. فرحب الرئيس بالاقتراح وقام بدعوته.

تجمعنا كلنا في مدينة واو في اليوم السابق للاحتفال، نائب الرئيس ووزراء الحكومة الإقليمية وشخصي. وهناك لحق بنا اللواء محمد الباقر احمد، النائب الأول لرئيس الجمهورية. وفي صباح 3 مارس 1975 كنا جميعنا في مطار المدينة لاستقبال الرئيس وضيفه العزيز- وعند هبوط الطيارة في أرض المطار، تحركنا ثلاثتنا لاستقبال الرئيس وضيفنا وقيادتهما للمنصَّة، لتلقي التحية العسكرية وليعزف لهما السلام الجمهوري، ومن ثم أخذهما نائب الرئيس لتحية الوزراء الإقليميين وكبار الشخصيات الأخرى. وبعد ذلك شاهدوا رقصات شعبية ولقاءات نظمت في استقبالهم- ومن هناك تحركوا إلى المدينة. وكنت مع نائبي الرئيس في السيارة المكشوفة التي تحمل الرئيس وضيفه. وعلى طول الطريق (حوالي كيلومتر ونصف) كانت تصطف الجماهير، ترحب بالزعيمين وتهتف بشعارات الوحدة والسلام- وكان القذافي ينظر حوله في طول الطريق وفي غابات أشجار المانجو حتى مدخل المدينة- وظلّ يلاحظ هذه الأشجار حيثما ذهب. ويقال أنه سأل إذا ما كانت تنمو بطريقة برّية دون تدخل من إنسان- المهم أن الاحتفال تواصل بشكل منتظم وهادئ. ووجد القذافي فرصة كبيرة لمشاهدة الجنوب والحديث مع المسئولين والناس العاديين.

في منتصف اليوم طلبني مكتب الشرطة للإجابة على رسالة عاجلة من ملكال، عاصمة أعالي النيل- فاستغربت وتساءلت: ماذا تطلب مني الشرطة هناك؟ ماذا حدث هناك؟ وما علاقتي به؟ شعرت بأن هناك أمراً هاماً يتطلب تدخلي وربما تدخل القوات المسلحة. فتحركت إلى مكتب الشرطة. وهناك وجدت رسالة بالراديو

من ملكال وأكوبو تنتظر إجابتي. وفي الجانب الآخر كان هناك العميد عبد الرحمن سيد احمد بربر، الضابط المسئول في مكتب حامية أعالي النيل. وعلمت وقتها أن تقارير الشرطة تشير إلى انفجار أحداث شغب واضطراب في ثكنات الجيش في أكوبو، وأن العميد ذهب إلى مكتب الشرطة ليربطني مع الشرطة هناك. ويبدو أن الشرطة كانت تسيطر على القطاع المدني، وظلت تواصل عملها رغم الاضطرابات الجارية في ثكنات الجيش- ولذلك كانت قادرة على الاتصال بملكال وتبليغها بما حدث. ومن هناك وصلت رسالتها إلى واو، حيث كنت هناك- وعند وصولي، طلب العميد من الشرطة تبليغي مباشرة. ومن خلالهم علمت أن الكتيبة 104، كتيبة القوات المستوعبة في أكوبو، قد تمرّدت وقتلت ضابطها المسئول، الكولونيل أبيل شول، وكل فريق الخدمة من الوحدات الشمالية المرتبطة بالكتيبة. لذلك وجهت العميد المتواجد في ملكال وشرطة أكوبو ليبذل أقصى جهد ممكن لمنع انتشار التمرد. وقلت لهم بأنني سأصل ملكال في أسرع وقت ممكن- وبعدها رجعت إلى بيت الضيافة لتبليغ هذه الأخبار المزعجة للسيد الرئيس ونوابه. أخبار لا احب تبليغها خاصة في مثل هذه المناسبة. وقلت لهم بأن ملكال تنتظرني وإنني سأتحرك بشكل عاجل- فنظروا إلى بعضهم، وقال لي الرئيس: (تحرك فوراً ونتمنى لك النجاح. سوف نساعدك وندعمك من الخرطوم إذا احتجت لمساعدتنا.) وحذّر النائب الأول من استخدام القوة، لأن ذلك قد يؤدي إلى تصعيد غير مرغوب. وبعد ذلك تحركت بهدوء وتركت الرئيس ونوابه ليفسروا غيابي لضيفنا العزيز.

تحركت بالطيارة إلى جوبا مع زوجتي آمنة وأيمانويل، الذي كان عمره أقل من عامين. وتركتهما هناك وواصلت رحلتي إلى ملكال في نفس اليوم مع العميد محمد يحي منور، الضابط الثاني في القيادة الجنوبية. كانت أطول رحلة أقوم بها بطيارة هليكوبتر في يوم واحد- وصلنا ملكال قبيل مغيب الشمس. وكان العميد بربر مرتاحاً وسعيداً بوجودي معه لأشاركه تحمل المسئولية. ولم يكن هناك ما يمكن أن افعله في ذلك المساء سوى سماع آخر تطورات الموقف. وفي صباح اليوم

التالي عقدنا عدة اجتماعات مع العميد وضباطه. ونتيجة لذلك أوقفت أي تحرك لاستخدام القوة وأصدرت أوامر بتوقف الوحدة القتالية المعسكرة على بعد 12 كيلومتر خارج أكوبو، بقيادة الكولونيل عبد الله، حتى دراسة الوضع مع سلطات المديرية- وأجلنا التحضير لاجتماعنا القادم حتى منتصف النهار. واستمعت أيضاً إلى تنوير من مستر جاتكوث، وكان هادئاً ومتماسكاً- وبدا لي أنه اكثر استعداداً لمعالجة المشكلة من العميد. وفي هذا الأثناء وصلنا نائب رئيس الجمهورية، قادماً من واو، وقمت بتنويره بآخر تطورات الموقف بعد اجتماعنا الثاني مع لجنة الأمن بالمديرية. وحتى ذلك الوقت لم تكن هناك معلومات كافية حول ما يحدث حقيقة في أكوبو- ولذلك قررنا تحرك محافظ المديرية وقائد الحامية إلى حيث يعسكر الكولونيل عبد الله مع وحدته القتالية- وذلك بهدف تشجيع تلك الوحدة وإشعارها باهتمام المسئولين بالمشكلة، بالإضافة إلى جمع معلومات حول الموقف بشكل عام- وكنا، أنا ونائب الرئيس، نحاول دفع سلطات المديرية لمعالجة المشكلة، التي كانت حتى ذلك الوقت في إطار صلاحيتها- فالشرطة كانت تسيطر على مكتبها في أكوبو وظلت ترسل تقارير مشجعة تفيد بتطور الموقف نحو الانفراج، حيث أشارت تقاريرها إلى عودة القوات التي لم تشارك في التمرد وتجمعها في ثكنات الجيش، وكذلك اتصال الضباط مع الشرطة- وبذلك بدا لي أن الموقف ليس خطيراً حتى تلك اللحظات- وشعرت أن طريقتنا في معالجة (مشكلة بيتر) في جوبا قد تكون ملائمة لإنهاء المشكلة دون إراقة المزيد من الدماء- فرحب جاتكوث بالفكرة وأبدى استعداده للتحرك مع العميد إلى المنطقة التي يعسكر فيها الكولونيل عبد الله. ولكن العميد ظلّ صامتاً ولاحظت عدم اقتناعه بالفكرة في الأساس- فعند عودتي مع يحي منور وبربر إلى المجمّع، بدأ الأخير يكشف عن عدم رغبته في التحرك إلى هناك، وذلك لأسباب خاصة تمنعه من السفر حتى لو أدى ذلك إلى إبعاده من القوات المسلحة- فاندهشت لهذا الحديث الغريب، وسألت نفسي: (كيف سينظر زملاؤنا المدنيون، النائب والمحافظ، إلينا كعسكريين عند سماعهم لهذا الحديث؟) وبعد

لحظات صمت قلت بصوت عالي: (إذا كنت لا تستطيع السفر، فسوف أسافر أنا- أرجو أن تقوم بتحديد ضابط لمرافقتي.) فطلب أحد الضباط، يدعى حبيب الله، برتبة رائد. دخل علينا هذا الضابط، كان قصيراً وصارماً في مظهره. فأمره العميد بقوله: (جهّز نفسك للسفر مع سعادة اللواء لزيارة قوات في الميدان وكلّم الطيارين يكونوا جاهزين للسفر في أي وقت.) قام الرائد بأداء التحية العسكرية وخرج لتنفيذ الأوامر.. كان موقفاً مدهشاً. فقد اثبت الرائد انه اكثر شجاعة وانضباطاً من العميد. ولحظتها فقدت ثقتي في ذلك العميد وبدأت اصدر توجيهاتي عن طريق العميد يحي منور، رئيس هيئة الأركان- وكان عليّ إبلاغ نائب الرئيس بسفري بدلاً من قائد الحامية. ولكن رئيس الأركان، نائبي في القيادة الجنوبية، رفض سفري لوحدي بشدّة وقال (سأجد صعوبة كبيرة لتفسير بقائنا هنا أنا وقائد المنطقة إذا حدث لك مكروه هناك لا قدر الله.. افضل أن أسافر معك لنواجه ما يحدث معاً) وكان جاداً ومصمماً.

هكذا، تحركنا إلى المطار. وصحبنا إلى هناك نائب رئيس الجمهورية والعميد قائد المنطقة- وبينما كنت أودع الآخرين، التفت لأرى أبيل ألير جالساً في الهيلوكبتر- ولحظتها اعتقدت إنه يريد توديعي هناك ثم يغادر- فصعدت إلى الطيارة وشكرته على تكبد المشاق لتوديعي من داخل الطيارة. ولكنه قال بصوت خفيض (سأسافر معك.) وأعجبت بشجاعته، تماماً كما أعجبت بشجاعة رئيس هيئة أركاني- وبعد لحظة صمت قلت له بصوت خفيض أيضاً (أخي، إذا متنا معاً في وقت واحد، سيكون ذلك كارثة حقيقية لشعبنا في الجنوب. هذه مهمة عسكرية وواجبي كعسكري أن أقوم بها. أرجو أن تنزل وتتركني لأواجه قدري..) بعد لحظة تفكير وتأمل قال لي (دع الطيارة تتحرك..) فأمرت الطيار بالتحرك وبدأت استذكر صلاة السلام وارتّدها أثناء الرحلة. وهي صلاتي المفضلة منذ 1967.

وصلنا إلى منطقة الكولونيل عبد الله ولم يكن هناك أي جديد في الموقف. ومجموعاته المتقدمة كانت غير قادرة على الاقتراب من المتمردين دون مخاطر- فقدّرنا أسلوبه في معالجة الموقف. وكانت خطته متطابقة مع أفكارنا حول المعالجة

الهادئة وعدم تصعيد الوضع- وهكذا، قررنا المغامرة ومواصلة رحلتنا حتى اكوبو- وعندما كانت الطيارة تحوم حول المدينة وثكنات الجيش، رفع الطيار علماً ابيضاً كإشارة بأنه في مهمة سلمية. وعند هبوطها نزلت إلى الأرض أحمل عصاتي المعروفة للقوات العسكرية، وتبعني نائب رئيس الجمهورية والعميد منور، وتركنا شرطيين جنوبيين وطاقم الطيارة في داخل الهيلوكبتر. وهناك استقبلتنا مجموعة صغيرة من القوات الموالية بقيادة نقيب. واخبرنا النقيب بأن كل الجنود قد عادوا إلى ثكناتهم باستثناء الذين يعلمون تورطهم في الحادث. وبذلك لم يكن هناك أي خطر مباشر- فطلبت من العميد منور أن يوقف ماكينة الطيارة وإبقاء طاقمها والشرطيين بالقرب منها- وكان المطار قريباً من الثكنات. فتجولنا حول المكاتب وبعض المساكن ومنها تحركنا إلى مكتب الشرطة في المدينة لتحيتهم وشكرهم على ما قاموا به من جهد مقدر- وهناك أخبرنا الضابط المسئول بأن كل الجنود المتورطين في الحادث قد هربوا إلى أثيوبيا وأن بعضهم قد يكون مختفياً داخل الغابات في انتظار ردّ فعل الحكومة. ومدينة أكوبو في الحدود السودانية الأثيوبية.

وعند رجوعنا إلى المطار زرنا المقابر التي دفن فيها الكولونيل أبيل شول، ووقفنا عند قبره تقديراً له وللذين قتلوا معه- وعند وصولنا للطيارة شعرت بتزايد أعداد الجنود المتحركين حول المنطقة، فقررت أن أتحدث إليهم لإزالة مخاوف الأبرياء وتشجيعهم للعودة إلى عملهم- طلبت منهم أن يتجمعوا حولي. وقلت لهم أننا جئنا في مناسبة مؤسفة وحزينة، نائب الرئيس ورئيس أركان القيادة الجنوبية وشخصي، وإنهم جميعاً يعلمون أن هذا الحادث الذي أدى إلى قتل قائدهم وبعض زملائهم، هو الذي دفعنا للمجيء إلى هناك- وأكدت لهم أن الذين بقوا في المنطقة هم أبرياء وحزينون لما حدث كما نحن. وقلت أننا سعداء لأننا وجدنا عدداً كبيراً من الجنود الموالين والمنضبطين. وأكدت لهم أننا لن نحضر قوة من منطقة أخرى للقبض على الفارين من العدالة. وأن هؤلاء قد يهربون إلى خارج البلاد، (إلى أثيوبيا القريبة من هنا)، ودعوت الجنود للعودة وممارسة حياتهم العادية داخل

الحامية. وأخبرتهم أننا سنقوم بأجراء تحقيقات عادلة حول ما حدث بمساعدتهم، وأن الأبرياء منهم يجب أن يساعدوا في تهدئة الأحوال. وبعد ذلك شكرتهم جميعاً بما في ذلك الضباط الثلاثة الحاضرين، وشجعتهم على العودة والقيام بمسئولياتهم- وقبل صعودنا للطيارة أخبرت الجنود أن هناك قوات تعسكر على بعد 12 كيلومتر من المدينة ويقودها ضابط برتبة كولونيل، وأن هذه القوات ستأتي للمساعدة في إعادة الأحوال لطبيعتها، وقلت أن القائد سوف يرسل مجموعة استكشافية ترفع أعلاماً بيضاء وطلبت منهم التعاون معهم. المهم، كان ذلك اليوم يوماً عظيماً، كان يومي بالفعل ودون منازع، بينما كان نائب الرئيس والعميد منور مجرد متفرجين.

في الطريق نزلنا في معسكر الكولونيل عبدالله، الذي شعر براحة كبيرة عند عودتنا في الوقت المحدّد. وقمنا بتنويره بتطورات الموقف وطلبنا منه الاقتراب من المدينة، حسب ما شرحنا للجنود، وبالفعل التزم بتوجيهاتنا ودخل أكوبو دون أي مقاومة، بل وجد تعاوناً كبيراً من الجنود هناك، أما نحن فقد واصلنا رحلتنا إلى ملكال.

وفى الخرطوم كان هناك قلق وانزعاج وسط المسئولين، بعد علمهم بسفرنا إلى منطقة الاضطرابات. فقد اعتبروا سفر أبيل ألير مغامرة لا داعي لها. ومع أنهم قدّروا ذهابي إلى هناك، إلا أنهم كانوا يرون أن الوقت مبكر، وبعودتنا إلى ملكال تنفست الخرطوم وارتاحت أعصابها، وبذلك زالت مخاوف الحكومة ومنطقة أكوبو وعادت الأحوال إلى طبيعتها، وبوصول الكولونيل إلى المدينة هدأت المدينة وسيطرت عليها القوات الموالية- وبعد ذلك بدأت التحقيقات- ولكن المتورطين هربوا إلى أثيوبيا وبقي الأغبياء الذين شاركوا في التمرد. فتمَّ اعتقالهم وأرسلوا إلى ملكال لتقديمهم لمحاكمة عسكرية.

بعد عودتنا إلى ملكال، سافرت مع نائب الرئيس إلى الخرطوم، بينما تحرك يحي منور إلى جوبا- ووقتها كان مجلس الشعب القومي يواصل جلساته في الخرطوم. وبعض الأعضاء كان يتوقع أن أقوم بمخاطبته. ولكن لم يكن وضعي

الدستوري يسمح بذلك. وبدلاً من ذلك قدمنا تقريرنا للرئيس، الذي قام بتنوير المجلس حوله. وكنا نائب الرئيس وشخصي، في تلك الجلسة. واستقبل الأعضاء جهودنا بالتصفيق وعبارات الشكر والتقدير- وبعدها تشكلت محاكم التحقيق والمحاكم العسكرية، برئاسة ضباط جنوبيين من الرتب المتوسطة. وفى هذا الخصوص، قمت بتقليل دور الشماليين في تلك الأحداث، حتى لا أثير مشاعر الصراع الجنوبي الشمالي. وواصلت المحاكم عملها وأعلنت أحكامها بمعاقبة المتورطين. وقمنا بإعادة توزيع العناصر الموالية على الكتائب الأخرى. وأعيد تكوين الكتيبة 104 من مجموعات سحبت من وحدات أخري. وهكذا انتهت مشكلة أكوبو.

*** سبتمبر 1975 :-**

في سبتمبر 1975 أحبطت محاولة انقلابية، قادها المقدم حسن حسين وعدد من صغار الضباط والرتب الأخرى، ومعظمهم كان من أبناء غرب السودان. ووقته كنت في الخرطوم مع آمنة، التي كانت تتوقع طفلها الثاني. ونائب الرئيس، أبيل ألير، كان أيضاً هناك مع معظم وزراء حكومته الإقليمية، كان توقيت الانقلاب مناسباً. فقد كان يمكن أن نكون جميعنا تحت قبضته، وكان أيضاً يمكن إلغاء اتفاقية السلام- ففي وقت لاحق علمنا أن الانقلابيين كانوا ضد الاتفاقية. وقائد الانقلاب كان أحد زملائي في الكلية العسكرية وكنا نسميه (تش.) وكان يستهدف اعتقال بعض كبار ضباط القوات المسلحة في القيادة العامة. وبالفعل قام الانقلاب باستلام الإذاعة والتلفزيون في أمدرمان. ولكنه لم يعتقل الرئيس (هدفه الأساسي) الذي أنذر منذ وقت مبكر وتمكن من الهروب من منزله والاختفاء في مكان آمن- وبالنسبة لي، فقد استيقظت في صباح الخامس من سبتمبر على أثر مكالمة تلفونية من سعدية إسماعيل، خالة آمنة، في الخرطوم بحري، حيث أفادت بتحرك محاولة انقلابية ونصحتني بالخروج من منزلي إلى مكان أخر- وفى الحال حركت مؤشر الراديو إلى محطة أمدرمان، وكانت تذيع موسيقي مارشات عسكرية، كإشارة لمحاولة

انقلابية جارية. وبعد لحظات توقفت الموسيقي وبدأ قائد الانقلاب، حسن حسين، في قراءة بيانه. وفجأة انقطع حديثه وظهر صوت أبوالقاسم محمد إبراهيم معلناً القضاء على محاولة انقلابية واعتقال قائدها- وقال إن المتورطين الآخرين تجري متابعتهم لاعتقالهم وأن الرئيس نميري في مكان آمن- والجنرال بشير محمد علي، رئيس هيئة الأركان العامة، لم يكن من بين كبار الضباط الذين قيل في وقت سابق بأنهم اعتقلوا بواسطة الانقلابيين. ولذلك تحرك وبلّغ أبو القاسم محمد إبراهيم ، وقاما معاً بتنظيم انقلاب مضاد، تمكن من إفشال المحاولة الانقلابية المعادية - وتمَّ القبض على المقدم حسن حسين أثناء إذاعة بيانه من إذاعة أمدرمان. وباعتقاله فقدت الحركة قائدها وأحبطت في مهدها- وبعد سماع هذه الأخبار شعرت براحة وسعادة. وكذلك كل المسئولين الآخرين- ومع ذلك، كان بعض الانقلابيين يتحركون بحرية وقد يغدرون بأي ضابط موالي، إذا وجدوه في مكان معزول وبدون حماية كافية. وكنت شخصياً أشعر بهذا الخطر، بحكم وجودي بمنزل ضيافة مستأجر. ولذلك انتقلت إلى منزل مجاور ثم إلى مدينة سنجة، حيث يقيم بعض أقارب آمنة.. وعندما هدأت الحال، ذهبت إلى القيادة العامة وحجزت للعودة إلى جوبا، لمواجهة أي تطورات قد تحدث في قيادتي نتيجة لهذه المحاولة الانقلابية. ورافقني إلى هناك نائب رئيس الجمهورية وهلرى لوقالى وعدد من الوزراء الإقليميين الذين كانوا في الخرطوم. أما آمنة فقد بقيت في الخرطوم، حيث وضعت بنتاً في منتصف أكتوبر 1975، أسميتها تيدا **Tida** تيمناً باسم جدّتي الكبيرة.

*** دعوة لزيارة ليبيا :-**

عاد الرئيس الليبي مسروراً من زيارته للجنوب. وبعد وصوله إلى طرابلس أرسل رسالة للرئيس نميري يقترح فيها دعوة لأبيل ألير وشخصي لزيارة ليبيا وحضور احتفالات يوم الجلاء ضيوفاً على الحكومة الليبية وقواتها المسلحة. وأستقبل نميري هذه الدعوة بمشاعر مضطربة. فالدعوة موجهة مباشرة من العقيد القذافي. وهى دعوة غير مسبوقة ولا تتماشي مع التقاليد الدبلوماسية الجارية- ومع

كل ذلك قبل الرئيس الدعوة نيابة عنا. وسافرنا إلى طرابلس لحضور المناسبة وردّ زيارة العقيد القذافي للجنوب- وانضم إلى وفدنا أبوالقاسم محمد إبراهيم، الأمين العام للاتحاد الاشتراكي السوداني. وذلك ربما لعدم ثقة نميري في القذافي وفيّ شخصينا. ومن هنا كانت ضرورة وجود شخص ثالث لمراقبتنا خلال تلك الزيارة- ويبدو أنه كان منزعجاً من اهتمام القذافي بتطوير علاقته معنا. وعلى أي حال، لم يعجبنا انضمام أبوالقاسم لوفدنا، واعتبرته كمؤشر لعدم ثقة الرئيس فينا كمسئولين كبار في الدولة، وكتأكيد لاستمرار نظرة الشماليين القديمة تجاه الجنوبيين- ولكنني لم أناقش هذه الخواطر مع أبيل ألير. فهو مطيع لنميري، وخفت أن يقوم بتوصيل ذلك لرئيسه- وفي وقت لاحق أكتشفت أن الليبيين لم يكونوا أغبياء، بل فهموا دوافع انضمام أبوالقاسم لوفدنا، تماماً كما فهمت.

استقبلنا في طرابلس باحترام وتقدير واسع- فقد كان يقود فريق الاستقبال الرائد عبدالسلام جلود، الرجل الثاني في ليبيا، وهو يوازي أبيل ألير، نائب رئيس الجمهورية- ومن المطار تحركنا مباشرة إلى إحدى بيوت الضيافة. وهناك قال لنا الرائد جلود: (هذا البيت هو بيت نميري. أسميناه باسم رئيسكم. وبالتالي أنتم في منزل رئيسكم.. في بيتكم.) وطوال أيام الزيارة (ثمانية أيام) كان برنامجنا مزدحماً بالزيارات والمقابلات. زرنا مناطق عديدة وشاهدنا إنجازات الثورة الليبية. وأهم لحظات الزيارة تمثلت في مشاهدة العرض العسكري الرائع في بنغازي- وفي صباح أحد الأيام، جاءنا الرائد جلود في زيارة عادية وأخذ أبوالقاسم في جولة حول المدينة. وبعد لحظات قصيرة جاءنا فريق من الموظفين وأخبرونا بأنهم جاءوا لأخذ نائب رئيس الجمهورية وشخصي لمقابلة الزعيم القذافي وأننا سنجد أبوالقاسم هناك في انتظارنا- فذهبنا معهم. وعند وصولنا أدخلونا في غرفة فسيحة، حيث كان الزعيم يجلس وحده- وبدى لي أنه يريد مقابلتنا لوحدنا، بدون وجود أبوالقاسم فرحب بنا وطلب منا الجلوس وأبلغنا أن أبوالقاسم سينضم ألينا في وقت لاحق- وبعدها بدأ يحاضرنا حول مفاهيم وأفكار ثورتهم وما يقومون به من أجل رفع

مستوي حياة شعبهم، كما رأينا خلال الزيارات التي قمنا بها. وأخبرنا أنه هو والزعماء العرب الآخرين يريدون تنمية وتطوير جنوب السودان، ولكن ذلك يتطلب السماح بتعريبه وأسلمته. وقال إنه لا يطلب منا تغيير معتقداتنا الدينية، لأنه يعلم أننا مسيحيون، بل يقصد المجموعات اللادينية، التي تشكل أغلبية الجنوبيين. وأضاف أن الحصول على المساعدات العربية لتنمية الجنوب، يتطلب تأكيد موافقة قيادات الجنوب على أسلمته. وأكد أن العرب يربطون مساعداتهم للآخرين بهذه النظرة. وكان أمامنا أما أن نقبل أو نرفض. وبعد ذلك قال العقيد (أنا أدرس التاريخ وأؤمن بحقوق كل شعب وكل عرق. وأتمني أن أري كل المناضلين من أجل حقوقهم قد نجحوا في تحقيق أهدافهم. لذلك لا تعتقدوا بأنني سأقف دائماً في طريقهم لأنني عربي والذين يضطهدونكم يدّعون أنهم عرب- بالعكس، سأقف معكم في نضالكم من أجل تحرير إقليمكم الأفريقي من سيطرة الذين يدّعون أنهم عرب..) وهكذا وضح لي أن ذلك هو هدف الدعوة لزيارة ليبيا. ولهذا السبب بالتحديد قاموا باستبعاد أبو القاسم من هذا المقابلة الهامة. وهكذا شعر مضيفنا بأنه أوصل الرسالة، فنهض من مقعده وبدأ يتجوّل داخل وخارج الغرفة، كأنه يقوم بتمرين رياضي، والواقع أنني أعجبت بالمقطع الأخير من حديثه، وأعجبت ببقية الحديث بشكل عام، وشعرت أنه كان صريحاً وأميناً. ولذلك احترمته وقدّرته. وبعد لحظات عاد إلى مقعده. وعندما هممنا بالقيام تقديراً له، أشار إلينا بالبقاء في مقاعدنا- وبعد دقائق فتح الباب الخارجي ووصل جلود وأبو القاسم. وعند دخولهما علينا، تلفت أبو القاسم يميناً ويساراً بطريقة مريبة، ثم جلس معنا. وبعد لحظات خرج جلود وبدأت مناقشاتنا مع القذافي وكأننا نبدأها للتوّ.

في أثناء تلك المناقشات، أقترحت أن يهتم القذافي بإمكانية ربط أفريقيا الوسطي بالبحر الأبيض المتوسط من خلال شبكة طرق طويلة. طريق يمرّ بالفاشر في دارفور ليصل إلى واو في جنوب السودان. وطريق آخر يمرّ بتشاد إلى دولة أفريقيا الوسطي والكامرون حتى المحيط الأطلنطي. وقلت له أن هذه الطرق

الطويلة، التي تمرّ عبر ليبيا، ستكون مفيدة، لأنها ستربط ليبيا بداخل أفريقيا وستربط وسط أفريقيا بأوربا عبر ليبيا، وسوف تساعد في تنمية وتقوية وضعه كزعيم بالمعني الواسع- وبعد ذلك تحدثت عن المساعدات الليبية للجنوب وأقترحت أن تركز أولاً على تحسين وتطوير الطرق الداخلية. قلت إن الطرق تمثل أهم البنيات الأساسية الضرورية لأي تنمية حقيقية. وركزت على أن الجنوب يفتقد الطرق المعبدة، وأننا نحتاج إلى تمديد الطرق الحالية إلى مناطق الأراضي الزراعية الغنية.

كان العقيد القذافي مبهوراً بحديثي هذا وبتناولي لتلك القضايا المحدّدة. كان ذلك واضحاً في عيونه ووجهه المنشرح. كان يبتسم ويهزّ رأسه بين لحظة وأخري أثناء الحديث. ومن جانبي كنت راضياً عن نفسي وبما سمعته منه حول أفكاره، أفكار القومية العربية، وحول طموحاته. سمعنا من بعضنا وتفهمنا بعضنا بشكل مباشر. وبذلك اللقاء أختتمنا زيارتنا لليبيا، الأولى بالنسبة لي، وودعناه وانصرفنا- وبعد خروجنا، توجهت إلى السيارة الثانية وفتحت الطريق لأبوالقاسم حتى يرافق النائب الأول في السيارة الأولى. وفى وقت لاحق لاحظت تحركه بين غرفته وغرفة أبيل ألير في بيت الضيافة، في محاولة لمعرفة ما جري بيننا وبين القذافي قبل التحاقه بنا- وافترضت أنه كان يحاول انتزاع معلومات من النائب الأول أو دفعه للحديث عن ما كان يبحث عنه- ولكن تلك مشكلة تخصهما معاً ولذلك لم أهتم بها- فقد كنت أدني منهما بحكم موقعي- وعلاقتي مع الرئيس لم تكن تلزمني بما يلتزمون به تجاهه بحكم موقعيهما في الدولة. فبدأت أفكر في وضعي الخاص، في ولائي للشعب الذي أمثله وليس لشخص واحد. شخص كنت أحاربه قبل فترة قليلة، وعلاقتي به بدأت باتفاقية السلام وسوف تستمر مع استمرار الاتفاقية نفسها- وإذا سمحت الظروف بتطوير هذه العلاقة إلى علاقة صداقة، فإنني لن أتجاهل الاتفاقية ودورها في تلك العلاقة. وفى الفترة اللاحقة لم يناقشني هذان الصديقان في هذا الموضوع، ولكن المؤكد أن أبيل ألير قد أبلغ الرئيس بما جري بيننا وبين العقيد

القذافي. فقد طرحه نميري في حديثه الشهري في تلفزيون أمدرمان، بعد توتر علاقاته مع ليبيا.

في طريق عودتنا، رجعنا عن طريق الكفرة، حتى نري المشاريع الزراعية الواسعة التي تروي بالمياه الجوفية.. وبالفعل رأينا مساحات واسعة تغطيها الخضرة وأشجار الفواكه ومحاصيل الحبوب ومراعي الماشية في وسط الصحراء الكبري- كان منظراً لا يصدق. ووقتها تأكدت، أنه مهما قال الناس عن القذافي وعن ما فعله خارج بلده، فقد ظلّ يعمل بجدّ واهتمام لمصلحة وطنه وشعبه. ومن الكفرة تحركنا إلى الخرطوم. وبذلك انتهت زيارتنا لليبيا.

*** حالات أخري :-**

يعتبر العميد محمود عبد الرحمن الفكي مرجعاً في اللوائح والنظم العسكرية. وكان وقتها مسئولاً عن الإدارة في القيادة العامة للقوات المسلحة، أي أنه كان يمكن أن يكون نائبي إذا قبلت موقع نائب رئيس هيئة الأركان للإدارة. ومن حسن حظي أني سمعت نصيحة زميلي الجنوبي، الكولونيل ولسون لوباي، بتحاشي العمل مع هذا العميد، لانه كان مثار جدل وخلاف ويمكن أن يدفعني إلى مشاكل مع الضباط الآخرين- فقد كان مسئولاً عن صياغة لوائح ونظم جديدة للخدمة تحدّد سنوات الخدمة في كل رتبة، والذين لا يترقون إلى رتبة أعلى خلال هذه الفترة يحالون للتقاعد بشكل تلقائي. وهنا كان بعض الضباط يعتقدون أنه قام بذلك بهدف تسريع ترقيته. المهم، في ذلك الوقت كانت تلك اللوائح قد أجيزت وظلت سارية المفعول. وبذلك كان أمامي عام ونصف فقط، وبعدها أحال للتقاعد إذا لم أرقى إلى رتبة أعلى. وبجانب ذلك، كانت هناك مشكلة خاصة بوضعي، وهي أنني لم أكمل الحدّ الأدنى من سنوات الخدمة المطلوبة للتقاعد (12 عاماً.) ففترة عملي في حرب العصابات داخل الغابة، اعتبرت كإجازة بدون مرتب ولم تحسب لأغراض التقاعد- ومن هنا بدأت أفكر في كيفية الخروج من هذه المشكلة. ومن جهة أخرى، كان بعض الوزراء الإقليميين يعاملون ضباطي، خاصة المستوعبين، بطريقة تعكس

ازدراء واحتقاراً. وذلك عندما يلتقونهم في المناسبات الاجتماعية وغيرها- وقد شاهدت ذلك بنفسي وسمعت سخريتهم وتهكماتهم مرات كثيرة. ومع استمرارهم في هذا السلوك المعوج، لم يكن من الممكن السكوت عليه. وقلت إن الوزراء المركزيين ظلوا يعاملوننا باحترام وتقدير، ولكن الوزراء الإقليميين في الجنوب يجهلون النظم العسكرية. يتوقعون أن يحييهم الضباط، ولذلك يجب أن يعرفوا متى يحيّ هؤلاء المدنيون. وبما أن النائب الأول لا علاقة له بالنظم العسكرية، فقد شرحت له هذه المسألة بتفصيل كثير، وطلبت منه أن يوجه وزراءه للاهتمام بهذه المسائل- وبالفعل أفادت هذه المناقشة في تحسين سلوك معظمهم، والواقع أن الرئيس ونائبه ابدوا اهتماماً كبيراً بملاحظاتي. ولذلك أعيد ترتيب وضعي في برتوكول الدولة، ليصبح فوق الوزراء الإقليميين. واصبح واضحاً أنني أتمتع بوضع خاص، بحكم ارتباطي بالتوقيع على الاتفاقية مع نميري. وهكذا توقفت مضايقات الوزراء الإقليميين. وفي وقت لاحق قدمني الرئيس لانتخابات المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي ونلت ثقة الجميع. وبدا لي وقتها أن تأثيرات زيارتي ليوغندا ما كانت لتحدث لو جرى ذلك في وقت سابق.

*** إعادة تنظيم وزيارة الرئيس :-**

أصبحت القيادة الجنوبية القسم الأول في الجيش السوداني، بعد محاولة إعادة تنظيم القوات المسلحة بعد استكمال نشر وتوزيع القوات المستوعبة في الجنوب- وكانت اكبر أقسام الجيش، حيث تبلغ قوتها 12.000 مقاتل- والقيادات الأخرى في الشمال كان يشار إليها أيضاً كأقسام. وكنت سعيداً بهذا الإجراء وبدأت انظر للمسألة بشكل أوسع لبلورة أفكاري حول تطوير القوات المسلحة إلى جيش وطني حقيقي- وبدأت أرى أن تعتمد قوات المشاة في تغذيتها على التجنيد المحلي وأن تبقى إقليمية في تكوينها، بينما تقوم الفروع الأخرى بتجنيد أفرادها من كل مناطق البلاد- وبالفعل بدأت اعمل في تحويل هذه الأفكار إلى مشروع عملي- فاخترت من بين عناصر حرب العصابات السابقين بعض العناصر التي تملك

مؤهلات مناسبة للعمل في مختلف الفروع. وبالإضافة إلى ذلك اخترت مجموعتين من مشاة القوات المستوعبة للخدمة في القصر الجمهوري. وذلك حتى يأخذ الحرس هناك طابعاً وطنياً عاماً. فرحب الرئيس بهذا الاقتراح- وفي الوقت نفسه عملت على استغلال وقتي وموقعي الاستراتيجي، كمسئول عن القسم الأول في القوات المسلحة، لإعداد نفسي لدخول الحياة السياسية، بحكم وعيي بأن وجودي في العمل العسكري سينتهي في يوم من الأيام- فدعوت رئيس الجمهورية لزيارة منطقتي العسكرية (الإقليم الجنوبي) بحكم مسئوليته كوزير للدفاع- وقبل الدعوة بكل الترحيب. ولذلك قمت بتقسيم الزيارة لثلاث مراحل، بحيث يمكن لرئيس الجمهورية أن يرجع للعاصمة لمواصلة مهامه الأخرى بعد الانتهاء من كل مرحلة. المرحلة الأولى لزيارة الاستوائية والثانية لأعالي النيل والثالثة لبحر الغزال- وفي الوقت نفسه قامت القيادة العامة في الخرطوم وقيادة القسم الأول في جوبا بترتيب وتوفير المستلزمات اللوجستية الخاصة بالرحلة، بمساعدة مقدرة من رئيس المجلس التنفيذي العالي والسلطات الإقليمية في الجنوب.

بدأت الرحلة التاريخية بالاستوائية حسب البرنامج المحدّد، حيث وصل الرئيس مطار جوبا واستقبل استقبالاً شعبياً واسعاً ومتميزاً، باعتباره ضيفاً على القوات المسلحة- وفي الاستقبال كنت ألبس الزيّ العسكري بكامل أوسمتي. وكنت اقف مع الرئيس وأبيل ألير في سيارة مكشوفة تسير في مقدمة الركب. كنا نمسك أيدي بعضنا كتعبير عن وحدتنا وتضامننا- ومن وقت لأخر كنا نحي الجمهور أثناء تحرك السيارة ببطء في طريقها إلى مقرّ إقامة القائد المسئول، حيث سيقيم رئيس الجمهورية كوزير للدفاع وقائد أعلى للقوات المسلحة- وهناك نظمنا له حفل عشاء خاص، حضره جميع الضباط وشرّفته فرقتنا الموسيقية بمقطوعات مميزة. وكان هناك أيضاً رئيس المجلس التنفيذي ووزراؤه وأعيان المدينة.

وفي اليوم التالي بدأت الرحلة. وتحوّلت من رحلة للحاميات إلى رحلة إلى مناطق المديرية المختلفة. بدأنا بالتوجه إلى مدينة نمولي، موطني، في سيارة

Range Rover حيث جلس الرئيس في المقعد الأمامي مع السائق وجلست أنا وأبيل ألير في المقعد الخلفي- وكانت البداية رائعة في ترتيبها وتنظيمها- فقد تحرك قاما حسن قبل يوم كامل لتنظيم الاستقبال مع الزعيم سابازيو أوكومو، زعيم المادي، في لوا **Loa**- وظلت الاستقبالات ممتدة على طول الطريق من جوبا حتى نمولي- فقضينا الليلة هناك وواصلنا تحركنا نحو توريت، عن طريق أوباري **Opari** وهنا ركزت على مراجعة تنظيم وإجراءات الرحلة في منطقتي، بهدف التأكد من ترتيبها بشكل جيد- المهم، استمرت الاحتفالات والاستقبالات في الطريق حتى مدينة توريت، حيث عمل الرئيس كضابط مسئول في فترة سابقة- ومن هناك تحركنا إلى كبويتا ثم عدنا إلى توريت ومنها إلى جوبا- وفي الطريق لاحظت أن الرئيس كان يعرف كل الكباري والمجاري في المنطقة، وظلّ يعدّدها أثناء مرورنا بها. وبالتأكيد كان ذلك نتيجة لخدمته العسكرية في الضفة الشرقية، عندما كنت أقود قوات الانيانيا في هذه المنطقة- وبعد عودتنا إلى جوبا، تحركنا إلى ياي وطمبرة بطيارة هيلوكبتر لزيارة الضفة الغربية. وعدنا إلى جوبا من أنذارا **Nzara** عن طريق يامبيو ومريدي، حيث استقبلنا أيضاً استقبالات حاشدة- وبعدها عاد الرئيس ومرافقوه إلى الخرطوم.

في رحلتنا إلى أعالي النيل وبحر الغزال، اتبعنا نفس الترتيبات والإجراءات. واستخدمنا طيارات الهيلوكبتر والسيارات حسب الحاجة. وسارت الرحلة بشكل عادي وجيد في عمومها. ولكن استقبال القوات المستوعبة في حامية ماثيانق **Mathiang** في مدينة أويل، لم يكن مناسباً، ربما لعدم اهتمامها أو عدم خبرتها في الحديث مع كبار المسئولين- وفي وقت لاحق، وبعد حادث في حامية واو، أصبح هناك اعتقاد بأن القوات المستوعبة في بحر الغزال تخطط لعمل تخريبي يقوده مسئولها السابق، العميد أيمانويل بور نيال. وكان هذا العميد موجوداً في الحامية في وقت الحادث. ونتيجة لمعلومات وصلت بعد ذلك، كان المخطط يقوم على اعتقال الفريق الزائر أو قتلهم جميعاً، وبالتالي إشعال نيران الفتنة والعودة

للعمل المسلح بهدف تحرير الجنوب بشكل كامل- والفريق الزائر كان يضم، بجانب الرئيس ونائبه وشخصي، مسئولين آخرين عديدين- وأياً كانت خطط تلك القوات، فقد بذلت كل ما في وسعي لتهدئة الحالة عن طريق مخاطبة ضميرهم ودفعهم لاحترام وتقدير ضيوفهم حسب التقاليد الأفريقية الأصيلة وتقديم مطالبهم بشكل نظامي ومعقول.

وفي راجا، في غرب بحر الغزال، فقد الزعيم عيسى فرتاك، أعصابه ووقف أمام الرئيس يهاجم سيطرة الدينكا على كل مصالح ووزارات الحكم الإقليمي. وتساءل: (ما في مكالتنا ؟) أي لماذا لا تكون هناك مشاركة من الجميع؟ وفي نهاية تلك الرحلة وفي مدينة رمبيك، أعلن الرئيس قرار إعادة تقسيم المديريات الجنوبية إلى ست مديريات (كل واحدة قسمت إلى مديريتين.) ومن هناك تحركنا إلى أكوت، المركز التعليمي الذي بدأت فيه تعليمي النظامي- وذلك بهدف دفع الرئيس لإعادة إحياء المنطقة تقديراً لأهلها الذين عشت وسطهم- وبالفعل قام الرئيس نميري بأكثر من ما كنت أتوقع. كان كريماً ووفياً. فقد أعلن بناء مدرسة ثانوية عليا ومستشفى بالقرب من مكان ميلادي. وذلك بالإضافة إلى مدرسة ثانوية عامة ومركز صحي في أكوت، حيث درست في مدرستها، وإعادة بناء المدرسة القديمة. وفي نهاية الرحلة شعرت بأنها قد حققت أهدافها، وأهمها اتساع قاعدة التفاهم والعمل المشترك بين ثلاثتنا:- رئيس الجمهورية ونائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذي العالي وشخصي كمسئول وقائد للقسم الأول في القوات المسلحة.

بعد إعادة تقسيم المديريات الجنوبية، تمّ تعييني مشرفاً سياسياً لمديرية شرق الاستوائية- وعلمت من الرئيس أن هلري لوقالي قد اعترض على تعييني. وذلك لأنه كان يفضل تعيينه مشرفاً على هذه المديرية بدلاً من مديرية غرب الاستوائية- واستغربت لموقفه هذا، لأنني كنت اعتقد أنه سيرحب بقيامي بدور في العمل السياسي، خاصة في الاستوائية، موطننا معاً- ولكنني عرفت في وقت لاحق أن

الناس تنظر للحياة بمنظورات مختلفة، وخاصة في العمل السياسي. فأبناء العم والخال أو حتى الأخوان قد يتحولون إلى أعداء إذا ما تعارضت وتناقضت مصالحهم. وبالفعل، بدأت أتفهم هذه الحقيقة وأتعايش معها في الشهور والسنوات اللاحقة. والمهم هنا أن مناخ التصالح والتعايش، الذي خلقته زيارة الرئيس للإقليم الجنوبي، لم تمكنه الظروف من الاستمرار- فقد أوقفته حادثة قبيحة في حامية واو.

*** أزمة واو 1976 :-**

كما أشارت ممارسات القوات المستوعبة في أويل، فقد كان المزاج العام للقوات المستوعبة في بحر الغزال مليئاً بالمفاجآت. فقد انفجرت هناك أزمة أخرى، شبيهة بأزمة أكوبو، وذلك بعد فترة قصيرة من زيارة الرئيس- انفجرت قبل احتفالات يوم الوحدة الوطنية في كادوقلي بمنطقة جبال النوبة،عاصمة مديرية جنوب كردفان. ويبدو أنها خططت لتكون في الذكري الأولى لتمرد أكوبو- وكانت كارثة حقيقية، إذا لم تكن أسوأ من ذلك. فقد أدت إلي قتل مجموعة أساسية وسط القوات المستوعبة في حامية بحر الغزال، ومن ضمنهم كبير ضباط المديرية والضابط الثاني في كل القوات المستوعبة، العميد أيمانويل بور نيال- وكان قد ترقى لرتبة العميد وعين قائداً لحامية بحر الغزال قبيل فترة قصيرة- وفي وقت لاحق، كشفت التحقيقات قصة موته التراجيدي، حيث ساهم هو نفسه في خلق الظروف التي أدت إلى تلك الأحداث المؤسفة- بدأت الأزمة خلال ليلة 26 فبراير 1976، عندما قامت مجموعة، يقودها الكابتن ألفرد أقويت، بالخروج من ثكناتها والاختفاء وسط الأحراش. وعندما انتشرت هذه الأخبار، أصيبت مدينة واو بالخوف والرعب- وبعد سماعي بذلك، من العميد نور الدين مبارك، قائد الحامية، تحركت إلى هناك في الحال. وهناك عقدنا سلسلة اجتماعات، في رئاسة الحامية أولاً، كما حدث في ملكال، ثم في عاصمة المديرية، كما حدث أيضاً في ملكال أثناء حادث أكوبو- وقمنا بإعلان إنذار وتحذير ومنع التجول ليلاً في المدينة. وبعد ذلك بدأنا في التحقيقات، بهدف معرفة الدوافع التي أدت إلى خروج تلك القوات من ثكناتها

ومتابعة تحركاتها في الأحراش وغيرها- ورجعت إلى جوبا، تاركاً محافظ المديرية وقائد الحامية وبقية المسئولين لمتابعة الموقف- وبعد سفري، اقترح العميد أيمانويل أبور قيامه بمتابعة القوات الهاربة، بدون حمل أي سلاح وبمرافقة عدد من الجنود، وذلك بهدف محاورتها وإقناعها بالعودة إلى ثكناتها. وكان أيمانويل ضيفاً في المدينة ولكنه حضر وشارك في اجتماعاتنا المذكورة- ووافق الجميع على اقتراحه، بحكم أنه كان يقود تلك القوات. ورافقه عدد من الجنود من قوات الكتيبة المستوعبة وضابطان هما:- المقدم جبريل ماكوى مايوك والكابتن لورانس ألو، وعند وصولهم بالقرب من معسكر المجموعة المتمردة، ترك العميد جنوده وتحرك هو والضابطان الآخران نحو المعسكر دون حمل أي سلاح- وفجأة انفجرت نيران بنادق أوتوماتيكية- وهنا اعتقد الجنود، الذين تركوا على مسافة من المعسكر، أن ضباطهم قد تعرضوا لإطلاق نار كثيفة- ولذلك هربوا إلى رئاسة الحامية وشرحوا ما حدث- وفي الحال اتصل قائد الحامية بجوبا وطلب حضوري سريعاً- وبعد فترة قصيرة أرسل فريقاً استطلاعياً لموقع الحدث، نتيجة معلومات تلقاها من عناصر هربت من المجموعة المتمردة إلى الحامية.

تحركت إلى واو بعد وصول رسالة قائد الحامية- وعند وصولي كان فريق الاستطلاع لا يزال في مهمته. قضوا ليلة كاملة في الميدان. والعناصر المتمردة استمرت في العودة إلى الثكنات، في شكل مجموعات صغيرة متواصلة. وأكدوا كلهم أنهم لم يكونوا يعلمون ما حدث. فقد بلّغوا بالاستعداد لتدريب ميداني. وعندما خرجوا من الثكنات شعروا بأنهم قد ابتعدوا كثيراً- وبوصول العميد والضابطين الآخرين للمعسكر، اندهشوا للطريقة التي كانوا يتحدثون بها مع قائد المجموعة المتمردة. وفجأة انفجرت نيران الرصاص وقام أحد الشاويشية بإطلاق النار على الضباط القادمين- وسمعوا العميد يقول: (لماذا تقتلنا؟) وبعد ذلك تمّ تنويرهم وتحذيرهم وإبلاغهم بأن هناك مشكلة. وساعتها فهموا أنهم لم يخرجوا للتدريب، بل استدرجوا للمشاركة في تمرد شبيه لتمرد أكوبو- وفي تلك اللحظة بدأت عناصر

المجموعة في الابتعاد والعودة للثكنات وبقيت فقط مجموعة صغيرة مع الكابتن (معظمهم من ضباط الصف.) وهكذا انسحب الذين لم يكونوا جزءاً من خطة التمرد وعادوا إلى الثكنات. والذين قدموا في البداية كانوا المدخل لمعرفة حقيقية الوضع هناك- ولذلك أرسل قائد الحامية فريق استطلاع لمنطقة المعسكر لمعرفة ما حدث للعميد وضباطه ولم يتوقع أي مقاومة معتبرة من بقية المجموعة المتمردة- وأثناء تواجدي في واو وصل تقرير يقول إن العميد أبور والمقدم جبريل قد قتلا وأن جثتيهما موجودتان في موقع المعسكر وأن الكابتن لورانس مصاب بجروح خطيرة في يده اليمنى وإنه انسحب واختفى وسط الحشائش حتى يبعد نفسه من المتمردين. وظهر وقدم نفسه عندما وصل فريق الاستطلاع ونقل بطيارة هيلوكبتر إلى واو مع جثث القتلى، حيث دفنوا حسب أقدميتهم. دفن العميد في مقابر المسيحيين، لأنه مسيحي، بينما دفن المقدم في مقابر المسلمين. وكان الناس يتحركون ويبكون مع بعضهم، في وحدة تعكس طبيعة مجتمعنا في الجنوب. وكان الضابطان من القوات المستوعبة. كان الحدث كارثة حقيقية، أول كارثة بهذا الحجم في مدينة واو منذ توقيع الاتفاقية.

أما الكابتن أقويت، والقليلون الذين كانوا معه، فقد هربوا إلى جمهورية أفريقيا الوسطى. اتبعوا نفس طريقة الذين قتلوا الكولونيل أبيل شول، ظناً منهم أن ذلك سيبعدهم من العدالة. ولكن السلطة تمكنت من القبض عليهم، من خلال مفاوضات مع سلطات أفريقيا الوسطى، ومحاكمتهم وإعدامهم في النهاية.

هناك قصص وتفسيرات عديدة لما حدث. فهناك ادعاءات بأنهم كانوا يخططون للانقلاب على الحكومة الإقليمية في الجنوب، وبأن العميد أبور والمقدم ماكوى كانا جزءاً من الخطة، وذلك بهدف استلام السلطة في الجنوب واعتقال أبيل ألير ووزرائه- ولم أكن من بين هؤلاء، تقديراً لخدمتي الطويلة في قوات الانيانيا- ووقتها كانت الانيانيا ستستلم السلطة في الجنوب وتعلن (دولة جنوب السودان المستقلة) تحت قيادة العميد أبور- ونتيجة لذلك سأحال للتقاعد من الخدمة لأقضي

بقية حياتي مع أسرتي. وانطلاقاً من هذه الادعاءات قام المجلس التنفيذي العالي بتجميد معاش أسر هذين الضابطين. فتقدمت لتحمّل المسئولية شخصياً، حيث اتصلت بالرئيس وطلبت منه فك تجميد معاشاتهم بغض النظر عن صحة أو عدم صحة تلك الادعاءات، لأنهم قد ماتوا ولن يستفيدوا منها شيئاً، المستفيدون هم أسرهم. وهؤلاء لا ذنب لهم- ودعمني أبيل ألير في هذا الاتجاه- فوافق الرئيس دون تردّد. وبذلك انتهت أزمة واو.

*** الغزو المسلح، يوليو 1976 :-**

بينما كنت في قمة ارتياحي وسيطرتي على وضعي خلال زيارة الرئيس للجنوب، كان هناك آخرون يخططون للسيطرة على البلاد- فقد تمكنت المعارضة الشمالية، تحت قيادة الصادق المهدي، من حشد قوة مناسبة بمساعدة العقيد القذافي وتجنيد العميد محمد نور سعد وإقناعه بقيادة تلك القوة، التي تسللت إلى داخل الخرطوم في انتظار اللحظة المناسبة لغزو البلاد والاستيلاء على السلطة- وكانت تملك شبكة مخابرات جيدة وتتمتع بدعم واسع وسط سكان غرب السودان، مركز ثقل طائفة الأنصار (أنصار المهدي) ومعظم أفراد القوة المذكورة كانوا من هذه الأوساط- ومنذ وقت مبكر تمكنت من نقل الإمدادات إلى داخل البلاد ووضعوها في مناطق صحراوية بعيدة عن عيون السلطات- وحدّد تاريخ التحرك مع عودة نميري من رحلة خارجية. وكان أفراد القوة المسلحة قد انتشروا بطريقة سرّية في ضواحي وأطراف العاصمة في ملابس عادية، وذلك قبل عودة الرئيس بفترة قصيرة- وفي ليلة الثلاثاء 1976/7/1 تجمعوا في مناطق متفق عليها استعداداً للتحرك نحو أهدافهم المحدّدة. أما المكلفون بالهجوم على المطار، فقد كان المفترض وصولهم إلى هناك قبيل الوقت المحدّد لوصول طيارة الرئيس في صباح 7/2. وكان عليهم تنفيذ أهم حلقات الخطة، أي اعتقال موظفي المطار وإجبار العاملين في برج السيطرة والمراقبة على العمل بشكل عادي والسماح لطيارة الرئيس بالهبوط- ووقتها يطلقون عليها سلاحهم أثناء تحركها في مدرجات المطار- وبالتالي تصفية

الرئيس وبطانته العائدة معه والمتواجدة في المطار لاستقباله- والهجوم على الطيارة كان يمثل إشارة للقوات الأخرى، المتجمعة في مواقع مختلفة، للتحرك وتنفيذ واجباتها- ولكن، لسوء حظهم، وحسن حظ الرئيس ومرافقيه، وصلت الطيارة إلى الخرطوم قبل وقتها المحدّد في برنامجها- ولذلك وجد الرئيس وزوجته فرصة للخروج سريعاً من داخل المطار، بمساعدة رئيس المخابرات العسكرية، العميد محمد يحي منور، الذي قادهما إلى منزل بشير طه نميري (تاجر في الخرطوم وليس من أقارب الرئيس.) أما بقية المرافقين، فقد تمّ إخراجهم بطريقة سرّية وبعدها اختفوا في المدينة- وعندما وصلت المجموعة المكلفة بالمطار، وجدوا أن طيارة الرئيس قد وصلت في وقت مبكر، وأن الرئيس قد تم تهريبه إلى مكان غير معروف. فأصيبوا بالرعب والخوف واضطربت صفوفهم. ورغم ذلك، قاموا بإطلاق نيران سلاحهم، كإشارة للقوات الأخرى للقيام بواجباتها، ثم طلبوا من موظفي المطار أن يكشفوا لهم مكان اختفاء الرئيس. ولكن، لا أحد يعرف أين ذهب- وبجانب ذلك، كان الجنرال محمود عبد الرحمن الفكي، نائب رئيس هيئة الأركان للإدارة، هناك لاستقبال الرئيس- ولكنه تأخر في قاعة الرئاسة بالمطار ولم يتمكن من الخروج، لأنه يمكن تمييزه بزّيه الرسمي. والأسوأ من ذلك، أنه جاء المطار بسيارة مرسيدس عسكرية. فأمر سائقه بإبعاد السيارة وتدبير مكان آمن لحمايتها وضمان سلامته- وبعد ذلك خلع زيّه الرسمي وأخفاه بعيداً ولبس جلابية أحد عمال النظافة وشغل نفسه بنظافة القاعة التي كان فيها- وعندما دخل بعض المهاجمين إلى القاعة اعتبروه أحد عمال النظافة وتركوه، متحسرين على عدم وجود هدفهم الرئيسي، الرئيس نميري- وهذه الرواية سمعت معظمها من الجنرال الفكي نفسه- وكانت تلك هي المرة الثانية التي يتم فيها تهريب نميري بواسطة أصدقائه لتفادي خطر ماثل.

وفي داخل المدينة بدأ القتال في أماكن عديدة- فقد قام المهاجمون بحجز مجموعة الضباط ونسائهم وأقاربهم، الذين وجدوهم في المساكن المحيطة بالقيادة

العامة، في جراج رئيس هيئة الأركان، حتى يقرروا بشأنهم بعد نهاية واجباتهم- ورئيس الأركان نفسه ترك منزله هو أسرته إلى منطقة آمنة. والجنرال خالد الأمين الحاج، الذي تبادلت معه المواقع، هجموا عليه في منزل كنت اسكنه في وقت سابق، فقد كان لا يعرف تحرك المهاجمين في تلك الليلة. وعندما شعر بحركتهم، أخفى نفسه في دولاب الملابس. ولكن المهاجمين سألوا عنه طفله الصغير، فرفض أن يخبرهم بمكانه. فقادوه ووضعوه مع المحتجزين في جراج رئيس الأركان- وقاموا بقتلهم جميعاً بمدفع رشاش. ومن حسن حظ الطفل، أنه وجد حياً بعد هزيمة المهاجمين وطردهم. وذلك لأنه اختفى خلف جوالات أسمنت كانت مرصوصة في أحد أركان الجراج- وفي مكان آخر من المنطقة المجاورة، أصيب العميد محمد يحي منور أثناء قيادته لمجموعة من الجنود لإطلاق سراح المحتجزين داخل مباني القيادة العامة. وفي أمدرمان قتل الجنرال حسين عبدالرحمن الشلالي، مدير الخدمات الطبية، في أحد مواقف الطرق العابرة لكبرى النيل الأبيض، في طريقه إلى مكتبه- والمفارقة، كان هو أحد الذين تفرقوا من جمع استقبال الرئيس في مطار الخرطوم.

استمر القتال في الخرطوم لثلاثة أيام، وظل راديو أمدرمان خلالها معطلاً- واستنتجنا في جوبا أن صمت الإذاعة يؤكد وجود مشكلة كبيرة في العاصمة. فكل أخبارنا كنا نحصل عليها من الإذاعات الخارجية، خاصة إذاعة لندن- لذلك خاطبنا، أنا ونائب الرئيس، الحشود الجماهيرية في عاصمة الإقليم الجنوبي وطالبناها بدعم ثورة مايو. وأعلنت من جانبي أن القسم الأول في القوات المسلحة لن يعترف بأي نظام سياسي خلاف نظام ثورة مايو، وإننا سنزحف نحو الخرطوم لنعمل مع أي قوات هناك للدفاع عن سلطة مايو. وأكدت أن الغزاة إذا أرادوا قتل الرئيس نميري ونائبه الأول، فإن القسم الأول للقوات المسلحة سينصب نائبه الثاني في الجنوب رئيساً للبلاد- وقامت إذاعة جوبا بإذاعة هذه المخاطبات، وكانت هي الإذاعة الوحيدة العاملة في السودان- وكانت مسموعة في الخرطوم والمناطق المجاورة

لها- وكانت أيضاً مصدراً هاماً للإعلام الخارجي- ولذلك كان لها دور كبير في تشجيع المسئولين في العاصمة ومساعدتهم في مواجهة قوات الغزو وهزيمتها في النهاية. وكان يشار إليها كقوات (غزو خارجي وقوات مرتزقة.) وكان يمكنها تحقيق أهدافها كاملة، لولا افتقادها لتسهيلات الاتصال مع بعضها وافتقادها للزيّ المميز (لبس الزيّ العسكري الرسمي.).

وفى البداية كانت القوات الحكومية تعتقد أنها قوات غزو خارجي، وبعضها كان يقاتل فقط دفاعاً عن نفسه. فمعظم المهاجمين كانت ملامحهم العامة تشبه ملامح قبائل غرب أفريقيا. ومن هنا جاء وصفهم بــ (المرتزقة) ونتيجة لافتقاد الاتصال الميداني، لم يتمكن العميد المتقاعد محمد نور سعد من متابعة تحركات قواته. ومع أن هذه القوات حققت انتصارات عديدة، فقد أعتقد أنها هزمت منذ البداية. ولذلك قرر الهروب. وقواته المبعثرة في مناطق عديدة، أعتقدت هي الأخرى في فشل العملية بكاملها، بحكم عدم ظهور قائدها في إذاعة وتلفزيون أمدرمان في الوقت المحدّد- وبذلك فقدت المبادرة وبدأت في التفكك وأصبح أفرادها يفكرون في الهروب أو الاختفاء وسط عامة الناس. ولحظتها استعادت القوات المسلحة زمام المبادرة. فأعادت تنظيم نفسها وواصلت قتالها بعنف وشراسة. وبدأت في اصطياد الهاربين والمختفين وسط السكان. وبعد ثلاثة أيام من الصمت بدأت إذاعة أمدرمان في إذاعة برامجها من جديد، حيث أعلنت أن قوات أجنبية، مدعومة بعناصر من قوى المعارضة في الخارج، قد قامت بغزو البلاد وحاولت السيطرة على العاصمة. وأكدت الإذاعة أن القوات المسلحة قد قامت بمواجهة قوات الغزو الخارجي وهزمتها هزيمة ماحقة وشتتت أفرادها. وفى بيان لاحق أكدت أن الرئيس نميري قد عاد من رحلته للخارج وأنه في مكان آمن ويتابع الموقت بشكل مباشر- وبعد أيام قليلة أعلنت خسائر الغزو وسط القوات المسلحة. وكانت خسائر كبيرة، مقارنة بأحداث 19 يوليو 1971- فقد قتل 17 ضابطاً، بما في ذلك أثنان من كبار الضباط، وعدد كبير من الرتب الأخرى- وبالنسبة لقوات الغزو، فقد قتلت أعداد

كبيرة من أفرادها.. كانت مجزرة حقيقية في وسط العاصمة. وفى وقت وجيز ألقي القبض على قائد المحاولة وهو في طريقة للحدود الأثيوبية. ومن ثم أخضع للتحقيق وقدم للمحاكمة مع عدد كبير من مساعديه ورجاله، الذين استسلموا أو قبض عليهم في مناطق متفرقة. وحكم على محمد نور سعد وآخرين بالإعدام والسجن لمدد مختلفة. ونفذت الأحكام في وقتها.

ومن جهة أخري، نفي الصادق المهدي أن تكون القوات المهاجمة مرتزقة أجانب. وأعلن تحمّله مسئولية ما حدث وأكد أن تلك القوات تتكون من سودانيين، وأن مثل هذه المحاولة ستتكرر حتى تحقيق النصر بإسقاط النظام الديكتاتوري القائم. وهكذا انتهت محاولة الغزو الفاشلة. ظهر الرئيس نميري من مخبئه في منزل صديقه بشير طه نميري، الذي روي لي القصة بقوله: (أنا دسيتو هنا في الطابق الفوق. كنت أضبح خروف ورا خروف- ولو الناس ديل عرفوا أنو نميري هنا، كان حقي راح..).

*** ما بعد أحداث يوليو 1976 :-**

لقد لاحظ كثير من الناس أن الرئيس نميري لم يعد هو نفسه كما كان قبل أحداث يوليو 1976- فقد أجبر على الاختفاء لمدة ثلاثة أيام كاملة، وظلّ يسمع من بعيد أصوات رصاص المعارك الجارية في الشوارع بين مؤيديه والمعارضين الذين استهدفوا قتله وتحطيم نظامه- وخلال فترة الاختفاء هذه، كان يعرف أنه لولا تهريبه من المطار وإخفائه لكان في عداد الأموات. وكان يعرف أيضاً أن سبة اختفائه في وقت يقوم فيه أنصاره بمواجهة أعدائه ستطارده طوال حياته. ويبدو أن كل ذلك قد سيطر على عقله ووجدانه وكان له دور كبير في خدش كبريائه واعتداده بنفسه، فحادث مطار جوبا في الثاني من فبراير 1977، كان أكبر تأكيد لما قاله الصادق المهدي (أن مثل هذه المحاولة ستتكرر في المستقبل حتى تحقيق النصر بإسقاط النظام الديكتاتوري القائم..) وكان على الرئيس أن يعيد التفكير والتأمل في هذه المسألة. وفى النهاية وضح له أن قمع قوى المعارضة واضطهادها دون رحمة

لا يمكن أن يقضي عليها- ولذلك كان عليه أن يعيد النظر في استراتيجيته من أجل البقاء والمحافظة على نظامه السياسي. فبدأ يفكر بعد حادث مطار جوبا بطريقة مختلفة تبحث عن مداخل ملائمة للحلول السلمية. ولذلك لم يتسرع في التحقيقات والمحاكمات والإعدامات، وذلك لأن المتورطين في الحادث قد إختفوا وسط أدغال الجنوب. بدأ يبحث في مداخل المصالحة مع قوى المعارضة. وفي وقت وجيز دخل في سلسلة اتصالات سرّية مع قيادات المعارضة في الخارج- ووصلت هذه الاتصالات ذروتها في لقائه في بورتسودان في 27 سبتمبر 1977 مع الصادق المهدي، زعيم طائفة الأنصار وحزب الأمة، حيث توصل ذلك اللقاء لإتفاقية (تفاهم بورتسودان.) ومع أن الاتفاق لم يحظي بإجماع قوى المعارضة في الخارج، فقد أدى عملياً إلى انفراج كبير في الوضع السياسي العام- وعلى أثره عاد الصادق المهدي وأنصاره إلى الخرطوم لمواصلة جهودهم من أجل تنمية وتوسيع الديمقراطية في البلاد بالطرق السلمية- وهكذا، قبلت قوى المعارضة مبدأ المشاركة في السلطة، وبدأت قياداتها تعود إلى البلاد وتشارك في مختلف المواقع السياسية والتنفيذية- فالصادق المهدي، زعيم الأنصار وحزب الأمة، وعمّه، أحمد المهدي، وأحمد الميرغني، الأخ الأصغر للسـيد محمد عثمان الميرغنى، زعيم طائفة الختمية والحزب الاتحادي الديمقراطي، كل هؤلاء أصبحوا أعضاء في المكتب السياسي للإتحاد الإشتراكي، بينما شارك آخرون في الجهاز التنفيذي والتنظيمات السياسية الأخرى. وبذلك حققت ثورة مايو أكبر إنجازاتها، وذلك بجذب القيادات الطائفية للمشاركة في مؤسساتها وتحويلها إلى مؤسسات قومية. ومع ذلك، لم يستمر الصادق المهدي في المكتب السياسي لفترة طْويلة. فقد كان نميري متردداً في قبول المشاركة السياسية، بحكم خطورتها على نظامه ودوره هو شخصياً في داخله- ولذلك بدأ يتعامل مع خيارات أخري- إذ أن نجاحه في تحقيق المصالحة الوطنية جعله يشعر بأنه حقق إنجازاً كبيراً لم يسبقه إليه أحد- وهذا صحيح، ولكن ذلك قاده إلى التفكير في نفسه كقائد خارق، فوق الناس العاديين، أو كإمام للمسلمين ومهدي

منتظر أو كسياسي عبقري فذّ- وهكذا بدأ في ممارسة سياسة المناورة والخداع والمكايدة، حيث ظلَ يتلاعب بالمجموعات المختلفة وبصراعاتها ضد بعضها.. كان يزرع أنصاره في وسط كل المجموعات، ويقوم بخلق الخلافات والصراعات في داخلها بهدف إضعاف وتدمير قياداتها التاريخية المؤسسة. وبحكم ممارساته هذه، أصبح شخصاً متناقضاً لا يستقر على شئ ويصعب التنبؤ بمواقفه وتحركاته. كان يبدو أنه يقف معك في وجودك أمامه، ولكن إذا جاءه آخر بأفكار أخري، فإنه يتحول إليها بسرعة. أصبح شخصاً متقلباً، حتى أن الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر وصفه مرة بقوله (أصبح سبورة. كل من يجيئه يمسح ما فيها ويكتب عليها ما عنده من آراء وأفكار..) وزين العابدين هذا هو أحد زملائه المقربين، الذين قادوا معه أنقلاب 25 مايو 1969- والذين يعرفون حالته كانوا يقومون باستغلال ضعفه هذا لتسفيه أفكار وآراء الآخرين وفرض أفكارهم عليه. وحسن عبد الله الترابي كان من بين الذين مارسوا هذه اللعبة بدرجة امتياز.

*** رحلة أخرى للخارج في 1976 :-**

قررت السفر إلى المملكة المتحدة لإجراء فحوصات عامة على حالتي الصحية ومن ثم السفر للولايات المتحدة الأمريكية. وكنت أفكر في إعادة أخي بنجامين واني إلى بلده وأهله- فقد سافر إلى الولايات المتحدة أثناء الحرب الأهلية، بهدف مواصلة دراسته الجامعية. وبعد تخرجه لم يجد فرصة للعمل. وذلك رغم حصوله على مؤهلات ممتازة في العلوم الاقتصادية. ولذلك فكرت في إعادته، حيث هناك فرص واسعة للعمل في السودان- وكنت أري أنه من الأفضل أن يعود ويعيش مع أهلنا- وصحبتني إلى لندن آمنة وطفلاها. وكانت فرصة لترى العالم الآخر، خارج السودان. وبعد إجراء الفحوصات، سافرت وحدي إلى الولايات المتحدة للبحث عن أخي بنجامين. فقامت سفارتنا في لندن بتبليغ بعثتنا في نيويورك بمواعيد مجيء هناك وهدف زيارتي. وبالفعل قامت البعثة بالبحث عنه، ووجدته وأبلغته بتاريخ حضوري هناك. وعند وصولي كان مع سفيرنا في الأمم المتحدة في استقبالي.

وكانت لحظات سارة بمعني الكلمة، حيث التقينا معاً بعد انقطاع دام أكثر من عشر سنوات. وبعدها قام السفير بوضع برنامج لزيارة معالم مدينة نيويورك وزيارة مبني الأمم المتحدة، بما في ذلك زيارة مجاملة للأمين العام للأمم المتحدة وقتها، دكتور كورت فالدهايم. ثم قمنا بجولة حول جزيرة مانهاتن. وفى الأجمال استمتعت بإقامتي القصيرة في المدينة وعدت إلى لندن بصحبة بنجامين. ومن هناك عدنا مع الأسرة إلى السودان. وشعرت وقتها بأنني قد قمت بواجب عائلي هام، بإعادة أخي إلى بقية عائلته وأهله.

*** حادث مطار جوبا، فبراير 1977 :-**

عندما وصل أعضاء المؤتمر الثاني للاتحاد الاشتراكي للخرطوم، كنت قد خرجت لتوّى من مستشفى أمدرمان العسكري. وكان العميد عبد الرحمن سوار الدهب، رئيس الأركان، ونائبي في القيادة، من بين الذين وصلوا من جوبا. فانزعجت لوصوله. وعندما سألته لماذا حضر للخرطوم، أجابني بأنه طلب منه حضور المؤتمر. لم أقتنع بإجابته وشعرت بضيق شديد. لذلك طلبت مقابلة الرئيس. وعند لقائي معه أخبرته بأن وجودنا معاً في الخرطوم يمثل خطأً كبيراً، وأنه لا يمكن إبتعاد قائد القسم الأول للقوات المسلحة ونائبه معاً عن مكان عملهما، لأن ذلك يمثل مغامرة لا داعي لها. فقد يحدث ما لا نتوقعه ويستغل أعداء النظام هذا الوضع. وتفهم الرئيس وجهة نظري ولذلك عاد العميد سوار الدهب إلى جوبا في طيارة خاصة في نفس ذلك اليوم (الأول من فبراير 1977.) وفي صباح اليوم التالي شهدت جوبا اضطرابات غير متوقعة- فقد قامت مجموعة من وحدة الدفاع الجوي، ومعظمها من القوات المستوعبة، المتمركزة حول المطار، قامت باعتقال زملائهم الشماليين وأعلنوا استلامهم للمطار- وأعلنوا أيضاً أن طيارات من دولة صديقة في طريقها للمطار، وهي تحمل تعزيزات عسكرية للمساعدة في إسقاط النظام القمعي في الخرطوم- وقامت السلطات بتنظيم قوات موالية لاستعادة المطار. ونجحت بالفعل في ذلك خلال وقت وجيز وأجبرت القوات المتمردة وبعض عناصر

الكتيبة 104 بأكوبو للهروب ودخول الغابات بعد أن قاموا بقتل المعتقلين. وأفادت القوات الموالية في المطار بأنهم استلموا إشارات من طيارتين، وعند السؤال عن هويتهما قطعتا الاتصال كلية. واتجهت أصابع الاتهام إلى تورط ليبيا وإثيوبيا في هذا التمرد. ويبدو أن الطيارات قد انطلقت من ليبيا واتجهت إلى جوبا عن طريق أثيوبيا أو يوغندا- وبعد تأمين المطار، كان المتوقع وصول تعزيزات كبيرة من أثيوبيا. وبذلك يمكن تأمين الجنوب أولاً، ومن ثم بدء الهجوم على الشمال من جهات الغرب والشرق. وهكذا اتضحت خطة المحاولة الانقلابية الثانية لإسقاط نظام الخرطوم، وربما كانت تستند إلى نفس المجموعة التي قامت بمحاولة الغزو السابقة، قبيل سبعة شهور- ولكن إجهاض المحاولة في مهدها، لم يسمح لأي جهة بإدعاء الوقوف خلفها- وفي كل الأحوال، كانت تمثل هزّة كبيرة للنظام الحاكم، بحكم احتمال ارتباطها بجهات خارجية وعدم وضوح ارتباطات العناصر المتمردة في داخل القطر- ولذلك كان الخطر متوقعاً من أي جهة. وكإجراء وقائي قامت السلطات باعتقال السياسيين المعارضين لنائب الرئيس، أبيل ألير. وشمل ذلك أعضاء في المجلس التشريعي الإقليمي، مثل جوزيف أدوهو، بنجامين بول، كلمنت أمبورو وموظف الخدمة المدنية سارافينو واني سواكا- وإرسلوا جميعهم للخرطوم للتحقيق معهم- ويلاحظ أن عضوية أدوهو في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي لم تمنع من اعتقاله. ويقوم اتهامهم على أن الشرطة تحصلت على رسالة من بنجامين بول إلى جوزيف أدوهو، تكشف تورطهم في حادثة مطار جوبا- وحسب تقرير الشرطة، فقد كان بنجامين في إجازة في مدينة واو، عندما أرسل تلك الرسالة. ومن جهة أخرى، تفهم نميري بعد نظري وقدّر تنبئي باحتمال حدوث اضطرابات في جوبا خلال انعقاد المؤتمر، استناداً إلى أن قوى المعارضة ستحاول الاستفادة من تجمع المسئولين في الخرطوم في تحريك محاولاتهم لإسقاط النظام وذلك من منطقة غير متوقعة (الجنوب). ولم أكن أعرف أن هناك تحركاً سرياً في الجنوب، يشارك فيه بعض السياسيين الجنوبيين من خلال عناصرهم المزروعة

الكتيبة 104 بأكوبو للهروب ودخول الغابات بعد أن قاموا بقتل المعتقلين. وأفادت القوات الموالية في المطار بأنهم استلموا إشارات من طيارتين، وعند السؤال عن هويتهما قطعتا الاتصال كلية. واتجهت أصابع الاتهام إلى تورط ليبيا وإثيوبيا في هذا التمرد. ويبدو أن الطيارات قد انطلقت من ليبيا واتجهت إلى جوبا عن طريق أثيوبيا أو يوغندا- وبعد تأمين المطار، كان المتوقع وصول تعزيزات كبيرة من أثيوبيا. وبذلك يمكن تأمين الجنوب أولاً، ومن ثم بدء الهجوم على الشمال من جهات الغرب والشرق. وهكذا اتضحت خطة المحاولة الانقلابية الثانية لإسقاط نظام الخرطوم، وربما كانت تستند إلى نفس المجموعة التي قامت بمحاولة الغزو السابقة، قبيل سبعة شهور- ولكن إجهاض المحاولة في مهدها، لم يسمح لأي جهة بإدعاء الوقوف خلفها- وفي كل الأحوال، كانت تمثل هزّة كبيرة للنظام الحاكم، بحكم احتمال ارتباطها بجهات خارجية وعدم وضوح ارتباطات العناصر المتمردة في داخل القطر- ولذلك كان الخطر متوقعاً من أي جهة. وكإجراء وقائي قامت السلطات باعتقال السياسيين المعارضين لنائب الرئيس، أبيل ألير. وشمل ذلك أعضاء في المجلس التشريعي الإقليمي، مثل جوزيف أدوهو، بنجامين بول، كلمنت أمبورو وموظف الخدمة المدنية سارافينو واني سواكا- وإرسلوا جميعهم للخرطوم للتحقيق معهم- ويلاحظ أن عضوية أدوهو في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي لم تمنع من اعتقاله. ويقوم اتهامهم على أن الشرطة تحصلت على رسالة من بنجامين بول إلى جوزيف أدوهو، تكشف تورطهم في حادثة مطار جوبا- وحسب تقرير الشرطة، فقد كان بنجامين في إجازة في مدينة واو، عندما أرسل تلك الرسالة. ومن جهة أخرى، تفهم نميري بعد نظري وقدّر تنبئي باحتمال حدوث اضطرابات في جوبا خلال انعقاد المؤتمر، استناداً إلى أن قوى المعارضة ستحاول الاستفادة من تجمع المسئولين في الخرطوم في تحريك محاولاتهم لإسقاط النظام وذلك من منطقة غير متوقعة (الجنوب). ولم أكن أعرف أن هناك تحركاً سرياً في الجنوب، يشارك فيه بعض السياسيين الجنوبيين من خلال عناصرهم المزروعة

وسط القوات المستوعبة- والواقع أنني كنت أشك في صحة تقرير الشرطة وأتعاطف مع السياسيين المعتقلين. وبذلت ما في وسعي لحمايتهم والدفاع عنهم، وقمت بزيارة من سمحت الظروف بزيارتهم، مثل كلمنت أمبورو وسارافينو واني في معسكر اعتقال جبل أولياء- وحسب معلوماتي أن الأخير كان يعاني من مشاكل نفسية منذ فترة وأن الاعتقال أدى إلى مضاعفات في حالته الصحية. ولذلك أوصيت بإطلاق سراحه بناء على ذلك. واقتنع عبد الوهاب إبراهيم بوجهة نظري وأطلق سراحه فعلاً وأعيد إلى جوبا- أما طلبي بمقابلة أدوهو وبنجامين بول، فقد جاء متأخراً، بسبب محاكمتهما وصدور حكم بإعدامهما. ولم أكن أعلم ذلك وقتها. ولذلك طلبت من الرئيس إعادتهما للجنوب ومحاكمتهما في محكمة علنية. وأكدت له ضرورة ذلك لإقناع الجنوبيين وحتى لا تتلون المسألة بصراع جنوبي شمالي مرة أخرى- وكنت اشعر بمسئوليتي تجاه هؤلاء السياسيين، بحكم توقيعي على الاتفاقية وإقناعهم بالعودة إلى الوطن- وإذا ارتكب أي واحد منهم جريمة تستحق إعدامه أو سجنه لمدة طويلة، فيجب أن يكون ذلك واضحاً لعموم الشعب. والواقع أن نميري كان يقظاً وحذراً في ذلك الوقت. ولذلك تحاشى التسرع في تنفيذ الأحكام الصادرة بحق هؤلاء، خاصة أن أحداث يوليو 1976 لم تكن بعيدة- كان واعياً بأن إعدام سياسي جنوبي بارز، مثل جوزيف أدوهو، ستكون له نتائج بعيدة لا يمكن الإحاطة بها- ولا شك في أنه أعاد النظر في المسألة برمتها وبدأ يفكر في التفاهم والمصالحة اكثر من الاستمرار في القمع والبطش الذي يؤدي فقط إلى مزيد من العنف والمواجهة. كان الصمت يعمّ البلاد، خلال فترة اعتقال هؤلاء السياسيين- وفي هذا الأثناء كان نميري يواصل اتصالات سرّية مع قوى المعارضة في الخارج- وفي سبتمبر 1977 أعلن عن لقائه مع الصادق المهدي في بورتسودان. وعلمت بذلك لأول مرة في مطار الخرطوم، عندما سألني أحد الصحفيين عن نظرتي للقاء الزعيمين وتوجهه نحو مصالحة وطنية. فقلت: (أرحب بأي تحرك نحو المصالحة وسط شعبنا أياً كان شكلها في بلادنا- فسوف يتحقق الاستقرار،

عندما يحدث الانسجام والتصالح في الشمال، تماماً كما هو مرغوب في الجنوب.) وأذيع ذلك التصريح في الإذاعة والتلفزيون ونشر في الصحف المحلية، كمحاولة لإعلان المبادرة ودعمها وتركيزها- وأدى ذلك إلى تزايد اهتمام قوى المعارضة في الخارج بشخصي وإلي توفير أساس لتحالف سياسي مع حزب الأمة في المستقبل. ونتيجة للمصالحة، اصدر الرئيس عفواً عاماً، شمل كل المحكومين لأسباب سياسية، ودعى السياسيين في الخارج للعودة إلى بلادهم والمشاركة في النظام السياسي القائم، الذي فتح أبوابه لكل الآراء ووجهات النظر- وهكذا، أطلق سراح كل السياسيين الجنوبيين الثلاثة:- جوزيف أدوهو، بنجامين واني وكلمنت أمبورو.

*** لقاء مع المعارضة في لندن :-**

خلال زيارتي الثالثة للملكة المتحدة، قابلت هناك اثنين من قيادات المعارضة الشمالية في الخارج، الصادق المهدي، زعيم الأنصار وحزب الأمة، والشريف حسين الهندي، زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي.. سمعوا بوجودي في لندن وطلبوا مقابلتي- واستجبت على الفور، لأنني كنت أيضاً أريد مقابلتهم- وفي البداية قابلت السيد/ الصادق في فندق دورشستر **Dorchester** في لندن، عن طريق خالد فرح، رجل الأعمال السوداني المعروف- وبعد ذلك قابلته مرتين في منزل صديق أسرتهم مستر جراهام ثوماس. ومن خلال تلك اللقاءات تمكنا من معرفة بعضنا بشكل أفضل. ووقتها كان المهدي يفكر في العودة للخرطوم في ضوء تفاهمه مع الرئيس نميري في بورتسودان. وكان يريد أن يتفهم تجربتي مع النظام الحاكم منذ توقيع الاتفاقية والاستفادة منها في مرحلته الجديدة ومدى التزام نميري بتعهداته ووعوده- فأخبرته أن الرئيس التزم باتفاقية السلام حتى ذلك الوقت وأنه يخاف وجود القيادات الشعبية البارزة حوله. ولهذا السبب قام بتهميشي واختار أبيل ألير رئيساً لمجلس الجنوب. وقلت له أنه يدور حول نفسه، لكنه ليس دكتاتورياً متعطشاً للدماء- إذ لم أسمع باختفاء زعيم سياسي معارض لأسباب سياسية، منذ عودتي

للبلاد- ومن هنا فهو لا يسمح باغتيال خصومة السياسيين- وقلت أنه يتعامل بشراسة مع الذين يحاولون إسقاط نظامه أو خلق اضطرابات واسعة، ولكني لاحظت تغييراً في توجهه هذا بعد حادث 1977/2/2 في مطار جوبا- وأشرت إلى أن هذا التغيير قد يعود إلى قناعته بأن العنف والقمع لا يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة- وقلت له أنه إذا صحّت نظرتي هذه، فإن الوقت مناسب لإجراء تحولات ديمقراطية في بنية النظام القائم. وشجعت المهدي للعودة للبلاد والعمل من أجل الديمقراطية من الداخل- وقلت له إنني أيضاً أؤمن بالنظام الديمقراطي، حيث أنني لجأت إلى حمل السلاح في وجه نظام دكتاتوري عسكري (نظام عبود.) وأكدت له أنني سأرحب به كزميل سلاح ومقاتل من أجل الحرية والديمقراطية في السودان. فقدّر موقفي ووعد بالعمل معاً من أجل الديمقراطية وفي سبيل ذلك وعد أيضاً بالعمل لأن ندعم ونساند بعضنا- وبعد انتهاء اللقاء بلّغت الكولونيل المحينة، الملحق العسكري في سفارتنا في لندن، بلقائي مع المهدي، وذلك لخوفي من أن يتمكن هو أو القنصل (مسئول الأمن بالسفارة) من معرفة أخبار اللقاء بطريقة أو أخرى- ولذلك فضلت تبليغه بنفسي- فقلت له أنني قابلت المهدي بطلب منه، بهدف تشجيعه على العودة للوطن في ضوء ما توصل إليه مع الرئيس في بورتسودان. ومن هنا طلبت منه نقل هذه المعلومة للرئيس نميري. وشعرت بأن لقائي هذا كان يمثل حدثاً هاماً بالنسبة له، حيث أنه بدأ يسجل بعض الملاحظات في يوميته خلال حديثي معه- واندهشت بأنه كان يجهل ما يجري حوله، ومع ذلك يرسل تقارير مليئة بالأكاذيب للخرطوم- وشعرت أيضاً بجهله بلقائي مع الشريف الهندي. ولذلك استرخت أعصابي.

ولكن هذا اللقاء لم يدفع المهدي إلى الإسراع بالعودة. فالقرار في النهاية كان بيده هو. وبدا لي أنه يتمتع بشجاعة كافية، هي التي دفعته للتفكير في العودة إلى وطنه، رغم أنه كان محكوماً عليه بالإعدام في محاكمة غيابية قبل عام واحد فقط- وكان ذلك خطوة كبيرة في اتجاه تدعيم الوحدة والمصالحة الوطنية وتوسيع قاعدة

الحكم في البلاد- المهم، بعد اجتماع الصادق المهدي قابلت الشريف الهندي، عن طريق مصطفى عوض الله، شقيق بابكر عوض الله، نائب رئيس مجلس ثورة مايو ورئيس وزرائها في فترتها الأولى- ومناقشاتي معه كانت تختلف عن مناقشاتي مع المهدي. فلقاءاتي معه كانت أكثر سرّية، وذلك لأن موقفه لم يتغير حتى ذلك الوقت. إذ أنه لم يتخلى عن العنف ولم يوقف حربه ونضاله ضد النظام القائم، الذي أصبحت جزءاً منه- وهو لم يرحب بلقاء بورتسودان بين نميري والمهدي وأعلن أنه سيواصل النضال حتى إسقاط نظام نميري. واستمر في خطه هذا بدعم ومساندة العقيد القذافي، الذي كان مصمماً على إزاحة خصمه اللورد نميري.

أهداف الشريف من اللقاء كانت واضحة بالنسبة لي- وتحدّدت في استقطابي لملء الفراغ الذي خلّفه غياب المرحوم محمد نور سعد ومصالحة المهدي مع نميري، وكان ذلك ضرورياً لمواصلة نشاطه المعارض ضد النظام الذي وقع معي اتفاقية السلام- وكان مستعداً لاستغلال كل ما يمكن لدفعي للارتباط بهم. فأشار إلى مساعدتي مالياً وقال لي أنى احتاجها بعد دخولي مسرح العمل السياسي.. (فالمال هو أداة العمل السياسي.) وكنت استمع إليه بإنتباه شديد. وبعدها أخذني إلى أحد بنوك لندن وفتح حساباً بإسمي برصيد أولي بمبلغ أربعمائة جنية إسترليني.. قابلت الشريف في ثلاثة فنادق مختلفة، الأول عن طريق مصطفى والاثنان الآخران بواسطة شخص قال لي أنه ولدنا، كان يأخذني من محل إقامتي إلى مكان اللقاء- وفي اللقاء الثاني، بدأ الشريف يتحدث عن زيارة إلى ليبيا قبل مغادرتي للخرطوم. وقال لي أن العقيد القذافي حريص على لقائي مرة أخرى- وإشارته إلى ذلك شدتني إلى الوراء وجعلتني أفكر في عرضه بمساعدتي مالياً. هل يمكن أن يجذبني ذلك؟ والي أي هدف؟ هنا تذكرت ما يقوله بعض الأصدقاء حول استخدام المال والخمر والنساء لأغراء الناس واصطيادهم- وذلك باعتبارها أهم وسائل التجنيد ودفع الناس للمغامرة. ولذلك بدأت أفكر بيقظة وحذر. إذ لم أتوقع أن يحدثني بهذه الطريقة. توقعته أن يناقشني في قضايا سياسية، كما فعل الصادق المهدي، وأن يحاول دفعي

للانضمام معهم في الحزب الاتحادي الديمقراطي، عندما تعود الديمقراطية للسودان- ولذلك أشعرته بعدم اهتمامي بما يقول وحاولت تغيير مجرى الحديث. ولكنه أصرّ على مواصلة حديثه حول المال وضرورته للعمل السياسي- وأفادني بأن القذافي قد وفرّ مليون دولار لوضعها في حسابي وأنه قام بفتح حساب باسمي في اليوم السابق لهذا الغرض بالتحديد- وأكد لي أنه سيقوم بإدخال المبلغ في حسابي في أربع دفعات متوالية. وهنا بدأت اشعر بقلق وضيق شديدين- ولكنه كان يواصل حديثه ويبذل كلما في وسعه لانتزاع موافقتي على عرضه- ولذلك أجلنا الحديث إلى لقاء آخر.

وفي اللقاء التالي، جاء معه شخص من شمال أفريقيا، كما يبدو من ملامحه- وقدمه لي بأنه قادم من ليبيا يحمل رسالة لي من العقيد القذافي مباشرة- ومن ثم قال لي هذا الرسول: (لقد سمع العقيد بوجودك في لندن من الأخ الشريف. وهو يغريك السلام ويأمل أن تلتقيه مرة ثانية. وفهمت أن هذه المقابلة ستكون الثانية..) فابتسمت وهززت رأسي. وواصل يقول: (ستكون هناك طيارة جاهزة في مطار هيثرو لنقلك إلى طرابلس أو أي مكان ترى أنه مناسب في أوربا للقائك مع العقيد- ونفس الطيارة ستنقلك إلى مطار هيثرو في لندن- وكل الإجراءات ستكون في سرّية تامة.) ولكنني تشككت في حديثه حول السرّية. وتعجبت في نفسي: (إذا غبت من لندن لمدة يوم واحد، فإن المحينة، ملحقنا العسكري، سيعلم بذلك وسيقوم بالبحث والتحري عن مكان تواجدي. فهو يتصل بي يومياً.) المهم، جمعت قواي وقلت للشريف وضيفه بأنني لن أقوم بزيارة سرّية، بل سأرحب بأي دعوة معلنة في أي وقت مناسب- ووعدت باستمرار اتصالاتي السرّية معهم. ومع ذلك لم تؤدي تلك اللقاءات إلى أي تفاهم مشترك كما حدث في لقاءاتي مع المهدي. وفي النهاية وعدتهم بالاتصال بهم عند تواجدي في المملكة المتحدة وأوربا- المهم لم يكن هناك أي سبب يدفعني للاستجابـــة لدعوتهم بزيـــارة ليبيا، رغم مشاكلي وإحباطاتي مع نميري، فقد كان من غير اللائق سياسياً أن أقوم بعمل يقارب الخيانة العظمى، لم

يكن من الممكن الابتعاد عن أسرتي بعد أن جمعت كل أفرادها داخل وطنهم- وكنت على وعي بحقيقة دوري التاريخي في قيادة الجنوبيين وفي عودتهم إلى بلادهم من المنافي وبمسئوليتي في تأمين سلامتهم وأمنهم- وأكثر من ذلك، كنت اشعر بفخر واعتزاز كقائد للقسم الأول للقوات المسلحة. وهي رتبة عالية لم يصلها أي جنوبي من قبل- وكنت اشعر أيضاً بدوري الكبير في اتفاقية السلام وبضرورة المحافظة عليها لا تدميرها وإلغائها مهما كانت الأسباب- فقد كنت أحد الموقعين على هذه الاتفاقية, التي لا تزال سارية المفعول وينظر إليها في بلدان العالم الأخرى كنموذج في حلّ النزاعات الوطنية. وقلت في نفسي: (ماذا يريد هؤلاء؟ وماذا يتوقعون مني؟ فقبل كل شيء, لم يرحبوا باتفاقية السلام التي وقعتها مع نميري- والقذافي نفسه هبط في الخرطوم بطيارته دون دعوة رسمية, فقط ليهاجم الاتفاقية في تجمع جماهيري في أمدرمان..).

استمرت علاقاتي مع الشريف الهندي في إطار سرّي. ولكنه لم ينفذ ما وعدني به, أي انه لم يحوّل المليون دولار إلى حسابي. وعندما راجعت الحساب قبل مغادرتي للخرطوم, وجدت في رصيده فقط 25.000 دولار, بالإضافة إلى الأربعمائة جنية إسترليني الأولى- والواقع أنني لم أتوقع ذلك المبلغ الكبير, بحكم عدم استجابتي لدعوته بزيارة ليبيا مرة أخرى.

عدت إلى الخرطوم وقابلت الرئيس نميري وشكرته على موافقته على معالجتي في الخارج وقدمت له تقريراً عن اجتماعاتي مع الصادق المهدي. أخبرته أن اللقاء كان بطلب من المهدي وإنني استجبت لطلبه تمشياً مع لقاء بورتسودان وبهدف تطوير روح المصالحة والوحدة الوطنية- وقلت له إنه في إطار الظروف السائدة ما كان من الممكن الاعتذار عن اللقاء, لأنه سيفسره بأنني ضد المصالحة ولقاء بورتسودان. وأكدت له أنني انتهزت الفرصة ونصحت المهدي بالإسراع بالعودة للوطن حتى نعمل جميعاً من أجل بلادنا, وكذلك قلت للمهدي أن الرئيس يلتزم بعهوده ووعوده. ولاشك أنه قد انشرح لذلك, رغم أنه لم يرحب بلقائي مع

المهدي بشكل عام, كما وضح من تعبيرات وجهه- أما لقاءاتي مع الشريف الهندي, فلم افصح عنها وظللت أحافظ على سرّيتها- وبعد أسابيع قليلة وصل الصادق المهدي مع عدد من زملائه وأنصاره إلى مطار الخرطوم في طيارة خاصة واستقبلته جماهير الأنصار استقبالاً حاشداً- وفي الخرطوم واصلنا لقاءاتنا بشكل سرّي بعيداً عن عيون السلطة, بهدف تطوير علاقاتنا, التي أصبحت هامة ومفيدة بالنسبة لي ولمجموعتي في الفترة اللاحقة- وبالنسبة للهندي, لم تسمح الظروف بمقابلته مرة أخرى, رغم رغبتي في ذلك. ولم استخدم المبلغ الذي حوّله لحسابي في لندن وذلك بحكم رفضي لمطلوباته وعدم تقديم أي خدمات إليهم من جانبي- ولذلك لم استخدم ذلك المبلغ لمصلحتي الشخصية, بل أنفقته في مصلحة عامة باعتباره من مصدر مجهول. وعند وفاة الشريف1982 حزنت عليه مع أنصاره ومؤيديه وزملائه العديدين- وذهبت إلى أسرته في برّي في الخرطوم تقديراً واحتراماً لصديق قابلته في ظروف نشاطه السرّي المعادي للسلطة ولتقديم العزاء لأسرته وأقاربه المكلومين.

حسب الأحداث العديدة التي أشرت إلى بعضها, فإن الجنوب لم يشهد هدوءاً كاملاً وسلاماً حقيقياً بعد اتفاقية أديس أبابا 1972- ولكن, مع نلك, كان للاتفاقية أهميتها في إيقاف الحرب وتهدئة الأوضاع, مقارنة بسنوات الحرب الأهلية السبعة عشر السابقة- فبعد اضطرابات بشرى **Busheri** شهدت مدينة واو أحداثاً ثانوية عديدة, مثل تفجير قنابل يدوية في مناطق عامة. وفي البداية كان من الصعب تحديد هوية المسئولين عنها. فالشماليون في المدينة كانوا يتهمون الجنوبيين ويعتقدون أن هذه العمليات تستهدف طردهم من الجنوب. وفي الجانب الآخر, كان الجنوبيون يتهمون العناصر الشمالية المعارضة لاتفاقية السلام بهدف عرقلة تنفيذها وإعادة البلاد إلى حالتها السابقة. وبعد سنوات نشرت صحيفة **The Heritage** (صحيفة أسبوعية كانت تصدر في بحر الغزال) في نوفمبر 1987, لقاءاً مع جون قرنق كشف فيه أن تلك الأحداث كانت تقف خلفها مجموعات سرّية تتبع تنظيمهم قبل الإعلان عن حركة تحرير شعب السودان.

الفصل الثالث عشر

الصراعات السياسية في الجنوب

*** نداء التغيير :-**

عدت من لندن إلى السودان في نوفمبر 1977. وهناك وجدت أن الحاجة إلى التغيير في الإقليم الجنوبي قد أصبحت مدار مناقشات واسعة وسط السودانيين الجنوبيين في كل مكان. فقد استمر أبيل ألير وفريقه الوزاري لمدة ست سنوات في السلطة, كانت كافية لأن يشعر الناس بضرورة التغيير في أي مجتمع ديمقراطي. والنظام السياسي في الجنوب كان ديمقراطياً حسب نصوص قانون الحكم الذاتي لسنة 1972. وهو كنظام, كان يقلق النظام الحاكم في الخرطوم خوفاً من عدوى انتقاله إلى الشمال أيضاً. وحسب نصوص هذا القانون, كان المفترض إجراء انتخابات عامة في الإقليم في بداية 1978. ولذلك وجدت الرغبة في التغيير مناقشات أوسع وسط كافة القطاعات. وكان هناك تقدير عام باحتمال تدخل رئيس الجمهورية مرة أخرى في عمليات الانتخابات واختيار قيادة الإقليم بطريقة تعرقل رغبة الناس في التغيير- ونتيجة لذلك, بدأ الاهتمام بكيفية إبعاد مثل هذا التدخل- فاتصل بي بعض السياسيين الجنوبيين الذين يريدون تغيير أبيل ألير, وسألوني حول إمكانية ترشيحي في مواجهته إذا رفض الانسحاب طواعية. وكانوا يرون أن الرئيس سيجد صعوبة كبيرة في رفض ترشيحي لرئاسة المجلس التنفيذي العالي, وأكدوا ضمان فوزي إذا قبلت الترشيح- ومن بين هؤلاء كان هناك صمويل أرو بول, رئيس حزب سانو جناح وليم دينق, وبونا ملوال مادوت, القيادي البارز في جبهة الجنوب, تنظيم أبيل ألير, في فترة الستينات. والأخير كان الوزير المركزي للثقافة والإعلام.

لقد بلّغ نميري برغبة الجنوبيين في ترشيح شخص مناسب في مواجهة مرشحه المفضل, أبيل ألير, وبأن المرشح المتوقع هو جوزيف لاغو- وعند سماعة

ذلك تساءل في تعجب: (جوزيف لاغو يريد معارضة أبيل ألير؟) وعلمت ذلك من زميلي في الكلية العسكرية, المقدم صلاح عبد العال. وقررت في الحال استعدادي لمواجهة نميري شخصياً إذا كرر تدخله في انتخابات الجنوب مرة أخرى- وفي وقت لاحق سمعت من صديق آخر, هو أحمد عبد الحليم, عضو المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني, حديثاً مختلفاً, حيث قال لي: (لقد أصيب الرئيس بالقلق والحيرة, عندما سمع باحتمال ترشيحك لرئاسة المجلس التنفيذي العالي. ويبدو لي أنه لا يميل للتورط في مشاكل الانتخابات مرة أخرى- وذلك حتى لايجد نفسه في مأزق الاختيار بينك وبين أبيل ألير..) فشعرت أن ذلك يمثل موقفاً مناسباً إذا التزم به. وعندما قررت إعلان رغبتي في الترشيح, فكرت في الاتصال بأبيل ألير بطريقة وديّة, فطلبت تحديد موعد لمقابلته, مع أننا كنا في العادة لا نتعامل بالرسميات.. كنا في ذلك الوقت مجموعة صغيرة مترابطة في عاصمة الإقليم, نلتقي معاً وندعو بعضنا بطريقة غير رسمية عندما يكون هناك موضوع هام للمناقشة. ولذلك توقعت اندهاش أبيل ألير من قيامي بطلب موعد للقائه. ومع كل ذلك, وافق على مقابلتي في صباح اليوم التالي في مكتبه. وذهبت إلى هناك في الموعد المحدد.

عند قيامه من مقعده لاستقبالي, بدا لي كأنه يتوقع شيئاً غير اعتيادي وطلب مني الجلوس بجانب المكتب بدلاً من الجلوس معه في الكراسي المريحة- فبدأت الحديث بموضوعات عامة وبعدها طرحت قضيتي- قلت له جئت لأتنافس معه حول الانتخابات وإنني قررت ترشيح نفسي لرئاسة المجلس التنفيذي العالي وآمل في دعمه ووقوفه بجانبي- وأوضحت له أنني لا ارغب في منافسته في موقعه كنائب لرئيس الجمهورية, لأنه ظلّ في ذلك الموقع قبل اتفاقية السلام, بحكم علاقته بالرئيس وثقته فيه, وهي ثقة تخصهما معاً ومن حق الرئيس أن يختار نوابه- وأكدت له أن علاقته هذه بالرئيس يمكن استغلالها بشكل أفضل لمصلحة الجنوب إذا ما انتقل إلى القصر الجمهوري في الخرطوم, حيث يمكنه تطوير العلاقة بين الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية بشكل عام والجنوب بشكل خاص. وقلت له

أننا يمكن أن نعمل سوياً لمصلحة أهلنا وشعبنا في الجنوب. وفي هذا الجانب, قلت أن عدداً كبيراً من الناس قد طلب مني الترشيح في الانتخابات القادمة, وأقنعوني بأنهم يعبرون عن رأي عام واسع. وأضفت: (لذلك لا أستطيع خذلان أهلي وشعبي ولا أريد منافستك, لأن ذلك سيؤدي إلى تقسيم شعبنا. وهو أمر ليس مرغوباً.) وفي أثناء حديثي كان أبيل ألير يستمع بانتباه شديد. ولكنه لم يعلق على حديثي, بل كان يهز رأسه بين لحظة وأخري, كأنه يقول: (لقد وصلت رسالتك ويمكنك الآن الاستمرار في خطواتك.) وبعدها ودعته وخرجت. كنت آمل في دعمه ومساندته, لكن ذلك لم يحدث. فبعد أيام قليلة بدأت ألاحظ أنه شرع في تنظيم وتعبئة أنصاره ومؤيديه استعداداً للانتخابات. ووصلتني معلومات تشير إلى أنه أخذ مبادرتي الأخوية كتحدي وبدأ الاستعداد لمواجهتي. وفي إحدى المناسبات, قال أليسابانا مولا: (هذه المرة سيكون الصراع بين عملاقين, أبيل ألير وجوزيف لاغو. واقترح أن يتقدما في مناظرة أمام الجمهور كما يحدث في الانتخابات الأمريكية..) وكان يقف ضدنا معاً ونظر لصراعنا كصراع أفيال فعلاً.

كان واضحاً أن أبيل ألير يتجه نحو الصراع وليس إلى التفاهم والاتفاق- كان يريد الاحتفاظ بالموقعين نائب رئيس الجمهورية وموقع المسئول الأول في الجنوب على السواء. ولذلك نظر لمبادرتي كتحدي. وفي تلك الظروف, لم يكن في وسعي تغيير موقفي بالانسحاب وتحاشي الصراع, كما فعلت مع كالولو الأرنب في مدرسة أكوت. فجمعت الأصدقاء والمؤيدين ووجهتهم بالاستعداد للمعركة, معركة جديدة سلاحها بطاقات الانتخاب وليس الرصاص- وسافرت إلى الخرطوم للاتصال بحلفائي وأصدقائي ولأعلن عن خطتي هناك. وأيضاً لأوضح موقفي للشماليين الذين تربطنا معهم علاقات جيدة, لأوضح لهم بأن أبيل ألير لم يستجب لمحاولاتي من أجل تفاهم مشترك, ونتيجة لذلك ليس أمامي سوى مواصلة التحدي في الانتخابات القادمة في الجنوب- ولم تكن هناك ضرورة لمقابلة رئيس الجمهورية لأشرح له موقفي, لأن ذلك قد يدفعه لتدخل لا ارغب فيه- ولذلك فكرت وقلت لنفسي: (دعني أنتظر

مبادرته دون تأثيرات من جانبي. فإذا أراد التأثير في العملية الانتخابية في الجنوب مرة أخرى, فإن ذلك سيضعه في مشكلة مع الجمهور العريض وليس معي كفرد.,) وإذا ابعد نفسه عن التدخل في المعركة الانتخابية, فإنني أثق في الدعم والمساندة التي أجدها من الوطنين والمخلصين الجنوبيين ولا اهتم بالآخرين الذين ربطوا أنفسهم بالنظام الحاكم لمصالح شخصية ضيقة.

ومن جهة أخرى قابلت الصادق المهدي, أحد أسباب حضوري للخرطوم, وشرحت له موقفي وصراعات الانتخابات القادمة وطلبت منه مساعدات مالية, حسب اتفاقنا في لقائنا في لندن- ولم يتردد في دعمي ومساندتي, حيث طلب من عمر نور الدائم, مساعده البارز, توفير ما يمكن من مساعدات. وبعدها بدأت في تنظيم صفوف المؤيدين والأصدقاء انطلاقاً من الخرطوم. وفي الجانب الآخر, بدأ مؤيدو أبيل ألير, يقدمون أنفسهم كمدافعين عن استمرار صداقة الشماليين ومساندتهم ويشيعون أكاذيب تدعم وضعيتهم السياسية. فقد ادّعوا أنني استلمت مبالغ مالية كبيرة من الخارج, بهدف دعمي في الانتخابات, وظلّوا يعملون كلما في وسعهم لتلطيخ سمعتي, بل وتحطيمي, في سبيل المحافظة على سيطرتهم على الجنوب- ولم يطرحوا أي شيء عن القضايا المتصلة باتفاقية السلام والحكم الذاتي الإقليمي. وذلك لاستعدادهم للتخلي عنها كلية خدمة للمصالح الشمالية مقابل كسب الدعم الشمالي في معركة الانتخابات. ومن هنا كان اهتمامهم الرئيسي يرتكز في تشويه سمعتي واتهامي بالعمالة لقوى أجنبية- ولم يكن خافياً على أحد الدعم والمساندة التي وجدوها من النظام الحاكم وأركانه الأساسية- فقد لاحظت نشاط بعض الضباط في دعم نائب رئيس الجمهورية والذين يقفون معه. وما كان من الممكن أن يقوموا بذلك لولا توجيهات محدّدة وصلتهم من الخرطوم- ومن بين هؤلاء كان العميد تاج الدين عبد الله, رئيس هيئة الأركان, والرائد محمد المهدي, في الاستخبارات العسكرية, ومحمد عبد العزيز, الضابط في أمن الدولة- هؤلاء الضباط قاموا بحشد المؤيدين لأبيل ألير ومجموعته من أوساط القوات المستوعبة (الانيانيا السابقة.) ففي أحد

الأيام, أخبرني محمد عبد العزيز وروبين ماك بأن الجيش في الجنوب يعدّ لانقلاب عسكري. ولكني لم أصدقهما- وفي وقت لاحق شعرت أن ذلك كان مناورة لتهديدي وابتزازي- وفي اليوم التالي, طلبت من العميد تاج الدين عبد الله بالحضور لمكتبي وواجهته بما سمعته من هذين الضابطين حول انقلاب عسكري في جوبا. سألته: (من يكون قائد هذا الانقلاب؟) وقلت له أن هذه الأخبار تعكس وجود خطة لابتزازي وأن بعض ضباطي متورطون في هذه الخطة. وأشرت إلى أنه رغم قيام بعض الضباط بزيارة أبيل ألير في منزله خلال الأيام القليلة الماضية, فإنني لم أنزعج طالما أن تلك الزيارات تعبرّ فقط عن تأييدهم لترشيحه كأفراد. ولم أتوسع في الحديث حول هذه النقطة. والواقع, أنني كنت متأكداً من كونه الرأس المدبر لهذه المجموعة, التي كانت تشمل أندرو ماكور ثو ومحمد المهدي وأليسون مقايا- وفي وقت لاحق, خاطبت القوات العسكرية في جوبا بمناسبة الانتخابات, وقلت لهم انهم أحرار للتصويت للمرشح الذي يرونه مناسباً- وأكدت لهم بوضوح أنهم ليسوا ملزمين بالتصويت للمرشح الذي تفضله القيادة العسكرية وأن الجميع متساوون في هذه المسألة وأن كلاً منا مسئول عن اختياره- وركزت على أن الضغط على الآخرين للتصويت لمرشح معين يعتبر جريمة بقانون الانتخابات نفسه- ونتيجة لذلك كانت نتائج الانتخابات في حامية جوبا في مصلحة المرشح الذي أسانده وخسارة أحد وزراء الحكومة الإقليمية المؤيد لأبيل ألير- ومع بداية ظهور نتائج الدوائر الانتخابية الأخرى, بدأت حالات توتر تنمو وتتسع وسط العناصر التي هزمت في المعركة.

وبحكم خطورة الوضع, بعث نميري نائبه الأول, أبوالقاسم محمد إبراهيم, لمراقبة العملية الانتخابية ومتابعة تطوراتها أولاً بأول- وهنا انتهزت هذه الفرصة لأطرح ما في نفسي لسيادته- فقلت له بأنني مقتنع بأن هناك مؤامرة يقودها ضابط أمن الدولة بالتعاون مع مفوض الشرطة الإقليمية وأن أبيل ألير متورط في هذه المؤامرة- وأكدت له خطورة الوضع, وأنه يمكن أن يتلمس تلك الخطورة بنفسه-

ورحبت بمجيئه لمراقبة الانتخابات. وبذلك شعرت براحة كبيرة- والمهم هنا أن حضور النائب الأول قد أدى إلى تهميش أبيل ألير ولم يعد قادراً على التلاعب كما كان يفعل في الانتخابات السابقة- ورغم أن النتائج كانت تشير إلى فوز أنصاري بأغلبية كبيرة في مجلس الشعب الإقليمي, ظلّ أبيل ألير مصرّاً على الاستمرار في المعركة. ووقتها اقتنع أبو القاسم بأن أبيل ألير ومجموعته قد بدأوا يفكرون في خلق مشاكل واضطرابات. فاخبر الرئيس بملاحظاته الخاصة وتخوّفه من حدوث اضطرابات. ونتيجة لذلك طلب الرئيس من أبيل ألير عدم الاستمرار في المعركة, لأن ذلك قد يؤدي إلى فقدانه منصب نائب رئيس الجمهورية- وعند شعوره بعدم وقوف الخرطوم معه وخوفاً من فقدان منصبه, قرر أبيل ألير أخيراً سحب ترشيحه لرئاسة المجلس التنفيذي العالي وتم انتخابي رئيساً للمجلس دون منافسة- وفي النهاية, كانت هناك وظيفة واحدة يتنافس عليها مرشح من مجموعتنا (فيليب أكوت) وآخر من المجموعة الأخرى (أمبروز رنق.) وعند إعلان النتيجة فاز مرشحنا بأغلبية كبيرة وهزم الآخر- وكذلك أنتخب مرشحان آخران في مكتب المجلس دون منافسه, كمحاولة لخلق مناخ تعاون وتوافق بين المجموعتين المتصارعتين, هما كلمنت أمبورو, رئيس المجلس, ومارتن ماجير, نائب الرئيس. والأول كان من مجموعتي والثاني من مجموعة أبيل ألير.

*** اختيار الإدارة الإقليمية:-**

النظام الديمقراطي قد يبدو نظاماً سهلاً وبسيطاً, ولكنه في الواقع العملي معقد. فبعد الانتخابات كان عليّ تعيين وتنظيم إدارتي الجديدة بعناية فائقة تراعي التوازنات المطلوبة للمحافظة على وحدة المجموعة- وأفضل طريقة لتحقيق ذلك, كانت تتمثل في الاختيار من وسط أنصاري في مجلس الشعب الإقليمي. ولذلك طلبت منهم اختيار ستة أعضاء من بينهم لتكوين ما أسموه لاحقاً (لجنة الإدارة والتوجيه.) فاجتمعوا في منزل سايمون موري (أسموه معسكر القيادة) وكنت اتصل بهم من وقت لآخر لمتابعة مقترحاتهم لملء مواقع هيئة المجلس وأعضاء الحكومة

الإقليمية والمحافظين. وسارت مناقشاتهم بشكل جيد ولكنهم اختلفوا في اختيار رئيس المجلس, حيث كان هناك مرشحان: كلمنت أمبورو وصمويل أرو بول- ونتيجة لذلك فوضوني للتوسط بينهما- وفي البداية أصرّ الاثنان على الترشيح وعدم التنازل- وكان الدينكا يشكلون أكبر مجموعة في وسطنا- وكانوا يصرون على تعيين صمويل رئيساً للمجلس- ولكن كلمنت رفض التنازل وكان مصمماً على مواصلة المعركة دون أي تقدير لوحدة المجموعة وتماسكها- والبديل الآخر للذي لا يوفق في الاختيار لهذا الموقع, كان يتمثل في وزارة الإدارة والشرطة والسجون- والاثنان لهما خلفية مناسبة لهذا الموقع. فكلمنت أمبورو إداري سابق وصمويل عمل ضابطاً للشرطة لفترة معقولة- ومع وصول وساطتي لطريق مسدود, فاجأنا صمويل بقوله (إنني أسحب ترشيحي لرئاسة المجلس لزميلي كلمنت..) فارتحت لذلك, وشكرته وهنأت كلمنت. وبذلك انتهت المشكلة بطريقة أخوية. ولكن ظهرت مفاجآت أخرى. فعندما سمع لويجي ادوك, جاء يطلب مقابلتي ليقول لي: (إنني شخص حكيم وأستطيع خدمة الجنوب بشكل أفضل من خلال قيادة مجلس الشعب الإقليمي. وأنا أقدم نفسي كمرشح لهذا الموقع من قبل مجموعتكم, كلمنت يصرّ على تولي هذا الموقع دون أي مؤهلات. فهو لايملك حكمتي وخبرتي..) فقدمت له موقعاً في الوزارة الإقليمية, لكنه رفضه وأصرّ على رئاسة المجلس وقال (سأبقى في المجلس وأقدم خدماتي للجنوب كعضو فقط..) نظرت إليه وسألت نفسي.. لماذا تورطت في العمل السياسي لأتعامل مع هذا النوع من البشر؟ لم أسمع بأن أحدهم قد عرض حكمته هذه للآخرين. واكتشفت مؤخراً أنه كان متفرجاً وله علاقات مع مجموعة أبيل ألير ومع مجموعتي أيضاً طوال فترة مفاوضاتنا. كان يتسلل إلى مكتب يثايا دوت قبل وبعد تكوين لجنة الإدارة والتوجيه. وعندما تأكد من فوز مجموعتي, جاء ليقول أنه مستعد لقبول أي موقع. وهناك أيضاً سايمون مورى, الذي اقدّر واحترم اختيار منزله كمعسكر للقيادة. كان أبيل يتصل به بشكل مستمر, من خلال جاره

يثايا دوت الذي أخبرني بذلك وقال إن سايمون كان يدعوه بعد انتهاء اجتماعات اللجنة ويحمله رســــالة لأبيل ألير.

على أي حال, لم أتجاهل لويجي أدوك, بحكم معرفتي بعلاقاته مع أبيل ألير وإمكانية تحوّله للمعسكر الآخر- لذلك تظاهرت بسعادتي لاستعداده لقبول أي موقع يكلّف به- فقلت له: (مرحباً بك أخي. أعلم أنك وطني غيور. أحد حكمائنا الكبار.. أنا سعيد بقرارك هذا. الحكماء فقط هم الذين يقولون ذلك. لا أشك في وقوفك معنا وأشعر بفخر لوقوفك بجانبي لاستفيد من حكمتك وخبرتك. إن أفضل موقع يناسبك لخدمة الجنوب في هذا الوقت هو أن تكون مستشاري في الحكومة الإقليمية..) ووضعت اسمه لهذا الموقع بجانب أزبوني منديري, الذي لابد من تكريمه لدوره التاريخي في مفاوضات السلام باعتباره قائد وزعيم حركة تحرير جنوب السودان.

كان المناخ العام متوتراً خلال الانتخابات وكانت مدينة جوبا مليئة بالإشاعات والأقاويل. كان الجميع يحاول أن يعرف ما يجري. وبعد انتخابات رئيس المجلس العالي ورئيس مجلس الشعب الإقليمي ونائبه وضباط المجلس, تقرر انتخاب نائب ثاني للرئيس. وانتخب دكتور زكريا بول دينق لهذا الموقع.

*** الإدارة الإقليمية الأولى :-**

المجلس التنفيذي العالي:-

1- الفريق جوزيف لاغو, رئيس المجلس.

2- صمويل أرو بول, نائب الرئيس, وزير الإدارة والشرطة والسجون.

3- د.لورانس وول وول, المالية والتخطيط الاقتصادي.

4- سايمون موري, الإعلام والثقافة.

5- بنجامين بول أكول, الزراعة والإنتاج الحيواني.

6- جوزيف جيمس طمبره, المواصلات والاتصالات.

7- باسيفيكو لوليك لادو, الصحة.

8- جوزيف أدوهو, التنمية الريفية والتعاون.

9- ماثيو أبور أيانق, التربية والتعليم.

10- اكوت أتيم, الخدمة العامة والعمل.

11- بارنابا دومو واني, الإسكان والمرافق العامة.

12- دانيال كوات ماثيوس, الشباب والرياضة.

13- ايزاكيل ماكوى كودى, التجارة والتموين.

14- المقدم صمويل قاي توت, الصيد والبيئة والسياحة.

15- نيريو لوب, شئون الحكومة الإقليمية.

16- لويجي أدوك, مستشار.

17- أزبوني منديري, مستشار.

المجلس الإقليمي :-

1- كلمنت أمبورو, رئيس المجلس.

2- مارتن ماجير, نائب الرئيس.

3- زكريا بول دينق, نائب ثاني.

4- فيليب يونا جامبي, رائد المجلس وعضو المجلس العالي.

5- فيليب اكوت, رقيب المجلس.

ضباط الاتحاد الاشتراكي:-

1- الزعيم صمويل زنزي طمبرة, رئيس الهيئة البرلمانية.

2- لوال دينق, نائب الرئيس.

3- جوزيف كيبولو, نائب الرئيس.

المحافظون :-

1- أجو ديدى سي, محافظ مديرية شرق الاستوائية.

2- فيليب مفى, محافظ غرب الاستوائية.

3- وليم أجال دينق, محافظ بحر الغزال.

4- دول أشويل, محافظ البحيرات.

5- اثوان داك, محافظ أعالي النيل.

6- مخائيل ماريو, محافظ جونقلي.

تلك أسماء الذين عينوا في المؤسسات الرئيسية. أخذت أسماء المجلس التنفيذي للخرطوم لاستكمال إجراءات تعيينهم. فحسب قانون الحكم الذاتي الإقليمي, يقوم مجلس الشعب الإقليمي بانتخاب رئيس المجلس التنفيذي العالي, ثم يقوم رئيس الجمهوريةّ بتعيينه وكل الوزراء الإقليميين. لذلك حملت أسماء الوزراء الإقليميين والمستشارين ورئيس مجلس الشعب الإقليمي للخرطوم لاستكمال الإجراءات الرسمية- وأشير هنا إلى أن كلمنت أمبورو نصحني بطلب إعفاء أبيل ألير من موقعه كنائب لرئيس الجمهورية وتعييني في محلّه. وقال إن هذا الموقع يجب أن يربط برئاسة المجلس التنفيذي العالي. ولكنني لم أوافقه في نصيحتـــه هذه, لأنني لا أريد أن أتحامل إلى هذا الحدّ. وقلت له بأن الربّ يتعاطف على الدوام مع الضعيف, وأنه قد يعاقبنا إذا إستمرينا في مطاردة أبيل ألير في كل صغيرة وكبيرة. وذلك لأننا سنكون وقتها خارج المجري المسموح به- والواقع, كنت أشعر بأن نميري سيبعده من تلقاء نفسه. وإذا أراد الاحتفاظ به, فذلك من حقه. وعندما شعر كلمنت بأنني أعني ما أقول, تراجع عن نصيحته وقال (صحيح, أن أبيل يعقل ذلك, كما تقول. فالرجل أناني. وهدؤه المشهود يخفي شخصية ثعبان حاقد وقاتل. وسوف تعرف ذلك في الفترة القادمة.).

في سفرنا للخرطوم صاحبنا أبيل ألير في الطيارة لحضور احتفال القسم. ورحبت بمبادرته هذه واعتبرتها إشارة للرغبة في التعاون والعمل المشترك- وفي الخرطوم استقبلنا أبوالقاسم محمد إبراهيم, الذي عاد إلى هناك في وقت سابق. وكان ذلك اليوم يوماً هاماً في حياتي, حيث تحركنا مباشرة إلى القصر الجمهوري, وكنت في زيّ عسكري كامل. فهمس الرئيس في أذني بقوله: (بعد هذا الاحتفال يجب أن

تخلع هذا الزيّ.) نظرت إليه وقلت: (حاضر, سعادتك.) شعرت بغضب شديد وقلت في نفسي: (يريدني أن أخلع الزيّ العسكري, بينما يلبسه هو في كل وقت. بأي حق يمنح نفسه ذلك ويحرمني منه؟ هل ولد بهذا الزيّ ؟) ومع ذلك, ظهرت صباح اليوم التالي داخل القصر بملابس مدنية بسيطة حسب رغبته. وبعدها رجعت إلى الجنوب, حيث أعدت لنا استقبالات حاشدة في كل مناطق الإقليم. فقد كنت أول قائد منتخب من جماهير الشعب- وكان على الرئيس أن يعدّ نفسه للعمل معي بعد أن شاهد شعبيتي, رغم أنه لم يكن مرتاحاً في التعامل معي كما كان مع سابقي- ولكن الأحوال سارت على ما يرام طوال العام الأول, باستثناء مشاجرتي معه في المكتب السياسي للاتحاد السياسي. فقد سألت في ذلك الاجتماع عن اختصاصات اللجنة التي كونها لمراجعة قانون الحكم الذاتي الإقليمي, وذلك لأنها كانت كلها من موظفي القصر الجمهوري ولم تضم أي جنوبي- وطالبت بتكوين لجنة مؤهلة تضم قانونيين جنوبيين. وهكذا تغيرَّت الأحوال. فقبل ذلك كانت سلطات الرئيس لا تخضع لمناقشة بهذه الطريقة. ولكن ارتباط الموضوع باتفاقية السلام أجبره على إلغاء قراره وإعادة تكوين اللجنة لتضم أثنين من القانونيين الجنوبيين: نتالي أولواك, وزير الشئون القانونية السابق في وزارة أبيل ألير, وصمويل لوباي, وزير الشئون القانونية في حكومتي الإقليمية- وبذلك شعر نميري بخدش كبريائه واعتداده بنفسه. ومن ثم بدأ يخطط للانتقام مني في أي لحظة مناسبة.

بعد أسابيع قليلة قام الرئيس نميري بتقليص حجم حكومته, ربما بهدف مكايدتي. فقد بدأ يتحدث معي حول حجم الحكومة الإقليمية, مقارنة بالحكومة المركزية. وكان ذلك إشارة لتقليص عدد وزرائها. ونصحني أيضاً بإدخال بعض أنصار أبيل ألير في الإدارة الجنوبية بهدف تحقيق وحدة الإقليم وتماسكه, كما فعل هو مع المعارضة في الشمال- المهم لم أستطع مقاومة طرحه. فوافقت على تقليص حجم المجلس التنفيذي واستيعاب بعض أنصار أبيل ألير في داخله. ولاحظت أن بعضهم كان متهافتاً للانضمام للمجلس- ونتيجة لذلك قمت بإجراء تعديل وزاري,

حيث قلَّصت حجم المجلس إلى العدد المنصوص عليه في قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972. وشمل التعديل استبعاد بعض أنصاري ومن بينهم صمويل أرو, الذي تورَّط في ممارسات فساد لا يمكن التسامح معها- فقد أستولي على 30,000 جنيه من القصر, بتوجيه من النائب الأول للرئيس, لمقابلة احتياجات توطين العائدين من أثيوبيا- وقام أبيل ألير, الذي يعرف صمويل بشكل جيد, بمتابعته بعد استلام المبلغ المذكور من خلال بعض أنصاره. ونجحوا بالفعل في ذلك. فقد قام المذكور بحفظ جزء من المبلغ مع أثوان داك, محافظ أعالي النيل, بينما أودع المتبقي منه في حسابه الخاص في جوبا, بدلاً من تسليمه لمدير وزارته. وبعد تجميع هذه المعلومات قاموا بتبليغ مجموعتهم في مجلس الشعب بتفاصيل ما حدث. وبدعوا في الإعداد لأثاره المشكلة في المجلس. ولم أكن أدري بما جرى عندما سافرت إلى المملكة المتحدة تلبية لدعوة من وزارة تنمية ما وراء البحار البريطانية. وعند عودتي وجدت أن المشكلة قد دخلت طور المناقشات الجدّية في المجلس- وبعض أنصارنا كان يعمل لإبعاد صمويل من المجلس التنفيذي حتى لا تشوّه سمعته. ومن بين هؤلاء كان جوزيف أدوهو الأكثر حماساً, بل هدَّد باستقالته إذا لم يستبعد صمويل- ومن جهة أخري, كان فيكتوريا يار يقود مجموعة أخري تقول بالدفاع عن زميلهم, بغض النظر عن الخطأ الذي ارتكبه. أما كلمنت أمبورو, فقد كان يعمل لإشعال نيران الفتنة أكثر من تهدئتها واحتوائها- كان يفكر في موقع نائب رئيس المجلس التنفيذي, الذي عينت فيه صمويل, ولذلك وقف بجانب المطالبين بإبعاده- وكحلّ وسط, قررت إبعاد صمويل من موقعه التنفيذي وإبقائه في موقعه في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي. وساندني رئيس الجمهورية في هذا القرار. وهكذا سافرت إلى الخرطوم بقائمة التعديل الوزاري, الذي قمت به وحدي, دون مشاركة لجنة الإدارة والتوجيه, وذلك لاستكمال الإجراءات الرسمية هناك. وعند إعلان التشكيل الجديد, فوجئ البعض وهدّد لورانس وول والمقدم قاي توت

بالاستقالة. فقلت لهم (يجب أن تنضبطوا.) وفى وقت لاحق استبعدتهما من المجلس وعينت آخرين من مجموعة أبيل ألير- وكان التشكيل الجديد يضم الآتية أسماؤهم:-

1- الفريق جوزيف لاغو, رئيس المجلس.

2- بيتر جاتكوث, نائب الرئيس ووزير المالية والتخطيط.

3- ناتالى أولواك, الشئون القانونية والإدارة والشرطة والسجون.

4- جوزيف أدوهو, الخدمة العامة والقوي العاملة.

5- جوزيف جيمس طمبرة, الأشغال العامة والاتصالات.

6- ماثيو أيور, التربية والتعليم.

7- جستين ياك, الزراعة والثروة الحيوانية.

8- ثوماس كوم, الصيد والبيئة والسياحة.

9- أمبروز رنق, الإعلام والثقافة.

10-باسيفيكو لوليك لادو, وزارة الصحة.

11-بارنابا دومو وانى, الإسكان والمرافق العامة.

12- سايمون مورى, شئون المجلس التنفيذي العالي.

لقد قمت باختيار الوزراء بعناية واهتمام لتمثيل كل مناطق الجنوب بشكل معقول وخلق توازن يساعد على الانسجام بين أنصارنا ومجموعة أبيل ألير- ولذلك تحرك الذين حرموا من الوزارة إلى مجموعة أبيل ولم تفلح كل محاولات إرضائهم. ومن هنا ظلت المعارضة مستمرة في مجلس الشعب الإقليمي. وهناك موضوعات أخري ساعدت على تدهور الأوضاع بشكل أوسع, وخاصة العلاقة بين الرئيس نميري ونائبه الأول, أبوالقاسم محمد إبراهيم- إذ لم أكن واعياً بأن الرئيس قد أصبح متشككاً في نائبه وأنه ظل يراقب تحركاته باهتمام شديد- وبعد الانتخابات قام أبوالقاسم بزيارة الجنوب مرتين وصاحبته في كافة تحركاته في المناطق المختلفة. وفى هذه الجولات قدم لنا مساعدات كبيرة, بما في ذلك تمويل بناء كنيسة بالقرب من مدرستي القديمة, كانت قد دمرت أثناء الحرب الأهلية. واعتقد الرئيس

أن النائب الأول يحاول كسب تأييدي للعمل ضده وتقويضه (الرئيس.) وكان لذلك تأثيره في نظرته وتعامله معنا معاً في الفترة اللاحقة. ويبدو أنه أخذ ما أعلنته في ميدان الحرية بمدينة جوبا, وبحضور النائب الأول, كدليل على شكوكه حولنا- فقد قلت في ذلك اللقاء (إن حقول النفط في السودان تتركز بشكل رئيسي في منطقة بانتيو في الجنوب.) هذه الكلمات العامة حركت شكوكه وجعلته يعتقد أننا نتآمر عليه. والواقع أنه لم تكن هناك معلومات حول حقول النفط في تلك الفترة. والمتوفر منها كان مجرد تخمينات حول احتمالات وجود حقول في وسط السودان والمناطق المجاورة- ومن خلال اتصالاتي كنت أسمع شائعات عصابة القصر واتباع الرئيس حول أبوالقاسم محمد إبراهيم, الأمين العام للاتحاد الاشتراكي, وتحركاته التي تستهدف توسيع تحالفاته من أجل الاستيلاء على السلطة كاملة. وأصبحت ملماً بخيوط خلافات عميقة بين الرئيس ونائبه الأول, عندما سألني نميري لماذا قدمت تقريراً لأبوالقاسم حول رحلتي الأخيرة للخارج؟ فاستغربت لسؤاله بقولي (لقد فعلت ذلك لأن أبوالقاسم هو النائب الأول وكان وقتها رئيساً للجمهورية بالوكالة, بحكم سفركم لدولة موريشوس لحضور اجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية.) ولكنه أجابني بقوله (لا يوجد وسيط بيني وبينك. رئيس المجلس التنفيذي العالي مسئول مباشرة أمام رئيس الجمهورية.) وبعد فترة قصيرة أبعد أبوالقاسم من كل مسئولياته وحلّ محلّه الجنرال عبد الماجد حامد خليل, وزير الدفاع وقتها- وأدى تصعيد عبد الماجد بهذه السرعة إلى التأثير سلبياً في معنويات أبيل ألير وتزايد مخاوفه على مستقبله. وبدأ الناس يتساءلون بشكل مفتوح: (إذا كان أبيل ألير مخلصاً ومطيعاً, فلماذا تجاوزه الرئيس للمرة الثالثة؟..).

وفى الجنوب استمرت المشاكل وظلت تتزايد عاماً بعد الآخر- فقد اتهم صمويل أرو مرة أخرى في مؤامرة مع الصادق المهدي تستهدف قلب نظام الحكم في البلاد- واستند الاتهام على رسالة منه للمهدي تتحدث عن برنامج لإسقاط الحكومة المركزية في الخرطوم والحكومة الإقليمية في جوبا- وتقول الجهات

الأمنية أنها تحصلت على الرسالة كاملة- ولم أستطع حلّ هذه المشكلة, رغم محاولاتي العديدة. ولذلك أدت إلى سجنه الذي أستقبله كلمنت أمبورو بفرح وابتهاج- ومن جانبه, كان كلمنت يتعجل صعوده لقيادة الجنوب. فقد كان يعمل على خلق المشاكل, الواحدة تلو الأخرى, حتى أصبح مجلس الشعب الإقليمي مركزاً للمشاكل والصراعات. ومع تزايد المشاكل لم أستطع الاستمرار في التعامل معه. وفى إحدى زياراته للجنوب, قام نميري بمحاولة إصلاح علاقتي معه, ولكنه لم ينجح- وفى النهاية توصلت إلى ضرورة إبعاده من رئاسة مجلس الشعب, وبدأت في التفكير في كيفية ذلك. فاستخدمت موقعي كمساعد للأمين العام للاتحاد الاشتراكي ودعوت الهيئة البرلمانية للاتحاد لاجتماع ترأسته. وتوصل الاجتماع إلى إبعاده من منصبه ووافق عليه رئيس الاتحاد الاشتراكي. ومن ثم اجتمع مجلس الشعب الإقليمي برئاستي, حيث قمت بترشيح أسايا كولانق مابور, كمرشح وحيد لمنصب رئيس المجلس (اتبعت هنا طريقة نميري في فرض قراراته على الهيئات والمؤسسات.) المهم وافق المجلس على المرشح كما وافق رئيس الجمهورية وعيَّنه عضواً في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي بحكم منصبه- وباستثناء صمويل أرو ولورانس وول, اتجه كل الذين أبعدوا في تعديل إدارة المجلس إلى الارتباط بمجموعة كلمنت كمعارضة جديدة. وكان لذلك تأثيره في انتعاش مجموعة أبيل ألير وتحركها- وأكثر من ذلك, وجد كلمنت أمبورو تعاطفاً في الشمال, من خلال إشارتي إلي دوره في مؤتمر جوبا 1947 في إحدى اللقاءات العامة في الخرطوم- وذلك عندما قلت أنه غيّر موقفه مقابل رشوة مالية, بعد اجتماعه مع محمد صالح الشنقيطي. ومن جهة أخرى, أصبح أبيل ألير وبونا ملوال مستشارين للقادمين للخرطوم من الجنوب لرفع شكاوي ضدي. ويبدو أن مفارقات السياسة تحوّل عدو الأمس إلي صديق اليوم. فقد وقف بونا ملوال بجانبي ضد أبيل ألير, ولكنه تحوّل بعد الانتخابات وأصبح يعارض كل تحركاتي وسياساتي. فقد وقف ضد خلق موقع نائب رئيس مجلس الشعب وإسناد الموقع لصمويل أرو. ووصف الأخير بأنه

سياسي فاسد- ووقف أيضاً ضد تعيين دكتور لورانس وول واتهمه بالعجرفة والغطرسة وبأن هذه الصفات الذميمة هي التي أدت إلى إبعاده من الوزارة المركزية- المهم, بإبعاد هذين الشخصيين, كان المتوقع أن يصبح بونا ملوال أقرب إلى مصالحتي. ولكن ذلك لم يحدث, بل ارتبط بزمرتهما المعارضة, ولم استطع تفهم موقفه. فقد رفض تعيينه في أي موقع في المجلس التنفيذي. ولا أدري هل كان يتوقع أن أضغط عليه لقبول أحد تلك المواقع أم ماذا ؟ ولكن رفضه كان مفهوماً بالنسبة لي. فقد كان وقتها وزيراً مركزياً للإعلام والثقافة, ولم يكن من الممكن ترك ذلك الموقع وقبول موقع أدني في الحكومة الإقليمية. وفى وقت لاحق علمت أنه كان يفكر في رئاسة المجلس التنفيذي العالي وكان مستعداً لترك موقعه في المركز من أجل ذلك- وهناك آخرون كانوا يفكرون في نفس الموقع, مثل كلمنت أمبورو وصمويل آرو- وكانت استراتيجيتهم تقوم على استخدامي في مواجهة أبيل ألير ومن ثم إبعادي في وقت لاحق- هكذا كانوا يفكرون كما بلغني من مصادر موثوقة.

* وحدة الدينكا: ظاهرة جديدة في السياسة الجنوبية:-

لقد أصبح بونا ملوال, بشكل واضح, المهندس الأول للتوجهات القبلية, غير المسبوقة, في السياسة الجنوبية, والتي أدت إلى ترسيخ الانقسامات والصراعات القبلية وبالتالي نمو وتطور المجموعات القبلية والإثنية. ويأتي بعده بالطبع أبيل ألير, المستفيد المباشر من هذه الإنقسامات والتوجهات. وكان ملوال يعرض نفسه كمدافع رئيسي ومتحدث رسمي باسم الدينكا- وهذا الادعاء يرتبط بطموحه للسلطة أكثر من الرغبة في حماية وتطوير مصالح المجموعة الاثنية الدينكاوية. أنه يحاول استجداء أبناء قبيلته بالتركيز على مخاوف موهومة غير مؤسسة, معتمداً على حجمها كوسيلة للصعود للسلطة. فقد أرسل لي خطاباً يتهمني فيه بأنني أبعد أبناء الدينكا من حكومتي واستبدلهم بأبناء القبائل الأخرى- ولكن قوائم تعييناتي في الحكومة الإقليمية, تؤكد أن التعديل الوزاري لم يستهدف أي مجموعة إثنية, بل كان متوازناً كالتشكيل الوزاري السابق وكان يمثل التنوع الإثني في الجنوب لحدود

كبيرة- والمفارقة أن بونا ملوال قام بتوزيع خطابه بشكل واسع وأوصله حتى رئيس الجمهورية. ولكنه, لأسباب يعرفها, لم يرسله إلى المخاطب, رئيس المجلس التنفيذي (شخصي.) وفى وقت لاحق تحصلت على نســخة عن طريق علي تميم فرتاك, محافظ بحر الغزال, بعد أن سمعت بتوزيعه على نطاق واسع- ورسالته لرئيس الجمهورية التي أرفق معها الخطاب والخطاب نفسه الموجه لي ننشره في ملاحق هذه المذكرات.

لقد كتب بونا ملوال هذا الخطاب بعد إبعاده من وزارة الإعلام والثقافة المركزية, بطلب منه للتفرغ للدراسة في جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة. ففي إجراء غير مسبوق, منحه الرئيس إجازة بكامل امتيازاته كعضو في المكتب السياسي. وفي افتتاح خطابه للرئيس يقول: (أطلب مناقشة المذكرة المرفقة مع هذا الخطاب معكم.) وهذا النص يشير إلى علاقة خاصة مع نميري تسمح له بما لا يتوفر لآخرين في مناصب أرفع من منصبه. وهنا نذكر بأن عضو المكتب السياسي يعتبر أعلى من الوزير المركزي في تلك الفترة ويتمتع بامتيازات أكثر.

لم أقابل بونا ملوال في أثناء فترة الدراسة. ولذلك بدأت أجمع معلومات عن خليفته. فتساءلت: (من هو؟ إنني أعرف أبيل ألير منذ أيام المدرسة الوسطي والثانوية في رمبيك. وأعرف أن أندرو ويو أيضاً درس في رمبيك قبل أن أدخلها. ففي أي مدارس درس بونا ملوال؟) وبالطبع من السهل جمع معلومات حوله في مجتمعنا المحدود في الجنوب. فعرفت الكثير حول تعليمه وخلفيته. وبدأت ألاحظ وأتابع تحركاته ونشاطاته وتوصلت إلى أنه لابد أن يكون هناك سبب لتقلباته واضطراباته- فقبل فترة كان يقف مع أبيل ألير وبعدها وقف معي ضد أبيل واليوم يقف مع أبيل ألير وأندرو ويو ضدي. ياله من شخص متقلّب ومضطرب. وإذا تركنا ذلك جانباً, فقد كانت تحركاته الأخيرة مفجعة. فقد شهد هؤلاء الثلاثة طقوساً قبلية قام أندرو ويو بتنظيمها في منزل ألدو أجو, وذلك بهدف إسقاطي. ومع أن المضيف كان متردداً في مشاركتهم, لكنه سمح بإجراء الطقوس في منزله. وتابعت

ما ظلّ يقال حول هذه المسألة في الأوساط المختلفة. ولم يكن من الممكن الجلوس مع أناس لطخوا أياديهم بالمشاركة في مناورة أدت إلى وضعية جديدة في السياسية الجنوبية تقوم على القبلية والصراع القبلي- ولذلك نبهت الناس بأن المجموعات القبلية الأخرى لن تتفرج على محاولات الدينكا للسيطرة وإبعاد الآخرين من المواقع الرئيسية- وكان ما حدث كافياً لتنبيه هذه المجموعات منذ وقت مبكر- وأصبح واضحاً أن حرمان هؤلاء الثلاثة من المواقع القيادية, سيقود إلى إصرارهم على سيطرة الدينكا على الجنوب, تماماً كما يسيطر العرب الشماليون على السودان بأكملة منذ مطلع الاستقلال, وبالتالي إبعاد أبناء القبائل الأخرى من تولي أي منصب رئيسي. ومع كل ذلك, كانت حكومتي لا تزال تتمتع بشعبية واسعة في الجنوب, وظلت الصحافة وأجهزة الإعلام الغربية تنشر وتذيع المناظرات الجارية وقتها في مجلس الشعب الإقليمي. وهكذا بدأ الجنوب يعتبر نموذجاً ديمقراطياً في بلد يحكمها حزب واحد. وتلك مفارقة لمصلحتنا.

من جهة أخرى أدت أخبار دعوتي الثانية لزيارة النرويج وهولندا إلى إرباك المعارضة واضطرابها وبالتالي إلى مضاعفة جهودها لإسقاطي بكل الطرق الممكنة. ولكن ذلك لم يكن سهلاً, وذلك لأن قانون الحكم الذاتي يشترط أغلبية ثلاثة أرباع مجلس الشعب الإقليمي وموافقة مجلس الشعب القومي بأغلبية ثلثي أعضائه. ولذلك اجبروا على التفكير بطريقه أخرى غير الطريقة العادية, ولم يهمهم في ذلك المحافظة علي اتفاقية أديس أبابا التي منحتهم الحكم الذاتي الإقليمي وحرية النشاط والحركة. كانوا مهتمين فقط بإسقاطي قبل أن أصبح رقما صعباً في الإقليم بأكمله- فقد حاول القانونيون المرتبطون بهم تقديم تعديل ملائم لقانون الحكم الذاتي لسنة 1972, يمنح رئيس الجمهورية الحق في تعديل القانون بالشكل الذي يراه- وذلك بهدف تقوية موقفهم وتسهيل عملية إبعادي بطريقة دستورية. وأيضاً بدأ المعارضون الأساسيون, خاصة أبيل ألير وبونا ملوال, في التوجه لاغتيال الشخصية, حيث وجهوا أنصارهم بمتابعة تحركاتي في الخارج وخلق إشاعات تشوّه

سمعتي وصورتي أمام الناس- فأخذوا زيارتي للكويت وربطوها بزيارة زوجتي الخاصة لدولة الإمارات المتحدة وأشاعوا أنني استلمت 2 مليون جنية إسترليني من الكويت كمساعدة للجنوب. ولكن الإشاعة انهارت, عندما علموا أن تلك الزيارة حدثت قبل دخولي معترك العمل السياسي. ولذلك لجأوا إلى إشاعة أخرى تقول أن المبلغ استلم خلال زيارة للإمارات العربية. وظنوا أنني كنت مع زوجتي خلال زيارتها الخاصة هناك وادّعوا أنني حفظت المبلغ في بنك باركليز في نيروبي أثناء زيارة لكينيا. ولكن حتى هذه الإشاعة لم تصدق, لأن زيارتي لكينيا, كرئيس للمجلس التنفيذي العالي, كانت ضمن وفد برئاسة النائب الأول, أبوالقاسم محمد إبراهيم, وذلك لتمثيل السودان في تشييع جنازة المرحوم كنياتا- ووقتها كانت الحركة التجارية في نيروبي معطّلة, تقديراً لمناسبة التشييع- وفي سبيل تشويه صورتي, قامت هذه المجموعة بإرسال هذه الرواية المطبوخة إلى مجلة الحوادث اللندنية لنشرها- ووصلت نسخ من المجلة للخرطوم عندما كنت في طريقي لزيارة النرويج وهولندا- وفي تلك اللحظات قدم مارتن ماجيير, أحد أعضاء الوفد, استقالته وانسحب من الوفد المرافق, كخطوة مدبرة لعرقلة الزيارة. فهو من أنصار أبيل المعروفين, الذين عينتهم في المجلس كعربون لوحدة الصف الجنوبي ولإبعاد شبهة الحزبية الضيقة عن إدارتي- فاندهشت لهذه الخطوة الغريبة- وفي البداية لم أعرف ماذا أفعل. فحاولت كل الطرق الممكنة لإقناعه بسحب الاستقالة حتى نهاية الزيارة. وكنت أهدف إلى عدم تركه خلفي, خوفاً من استفادته من غيابي في نشر إشاعته. ولم يكن هناك بديل سوى كبت غضبي وانفعالي والاتصال بعرّابه, أبيل ألير, لمساعدتي في ذلك. فتحركت من دار الاتحاد الاشتراكي, حيث فاجأني مارتن باستقالته, إلى منزل أبيل, لأطلب تدخله لإقناع المذكور بسحب استقالته, على الأقل حتى نهاية الزيارة, التي نقوم بها من أجل مصلحة الجنوب ومصلحتنا جميعاً- فقبل التوسط. وبالفعل أقنع مارتن بسحب الاستقالة حتى نهاية الزيارة. وكذلك وافق

مارتن على مواصلة الرحلة وتقديم استقالته بعد نهايتها- فسعدت لذلك وتحركت إلى أوربا, مع زملائي بكامل عددهم.

وبعد عودتنا تواصلت الإشاعات وقدم مارتن استقالته. ونتيجة لذلك قمت بترشيح آخر في مكانه وأوصلت اسمه إلى الرئيس لتعيينه رسمياً. ولكن نميري طلب مني تأجيل ذلك ليعلن مع تعيين آخرين في وقت لاحق. ومرت أيام وأيام دون إعلان تعيينات وزارية جديدة, بينما ظلت الادعاءات تنشر دون أن يعلن أحد مسئولية نشرها في مجلة الحوادث. فبادرت وتحدّيت الذين يقفون خلف تلك الادعاءات للظهور في العلن- وأعلنت استعدادي للوقوف معهم أمام المحكمة والتزمت بتقديم استقالتي حتى أحاكم دون حماية من أحد- وبعدها طلبت من رئيس الجمهورية تكوين لجنة تحقيق للسفر إلى عواصم البلدان التي ادّعوا أنني استلمت منها المبلغ, والي نيروبي التي زعموا أنني أودعت ذلك المبلغ في أحد بنوكها, وتقصي الحقائق من مصادرها- ولم أستطع تمالك أعصابي في ذلك الوقت. فسألت الرئيس: (هل حدث أن أعطاك العـرب مثـل هذا المبلغ من قبل يا سيادة الرئيس, وأنت ابن عمهم؟ وإذا لم يحدث, فمن أكون أنا حتى يعطوني مبلغاً ضخماً بهذه السهولة ؟ وكيف خرجت به إلي كينيا وأودعته هناك دون أن يكتشف جهاز الأمن ذلك ؟) فتظاهر الرئيس بالهدوء وقال (لا تنزعج, هذه مسألة بسيطة. مجلة الحوادث دائماً تكتب مثل هذا الكلام الفارغ. فقد هاجمتني قبل ذلك عدة مرات.) وبعدها تحركت إلي جوبا دون اقتناع برد الرئيس المختصر والغامض حول مطالبتي بلجنة تحقيق حول الادعاءات المذكورة.

شعرت بإساءة بالغة واهانه كبيرة لسمعتي وكرامتي. وساعتها تذكرت ماقالته زوجة والدي في منتصف أربعينات القرن الماضي في وصف شخصيتي وسلوكي:- (إذا قالوا أنه ضرب أحد أطفالهم فقد أصدق, ولكن إذا قالوا أنه سرق أشياءهم فلن أصدق, السرقة ليست من أخلاقه.) كنت غاضباً من هؤلاء الجبناء الذين لفقوا تلك القصة واختفوا في الظلام- وبدأت أفكر في الرئيس وأبيل ألير وبونا

ملوال كشركاء في هذه الجريمة القذرة.. بدأت في البحث عن هؤلاء الجبناء: (قد يكون لورانس وول, الذي سافر إلى نيروبي وأديس أبابا بعد التعديل الوزاري, هو الذي يقف خلف تلك المزاعم. ولكن, إذا لم يكن هو, فمن يكون هذا الصعلوك ؟) هكذا تساءلت.

لقد تذكرت حادثة في لوكا **Loka** حذرتني من إتهام أبرياء في عمل قام به أحد الأشخــاص, عرفتــه بعــد مرور عامين في مدرسة رمبيك الثانوية. وحتى لا أكرر ذلك الخطأ حصرت دائرة شكوكي وبدأت أفكر في تهدئة نفسي بمخاطبة مجلس الشعب الإقليمي بعد عودتي من الخرطوم- ولكن السكرتير العام للمجلس التنفيذي العالي أقنعني بأن ذلك ليس ضرورياً- وهكذا قامت المعارضة بدفع أحد عناصرها في المجلس, هو زكريا دوم (من منطقة أويل) لتقديم طلب بوضع المعلومات التي نشرتها الحوادث أمام المجلس لمناقشتها والتداول حولها- ولكن المجلس رفض الطلب. وكان من المفترض أن يكون ذلك إشارة إلى نهاية الموضوع, حسب الإجراءات الدستورية. ومع ذلك, استمرت المشكلة. وفى نهاية المناقشات, قام نميري, في حركة غير مسبوقة, باستدعاء أسايا كولانق, رئيس المجلس, وشخصي للخرطوم. ووضح أن هذا الاستدعاء كان كميناً مدروساً. إذ بمجرد وصولنا للخرطوم أعلن الرئيس حلّ مجلس الشعب الإقليمي والمجلس التنفيذي العالي معاً, كأنه كان ينتظر نتائج مناقشات مجلس الشعب. وعلمنا بذلك من خالد الخير, وزير شئون الرئاسة, عند وصولنا للقصر وطلب مني تقديم نفسي للنائب الأول في وزارة الدفاع ومقابلة الرئيس في السابعة مساء بالاتحاد الاشتراكي.

ذهبت إلى وزارة الدفاع. وهناك وجدت الجنرال عبد الماجد حامد خليل. ومنذ البداية شعرت بأن تعامله معي يختلف عن المرات السابقة. فعند دخولي لمكتبة ظلّ في مقعده, ولم يشغل نفسه بإجراءات المجاملة العادية, حيث قال (أنت تعرف ما حدث. لقد قام الرئيس بحلّ المجلسين بسبب مشاجراتكم في الجنوب. سيقابلك

الرئيس في السابعة مساء بالاتحاد الاشتراكي وسيطلب منك تقديم استقالتك. وإذا تسببت في خلق مشاكل مرة أخرى ستقابل بعنف.) نظرت إليه ملياً ثم قلت: (لقد أخبرتني بسبب استدعائي للخرطوم وأنا أعرف ما سيفعله الرئيس معي. أشكرك. هل هناك أي شيء آخر ؟) فأجاب بالنفي وشكرته وودعته وخرجت.

في الاتحاد الاشتراكي حضر لقائي مع الرئيس كل من عبد الماجد خليل وأبيل ألير- وكان اللقاء محروساً باستعدادات أمنية كبيرة, كأنني أملك جيشاً في العاصمة. وهذا يؤكد جبن الدكتاتوريين وخوفهم من الآخرين- وكما أخـــبرني عبد الماجد, طلب مني الرئيس تقديم استقالتي من رئاسة المجلس التنفيذي وفتح الطريق أمام أبيل ألير للذهاب إلى جوبا وتحمل مسئولية الإدارة هناك. وقال إنه قام بحلّ المجلسين لتغطية مغادرتي وتحاشي حدوث أزمة في الجنوب- فاندهشت لتحركه هذا, لأنه لا علاقة له بما يجري في الإقليم الجنوبي, حيث نوقشت الموضوعات في مناخ ديمقراطي حرّ وانتهت إلى نتائجها المعروفة- فسألته مباشرة (ولماذا يحلّ محلي أبيل ألير دون غيره ؟ أليس هناك أشخاص آخرون في الجنوب ؟) ساعتها نظر (أولاد العرب) إلى بعضهم بينما كان أبيل ألير ينظر تحت رجليه. وفى هذه الخطوة, استخدم الرئيس قانون مجلس الشعب الإقليمي والمجلس التنفيذي العالي (كان لا يزال في شكل مسودة لم تناقش بعد.) وكان واضحاً أنه يتجه بإصرار لإلغاء اتفاقية أديس أبابا, وشاركه في ذلك أبيل ألير. كنت في تلك اللحظات في حالة قصوى من الغضب, ولو كنت أملك إمكانيات شمشون الجبّار, لقمت بهدم ذلك المبني على رؤوسنا جيمعاً- وفى غياب مثل هذه الإمكانيات, تصرفت كمقاتل حرب عصابات, لا يدخل في مواجهة حاسمة, بل يوفر نفسه ليقاتل يوماً أخر- ففي مثل تلك الظروف, لم تكن المواجهة ممكنة, وذلك لأن الشخص الذي وقعت معه الاتفاقية كان يتجه لإلغائها, ويسانده في ذلك قانوني وسياسي جنوبي بارز- فقلت لنفسي: (أترك قراراته تمشي. في يوم أخر يمكنني محاربة هؤلاء الأغبياء واحداً بعد الآخر.) كنت في ذلك اللقاء أجلس وحيداً في مواجهة هؤلاء الثلاثة, الرئيس

ونائبيه. وبحكم مواقعهم, يمكنهم تلفيق ما يشاعون من القصص والحكاوي. ولذلك وافقت على تقديم استقالتي, واشترطت استمرار المجلس التنفيذي العالي حتى الانتخابات العامة في الجنوب. وقلت:- (إذا أنتخب الجنوبيون أبيل ألير, فذلك خيارهم.) ووافق الرئيس وقدمت استقالتي إرضاءاً له. وبذلك كسب جولة وقام بتعيين بيتر جاتكوث, نائب رئيس المجلس التنفيذي, رئيساً للمجلس بالإنابة وتأجيل الانتخابات في الجنوب لمدة ستة شهور- ولذلك شعرت بأنني قد تصرفت بحكمة وعقل- ولكن جوزيف أدوهو لم يعجبه ذلك وكان يري ضرورة مقاومة تلك الإجراءات. فتذكرت صمته في أول اجتماعاتنا مع الرئيس بعد الاتفاقية, عندما أعلن تعيين أبيل ألير رئيساً للمجلس الانتقالي العالي. ومع كل ذلك, كنت مقتنعاً بما فعلت. تقبلت الوضع كما هو في انتظار لحظة مناسبة لتوجيه ضربات مؤلمة لكل واحد منهم.

في هذا الأثناء بدأت أعيد التفكير في خطواتي. وتوصلت إلى عدم المبادرة بالعدوان وردّ العنف بعنف أكثر- وقلت لنفسي: (يجب أن لا أترك مجالاً لسوء فهمي من قبل هؤلاء .. أضرب بعنف بهدف الثأر وتخفيف حالة الغضب الناتجة من هجومهم على شخصي. أضرب في الوقت المناسب, ولا أتخلي عن حقوقي لأي شخص يحاول التطاول عليها وامنعه من الهروب بها- وفى النهاية سوف استعيد حقوقي..) كنت أعزي نفسي بهذه الأفكار والخواطر في كل وقت أري فيه خصومي.

قرارات نميري لم تبعدني كلية إلى خارج السلطة, ولكنها حولتني إلى مجرد عضو في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي. وتلك كانت طريقته في المحافظة على الذين لا يريدهم في المناصب الرئيسية. فهو لا يبعدهم كلية, بل يضعهم في مناصب عاطلة. ولذلك عدت مرة أخرى لأسكن في الخرطوم حاملاً معي مرارات وآلاماً كثيرة- فقد كنت أرغب في البقاء في الجنوب للمساهمة في تنميته وتطوير حياتي في جوبا وفى موطني, نمولي- المهم, كظمت غيظي ومراراتي تجاه نميري

وأبيل ألير وبدأت قراءة مقاطع من **Psalms 35** مع بعض أشعاري في مرارة وألم. حاولت أن أعاملهم بثقة وأن أعتبرهم أخواناً وزملاء. ولكنهم بادلوني بالتآمر لإسقاطي واغتيال شخصيتي- وتلك المقاطع كانت تناسب حالتي. لذلك كنت أعيد قراءتها باستمرار فينكشف لي نميري كمحتال وكذّاب- وكذلك شريكه أبيل ألير, الذي سرق حقوق الغير واستغلها لمصلحته- بدأت أكرههم, ولكني كنت أراجع نفسي عندما أتذكر الاسم الذي أخذته عند تعميدي, جوزيف, وعندما أستعيد علاقته مع أخوانه, خاصة المواجهة الأخيرة **.Genesis 50,Verses 18-21**

بعد ستة شهور, في أثناء المعركة الانتخابية, وفى مبني الاتحاد الاشتراكي في جوبا, توفرت فرصة نادرة لضرب أبيل ألير- فقد كان يرأس اجتماعاً, كمشرف على لجنة الانتخابات في الجنوب, وكان وقتها مرشحاً لرئاسة المجلس التنفيذي العالي. فقلت في ذلك الاجتماع:- (في أي مكان في الأرض يمكن لكابتن الفريق أن يكون أيضاً حكم المباراة ؟ هل فريق هذا الكابتن سيخسر المباراة ؟) ثم هاجمته شخصياً وبشكل مباشر, فقلت: (أنت تذهب دائماً للشمال لتحصل على تأييد ودعم من هناك ضد آخرين في الجنوب. فهل الشخص الذي تجري إليه هناك هو أبن أمك؟ تجري إليه في الخرطوم لتتهمني باتهامات باطلة. وإذا كانت مشكلتك هي كيف تبعدني من موقعي, فهل قرر مجلس الشعب الإقليمي إبعادي ورفضت قراره ؟ لماذا تذهب للخرطوم من أجل ذلك ؟ بسلوكك هذا منحت ذلك الشخص صلاحيات وسلطات ليست من حقه.. أنت بلو اتفاقية أديس أبابا.. اتفاقية ماقويا تاني..) والسطر الأخير بعربي جوبا يعني (لقد أضعفت اتفاقية أديس أبابا. فلم تعد بنفس القوة التي كانت بها في بدايتها. وإذا قام شخص بإلغائها غداً يجب أن لا تصرخ وتبكي عليها, يجب أن تقف وتلوم نفسك.) لم يقاطعني أحد من الحضور. فشعرت براحة كبيرة لأن أقول بوضوح في ذلك الاجتماع, ثم وسط الجمهور, بأن اتفاقية أديس أبابا لا تجد الاحترام والتقدير اللازم- هكذا جعلت الناس يفهمون بأن أبيل ألير ومجموعته ورئيسهم في الخرطوم, قد قاموا بتمزيق اتفاقية السلام

وتعطيلها. وبذلك سجلت نقطة هامة في وجههم. وكنت أعلم أن محمد عبد العزيز, جاسوس نميري, موجود وسطنا لتسجيل ما قلت. ولكني لم أهتم لوجوده. وبعد نهاية حديثي, قام أبيل ألير وحاول الردّ على ما قلت, لكنه لم يستطع- كان منفعلاً, يرغي ويزبد. إذ أنه لم يواجه من قبل بهذه الطريقة. وفى هذا الأثناء ظلّ هلرى لوقالى صامتاً. أما بونا ملوال, فقد أخذ على عاتقه مسئولية الدفاع عن أبيل ألير, الذي كان ينتقده ويهاجمه في فترة سابقة- وساعده في ذلك صادق فرج الله, السياسي المصلحي, الذي ادّعي أن الرئيس يقف مع أبيل ألير وليس معي. دفعه طمعه في الاستوزار عن طريق أبيل ليقول ما قال- ولم أهتم بوقوفه ضدي, رغم أنني أنقذت حياته في فترة سابقة وعينته في الاتحاد الاشتراكي في الجنوب, أعلى وظيفة يتولاها في حياته. ولاحظت أن هذا الانتهازي كان ينظر إلى محمد عبد العزيز, وذلك حتى يتأكد من سماعه لحديثه. وتحدث أيضاً السياسي المحترم عبد الرحمن سول واستنكر دعوة الشماليين للتدخل في شئوننا الداخلية.

قام عبد العزيز بمهمته كما توقعت, حيث سجل وقائع الاجتماع كاملة وأرسلها إلى الخرطوم- وفى وقت لاحق, أشار الرئيس في أحد اللقاءات إلى بعض موضوعات ومناقشات ذلك الاجتماع- ومع أنه لم يذكر اسمي, فقد كانت انتقاداته وملاحظاته موجهة بشكل رئيسي نحو مجموعتنا. ونتيجة لذلك بدأت أشعر بمتابعة ومراقبة تحركاتي اليومية. ورغم كل ذلك, واصلت دعمي ومساندتي لمجموعتنا حتى نهاية الانتخابات- وكنت لا أريد أن يتم انتخاب أبيل ألير بدون تصويت ودون معارضة حقيقية. ولذلك دفعت صمويل أرو لترشيح نفسه, وكانت له أسبابه للوقوف ضد أبيل. وذلك رغم إدراكي لعدم قدرته على الفوز. أما بيتر جاتكوث, فقد عاد إلى معسكر أبيل. وهكذا, فاز أبيل ألير, نتيجة للظروف السائدة وقتها, وعاد إلى جوبا كنائب لرئيس الجمهورية ورئيس للمجلس التنفيذي العالي. ووصف المعلق أروب مادوت عودته هذه بـــ (عودة المنتصر إلى جوبا..).

الباب الخامس
نهاية نظام مايو

الفصل الرابع عشر

عصر التجمعات الاثنية

لقد بدأ عصر جديد في السياسة الجنوبية, هو عصر التجمعات القبلية والإثنية وتدهور الهوية والقومية الإقليمية الجنوبية **Regienal Nationalism** ومن الجنوب بدأت هذه الظاهرة تنتشر في بقية أجزاء السودان الأخرى. وفي إطار ذلك, كما شرحت في الفصل السابق, كان معظم الاستوائيين والقبائل الجنوبية الصغيرة يرون مستقبلهم في موقفي المعادي لإدخال القبلية في السياسية الجنوبية. وكان يشاركني في هذا الموقف العديد من العناصر اللبرالية الدينكاوية وأعضاء حزب سانو السابق في الداخل بقيادة صمويل أرو بول. وفي الجانب الآخر توحدت مجموعات جبهة الجنوب السابقة, المرتبطة مع أبيل ألير وكلمنت أمبورو, بينما بقيت المجموعات المصلحية, المستفيدة من علاقاتها مع الشمال, بقيت في حكومة أبيل ألير– وفي الشمال أيضاً تغيرت الأوضاع. فقد انضمت بعض قوى المعارضة الشمالية للنظام الحاكم وارتبطت بالاتحاد الاشتراكي. وأدى ذلك إلى تهميش الحلقة الأساسية في مجموعة ثورة 25 مايو, بإبعاد رمزها القوى الرائد أبوالقاسم محمد إبراهيم. وبذلك بدأت ملامح عهد جديد في النمو والتبلور– ولم تكن هذه التغييرات في مصلحة نميري وصديقه الوفي أبيل ألير– فقد تناسينا خلافاتنا مع صمويل أرو ولورانس وول وقمنا بإعادة تنظيم أنفسنا كتنظيم سياسي موحد معارض لمجموعة أبيل ألير وكلمنت أمبورو وهلري لوقالي.

وفي هذا الإطار, بدأت انتظر فرصة ظهور خلافات بين نميري وأبيل ألير لتوسيعها وتعميقها– ولذلك واصلت عملي كعضو في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي– ولاحظت أن أبوالقاسم محمد إبراهيم كان نشطاً في عمله وعلاقاته– وبدا لي أن تلك ثغرة يجب على خصوم نميري متابعتها واستغلالها– ومن جانب آخر, أرتبط بونا ملوال مع أبيل ألير في الجنوب كوزير للصناعة والتعدين. وكان

الرئيس نميري سخياً مع صديقه, حيث سمح له بتوسيع المجلس التنفيذي بعدد اكبر من العدد الذي حدّده قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972- واصبح بونا ملوال يعرض نفسه كمحرك للحكومة الإقليمية بعد أن ربط مصيره مع أبيل ألير- فقد وصفهما الصحفي أروب مادوت في مجلة **Sudan Now** بقوله: (بونا ملوال وأبيل ألير يكملان بعضهما ويعملان من أجل حكم الجنوب بطريقة رشيدة ومستقرة. فهما يعملان كسيارة, يمثل بونا ملوال محركها بينما يقوم أبيل ألير بدور الضبط والتوازن. عمل كل منهما يكمل عمل الآخر ولا يمكن الاستغناء عنه.) وهذا الوصف يضع ملوال كعنصر أساسي وهام في الحكومة الإقليمية- فهو المحرك, القوة الدافعة, التي تحرك السيارة- أما أبيل ألير فهو مجرد أداة ضبط وموازنة. وأعتقد أنه استقبل هذا الوصف بغضب وسخط, ومع كل ذلك, فقد كانت أداة الضبط والموازنة هذه رخوة وضعيفة- ولذلك لم تتمكن من القيام بدورها بشكل جيد, ونتيجة لذلك لم تستمر حكومتها لفترة طويلة. فسقطت في بداية مشوارها. وكان عمرها أقصر من عمر حكومتي.

*** بوانا ملوال القوة الدافعة :-**

ذهب بونا ملوال للجنوب كشخص مجروح يجترّ مرارات كثيرة- وهناك كان لذلك تأثيره في سلوكه وتعامله مع الشمال- ومراراته هذه كانت ترتبط بعدم تعيينه وزيراً للخارجية, فقد بذل جهداً كبيراً للوصول إلى هذا الموقع, ومن أجل ذلك بادر بإنشاء مديرية البترول التي أسماها (مديرية الوحدة.) وهي مديرية جديدة ضمت منطقة بانتيو, الغنية بالبترول, وشمال قوقريال, التي جاء منها بونا نفسه, وكذلك أضيفت إليها منطقة أب ياي وأبوجابرة في جنوب كردفان. وكان المفترض, حسب اقتراح بونا, أن تدار هذه المديرية من القصر الجمهوري مباشرة- ونتيجة لذلك عرض نفسه كوطني مخلص بعيد عن الهوية الإقليمية الجنوبية (الضيقة.) ومن ثم ربط مصيره مع أبيل ألير في الحكومة الإقليمية, بهدف القفز من هناك إلى

منصب أعلي, وهو حلم حاول الوصول إليه عن طريق التعاون معي- وعندما فشل في ذلك تحوّل إلى الوقوف ضدي.

في وقت وجيز توترت العلاقات بين بونا ملوال, القوة الدافعة للحكومة الإقليمية, وزميله في الحكومة المركزية, شريف التهامي, وزير الصناعة والتعدين المركزي. وكثيرون كانوا يرون أن سبب هذا التوتر يرجع, في بعض جوانبه, إلى عدم احترام التهامي للحكومة الإقليمية. فقد قام بعدة زيارات لحقول النفط في الجنوب دون علم بوانا ملوال, زميله المسئول عن الصناعة والتعدين هناك. ومع تصاعد حالة التوتر في علاقتهما مع بعض, هدّد ملوال بإسقاط طيارة شركة توتال الفرنسية, التي منحتها الحكومة المركزية امتيازات للتنقيب في مناطق بور وتوريت. وحذر موظفي الشركة بأنهم إذا أرادوا الطيران في سماء تلك المناطق, فعليهم الحصول على موافقة السلطات المعنية- وأدت هذه التهديدات إلى إزعاج النخبة السياسية الشمالية. إذ انهم لم يتوقعوا مثل هذه التهديدات من أي وزير إقليمي يعمل تحت إدارة أبيل ألير ولا من بونا ملوال. فالأخير كان يعرض نفسه كوحدوي مخلص, وهو الذي اقترح اقتطاع جزء من مناطق الجنوب الغنية بالنفط لإنشاء مديرية تدار مباشرة من القصر- وكان نميري هو الأكثر انزعاجاً, وذلك لأنه هو الذي سمح بإنشاء وزارة للصناعة والتعدين في الجنوب إرضاءاً لبونا ملوال, وكان يتابع ما يقوم به الأخير في الحكومة الإقليمية أولاً بأول- ولذلك ظلّ يتحدث مع من حوله عن إحباطاته من سلوك بونا ملوال وتطورات الأحداث في الجنوب تحت إدارة أبيل ألير الجديدة.

* أبيل ألير وانفلات الدينكا:-

في بداية 1980 عاد أبيل ألير إلى السلطة. فأصابه ذلك الانتصار بالغرور والعمى السياسي- وقال أحد الصحفيين أن هذا الغرور أفقده الاتجاه- وبحكم استناده بشكل رئيسي على دعم ومساندة قبيلته, فقد عمل على تلبية مطالبها وإغراقها في الامتيازات. وأدى ذلك في النهاية إلى تزايد أعداد أبناء الدينكا في الحكومة الإقليمية

ومؤسساتها بشكل لم يشهده الجنوب من قبل. وانعكس ذلك في شعورهم بالتعالي وازدراء المجموعات القبلية الأخرى. وعبرّ جستين ياك عن هذا الشعور في إحدى مناظرات مجلس الشعب الإقليمي, بقوله: (لقد حكم البريطانيون الجنوب لمدة خمسين عاماً, وحكمه الشماليون لسبعة عشر عاماً. أما نحن الدينكا فسنحكمه لمائة عام سواء رضيتم أم أبيتم. نحن قبيلة الأغلبية.) وأبيل ألير (عنصر الضبط والتوجيه) لا يستطيع السيطرة على مثل هؤلاء أو حتى إيقافهم عند حدّهم- وفي هذا الأثناء ظلّ الآخرون يسمعون ويراقبون ما يجري. وما كان بإمكانهم تجاهل ما يدور أمامهم. ونتيجة لذلك ظهرت إلى السطح (لجنة مثقفي مديرية الاستوائية) لتعبّر عن رأي أبناء المديرية في ما يجري من أحداث وتطورات. ومع تطور الأحداث لم يكن من الممكن استمرار أبيل ألير في تبعيته للشمال بعد أن عاد إلى السلطة, استناداً إلى دعم قبيلته. كان عليه أن يعلن موقعه المستقل والتخلي عن دوره السابق كأداة طيّعة في أيدي الشماليين- وهكذا, اضطر لاتخاذ موقف جرئ في إذاعة جوبا بعد تغيير الحدود بين الجنوب والشمال, كما وضح في إحدى الخرائط الحكومية, حيث أضيفت المناطق الزراعية في شمال أعالي النيل للإقليم الأوسط ومنطقة بانتيو, الغنية بالبترول, لإقليم كردفان. كان عليه أن يتناول هذه التغييرات ويطرح تساؤلات الناس حولها- وعند سماع حديثه, لم يصدق السياسيون الشماليون آذانهم. اندهشوا لصدور تلك التساؤلات من أبيل ألير شخصياً. ومنذ تلك اللحظات بدأوا يتشككون في مواقفه, وبذلك توقفوا عن اعتباره (ابن السودان البار) كما كانوا يصفونه.

* الحروب الكلامية:-

شهدت مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي في العاصمة مناقشات حامية حول الحكم الإقليمي في المديريات الشمالية, كما هو الحال في الجنوب- وتوصلت تلك المناقشات إلى توصيات محدّدة, نشرت في الصحف المحلية, وأكثرها قبولاً كان

متطابقاً مع اقتراح حركة تحرير جنوب السودان في مفاوضات أديس أبابا. فقد اقترحت قيام أربعة أقاليم في السودان:- الجنوب وثلاثة أقاليم في الشمال, وتشمل:

1- مديريات الشمالية وكسلا.

2- كردفان ودارفور.

3- الخرطوم والنيل الأزرق.

وفي البداية وجدت الفكرة قبولاً واسعاً. ولكن سكان دارفور رفضوا الانضمام في إقليم واحد مع مديرية كردفان, خوفاً من سيطرة الكردفانيين. ووقتها كان الكردفاني, العميد معاش الطيب المرضي, حاكماً لإقليم دارفور- وكذلك رفض سكان الشرق الانضمام مع المديرية الشمالية وطالبوا بإقليم مستقل, وذلك لنفس الأسباب تقريباً- ونتيجة لذلك قام الرئيس بتكوين لجنة عليا, تضم عبد الماجد خليل وأبيل ألير, لدراسة الموضوع وتقديم اقتراحات مناسبة. وبعد تقييم الحال أوصت اللجنة بتكوين ستة أقاليم في الشمال (كل مديرية تصبح إقليماً مستقلاً.) ونتيجة لذلك صدر قانون الحكم الإقليمي لسنة 1980 وهكذا أصبحت الأقاليم الشمالية تتمتع بحكم إقليمي كالجنوب.

وبعد قيام الحكم الإقليمي في الشمال توفي أخي بنجامين وأنني في مستشفى الخرطوم- فأخذت جثمانه لدفنه في موطنه بالإقليم الجنوبي- وفي جوبا استقبلنا الجميع بتعاطف واسع, وقدمت الحكومة الإقليمية كل الخدمات الضرورية لنقل الجثمان إلى موطنه. وطلب رئيس المجلس العالي من جوزيف أدوهو تمثيل الحكومة الإقليمية في تشييع الجثمان, كإشارة للمصالحة والوحدة. وكان لكل ذلك تأثيره الكبير في مساعدتي لتجاوز تلك الفترة الصعبة في حياتي. وبعد عودتي من نمولي بدأ الناس يتجمعون حولي. فقد شهدت تلك الفترة أتساع نشاط اللجنة المركزية لمثقفي الاستوائية- وكانت تعمل بشكل سرّي تحت قيادة اليابا جيمس سرور, عضو مجلس الشعب الإقليمي- ونتيجة لذلك كان أبيل ألير يخاف توجه هذه المجموعة للعمل مع مجموعتنا. ومن هنا كان اهتمامه بنشر عملائه لجمع معلومات

عن اتصالاتها معي طوال إقامتي في جوبا- والواقع أنني لم اكن ميالاً للدخول في مناقشات سياسية في تلك الأيام, كنت فقط استمع للآخرين وأراقب التحركات العامة وسط السياسيين الجنوبيين.

وفي الخرطوم زارني بعض الأصدقاء وبلّغوني بمعلومات جديدة. وكان من بينهم جوزيف جيمس طمبرة ونيكولا أوبويا وألبابا سرور- الأول كان وزيراً للأشغال والاتصالات في حكومتي السابقة ورفض عرضاً من أبيل ألير لتعيينه في نفس الوزارة واصبح عضواً في مجلس الشعب الإقليمي الجديد- والثاني كان مفتش الشرطة في تلك الفترة وفصل من منصبه بعد عودة أبيل ألير للسلطة. هؤلاء الأصدقاء كانوا يقومون بتوطيد علاقاتي مع مجموعات أخرى في جوبا وبوضعي في صورة ما يجري هناك.

في إحدى اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي في مبنى مجلس الشعب بأمدرمان, قامت لجنة مثقفي الاستوائية بطرح أفكارها حول سيطرة الدينكا في الجنوب. وفوضوا فيليب يونا جامبي لطرح تلك الأفكار من خلال خطاب مكتوب, حيث قال: (في ضوء مبادئ ثورة مايو المجيدة اقترح أن تقوم اللجنة المركزية بالعمل على خلق نظام لامركزي فعال في الجنوب. وأطالب بأن تدرس إمكانية تقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم, تشمل مديريات بحر الغزال وأعالي النيل والاستوائية..) وركز فيليب على حقيقة أن مديرية الاستوائية ترغب في تحويلها إلى إقليم مستقل- ووجد هذا الاقتراح تأييد ودعم أحد الأعضاء الشماليين. ووجد أيضاً اهتماماً من رئيس الاجتماع (نميري) ووضعه في أجندة المناقشة. وبذلك حقق الاقتراح نجاحاً كبيراً, حيث طرح لمناقشـــة مفتوحـــة. وبالطبع لم يعجب ذلك أبيل ألير ومجموعته. فاصبحوا يمرّرون بعض الأوراق أثناء المناقشـــة. وقام قاما حسن, بدفع من مجموعته, التي اعتقدت أنني أقف خلف خطاب فيليب بونا, بالردّ على الخطاب المذكور. كانوا يريدون إحراجي باختيار متحدث باسمهم من منطقتي- وركز قاما حديثه في الهجوم على الانفصاليين, في محاولة يائسة لكسب

تأييد الأعضاء الشماليين, حيث قال: (هؤلاء يريدون تمزيق وحدة الجنوب يقودهم شخص خسر موقع رئاسة المجلس التنفيذي العالي في الجنوب, شخص يريد الآن تمزيق الإقليم بهدف عودته كحاكم لمديرية واحدة, هي مديرية الاستوائية. ياللعار! أننا نحن الذين نقف بقوة مع وحدة السودان نعلن موقفنا الحاسم ضد هذه الأهداف الذاتية المضرّة بمصلحة الجنوب والبلاد عامة.) ومع انه لم يذكر اسمي مباشرة, فقد كان هدفه واضحاً ومحدداً- وفي الوقت نفسه قامت رئاسة الاجتماع بتوبيخه لاستخدام كلمات بذيئة وغير لائقة, وطلبت منه الجلوس قبل إكمال حديثه- وعندما طلبت الردّ عليه, قام أبيل ألير من مقعده وخرج من القاعة وتبعه بعض أنصاره. وذلك كإشارة احتجاج على مناقشة قضية يعتبرونها مسألة داخلية تخص الإقليم الجنوبي. طلب الأصدقاء أن أسجل اسمي للحديث في جلسة اليوم التالي, حتى أتمكن من إعداد خطاب شامل وضمان وجود الذين خرجوا لسماعه. فوافقت على الفور. ويبدو أن الرئيس قد أحرج بخروج تلك المجموعة واعتبره سلوكاً مسيئاً له وللاجتماع ككل. ونتيجة لذلك بدأ يبتعد عن مجموعة أبيل ألير ويقترب من مجموعتنا, مؤكداً القول المشهور (في العمل السياسي ليس هناك أصدقاء دائمون أو أعداء دائمون, هناك فقط مصالح دائمة.) ويبدو أن جماعة أبيل ألير لم يفهموا ذلك.

في اليوم التالي, منحت فرصة الحديث وكان معظم الأعضاء في القاعة. فوقفت وقلت: (أشكر السيد الرئيس لمنحي فرصة الحديث لهذا الجمع المهيب. إنني أؤيـد وأدعم الطرح الذي قدمه في جلسة الأمس فيليب يونا, عضو اللجنة المركزية من الاستوائية. فما قاله يعكس رأي معظم الناس هناك. نحن لسنا انفصاليين يا سيدي الرئيس, كما اتهمنا أحد المتحدثين. وإذا كنا انفصاليين, فقد كان من الممكن أن نستمر في القتال حتى تحقيق أهدافنا كاملة مهما طال الزمن. وأنا لست أنانيا ولا ذاتياً في تطلعاتي. وآمل, سيدي الرئيس, أن تسمح لي بالرّد على المتحدث.. هؤلاء الذين يتهمونني بالأنانية والجري وراء المصالح الشخصية, عليهم أن ينظروا إلى سجل تاريخي. فشخصي الضعيف هو الذي قاد الحركة لطاولة المفاوضات ووقع

على اتفاقية السلام مع سيادة الرئيس- ولو كنت أنانياً, كما ادّعى المتحدث, لاشترطت قبل التوقيع بقائي رئيساً للجنوب دون منازع, كما هو الحال سيادتكم بالنسبة للسودان ككل- وأكاد أجزم أنه لن يكون هناك معترض على ذلك, لأنني وقتها سأمتنع عن التوقيع ولن تكون هناك اتفاقية سلام.) وهنا قوبلت كلماتي بتصفيق شديد شجعني على الاستمرار في الحديث. فقلت (بالعكس, سيدي الرئيس, لقد اخترت العودة للقوات المسلحة واضعاً المصلحة الوطنية ومصلحة قوات الانيانيا فوق مصلحتي الشخصية. وفعلت ذلك بعد إجراء حسابات دقيقة أقنعتني بأنني ساكون مفيداً في القوات المسلحة أكثر من رئاسة المجلس العالي. ففي القوات المسلحة كنت قادراً على المشاركة في اختيار وتدريب واستيعاب قوات الانيانيا في القوات النظامية.. لقد كان واجب الذين يتهمونني بالأنانية والمصالح الذاتية أن يشكروني على ما فعلت لمصلحتهم ومصلحة الجنوب- ماذا يعني موقع حاكم إقليم مقارنة بموقعي الراهن في المكتب السياسي الذي يقود التنظيم السياسي المسئول عن إدارة شئون البلاد بكاملها ؟ فإذا قبلت بحاكم إقليم .. ألا يعني ذلك تنزيل موقعي إلى أدنى ؟) وفي الجزء الأخير من حديثي قمت بحركة تمثيلية تجسّم ما أعني, حيث نزلت خطوة إلى أدنى الدرج, من مكان جلوس أعضاء المكتب السياسي إلى مكان جلوس حكام الأقاليم. وواصلت حديثي: (هناك الآن قضية سياسية مطروحة في الجنوب, شبيهة بالمشاكل التي أدت إلى الحرب الأهلية بين الجنوب والشمال, ويجب مواجهتها لحلّها قبل أن تتفاقم. وإذا كانت اتفاقية أديس أبابا قد وضعت لمعالجة المشاكل السياسية المرتبطة بعلاقات الشمال والجنوب, فإننا نحتاج إلى اتفاقية شبيهة في الجنوب لمنع هيمنة قبيلة واحدة على المجموعات الأخرى, كما يحدث الآن عملياً بكل أسف. فأبناء قبيلة واحدة, هي قبيلة الدينكا, تحتل الآن أكثر من نصف المواقع الوزارية في الحكومة الإقليمية هناك. وأمامي الآن إحصائيات تؤكد ذلك. وهي جاهزة لمن يتشكك في ما أقول..) وهنا عرضت الإحصائيات التي أعدّها جوزيف جيمس طمبرة وسلمتها لرئاسة الاجتماع. وفي نهاية الحديث قلت: (سيدي

الرئيس, إنني أعلن لكم, بكل آسف, أن نظامنا السياسي في الجنوب قد أصبح نظاماً قبلياً صرفاً, قام بتأسيسه وترسيخه رجل يعمل كزعيم قبيلة, اغتصب مواقع السلطة في الإقليم وقام بتوزيعها لأبناء قبيلته. وهذا العمل لا يختلف عن ما تفعله الإمبريالية. إنني أعتـبره إمبـريالية تقـودها عناصر سوداء, من الجنوب نفسه. وأدلة ذلك لا تحتاج إلى توضيح وأشكرك سيدي الرئيس مرة أخرى على منحي هذه الفرصة لتوضيح موقفي من القضية المطروحة..) وبعدها عدت إلى مقعدي. واستغرق حديثي حوالي 15 دقيقة دون مقاطعـة من الحضـور- وفي الوقت نفســه قام السيد الرئيس بتقريظ دوري في المرحلة السابقة والتضحيات التي قدمتها في سبيل السلام والاستقرار في الجنوب والبلاد بشكل عام- وكان لذلك تأثيره في إرباك صفوف خصومي- فقـد كانت وقائع الاجتماع تذاع مباشرة من إذاعة وتلفزيون أمدرمان. واستقبلتها جماهير مديرية الاستوائية ومناطق الجنوب الأخرى بسعادة وابتهاج- فقد كانت فكرة توسيع الحكم اللامركزي، أي نقل السلطة إلى الجماهير، بسـيطة وجذّابة. ولذلك وجـدت قبولاً واسعاً. وفي الجانب الآخـر كان دينكا بحر الغزال أقل حماساً وتأييداً لزملائهم الذين تسببوا في خلق مشاكل واضطرابات في الاستوائية. وكانت حملاتنا الدعائية تصف المعاديين للامركزية كمجموعة أنانية تجري وراء مصالحها بعيداً عن أهلها ومعاناتهم- وهكذا أصبحت (اللامركزية) شعاراً عاماً وفكرة جذّابة، ليس فقط لأبناء الاستوائية، بل لكل أهل السودان. ووجد حديثي استجابة واسعة وسط الشماليين، وبعضهم فهمه بطريقة مختلفة. فأصحاب النظرة الكولونيالية للجنوب ركزوا على ظهور الخلافات والصراعات الداخلية في الجنوب وعلى سياسة (فرق تسد) كخط أساسي في تعاملهم مع الجنوب والجنوبيين. وفي اليوم التالي طلبت مقابلة الصادق المهدي لتنويره بما يجري. ووجدته ملماً بما حدث من خلال متابعته في التلفزيون. ومع أنه كان معجباً بحديثي وما ترتب عليه من هجوم مباشر على شخصي، فقد نصحني بالحذر واليقظة تجاه حماس نميري وتأييده الظاهري لموقفي. وأكد لي أن نميري يهتم فقط

بما يخدم أهدافه الخاصة- فقلت له: (إنني لا أشك في نصيحتك. ولكني أيضاً أرغب في إحداث شرخ في علاقة نميري مع أبيل ألير- فعلاقتهما كانت على حسابي وكل السياسيين الجنوبيين الذين يتطلعون لدعمي ومساندتي. ولذلك من المهم أن أعمل على تفكيك هذه العلاقة بأي طريقة ممكنة. وما حدث في اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي كان فرصة في هذا الاتجاه..) وتفهم الصادق موقفي واقترح أن أعمل على نشر أفكاري بشكل أوسع من خلال طباعتها في كتيب صغير. ووافقت على الاقتراح باعتباره فكرة عملية مفيدة.

*** حرب المنشورات:-**

بعد لقائي مع المهدي، طرحت فكرة الكتيب لأصدقائي المقربين من السياسيين الجنوبيين: جوزيف طمبرة، فيليب يونا، لويجي أدوك وأوليفر باتالي ألبينو، فرحبوا بالفكرة. وقمت مع ألبينو بتحرير وطباعة الكتيب تحت عنوان (اللامركزية: ضرورة لمديريات الجنوب) Decentralization: A Necessity for the Southern Provinces of the Sudan. وعرضت المسودة على الرئيس نميري وأبدى اهتماماً خاصاً بها ووفر لي دعماً لنشرها- وخلال أيام قليلة كانت جاهزة للتوزيع- ووقتها اندهشت عندما طلب مني دكتور فرانسيس مادينق دينق نسخة من الكتيب. وكان في طريقه إلى جوبا- وبعد تسليمه النسخة، طلبت منه تسليم ست نسخ أخرى (للأخ أبيل ألير) كهدية مني. فنظر لنسخته وقال: (آه. لا أحب أن أحمل مثل هذه الهدايا). فضغطت عليه وقلت له أنه لن يجرّم بحمل أشياء طلب منه تسليمها لجهة معينة. المهم، كنت أتخيل كيف كان شعور أبيل وهو يستلم تلك النسخ- فقد تسببت في إحداث اضطراب وفوضى واسعة وسط أنصاره في كل مكان- ولأهمية هذا الكتيب، سيجده القارئ كاملاً في ملحق هذه المذكرات. وخلال تلك الفترة قام أبيل بإجراء تعديل وزاري في حكومته الإقليمية، حيث أبعد أحد الوزراء الدينكا واستبدله بأخر من قبيلة التبوسا (نيريو لوب) وكان وزيراً في حكومتي. ومع أن هذا الإجراء لم يكن كافياً لتصحيح أخطائه، فقد كان يمثل رد فعل

سريع لنفي ما جاء حول سيطرة الدينكا على الحكومة الإقليمية. وكان ردّ فعل أبيل ألير ومجموعته عاطفياً وانفعالياً لحسن حظنا وسوء حظهم. فقاموا بتشكيل لجنة سموها (مجموعة العمل من أجل وحدة جنوب السودان.) وشملت أبيل ألير، كرئيس ومشرف، أمبروز رنق ثيك، مسئولاً عن جمع وترتيب المعلومات، وميخائيل جالون، سكرتيراً للمجموعة. واتفقوا على كتابة كتيب يدحض ما جاء في كتيبنا من معلومات واتهامات. وفعلاً صدر تحت عنوان (إعادة تقسيم الجنوب:- لماذا يجب أن نرفضها ؟)؟ Redivision : Why It Must Be Rejected وفي ذلك الوقت كان أمبروز رئيساً للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي في مجلس الشعب الإقليمي، بينما كان ميخائيل جالون عضواً بالمجلس. وسيجد القارئ نصّ هذا الكتيب كاملاً في ملاحق هذه المذكرات.

*** رد فعلي تجاه الكتيب:-**

لقد تمكنت من الحصول على نسخة من مسودة هذا الكتيب قبل نشره وتوفيره رسمياً، بجانب وثائق تثبت تورط الحكومة الإقليمية في إصداره. فقد كان غلافه يحمل الرمز الوطني للجيش وبألوان: أحمر وأسود وأخضر. والوثائق الأخرى كان من بينها خطاب من سكرتارية المجلس التنفيذي العالي، موقع باسم يثايا دي دوت، نائب الأمين العام للمجلس، يأمر بدفع أتعاب الموظفين الذين قاموا بطباعته وذكرهم بالأسماء.

قرأت هذه النسخة بطريقة سريعة حتى أفهم محتواه ومقصده. واستخدام إمكانيات الحكومة الإقليمية لطباعته، كانت دليلاً كافياً لاتهام نائب رئيس الجمهورية بالتورط في كتابته وطباعته والسماح بتوزيعه- وبشكل عام لاحظت أن الكتيب لم يكن متسقاً في حديثه عن شخصي الضعيف. ففي أحيان يشيد بدوري في الفترة السابقة. وفي أحيان أخرى يشتمني. وفي مكان آخر يدعوني للتخلي عن اقتراح اللامركزية، الذي أطلقوا عليه تعبير (إعادة التقسيم.) كان خطابهم مضطرباً. فقد أشاروا إلى ما قلته أثناء أحداث الثاني من يوليو 1976، وركزوا على قولي (إن

القسم الأول سيزحف مع القوات الموالية الأخرى نحو الخرطوم من أجل الدفاع عن النظام الحاكم والمحافظة على بقائه..) واعتبروا ذلك ضمن مساهمات الجنوب في المحافظة على استمرار نظام مايو. ولكنهم، في الوقت نفسه، أساءوا الحكومة المركزية ومؤسساتها، بما في ذلك الرئيس نميري. فقد جاء في الكتيب: (لقد كان الأخ بونا ملوال، الذي يعاديه بعض السياسيين الشماليين، هو الذي أكد للعالم أجمع استمرار ثورة مايو، عندما كان بعض زملائه مختفين في أماكن مجهولة حماية لأنفسهم. وكانت إذاعة جوبا تمثل صوت الثورة، عندما توقف صوت إذاعة أمدرمان. ومن هناك أكد أبيل ألير قيادة الثورة وأعلن أن ثورة مايو لا يمكنها الاستمرار بدون الجنوب. وفي الوقت نفسه أعلن جوزيف لاغو استعداده لقيادة قوات الثورة، قوات القسم الأول، نحو الخرطوم للقضاء على المتآمرين..) وهذه الفقرة بالتحديد كانت مؤلمة للرئيس بشكل خاص وزملائه الشماليين في الحكومة المركزية بشكل عام. فقد دمغتهم بالجبن والخوف والتخلي عن مسؤولياتهم في ساعات الشدّة والخطر والاهتمام فقط بحماية أنفسهم- ووقتها كان معروفاً بشكل واسع أن الرئيس كان مختبئا في أحد إحياء الخرطوم. ولذلك اتهموه بعدم الوفاء والعقوق وتشجيع التوجهات الداعية لتقسيم الجنوب وإشعال الفتن والاضطرابات في داخله- ومن جهة كانت إشارتهم إلي عدم الاهتمام بمشاريع التنمية في الجنوب تمثل اتهاماً مباشراً للرئيس، أكثر من أي شخص آخر في الحكومة المركزية. وتطاولوا أكثر عندما هاجموا ما أسموه(الحكومات الشمالية في الخرطوم) وسياساتها التي تنظر للجنوب كإقطاعية خاضعة لسيطرتها الخاصة. وبسلوكهم هذا كانوا يعيدون توجهات الوطنيين الجنوبيين في فترة ما قبل اتفاق أديس أبابا 1972. والواقع أنهم كانوا يعبرون عن موقفي الحقيقي، رغم خصومتي معهم. كانوا يتكلمون لغتي ويستخدمون تعبيراتي. وبذلك ساعدوني في كشف حقيقتهم وتحطيمهم.

أخذت الكتيب والوثائق المرتبطة به ووضعتها أمام الرئيس نميري وقلت له: (أنظر سيادة الرئيس- هذا هو عمل صديقك أبيل ألير- لقد قام، مع مجموعة تسمي

نفسها (مجموعة العمل من أجل وحدة جنوب السودان) بإصدار هذا الكتيب. وذلك للردّ على ما جاء في الكتيب الذي أصدرته. وبدلاً من الردّ على اتهاماتي قاموا بتناول قضايا أخرى لا علاقة لها بذلك- ولا أريد أن أركز على هذه المسألة، بل سأترك الكتيب لسيادتكم، لتقرأه وترى ما فيه بنفسك. ومع ذلك، فقد صدر الكتيب دون توقيع، بينما قمت أنا بإصدار كتيبي باسمي- وهنا أضع أمامكم الوثائق التي تثبت تورط الحكومة الإقليمية في هذا العمل.) وبعد تسليمه الوثائق المذكورة، لاحظت علامات الغضب والإحباط في وجهه وطريقة حديثه. فسألني إن كنت أريد استعادة تلك الوثائق. فقلت له: (لا سيدي الرئيس. فقط أريد الأوراق الأخرى، حتى أواجه بها أبيل ألير إذا أنكر صلته بإصدار هذا الكتيب.) فشكرني على تسليمه نسخة من الكتيب قبل توزيعه على الجمهور- وشعرت أنه أصبح غاضباً على أبيل ألير وأنه لن يسكت على تحركه هذا، بالإضافة إلى ما ظلّ يقوم به بونا ملوال من استفزاز ولغو منذ ذهابه للجنوب.

لقد اتخذ الرئيس عدة تكتيكات في تحركه وتعامله مع أبيل ألير ومجموعته. ففي البداية أرسل مسودة مشروع قانون المجلس التنفيذي العالي وقانون مجلس الشعب الإقليمي لمجلس الشعب القومي لإجازتها كقانون- ثانياً دعى لاجتماع المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي لمناقشة الوضع السياسي في البلاد، وذلك بالإضافة إلى القضايا الجارية الأخرى. ووقتها كان أمبروز رنق في الخرطوم- وانتهز الفرصة لتوزيع نسخ من الكتيب للشخصيات الرئيسية هناك. ورآه البعض في سكرتارية الاتحاد الاشتراكي يقوم بتوزيع تلك النسخ بيده. ولم يكن يعلم وقتها أن الرئيس قد استلم نسخة قبل ذلك وإنه اعتبر صدور الكتيب وتوزيعه عملاً تخريبياً ووجه أجهزة الأمن للقيام بما يلزم- والواقع أن هذه الأجهزة كانت تتابع حركته في الاتحاد الاشتراكي. وبما أن أبيل ألير ومجموعته لم يتشجعوا لتسليمي نسخة من كتيبهم، فقد ذهبت إلى عز الدين السيد، رئيس مجلس الشعب القومي، وتظاهرت بعدم علمي بما حدث. ووجدت عنده نسخاً عديدة، مما يعني أنهم قاموا

بتوزيعها بشكل واسع- فأخذت نسخة منها. ووقتها انتشرت شائعات تقول بأن هذا الكتيب سوف يؤدي إلى تأزيم علاقات الرئيس مع أبيل ألير ومجموعته، بحكم تورطه في ما حدث.

هكذا كانت الأحوال عشية اجتماع المكتب السياسي في مكتب الرئيس في المبنى الجديد لمجلس الشعب القومي بأمدرمان- وفي الاجتماع طرح الرئيس مسألة الكتيب وعرض نسخة منه على المجتمعين. ومن ثم أبدى اهتمامه بما طرح فيه من أفكار وأشار إلى طبيعته التخريبية، بحكم صدوره دون مؤلف محدّد بالاسم. وهنا أنكر أبيل ألير ووزيره لشئون الإدارة والشرطة والسجون، مستر لوقالي، أي صلة لهما بهذا العمل. ولكنهما اعترفا بنشر الكتيب. وبعد ذلك اتهمت أبيل بأنه هو مؤلف الكتيب وقلت له أنه من المؤسف أن ينكر ذلك. ثم سألته: (هل أنت غير مستعد لتحمل نتائج هذا العمل ؟) وقلت للسيد لوقالي: (قد لا يعرف لوقالي أي شيء عن هذا الكتيب. فهو مجرد رمز في وزارته. والشخص الذي يديرها عملياً هو مستر روبن ماك، رئيس الشرطة، وكان يشرف بنفسه على عمال الطباعة. ومعلوماتي تؤكد أن لوقالي كان وقتها في مزرعته قرب مدينة ياي.) وكانت معلوماتي محدّدة وواضحة لدرجة أجبرت أبيل ألير ليقاطعني بقوله: (أخي لاغو.. ألا يكفي هذا ؟ لماذا لا تتمالك نفسك ؟) فرددت بقولي (يجب كشف الحقائق بوضوح. الحقائق يجب أن تعرف. وفي حالتنا هذه، على الذين يبادرون بالأفكار وإصدار الأوامر أن يتحملوا مسئوليتهم كاملة. وعندما تفشل الخطة الموضوعة، عليهم أن لا يحملوا المسئولية لمرؤسيهم أو لفاعل مجهول.).

هكذا وجد أبيل ألير نفسه في ورطة لا يستطيع الخروج منها بسهولة. فقد لخص الرئيس المسألة وعبّر عن غضبه واستيائه بوضوح لا لبس فيه. ومن ثم حوّل النقاش إلى موضوع آخر- وبعد هذا الاجتماع توقف توزيع الكتيب، بل قامت المجموعة باستعادة بعض النسخ التي وزعت. وعلمت أنها قامت بحرق ما جمعته مع ما تبقى من نسخ في جوبا- ياله من سلوك جبان!

وفي شمال السودان كان الناس في حيرة. إذ أنهم لم يفهموا ما كان يجري في الجنوب. كما لم يفهموا موقف أبيل في تلك الفترة. وبالنسبة لي، فقد كنت في غاية السرور، لأن ما حدث قد أدى عملياً إلى شرخ كبير في علاقة نميري مع أبيل ألير. وهو ما كنت أعمل له. لقد انتهت صداقة الرجلين التي كانت تقوم على حسابي. وبعد أيام من اجتماع المكتب السياسي قام الرئيس باستدعاء رئيس المجلس العالي، أبيل ألير، ورئيس مجلس الشعب الإقليمي، أنجلو بيدا، بالإضافة إلى شخصي وأسايا كولانق مابور- وعند وصولهم للخرطوم، أعلن عن حلّ مجلس الشعب الإقليمي وإقالة الحكومة الإقليمية. وبدأ الرئيس يتشاور معي حول تشكيل إدارة انتقالية في الجنوب. وفي الحال قمت بترشيح اللواء قسم الله عبد الله رصاص (مسلم جنوبي، وكان قبل اعتناقه الإسلام يحمل اسماً مسيحياً هو بورتولو قسم الله) لرئاسة الإدارة الانتقالية. وفي نفس الوقت أعلن عن انتخابات عامة في الجنوب خلال ستة شهور، كما حدث عند تقديم استقالة حكومتي- وفي التشكيل الجديد تمّ تمثيل الجنوبيين في القوات المسلحة بوزيرين، هما: العمداء أندرو ماكور وجوزيف كول أموم. وكلاهما من أبناء الدينكا وقوات الانيانيا السابقة. وجاء ترشيحهما بتوصية من وزير الدفاع وشخصي. وأبلغا بأنهما سيعودان للقوات المسلحة بعد نهاية الحكومة الانتقالية (ستة شهور.) واستكملت الوزارة بعدد من التكنوقراط. ومن جانبي، أضفت نيكولا أوبويا، مفتش الشرطة أثناء حكومتي السابقة، ليقوم بمتابعة اهتماماتي الخاصة في جوبا- وبعد إعلان وزارته وأداء القسم، سافر رصاص إلى جوبا للقيام بمسئولياته. وهناك وجه الوزراء السابقين بإخلاء مكاتبهم في انتظار عودة الإدارة الجديدة لاستلام مهامها. وبدا توجيهه هذا كانقلاب عسكري مفاجئ- وبذلك عاد أبيل إلى جوبا، فقط لجمع أشيائه الخاصة والتحرك بها إلى الخرطوم، حيث أصبح مجرد نائب رئيس عاطل عن العمل. وتوقع كثيرون أن يقوم بتقديم استقالته من موقعه بعد هذا الإذلال والإهانة. ولكن (الناس في السودان لا يستقيلون) كما يقول هو نفسه لبعض أصدقائه.

استمرت الحكومة الانتقالية لمدة ثمانية شهور بدلاً من ستة. ونتيجة لذلك، لم يستطع عبد الله رصاص، ووزراؤه من العسكريين والتكنوقراط، العودة إلى مواقعهم السابقة. فقد أحيلوا جميعهم للمعاش بعد مرور الستة الشهور المحدّدة.

الفصل الخامس عشر

الانتخابات العامة الرابعة

* فرص متساوية في النهاية:-

بعد هذه الأحداث الدرامية التي أدت إلى إبعاد سيطرة أبيل ألير على الجنوب، كان هناك شعور بالارتياح وسط المجموعة التي وقفت بجانبي- فهذا الإبعاد لم يضع أياً من المجموعتين المتصارعتين كمجموعة مميزة ومفضلة من قبل النخبة الشمالية الحاكمة- وبذلك أصبحت هناك فرص متساوية لاستمرار المعارك الكلامية ومعارك المنشورات بين المجموعتين (مجموعتي ومجموعة أبيل).

وفيما يتعلق باللامركزية، من الضروري تقديم تلخيص مختصر للتركيب السياسي والإداري في الجنوب في تلك الفترة. فقد ظهر الإقليم الجنوبي كوحدة إدارية وسياسية نتيجة لاتفاقية أديس أبابا 1972. وقبل ذلك كانت مديرياته الثلاث تحكم بطريقة منفصلة كبقية المديريات الأخرى في الشمال. وفي فترة الحكم البريطاني كانت هناك هيئة مشتركة للجنوب ككل، من الموظفين البريطانيين، وجيش إقليمي (قوات الاستوائية) يقوده ضباط بريطانيون حتى الاستقلال- وبعد الاستقلال تمّ إلغاء فرقة الاستوائية في أعقاب تمرد 1955 واستبدلت بوحدات من القوات الشمالية موزعة في مناطق مختلفة ويتمّ تغييرها كل ستة شهور- وطوال السنوات اللاحقة، كان الجنوب يقف كوحدة إقليمية متماسكة في مواجهة الشمال- وبعد تطبيق قانون الحكم الذاتي الإقليمي في عام 1972 (وبالتالي انسحاب السيطرة الشمالية) برزت خصوصية كل مديرية من مديرياته الثلاث: الاستوائية، أعالي النيل وبحر الغزال. وفرض ذلك ضرورة إعادة تقييم الوضع بكاملة. ومن هنا جاءت الدعوة للامركزية. وذلك حتى تحافظ الوحدات الإدارية أو الأقاليم الثلاثة (كما سميت مؤخراً) على خصوصيتها في إطار الإقليم الجنوبي الأوسع- وبمعنى أكثر وضوحاً، فإن الجنوب لم يخضع لحكم مركزي موحد قبل قانون الحكم الذاتي

الإقليمي لسنة 1972. وفي إطار هذه التجربة الجديدة، برزت هيمنة قبيلة واحدة (الدينكا) على الحكومة الإقليمية ومؤسساتها كما ظهر في إدارة أبيل ألير الأخيرة- وأدى ذلك بالضرورة إلى إثارة سخط المجموعات القبلية الأخرى وبالتالي التعبير عن عدم رغبتهما في استمرار تلك الوضعية- وكان لبونا ملوال ودكتور جستين ياك دور أساسي في تمزيق وحدة وتماسك شعب الجنوب في تلك الفترة. وأدى ذلك إلى تحرك مثقفي مديرية الاستوائية ودفعهم للتفكير في استعادة وضعية المديريات المستقلة- وهكذا ظهرت (اللجنة المركزية لمثقفي الاستوائية) بقيادة اليابا جيمس سرور- ووجدت دعماً وتشجيعاً من المجموعات القبلية والإثنية في المديريات الجنوبية الأخرى ومن العناصر اللبرالية وسط الدينكا المعادية للهيمنة القبلية. وبتحالف هذه المجموعات مع مجموعتي تكونت جبهة واسعة تدعو للامركزية الإدارية في الإقليم الجنوبي. ونتيجة لذلك، ظهرت مجموعة أخرى أسمت نفسها (مجلس وحدة جنوب السودان) بقيادة كلمنت أمبورو- وللحقيقة والتاريخ، كان أمبورو هو أول من تحدث بشكل علني عن اللامركزية وإعادة تقسيم الجنوب، وذلك أثناء فترة خلافه وصراعه مع أبيل ألير- وفي ذلك الوقت كان يريد أن يبعد منطقته (غرب بحر الغزال) خارج مديرية بحر الغزال ليضمها مع منطقة غرب الاستوائية ويجعل منهما مديرية مستقلة- ووقتها كان ينازع أبيل ألير في قيادة الإقليم الجنوبي. ولهذا السبب انضم إلى معسكرنا في 1978- وباستدعاء هذه المواقف، اقتنعت بأن هذا الرجل مهووس بخلق المشاكل واتخاذ المواقف المتناقضة. وبعد ذلك رجع إلى سربه القديم ليظهر نفسه كمعادي للامركزية وإعادة تقسيم مديريات الجنوب- ودعوة كلمنت الجديدة كانت تعمل من خلال (مجلس وحدة جنوب السودان) The Council For Unity of South Sudan (وتختصر CUS) وكان خصومه السياسيون ينطقون هذا الاختصار (كس) Kus إمعاناً في سخريتهم من موقفه. ومع توفر حرية التعبير والنشاط السياسي خلال فترة الحكومة الانتقالية، كان جهاز أمن الدولة (المركزي) يتابع نشاط هذه المجموعة وتحركاتها. ومن ثم قام باعتقالهم

وإرسالهم إلى الخرطوم، حيث تمّ حجزهم في سجن كوبر بالخرطوم بحري. وهنا قامت الحكومة الإقليمية الانتقالية بمحاولة لإثبات عدم انحيازها لمجموعة ضد أخرى. ولذلك قامت باعتقال عدد من مجموعتنا، هم:- اليابا جيمس سرور، جوزيف طمبرة والأعضاء الآخرين في اللجنة المركزية لمثقفي الاستوائية، وحبسهم في السجن المركزي بجوبا- ووجهت للمجموعتين اتهامات بالعمل خارج الخط العام للتنظيم الحاكم، الاتحاد الاشتراكي. وبعد أيام قليلة أطلق سراح جميع المعتقلين- ومع ذلك استمرت المناقشات العامة حول اللامركزية، كما تقول مجموعتنا، أو إعادة تقسيم الجنوب، كما تدّعي المجموعة الأخرى. وسارت المناقشات دون إشارة لفئة مثقفي الاستوائية أو مجلس وحدة جنوب السودان. وكانت تلك الفترة من أغنى فترات الحكم الذاتي الإقليمي، حيث شهدت حوارات وصراعات واسعة وعميقة حول مستقبل الجنوب. وبرزت خلالها مجموعتان:- مجموعة تتمركز حول أبيل ألير وأخرى حول شخصي. وذلك رغم أن القانون لا يسمح بوجود تنظيمات سياسية بجانب الاتحاد الاشتراكي- وفي الانتخابات العامة الأخيرة سيطر الصراع بين المجموعتين على الشارع الجنوبي بشكل كامل ولم يكن هناك مرشحون مستقلون.

أعددت نفسي للسفر للجنوب والوقوف بجانب مجموعتي وأنصاري. ولم أفكر وقتها لترشيح نفسي في الانتخابات. وبحكم عضويتي في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي كان الأنسب أن أنافس في رئاسة المجلس التنفيذي العالي وليس في أي موقع آخر- ولذلك بدأت أتابع أبيل ألير لمعرفة خططه وأفكاره. فهو الوحيد الذي يمكن أن أنافسه، بحكم أسباب عديدة. ومن هنا بدأت أفكر في مرشحين قادرين على المنافسة. فقفزت إلى ذهني أسماء جوزيف أدوهو وهلرى لوقالي. وهما أبرز السياسيين الجنوبيين ومكانتهما تأتى بعد أبيل ألير وشخصي. ولكني أبعدت هلرى لارتباطه الطويل مع أبيل. وأبعدت أيضاً أدوهو، بسبب هجومه المستفز على شخصي بعد تشييع جنازة أخي. إذ لم يكن من الممكن أن أنسى ذلك وأتجاهله، بل فكرت في إبعاده كلية من مجلس الشعب الإقليمي- وبعد ذلك فكرت في قاما حسن،

الذي تجرأ وهاجمني في اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي- كانت روح الثأر والانتقام تسيطر على تفكيري بعد أن أكملت استعداداتي لمعركة الانتخابات. ومن وقت لآخر كنت استذكر إحدى أغاني الحرب، التي كان يردّدها جدّي.. تقول هذه الأغنية:-

لاغو يشبه حفرة في شكل**V**

حربة أبن تيدا طليقة

عندما نلتقي سوف تتكسر الرماح

مايا تشبه حفرة في شكل**V**

حربة أبن تيدا طليقة

عندما نلتقي سوف تتكسر الرماح

وأغاني قبيلة المادي تتكون من ثلاثة مقاطع وتتضمن رسائل محددة، كل مقطع يحمل جانباً. والمغني يمكنه أن يبدأ من أي مقطع شاء. ولاغو ومايا هي أسماء جدّي وتيدا اسم أمه. والحفرة المشار إليها تحفر عادة في مسارات الحيوانات الضخمة بهدف اصطيادها. والحيوان الذي يقع في داخلها يصبح عاجزاً عن الحركة وبالتالي يسهل اصطياده.

مع إصراري على الثأر والانتقام من خصومي السياسيين، اشتريت مايكرفوناً لاستخدامه في المعركة الانتخابية ضد الخصوم بهدف استعراض قوّتي أمام الجمهور. وهكذا تحركت إلى جوبا لترتيب مركز قيادتي في منزل نيكولا أوبويا. وبذلك عدت للمعارك مرة أخرى، ولكنها معارك سياسية، سلاحها الكلام وليس الرصاص- وكان واجبي الأول أن أقوم بدعم أحد الأصدقاء لضمان فوزه في دائرتنا المحلية، وهو لواء شرطة متقاعد ظلّ يقف بجانبي منذ إحالته للتقاعد لأسباب سياسية. وكان عليّ أن أعمل على توفير الظروف الضرورية لهزيمة قاما حسن، المرشح المنافس. ولتسهيل ذلك، بدأت الاتصال بتجمعات المادي والأشولي في جوبا وطلبت منهم الوقوف مع برنامجي والمحافظة على وحدتهم وعلى علاقاتهم الوطيدة

التي تمتد إلى سنوات طويلة- وكان دورهم هاماً وفعالاً. فطلبت من المادي دعم مرشح من الاشولي لدائرتنا المحلية، بحجة أن نواب الدائرة في المرات الثلاث السابقة كانوا من المادى. وقلت لهم أن ذلك سيمثل إشارة لحسن نواياهم ورغبتهم في العيش سلمياً مع جيرانهم الاشولي. وفي حديثي مع الاشولي، ركزت على موقفهم في الانتخابات السابقة مع مرشح المادى وقلت لهم أن دورهم قد جاء لتمثيلنا في مجلس الشعب والحكومة الإقليمية. وأكدت لهم بأنني (أعامل القبيلتين بمساواة تامة. فأبناؤهما جميعاً وقفوا معي في حركة المقاومة منذ البداية حتى النهاية. وكانوا يعاملونني كواحد منهم وكنت أعتبر نفسي أخاً لهم جميعاً.). ومع أنهم تفهموا موقفي، إلا أن انتخابات الدائرة تحولت إلى معركة ساخنة يتنافس فيها عدد من المرشحين. ولذلك طلبوا مني الابتعاد عن التورط في دعم أي مرشح وترك المعركة للتنافس الحرّ- وفي الميدان قمت بتوزيع مجموعتي في المراكز المختلفة وذهبت إلى منطقة توريت، بداءً بجنوبها الغربي، موطني. وهناك شرحت النقاط السابقة لأهلي المادى. وقلت لهم أن الاشولي والمادي كالأخوان، والأخوة تتطلب المشاركة في كل شيء- وإذا استولى أحد الأخوان على كل ممتلكات المنزل، فإن ذلك يؤدى إلى ثورة الأخ الآخر وتحوّله إلى عدو- وقلت لهم: (لقد فزنا بمقعد هذه الدائرة ثلاث مرات. ولا يمكن أن نصرّ عليه في المرة الرابعة دون أي اعتبار لمشاعر جيراننا الاشولي. هذه المرة يجب أن نتنازل للاشولي. دعوهم يتنافسون مع بعضهم. يجب أن لا نظلمهم وندفعهم لمعاداتنا دون سبب جدّي. حتى الأخ يمكن أن يتحوّل إلى عدو في مثل هذه الحالة.) وفي النهاية ركزت على ضرورة مشاركتهم كما نتشارك في طعام قليل في أوقات الشدّة- ومن جهة أخرى أكدت للاشولى دعمي ومساندتي لمرشح منهم. وقلت لهم إن هذه الدورة هي فرصتهم لقيادتنا تأكيداً لتقاليد الاخوة والجيرة التي تجمع القبيلتين. وأكدت أن معركة الانتخابات مثل المنافسات الرياضية، يمكن أن تكسبها اليوم وتخسرها غداً- وبالتالي ليس هناك سبب لخلق مرارات وأحقاد بسبب خسارتها. وحذرتهم من الذين يحاولون خلق صراعات

ومرارات بين القبيلتين المتعايشتين. وقلت لهم أنهم يمكن أن يكسبوا المعركة إذا تركوا الجري وراء اصطياد (فيران الغابة) وجاءوا للمشاركة في التصويت، وكنت أعلم أن أبناء المادى أكثر اهتماماً بالتصويت، لأن الانتخابــات تجرى في موسم الجفاف، مقارنة بالأشولي الذين يشغلون أنفسهم في صيد الفئران. ووجــدت هذه الملاحظة تقديراً عالياً من جانبهم- وهكذا تحركنا في الدائرة الجنوبية الغربية في منطقة توريت وقدمت نيكولا أوبويا كأفضل مرشح للدائرة. وكان للمايكرفون، المحمول في سيارة لاندروفر، دور كبير في جذب المواطنين وحشدهم. وفي النهاية دخلنا مدينة توريت، وهناك وجدنا جوزيف ادوهو، الذي اندهش لقدومنا. ونتيجة لذلك استدعي قاما حسن، الذي كان في جوبا وقتها، لمساعدته، حيث خاطبه بقوله: (لقد وصل لاغو بإمكانيات كبيرة لم نشهد مثلها من قبل.) ووصل قاما حسن في طيارة صغيرة ليجد أنه لامجال لكسب الدائرة. فقد ظل المواطنون في كل أنحاء المدينة يركزون علي مواقعنا وتجمعاتنا ودعاياتنا. ولم تستطع المجموعة الأخرى تنظيم أي تجمع ناجحٍ- وعندما جاء قيصر بايا، منافسهم الرئيسي في دائرة توريت شرق، استقبلناه بترحاب ووفرنا له دعماً مناسباً لمواصلة المعركة في دائرته- وبانتهاء التصويت جاءت النتائج كما توقعناها بفوز نيكولا وقيصر وهزيمة جوزيف ادوهو وقاما حسن، الأول خسر المعركة لأول مرة، بينما فقد الثاني تأمينه. وهكذا عدنا منتصرين إلي جوبا ونجحنا في إبعاد خصوم ألداء من مجلس الشعب الإقليمي. وبذلك سارت الأمور حسب الخطة الموضوعة في انتظار النتائج الأخرى.

*** نتائج الانتخابات:-**

. جلست في منزل نيكولا، مركز قيادتنا ومركز تجمعنا في إدارة المعركة القادمة: معركة رئاسة المجلس التنفيذي العالي. وهناك بدأت تصلنا نتائج الانتخابات في الدوائر المختلفة. وكانت تشير إلي انتصار مجموعتنا علي مجموعة أبيل الير- فقد حصلنا علي أغلبية كبيرة في الاستوائية وحصدنا كل المقاعد في الضفة الشرقية. والأكثر إثارة كان في احتفالات الفرح التي نظمت بعد إعلان انتصارنا في

دائرة المرأة في الاستوائية وهزيمة ميري بسيوني، إحدى زعيمات المجموعة الأخرى، وكانت تحتكر هذا المقعد في الدورات السابقة. وبجانب ذلك، سيطرنا علي مديرية البحيرات وتقاسمنا منطقة قوقريال مع المجموعة المنافسة وكسبنا مقعداً واحداً في منطقة أويل، هو مقعد الرائد كوال ماكوى، أحد ضباط الانانيا السابقة الذي وقف بجانبي منذ تقاعده من القوات المسلحة. وبعدها انتظرنا لنري موقفنا في بحر الغزال. وفي أعالي النيل تقاسمنا المقاعد في مديريه جونقلي مع خصومنا، منطقة الزعيم الكبير أبيل ألير، بينما سيطرنا علي بقية الدوائر- وبذلك أصبح الانتصار ممكناً في معركة رئاسة المجلس التنفيذي. ولكن حتى ذلك الوقت لم نحدّد مرشحنا.

كان هناك عدد من السياسيين الدينكا وسط مجموعتنا السابقة، جاءونا خلال مشكلة صمويل أرو بول- وهؤلاء لم يتصالحوا مع مجموعة أبيل ولم ينضموا إليها- وكانوا يريدون الاستفادة من نفوذي في الاحتفاظ بتحالفهم معنا ومن ثم تحقيق انتصار آخر- ولكنهم لا يوافقون على دعمي كمرشح للرئاسة- وكان أزاكيل ماكوي كودي من أبرزهم- وبحكم معرفتي بهذه الحقيقة، حدّدت هدفي في هزيمة خصـــومي وتحقيق انتصـــار حاسم يؤكد للشماليين بأنني لا أزال أمثل قوة لا يمكن تجاوزها في الجنوب- ولذلك اخترت أن أكون (صانع ملوك) وأعلنت عدم ترشيح نفسي للرئاسة واستعدادي للعمل لقيادة المجموعة نحو النصر المحقق- ودعوت الجميع للتمسك بالوحدة وطلبت منهم اختيار مرشح مناسب من بينهم. ومفهوم الاختيار بطريقة ديمقراطية كأن شيئاً جديداً لم يمارسوه من قبل- فمثل هذا المفهوم لاوجود له في السودان. ففي الفترات السابقة، كان القائد يفرض بنفوذ خارجي، كما حدث في حالة أبيل ألير، أو نتيجة ملابسات ترجح الموقف لصالح أحد الأشخاص، كما في حالة اختياري (أنظر الفصل الثامن.) وهكذا ظهر مرشحان يرتبطان بجذور زعامية،هما: جوزيف جيمس طمبرة (زعامة الزاندي) وأثوان داك (زعامة الشلك.) وانتشرت الشائعات في المدينة. وفي النهاية اتفقنا على ترشيح طمبرة للرئاسة.

وأيضاً رشحنا ماثيو أبور لرئاسة مجلس الشعب، وذلك بهدف المحافظة على وحدة المجموعة وتمثيل مجموعة الشلك. وكان لهذا الاختيار تأثيره في المجموعة الأخرى. فقد امتنع أبيل عن ترشيح نفسه وطلب من مجموعته اختيار مرشح مناسب- واتفقوا على ترشيح كلمنت أمبورو في مواجهة جوزيف طمبرة.

كان الجنرال عبد الله رصاص لا يزال في رئاسة الحكومة الإقليمية وقادراً على قيادتها بكفاءة عالية. وكانت الأحوال تجرى في هدوء كامل- ومع ذلك، قررت الخرطوم إرسال مراقبين برئاسة عز الدين السيد، رئيس مجلس الشعب القومي وقتها. وذلك بهدف مراقبة انتخابات رئيس المجلس التنفيذي، رئيس مجلس الشعب الإقليمي والضباط الآخرين. وحسب التجربة السابقة، كانت الخرطوم تتوقع بعض الصراعات والمنافسات الحادة- وصدفة تعرضت هذه المجموعة لمحنة كبيرة في طريقها إلى جوبا، يصفها عز الدين السيد بقوله: (أخذنا رحلة خاصة بطيارة Falcon Jet إلى جوبا- ولكن الطيار لم يستطع تحديد موقع مدينة جوبا في الوقت المحدّد- واكتشف أننا ابتعدنا عنها ودخلنا زائيري. فأبلغنا بذلك. ولم نكن نتوقع مثل هذا البلاغ. وحمدنا الله على سلامتنا وأنه لم يلاحظنا أحد أو يضربنا أو يجبرنا على الهبوط هناك- ونتيجة لذلك عاد الطيار إلى السودان وحاول تحديد موقع المدينة مرة أخرى- ولكنه أعلن عدم قدرته على ذلك وأن وقوده كاد أن ينتهي. ونتيجة لذلك سيضطر للهبوط في أي مكان. وفجأة أعلننا أنه يرى قناة جونقلي ومدينة ملكال. فدعونا الله أن يمكننا من وصول ملكال بسلام- وبعناية الله وصلت الطيارة إلى ملكال. وكان هبوطها مزعجاً- فالمدرجات كانت قصيرة ومتموجة، وكانت الطيارة تقفز إلى أعلى وتهبط حتى استقرت. وعندها حمدنا الله على سلامتنا. فنزلنا إلى الأرض.. وتساءلنا: ماذا نفعل ؟ نزودها بالوقود ونواصل الرحلة ؟ أم نعود من هناك إلى الخرطوم ؟ وبعد أن قام الطيار بتزويد طيارته بالوقود، تحرك في نفس تلك المدرجات، إلى أعلى، ثم هبط، هكذا حتى انطلق في اتجاه جوبا. فطلبنا منه

متابعة القناة ومجرى النيل حتى لا يضلّ الطريق- وعندما هبط في مطار جوبا حمدنا الله مرة أخرى على سلامتنا.).

وصل فريق المراقبة متأخراً. ومع ذلك سارت الأمور كما خطط لها، حيث يبدأ المجلس أعماله في اليوم التالي. ومع أن مجموعة أبيل كانت دائماً تخاف الوفود القادمة من الخرطوم، خاصة في فترة الانتخابات، فقد كانوا في تلك الفترة في حالة هدوء وركود. وبعد عودته للخرطوم أضاف عز الدين السيد قصة أخرى، حيث زعم أن مجموعة أبيل كانت تتمنى أن تتحطم طيارتهم. وأكثر من ذلك، قال إن المجموعة نظمت طقوساً تقليدية خصيصاً لذلك بحضور أبيل ألير نفسه. وادّعى أنهم ذبحوا عجلاً أسود ورموه في مياه النيل حتى يستجاب لدعوتهم، وتأكل الطيور لحومنا. وقال لي بعربي جوبا: (أوعك ما تشوف أبيل ده كده- هو كاين..).

*** افتتاح مجلس الشعب الرابع:-**

جاء الوقت الذي انتظرناه طويلاً. وفي صباح ذلك اليوم خرج الجميع في أجمل ملابسهم، بعضهم لحضور افتتاح مجلس الشعب الإقليمي الرابع، وآخرون لمجرد متابعة التطورات الجارية. أما النواب فسوف يشاركون في مداولات المجلس. وحتى الذين بقوا في منازلهم كانوا في انتظار تلك اللحظات التاريخية، ذلك اليوم التاريخي. اجتمعت مجموعتنا في منزل نيكولا أوبويا لمتابعة تطورات الموقف والتحرك من هناك كمجموعة إلى مجلس الشعب- وفي ذلك اللقاء اقترح جوزيف طمبرة أن يلبس أعضاء المجموعة قبعة مميزة كرمز وشارة هوية في مواجهة المجموعة الأخرى. وهذه القبعة أصبحت فيما بعد رمزاً للمجموعة، ووجدت بالفعل إعجاب وتقدير أهل الجنوب. ولكنها استفزت المجموعة الأخرى، لأنها لا تملك مثلها. وتصميم القبعة يشبه قبعات كان يلبسها الجنود الزاندي في عهد ملكهم العظيم، عمّ جوزيف طمبرة، بضوى Budwe (كان أيضاً يسمى يامبيو.) قام جوزيف بتوزيع القبعات على الأعضاء. أعطاني أجملها ووزع الباقي على الآخرين. ومن ثم تحركنا إلى المجلس في عدد من السيارات، تتقدمها سيارتي، وسيارة جوزيف في

مؤخرة الركب، كأننا في استعراض عسكري. ووصلنا إلى هناك قبل المجموعة الأخرى. نزلت من السيارة ووقفت أمام مدخل المجلس، بقبعتي الملونة التي لفتت أنظار الحضور- وبعد ذلك بدأ الأعضاء في الدخول لقاعة الاجتماعات. وفي النهاية جاء جوزيف طمبرة. فهمست في أذنه: (أرجو لك حظاً سعيداً- أجزم لك بأننا نملك أغلبية المجلس.) ثم تحركت إلى المنزل لمتابعة ما يجري من هناك- وكنت أهدف إلى إثارة فضول الآخرين بغيابي من حضور تلك الجلسة الهامة- وهناك علمت أن مجموعتنا دخلت القاعة قبل المجموعة الأخرى وجلس جميع أعضائها في جانب واحد- تاركين الجانب الآخر للأعضاء الآخرين، حفاة الرؤوس. وعلمت أيضاً أنهم دخلوا القاعة بنفس طريقتنا، حيث كان كلمنت أمبورو في المؤخرة- وعند دخوله أصابته الدهشة من منظر القاعة، حيث انقسم أعضاؤها بين أغلبية مميزة بقبعاتها الملونة تقف في جانب وأقلية بدون قبعات في الجانب الآخر- لم يكن يتوقع مشاهدة هذا المنظر الدرامي- لذلك أصيبت مجموعته بحالة من الاضطراب والفوضى. وبعد أن توقف للحظات قام خلالها بمعاينة ما يجري في القاعة، وانفجر كلمنت أمبورو قائلاً: (هناك مؤامرة تجرى في هذه القاعة.) فأجابه أحد أعضاء مجموعتنا بقوله: (ليست هناك أي مؤامرة. هناك أعضاء مجموعتنا بقبعاتهم المميزة يجلسون في هذا الجانب، بهدف تسهيل عملية التصويت. وإذا كان لك مؤيدون في وسطنا يمكنك أن تشير إليهم بالجلوس في الجانب الآخر- وأرجو أن تحترم نفسك ولا تتلفظ بتعبيرات لا تليق بجلال وعظمة هذا المجلس.) فأخذ كلمنت موقعه وسط مجموعته. وهكذا بدأ الاجتماع بدخول الجنرال قسم الله عبد الله رصاص، رئيس المجلس التنفيذي العالي المؤقت. بدأ بانتخاب رئيس مجلس الشعب الإقليمي. وبعدها قام الأخير بإدارة انتخابات رئيس المجلس التنفيذي العالي.

عند دخول الجنرال رصاص وضيفه الكبير القادم من الخرطوم، صمتت القاعة للحظات، ثم قام بقراءة أسماء المتنافسين على رئاسة المجلس. وهنا همهم كلمنت ثم اقترح إجراء التصويت بطريقة سرّية- ولكن المجموعة الأخرى أكدت أن

نظام التصويت يجب أن يكون واضحاً ومقنعاً لشعب الجنوب، أي برفع الأيدي أمام الناس. ووافق الجنرال رصاص على هذا الاقتراح. ثم طلب من النواب الوقوف عند سماع اسم المرشح الذي يؤيدونه- وكان واضحاً أين تقف الأغلبية. وأكثر من ذلك وقف معها بعض الذين كانوا في الجانب الآخر. وهكذا فاز ماثيو أبور برئاسة مجلس الشعب الإقليمي بأغلبية كبيرة. وبعدها أخذ موقعه كرئيس للمجلس للقيام بإجراءات انتخاب رئيس المجلس التنفيذي العالي والمواقع الأخرى- وتلك كانت ضربة أولى في رأس كلمنت أمبورو، استقبلها بصمت مثير- وبدأ شعوره بالهزيمة واضحاً للعيان. وتمت انتخابات رئيس المجلس التنفيذي بنفس الطريقة السابقة. وهكذا وجد جوزيف طمبرة نفس الأصوات التي وجدها ماثيو أبور- وبذلك كسبنا المعركة وبدأ الحضور في الخروج من القاعة- فما تبقى كان مجرد شكليات.

بعد عودتي للمنزل، جلست مع بعض الأصدقاء نتبادل أطراف الحديث ونحتسي بيرة باردة- وفجأة سمعنا أصوات طبول وغناء في الخارج، تؤكد انتهاء المعركة وفوزنا الكبير- واقتربت الأصوات، كانت تنطلق من بعض أنصارنا الذين ركبوا أحد اللواري وتحركوا به نحو موقعنا، وكانوا يعبرون عن فرحهم بهذا الفوز العظيم- وعندما توقف اللوري أمام الموقع سمعنا صوت آمنة إسماعيل، خالة آمنة، بنبراته المميزة. ووقتها تأكدت من فوز مرشحنا. نزل الجميع من اللوري بطبولهم وتوجهوا نحوي وظلوا يردّدون (مبروك. نهنئك بالفوز العظيم) باللغتين العربية والإنجليزية- وبعدها بدأت سلسلة مهرجانات واحتفالات استمرت لأكثر من أسبوع كامل. ووقتها سافرت إلى نمولي، موطني، لمواصلة الاحتفالات مع أهلي. وهناك سمعت بتعييني نائباً لرئيس الجمهورية في الساعة السابعة مساء يوم وصولي إلى نمولي- سمعت ذلك الخبر من أحد شيوخ قريتنا يدعى بلال بيتا- فقد جاءني مسروراً وقال لي (مبروك ليك.) فسألته ماذا يقصد ؟ هل تقصد فوز جوزيف طمبرة برئاسة المجلس ؟ فأجابني بقوله (لا. لقد تم تعيينك نائباً لرئيس الجمهورية..) فاندهشت. إذ أنني لم أعمل لذلك ولم أتوقعه. وبعد لحظات قليلة، جاءني ضابط

الشرطة وأكد لي صحة الخبر. وقال إن المجلس التنفيذي طلب منه تبليغي بخبر التعيين وضرورة حضوري في جوبا للسفر إلى الخرطوم في أسرع وقت ممكن- وعند صعودي لداخل الطيارة، وجدت أبيل ألير وزوجته. حاولت إخفاء وجهي والابتعاد عنهما. ولكنهما رأياني وتحركا نحوي وقاما بتهنئتي ثم عادا إلى مكانهما. كانا أفضل مني بالتأكيد. فشكرتهما وشعرت بغلطتي. فقد كان عليّ أن أحييهم عندما رأيتهما- وفي الخرطوم غادرنا المطار كأصدقاء وأخوان، وليس كخصوم سياسيين عادوا تواً من معركة ساخنة. ومن ثم انصرفنا إلى منازلنا في المدينة. وبذلك انتهى فصل هام من فصول صراعاتنا حول قيادة الجنوب.

في العاشرة من صباح اليوم التالي قمت بإجراءات أداء القسم، بحضور جوزيف طمبرة، الرئيس المنتخب، وماثيو أبور، رئيس مجلس الشعب، وعدد من أعضاء مجموعتنا (لجنة التسيير.) وقمت بمساعدتهم في تشكيل المجلس التنفيذي الجديد، حتى يكون ممثلاً لكل مناطق الجنوب. وتمت أيضاً إجراءات أداء القسم الخاصة بهم أمام رئيس الجمهورية حسب نصوص قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972- وبعد اكتمال الإجراءات عاد جوزيف طمبرة إلى جوبا لاستلام مهامه من الجنرال قسم الله رصاص.

في ذلك الوقت كان اهتمام مجموعتنا يتركز في مشروع تأكيد الشخصية الجنوبية وهويتها الإقليمية المتميزة. كنا نستهدف توسيع وتعميق هذا الهدف وتحريك كآفة قوانا السياسية للوقوف كهوية متميزة وشعب متميز في مواجهة الشمال المختلف. كنا نستهدف تعميق التوجهات الديمقراطية في الأوساط الجنوبية في مواجهة التوجهات الدكتاتورية في الشمال. وكنا أيضاً نعمل لتعميق اتجاهات الاعتماد على النفس والنظرة الداخلية وسط مجموعتنا في مواجهة اتجاهات المجموعة الأخرى المستندة على الشمال- فقد كانت ترى نفسها كجزء من الطبقة الحاكمة الشمالية وتستند عليها في بقائها واستمرارها، بينما كانت مجموعتنا تركز على العدالة والمساواة والمحافظة على الجنوب كهوية إقليمية متميزة- ولهذا السبب

بالتحديد وجدنا دعم ومساندة الوطنيين الجنوبيين في بحر الغزال وأعالي النيل، الذين رفضوا هيمنة قبيلة الدينكا وشوفينيتها، كما كان يعبّر عنها بونا ملوال وجاستين ياك. ولذلك جاء اختيار شاغلي المناصب الرئيسية الثلاث (رئيس المجلس التنفيذي العالي، ونائب رئيس المجلس ورئيس مجلس الشعب الإقليمي) ليمثل المديريات الجنوبية الثلاث.

*** زيارتي الأولى للجنوب:-**

بعد شهور من تعييني نائباً لرئيس الجمهورية، فكرت في زيارة الجنوب ومدنه الرئيسية مع جوزيف طمبرة، كإشارة لدعمه ومساندة حكومته الإقليمية- وأيضاً كرئيس للمجموعة التي اكتسحت الانتخابات، بهدف الدعوة للمصالحة والوحدة مع المجموعة الأخرى التي خسرت الجولة. وكنت أرى أن مثل هذه الخطوة قد تؤدي إلى تخفيف مرارات وإحباطات الخاسرين وتدعيم تماسك الإقليم كهوية موحدة. وهي تتماشى مع أسلوبي في التعامل مع خصومي. وكنت أذكر أنصارنا دائماً بإبداء روح التسامح والتصالح مع الخصوم. وذلك بعكس المجموعة الأخرى، عندما تحدثوا عن (العودة الظافرة) في إشارة إلى عودة أبيل لرئاسة المجلس التنفيذي. وكنت أؤمن بأن الله يقف مع الضعيف، وبالتالي يجب أن لا نخسرهم.

سافرت إلى جوبا في يوليو 1982 واستقبلت هناك استقبالاً كبيراً لم تشهد المدينة مثله من قبل- وعلمت مؤخراً أن المارشال نميري نظر إليه بقلق وانزعاج، خاصة أن التلفزيون قام بعرضه في برنامج خاص- ولكن ذلك لم يدهشني، لمعرفتي بتخوفه من اتساع شعبية الآخرين، حتى لو كانوا من وزرائه ونوابه- ويبدو لي أنه غير مستعد لتفهم وقبول احتمالات أتساع شعبية هؤلاء حتى في مناطقهم. ولكنه تجاهل اختلاف حالتي عن الآخرين، وذلك لأني أعتبر نفسي كحليف له، من موقع قيادتي لثورة الجنوب ولحركة تحرير جنوب السودان، مقارنة بموقعه هو كقائد لثورة مايو قبل اتفاقية 1972- ومعظم الناس في الجنوب كانوا ينظرون لي كبطل

وطني جنوبي، أكثر منه هو الذي قاتلهم بعنف وشراسة قبل اتفاقية السلام- وهنا أشير إلى ما فعله مع أبو القاسم محمد إبراهيم، زميله ونائبه، بعد الاستقبالات الحاشدة التي وجدها في زيارته للجنوب. ويبدو أن الرئيس كان يعاني من اختلالات عقلية ونفسية، أدت إلى افتتانه بالسلطة وتخوفه من وجود شخصيات قوية ومقتدرة حوله. وهذا هو السبب، حسب اعتقادي، الذي يدفعه لتغيير نوابه الواحد بعد الآخر. وفي وقت وجيز شعرت بأنه يخطط لإبعادي، ولذلك بدأت أتعامل معه بحذر ويقظة، وبدأت أيضاً في التفكير في العمل ضده، لأحذره بأنني (أستطيع ضربه أيضاً، فأنا لست صنيعه، بل نحن حلفاء، وإذا تجرأ وحاول أن يمسني بسوء فسوف أردّ عليه بعنف، يجب أن يعلم بأنني صخرة ضخمة لا يمكن تحريكها. وإذا تجرأ على ذلك، فسوف يكسر ظهره وينتهى، فالأفضل أن لا يحاول..) هكذا كنت أناقش نفسي.

لقد قادني تفكيري إلى قطع زيارتي للجنوب وحصرها في مدن معينة لها أهميتها الخاصة. فزرت توريت، منطقة قاعدتي والتي سميت عاصمة لمديرية شرق الاستوائية، بعد إعادة تقسيم المديريات الجنوبية، ومدينة جوبا، عاصمة الإقليم، تقع في حدودها- وبعدها زرت مدينة بور لأسباب ثلاثة محدّدة: أولاً لأنها بلد أبيل ألير، لأؤكد للناس هناك بأنه لن يكون هناك تغيير في سياسة الدولة تجاههم، سواء كان أبيل ألير أو أي شخص آخر في السلطة، وأن خلافي مع أبيل ليست له أي علاقة بشئونهم المحلية. ثانياً لأدعو من هناك للمصالحة والوحدة والتضامن بين أبناء الجنوب، فالمنطقة كانت موزعة بين مجموعتنا والمجموعة الأخرى. ثالثاً: لأكون قريباً من مالك Malek أول محطة إرسالية مسيحية أسسها مبشرون تابعون للكنيسة المسيحية الإنجليكانية في جنوب السودان. وبذلك يمكنني زيارتها، وهي منطقة يبجّلها الإنجليكانيون في الجنوب ويحجّون إليها لأسباب تاريخية ودينية. وبعدها مررت علي ملكال في طريقي للخرطوم، وذلك لمتابعة تدهور الأحوال الأمنية في شرق أعالي النيل وجونقلي. كنت أريد أن أتعرف علي ما يجري هناك عن طريق الاتصال بالمسئولين. ونتيجة لذلك استمعت لتقارير ضافية من المحافظ ولجنة أمن

المديرية، وبدا لي أن الأحوال ليست على ما يرام، وبالفعل لاحظت أنه كلما تكتسب الحكومة الأثيوبية احتراماً وتقديراً في حدودنا المشتركة معها، فإن العكس يحدث مع حكومتنا، فقد علمت أن الحكومة الأثيوبية الجديدة بدأت تركز اهتمامها على بعض المناطق المهملة، وأنها بدأت في تنفيذ مشاريع اقتصادية واجتماعية في المناطق المجاورة للحدود، وعلمت أن هذه السياسات كان لها تأثير قوي وسط المجموعات القبلية الموزعة بين البلدين. وهكذا بدأت تفضل الانتماء لأثيوبيا على حساب انتمائها السوداني. وفي الوقت نفسه لم تكن هناك سياسات مماثلة داخل الحدود السودانية، بل كانت هناك سياسات منفرّة- فعمليات (الكشة) سيئة السمعة كانت تتواصل بشكل واسع في المدن والمراكز الحضرية في الشمال. وكانت تستهدف في الأساس تفريغ هذه المدن والمراكز من العاطلين وشبه العاطلين عن العمل والعاملين في النشاطات الهامشية، بحجة أنهم يمثلون عنصر فوضى وإزعاج- وتركزت الحملات، بشكل رئيسي، على ذوى البشرة السوداء الفقراء من أبناء الجنوب والغرب ومناطق أخرى. وبالتالي طردهم في مجموعات كبيرة بدلاً من جذبهم وتوطينهم في مشاريع منتجة- وكان طبيعياً أن يتحول هؤلاء المبعدون إلى مجموعات من الساخطين والحاقدين المتسكعين في مناطق الجنوب المختلفة، وخاصة في المناطق النيلية- وأدى ذلك إلى خيبة أمل وإحباط وأسع وسط مجموعاتهم القبلية، التي كانت تتجه للشمال من أجل تحسين شروط حياتها منذ فترة الحكم الكولونيالي، بعكس قبائل الاستوائية التي كانت تتجه لبلدان شرق أفريقيا.

تلك كانت الحالة العامة هناك عند زيارتي الأولى للجنوب بعد تعييني نائباً لرئيس الجمهورية، فطلبت من محافظ أعالي النيل كتابة تقرير مفصل، أخذته معي وقدمته لرئيس الجمهورية. مع رؤيتي وتحليلي الخاص للموقف. وطرحت وقتها أيضاً مشكلة (الكشات) في إحدى اجتماعات لجنة الأمن القومي. وتمت مناقشتها بشكل واضح وصريح- وجرى اتفاق عام بأنها لا تخدم الأهداف المعلنة، بل تؤدى إلى مزيد من التفتيت والانقسامات والفوضى دون مبرر مقنع- ونتيجة لذلك توقفت

عمليات الكشة لبعض الوقت، ولكنها عادت بعد أسابيع قليلة، وكنت أعتقد أنها ستتوقف بشكل نهائي.

وفي جوبا علمت في يوم وصولي هناك بمشاجرة وخلاف بين نائب رئيس المجلس العالي، دول أشويل، ورئيس مجلس الشعب الإقليمي، ماثيو أبور، حول إجراءات بروتكولية، وكانت تتعلق بوضع السيارات في الموكب الذي تبعني من المطار حتى بيت الضيافة داخل المدينة- ونتيجة لذلك ولأسباب أخرى، قاطع رئيس مجلس الشعب كل المناسبات التي أقيمت على شرفي خلال تلك الزيارة- ولم أهتم بالمشكلة وقتها، ولكن في وقت لاحق شعرت بمشاركتي في إحداث هذا الخلط والتشويش- فموقع نائب الرئيس صنعته بنفسي لأحرم كلمنت أمبورو من احتلال الموقع الثاني في البرتوكول الحكومي، وكان المفترض أن نعيد لرئيس المجلس حقوقه في المناسبات الاحتفالية ونترك نائب الرئيس للأمور الإدارية. وعلي كل، فقد تصالح الرجلان في وقت لاحق وانتهت المشكلة. وكل منهما له مزاياه وإمكانياته القيادية. فدول أشويل يتميز بهدوئه ووسامته وبيانه الساحر، وماثيو آبور له مزاياه أيضاً في الفصاحة والخطابة. وتحركاتهما في المدينة كانت، علي الدوام، تثير اهتمام الرئيس نميري، المتعطش للسلطة، ونائبه عمر محمد الطيب، المعتز بنفسه والطموح وأجهزة أمنهم المتعددة- وفي هذا الإطار كتبت أجهزة الأمن تقريراً سلبياً عن مشاركتهم في تجمع طلابي في جامعة الخرطوم. وقامت باعتقالهم من الفندق وأرسلوا إلي سجن كوبر المركزي. وهناك قابلوا أصدقاء جدد: الصادق المهدي وزملاؤه وغيرهم. وبذلك تحصلوا علي مؤهل هام في العمل السياسي، شهادة تخرجهم من سجن كوبر، حيث أطلق سراحهم بعد حوالي شهرين في المعتقل.

*** فترة التوتر والاضطرابات:-**

الشهور الأخيرة لعام1982 وبداية عام1983 تمثل بداية فترة توترات واضطرابات واسعة في السنوات الأخيرة للنظام المايوي. فقد شهدت تلك الفترة انقسامات واسعة وعميقة وسط المجموعات السياسية الجنوبية ومناقشات ساخنة بين

المؤيدين والمعارضين للامركزية. وجوزيف طمبرة كانت له مساهمته في تلك المشاكل. فقد كانت هناك خلافات وسط مجلسه التنفيذي العالي، بين المتطرفين من أبناء الاستوائية وأعالي النيل، الذين يريدون تقسيم الجنوب فوراً إلي عدة أقاليم، من جهة، والمعتدلين من أبناء دينكا بحر الغزال المعارضين لهيمنة وشوفينية الدينكا والمطالبين بلا مركزية واسعة تتم بطريقة تدريجية، كما أعلن في ميثاق مجموعتنا أثناء معركة الانتخابات- وبذلك وجدت نفسي موزعاً بين موقفين داخل مجموعتي- وفي النهاية وقفت بجانب المعتدلين وأخبرت صمويل أرو بأنني سأعمل للمحافظة علي وحدة الجنوب، بجانب موقف الوطنيين الرافضين للهيمنة. وسردت عليه قصة مشكلة في أسرتنا، وكيف أن عمّي وأني لو تغلّب علي حماقة والدي وغضبه وحافظ علي وحدة أسرتنا الكبيرة، سلالة أجو. فقد وصل والدي إلى مولي Moli من نمولي، بعد سماعه بوفاة عمه الأول، أبن ساي Seyi، من أحفاد بتيا، بسبب الجوع، نتيجة لإهمال والده وأخيه. ووصل وأني أيضاً من توريت لنفس السبب- وتمكن الأخير من امتصاص غضب والدي وإقناعه بالتراجع عن اتخاذ أي خطوات حمقاء- ومن ثم حافظ علي وحدة الأسرة. وقلت لصمويل أن موقف الدينكا المعتدلين يشبه موقف عمّي وأني لو- فقد جعلوني أتراجع عن الوقوف بجانب الاستوائيين المتطرفين. وبجانب ذلك، حذرني اثنان من الأصدقاء والزملاء الشماليين، أبو القاسم محمد إبراهيم وأحمد عبد الحليم، حذروني بأن لا يتحوّل موضوع اللامركزية إلى سبب لتقسيم الجنوب. وقالوا لي إن اتفاقية أديس أبابا هي أكبر إنجازاتي، ويجب أن لا أكون سبباً في تمزيقها- وتفهمت نصيحتهم وعملت بها- وكان أليابا سرور، نائب رئيس المجلس الإقليمي، وأوليفر باتالي ألبينو، يقودون مجموعة الاستوائيين المتطرفين- أما مجموعة أعالي النيل، فقد كان يقودها دانيال كوت، عضو المجلس التنفيذي العالي، بينما كان دول أشويل، نائب رئيس المجلس العالي، يقود المعتدلين- ونتيجة للأسباب التي أشرت إليها قبل قليل، وقفت مع دول أشويل. وعلي ضوء ذلك، قمت بكتابة مذكرة لرئيس الجمهورية حول

اللامركزية، عبرّت فيها عن موقف وأفكار المعتدلين، الذين كانوا يمثلون غالبية أعضاء مجموعتنا- وكان علي جوزيف طمبرة أيضاً أن يقف موقفاً متوازناً في اجتماع اللجنة المركزية، الذي سبق إعلان الأمر الجمهوري في سنة 1983- ولكنه كان غامضاً في موقفه ولم يضع أي توصيات محدَدة، رغم اجتهاده للتعبير عن ميثاق المجموعة في فترة الانتخابات. ومع ذلك اتهمه منافسون داخل مجموعة الاستوائية، خاصة أوليفر البينو، اتهموه معي باللّيونة والميوعة والخضوع للضغوط- وادّعوا أننا نعمل للمحافظة علي مواقعنا دون اهتمام بالقضية العامة ومصالح الآخرين.

وفي الجانب الآخر، كان الرئيس نميري، بمنهجه الميكافيللي، قد بدأ عملياً في إحداث انشقاق بيني وبين جوزيف طمبرة- ولاحظت ذلك قبل رحلته إلى كوريا الجنوبية، عندما سألني بشكل عرضي (ماذا بينك وبين طمبرة؟) فاندهشت لسؤاله، وقلت له:- (حسب علمي ليس هناك أي مشاكل بيني وبينه) وعندما أخبرت طمبره بذلك، كان هادئاً ولم يهتم بحديثي. وهو موقف غريب، في التعامل معي منذ أن بدأنا العمل معاً- ووقتها تأكدت أن الرئيس قد تحدث مع جوزيف لتخريب علاقتنا، تماماً كما ظل يَفعل مع كل من حوله. وتأكدت أيضاً أنه وجهه بالابتعاد عني والتعامل معه مباشرة، كما حدث معي في علاقتي مع أبوالقاسم، النائب الأول في تلك الفترة- ياله من موقف متناقض مع مواقفه السابقة! هذا الشخص الذي وحّد البلاد وأوقف الحرب الأهلية يقوم الآن بما يعاكس مواقفه السابقة، أنه الآن يزرع الحقد والكراهية ويدفع مساعديه لصراعات لا معنى لها!! من يفعل ذلك لا يمكن أن يكون شخصاً سوياً- إنه شخص مضطرب، يقول شيئاً اليوم ويناقضه في اليوم التالي- وخير دليل على ذلك توبيخه وإرباكه للسيد/شيخ إدريس مناع، معتمد العاصمة وقتها، في إحدى اجتماعات الاتحاد الاشتراكي بقاعة الصداقة- فقد سأل السيد مناع بقوله (يامناع عملت ليك محطة جمارك في كبرى النيل الأبيض لمنع دخول الخمور لمدينة أمدرمان؟ ليس هناك خميني في السودان.) وبعد شهور قليلة

أعلن قوانين الشريعة الإسلامية في كل السودان ومنع تداول الخمور والمشروبات الروحية! وبذلك أصبح هو نفسه خمينى السودان! وفى الفترة اللاحقة أصبح عصبياً في تعامله، يتحدث بشكل عفوي وبألفاظ غير لائقة دون تقدير لتأثيراتها على الناس بشكل عام والمتأثرين بها بشكل خاص.

في هذا الأثناء تواصلت المناقشات حول اللامركزية في الجنوب- وفى النهاية قدم جوزيف طمبرة وجهة نظر حكومته في الموضوع في اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي في الخرطوم، انطلاقاً من ميثاق المجموعة في فترة الانتخابات- ومن جانبي دعمت موقفه هذا بمذكرة لرئيس الجمهورية، بصياغة دقيقة ومحكمة باللغتين العربية والإنجليزية، وذلك في نهاية فبراير 1983- وساعدني د0 حسن عبد الله الترابي، مساعد الرئيس، في صياغتها بطريقة قانونية. وهذه المذكرة يجدها القارئ في ملاحق هذا الكتاب.

كان تقديرنا يشير إلى أن نميري سيحاول التلاعب بموضوع اللامركزية واستغلاله لحلّ الأزمة السياسية الجارية في الجنوب- ولكن رئيس مجلس الشعب القومي، عزالدين السيد، ونائبه الأول، عمر محمد الطيب، نصحوه بعدم التورط في ذلك. ومن جانبي، لم استبعد تأثيرات العناصر الانتهازية على موقفه- ومع كل ذلك، هناك أيضاً قدرات نميري على المناورة والتلاعب بالتناقضات لزرع الأحقاد والمرارات بين السياسيين الجنوبيين. ووقتها لم يكن راضياً عن أي منا، خاصة أبيل ألير وشخصي- ففي إحدى اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، طرح بعض الملاحظات ولم تكن متضمنة في خطابه الأصلي، حيث قال: (لقد لاحظت ذلك في وسطهم. هناك من أصبحوا سيئين مرة أخرى. ولكننا لم نتخذ أي إجراء ضدهم حتى الآن. سنواصل متابعتهم لفترة أخرى بهدف إصلاحهم...) وجاءت هذه الفقرة في معرض حديثه عن الوضع الأمني في الجنوب. وكل الحضور كان يعلم أنه يقصد السياسيين الجنوبيين بشكل عام وشخصي بالتحديد. فقد كنت الجنوبي الوحيد الذي يجلس بجانبه، وجوزيف طمبرة في مقاعد حكام الأقاليم. وقبل الاجتماع

قدمت له تقريراً حول مشكلة الكشات وتحدثت ضدها بشكل علني بعد زيارتي للجنوب. وفى وقت لاحق طرحت المشكلة في لجنة الأمن القومي، برئاسة عمر محمد الطيب، بل سجلت بعض الملاحظات ومرَّرتها على بعض الوزراء للمشاركة في دعم وجهة نظري- وعندما طرح الرئيس تلك الملاحظة، شعرت بضيق شديد- ولكني لم أتراجع عن موقفي، بل واصلت الدفاع عن وجهات نظري بما يرضيني أمام نفسي وأمام التزاماتي السياسية والوطنية.

واصلت متابعتي للوضع السياسي العام، ولاحظت بعض التطورات السالبة الجارية وسط القوات المسلحة. كانت العناصر المحافظة تخطط للعودة للوراء، لفترة ما قبل اتفاقية السلام. فبدأت تعمل للاستفادة من وضعية الاضطرابات الجارية في الجنوب وحالة التشويش وعدم الاستقرار التي يمرّ بها الرئيس نميري- وأصبحوا ينظرون لغلبة العناصر الجنوبية في القسم الأول، وازدياد أعدادهم في القوات المسلحة بشكل عام، كوضع شاذ يجب تغييره. وهكذا بدأوا يضغطون على نميري للتراجع عن أهم إنجازات اتفاقية أديس أبابا وأكثرها حساسية: الإجراءات والترتيبات الأمنية. وذلك في إطار خطة تستهدف إضعاف التأثير الجنوبي في الحاميات العسكرية في الجنوب، عن طريق نقل الوحدات الجنوبية إلى الشمال. وفى موازاة ذلك، كانوا أيضاً يخططون لإبعاد الضباط الجنوبيين، ضباط الأنيانيا، بشروط صعبة تشمل التعليم والتدريب وغيرها- ومن ثم إبعاد أعداد كبيرة منهم بدعوى عدم قدرتهم على مواكبة التطورات الجارية في بنية القوات المسلحة. وكان الجنوبيون يتابعون هذه التوجهات بوعي ويقظة تامة.

هكذا بدأت الأوضاع الأمنية في الجنوب تتدهور إلى الأسوأ، مع نجاح هذه العناصر في كسب الرئيس نميري في تنفيذ خططها. وكان وقتها يقوم بأعباء وزارة الدفاع- وبدأت بإدخال تقليد تغيير الوحدات بين فترة وأخري- وهو تقليد قديم، أوقف مع تنفيذ اتفاقية السلام في 1972. ولكن العناصر الجنوبية في القيادة العسكرية الجنوبية كانت تنظر إلى هذا التحويل كتبرير لأضعافها وتشتيتها بهدف

إضعافهم سياسياً وعسكرياً في بلد ظلّت القوات المسلحة تلعب دوراً هاماً في تطوره السياسي، وبالتالي إبعادهم وتصفية وجودهم وتأثيرهم- وامتدت هذه النظرة السلبية إلى مجموعات السياسيين والشارع الجنوبي بشكل عام- والأسوأ من ذلك، أن نقل الوحدات الجنوبية للشمال أعاد إلى أذهانهم ما حدث لقوات الاستوائية التي لم تشترك في تمرد 1955. فقد نقلت إلى الشمال. وهناك تم توزيعها على الوحدات الشمالية. ومن ثم تشتيتها وتصفيتها- هكذا، بدأت تزداد شكوك ومخاوف الجنوبيين داخل القوات المسلحة وخارجها. وأصبحوا ينظرون إلى هذه التوجهات كخطة ماكرة تستهدف العودة لأوضاع ما قبل 1972. ولذلك لم تجد فكرة تغيير الوحدات بشكل دوري أي ترحيب من جانبهم. ومع متابعتي لتدهور الموقف، بدأت أعمل لكسب دعم ومساندة النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذي العالي- وبالفعل قمنا معاً بمقابلة الرئيس في مجلس الوزراء ونصحناه بعدم نقل الوحدات الجنوبية للشمال لتأثيراتها الخطيرة على الوضع الأمني في الجنوب. فتظاهر بموافقته على طلبنا. وقام في الحال بتوجيه نائب رئيس هيئة الأركان للإدارة بإلغاء المشروع كلية- وساعتها شعرنا جميعنا بالارتياح وسررنا لنجاحنا في مهمتنا بهذه السرعة والسهولة. ولكن، بعد أسابيع قليلة، علمت أن خطة النقل ظلت قائمة ولم يحدث فيها أي تغيير. فأصبت بالدهشة والإحباط وفقدت الرغبة في القيام بأي مبادرة أخرى لاحتواء هذه الأزمة الوشيكة الانفجار.

في أويل تدهورت الأحوال إلى الأسوأ نتيجة لتدخل العميد البينو أكول أكول (من قوات الأنيانيا السابقة ومن أبناء المنطقة) الذي شجع الكتيبة للتحرك إلى مدينة نيالا بجنوب دارفور، حسب الخطة المحدّدة. وفى بور سارت الأمور بشكل مختلف- فقد كانت هناك أسباب أخرى ساعدت على تعقيد الوضع، بجانب أوامر النقل- وأهمها حدوث خلافات حول مسائل مالية بين الجنرال صديق البنا، قائد قوات القسم الأول في الجنوب، والمقدم كاربينو كوانين بول، قائد الكتيبة 105 هناك- فقام الأول باستغلال موقعه واتهام الأخير بالتمرد والفساد وأمر باستخدام

القوة لاعتقاله ونقل الكتيبة للشمال. وجاء إلى الخرطوم يبحث عن دعم ومساندة لموقفة. ونتيجة لذلك عقد اجتماع في رئاسة القوات المسلحة لهيئة الأركان، برئاسة نميري وحضور نائبه الأول، عمر الطيب، وجوزيف طمبرة، رئيس المجلس العالي، وشخصي (بعد أسبوعين من مقابلتنا للرئيس بشأن نقل الوحدات الجنوبية للشمال.) وفى هذا الاجتماع قدم ضباط المخابرات والعمليات وصفاً مفصلاً للحالة هناك، مع توصيات محدّدة، ومن ثم قدم نائب رئيس هيئة الأركان للعمليات تلخصاً للموقف دون أي توصيات. أما مسئول الخدمات اللوجستية، فقد أوصي بالاقتصاد في استخدام القوة (كان ذلك في مصلحة القائد الذي جاء إلى الخرطوم أساساً لطلب استخدام القوة.) ومن جانبي أكدت أنه ليس هناك إمكانية لاستخدام القوة بشكل محدود. قلت (بمجرد إطلاق النار من الصعب السيطرة على حدودها- سوف يتسع استخدام السلاح وينتشر كانتشار النار في الهشيم.) أما الرئيس، فلم يستبعد استخدام القوة. ولكنه حذر من استخدامها، حيث قال: (يجب أن تأخذوا حذركم من استخدام القوة، خاصة إذا كانت هذه القوة من الشمال. فالجنوبيون، بما في ذلك رئيس المجلس العالي، سيقفون مع أهلهم وأبنائهم، بحجة أن الشماليين قد عادوا مرة أخرى لاحتلال بلادهم.) ولكني فهمت أنه يقصد نائب رئيس الجمهورية وليس رئيس المجلس التنفيذي. وهكذا انتهي الاجتماع بتعليق الرئيس على المناقشات. وبعدها خرجنا ثلاثتنا: عمر وطمبرة وشخصي، وتركنا الرئيس وهيئة أركانه، الذين ساروا في خطتهم باستخدام القوة بشكل محدود.

وفى 16 مايو 1983، هوجمت حامية بور بقوة تتكون من قوات شمالية، بشكل رئيسي، ويقودها الكولونيل دومينيك كاسيانو (ضابط جنوبي من قوات الأنيانيا السابقة.) وذلك بهدف اعتقال المقدم كاربينو كوانين وإجبار كتيبته على التحرك إلى مدينة شندي في الشمال- ولكن ذلك لم يتحقق. فقد أدي استخدام القوة إلى إشعال أزمة جديدة، امتدت إلى حاميات أيود Ayod وبيبور في مديرية جونقلي. وامتدت أيضاً إلى مديريات أعالي النيل والبحيرات وبحر الغزال- وبذلك لم يحقق نميري

وهيئة أركانه أهدافهم المعلنة. والأزمة التي انفجرت باستخدام القوة لم تنتهي، بل تواصلت، بدأت في بور وتطورت إلى ظهور حركة مسلحة جديدة، أسمت نفسها حركة تحرير شعب السودان وجيش تحرير شعب السودان SPLM/SPLA- وأعلنت الحركة بيانها (المنفستو) وضمنته أهدافها وخططها.

*** الأزمة السياسية :-**

ظهور أزمة بور وتداعياتها ترافق مع الأزمة العامة في البلاد ككل- وفى الجنوب كانت المجموعات السياسية تنظر إليها من زوايا مختلفة. فالمعارضون للامركزية رحبوا بما حدث، كوسيلة للضغط على الخرطوم وإرباك الرئيس في خطواته تجاههم- أما المؤيدون للامركزية، فقد شعروا بأن الدينكا، وخاصة دينكا بور، سيقومون بتحويل الحركة المسلحة الجديدة إلى حركة قبلية، بهدف مواصلة مشروع هيمنتهم وسيطرتهم على السياسة الجنوبية. ونتيجة لذلك أبعدوا أنفسهم عن هذه الحركة، واعتبروها حركة قبلية ضعيفة، خاصة وهم يشاهدون قيادات الدينكا وأنصارهم في تنظيم جبهة الجنوب يهربون إلى داخل الغابات وخارج البلاد للانضمام للحركة. وفى هذا الاتجاه، بقي أبناء الاستوائية، مركز الدعوة للامركزية، بعيدين عنها لوقت طويل ولم ينضم إليها من أوساطهم سوي الانتهازيين والمنافقين، بهدف الاستفادة من صعودها السياسي والعسكري. فجوزيف أدوهو، الذي فقد مقعده في الانتخابات الأخيرة، كان السياسي الاستوائي البارز الوحيد الذي سارع بالانضمام لصفوفها. وفى وقت لاحق أكد لي أنه فعل ذلك بسبب مضايقات عملاء الأمن وسط الجنوبيين، وأشار بالتحديد إلى أوليفر بنجامين- ومن ناحية عملية، وجد أدوهو نفسه كشخص غريب وسط أبناء أعالي النيل، المؤسسين للحركة الجديدة.

ومن جهة أخري، ظل نميري وأعوانه يتابعون ما يجري في الجنوب باضطراب واضح- وبدلاً من الوقوف مع أنصار اللامركزية والعمل على عزل قيادات الحركة الجديدة، قامت الحكومة بخطوات سريعة وعنيفة، وبدت كأنها تقود حرباً شعواء ضد (الانفصاليين في الجنوب-) وبذلك وضعت أنصار اللامركزية

بين خيارين أحلاهما مرّ- ونتيجة لهذه الورطة اضطرب تفكيرهم وفقدوا القدرة على تحديد موقف متوازن. ومن هنا جاء ابتعاد أبناء الاستوائية عن حركة تحرير شعب السودان في بدايتها وتركز نفوذ الأخيرة وسط القبائل النيلية في مديريات أعالي النيل وبحر الغزال، المندفعة وقتها للتمرد والثورة بحكم ظروف وأسباب عديدة (في فترات سابقة كانت النخبة الشمالية الحاكمة تعتبر القبائل الاستوائية مصدراً أساسياً للتمرد والثورة في الجنوب.) ولكن بعد عامين من انطلاقتها، تمكنت الحركة من دخول الاستوائية والسيطرة على مناطق كبيرة في الإقليم الجنوبي. وما كان ذلك ليحدث لولا ابتعاد الناس واتساع شكوكهم حول نوايا الحكومة ومقاصدها.

***العقيد جون قرنق والحركة:-**

كان العقيد جون قرنق في إجازته السنوية في مدينة بور، موطن أهله- وجاء إلى هناك بعد سنوات أربع، قضاها في الولايات المتحدة لدراسة الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي بجامعة لوا Lowa- وقبل سفره إلى هناك، اتصل بمكتبي لشكري على ما اسماه مساعدته في إكمال دراسته وقدم لي نسخة من رسالته الجامعية وكانت حول مشروع قناة جونقلي وتأثيراته في المنطقة- فشكرته وعبّرت له عن سروري برؤيته مرة أخرى في بلده وهو يحمل مؤهلاً علمياً عالياً. وقلت له أن نجاحه هذا يرجع إلى كدحه ومثابرته وليس إلى غيره. فقال لي: (على الأقل انك لم تقف في طريقي، وكان بإمكانك أن توقف سفري). وذكرني بأنني لم أبدي حماساً لبعثته الدراسية الأخيرة، مقارنة بحماسي للكورس العسكري السابق الذي تلقاه أيضاً في الولايات المتحدة .

كنت أشك في أن جون قرنق قد خطط للانضمام للمقدم كاربينو كوانين في تمرده الأخير- إذ لم يكن هناك وقت كافي للقيام بمثل هذا التخطيط- فقد كانا بعيدين عن بعضهما ولم يلتقيا إلا في عشية أحداث بور- وعلى كل حال، كان تحركه في وقت مناسب ليدّعي بأنهما قد قاما معاً للتخطيط للثورة والتمرد- وظهر ذلك في حديث بعنوان (جون قرنق يتحدث لـــ هيرتدج Heritage) أعدّه أروب مادوت

ونشر في المجلة في نوفمبر 1987- وهيرتدج مجلة ناطقة باسم بحر الغزال وكانت تصدر من الخرطوم- ومع ذلك، فقد جاءت الأخبار الأولى حول جون قرنق من مدينة بور، عندما كانت القوات المهاجمة تقترب من الحامية- وقيل وقتها أنه حاول التوسط بين المهاجمين والمدافعين لحلّ المشكلة سلمياً. وعندما فشلت محاولته أصبح يتعاطف مع الكتيبة 105. المهم أن هذه الكتيبة هي الوحدة التي بدأ فيها عمله بعد استيعابه في القوات المسلحة، ومنها نقل إلى ملكال ثم إلى واو- وكان معروفاً وسط رجالها أكثر من كاربينو الذي نقل إليها من حامية أويل- وهذه العلاقة القوية كان يمكن أن تساعد فعلاً في حلّ المشكلة، إذا كنت أعلم بوجوده هناك في ذلك الوقت، وإذا كانت رئاسة القوات المسلحة تستمع لنصائحي. ولكنهم لا يسمعون. وجون قرنق قام بما كان يرى أنه مناسب، كما أخبرني في أول لقاء معه بعد تلك الأحداث. فقد أخــبرني، في أديــس أبــابا في 11 يونيو 1987، أنه لم يخطط لما حدث في بور- وكل ما حدث كان بمحض الصدفة، أثناء إجازته هناك. وقال إن اللواء صديق البنا، قائد قوات القسم الأول، بلّغه باحتمال حدوث مشاكل في حامية بور ونصحه بعدم السفر إلى هناك حتى تتضح الأحوال، ولكنه لم يوجهه بتعليمات أو أوامر محدّدة- وفي تلك الحالة، شعر بضرورة السفر إلى بور بسبب وجود أسرته هناك. وعندما بدأ الهجوم على ملوال شان Malwal Chan، موقع الحامية جنوبي المدينة، حاول تهدئة الأحوال بجهده الشخصي. وهذه الرواية تؤكد ما جاء في أول تقرير اطلعت عليه حول دوره هذا- وفي البداية كان مع قائد وحدة شمالية، هو الرائد زين. وحسب روايته أن هذا الرائد كان يعسكر في مؤخرة الكتيبة، بهدف منعها من التراجع والانسحاب. وقال أنه طلب منه تأكيد عدم رغبته في صدام غير ضروري. وبعد جهد علم جون قرنق أن أوامر الهجوم قد صدرت من جهة أعلى. ولذلك شعر بعدم جدوى محاولته للتوسط وحلّ المشكلة سلمياً- وأضاف أن نائب الرئيس السابق، أبيل ألير، نفسه كان يتصل بالرائد زين، ويلعب معه الكوتشينة في بعض الأحيان، لمدة يومين. وقال: (كنت استهدف احتواء الرائد وجعله أقل اهتماماً

بالأوامر الصادرة من جوبا أو ملكال، وبالتالي تأخير هجومه على الكتيبة 105 من المؤخرة). وعندما تمكنت الكتيبة من تأمين انسحاب منتظم، شعر بأنه قد نجح في إنقاذ قوات الكتيبة. وبعد ذلك اقترح للسيد/ ألير أن يهربا مع قوات الكتيبة، لكنه رفض. ولذلك قرر جون قرنق الهروب مع أسرته في سيارة لاندروفر إلى الحدود الأثيوبية عبر كنغور- وهناك انتظر وصول القوات الهاربة بعد أن قام بترتيب دخولهم مع الموظفين الأثيوبيين. وبعد وصولها قام بإعادة تنظيمها واستلم مهام قيادتها، بحكم أسبقيته على كاربينو. وبعدها بدأ يبحث في الحصول على دعم ومساندة أثيوبيا.

في تلك الفترة كانت علاقات السودان مع أثيوبيا وليبيا متوترة لحدود بعيدة. ولذلك كان جون قرنق وقواته يمثلان هدية من الله لزعيم أثيوبيا، منقستو هيلي مريام، والزعيم الليبي، معمر القذافي...هدية ثمينة (الله جابها) دون أي جهد يذكر- ولذلك رحبت به أثيوبيا وقدمت له تعزيزات وإمدادات مناسبة. وفي وقت لاحق وصلته إمدادات كبيرة من ليبيا وإثيوبيا، بالإضافة إلى دعم مالي بالعملات الصعبة من الأولى وتسهيلات في التدريب والتسليح من الثانية.

* تداعيات ونتائج أحداث بور:

بعد أحداث بور لم يشهد الرئيس نميري ونظامه أي قدر من الراحة والاطمئنان. فقد فشلت عملية الهجوم على الحامية في تحقيق أهدافه المتوقعة. ومن جهة أخرى خسرت الحامية بعض عناصرها، ولكنها تمكنت من الانسحاب ولحقت بها وحداتها الفرعية في أيود وبيبور، ودخلت أثيوبيا وبدأت في إعادة تنظيم نفسها- وكان ذلك سبباً كافياً لأن يقوم نميري بهجوم سياسي ودبلوماسي واسع- فأعاد تعيين أبيل ألير، وزير الأشغال والتشييد، ودعى وزير الدفاع الأثيوبي لزيارة السودان- وذلك بهدف طلب مساعدة الحكومة الأثيوبية في إعادة القوات المتمردة أو تجريدها من السلاح ومنعها من ممارسة أي تخريب في المناطق الحدودية- وقام الجنرال عمر الطيب، النائب الأول، بدور المضيف نيابة عن الرئيس. ولم أشارك في أي

مناسبة نظمت على شرف الضيف الزائر، بل لم أره قط- ولكن عمر الطيب حدثني عن شخصيته بطريقة تستهدف تخويفي وإرهابي، حيث قال لي: (هذا الوزير ليس شيوعياً مثل منقستو. هو مسيحي جيد، والمتمردين سيعادون للسودان ليواجهوا محاكمة عادلة.) ولم أعلق على حديثه، بل كنت أستمع فقط. فقلت في نفسي: (يكون الشخص مسيحياً جيداً إذا فعل ما يريدون.) ومن جانبي وجدت نفسي أقف عاطفياً ووجدانياً مع قوات الكتيبة 105. فهم رجالي، ولا أريد أن أراهم هنا ليقفوا أمام محكمة، كما يتمنى عمر محمد الطيب. ولذلك اتخذت موقفاً عملياً واتصلت بالسفير الأثيوبي، لأشرح له النوايا السيئة التي تقف وراء زيارة وزير الدفاع وإغراقه في كرم بذخي لا حدود له- وأخبرني أن حكومته ليست ساذجة، كما يظن نميري ونائبه، بحيث يمكن خداعها بهذه الطريقة الرخيصة. ووقتها تأكدت أنهم لن يعيدوا القوات الهاربة إلى الخرطوم. على كل حال، لا أستطيع أن أقول شيئاً عن نتائج تلك الزيارة وتأثيراتها على الرئيس نميري. وبعد نهاية الزيارة، عقد مؤتمراً صحفياً، مباشرة بعد أداء أبيل ألير للقسم في القصر الجمهوري لاعادة تعيينه وزيراً، وذلك في يونيو 1983. وفي هذا المؤتمر أعلن نميري بطريقة غير متوقعه تصوره للامركزية في الإقليم الجنوبي- وبذلك قام عملياً بتمزيق قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972 واستبدلها بالأمر الجمهوري رقم 1 لسنة 1983، الذي أصدره بأمر مؤقت. ونتيجة لذلك أصبحت مديريات الجنوب تخضع لقانون الحكم الإقليمي لسنة 1980 مع المديريات الشمالية الست. وفي تبريره لاعادة تقسيم الإقليم الجنوبي إلى ثلاثة أقاليم، أكد الرئيس أنه أجبر على اتخاذ هذا القرار لإقصاء الذين يريدون فرض إرادتهم على الآخرين بالقوة. وذلك في إشارة واضحة إلى الذين كانوا يعارضون اللامركزية. فبعض هؤلاء كان يتحدث بلغة الحرب ويثيرون ضجيجاً عالياً، بما يشير إلى ارتباطهم بالقوات المتمردة واستنادهم إلى قوة مسلحة (في الواقع لم تكن لهم صلة بتلك القوات.) وفي هذا المناخ المضطرب اتخذت موقفاً مستقلاً يعبر عن أفكاري ورؤيتي. إذ لم يكن من الممكن أن أقف مع الرئيس الذي

أصبح منحازاً ضد السياسيين الجنوبيين، بما في ذلك شخصي، واعتبارهم مجرد أدعياء- كما لم يكن ممكناً أن أقف مع أولئك المهرجين، الذين كانوا في السابق (أبناء طيبين) في نظر السياسيين الشماليين، ثم تحولوا فجأة إلى جنوبيين وطنيين- هكذا أصبحت متحفظاً تجاه هذين الموقفين. ولم يكن أمامي أي خيار آخر- وفي وقت لاحق، قمت بترشيح أسماء لتولي مناصب حكام الأقاليم الجديدة:- لورانس وول، بحر الغزال، دانيال كوت، أعالي النيل، وبالطبع جوزيف طمبرة، الاستوائية. وبعد هذا الحلّ المؤقت لمشكلة اللامركزية، كانت هناك مشاكل عديدة تحتاج حلولاً عاجلة، وأهمها إعادة ترتيب الإدارة في ملكال وواو.

*** لجنة اللامركزية:-**

قام الرئيس نميري بتعيين لجنة اللامركزية، برئاسة عمر محمد الطيب، بجانب أوليفر باتالي ألبينو ومقرر (قمت بترشيحه.) وكنت عضواً عادياً في هذه اللجنة، مع أن كثيرين توقعوا تعييني رئيساً لها، بحكم موقعي كممثّل للجنوب ومشرف على حكام الأقاليم الجنوبية- ولكن ذلك لم يحدث، لأن الرئيس يفعل ما يشاء دون أي ضوابط أو تقديرات. وتحدد عمل اللجنة في الإشراف على تقسيم أصول الحكومة الإقليمية وتوزيع القوى العاملة بين الأقاليم الثلاثة الجديدة- وقامت اللجنة بعقد بعض اجتماعاتها في مكتب عمر محمد الطيب دون الوصول إلى أي قرارات. ونتيجة لتطورات الأحداث المتسارعة وعدم وجود مكان مستقر لاجتماعاتها، لم تتمكن اللجنة من مواصلة عملها بشكل جيد- ولذلك وجد الحكام الجدد أنفسهم أمام مشاكل كبيرة لا يستطيعون مواجهتها. وهنا برزت أزمة حقيقية. فالخدمة المدنية، التي كنا نأمل في المحافظة عليها كجهاز مشترك للجنوب بكامله، بدأ تفكيكها وتقسيمها على الأقاليم- وبالتالي على كل موظف أن يرجع إلى إقليمه. وأدى ذلك إلى نزوح وتغييرات كبيرة وسط مجموعات الموظفين الوسطى والعليا بشكل خاص- وهؤلاء كانوا يتحركون من إقليم إلى آخر بإحباطات ومرارات كبيرة، كأنهم أسرى حرب يتم تبادل تسليمهم بين الدول المتحاربة.

وفي الجانب الآخر، ظلت أنباء تطور وتوسع نشاط جون قرنق تتواصل يوماً بعد يوم- أنباء حول إعادة تنظيم قواته وحول دعم ومساندة واسعة وجدها من الحكومة الأثيوبية. ومرة أخرى تستقبل التجمعات الجنوبية المنقسمة هذه الأنباء بمشاعر متناقضة ومشوّشة. فالمعارضون للامركزية، والذين طردوا من جوبا، رحبوا بهذه التطورات واستقبلوها بفرح وغبطة، وكانوا ينظرون إليها كطريق لــ(عودة ظافرة) أخرى للعاصمة جوبا، ويتمنون نجاح جون قرنق حتى يعودوا إلى مواقعهم وينتقموا من الذين تسببوا في طردهم. هؤلاء وقفوا مع الحركة الجديدة وشجعوا أبناءهم للانضمام إلى صفوفها، وبعض السياسيين وسط هؤلاء عملوا على تحويلها إلى حركة حزبية وقبلية. ونتيجة لذلك، فشلت في تمثيل تطلعات الجنوب بكامله، كما فعلت حركة تحرير جنوب السودان. أما المؤيدون للامركزية، فقد نظروا لتلك التطورات بعدم الرضى والقبول- ومع كل ذلك، ظلت الحركة تتطور وتتقدم إلى الأمام. وذلك نتيجة عدة عوامل وظروف كانت تعمل لصالحها، تمثل أهمها في الآتي:-

1- الارتباك والتشويش السائد وسط السياسيين الجنوبيين، الناتج أساساً من ضعف الإجراءات والجوانب الاقتصادية في اتفاقية أديس أبابا 1972.

2- خيبة الأمل الناتجة من عدم جدّية الحكومة المركزية لتنفيذ أي مشاريع تنموية في الجنوب بعد تطبيق الحكم الذاتي الإقليمي.

3- حدوث تغيير في توجهات الشمال، حيث أصبحت الحكومة المركزية أكثر انحيازاً للإسلام والعروبة. وهي توجهات لا ترضي الجنوب. وأدت في النهاية إلى ظهور ردود فعل معاكسة وسط تجمعاته السياسية، وصلت قمتها بدعوة لقيام حركة تحرير جديدة.

4- توجهات نميري الميكافيللّية للسيطرة والاستمرار في كراسي الحكم، أدت إلى استبعاد وتهميش معظم السياسيين الجنوبيين من حوله بعد استخدامهم

واستغلالهم في صراعاتهم مع بعضهم البعض- وسلوكه غير المستقر هذا لم يترك له سوى الباحثين عن المواقع والمصالح الضيقة.

5- تواصل رفض الجنوبيين لأعادة تقليد تغيير القوات العسكرية في الجنوب بشكل دوري بين فترة وأخري. وأدى ذلك إلى عودة الصراع المسلح من جديد وإلى تحريك مشاعر الجنوبيين ومطالبتهم بجيش مستقل ودولة مستقلة. وبدأ الشمال يبدو كمستعمر، أكثر من شريك في رابطة وطنية مشتركة.

6- عمليات الكشة، التي تركزت في الجنوبيين وبعض المجموعات في المناطق المهمشة في الشمال، ساعدت حركة تحرير شعب السودان على تمديد نشاطها إلى تلك المناطق وتوسيع نفوذها في المناطق المجاورة.

الفصل السادس عشر

التوجه الإسلامي

* تحوّل النظام الحاكم:-

لقد بدأ الرئيس نميري ثورته كاشتراكي، ثم تحوّل إلى قومي عربي، وبعدها أصبح من دعاة الجامعة الأفريقية في أعقاب اتفاقية أديس أبابا وتحقيق السلام في الجنوب. لقد ظلّ يقفز من توجه سياسي إلى آخر، ومن مجموعة سياسية إلى أخرى، من أجل البقاء في السلطة والمحافظة على نظامه- وفي فترته الأخيرة لجأ إلى الإسلام، بحكم دوره في السياسة السودانية. وبدأ يتجه تدريجياً للتحالف مع الإسلاميين وبالتالي إكمال دائرة التحالفات مع القوى والمجموعات السياسية المختلفة في السودان- وتحوّله الأخير كان واضحاً بعد لقائه بالصادق المهدي في بورتسودان 1977، حيث أصدر توجيهاته حول (القيادة الرشيدة) ووزعها على كل الدوائر والوزارات الحكومية وتوعد الذين يخالفونها بعقوبات شديدة. وبحكم حاجته لكسب ودّ الإسلاميين بأي ثمن، حتى لو دعى الحال ليصبح واحداً منهم، ظلّ مستعداً للتضحية في سبيل ذلك بكل شيء، بما في ذلك علاقاته مع الجنوب، التي تدهورت بشكل متسارع، خاصة بعد أحداث بور- وكانت اتجاهات الاسلمة تسير بخطوات متسارعة في الشمال، في وقت كان فيه الجنوب مشغولاً بمسألة إعادة التقسيم وصراعاته الداخلية. وفي هذا الاتجاه أصدر الرئيس كتابين يشرحان منهجه الإسلامي (المنهج الإسلامي.. لماذا؟ والمنهج الإسلامي... كيف؟) ووقع اسمه في الكتابين، بافتراض أنه مؤلفهما- وبعد ذلك، ظلّ يخطط لمفاجأة أخرى ستدهش كلّ الناس، خاصة السياسيين الجنوبيين المتصارعين والمتشاجرين على الدوام، فقد وثق علاقاته مع طريقة صوفية صغيرة، يقودها الشيخ أبو قرون، لاستخدامها كقاعدة لنشاطه الديني.

وفي الأيام الأخيرة من شهر أغسطس 1983، اتصل بي ثلاثة أشخاص، رجلان وامرأة على الأصح، حسب تعريف القانون الإسلامي، اتصلوا بي في المكتب بالقصر الجمهوري- وكلهم كانوا في بداية العقد الرابع من عمرهم- وعلمت مؤخراً أنهم موظفون جدد في القصـــر أو أنهم يمثّلـــون عصـــابة القصـــر، حسب وصف منصور خالد في كتابه (Nimeiri and The Revolution of Dismay) هم: النيل أبو قرون، ابن شيخ الطريقة، وعوض الجيد محمد احمد، زميل وصديق النيل، وبدرية سليمان، امرأة مطلّقة.. جاءوا إلى مكتبي للتعارف والمجاملة بعد تعيينهم الذي لم أعلمه- وكان شيخ الطريقة يعمل لتركيز موقعه في القصر الجمهوري مقابل دعمه ومساندته للرئيس- وخصصت لهؤلاء القادمين الجدد مكاتب في الركن الغربي للقصر، وفي الدائرة القانونية، بحكم تخصصهم في القانون. وكان بهاء الدين يطلق عليهم وصف The West Enders- وهكذا تجمعت قوى الأسلمة في داخل مباني القصر- وسبقهم إلى هناك زعيم الأخوان المسلمين والمفكر الواسع النفوذ الدكتور حسن عبد الله الترابي، الذي عين مساعداً للرئيس (وظيفة أقل من نائب الرئيس وأكبر من الوزير) وخصص له مكتب خلف مكاتب نواب الرئيس- ومساعده، ياسين عمر الأمام، عين في الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي- وبعد فترة وجيزة هجم على مكتبي إسلامي آخر، هو الدكتور بابكر عبد الله، يحمل دكتوراه في الفقه الإسلامي، وقدم لي نفسه باعتباره خبيراً في الشئون المالية، تم تعيينه للإشراف على الزكاة، بدرجة وزير، وخصص له مكتب بالقرب من مكتب الترابي- وهكذا امتلأ القصر بالإسلاميين. وكان ذلك مثار اهتمام دكتور بهاء الدين محمد إدريس، المسئول الأول في القصر، والمقرّب من الرئيس نميري، وهو بطبيعته لا يمكنه أن يتماشى معهم. وكانوا ينظرون إليه كعقبة في طريق المنهج الإسلامي. وفي تحركه ضد هذه المجموعة، كان بهاء الدين يطلق عليهم وصف The West Enders كتعبير عن احتقاره وازدرائه لهم- والمعارك المتواصلة بين بهاء الدين من جهة، وحســن الترابي ومجموعته من جهة

أخـري، كانت تشبه معارك وصراعات الضَّرات، كل طـرف يعمـل ما في وسعه لكسب ودّ الرئيس (الزوج). فالمجموعة الجديدة، بقيادة الترابي، ظلت تعمل ليل نهار لتشويه سمعة بهاء الدين، واستفادوا في ذلك من ما كان يشاع حول فساده وارتباط اسمه بالفساد، حتى أطلق عليه لقب (مستر 10%) وظلّ هو في الجانب الآخر يردّ عليهم بكل ما يملك من قوة. وهكذا تتواصل المعارك دون انقطاع- والجنرال عمر محمد الطيب أيضاً لم يكن مرتاحاً لوجود هذه المجموعة في داخل القصر، لأنها كانت تتجاوزه كنائب أول. وأشيع وقتها أن الرئيس سيعيد النظر في منصب نائب الرئيس- وبدلاً من نائب أول وآخر ثاني، سيكون هناك مجلس (شوري الرئيس)، يتكون من عدة أشخاص متساوين في مكانتهم، وقيل أيضاً أن هذا المجلس يستهدف تهميش عمر الطيب وتصعيد الترابي- ومن جانبي، لم أكن مهتماً بما كان يجري حولي. ففي كل الأحوال لن أكسب ولن أخسر شيئاً عند تغيير الوضع القائم وفرض ترتيبات جديدة أو حتى تركه كما هو.

*** تقديس الرئيس :-**

هذه المجموعة كانت تعمل على دفع الرئيس في اتجاه تبني الأصولية الإسلامية وتطبيقها دون تردّد أو بطء. ففي أحد الأيام أخبرني الترابي بأن إحدى قري شرق النيل ستقوم بتنظيم احتفال على شرف الرئيس نميري.. وقال لي بأن كبار رجال الدولة سيحضرون هذا الاحتفال، ومن بينهم أحمد عبد الرحمن محمد، وزير الداخلية، وحسن الترابي نفسه. وطلب مني مشاركتهم في هذا الاحتفال. ورغم خلافاتنا الدينية والسياسية، فقد كانت تربطني بالترابي علاقة صداقة تقوم على التفاهم والاحترام المتبادل. المهم، رغم عدم معرفتي بطبيعة الاحتفال، حزمت أمري وقررت الذهاب معهم إلى هناك، فأخذت أحمد عبد الرحمن معي في سيارتي وتوجهنا إلى شرق النيل. ووصلنا إلى قرية أبوقرون في الرابعة والنصف عصراً. وهناك وجدنا الرئيس نميري وزوجته وبجانبهما دفع الله الحاج يوسف، وزير التربية والتعليم، وشيخ الطريقة، في مكان أنيق أعدّ خصيصاً للاحتفال. فجلسنا

بالقرب من وزير التربية وحسن الترابي، حسب الترتيب البرتكولي، بينما جلست زوجة الرئيس وفاطمة عبدالمحمود في شمال الشيخ، وبحكم عدم إلمامي بالطقوس الدينية الإسلامية، لم أكن أدري ما يجري حولي، هل هو احتفال ديني يديره الشيخ؟ أم هو احتفال سياسي؟ أم ماذا؟ وبدى لي أنه احتفال ديني خاص يشبه احتفالاتنا المسيحية، وفجأة وقف الشيخ وقرأ آيات من القرآن الكريم، وبعدها تحرك الوزير (دفع الله) ورفع يديّ ووضعها مع يده في مرجل من الخشب أمام الرئيس، ثم وجه حديثه للحضور: (قوموا أدّوا البيعة للرئيس.) فوقف الجميع ووضعوا أياديهم في المرجل. وحتى ذلك الوقت لم أفهم حقيقة ما يجري. كنت في حيرة. إذ أنني لم أشهد مثل هذا الاحتفال ولم أسمع حتى بكلمة (بيعة.) ماذا تعني؟ فسألت حسن الترابي، وعندما بدأ في شرح معناها في مفكرة كان يحملها في يده، سمعنا صوتاً ينادي: (قوموا نمشي المسجد نصلّي وراهو..) وهناك اصطف الجميع خلف الرئيس، بما في ذلك شيخ الطريقة نفسه، بينما التحقت زوجة الرئيس بمكان خاص بالنساء. وبقيت وحدي مع فاطمة عبد المحمود في مكان الاحتفال- وبعد لحظات قادوني إلى مكان آخر، حيث سيتواصل الاحتفال بعد الصلاة. المكان كان معداً لتناول الشاي والمرطبات. فجلست هناك وقدموا لي مشروباً بارداً. ثم ظهر الرئيس (الذي أصبح إماماً) مع جمع من المصلين، ليجدني جالساً هناك- فأخذه النيل أبوقرون إلى أحد المنازل وقادني إلى منزل آخر. وهناك لحق بي زملائي الآخرين- وبعد الانتهاء من شرب الشاي والمشروبات، تحوّل الجميع إلى ميدان فسيح لمواصلة الاحتفال- وهنا عرفت أن الرئيس لن يعود إلى الخرطوم في هذا المساء. ولذلك استأذنت للتحرك وحدي. ورافقتني في السيارة فاطمة عبد المحمود، التي فضلت الذهاب معي- وفى الطريق استعرضنا ما حدث. فشعرتُ بضيقها وعدم رضائها من الاحتفال. وربما لهذا السبب قررت الذهاب معي للخرطوم بدلاً من انتظار زملائها- ووجدتني أيضاً أحمل نفس ضيقها ومشاعرها- وأخبرتها بأن الترابي قد خدعني واستدرجني لحضور هذا الاحتفال دون أن يشرح

لي حقيقته- وإذا كنت أعرف ذلك، لما حضرت لمشاهدته. وعند دخولنا للمدينة، تحركنا أولاً لمنزل فاطمة، حيث وجدنا زوجها قد وصل للتوّ من أبوظبي. فجلست معهما بعض الوقت، ثم غادرت إلى منزلي.

*** 9سبتمبر 1983 :-**

بعد أيام قليلة من احتفال تعميد نميري إماماً للمسلمين، جاءت مفاجأة أخري- ففي ليلة 8 سبتمبر 1983 قامت وحدات من القوات المسلحة مع وحدات أخري من قوات الاحتياطي، بتوجيه من إمام المسلمين مباشرة، بهجوم مفاجئ على محلات بيع الخمور والأندية والمطاعم والفنادق، حيث جمعت كل الخمور الموجودة في هذه الأماكن، ثم قامت بتكديسها في شارع النيل، مقابل الفندق الكبير وفندق السودان وحديقة الحيوان حتى وزارة الحكم المحلي شرقاً. ولم يكن لي أي علم بذلك، وعند وصولي إلى مكتبي في الصباح، علمت أن الرئيس سيكون في احتفال يقام في التاسعة صباحاً بالقرب من الفندق الكبير- وطلب مني الذهاب إلى هناك فور حضوري للمكتب- فتحركت إلى مكان الاحتفال. وعند وصولي شارع النيل، لاحظت وجود آليات عسكرية تابعة للقوات المسلحة والشرطة وعدد كبير من الجنود والشرطة بملابس الميدان والطوارئ. ولاحظت أيضاً وجود معدات كثيرة، جرارات وبلدوزرات واسطوانات، في جانبي الطريق- ولاحظت أن معظم الوزراء وكبار الموظفين قد وصلوا إلى هناك منذ وقت مبكر- فأوقفت سيارتي عند مدخل الفندق الكبير وتحركت لأقف مع زملائي، لا أدري ماذا يحدث أمامي- تلفتّ يميناً وشمالاً، فلم أرى رجال الكنائس وممثليها.. لماذا لم يحضروا؟ لا أدري. الشخص الوحيد الذي كان يلبس الروب الكنسي وسط ذلك الجمع الكبير هو الأب فيليوثاوس فرج (قسيس قبطي ناشط في العمل السياسي العام-) كان الجميع في حالة صمت رهيب، تبدو في وجوههم علامات الدهشة والتعجب من ما يجري أمامهم.

بعد لحظات سمعت صفارات موكب الرئيس. ووصل الموكب وسط حراسة أمنية مشدّدة، فنزل ضباط الأمن المصاحبين للرئيس وأخذوا مواقعهم المحدَّدة، كان

الصمت يعمّ المنطقة، نزل الرئيس من سيارته في كامل زيّه العسكري، زي المشير، الملئ بالأوسمة والنجوم. ومن هناك اتجه إلى وزرائه، يحمل عصاته في يده ويمشي بخطوات ملوكية. وشعرت وقتها بأن الرجل قد فقد توازنه وربما أصابه مسّ من جنون- والمهم أن وصوله كان إشارة لبدء الاحتفال. كانت صناديق البيرة مكدسة في وسط الشارع انتظاراً لتحطيمها بواسطة جرارات وبلدوزرات جاهزة لذلك. أما الوسيكي والخمور المعبأة الأخرى، فقد تمّ تفريغها في براميل كبيرة، لسفحها في مياه النيل الأزرق. ومن ثم أعلن الرئيس بصوته: (هذه نهاية الخمور في البلاد..) وبعدها تحركت الآليات لتحطيم صناديق البيرة وتحرك الجنود لسفح براميل الخمور الأخرى في مياه النيل، وسط تهليل وتكبير الحضور- وفى كل الأحوال، كان ما يجري غريباً. فرغم ما يقال عن مضار الخمور وتأثيرها السلبي على صحة الإنسان ونشاطه، رغم كل ذلك لا أحد كان يتوقع معالجة المشكلة بهذه الطريقة الغريبة.

*** 28 سبتمبر 1983 :-**

بعد أقل من 19 يوم من تحريم الخمور في السودان، أعلن الرئيس نميري تطبيق الشريعة واعتبارها أساساً للحكم في البلاد- واعتبر هذا الإعلان عملاً كريماً وإنجازاً عظيماً، دون أي تقدير لموقف غير المسلمين ومشاعرهم وتطلعاتهم وحقوقهم في وطنهم. وعندما انتقد الصادق المهدي، زعيم الأنصار، أكبر الطوائف الدينية في البلاد، طريقة إعلان تطبيق الشريعة، قامت سلطات الأمن باعتقاله مع عدد كبير من قيادات الأنصار وحزب الأمة وحبسهم في سجن كوبر- وفى وقت لاحق، أكد نميري في اجتماع لمجلس الوزراء أنه قام بخطواته تلك لقطع الطريق أمام من يعملون لاستغلال الإسلام لأهداف سياسية- وكان يشير بذلك إلى السادة الصادق المهدي ومحمد عثمان الميرغني وحسن الترابي- وأكد أيضاً أنه يستهدف سحب البساط من تحت أقدامهم وفضح توجهاتهم الحقيقية. وفى حديثه هذا لم يراعي حتى مشاعر مساعده حسن الترابي، الذي كان ضمن اجتماع المجلس.

لقد ظلّ الرئيس يعمل في سرية كاملة مع (عصابة القصر الجديدة) لتغيير القوانين السارية وتعديل الدستور والبدء في فرض الشريعة الإسلامية على البلاد. والواقع أن تعديلات الدستور كانت تسير في اتجاه صياغة دستور جديد بشكل كلي. ومن إشارات الرئيس في اجتماع مجلس الوزراء المذكور، بدا لي أن حسن الترابي كان بعيداً عن عمليات التغيير الجارية ولم يشارك فيها بأي شكل كان. ووضح ذلك في حالة القلق والاضطراب التي سادت أوساط الأصوليين- فقد أشار أحد الأخوان المسلمين إلى أن الرئيس نميري (قد أنجز بجرّة قلم ما عجزنا عن فعله طوال أكثر من مائة عام..) وغالبية الناس استقبلوا ما حدث بقلق وخوف- إذ أنهم لا يمكن أن يصدقوا أن جعفر نميري، المسلم العادي، الذي كان قبل شهور قليلة يستمتع بمباهج الحياة ويشرب الخمور كغيره من الناس، لا يمكن أن يصدقوا أنه هو نفسه الذي قام بتحريم الخمور وصبّها في مياه النيل، وبإعلان تطبيق الشريعة في البلاد. ومن ناحية أخري، أدت هذه الخطوة إلى خسائر اقتصادية كبيرة، شملت مجموعات كبيرة من السكان ظلت تعتمد في نشاطها على إنتاج وتوزيع الخمور بأنواعها. وفى الجانب الآخر، وجد هذا التوجه الجديد معارضة شاملة في الجنوب، وساعد في تعزيز موقف جون قرنق، بمنحه سبباً إضافياً للاستمرار في نضاله ضد حكومة الخرطوم- وفى خارج السودان، استقبلته الدول الأخرى باهتمام وقلق متزايد. وظهر ذلك في متابعات وتعليقات أجهزة الإعلام المختلفة حول التحولات الجارية في السودان وتأثيراتها الداخلية والخارجية.

*** البيعة وتعديل الدستور :-**

بينما كان الناس في حيرة واندهاش من ما جري في أبوقرون، ظلّ نميري يواصل طلب البيعة في كل مناسبة أو احتفال أو تجمع جماهيري- وبذلك أصبحت (البيعة) موضوع الساعة واليوم، يناقشه الجميع ويتسبب في إرباك وإزعاج غير المسلمين في الحكومة والمؤسسات الأخرى. ومع ذلك استمرت احتفالات البيعة طوال عام كامل. وظلّت عصابة القصر، كما يقول منصور خالد، (باستثناء بهاء

الدين محمد إدريس) ظلّت تعمل لدفع كل الشخصيات البارزة للظهور في التلفزيون وهي تبايع الرئيس برفع أياديها وترديد صيغة محدّدة تؤكد الولاء والطاعة لإمام المسلمين. وظلّ هذا التقليد يتكرر في كل مؤسسات الدولة في العاصمة لضمان مشاركة الجميع في البيعة، بل أصبح نشاطاً روتينياً في مجلس الوزراء، بهدف إرهاب وتعذيب المسؤلين الجنوبيين، خاصة شخصي وأبيل ألير- ونتيجة لمعرفتنا لحقيقة هذا التقليد وأهدافه، فقد كنا نرفع أيادينا مع الرئيس، ونحجم عن ذلك في حالات ممارسته كطقس ديني. ويبدو أن الرسالة قد وصلت للرئيس وعصابته، وتيقنوا بأننا نرفض المشاركة في ممارسة دينية لا علاقة لنا بها- ونتيجة لذلك، بدأت احتفالات البيعة تتناقص حتى توقفت تماماً.

بعد إعلان تطبيق الشريعة، قام الرئيس بإجراء تعديل وزاري في الحكومة المركزية، شمل تعيين دفع الله الحاج يوسف، الذي أدار عملية تعميد الرئيس كإمام للمسلمين، رئيساً للقضاء ورفع وضعيته في البرتكول الحكومي إلى درجة أعلى من نواب الرئيس. ويبدو أن ذلك كان بمثابة مكافأة لما قام به من جهد ومبادرة. وبذلك أصبح رئيس القضاء السابق، صلاح الدين شبيكة، مستشاراً قانونياً لرئيس الجمهورية في مكتب متواضع في القصر- ويبدو أن التطورات كانت تتسارع لتحويل الدولة في هذا الاتجاه. وكان أبيل ألير أكثر احتكاكاً وقدرة على متابعة تلك التطورات، على الأقل من خلال متابعة الصحف المحلية ومناقشاته مع زملائه المحامين الشماليين الذين أعلنوا معارضتهم لهذا التوجه بشكل واضح- وفى إحدى الأيام زارني أبيل في المكتب (حوالي يونيو/يوليو 1984) للتفاكر معي حول وجهة نظره في التطورات الجارية، خاصة إعلان تطبيق الشريعة وتعديل الدستور- كان يريد أن يشرح لي تأثير ذلك على غير المسلمين في السودان، خاصة شعبنا في الجنوب. فاستمعت إليه باهتمام وتركيز ورحبت بمبادرته الأخوية وتنويري بما يحدث حولي. وقال لي أنه لن يظل صامتاً ويترك تلك التطورات تسير دون معارضة ومقاومة، لأن التاريخ لن يرحمنا- وأضاف أنه سيكتب مذكرة لرئيس

الجمهورية تعبرّ عن رفضه للتعديلات المتوقعة في الدستور وللإجراءات المتبعة لفرض تلك التعديلات. فشكرته على هذه المبادرة وعلى ثقته في شخصي. وأشدت بفكرة المذكرة وبوطنيته وشجاعته، ولكني نصحته بأن لا يقوم بهذا العمل وحده، لأن ذلك سوف يمنح الرئيس فرصة للانقضاض عليه وسحقه، فهو يتصرف هذه الأيام كوحش هائج- وبعدها يأتي دوري، وقلت إنني سأشعر بجريمة لا تغتفر إذا تركته يقوم بهذا العمل وحده، فشجعته لكتابة مسودة المذكرة، بحكم قدرته على ذلك، واقترحت أن نناقشها معاً ونوقع عليها ونرسلها للرئيس- وأكدت له أننا معاً قد ظللنا نتعاون معه حتى الآن ووفرنا له دعم الجنوب ومساندته، ومن هذا المنطلق يأتي اهتمامنا وقلقنا حول التطورات الأخيرة في البلاد- فرحب أبيل باقتراحي وقام فعلاً بصياغة المذكرة في الوقت المحدَّد. وبعد مناقشتها وقعناها معاً وأرسلناها للرئيس.

في أثناء انشغال أبيل بكتابة المذكرة، اتصلت بالجنرال عمر محمد الطيب، النائب الأول، وكان الرئيس وقتها في السعودية لأداء العمرة وقضاء بعض أيام رمضان في المدينة المنورة (أصبح ذلك تقليداً سنوياً) ومنها سيسافر إلى مصر ويعود منها إلى الخرطوم- قلت للنائب الأول أننا بصدد كتابة مذكرة للرئيس نعبّر فيها عن رأينا في تدهور الأحوال السياسية في البلاد وأن أبيل ألير يقوم بصياغة هذه المذكرة- وأكدت له أننا نقوم بوضعه في الصورة منذ الآن حتى لا تتحرك أجهزة الأمن وتعرقل عملنا، وأوضحت له أننا سنرسل المذكرة للرئيس ونعلنها للجمهور في نفس الوقت، بهدف توضيح رفضنا للمحاولات الجارية لتعديل الدستور- فرحب الجنرال بمبادرتي لتبليغه بطبيعة تحركنا وأشاد بمبادرتنا لكتابة المذكرة وإرسالها للرئيس، وقال لي أنه هو أيضاً أصابه الضرر من التغييرات الجارية، حيث أصبح رئيس القضاء مقدماً على نائب الرئيس في بروتكول الدولة. وأضاف: (أن الرئيس يدير البلاد كأنها مزرعته الخاصة، هذا وضع لا يمكن السماح باستمراره، وسوف أعلن موقفي الخاص من هذه التطورات في القريب

العاجل.) وهنا سألته: (ولكن.. أين نذهب نحن الذين وقفنا معه طوال الفترة السابقة إذا استولت مجموعات أخرى على البلاد ؟ سوف لن يتركونا بسلام. سوف يلاحقوننا ويعتقلوننا..) لقد شجعتني عباراته الواضحة في دعم تحركنا. شجعتني لأن استرسل واستذكر كلمات نميري نفسه في حديث معي حول سقوط المارشال عيدي أمين، حيث قال نميري: (سوف يكون من الأفضل، حتى لعيدي أمين نفسه، إذا قام شعبه بإبعاده من السلطة. سوف يعاملونه باحترام وتقدير..) فكرت في إمكانية قيامنا بذلك في هذا الوقت الذي يعاني فيه الرئيس من اختلال عقلي ونفسي واضح.. لو قمنا بذلك سننقذ بلادنا من كارثة محققة. (فلماذا لا نقوم به، إذن ؟) جاء هذا السؤال إلى ذهني لأشرك فيه الجنرال عمر، الذي كان وقتها يقوم بمهام الرئيس بالوكالة. حدقت في وجهه وقلت: (هذا الرجل، نميري، يعاني من مرض حقيقي. سيكون الأفضل لو أننا نظمنا انقلاب قصر وأرسلنا رسالة للرئيس حسني مبارك نطلب منه الاحتفاظ بنميري في مصر حتى نتمكن من السيطرة على الوضع. ونؤكد له أن حكومة السودان سوف تلتزم بدفع نفقات إقامة نميري في القاهرة.. وأننا سوف لن نبعده نهائياً. فهو جزء منا وكل إنجازاتنا تحققت تحت قيادته. سوف نتفاوض مع قيادات المعارضة، سوف ندعو أحدهم، ربما الصادق المهدي، لتشكيل حكومة قومية. وبعدها، سندعو الرئيس نميري للعودة لوطنه ليترأس مجلس رأس الدولة، ونحن نواب الرئيس سنكون أعضاء في هذا المجلس- وبذلك وحده نضمن تحولاً سلمياً للسلطة، تحوّل مرغوب ومطلوب في حالتنا الراهنة...) كان عمر يستمع باهتمام واضح ولكنه لم يعلق على ما طرحته له. فقلت له أنني سأسافر إلى السعودية ثم إلى دبي، حيث تقضي زوجتي وأطفالي إجازتهم هناك، ولكن سأعود في الحال إذا طلبتني. ومع ذلك ظلّ صامتاً. فتفهمت صمته، وقلت لنفسي أن المسألة تحتاج لتفكير طويل ولا يمكن التقرير بشأنها في لحظات. وأعرف أنه لا يثق في ضباط القوات المسلحة. المهم، لقد وصلت رسالتي. ولذلك شعرت براحة لا مثيل لها.

من جهة أخرى، أكملنا مناقشة المذكرة ووقعناها، أنا وأبيل، وقدمناها مباشرة إلى خالد الخير، الوزير المسئول عن مراسلات ومكاتبات القصر الجمهوري- وفي الوقت نفسه قمت بتوزيع نسخ منها في دوائر عديدة ولبعض أعضاء السلك الدبلوماسي الأجنبي في الخرطوم. وأرسلت نسخة باللغة العربية لأبو القاسم محمد إبراهيم للقيام بتوزيعها. وفي كل ذلك كنت ثابتاً ويقظاً. وقلت لأصدقائنا:- (ليأتي الرئيس ويتهمني بتوزيع هذه المذكرة، كما فعل من قبل، عندما تسربت نسخ من تقريري حول الأوضاع الأمنية في الجنوب وتأثيرات عمليات الكشة، إذا كان يتهمني في أي شيء، فعليّ أن أفعله بشكل جيد..).

عندما غادرت إلى دبي، لم تكن هناك أي إشارات من عمر محمد الطيب بما ينوي فعله. أما أبيل ألير فقد غادر الخرطوم إلى لندن. كلانا سافر للخارج لقضاء إجازته، موسم إجازات! وفي جدّة عاملني السعوديون كضيف، رغم أنني جئتها في زيارة خاصة- وهناك قابلت الأمير تركي، مسئول الأمن في المملكة السعودية، وشرحت له ما يجري في السودان، وقلت له لا أدري هل في إمكانكم مساعدتنا ؟ أخبرته بأن الرئيس نميري، الذي شرب معنا كثيراً وطارد النساء، يعرض نفسه الآن كشخص متدين، وأكثر من ذلك إنه يشوه الإسلام في السودان. وبعيداً عن حديثي الصريح حول أوضاع البلاد، كان لقائي مع الأمير ودياً ومفيداً. فشكرته لمقابلتي والاستماع إلى حديثي في نهار رمضان الكريم. وعلى أي حال، كانت زيارتي للملكة السعودية قصيرة، وذلك بحكم ارتباطي بالسفر إلى الإسكندرية لحضور اجتماعات الأمانة العامة للتكامل بين مصر والسودان. وكان نميري في الإسكندرية في ذلك الوقت. وكنت أعتقد أنه استلم مذكرتنا، لأنه استقبلني هناك ببرود، عندما زرته في مقر إقامته- ومع كل، لم أشعر بأي قلق أو انزعاج. إذ أنني لم أكن أصلاً أتوقع أن أستمر معه فترة أطول من فترة أبيل ألير- وبعد لقائي مع الأمير تركي سافرت إلى القاهرة، ومن هناك توجهت إلى دبي- وفي الإمارات استقبلوني بحفاوة وكرم عربي أصيل. وهناك سمعت تقريراً في

الـــB.B.C العربية حول مذكرتنا للرئيس نميري.. وأشار التقرير إلى أنني موجود في لندن في تلك الأيام- سمعت هذا التقرير في راديو السيارة، في طريقنا من أبوظبي إلى دبي. وكان معي عديلي، محمد عبد الله، زوج توكا Tuka وآمنة وتوكا. فضحكنا جميعنا. واكتشفنا أن الـــB.B.C أيضاً تخطيء في بعض الأحيان! ويبدو أنهم خلطوا بيني وبين أبيل ألير الموجود في لندن فعلاً.

عدت إلى الخرطوم مع أسرتي قبل مواعيد اجتماع مجلس الشعب القومي، حيث يطرح دستور نميري الجديد للمناقشة العامة. وفي البداية ركزت على وصول مذكرتنا، باللغتين العربية والإنجليزية، لكل الأعضاء- والمذكرة كانت تتكون من جزئيين، الأول عبارة عن خطاب تمهيدي، والثاني شمل وجهة نظرنا ومقترحاتنا حول الوضع الراهن- ويجد القارئ نصها كاملاً في ملاحق هذه المذكرات.

بحكم موقعي، فإنني سأتحمل مسئولية المذكرة بالكامل. والواقع أنني كنت أرغب في تأخير أبيل في لندن، ولكنه وصل الخرطوم ليواجه معي أي تحرك يقوم به (الأمام) الرئيس. ذهبت إلى مباني المجلس واتصلت بالرئيس، عز الدين السيد، لتبليغه بموقفنا حول الدستور الجديد المطروح للمناقشة أمام المجلس. فسلّمته نسختين، واحدة باللغة العربية والأخرى بالإنجليزية. ووجدته مضطرباً ومرتبكاً وغير مرتاح لطرح الموضوع بشكل عام. قال لي: (هذا الرجل- نميري- يريد أن يشوّه تاريخي بتقديم مثل هذه الموضوعات في فترة رئاستي لمجلس الشعب القومي.) وأبدى تعاوناً واسعاً، عندما قام بتأجيل افتتاح الدورة، حتى نجد فرصة أوسع لتوزيع مذكرتنا ومناقشة النواب الجنوبيين. وقابلت أيضاً نوابه الاثنين وشرحت لهما موقفنا وسلمتهما نسخاً من المذكرة- وهكذا، تأكدت من توصيل نسخ كافية لكل أعضاء المجلس. وشرحت موقفي ضد التعديلات المطروحة للمناقشة في المجلس. فقد قام الرئيس بالتحايل على الإجراءات الخاصة بتعديل الدستور كما موضحة في دستور 1973. وهذا إجراء غير دستوري لا يمكن قبوله. وهدّدت

بانسحاب الأعضاء الجنوبيين، إذا قامت الجهات المعنية بمحاولة تمرير تلك التعديلات وإجازتها في المجلس.

كان الرئيس يتابع تحركاتي في مجلس الشعب القومـــي. ولذلك أرسل محمد عبد القادر عمر، الأمين العام للاتحاد الاشتراكي، لمقابلتي ومحاولة احتواء تحركاتي وإقناعي بالعدول عن تهديداتي بالانسحاب. وعندما وجدني متمسكاً بموقفي، تراجع عن محاولته. والمفاجأة أن مذكرتنا وجدت دعماً إضافياً في مذكرة أخري، وقع عليها 27 عضواً من الأعضاء الجنوبيين في المجلس. ويجد القارئ نص هذه المذكرة في ملاحق هذه المذكرات. وهكذا، طرحت التعديلات الدستورية للمناقشة، ولكن المجلس لم يمنحها موافقته. وبذلك أصبحت معزولة. فقد أدى موقفنا، أنا وأبيل ألير، وموقف الأعضاء الجنوبيين، إلى إيقاف نميري عند حدّه. ووجد هذا الموقف دعماً وتأييداً واسعاً في طول البلاد وعرضها. وذلك لأن التعديلات المذكورة وجدت معارضة واسعة في أوساط المثقفين والقوي السياسية الجنوبية والشمالية على السواء- ولكن الدعم الجنوبي كان حاسماً. فقد رفضته مجالس الشعب الإقليمية الثلاثة بشكل واضح ومحدَّد- وبذلك وضح أن التوجه الإسلامي لا يمكن تمريره بسهولة عن طريق الوسائل البرلمانية. وهكذا تبدَّدت أحلام الرئيس في أن يصبح إماماً. ولذلك كان علية البحث عن وسائل أخرى لتحقيق تلك الأحلام. وبجانب ذلك، كانت المشاكل الأخرى تتراكم وتتجمع. وكانت تقديراته الرعناء تقود تلقائياً إلى اتساعها وتعميقها.

في الجانب الآخر، بدأت حركة تحرير شعب السودان نشاطاً عسكرياً واسعاً ضد القوات المسلحة الحكومية في مديريات أعالي النيل وجونقلي. وعندما فشل هذا النشاط في تحقيق أهدافها في التوسع والانتشار والقوة، لجأت إلى الهجوم على بعض المشاريع الأجنبية في الجنوب- فتقبض على بعض موظفيها وتحتفظ بهم كرهائن- وأدي ذلك إلى خلق أصداء واسعة في الداخل والخارج- فمشروع قناة جونقلي، وتشييد مطار جوبا، وعمليات التنقيب عن البترول في الجنوب، كل هذه

المشاريع كانت تقوم بها شركات أجنبية، مثل توتال وC.C.I الفرنسية، وشركة شيفرون الأمريكية، وشركة تشييد الأنابيب الإيطالية وغيرها، وكل هذه الشركات كانت تستخدم عمالاً أجانب، وكلها تعرضت لهجمات الجيش الشعبي لتحرير السودان، ومن جهة أخرى، أدت ظروف الجفاف والتصحر، التي اجتاحت أفريقيا الصحراوية، ومن ضمنها السودان، أدت إلى ارتفاع ملحوظ في تكاليف معيشة السكان، وذلك منذ عام 1980 على الأقل- وفي بداية الثمانينات وصل تدهور الأحوال المعيشية وسط سكان المدن إلى درجة لا يمكن احتمالها- ومع أن هذا التدهور لا يمكن إرجاعه بشكل كلي للسلطة المسيطرة في الخرطوم، إلا أنه ساعد في تسريع حالة التدهور الجارية في البلاد وتعميق فقدان الثقة في قدرات النظام الحاكم لمواجهتها- وأدى ذلك بالإضافة إلى نتائج تطبيق الحدود الشرعية وغيرها، أدي إلى إدخال السودان في أزمة مخيفة. وجاء إعدام المفكر الإسلامي، محمود محمد طه، زعيم الأخوان الجمهوريين، في 18 يناير 1985، بتهمة الردّة، ليشير إلى تحوّل النظام الحاكم إلى نظام استبدادي بمعني الكلمة. وقبل ذلك وبعده، كان إعدام الواثق صباح الخير بتهمة السرقة، واتساع عمليات قطع الأيدي والأرجل، كان كل ذلك قد أدى إلى تزايد اهتمام الولايات المتحدة بما يجري في السودان، حليفها الرئيسي في المنطقة. ونتيجة لذلك أرسل الرئيس رونالد ريغان نائبه جورج بوش إلى الخرطوم لدراسة التطورات الجارية في البلاد- ولم تكن لي أي علاقة بزيارة نائب الرئيس الأمريكي للبلاد ومناقشاته مع المسئولين في الخرطوم. فقد كنت وقتها بدون مهام حقيقية في القصر الجمهوري، كنت مجرد صورة لتأكيد تمثيل الجنوب في السلطة المركزية. ومع ذلك، تمكنت من استغلال مكتبي بشكل واسع لتوصيل وجهة نظر الجنوبيين للدبلوماسيين الأجانب في العاصمة. فقد واصلت علاقاتي مع سفير الولايات المتحدة وطلبت منه إعداد لقاء لنائب الرئيس الأمريكي معْ بعض القيادات الجنوبية، حتى يتمكن من سماع وجهة نظرهم بشكل مباشر، فوافق السفير.

وصلت طيارة مستر بوش إلى مطار الخرطوم في صباح الثالث من مارس 1985، أي في عيد الوحدة الوطنية، ذكري اتفاقية أديس أبابا التي حققت السلام في السودان- ولكن ذكرى ذلك العام لم تجد من يحتفل بها، حيث كان الجميع مشغولين بشروق فجرهم الجديد، (توجههم الإسلامي). وفى المطار كان هناك الوزراء وممثلو الهيئات الدبلوماسية ونواب الرئيس لاستقبال الضيف القادم وزوجته. وكان في صحبته مستر شستر كروكر، مساعد وزير الخارجية للشئون الأفريقية، وآخرون. ومن هناك تحرك جورج بوش إلى القصر الجمهوري، حيث كان ينتظره الرئيس نميري. وبعدها تركنا الرئيس وضيفه لمواصلة مباحثاتهما معاً- ولم أشارك في تلك المحادثات. ولا يمكنني بالطبع الحديث عن دور عمر الطيب، النائب الأول (الشمالي.) وفي المساء قمنا، عمر وأنا، بتنظيم حفل عشاء في قاعة الصداقة للضيف العزيز ومرافقيه، حيث جلسنا بجانب مستر ومسز بوش. وكنت بجانب مسز بوش، وهى سيدة مرحة ولطيفة، لدرجة أنني لم أستطع أن أمسك نفسي من الضحك، عندما قالت لي أنهم كانوا في زيارة لغرب أفريقيا في العام الماضي. وهناك وصلهم توجيه بالسفر إلى موسكو للعزاء في وفاة الرئيس السوفيتى اندروبوف، الذي توفي فجأة. قالت: (كان من الضروري أن استعير بعض الملابس المناسبة لمناخ موسكو البارد. ولكن هذه المرَّة جئت مستعدة لكل الاحتمالات، لأننا سنسافر من هنا إلى السنغال ولا أدري ماذا سيحدث.) فضحكت بصوت عالي ولم أستطيع أن أمسك نفسي. فأثار ذلك اهتمام الحضور. وبعد نهاية العشاء تجمع عدد منهم حولي لمعرفة ما أضحكني. فردَّدت لهم ما قالته. وفى وقت لاحق عرفت أنها امرأة بليغة وملهمة، كما سيتضح لاحقاً.

في اليوم التالي قام بوش ومرافقوه بزيارة مدينة الأبيض، عاصمة كردفان، التي تأثرت بظروف الجفاف وعانت كثيراً من المجاعة في الفترة الأخيرة- وهناك حدثت مفارقة غريبة، شاهدها الناس على شاشة التلفزيون- فقد شاهدوا نائب الرئيس الأمريكي، الرجل الطويل الهزيل، ممثل أكبر الدول المانحة، يستقبله رجل

ضخم ممتلئ الجسم، هو حاكم كردفان المتأثرة بظروف الجفاف والمجاعة. منظر هذا الحاكم كان مفارقاً ومتناقضاً مع حالة المجاعة السائدة في إقليمه. وتلك المفارقة كانت حديث المجتمع لفترة طويلة لاحقة.

في 1985/3/6 زارني مستر بوش في مكتبي بعد عودته من رحلة الأبيض. كنت مسروراً بمقابلته، حيث استقبلته في مدخل المكتب خارج المبني، حسب توجيه قسم البرتكول. وكان في رفقته:-

- السفير، هيوم أ. هوران.
- سى. بويدن كرى، المستشار القانوني لنائب الرئيس.
- شستر كروكر، مساعد وزير الخارجية للشئون الأفريقية.
- بيتر ماك فيرسون، وكالة التنمية الدولية.
- دونالد قريق، شئون الأمن الوطني.
- فيليب رنقدال، مدير الشئون الأفريقية، مجلس الأمن الوطني.
- ديفيد شين، نائب رئيس البعثة الأمريكية للسودان.

وكان معي: عباس موسى، وزير الدولة بالخارجية، وعمر صالح عيسى، سفير السودان في واشنطن، والأخير لم يكن متجاوباً في اللقاء. والواقع أنني لم أكن مرتاحاً لهذه الترتيبات، رغم أنها تبدو طبيعية، كنت أري أن وجود الموظفين السودانيين يستهدف فقط مراقبتي ومنعي من الحديث بشكل واضح وصريح مع نائب الرئيس الأمريكي. والواقع أنني أصبحت أنظر لكل الشماليين المرتبطين بي هذه النظرة المخيفة. ولذلك قمت بإعداد مذكرة لتسليمها للمستر بوش. وقبل تسليم المذكرة، وبينما كنت أعرض محتواها بشكل عام، تدخل عباس موسى، بطريقة فجَّة، تؤكد عدم ارتياحي لوجوده، تدخل وقال:- (الإسلام لا يميز بين الناس.) فأمرته بغضب وانفعال أن يصمت ويتركني أتحدث لنائب الرئيس، وقلت له أن مستر بوش جاء ليسمعني والمفترض أن يكون هو (عباس) جزءاً من وفدي. فصمت وواصلت حديثي. ونصّ المذكرة المشار إليها يجدها القارئ في ملاحق هذه

المذكرات. وسلمت نائب الرئيس الأمريكي أيضاً خريطة رسمتها بيدي وأسميتها The Southern Cross– وهي تشير إلى الطرق الرئيسية التي اعتبرها هامة وضرورية لتنمية جنوب السودان. أحدها يبدأ من الخرطوم في محاذاة النيل ويمرُ بملكال حتى نمولي في الحدود اليوغندية. وآخر يبدأ من الحدود الكينية ويمر عبر كبويتا وتوريت، ليعبر النيل عند مدينة جوبا ويتجه غرباً حتى مندري والتونج ثم إلى واو وراجا– وبينما أوصلت المذكرة عن طريق وسيط ثالث، فقد استلم بوش الخريطة مباشرة واعجب بها– وأكد تقديره لما طرحت حول الوضع العام ومشاريع الطرق الرئيسية. وبعدها سلم الخريطة لأحد مرافقيه. وبذلك انتهي اللقاء– وفى عصر ذلك اليوم كان هناك حفل شاي في بيت الضيافة الرئاسي. وهناك لاحظت أن الرئيس كان يعاملني ببرود شديد، بينما كان مرحاً مع الآخرين– وبدأت أشك في أن مكتبي يخضع لمراقبة صارمة وأن الرئيس يتابع ما يدور فيه من مناقشات بشكل مباشر، وذلك لأن الوقت لم يكن كافياً ليصله تقرير من عباس موسى حول لقائي مع بوش، ولكنني لم أهتم– فقد قلت ما أريد أن أقول وسلمت مذكرتي للزائر الأمريكي.

في حفل الشاي جلست بجانب شستر كروكر واغتنمت الفرصة لأشرح له ما ورد في المذكرة بتفصيل أكثر، فقلت له أن الحكومة معزولة وأننا مثل مسافرين على ظهر قطار يتجه نحو هاوية. وطلبت منه أن لا تقوم حكومته بالمساعدة في تسريع خطوات هذا القطار نحو الكارثة– وقلت له أن نظام الشاه كان معزولاً ومنهاراً وكذلك النظام الأثيوبي الإمبراطوري. وعليهم أن لا يكرروا أخطاءهم في إيران وإثيوبيا في السودان، من خلال دعم نظام متآكل ولا يحظى بأي سند شعبي. وأكدت له أنني أعلم أن انهيار النظام القائم سيفقدني موقعي الحالي، ولكنني مستعد للتضحية بذلك الموقع في سبيل أن يستعيد الناس حريتهم وإرادتهم. وأنني هنا لا أتصرف كعضو في الطبقة الحاكمة، بل كمعارضة، ولا استحي في ذلك، لأن ظروف بلادنا تتطلب مثل هذا الموقف. وفى مؤتمره الصحفي، الذي نظمه في

نهاية الزيارة، أشار بوش إلى أنه تعرف على أحوال البلاد من خلال لقائه معي أكثر من أي لقاءات أخرى- وبعد ذلك المؤتمر الصحفي غادر الزائر الأمريكي ومرافقوه مطار الخرطوم إلى السنغال، كما أخبرتني مسز بوش- والمهم، في النهاية، أن السفير الأمريكي في الخرطوم قد استجاب لطلبي وقام بترتيب لقاء في منزله جمع أبيل ألير وسياسيين جنوبيين آخرين مع نائب الرئيس الأمريكي الذي استمع لوجهة نظرهم.

*** زيارة موسكو :-**

في مارس، أثناء زيارة نائب الرئيس الأمريكي لغرب أفريقيا، حدثت وفاة رئيس سوفيتي آخر، شيرنيكو، كما تنبأت زوجته في حديثها معي أثناء زيارتهما للخرطوم- وكان نميري يفكر في إرسال نائبه الأول لمقابلة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان، بعد زيارة نائبه للخرطوم- ولذلك وجهني للسفر لموسكو لتمثيل السودان في تشييع الرئيس السوفيتي. وهناك قابلت الأصدقاء الأمريكان مرة أخرى- وكانت موسكو باردة بالفعل، كما توقعت بربارة بوش، رغم انتهاء معظم شهور الشتاء- وهناك كنت وسط شخصيات بارزة من كل أنحاء العالم، جاءت للعزاء في وفاة الزعيم السوفيتي الراحل. وأعجبتني في المدينة مبانيها، التي يشبه معظمها الكاتدرائيات ذات الأجراس الضخمة. وتخيلت كيف يمكن أن يؤدى أي تحرك من هذه المدينة، وردَّ فعل أمريكي من البنتاغون، إلى إشعال إعداد كبيرة من الصواريخ الأمريكية والسوفيتية وتوجيهها نحو أهداف محدَّدة في كل جهات العالم. وكيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى تدمير معظم عالمنا في لحظات قليلة. وعلى أي حال، وصل وفدنا في وقت مناسب، حيث تجمعنا مع الآخرين في منطقة دفن الرؤساء السوفيت السابقين. كان الجليد يتساقط عندما وصل الجثمان. وبعدها شهدنا عرضاً عسكرياً، ثم تحدث ميخائيل قورباتشوف، عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، والمرشح لقيادة الحزب والدولة. وأخبرني سفيرنا هناك بأن الذي يدير إجراءات جنازة الرئيس المتوفى هو الذي يصبح خليفته

في الحكم- وفى مكان التشييع شاهدت زعماء لم أشاهدهم من قبل، مثل: فرانسوا ميتيران، فرنسا، مارقريت تاتشر، بريطانيا، وغيرهم. وقابلت الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات وباولو موانقا، نائب الرئيس اليوغندى- ووجدت نفسي مدفوعاً تحوهما، بحكم لقائي معهما في زياراتهما للخرطوم. وكان الرئيس الأمريكي، رونالد ريغان، بطوله الفاره، الأكثر بروزاً وسط الزعماء الآخرين. وبدى لي كأن هذا التجمع قد نظم خصيصاً لتأكيد دور أمريكا وموقعها القيادي في عالم اليوم- وفى خضم هذا التشييع الضخم، تناسيت وضعنا السياسي المضطرب في السودان- ومن هناك قادونا مباشرة إلى الكرملين، الذي لم أتوقع زيارته قط. المهم، دخلت الكرملين، وكنت أقف في صف طويل، يقود إلى غرفة يقف فيها قورباتشوف لتلقي العزاء من رؤساء الوفود المختلفة، كنت أقف مع الرئيس ميتران ورئيسة الوزراء تاتشر- ولم أتقدم لتحية الأول بسبب عدم معرفتي باللغة الفرنسية. ولكنني استأذنت من الذي كان يقف خلف مسز تاتشر لتحيتها- وعندما سمعت حديثي حيتني وسألتني عن المجاعة التي ضربت بعض مناطق السودان. فشعرت بخجل شديد، ولكنني أجبتها بصدق وشكرتها على مساهمات الحكومة البريطانية المتواصلة في إغاثة المتضررين من المجاعة والجفاف والتصحر في بلادنا- وعندما جاء أحد موظفي البرتكول السوفيتي ليأخذها خارج الصف، نظرت إلى من حولها وقالت: (في بعض الأحيان من الأفضل أن تكون امرأة. أليس كذلك؟) فضحكنا جميعنا، ولكنا لم نحسدها- وجاء دوري لمقابلة وريث العرش السوفييتي. وبعد هذا العرض والاستقبال العظيم، استأذنت من نائب الرئيس السوفييتي لمغادرة المكان، بحكم ارتباطي بموعد رتبته سفارتنا هناك. ووقتها كانت الإجراءات في نهايتها- وبعد استعدادنا للعودة للخرطوم، كان علينا الانتظار لمدة عشرة أيام، وذلك لأن الخطوط الجوية السوفيتية كانت تنظم رحلتين فقط في الشهر للخرطوم- ولذلك لم يكن هناك أي خيار آخر- ولاحظت أن معظم الوفود الأخرى جاءت بطيارات خاصة، بما في ذلك نائب الرئيس اليوغندى. فشعرت بضعفي أمام الآخرين. وأكثر من ذلك، لم

أكن أملك مالاً يمكنني من السفر بخطوط طيران أخرى- ويبدو أن ذلك كان مقصوداً لإذلالي- وبعدها حاولت العودة عن طريق القاهرة بالخطوط السوفيتية. ولكن ذلك كان يتطلب موافقة الحكومة المصرية، لأن الطيارة السوفيتية تهبط في مطار القاهرة فقط للتزود بالوقود- وجاءت الموافقة من القاهرة تقول:- (ليس لجوزيف لاغو أي مشكلة هنا. مصر هي وطنه.) فطربت لذلك. وسافرت في رحلة الخطوط الجوية السوفيتية المتجهة إلى رواندا وبورندي، وفي القاهرة استقبلتني الحكومة المصرية. ومن المطار قادوني إلى منزل رئيس الوزراء، كمال حسن علي، المعروف ببساطته واعتداله- فقد ظلّ يسكن في شقة حتى بعد تعيينه رئيساً للوزراء. وهناك مكثت معه ساعات قليلة، وبعدها عدت إلى الخرطوم بالخطوط الجوية السودانية.

*** العودة للخرطوم:-**

في الخرطوم طلبت تحديد موعد رسمي لمقابلة الرئيس نميري بهدف تنويره عن مهمتي في موسكو- وذلك لشعوري بعدم إمكانية مقابلته بشكل طبيعي بعد التطورات الأخيرة في موقفي. ولكنه تجاهل طلبي واستدعى يوسف بشارة، أحد أعضاء الوفد، للقيام بما كنت أود القيام به، كما علمت من يوسف شخصياً. وكان واضحاً أن نميري لا يرغب في مقابلتي، ووقتها توهمت أنه يدير مؤامرة ضدي- ومع ذلك، لم أكرر طلب المقابلة، بل فضلت الانتظار لأرى ما سيفعله هو- وكانت الشائعات تقول أنه سيجري تعديلاً واسعاً في إدارته، وقد يستغني عن نائبيه الاثنين- ويشاع أن الفاتح بشارة، حاكم كردفان، سيخلف عمر محمد الطيب، بينما يعين دانيال كوت، حاكم أعالي النيل، في مكان جوزيف لاغو.

مع كل ذلك، قمت بتنوير الصحف المحلية، بهدف نشر بعض الأخبار حول رحلتي لموسكو. ومن جهة أخرى كنت على قناعة بأنني سافرت إلى هناك لتمثيل السودان وليس أسرة جعفر نميري. وأخبرت الصحفيين بحواري الودي مع مسز تاتشر واستفساراتها عن تطورات المجاعة في السودان واستعدادها للمساعدة في

إغاثة المتضررين من المجاعة. أخبرتهم أيضاً عن إجابتي حول استفساراتها وشكري لمساعدات المملكة المتحدة. وذلك بالإضافة إلى ما جرى في لقاءاتي مع نائب الرئيس السوفيتي وغيرها- وفي اجتماعات لمجلس الوزراء تحدث الرئيس، بدون مناسبة، محدّدة عن (الذين يتحدثون عن مسز تاتشر، مسز تاتشر.. ما الذي يظنون أنها يمكن أن تفعله في أوضاعنا هذه ؟) وكان واضحاً لكل الحاضرين في الاجتماع أنه يقصدني شخصياً. فأنا، جوريف لاغو، هو الذي أشار إلي رئيسة الوزراء البريطانية في لقائه مع الصحفيين- ومع ذلك، فضلت الصمت، كأن حديثه لا يعنيني. ووقتها علمت أن أيامي مع الرئيس قد كادت تنتهي. وهناك مفاجأة أخرى، حيث قام الرئيس، في عملية شبه عسكرية، باعتقال حسن الترابي، مساعد الرئيس، وأحمد عبد الرحمن، وزير الداخلية، وعدد كبير من الأخوان المسلمين داخل الحكومة وخارجها- أخذوا جميعهم من منازلهم وأرسلوا إلى سجون مختلفة. وكان الترابي يستعد للسفر إلى تونس في صباح نفس اليوم في مهمة حكومية. ولم أسمع بحملة الإعتقالات هذه إلا في حوالي الثامنة والنصف صباحاً، عندما ذهبت إلى مكتبي في القصر- أخبرني بذلك معاوني، الكولونيل جلدو أوليو Jildo Oleo، وقال لي أن قوات الأمن اعتقلت أعداداً من الأخوان الليلة الماضية، وأن الترابي قد يكون من بينهم. فاندهشت لذلك- وفي الحال اتصلت بمنزله للتأكد من سفره إلى تونس حسب علمي، ولكن زوجته أجابتني بصوت حزين بأن قوات الأمن قد داهمت المنزل في منتصف الليل وأخذته لمكان مجهول- فقلت لنفسي في حزن وشفقة: (يا لها من مصيبة. في سبتمبر اعتقلوا أخاها الصادق المهدي، لأنه انتقد الطريقة التي أعلن بها نميري الشريعة في البلاد، والآن اعتقلوا زوجها! ماذا فعل هذا الذي ساند نميري ودعمه في توجهه الإســلامي؟ هل هناك تغيير آخر في توجه الدولة بعد زيارة عمر الطيب لأمــريكا؟ أم أن الــرئيس الأمريكي طلب إبعاد الأصوليين كشرط لمساعدة نميري ؟) وتوصلت إلى أنه لا أحد يمكنه الاطمئنان لجعفر نميري. فإذا كان لا يستحي من اعتقال الترابي وبهذه الطريقة،

فماذا يفعل معي؟ أو مع غيري؟ وبعدها أخبرت أبيل ألير بما حدث، وقلت له يجب أن نكون يقظين، لأن نميري عندما يفعل شيئاً لا بد أن يوازنه بفعل آخر مشابه. فقبل شهور قليلة أحال اثنين من كبار الضباط للمعاش، فقط لأنهما يعارضان بعضهما ولا يتوافقان. ونحن نعارض الترابي بشكل ثابت ودائم ولا يمكن أن نتوافق معه حول نهجه الإسلامي. وبعد اعتقاله هو وزملائه، فإن اعتقالنا سيكون الخطوة القادمة، بهدف خلق توازن مطلوب.

*** عشية سفر الرئيس إلى أمريكا:-**

أصبحت الشائعات والشكوك وعدم الثقة هي التي تسيطر على أوساط العاصمة بشكل عام ووسط الدوائر الحكومية بشكل خاص- وبدأت تتساءل: أي مجموعة سيمتد إليها بطش الديكتاتور نميري بعد الأصوليين؟ فالجميع أصبحوا يشعرون بالخوف وعدم الأمان. ومن جهة أخرى رجع بهاء الدين محمد إدريس إلى القصر بقوة أكبر وصلاحيات أوسع، حيث تم ترفيعه إلى درجة مساعد للرئيس. فهو المستفيد الأول من اعتقالات الأخوان المسلمين- أما الجنرال عمر محمد الطيب، فقد ظلّ غامضاً، لا أحد يعرف إلى أين سيتجه ؟ فالبعض يتهمه بأنه ذو وجهين، ينافق ويخادع الجميع، وفي الوقت نفسه يجري اتصالاته مع الصادق المهدى. امتلأت المدينة بالشائعات في ظروف مجاعة واسعة وارتفاع كبير في أسعار السلع الأساسية واحتقان سياسي مخيف. كان هناك توقع واسع بانفجار شعبي عنيف ومحتوم نتيجة لكل هذه الظروف- فقد أصبحت الحياة في ظلّ هذه الظروف جحيماً لا يطاق. هكذا كان الحال في الشمال في عام 1985/84. وفي الجنوب عادت الحرب الأهلية وبدأت نشاطات حركة وجيش تحرير شعب السودان تمتد إلى مناطق عديدة. وفي عشية سفر الرئيس للولايات المتحدة، انعقد اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي- ومداولات المشاركين كانت سبباً مباشراً في دفع الشارع في اتجاه التحرك والتعبير عن رأيه وموقفه، نتيجة لاستفزازات نميري التي وردت في خطابه وتعليقاته- فتحركت المظاهرات بالفعل في بعض مناطق

العاصمة. فهل سيؤجل سفره إلى واشنطون حتى تهدأ الأحوال ؟ هل يعلم أنه قد استفز مشاعر الجماهير في خطابه أمام اللجنة المركزية ؟ هل يعلم أن الشوارع قد امتلأت فعلاً بمظاهرات المحرومين والمظلومين ؟ لا أحد يستطيع الإجابة على مثل هذه الأسئلة سوى الجنرال عمر محمد الطيب وأجهزة أمنه.

انتشرت تجمعات صغيرة هنا وهناك وظلت الشرطة تواجهها بعنف، باعتبارها تحركات معادية، وقام عمر محمد الطيب بجهد محدود لمواجهتها بعد عودته من الولايات المتحدة. والواقع أنه أرسل تحذيراً عنيفاً، عندما تحدث عن جسر جوي بين الخرطوم والبنتاغون، لنقل معدات عسكرية للسودان، حيث قال: (سنكون أقوياء لمواجهة أي تحدي من أي جهة "يشير إلى أثيوبيا" وسوف نسحق التمرد الجاري في الجنوب.) وحديثه الخطير هذا لم يكن موفقاً، بل أدى إلى إرباك السفارة الأمريكية في الخرطوم وحكومتها في واشنطون- والرئيس نميري كان لا مبالياً في مواجهة تساؤلات أعضاء اللجنة المركزية في يوم 26 مارس 1985، فقد طرحت محاسن الجيلاني، عضو اللجنة، سؤالاً حول ارتفاع الأسعار، قالت إن الأسعار ارتفعت إلى السماء ولم يعد من الممكن لأسرة متوسطة أن توفر ثلاث وجبات في اليوم. وقالت إن المشروبات الباردة، مثل الببسي كولا، ارتفعت أسعارها وأصبحت فوق طاقة أصحاب الأجور المحدودة، وأن الملابس المتوسطة لا يشتريها إلا أصحاب الدخول العالية... الخ. فبدأ الرئيس إجاباته بتناول تساؤلات محاسن عبد العال بطريقة غير متوقعة، حيث تساءل: (لماذا يأكل الناس ثلاث وجبات في اليوم ؟ أليس الأفضل أن يكتفوا بوجبة، وجبة جيدة واحدة فقط ؟ هل من الضروري أن يشربوا الببسي كولا ؟ لماذا لا يشربون الليمون والكركدي مع القليل من السكر ؟ لماذا تصرّ زوجة النجار أن تلبس نفس ثياب وملابس زوجة رئيس الجمهورية ؟). كان حديث الرئيس وتساؤلاته المضادة حديثاً مستفزاً لمشاعر الجمهور العريض- فقد أذيع مباشرة من الإذاعة والتلفزيون. واستقبله الناس بغضب وسخط. والواقع أنه وجد انتقادات واسعة حتى وسط أعضاء اللجنة

المركزية للاتحاد الاشتراكي، الذين لم يتوقعوا أن يتحدث رئيسهم بهذه اللغة المستفزة.

هكذا تحركت تجمعات ومظاهرات صغيرة هنا وهناك في شوارع العاصمة. فقلت لنفسي: (لو أن الرئيس أجل سفره لواشنطون وشاهد ما بدأ يجري في الشارع.) ولكنه لن يفعل ذلك. فقد سافر في نفس ذلك اليوم- وفي طريقنا للمطار لتوديعه، لاحظت أن الناس لم يصطفوا في الشارع لتحيته، بل أن معظمهم جاء ليسخر منه ويتأكد من سفره للخارج ويتمنى له سفراً بلا عودة. وفي عودتنا من المطار تحولت تلك التجمعات إلى مظاهرات معادية وبدأت تسدّ بعض الشوارع- وظلت هذه المظاهرات تتواصل حتى ساعات متأخرة من الليل. ففي الساعة الثامنة مساء كنت في منزل أحد الأصدقاء. وهناك سمعت الناس يهتفون شعارات معادية للحكومة. فسألتني صاحبة المنزل، مسز مارجريت خاتان Margret Khatan، (إلى متي ستستمر هذه المظاهرات ؟) فأجبتها بشكل عفوي ومباشر: (عندما تسقط الحكومة. يبدو أن الناس قد فقدوا الأمل في هذه الحكومة ويريدون تغييراً. هذا ما يجب أن نفهمه.) بدأت أفكر في ما يجري. فشعرت بأن هناك قوة تدفعني بأن أتخلي عن هذا النظام ولا أدعمه. فأنا أحد المتضررين والمعرضين للخطر، إذا ما استمر نميري في الحكم- وإجابتي على سؤال مضيفتي كانت تعبّر عن موقفي الحقيقي.

في اليوم التالي تواصلت المظاهرات بشكل أكبر أوسع. وبدأت تزداد وتتسع في الأيام التالية. وفى 1985/4/2 دعي عمر الطيب لاجتماع أمني في القصر الجمهوري. وكان الرشيد الطاهر قد عين نائباً ثالثاً للرئيس بعد اعتقال حسن الترابي- وبذلك أصبح عضواً في مجلس الأمن الوطني، مع النواب الآخرين. والموضوع المطروح للنقاش كان حول إمكانية استخدام القوة في مواجهة المظاهرات المتصاعدة في الشارع- فوقفت بقوة ضد هذا الاتجاه، بحكم موقفي ضد النظام الحاكم ككل وشعوري بالغربة وسط طبقته الحاكمة وتوقع إبعادي بعد عودة

الرئيس- قلت: (سيدي النائب الأول. أنا وأنت عسكريون- هناك مسألة واحدة تبدو واضحة في هذه الظروف. فقد نأمن جنودنا عندما يكونون في ثكناتهم وأسلحتهم في مخازنها- ولكن، عندما ندفعهم إلى الشارع بأسلحتهم، لا يمكننا أن نعرف إلى أين يوجهون هذه الأسلحة؟ فقد ينقلبون ويوجهون أسلحتهم نحو قيادتهم. هؤلاء الجنود ليسوا من الصين أو اليابان، هم أبناء هذا البلد وهذا الشعب. وأهلهم وأقرباؤهم هم الذين يتظاهرون في الشوارع...) هكذا توصل الاجتماع إلى استبعاد استخدام العنف واتجه المجتمعون إلى العمل السياسي، إلى تنظيم مظاهرات تدافع عن الحكومة وسياساتها في اليوم التالي، الأربعاء، الثالث من أبريل- وأسموها (مظاهرات الردع) فصدرت التوجيهات للمصالح والوزارات والمؤسسات الحكومية والخاصة للسماح للعاملين فيها وترحيلهم للمشاركة في موكب كبير يدافع عن الحكومة- ولكن الموكب كان ضعيفاً جداً، مقارنة بالمظاهرات المعادية- ومن ناحية عملية أدي إلى إثارة قوي المعارضة لتجميع صفوفها وتنظيم موكب مضاد، موكب ضخم في يوم الخميس 1985/4/4- وهنا دعي النائب الأول مجلس الأمن الوطني لاجتماع آخر في مباني جهاز أمن الدولة- كانت مظاهرات المعارضة منظمة وسلمية، تدعو فقط لإسقاط الحكومة القائمة وتناشد القوات المسلحة والشرطة والقوات المساعدة بالانضمام لانتفاضة الشعب- ولا يمكن أن تقابل مثل هذه المظاهرات بالعنف والقوة- ولذلك تمسكت بموقفي في اجتماع القصر وأشرت بأصبعي نحو عبد الرحمن سوار الدهب، وزير الدفاع والقائد العام، وقلت أنه يمكنه أن يشرح لنا موقف القوات المسلحة من التطورات الجارية. ولكنه ظلّ صامتاً خلال الاجتماع ولم يتفوَّه بكلمة. وشعرت وقتها أنه لا يملك سيطرة كاملة على قواته وأن الرتب الوسيطة هي التي تسيطر على الموقف.

وبينما كان اجتماعنا مشغولاً بالجوانب الأمنية، كان عمر الطيب يشغل نفسه بأشياء أخرى- كان يغازل الصادق المهدي من جهة، ويخطط مع ضباط القيادة العامة لعمل ما من جهة أخري- وإذا صحَّ ما سمعته عنه في فترة لاحقة، فقد كان

يلعب لعبة قذرة بمعنى الكلمة. ففي لقاء جمعني مع عز الدين السيد، بعد عام من ذلك اليوم تقريباً، في شقته في لندن، علمت معلومات جديدة. وبحكم موقعه، كرئيس لمجلس الشعب القومي، كان عز الدين ملماً بخيوط كثيرة في تلك الفترة. قال لي:

1) أن الصادق المهدي وعمر محمد الطيب كانا في اتصال دائم خلال اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، الذي تحدثت فيه محاسن عبدالعال- وأكد أن عبد الحميد صالح، نائب رئيس مجلس الشعب القومي، وعضو حزب الأمة، كان يمثل حلقة الوصل بين الطرفين.
2) أن الصادق وعمر وعبد الحميد عقدوا اجتماعات طويلة وخططوا لإسقاط النظام المايوي وتغييره.
3) أن المظاهرات الأولى، التي هاجمت مخازن جمعية ود نميري التعاونية في أمدرمان، كانت بتدبير وقيادة عناصر جهاز أمن الدولة، بتوجيه من عمر نفسه.

وعندما تصاعدت الأحداث إلى مرحلة متقدمة، قام عبدالحميد بالهروب إلى القاهرة واختفي الصادق المهدي في مزرعة في الباقير، ونتيجة لذلك، لم يستطع عمر الطيب الاتصال بهما لمراجعة الموقف حسب التطورات الجارية- ومن هنا أتجه إلى خداعنا وتضليلنا عن طريق اجتماعات متكررة لمجلس الأمن القومي، وفى الوقت نفسه كان يقوم بمفاوضات مع القيادة العامة من وراء ظهرنا- ولكنه لم يحصد شيئاً. وفى النهاية، خسرنا كلنا وكسب الجنرال سوار الدهب. وفى الشارع ظلت المظاهرات مستمرة ليلاً ونهاراً.

الفصل السابع عشر

نهاية نظام مايو

*** انهيار درامي :-**

ذهبت إلى مكتبي كالعادة في يوم السبت 1985/4/6 في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحاً. وهناك وجدت القصر الجمهوري هادئاً وخالياً من الناس، بما في ذلك عمال الحدائق، ووجدت مكتبي مغلقاً، فاندهشت لذلك وتحركت حول مباني القصر ثم ذهبت إلى مكتب زميلي النائب الأول، عمر الطيب، ولكني لم أجده، بل وجدت مدير مكتبه الكولونيل صلاح جالساً في مدخل المكتب. وكان في حالة انزعاج واضطراب واضحة. حيَّيته قائلاً: (هالو صلاح الأول. كيف تطورت الأحوال هذا الصباح؟) ناديته (صلاح الأول) لأن هناك كولونيلاً آخر، إسمه أيضاً صلاح، يعمل مع النائب الأول مديراً ثانياً لمكتبه في مباني جهاز أمن الدولة. وكنت أنادي أحدهما بصلاح الأول والآخر صلاح الثاني. المهم، ردّ على سؤالي: (الأحوال ماكويسة أبداً.) ووقتها لم أكن ملماً بآخر تطورات الموقف، لأنني لم استمع لأخبار الصباح في إذاعة أمدرمان – وواصل يقول: (هناك رأى عام وسط ضباط القوات المسلحة باستلام السلطة بدعوى أن الرئيس نميري فقد شعبيته وأن الجماهير لن تقبل عودته رئيساً للبلاد.) فسألته: (لماذا لا يقوم النائب الأول نفسه باستلام السلطة حتى يكون التغيير بسيطاً وسهلاً إذا كانت المشكلة هي نميري؟) وطلبت منه الاتصال بالنائب الأول في مكتبه بجهاز أمن الدولة حتى أتحدث معه حول هذه التطورات، ولكنه أكد لي أنه لن يكون هناك. وبالفعل ابلغه صلاح الثاني أن سعادة اللواء قد اتجه إلى مجلس الوزراء وأنه وجه بإبلاغي للذهاب إلى هناك فور حضوري للمكتب، وأن الوزراء والمسؤلين الآخرين سيكونون هناك- فتحركت من القصر إلى المجلس. وفى الطريق لاحظت خلو الشوارع من الناس والسيارات، وفى المجلس كانت الحالة تبدو أفضل بعض الشيء، فقد وصل بعض الوزراء وأخذوا

مواقعهم في مكان الاجتماع، حييتهم وجلست بجانب الرشيد الطاهر وبهاء الدين في يميني ومحمد الحسن في شمالي. وبعد لحظات ظهر عمر الطيب من مكتب الرئيس، وبدأ الاجتماع بتلاوة من آيات القرآن الكريم، وبعدها شرح النائب الأول تطورات الموقف في اليومين الأخيرين، يومي الخميس والجمعة، وصباح السبت. وأكد في حديثه وجود رأى واسع وسط الضباط بإسقاط النظام القائم والوقوف بجانب جماهير الشعب، وذلك بهدف حقن الدماء وإنقاذ البلاد من الفوضى والاضطراب. وأشار إلى أن الضباط اقتنعوا بأن الشعب لم يعد قادراً على تحمل نميري ولا يريد عودته رئيساً للبلاد. وأضاف أنه قد ظلّ يتصل بالقيادة العامة للقوات المسلحة وأنه ترأس بعض اجتماعاتها خلال اليومين الآخرين، وقال إن القيادة العامة نفسها تخضع لضغوط قوية من قيادات الوحدات، وأن الأخيرين يخضعون لضغوط مماثلة من الضباط لوضع نهاية لما يجري وإبعاد نميري من السلطة، وأشار إلى أن حالة الاستعداد الطويلة قد تسببت في توتر بعض الضباط والرتب الأخرى- وأكد أن بعض قيادات الوحدات وبعض الضباط قد يتحركون لاستلام السلطة، وأن ذلك قد يواجه بتحرك مضاد من آخرين، وبالتالي فتح الطريق لحالة من الفوضى والصراع وسط القوات المسلحة. ونتيجة لذلك قررت القيادة العامة الوقوف بجانب جماهير الشعب بإسقاط النظام القائم واستلام السلطة، وقال إن القيادة العامة اتخذت هذا القرار للمحافظة على وحدة القوات المسلحة وحقن الدماء وحماية البلاد من الفوضى، وأنها اختارت القائد العام ووزير الدفاع كقائد جديد وأنه سيصدر بياناً في هذا الاتجاه خلال اللحظات القادمة.

كان الجميع يستمع باهتمام كبير ودون أي تدخل حتى انتهي النائب الأول من حديثه، فسأله أحد الحضور: (بعد تحركنا من هذا المكان، أين نذهب؟ إلى مكاتبنا أم إلى منازلنا؟) فأجاب (انتظروا في مكاتبكم وبلّغوا زملاءكم في الحكومة لينتظروا أيضاً في مكاتبهم.) وقال إنه قد أصدر أمراً بحضور أعضاء الحكومة إلى مجلس الوزراء قبل التاسعة صباحاً، وعند نهاية حديثه ساد الصمت وسط الحضور،

وبعد لحظات بدأوا يهمهمون، وهنا تحدث خالد حسن عباس بكل جرأة وشجاعة. قال: (لا يمكن قبول ذلك. نظامنا أصبح معزولاً وكل ما يجب تحاشيه هو الصراع الدامي.) قام عمر من مقعده وتحرك إلى مكتب الرئيس. فتبعته مع الرشيد الطاهر وخالد حسن عباس. أما البقية، فقد جمعوا حقائبهم وانصرفوا. وفى مكتب الرئيس وجدنا النائب الأول يستمع لإذاعة أمدرمان. وكانت تذيع مارشات عسكرية. رحب بي قائلاً: (أهلاً أخي لاغو. كيف حالك؟) أجبته (لا بأس. لكني منزعج لما يجري. إذا كان نميري هو المشكلة، فيمكننا القيام،بانقلاب قصر تحت قيادتكم. وهذا تغيير سهل وبسيط وأفضل من الحالة الراهنة، حيث لا أحد يمكنه معرفة ما يضمره المستقبل.) وجاء الرشيد وجلس معنا مركزاً على سماع الموسيقي العسكرية المتواصلة. لم يجبني عمر، بل أخذ نفساً عميقاً وواصل الاستماع للمارشات العسكرية. وفجأة أعلنت الإذاعة: (سوف تستمعون بعد لحظات لبيان هام من الجنرال عبدالرحمن محمد حسن سوار الدهب، القائد العام للقوات المسلحة.) ومع استمرار الإذاعة في تكرار الإعلان، جمع عمر أنفاسه وقال: (لقد اتخذوا قرارهم، ليس أمامي أي خيار سوى منحهم موافقتي. وآمل أن يتعاملوا مع الحالة القائمة بيقظة وحذر- إنني أثق في عبدالرحمن. إنه من دفعتي في الكلية العسكرية، إنني أثق فيه، لا تقلقوا..).

ومع ذلك، كنت متشككاً في ما يقول، ولاحظت نفس تشككي في وجوه زملائي الرشيد وخالد- فقلت له: (إذا كان ذلك هو رأيك، فكل شئ سيكون على ما يرام. فأنت بالتأكيد أكثرنا معرفة ودراية بما يجري. دعنا نأمل خيراً.) وفجأة قدم المذيع الجنرال سوار الدهب: (والآن أقدم لكم القائد العام للقوات المسلحة ..) فصمتنا جميعاً. وقام عمر برفع مؤشر الصوت. وجاء صوت سـوار الدهب: (بسم الله الرحمن الرحيم.... لقد قررت قوات الشعب المسلحة الوقوف بجانب الشعب. وأعلن لكم الآن البيان رقم واحد:-

* أولاً:-

- حلّ رئاسة الجمهورية ومجلس الشعب القومي ومجالس الشعب الإقليمية.
- حلّ الاتحاد الاشتراكي السوداني وفروعه.
- إعفاء رئيس الجمهورية ونوابه ومساعديه وحكام الأقاليم من مناصبهم.

* ثانياً:-

حلّ الحكومة والحكومات الإقليمية وإعفاء الوزراء المركزيين والإقليميين والمسؤلين في الوظائف الدستورية...).

عندما انتهى البيان وبدأت الإذاعة تواصل في المارشات العسكرية، تلفتنا ونظرنا إلى بعضنا نظرات موحية. وبعد لحظات استأذنت وتحركت إلى خارج المكتب وتبعني الرشيد وخالد- وفى الطريق لاحظ الرشيد أنني أحمل عصاة جديدة. فربّت على كتفي وقال لي: (أين عصاتك المعتادة؟) قلت له: (تركتها في المنزل حتى أعرض عصاتي الجديدة التي أحضرتها من موسكو في رحلتي الأخيرة.) فقال: (كنت تقول أن عصاتك تملك قوة سحرية تقوم بحمايتك. لماذا تتركها في المنزل في مثل هذا الوقت وتحمل أخرى لا تملك قوة سحرية مثلها؟ أنظر. لقد أعلن حلّ حكومتنا. فإذا أحضرت تلك العصاة لقامت بحمايتك وحماية حكومتنا. لقد خذلتنا..) فضحكنا معاً. وبعدها أقترح الرشيد أن نذهب إلى دار الاتحاد الاشتراكي بدلاً من أن يذهب كل منا إلى مكتبه. فوافقت وكذلك خالد حسن عباس- ومن هناك تحركنا في سيارتي إلى الاتحاد الاشتراكي عن طريق شارع المك نمر. كانت حركة الناس والسيارات لا تزال ضعيفة. وعند وصولنا قادنا الرشيد لمكتب السكرتير العام، فقد كان يقوم بمهام التنسيق بين الأجهزة التنفيذية والتشريعية والأجهزة السياسية في الدولة، بعد تعيينه مساعداً للرئيس، وبما أن السكرتير العام كان في رحلة للصين، فقد كان الرشيد وقتها الأعلى مكانة في السكرتارية العامة. وفى الاتحاد الاشتراكي لاحظت أن الجميع كان مشغولاً بالاستماع لإذاعة أمدرمان.

وكذلك فعلنا نحن بعد وصولنا هناك. وكانت الإذاعة تواصل مارشاتها العسكرية وتعيد إذاعة البيان الأول بين وقت وآخر.

منذ إذاعة البيان بدأ الناس يخرجون في مجموعات للشوارع ليعبروا عن فرحهم بزوال نظام نميري. وبمرور الوقت بدأت أعدادهم تتزايد، ونتيجة لذلك توقفت الحركة في الشوارع الرئيسية، وكانت مظاهراتهم سلمية ومتحضرة ولم تلجأ للعنف كما حدث في الأيام السابقة- وكانت تردد شعار (جيش واحد، شعب واحد) بشكل متواصل. فقد كان الناس فرحين ومبتهجين بوقوف الجيش إلى جانبهم. ولذلك أوقفوا أعمال العنف والتخريب التي شهدتها العاصمة في الأيام السابقة- وكانت حركتهم منظمة وملتزمة بشعاراتها، كما علمنا من بعض العاملين في الاتحاد الاشتراكي الذين تسللوا إلى داخل تلك المظاهرات وعادوا لتنويرنا بما شاهدوه.

كان الرشيد الطاهر قلقاً ومضطرباً، ربما بحكم خبرته وتجاربه مع فترات التحوّل السياسي في البلاد- فاتصل بزوجته للاستفسار عن حال أسرته، وعندما سألناه عن ما قالته له، أجاب بأنها ذكرت أن بعض المتظاهرين قاموا بقذف المنزل بالحجارة وأن الشرطة قامت بإبعادهم من هناك. وساعتها عبرّ لنا عن رغبته في الذهاب إلى منزله. ولكننا نصحناه بعدم الذهاب حفاظاً على نفسه من غضب المتظاهرين ولأن ظهوره هناك سيزيد الموقف سوءاً- فقبل نصيحتنا وأنهى محادثته التلفونية وجلس معنا لمتابعة التطورات.

وخلال ذلك بدأت أصوات المظاهرين ترتفع قليلاً قليلاً وهى تقترب من مباني الاتحاد الاشتراكي. ورغم ذلك كنا نشعر بثقة في قدرة شرطة الطوارئ المنتشرة حول المباني وفى داخلها على حمايتنا، كان خوفنا أكثر على أسرنا في مساكنها. ومن جانبي بدأت أشعر بخوف وقلق على مصير أسرتي. ولكن ليس هناك أي إمكانية للخروج، لأن الشوارع كانت مليئة بالمتظاهرين. وكانت هتافاتهم تصل آذاننا: (جيش واحد، شعب واحد... رأس نميري مطلب الشعب.) كانت هتافات واضحة ومخيفة، رغم أنها لا تذكر سوي نميري، وبعد لحظات خفتت أصوات

المتظاهرين لتحركهم في اتجاه آخر بعيداً عن الاتحاد الاشتراكي- وساعتها قلت لبعض الزملاء بأنني سوف أتحرك وأحاول الوصول إلى منزلي. فوافقوا بأمل أن أفتح لهم طريق العودة إلى منازلهم- وتحركت بسيارتي، وفى المدخل أفادتنا الشرطة بالطرق التي يمكن أن نسير فيها بسلام حتى منطقة سكننا. وبالفعل سرنا في طرق جانبية عديدة حتى وصلنا إلى المنزل. وفى الطريق لاحظت تدفق الجماهير من مختلف الجهات، في اتجاه رئاسة القوات المسلحة. ولذلك شعرت بسرور عندما وصلنا قبل تجمعها هناك. وكانت الساعة وقتها تشير إلى الثانية عشر، منتصف النهار- وعندما نزلت من السيارة، حيَّاني عريف الحراسة وطمأنني على سلامة المنطقة. فسألته: (ماذا عن المتظاهرين؟ هل وصلوا إلى منطقة سكننا؟) أجاب: (لا.. قليلون منهم جاءوا وطلبوا ماء. والذين يعرفونك قالوا إنهم لا يستهدفونك بأي حال.) فشعرت براحة كبيرة، لأن مجيء بعضهم لطلب الماء يشير إلى موقف إيجابي. ولذلك وجهت العريف بترك البوابة مفتوحة حتى يمكن إعطاء الماء لمن يطلبها من المتظاهرين. لقد تعلمت من تجربتي الخاصة أهمية مثل هذه الخدمات البسيطة. ولذلك وفرت لأفراد حراستي جهاز تلفزيون وحنفية تمدّهم بمياه باردة. ودخول أعداد من المتظاهرين للشرب منها حولّهم إلى أصدقاء. ومن ثم دخلت المنزل، حيث استقبلتني زوجتي وضيوفها بفرح وابتهاج بسلامة عودتي.

تواصلت أصوات المتظاهرين وتجمعاتهم حول رئاسة القوات المسلحة. ومن بلكونة الطابق الأعلى كنا نرى تلك التجمعات وهي تتحرك كأمواج متلاطمة. كانت تعبر عن اعتزازها وتضامنها مع القوات المسلحة بعد تفهمها لحقيقة الموقف وانحيازها لجانب الشعب وقيامها بإنهاء نظام نميري- وهكذا، تواصلت هتافاتها ومطالبتها برأس نميري- ومع أنها لم تذكر أي أسماء أخري، فقد كنت أشعر بأن الأحداث ستتطور وتأخذ شكلها النهائي بالتدريج. وفى تمام الواحدة ظهراً، بدأت أصوات المتظاهرين وتجمعاتهم حول رئاسة القوات المسلحة، بدأت تتراجع بسبب ارتفاع حرارة الشمس. وفى الساعة الثانية وصل إلى منزلي معاوية حسن محجوب

وزوجته. وهو صديق حميم، ظلَّ يواصل زيارتي منذ فترة طويلة، ولذلك سمح له الحرس بالدخول بسيارته، وعندما أوقف سيارته نزل هو وزوجته ودخلا إلى المنزل، حيث حيَّاني بقوله: (سلامتك.)فنظرت أمامي وتعرفت عليه وقلت له: (سلامتو الله.) شعرت بغبطة وفرح وشكرت الله لأنني وجدت من أتحدث معه في هذه الظروف الحرجة. فجلسنا معاً وذهبت زوجته لتلتقي آمنة في جناح النساء. وفى تلك اللحظات قمنا بمراجعة الأحداث وتطوراتها والأسباب التي دفعت الجماهير للخروج إلى الشارع والانتفاض ضد نظام نميري واحتمالات تطور الأحداث. وفى هذا الأثناء بلغنا أن هناك إطلاق نار في رئاسة القوات المسلحة. فتحركنا لنرى ما يحدث. فقفزت إلى خارج الفرندا بأمل أن تلتقط أذني ما يجري بصورة أوضح. ولم يكن من الممكن الحصول على معلومات بأي طريقة أخري. ولكن إطلاق النار لم يستمر طويلاً- وفى وقت لاحق علمت أن ذلك كان نتيجة رفض أفراد جهاز أمن الدولة تسليم أسلحتهم ومقاومتهم لضباط القوات المسلحة. وكان منزلي بالقرب من الرئاسة. وفى فترة سابقة كان يسكنه مأمون عوض أبوزيد. وفى أحداث 1976 قتل شقيق زوجته، الذي كان يقيم في هذا المنزل. وفضلت هذا المنزل، بعد أن تركه مأمون، لأنني كنت أبحث عن منزل واسع يمكنني من استقبال أهلي وضيوفي.

بعد أن هدأت الأحوال، نصحني معاوية بإبعاد أسرتي من هذه المنطقة، على الأقل حتى تتضح الرؤية، ودعاني للإقامة معه في منزلهم في منطقة الامتداد الجديد بالخرطوم بحري، وقال لي أن بعض أسر زملائي تعرضت لمضايقات كثيرة وأن مجموعة من المتظاهرين حاولت الهجوم على منزل الرشيد الطاهر، وأضاف أن حرس عمر محمد الطيب تمكنوا من إيقاف مظاهرة نسائية ومنعها من مهاجمة منزله. والواقع أنني رحبت بدعوة صديقي معاوية، فقبلت ترحيل أسرتي للإقامة معه وأن أبقى وحدي في المنزل لأسباب خاصة، إذ كنت أرى أنه لا يصحُ أن أترك منزلي في هذه الظروف، ولكن آمنة اعترضت وقالت: (لن نذهب إلى الخرطوم بحري وأتركك هنا. إذا أصرّيت على البقاء فمن الأفضل أن نبقى كلنا ونواجه ما

يحدث معاً.) وكان القرار صعباً:- أن أبقي مع أسرتي ونواجه معاً ما يبدو خطراً ماثلاً.. أو .. أن أتخلى عن كرامتي وأذهب معها إلى مكان آمن واخترت الخيار الثاني. وكنت أخاف أن يفسر ذلك بالجبن والهروب من المعركة، ولكن، لم أعد نائباً للرئيس، فقد تم إعفائي من موقعي مع الآخرين، بعد حلّ الحكومة وأجهزة النظام المايوي، فلماذا أقيم في المنزل الحكومي مع أسرتي؟ لذلك وجهت السائق بتجهيز سيارتين وأخبرت آمنة لإعداد نفسها وأطفالها للتحرك فوراً- وقلت لعريف الحرس بأنني أشعر بتحركات غير عادية في رئاسة القوات المسلحة، ولذلك سأنقل زوجتي وأطفالها إلي مكان آمن وسأعود للمنزل في وقت لاحق. كنت أرغب في أن لا يفهم الحرس ذلك كعدم ثقة في قدرتهم علي حمايتي أو كهروب من الخطر القادم. المهم، تحركنا إلي منزل معاوية في تمام الثانية والنصف ظهراً. وتركت في المنزل شقيقي الأكبر، روبين، الذي خرج من مستشفى السلاح الطبي قبل يوم واحد فقط. وتركنا معه الشاب الجنوبي، واني، الذي كان يقيم معنا، ولم أكن مرتاحاً لتركهم خلفي، خوفاً عليهم من مصير شقيق زوجة مأمون عوض أبوزيد في أحداث 1976- فوجهتهم بالاختباء في جداول الحديقة عند شعورهم بأي صدام خطيراً وقلت لهم أنني سأعود قبل غروب الشمس.

وصلنا منزل معاوية وقت الغداء. وكان في المنزل أخوان زوجته ومسز عديلة أمبورو (**Adela Mboro**) زوجة كلمنت أمبورو التي وصلت من نيروبي في اليوم السابق، قبل إغلاق مطار الخرطوم. وتناولنا جميعنا وجبة غداء وفيرة. وعديلة أمبورو من بروندي. فاعتذرت وقلت لها نأسف لحضورها للسودان في هذه الظروف الصعبة. وكانت تلك أول مرة تزور فيها الخرطوم- وبعد الغداء أعطاني معاوية جلابية وتحركت إلى الطابق الأعلى لأستلقي في السرير وأخذ قسط من الراحة، وكنت احتاج إلى ذلك فعلاً. ولكن كيف ارتاح في غير منزلي؟ لذلك قمت من السرير وبدأت أتجول في الغرف التي جهزها لأسرتي واستمع لإذاعة أمدرمان. كنت قلقاً. وبدأت أفكر في مستقبلي المباشر. فتجمعت في رأسي أفكار عديدة. وفى

الخامسة غسلت وجهي ولبست ملابسي ونزلت لأشارك معاوية والآخرين الجلوس في الصالون. وقلت لمضيفي أن الوقت قد حان لرجوعي لمنزلي قبل المغيب. وهنا تدخلت آمنة وقالت بحزم:- (يجب أن أذهب معك.. الأطفال يلعبون مع أبناء معاوية وربيكا **Rebecca** سترعاهم. يجب أن أذهب معك لأرى ما يحدث لك وأعرف إلى أين سينقلونك إذا قاموا باعتقالك.) ففكرت للحظة وشعرت بأهمية ذهابنا معاً، على الأقل هذه الليلة، ومضيفنا أيضاً كان يرى ذلك. وهكذا تركنا الأطفال في منزله واتجهنا للخرطوم- وكان السائق قد تحرك في السيارة الأخرى للذهاب لمنزله وتفقد أسرته، وفى الطريق لاحظت قلة الحركة في الشوارع. وبعد أن قطعنا الكبرى القديم فكرت في المرور على منزل أبيل ألير للاطمئنان عليه وعلى أسرته، لأنه لم يحضر اجتماع مجلس الوزراء صباح ذلك اليوم- وبعدها تحركنا إلى منزله، ودخلنا إليه من المدخل الخلفي، الذي يستخدمه هو في العادة. وبعد التحية والسلام سألت سياما ألير عن زوجها، فقالت إنه خرج قبل لحظات وقد يكون مع جيمس أجيث **Ajith** الذي يسكن قريباً منهم- وجيمس هذا كان معتمداً لمشروع قناة جونقلي، الذي كنت أشرف عليه بحكم موقعي كنائب جنوبي لرئيس الجمهورية. ولذلك كان من الواجب زيارته لهذا السبب وأسباب أخري عديدة. وهناك وجدنا أبيل ألير مع عدد من الناس في حديقة المنزل- فحييتهم وأخبرت أبيل بأنني قد زرته في منزله وعلمت أنه خرج لتّوه. وقلت له كنت أريد التحدث معه حول التطورات الجارية، ولكن طالما دخلت منزل جيمس فيجب أن أحييه وأتفقد أحواله. فذهبنا إليه ووجدناه يجلس في كرسي مريح بمساند كبيرة. فقد كان شبه مشلول، وزوجته تجلس بجانبه وأخواته يشاهدن التلفزيون. وعندما أخبرته زوجته بحضوري لزيارته، رفع حاجبيه وحاول تحديد موقعي. وعندما رآني بدأ يبكي. ومن جانبي حاولت إخفاء حزني على حالته وعلى ضعفي أمامه- إذ لم أعد نائباً لرئيس الجمهورية ولا يمكنني مساعدته، وكذلك أبيل ألير- حاولت أن أسيطر على حزني وضعفي من أجل أسرته وبدأت (أدردش) معه وأطمئنه بأنه سيعافي وتعود إليه صحته مرة أخرى. وكنت قد

أبلغت أسرته في وقت سابق بمحاولاتي وبجهود الزين صغيرون، وزير الري، أيضاً مع المصريين لمعالجته هناك- وفى النهاية ودعناه وودعنا أهله. وأعجبت في الواقع بشجاعته وشجاعة زوجته لثباتها وتماسكها رغم كل المصاعب التي مرت بها. وعند خروجنا من المنزل، ترك أبيل ألير مقعده وتحرك نحونا. فأخبرت آمنة بانتظاري في السيارة حتى أكمل حديثي معه- وعلمت منه أنه لم يتسلم أي إخطار باجتماع التاسعة صباحاً. والوقع أن عدداً من الوزراء لم يحضر ذلك الاجتماع، مع أن الجميع كان حريصاً على معرفة تطورات الأحداث. ويبدو أن إخطارهم لم يكن ممكناً. فشرحت له ما دار في الاجتماع. وتطرق حديثنا لتطورات الأحداث واحتمالاتها. وعندما وصلنا الشارع شاهدنا سيارة تتوقف في الجانب الآخر- وبدا لي أن صاحبها تعرف علينا وأراد أن يحيينا. وبالفعل نزل من سيارته وتوجه نحونا. أنه الجنرال بشير محمد علي، وزير الدفاع السابق- فناقشنا معه التطورات الجارية وتبادلنا المعلومات وتوصلنا إلى أن نظام نميري قد انتهى ولا يمكن إعادته. شعرنا أن الرئيس قد عزل نفسه عن الناس ولم يستمع إلى نصائحهم، وأنه دفعهم دفعاً للوقوف ضده. واتفقنا مع تحرك الناس ومطالبتهم بالتغيير وعدم قدرتهم على الاستمرار تحت حكم نميري. وعبّرنا ثلاثتنا عن سرورنا بنهاية النظام المايوي بطريقة سلمية دون إراقة دماء كثيرة. والواقع أن المظاهرات والمواكب كانت سلمية في طابعها العام. ولكن، مع ذلك، شهدت بعض المناطق أحداث عنف دامية. فقد قامت عناصر أمن الدولة بإطلاق النار وقتل بعض المتظاهرين. وأدى ذلك إلى تحرك القوات المسلحة وتجريد جهاز الأمن من أسلحته. وبعد تحرك بشير أخبرت أبيل بانتقال أسرتي إلى الخرطوم بحري على الأقل لمدة يوم أو يومين. فوافق على قراري وأشاد به، بحكم موقع المنزل وما حدث في المنطقة من أحداث دامية في فترات سابقة. وهكذا افترقنا، حيث ذهب أبيل إلى منزل جيمس وتحركت مع زوجتي لمنزلنا- كان السكون يخيم على المنطقة والشوارع خالية من الحركة. وعندما تجاوزنا المدخل المؤدي إلى منزل الدكتور أحمد عبدالعزيز، الذي عين قبيل

فترة وجيزة مديراً للخدمات الطبية العسكرية، شاهدت عدداً من أفراد الشرطة العسكرية بقبعاتهم الحمراء يقفون هناك- إذ أنهم لم يكونوا في تلك المنطقة قبل ذلك. وقلت ربما يكون ذلك مؤشراً لتعيينه في منصب هام في الوضع الجديد- وبعدها وصلنا إلى منزلنا. فدخلت آمنة وذهبت أنا إلى المدخل وسألت الحرس: (هل جاء أي شخص يسأل عني؟) أجابوا: (نعم. جاء بعض الجنود في سيارة لاندروفر بعد خروجك بقليل. وأخبرناهم بما قلته لترحيل أسرتك لمكان آمن وعودتك قبل المغيب. وبعدها غادروا..) ومن هناك تحركت إلى حجرة روبين ورواني. فأكدوا لي توقف الجنود في المدخل وحديثهم مع الحرس ومغادرة المكان بعد ذلك- وبالطبع لم أتوقع اعتقالي، لأن عمر محمد الطيب أكد لنا أن سوار الدهب سيقوم بحمايتنا. ولكن زيارة هؤلاء الجنود لا تتماشى مع ذلك التأكيد بأي حال.

*** أصدقاء يتفقدونني :-**

بعد فترة وجيزة من عودتنا، دخل إلى المنزل أنيس حجار فاستقبلته في مدخل المنزل، حيث شرحت له أحداث ذلك اليوم وأبلغته بقراري لترحيل أسرتي إلى مكان آمن. وأخبرته أيضاً بمجيء بعض الجنود وسؤالهم عني. وقلت له إن ذلك يعني توجهاً لاعتقال كبار المسئولين في الحكومة، كما يحدث عادة في ظروف التغييرات السياسية في بلدان العالم الثالث. وشكرته على زيارته ونصحته بالرجوع حتى لا يجده الجنود معي عند عودتهم لاعتقالي، وكنت لا أريدهم أن يتعرفوا عليه معي، لأن ذلك قد يضرّ به وبنشاطه التجاري- فتفهم حديثي وقال: (نحن أصدقاء، ولا يمكنني أن أبتعد عنك في وقت الشدَّة والمشاكل- سأتصل بك وأراقب الموقف.) لقد أعجبت بإخلاصه في صداقته، الذي دفعه لزيارتي وتفقدي في هذا اليوم العصيب وهذه الظروف الحرجة- وقالت زوجتي: (أنيس صديق بمعني الكلمة..) وأضاف أخي الكبير: (هذا ليس جديداً عليه. فوالده ووالدنا كانا صديقين عزيزين.) وقبل أن أجلس مع روبين، علمت أن هناك من يسأل عني. فذهبت لمقابلته. وهناك وجدت أبزاكيل ماكوى كودى ووليام أجاك دنيق، السياسيان الجنوبيان المعروفان- جاءوا

أيضاً لتفقد أحوالي، فشكرتهم لزيارتهم واهتمامهم ودعوتهم للدخول، ولكنهم اعتذروا، لارتباطهم بزيارة آخرين، ومن ثم شرحت لهم تطورات الأحداث كما تابعتها خلال ذلك اليوم وأبلغتهم بقرار ترحيل أسرتي وما حدث أثناء غيابي عن المنزل، وقلت لهم ربما يتم اعتقال كبار المسئولين في الدولة، وقلت: (إذا حدث ذلك فقد لا أقابلكم أو أياً من السياسيين الجنوبيين الآخرين في وقت قريب. لذلك فإن رسالتي لكم جميعاً أن تتكافوا وتتجمعوا في جبهة موحدة. جمدوا خلافاتكم السابقة بين جبهة الجنوب وحزب سانو، وإذا تكاتفتم وتحدثتم بصوت واحد، فسوف يتم إطلاق سراح الذين اعتقلوا لأسباب سياسية. فمستقبلنا ومستقبل شعبنا في الجنوب سوف يعتمد على وحدتنا وتماسكنا في المرحلة القادمة، بلّغوا هذه الرسالة لأبيل ألير الذي زرته قبل قليل في طريقي لمنزلي.) ودعتهم وافترقنا.

*** زوار ليسوا أصدقاء :-**

دخلت المنزل وتناولت كوباً من الشاي، كنت أتوقع أن يشربه معي أزاكيل ووليام- وفى تلك الظروف كان الزوار يشعروني بتضامن ودعم حقيقي. ولكن.. من هم الزوار القادمون؟ في السابعة مساء بدأت أشعر بالوحدة. ففي ذلك الوقت كنت أذهب إلى الاتحاد الاشتراكي، نادينا السياسي، لمقابلة الزملاء وقضاء وقت ممتع معهم. والآن فكرت في زيارة زميلي وجاري أحمد عبدالحليم، الذي يسكن في المبني المجاور لمنزلنا- وأحمد هذا شغل مواقع عديدة في فترة حكم نميري:-عضو المكتب السياسي، مساعد الأمين العام لشئون الفكر والمنهجية، وزير الثقافة والإعلام وزعيم المجلس التشريعي. ورحبت آمنة بالفكرة وشجعتني بأنني سأجد معلومات أكثر من عبدالحليم وزوجته، بحكم كثرة زوارهم واتساع علاقاتهم. ولذلك أخبرت الحرس بأنني سأذهب إلى جاري، وإذا جاء أي شخص يسأل عني يمكنهم توجيهه إلى هناك- وعلى أي حال، استقبلنا أحمد وزوجته (الشفا) بمحبة وسرور- فقد كانا أيضاً يحتاجان لزيارتنا. وهكذا جلسنا جميعاً نتبادل أطراف الحديث ونراجع تطورات الموقف. وحاولنا تحليل الوضع وتحديد مجرى تطوره. وفجأة أنقطع

حديثنا عندما جاء أحد أبنائهم ليبلغني أن وانى ينتظرني في الخارج- وهنا تذكرت أن الجنود، الذين زاروا منزلي في عصر ذلك اليوم، قد يعودون هذا المساء. ولذلك أخبرت أحمد بزيارتهم وباحتمال اعتقالنا في أي وقت. وخرجت لمقابلة وانى والعودة لمواصلة حديثنا. وكما توقعت، فقد أخبرني واني بحضور الجنود وسؤالهم عني. فقلت له سأحضر حالاً بعد إكمال حديثي مع جاري. وعندما رجعت حدثت أحمد بمجيء الجنود وسؤالهم عني. وفى تلك اللحظة شعرنا بأن قرار اعتقالنا قد صدر وبدأنا نفكر في أسبابه وأهدافه، وتساءلنا: من هو المسئول عن حماية نظام مايو وإفساده؟ هل هو القوات المسلحة التي تقوم الآن باعتقال الوزراء والمسئولين؟ أم المدنيون الذين شاركوا في مؤسساته المحلولة؟ وتركت صديقي حتى لا يتضايق الجنود من تأخيري، وعند خروجي وجدت أنهم في طريقهم إلى منزل أحمد- فقدمت نفسي إليهم وأخبرتهم بأنني في طريقي لمقابلتهم. قال أحدهم: (نعم. أرسلنا لك.) فطلبت منهم الرجوع معي للمنزل. وكانوا أربعة، أحدهم ملازم ثاني، ومسلحين ببنادق كلاشنكوف. وفى المنزل قلت لهم (الآن، أنا جاهز لاستلام أي رسالة عندكم.) فسلمني الملازم مظروفاً صغيراً، وجدت فيه رسالة باللغة العربية مطبوعة على الآلة الكاتبة واسمي مكتوب بالحبر، وذلك يعني أنها عبارة عن منشور عام وزع على عدد كبير من الناس، وجاء فيها: (هذا توجيه من القائد العام للقوات المسلحة، الجنرال عبدالرحمن سوار الدهب، بأن لا تغادر منزلك بعد استلام هذه الرسالة وأن لا يزورك أي شخص..) وأخذ الضابط الرسالة وقرأها أمامي مرة أخري وسلمني لها- ويبدو أن القيادة العامة وجهته بذلك، بحكم ضعف معرفتي باللغة العربية. وهكذا فهمت مضمونها وقلت له أن توجيهاتها واضحة وسألتزم بها. ومنذ تلك اللحظة أصبحت معتقلاً في منزلي- وهنا سألني الملازم عن عدد مداخل المنزل. فقلت له يمكنك فحصها بنفسك. وبعد جولة حول المنزل عدنا إلى مكاننا. فقال لي: (هذا منزل كبير وبه عدة مداخل. لماذا لا تنامون كلكم في هذه الغرفة؟) وشعرت هنا باستفزاز شديد. فقلت له بحزم:(انظر.. أنا لم أكن هنا عندما جئتم أنتم

أو مجموعة أخرى في وقت سابق. وإذا كنت من الذين تتخيلهم، لما عدت إلي منزلي ولما استقبلتك. كيف تأمرني بالنوم في غرفة واحدة مع أخي وزوجتي؟ إذا كان المنزل كبيراً ومداخله كثيرة وتخاف هروبي، يمكنك الاستعانة بعدد أكبر من الجنود لتنتشرهم حول المنزل..) ومع توتري وانشدادي، تحركت إلى غرفة النوم واستلقيت على سريري. وقلت لآمنة أن هذا الضابط (ما عنده أخلاق.) وقمت مرة أخرى وفتحت الدولاب وأخذت زجاجة من الويسكي، شربت منها في الأيام السابقة. أخذت منها جرعة وتركت الكأس بجانبي استعداداً لجرعة أخرى. واستلقيت في سريري دون أي اهتمام بما قد يحدث لي في الساعات القادمة، ووقتها كانت آمنة في المطبخ- وهي لا تريدني أن أتناول أي مشروب أثناء تواجد هؤلاء الجنود، لذلك أرسلت واني ليمنعني من الشرب. فجاء وطرق باب الغرفة بكل أدب واحترام. نهضت من سريري منزعجاً. سألته: (في شنو؟) أجابني بقوله (آمنة قال ما تشرب.) فقلت له: (كويس، كويس.) وواصلت التفكير بصوت عالي في ما يحدث. وعندما راجعت نصيحة آمنة، شعرت بأهميتها في مثل هذه الظروف. فقلت لنفسي: (إذا كانوا سيأخذونني إلى مكان آخر، يجب أن لا أشرب، أن لا أسكر، أن لا يشموا رائحة خمر في فمي.) هكذا لم أتناول جرعة أخرى وحركت الكأس إلى مكان آخر- وبعد لحظات جاءت آمنة وبلغتني بأنها قد جهزت العشاء، وسألتني: (لماذا تريد أن تشرب؟ في مثل هذه الظروف يجب أن لا تشرب؟) فقلت لها: (كلامك صحيح.) وأكدت لها بأنني تناولت كأساً واحداً فقط وتوقفت.

ذهبت للعشاء مع روبين. كان الطعام يحتوي على لحم مسلوق وحساء ورغيف. وهذا ما أحبه في وجبة العشاء. فأكلنا ما طاب لنا. وعدت إلى سريري. أما الضابط، فقد قام بتوزيع جنوده على المداخل التي يظن أنني (سأهرب منها). وضع أحدهم في البلكونة لمراقبة الحديقة والآخرين في المداخل. وقامت آمنة بتوفير كرسي للجندي الواقف في المدخل. فاستلمه وجلس عليه. وقامت بتوفير آخر للجندي المسئول عن البلكونة. ولكنه رفضه: (لا نريد كراسي.) وعندما أخبرتني، قلت لها

يجب أن نتركهم في حالهم لأنهم سيعتبرون ما نقدمه رشوة لهم- قلت لها: (هؤلاء بشر مختلفون، جاءوا هنا لمهام مختلفة. هم ليسوا كالشرطة الذين كانوا في حراستنا وحمايتنا.) وبعد العاشرة مساءاً بدأت أستمع لإذاعة .B.B.C. وكانت أخبار السودان في مقدمة نشراتها، وفى بعض الأحيان كنت أجد فيها معلومات وأخباراً أكثر من ما أجده في إذاعة أمدرمان، فقد سمعت بترحيل اليهود الفلاشا عن طريق السودان إلى إسرائيل في إحدى نشراتها قبل أسابيع عديدة، ووقتها كنت في رحلة عائلية في جبل أولياء، جنوب الخرطوم. فاندهشت لذلك، لأنه لم يكن لي علم بذلك، بل لم أكن أعرف أن هناك يهوداً فلاشا في أثيوبيا، كنت نائب الرئيس ولا أعلم بمثل هذا الحدث الهام. إنه زمن نميري. وبعد سماع الأخبار حاولنا النوم، ولكننا لم نستطع، والواقع أن آمنة كانت أكثر قلقاً وانزعاجاً مني. وبالطبع كنت أتفهم أسباب قلقها، فأنا زوجها ووالد أطفالها، والأم تحتاج للوالد في تربية الأطفال، لقد فقدت والدها وهي فتاة صغيرة، وبذلك فقدت حنانه ورعايته، كانت تحكي لي ظروف قتل والدها والمصاعب التي عاشتها بعد غيابه ولا تريد أن يعيش أطفالها نفس تلك المصاعب. ولذلك كانت أكثر حرصاً على سلامتي. وحاولت تهدئتها حتى لا يؤثر ذلك في صحتها. وقلت لها أن الانقلابات العسكرية والتغييرات السياسية في السودان لم ترتبط قط بأحداث دامية، وأن المجازر تظهر بعد ذلك من خلال الصراعات الداخلية وسط المجموعة الحاكمة أو مع القوى المنافسة التي تحاول استلام السلطة، أما الذين يعزلون من مواقعهم، فإنهم لا يتعرضون لمحاكمات وإعدامات، بل يتعرضون فقط للاعتقال لفترات قصيرة، وقلت لها هذا ما سنواجهه نحن أيضاً. وبعد شرح طويل هدأت أعصابها واطمأنت لما سيأتي. وفى الحادية عشر والنصف ليلاً سمعت طرقاً في باب الغرفة. وعندما فتحت الباب وجدت أحد الجنود، الذي أخبرني بأن هناك من يطلب حضوري لمقابلته، وبالطبع سمعت آمنة ما دار بيننا من حديث. فقلت لها سأذهب لمقابلة من يطلبني وعليها أن تنتظر في سريرها- وهناك وجدت رائدين يقفان في الفرندا، وعندما اقتربت منهما قاما بواجب التحية العسكرية . وبعد التحية

والسلام قال أحدهما بأدب واحترام:- (سعادتك، جئنا لنأخذك معنا.) فقلت لهما لا مانع وطلبت منهما تبليغ زوجتي. فوافقوا ونصحوني بأن أحمل معي احتياجاتي الضرورية. وهنا فهمت ما يقصدون. دخلت المنزل وأبلغت أخي الذي استيقظ من نومه وصعدت إلى غرفتي وأبلغت آمنة وطلبت منها توفير بعض الملابس والضروريات الأخرى، وقلت لها أن هناك ثلاثة آلاف جنيه في حقيبتي يمكنها الاستفادة منها في تدبير شئون الأسرة خلال فترة غيابي التي لا أدري مدتها، وبعدها ذهبت إلى الحمام، حيث غسلت وجهي وجهزت نفسي للخروج- وفى هذا الأثناء قامت آمنة بتجهيز معظم احتياجاتي. فأضفت معجوناً وفرشة أسنان ومرايا ونسخة من الإنجيل. وبعد ذلك قبلتها وشجعتها حتى تتحمل مسئوليتها تجاه أطفالها في غيابي، وقلت لها أنهم يريدون اعتقالي ولا شئ سيحدث لبقية أفراد الأسرة. وودعت روبين وشجعته أيضاً ليقوم بواجبه في هذه الظروف الصعبة. وبعدها اتجهت إلى الرائدين. وتبعتني آمنة، وعندما تحركنا إلى خارج المنزل تبعتنا أيضاً فنصحها أحد الجنود بالبقاء داخل فناء المنزل، لكنها قالت له: (أريد أن أرى ما هناك. فقد رأيت هذين الضابطين وأريد أن أرى من معهما وفي أي سيارة ستأخذون زوجي وإلى أي اتجاه، وإذا لاقدر الله سمعنا أخباراً سيئة عنه، فسوف أعرف من أخذه وكيف أخذه وأخبر أطفاله بقصة اعتقاله كاملة.) وعند المدخل وجدنا سيارة (لاندروفر) وعليها مجموعة من الجنود وسيارة صالون صغيرة. فقام أحد الرواد بفتح بابها الخلفي وطلب مني الدخول، ثم اغلق الباب وركب في الكرسي الأمامي مع السائق، وبعد تحرك السيارة أخبرني الضابط بأنهم اعتقلوني لأسباب أمنية وأنهم سيمرون علي منزل خالد حسن عباس ليأخذوه معي. وطلب مني أن لا أنزعج لذلك، وأضاف أن مجموعات أخري ستقوم باعتقال أبوالقاسم محمد إبراهيم وزين العابدين محمد أحمد ومأمون عوض أبوزيد. وفهمت أن هناك حملة إعتقالات واسعة تشمل العديد من المسئولين في نظام نميري. وعندما وصلنا منزل خالد نزل الضابطان ودخلا لاعتقاله. ومنزل خالد كان قريباً من منزلي. وبعد فترة قصيرة جاءا مع خالد. ويبدو

أنه كان مستعداً للاعتقال. خرج من المنزل بجلابية وعمة نظيفتين. وكان يسير أمام الضابطين. واتجه مباشرة إلى السيارة وفتح الباب وأخذ مقعده بجانبي. فنظرت إليه وقلت: (مرحباً بيك في السيارة يا أخي. أخذوا معك وقتاً قصيراً. هل كنت جاهزاً للاعتقال؟) فأجاب ضاحكاً: (نعم يا أخي جوزيف، أنت كنت ما عارف؟) وبعدها قال لي أنه عرف بحملة الاعتقالات منذ وقت كافي ولذلك أرسل أسرته لأهله وظلّ ينتظر اعتقاله. وهكذا تحركت السيارة في الشارع الموازي للسكة حديد. ومن هناك اتجهت إلى الخرطوم بحري. وفى تقاطع شارع الجمهورية اتجهت شرقاً من تحت كبري السكة حديد. ومن هناك اتجهت شمالاً عن طريق كبري القوات المسلحة الجديد وبعدها اتجهت غرباً في منطقة سجن كوبر العمومي. وفى هذه المنطقة هناك عدد من الاستراحات الحكومية وحراسات جهاز أمن الدولة. ولذلك لم نتأكد من الجهة التي يقصدونها. ولكن السيارة اتجهت إلى شمال الشارع ودخلت الطريق الذي يتجه إلى السجن العمومي. وساعتها تأكدنا أنهم يريدون اعتقالنا في سجن كوبر. وعندما توقفت أمام مدخل السجن، نزل الضابطان ودخلا إلى مكاتب السجن. وعند عودتهما ركب كل منهما في سيارته ورجعنا بنفس الطريق الذي جئنا به. لم أفهم ما حدث، وكذلك خالد- وعندما وصلنا محطة البنزين المواجهة لمدخل القيادة العامة للقوات المسلحة، تحركت السيارتان ووقفتا أمام المدخل الجديد للمنطقة السكنية. نزل الضابطان وتشاورا معاً، وبعدها اتجهنا إلى منطقة القيادة العامة. وهناك بقينا لبعض الوقت، ثم اتجهنا مرة أخرى نحو سجن كوبر. وهناك استلمنا ضباط السجن. فنزلنا من السيارة وقادونا إلى مكتب مدير السجن، حيث حيانا الضابطان وودعانا بطريقة مؤدبة وودودة.

*** في سجن كوبر العمومي :-**

تركونا في السجن، ووجدنا هناك نقيباً وملازماً من ضباط السجون. أجلسونا في مكتب الكمندان وأخذوا الأسماء، عنوان السكن، عنوان أحد الأقرباء وغيرها، ثم سألونا هل عندنا أي نقود للحفظ؟ فسلمتهم أربعين جنيهاً كانت معي

وسلمهم خالد حزمة من الأوراق النقدية، فقام النقيب بعدّها وتسجيلها جميعاً، وهنا أيضاً كان خالد مستعداً لإقامة طويلة، وكان الضابطان غير سعيدين ومندهشين، فحتى ذلك الصباح كانت حصيلتهم من المعتقلين: نائب رئيس جمهورية ووزير فقط. وربما تمنوا في تلك اللحظات أن لو لم يكونوا في وردية تلك الليلة. ولكننا كنا هناك معهم كمعتقلين. فنادى النقيب الحرس الذي قادنا إلى داخل السجن عن طريق عدة مداخل، وبعد مدخلين وصلنا إلى عنبرين طويلين، في كل منهما حوالي خمسين سريراً مرتبة في صفين وممرّ بينهما- وبعد إدخالنا في هذا المجمع انسحب الحرس دون أن يودعنا، كما فعل الرواد الذين أحضرونا للسجن. تركنا هناك لنختار أين ننام- فهناك عنبران وأسرَّة عديدة أمامنا، تحركنا في الجناحين لنرى أيهما أفضل، وفى النهاية اخترنا العنبر الأقرب للمدخل، حيث وجدنا بعض الأسرَّة والمراتب المتسخة وبطاطين وملايات، وضعت هناك على عجل أثناء انتظارنا في مكتب الكمندان. وفى داخل السجن لم نرى أي معتقلين أو مساجين آخرين. هناك فقط الحرس الذين قابلناهم في المكتب والحراسات، فكل المعتقلين السابقين أطلق سراحهم بعد هجوم المظاهرات على السجن بعد بيان القيادة العامة.

كانت ليلة متربة، ولذلك اخترت النوم داخل العنبر، بينما فضل خالد النوم في الخارج، فنظرت إليه وقلت: (إنه معتاد على الغبار والأتربة والرياح الصحراوية. هذا هو حال الشمال، بلده.) وبينما استلقي خالد في سريره، فإنني لم أستطع. فقد كان العنبر ساخناً، رغم الرياح والأتربة، وفى وقت وجيز عرفت جيوش الناموس بوجودنا، فجاءت للهجوم على أجسامنا، وعندما لم استطع تحمّلها، قمت بنقل سريري إلى الخارج لأنام بجانب زميلي، وكان مسروراً بانزعاجي من الحرّ والناموس، فضحك عليّ وضحكت معه كثيراً، استلقيت في سريري وبدأت أشاهد الحرس يمشي فوق حائط السجن، فتعجبت لوسع الحائط الذي يمّكن الحرس من المشي باطمئنان حتى في الظلام، كانت الساعة الثانية عشر مساء السادس من

أبريل 1985، ومع مرور الوقت بدأت أحاول تكييف نفسي مع وضعي الجديد في سجن كوبر. فاستقريت في سريري في انتظار النوم.

*** 7 أبريل، عيد الفصح :-**

بعد منتصف الليلة دخلنا في يوم جديد، السابع من أبريل 1985. وهو عيد الفصح، وبدأت أفكر في العالم المسيحي والمسيحية، وشعرت بأنني سوف لن أكون وسط أخوتي المسيحيين في صلوات الأحد، عيد الفصح. وكنت في العادة أشارك في احتفالات الكنيسة الكاثولوكية والبروتستانتية في الخرطوم أو في جوبا- وكنت أهتم بذلك منذ أن أصبحت شخصاً عاماً ونائباً لرئيس الجمهورية. وكنت اهتم بالكنيسة ودورها في المجتمع.

في الثالثة صباحاً فتح باب العنبر. فصحونا على صوته المزعج- ونظرنا إلى الباب فرأينا زين العابدين محمد أحمد عبدالقادر يدخل إلى العنبر. رحبت به بلغة الدينكا، حيث قلت له (مرحباً مونديت **Monydit** أي الرجل الكبير) ثم داعبته بقولي: (ترى هنا، خارج العنبر، تراب ورياح. وفى الداخل حرّ وناموس. لا أدري أين تريد أن تنام؟ معنا في الخارج؟ أم في الداخل مع الحرّ والناموس؟) وأطلقت عليه لقب **Monydit** بسبب شعره الأشيب، فردّ على تحيتي بمثلها واستلقي في سرير معنا والتزم الصمت علّه ينام ما تبقى من ساعات، وفى السادسة صباحاً صحوت من النوم وقمت بتمريني المعتاد، المشي حول العنبر لمدة من الزمن، كما أفعل في منزلي منذ فترة طويلة، وبعد ذلك بدأت أبحث عن الحمامات. لكني اكتشفت أنه لا ماء في المواسير، ولذلك عدت إلى المشي والقفز والجري حول العنبر بهدف قضاء الوقت في تمارين مفيدة. وكان الزملاء يشاهدونني باندهاش. فخاطبني خالد: (أها يا شباب ورياضة.) فضحكت وحييتهم: (صباح الخير.) فردوا (صباح النور.) وأخبرتهم بأن مواسير السجن ليس فيها ماء. ولما لم يردوا قلت لهم: (سادتي. هذا هو الوضع. وشعرت أن من واجبي أن أبلغكم.)

في الساعة السابعة فتح الباب مرة أخرى وجاءنا أبوالقاسم محمد إبراهيم- فرحبنا به جميعنا: (مرحباً مرحباً يا شيخ.) وبعد أقل من ربع ساعة فتح الباب ثانية ودخل علينا مأمون عوض أبوزيد وهو يمشي بطريقته الملوكية. فرحبنا به أيضاً. ومع مرور الوقت لم تصل الماء للمواسير- ولاحظت أن أربعتهم كانوا أعضاء في (مجلس قيادة الثورة). ولفتُّ نظرهم لهذه الملاحظة. قلت لهم: (أخواني. ترون أن أربعتكم أعضاء في مجلس قيادة الثورة مايو. وأنا الوحيد الغريب بينكم. أنا تركت القوات المسلحة وقمت بمحاربتها- واعتقالنا هنا هو بسبب دورنا في هذه الانقلابات والتمردات، أليس كذلك؟) فنظروا إليّ وإلى بعضهم بتعجب، وبدا لي أنهم اعجبوا بملاحظتي، فقال زين العابدين: (في هذه الحالة، من الذي لم يتمرد في هذه البلاد؟ من هو البريء من هذه التهمة؟ حتى الصادق المهدي وتجمعه الوطني قام بغزو البلاد.) وهكذا انشغلنا بمثل هذه الأفكار طوال الوقت، وفى الثامنة دخل علينا الرشيد الطاهر، فرحبنا به هو الآخر- وجاءنا الحرس بعد وصوله ببرميلين من المياه النظيفة حتى نتمكن من نظافة أجسامنا من أتربة الليلة الماضية، ووضح لنا وقتها أن حملة الاعتقالات شملت كل أعضاء الحكومة السابقة وليس الموجودين في هذا العنبر فقط. وبعد الرشيد جاءوا بعلي شمو وبهاء الدين محمد إدريس وخالد الخير والفاتح بشارة ومحمد الحسن وشريف التهامي وكمال عمـر الأمين ومحمـد عثمان أبوساق، الواحد منهم بعد الآخر- وفى العاشرة كان العنبر يزدحم بالناس ويعجّ بالنشاط. فقاموا بنظافته وترتيبه وشربنا الشاي والقهوة معاً. وبعض السجناء، الذين خرجوا بعد كسر أبواب السجن في يوم السبت، هؤلاء بدعوا يعودون للسجن من تلقاء أنفسهم، وكلفوا بخدمتنا في العنبر- وفى تلك الساعة تحركنا جميعنا إلى داخل العنبر. وجاءتنا الإدارة بمراتب وملايات نظيفة وظلّ الباب مفتوحاً لحركة الناس من العنبر إلى الخارج وبالعكس- وشمل ذلك القادمين الجدد والحرس والمساجين، وفى داخل العنبر كنا نتحرك من سرير إلى آخر، نناقش التطورات الجارية واتجاهات تطورها مع فناجين القهوة والشاي. وظهرت أيضاً ألواح الثلج،

وكنت الجنوبي الوحيد وسط المعتقلين. والندرة تجذب الاهتمام كما يقولون. لذلك كان الجميع يحاول الحديث معي، ونتيجة لذلك لم أشعر بالوحدة ولم أجد وقتاً حتى ارتاح من تعب الليلة الماضية، ومع تزايد عدد المعتقلين بدأت مخاوفنا في التناقص. وعلى كل حال، كان الاعتقال تجربة جديدة ومثيرة لنعيش فيها مع الزملاء في بيئة مختلفة. كانت تجربة هامة تذكرنا بأن الأحوال لا تسير كما نتمنى. وفى السجن ظلّ خالد قريباً مني. فهو زميلي في التجربة منذ بدايتها. وكان يتحرك معي من مكان إلى آخر ويدفعني للحديث عندما يجدني صامتاً. وفى بعض الأحيان كنت أتضايق من التصاقه بي، ولكني كنت أكبح مشاعري حفاظاً على صداقتنا التي استمرت طوال السنوات الثلاث الأخيرة. وفى الحادية عشر والنصف دخل علينا الشاويش ومعه بعض الجنود. وطلب منا الاستعداد للتحرك إلى مكان آخر- فجهزنا حقائبنا وساعدنا في حملها الحرس والمساجين. وتحرك ركبنا داخل السجن حتى وصلنا إلى عنبر قالوا لنا أنه (المعاملة الخاصة.) وبدا لنا فعلاً كعنبر معاملة خاصة، لاختلاف تصميمه واتساعه وتقسيمه لغرف صغيرة. وفى الحال مدُّونا بمراتب وبطاطين وملايات نظيفة. فتقدم خالد وتبعه زملاؤه واختاروا غرفة كبيرة. واتجهنا أنا والفاتح بشارة إلى غرفة أخرى. ولحق بنا شريف التهامي وكمال عمر الأمين. وسررت لابتعاد خالد عني في هذه المرَّة. فقد اكتفيت من صحبته وأريد أن أقيم في هدوء- كل أربعة منا دخلوا في غرفة حسب توجيهات الشاويش. وعلى أي حال، كان المكان الجديد أفضل من العنبر السابق. ولكنه أيضاً كان داخل السجن. وبدأ المعتقلون يتحركون من غرفة إلي أخرى. وكان ذلك يسبب إزعاجا شديداً. وشعرت أن آخرين كانوا يتضايقون من هذه التحركات، مثل خالد الخير، بهاء الدين والفاتح بشارة. فقد ظلوا في سرائرهم ثابتين. ومن جانبي فكرت في زيارة غرفة زملائي في القصر الجمهوري: خالد الخير ومحمد الحسن. فاستقبلوني بترحاب (مرحباً مكونغو .Mkungu.). شكرتهم على استقبالهم وتقديرهم لشخصي وقلت: (ولكني لم أعد مكونقو. فقد فصلنا جميعنا بعد حلّ حكومتنا قبل يومين.) قالوا: (بالنسبة لنا، لا

في الساعة السابعة فتح الباب مرة أخرى وجاءنا أبوالقاسم محمد إبراهيم- فرحبنا به جميعنا: (مرحباً مرحباً يا شيخ.) وبعد أقل من ربع ساعة فتح الباب ثانية ودخل علينا مأمون عوض أبوزيد وهو يمشي بطريقته الملوكية. فرحبنا به أيضاً. ومع مرور الوقت لم تصل الماء للمواسير- ولاحظت أن أربعتهم كانوا أعضاء في (مجلس قيادة الثورة). ولفتُ نظرهم لهذه الملاحظة. قلت لهم: (أخواني. ترون أن أربعتكم أعضاء في مجلس قيادة الثورة مايو. وأنا الوحيد الغريب بينكم. أنا تركت القوات المسلحة وقمت بمحاربتها- واعتقالنا هنا هو بسبب دورنا في هذه الانقلابات والتمردات، أليس كذلك؟) فنظروا إليّ وإلى بعضهم بتعجب، وبدا لي أنهم اعجبوا بملاحظتي، فقال زين العابدين: (في هذه الحالة، من الذي لم يتمرد في هذه البلاد؟ من هو البريء من هذه التهمة؟ حتى الصادق المهدي وتجمعه الوطني قام بغزو البلاد.) وهكذا انشغلنا بمثل هذه الأفكار طوال الوقت، وفى الثامنة دخل علينا الرشيد الطاهر، فرحبنا به هو الآخر- وجاءنا الحرس بعد وصوله ببرميلين من المياه النظيفة حتى نتمكن من نظافة أجسامنا من أتربة الليلة الماضية، ووضح لنا وقتها أن حملة الاعتقالات شملت كل أعضاء الحكومة السابقة وليس الموجودين في هذا العنبر فقط. وبعد الرشيد جاءوا بعلي شمو وبهاء الدين محمد إدريس وخالد الخير والفاتح بشارة ومحمد الحسن وشريف التهامي وكمال عمـر الأمين ومحمـد عثمان أبوساق، الواحد منهم بعد الآخر- وفى العاشرة كان العنبر يزدحم بالناس ويعجّ بالنشاط. فقاموا بنظافته وترتيبه وشربنا الشاي والقهوة معاً. وبعض السجناء، الذين خرجوا بعد كسر أبواب السجن في يوم السبت، هؤلاء بدعوا يعودون للسجن من تلقاء أنفسهم، وكلفوا بخدمتنا في العنبر- وفى تلك الساعة تحركنا جميعنا إلى داخل العنبر. وجاءتنا الإدارة بمراتب وملايات نظيفة وظلّ الباب مفتوحاً لحركة الناس من العنبر إلى الخارج وبالعكس- وشمل ذلك القادمين الجدد والحرس والمساجين، وفى داخل العنبر كنا نتحرك من سرير إلى آخر، نناقش التطورات الجارية واتجاهات تطورها مع فناجين القهوة والشاي. وظهرت أيضاً ألواح الثلج،

وكنت الجنوبي الوحيد وسط المعتقلين. والندرة تجذب الاهتمام كما يقولون. لذلك كان الجميع يحاول الحديث معي، ونتيجة لذلك لم أشعر بالوحدة ولم أجد وقتاً حتى ارتاح من تعب الليلة الماضية، ومع تزايد عدد المعتقلين بدأت مخاوفنا في التناقص. وعلى كلٍ حال، كان الاعتقال تجربة جديدة وشيرة لنعيش فيها مع الزملاء في بيئة مختلفة. كانت تجربة هامة تذكرنا بأن الأحوال لا تسير كما نتمنى. وفي السجن ظلّ خالد قريباً مني. فهو زميلي في التجربة منذ بدايتها. وكان يتحرك معي من مكان إلى آخر ويدفعني للحديث عندما يجدني صامتاً. وفي بعض الأحيان كنت أتضايق من التصاقه بي، ولكني كنت أكبح مشاعري حفاظاً على صداقتنا التي استمرت طوال السنوات الثلاث الأخيرة. وفي الحادية عشر والنصف دخل علينا الشاويش ومعه بعض الجنود. وطلب منا الاستعداد للتحرك إلى مكان آخر- فجهزنا حقائبنا وساعدنا في حملها الحرس والمساجين. وتحرك ركبنا داخل السجن حتى وصلنا إلى عنبر قالوا لنا أنه (المعاملة الخاصة.) وبدا لنا فعلاً كعنبر معاملة خاصة، لاختلاف تصميمه واتساعه وتقسيمه لغرف صغيرة. وفي الحال مدُّونا بمراتب وبطاطين وملايات نظيفة. فتقدم خالد وتبعه زملاؤه واختاروا غرفة كبيرة. واتجهنا أنا والفاتح بشارة إلى غرفة أخرى. ولحق بنا شريف التهامي وكمال عمر الأمين. وسررت لابتعاد خالد عني في هذه المرَّة. فقد اكتفيت من صحبته وأريد أن أقيم في هدوء- كل أربعة منا دخلوا في غرفة حسب توجيهات الشاويش. وعلى أي حال، كان المكان الجديد أفضل من العنبر السابق. ولكنه أيضاً كان داخل السجن. وبدأ المعتقلون يتحركون من غرفة إلي أخرى. وكان ذلك يسبب إزعاجا شديداً. وشعرت أن آخرين كانوا يتضايقون من هذه التحركات، مثل خالد الخير، بهاء الدين والفاتح بشارة. فقد ظلوا في سرائرهم ثابتين. ومن جانبي فكرت في زيارة غرفة زملائي في القصر الجمهوري: خالد الخير ومحمد الحسن. فاستقبلوني بترحاب (مرحباً مكونغو .Mkungu.). شكرتهم على استقبالهم وتقديرهم لشخصي وقلت: (ولكني لم أعد مكونقو. فقد فصلنا جميعنا بعد حلّ حكومتنا قبل يومين.) قالوا: (بالنسبة لنا، لا

تزال مكونقو، حتى هنا في السجن.) فقلت لهم: (بهذا المعني، كلامكم صحيح.) وذلك لأنني كنت الأعلى رتبة في وسطهم. وعندما قابلت الرشيد الطاهر، انفجر ضاحكاً دون أن أعرف سبب ضحكه. ولما سألته، قال: (لاحظت أنك لم تكرر خطأ الأمس. فجئت بعصاتك المعتادة وليس الجديدة التي أحضرتها من موسكو.) فأجبته بقولي: (أخي. لا أتحمل ابتعادها عني، خاصة في مثل هذه الظروف الصعبة) ثم تحركت نحوه وهمست في أذنه: (أنني أضعها دائماً بجانب سريري، بالقرب مني.) فضحك مرة أخرى وهو يردّد: (كويس، كويس جداً.) وبعدها دخلنا في (ونسة) طويلة. ومع مرور الوقت، توقفت الحركة ورجعت إلى غرفتي، حيث فتحت الإنجيل وبدأت أقرأ بعض الآيات لإشاعة الطمأنينة في نفسي. وحاولت البحث عن الفصل الخاص بالحواريّ الذي جاءه الملاك وأخرجه من السجن. ولكنني لم أنجح في ذلك. كنت أتمني أن تحدث تلك المعجزة مرة أخرى. وهنا رآني خالد حسن عباس أقرأ في الإنجيل. فسألني:- (هل تقرأ الإنجيل بشكل منتظم؟) قلت له: (لا. ليس دائماً، بل في بعض الأحيان. ولكني أحمله معي دائماً.) وشعرت أنه أرتاح لإجابتي، لأنه كان منتظماً في صلواته. وواصلت قراءتي. ثم توقفت والتفت نحو كمال عمر الأمين وتحادثنا حول أصدقاء عرفناهم في السعودية وعن فترة عمله سفيراً في نيجيريا. وفى هذا الأثناء طلب منا التحرك لتناول وجبة الفطور. فنظرت لساعتي ووجدتها تشير إلى الواحدة والنصف ظهراً.

تصميم الغرف في (المعاملة الخاصة) يبدو جميلاً. كل غرفة تسع أربعة أسرة- وكنا نستخدم المطبخ والفرندا للجلوس. هكذا تحركنا للفطور. وأكلنا حتى شبعنا. أما الطعام، فقد كان جيداً واستطبناه جميعاً، ما عدا الفاتح بشارة، الذي تناول لقيمات قليلة وعاد إلى سريره. واستغرب أصدقاؤه، لأنه معروف بحبه للطعام. فظنوا أنه ليس على ما يرام.

بعد تناول الفطور، عاد أكثرنا إلى غرفه وظلّ البعض جالساً في مكانه. وهنا جاء كولونيل من القوات المسلحة، يعرفني ولكنني لا أعرفه. كان ظريفاً

ومهذباً، حيث سلَّم على الجميع وتحدث معهم بأدب واحترام. وعندما جاءني حيَّاني ومدّ لي يده فابتسمت وشعرت براحة كبيرة. فبعد كل الذي جرى، نجد من يعاملنا بتقدير واحترام؟ وكان معه أحد الضباط المتقاعدين، إسمه أبوبكر محمد المبارك. وكان يلبس زيّاً مدنياً. وكنت أعرفه منذ أيام الكلية العسكرية. ولكني لم أراه منذ ذلك الوقت. كان وجوده مع الكولونيل مصدر قلق وإزعاج بالنسبة لنا نحن الضباط المتقاعدين. ولذلك أصبح مادة غنية لمناقشاتنا بعد مغادرتهما. فجميعنا يعرفه. وفى وقت لاحق عرفت أنه كان ضمن الضباط الذين أحيلوا للتقاعد مع الجنرال عبدالماجد حامد خليل. وأكد زين العابدين بأنه يعرفه جيداً، وقال إنه معتز بنفسه ويتطلع دائماً لمكانة أعلي وربما أحيل للتقاعد لتطلعه وعدم انضباطه، وأضاف أنه قد يكون مشاركاً في التخطيط الذي أدى إلى اعتقالنا، وربما إنه يحاول الحصول على موقع في الإدارة الجديدة في البلاد، ولذلك يعمل لتقوية علاقاته مع ضباط القوات المسلحة. وقال الزين: (أكاد أجزم أن حضوره مع هذا الكولونيل لا يبشر بخير.) وهنا أضاف أبوالقاسم: (إذا كان هدف الانقلاب الجديد هو الثأر والانتقام. فإن ذلك سيفتح الباب لانقلابات عديدة. فبعض الضباط الآخرين سيحاولون القيام بانقلاب ويأتون إلى هنا لإطلاق سراحنا واعتقال الآخرين..) واصلنا مناقشتنا كأننا نتعامل مع مشكلة عسكرية في الميدان. وفى وقت لاحق قلت لهم أن اعتقالنا، خمستنا، في البداية يؤكد أن المجلس الحاكم يخاف من تحركنا ويعتبرنا خطراً يهدد استمراره.

بينما كنا نتناقش حول حضور أبوبكر لزيارتنا مع ذلك الكولونيل، كان آخرون يتجمعون حول راديو ترانزستر، أحضره علي شمو معه. كانوا يستمعون لأخبار الظهيرة. وعلي شمو كان وزير الإعلام في حكومتنا المحلولة. وإحضاره لهذه الراديو الصغير كان لفتة بارعة استحق عليها شكرنا جميعاً. فقلت: (طالما أن البعض يخاطبني بــ(مكونقو) فإن علي لا يزال وزيراً للإعلام. وأرى أنه لا يزال يقوم بواجبه بشكل جيد.) المهم، كانت نشرة الأخبار عادية ولا جديد فيها. ولذلك

تحرك كثيرون إلى غرفهم أو إلى الحمام. ومن جانبي انتظرت دوري في الحمام، وبعد ذلك لبست جلابية نظيفة وأخذت عصاتي وذهبت إلى حيث يجلس بقية المعتقلين. وعند وصولي أحدث منظري فرحاً واضطراباً في أوساطهم. فضحكوا جميعهم وأثاروا تعليقات ظريفة. ولم يتخلف خالد عن إثارة أسئلته، فقال:(يا جوزيف. تعمل دا حتى هنا في السجن؟) أجبته بقولي: (ياخالد في كل مكان أنا بعمل كده.) فلم يرد، بل عاد لمواصلة مناقشاته مع الآخرين. ودخلت معهم في أحاديث طويلة ومتنوعة. وفي هذا الأثناء أحضر الحرس حقيبة وسألوا عن صاحبها- وبدا لنا أن هناك قادمين جدد وأن الحقيبة تابعة لأحدهم. وفكرنا من يكون هؤلاء؟ ربما كان بينهم عمر محمد الطيب وأبيل الير. وتساءلت:- أين هم الآن؟ من هؤلاء القادمين الجدد؟ وبدأت استعيد فترات التغييرات السابقة، مثل أحداث 1971، أول انقلاب ضد نظام نميري، عندما قام قادته بقتل المعتقلين في بيت الضيافة بعد شعورهم بفشل انقلابهم. ولذلك قد تقوم السلطة بأخذ بعضنا إلى أماكن أخرى، حسب تقديرات المسئولين وخططهم.

عند المغيب جاء الشاويش وأشار إليّ وقال:(عاوزنك في البوابة.) فسألته باندهاش (أنا؟) فأجاب بنعم. ثم تبعته إلى الخارج. وهناك وجدت مقدم السجن، الذي أخبرني بأن القيادة العامة للقوات المسلحة قد وجهت بعودتي إلى منزلي. فشكرته وطلبت منه السماح لي بالعودة إلى العنبر لجمع أشيائي وتوديع زملائي. فوافق علي ذلك. وهناك أخبرت الزملاء بتوجيهات القيادة العامة. وكانوا سعداء لخروجي من السجن، فقال كمال:(إنجيل جوزيف أقوى من قرآننا. فبعد قراءة آيات قليلة، أطلق سراحه.) كان الجميع فرحاً بالحدث. ثم جمعت أشيائي فقال محمد الحسن:(هذه بالتأكيد بداية مبشرة. الآن مكونغو جوزيف يخرج من السجن، وسنخرج كلنا بعده.) فشدتني كلماته وقلت له:(أخي، لم تتضح الصورة بعد . هل أطلقوا سراحي أم انهم سيعتقلونني في منزلي؟ علي أي حال إذا وجدت نفسي طليقاً، سوف أكون سفيركم خارج هذه الجدران، سوف أدافع عنكم وعن قضيتكم.) وودعتهم وخرجت بجلابيتي

وعصاي. وفي المكتب سلمني المقدم أربعين جنيهاً، تركتها هناك عند دخول السجن، فأرجعتها وقلت له وزعها علي الجنود والمساجين الذين خدمونا خلال هذا اليوم. فوافق ووفر سيارة لنقلي إلى منزلي- وعند حضور السيارة شكرته وودعته. وصلت المنزل في السادسة مساء. وهناك رأيت سيدتين خارجتان من المنزل. وبعد لحظات عرفتهما: ساديا، خالة آمنة، وعوضية مورو. وعند دخولي أشرت إليهن، فرجعن واستقبلنني بزغاريد وفرح شديد. كان الحرس لا يزال هناك. ومع دخول السيارة لاحظت وجود أربعة من الشرطة العسكرية. وهنا خرج جميع من بالداخل عند سماع الخبر، وفى مقدمتهم أطفالي الذين عادوا من الخرطوم بحري وظلوا ينادونني: (بابا.بابا.) فنزلت من السيارة واحتضنتهم الواحد بعد الآخر. وبعد هذه اللحظات، شكرت السائق والجنديين اللذين معه وودعتهم- وكانوا مسرورين لعودتي لأسرتي وأهلي. وبالفعل كان الجميع فرحاً ومسروراً. وكانت زغاريد النساء وأهازيج الفرح تملأ المنزل وتمتد أصواتها إلى خارجه- ولذلك انتقل الخبر سريعاً إلى كل المنطقة. فسمع جاري، أحمد عبدالحليم وجاء لتهنئتي. وقبيل مجيئه ذهبت إلى الحرس مع أطفالي. فقد كانوا يرونهم كشيء غريب يثير الخوف والفزع. ولذلك فكرت في تغيير هذه النظرة، حيث شكرتهم على حماية أسرتي في غيابي وطمأنت أطفالي بأنهم أناس طيبون. ثم عدت إلى المنزل. وبدأت بجناح النساء، حيث سلّمت على آمنة وضيوفها. وبعدها اتجهت إلى جناح الرجال، حيث وجدت أخي الكبير، روبين، وإبني الأكبر، نلسون، ومن هناك انتقلنا للصالون، وهناك استقبلت عبدالحليم. وفى أثناء حديثي معه، جاء ابنه يقول إن جنوداً قد وصلوا المنزل وسألوا عنه، وهكذا، تكرر نفس ما حدث في الليلة الماضية عندما كنت في منزله في نفس الوقت تقريباً، فقالت له آمنة: (أخبرهم أن أحمد ليس موجوداً هنا.) ولكنه رفض حديثها ودعمت موقفه، فأخبر إبنه أن يقول لهم أنه في طريقه إليهم- وحاولنا الاستمرار في حديثنا، ولكننا لم نستطع، وهنا استأذن زميلي للرجوع إلى منزله ومقابلة زواره، ومن هناك أخذوه مع الزبير رجب، مدير المؤسسة الاقتصادية

العسكرية، إلى السجن، وبدا الأمر كأننا قد تبادلنا المواقع، أعود إلى منزلي ويذهب هو إلى سجن كوبر.

بعد ذهاب أحمد، سألت زوجتي عن أبيل ألير، فقالت إنه لم يزرها ولم تسمع عنه أي شئ. وفجأة تذكرت الحقيبة التي كان الحرس يسأل عن صاحبها. فقد يكون هو. قلت لماذا لا أرسل في طلبه؟ وفعلاً أرسلت أبنائي لتبليغه بعودتي للمنزل. فوعد بالمجيء حالاً. وجاءت زوجته وأكدت أنه في الطريق إلينا، وبعد لحظات وصل ولم يكن يعرف ما حدث لي. فجلسنا معاً وتناقشنا كثيراً- وفى هذا الأثناء دخل علينا العميد فضل الله برمة. وهنا تركني أبيل مع ضيفي. كان الوقت حول التاسعة مساء، فكانت لحظات جميلة، استمتعت بها. فهو زميل دراسة في الكلية العسكرية وصديق قديم. ولم التقيه منذ ثلاث سنوات. وبعد السلام والتحية، شرح لي هدف زيارته لي في هذا الوقت المتأخر. فقال أنه عضواً في المجلس العسكري الانتقالي وأنه جاء ليتأكد من أن توجيهاتهم حول وضعه قد نفذت بدقة. وكشف لي أنهم انزعجوا عندما علموا باعتقالي. ولذلك أمروا بعودتي لمنزلي وبعدم اتخاذ أي إجراءات ضد أبيل وشخصي، نتيجة لمواقفنا الواضحة حول كآفة القضايا المطروحة في السنوات الأخيرة- فتذكرت المذكرة التي كتبناها معاً حول موقفنا من تعديل الدستور وسلمناها لنميرى. وكان بالفعل موقفاً شجاعاً وقوياً.

وفى النهاية شكرت العميد برمة على زيارته وعلى اهتمامه هو وزملائه بوضعي. وطلبت منه أن ينقل تقديري للمجلس لاهتمامه بمساهمتنا ولمتابعتهم لنشاطنا في الفترة السابقة، وخاصة عندما حاول نميري إدارة البلاد بمزاجه الخاص. ووقتها لم نتردّد لتوضيح موقفنا ولم نقبل استمراره في طريق خاطئ- وانتهزت الفرصــة لتنوير العميد عن ملاحظاتي بعد التنوير الذي قدمــه لنا عمــر الطيب في مجلس الوزراء. وبعدها صارحته بما في نفسي وقلت له: (معظم الناس يرى أن الوقت مناسب لإحداث تغيير جدّي في البلاد. ولكن دون إراقة دماء بقدر الإمكان. وفى ضوء ذلك، أنصح مجلسكم بالابتعاد عن منهج الثأر والانتقام والتوسع

في الاعتقالات. ترى أن جاري، أحمد عبدالحليم، قد جرى اعتقاله قبل لحظات من وصولك هنا. أرجو أن تعرض قضيته على مجلسكم وكذلك المعتقلين في سجن كوبر، وأرجو أن تعيدوا النظر في وضعهم، بنفس الطريقة التي عالجتم بها حالتي، فبلادنا في هذا المنعطف التاريخي تحتاج إلى التفاهم والمصالحة وإعادة التنظيم- لقد لاحظت الخوف في عيون زملائي، أعضاء مجلس قيادة ثورة مايو، الذين اعتقلوا معي في أول دفعة، كلنا خفنا من تجريمنا بسبب مواقف سابقة، مثل الانقلاب الذي قاموا به ودوري في الحركة الجنوبية المسلحة، فانقلابهم أصبح ثورة أقامت نظاماً سياسياً وجد قبولاً واسعاً واستمر لأكثر من 16 عاماً وحققت السلام والاستقرار وإنجازات أخرى عديدة لم تتحقق من قبل. وقيامهم بالانقلاب كان نتيجة فساد الأوضاع في البلاد، وهو نفس السبب الذي دفعني لحمل السلاح في أحراش الجنوب- وكزملاء سابقين تمكنا من أن نفهم بعضنا وأن نحقق السلام والاستقرار لأول مرة في البلاد منذ الاستقلال- لذلك يجب أن لا نعاقب على ذلك. وهذه الحقيقة يجب أن نضعها في الاعتبار، كما يؤكد ذلك اهتمامكم وتحرككم لإطلاق سراحي. فالواقع أن تطورات الأوضاع سارت في طريق خاطئ خلال الفترة اللاحقة، نتيجة انفراد شخص واحد بالحكم- هذا الشخص قام باحتكار السلطة كلها وتوجيهها لمصلحته الخاصة- ولذلك يجب أن لا نعاقب أي شخص على مواقف سابقة- وإذا كانت هناك اتهامات أخرى، فيمكن معالجتها بطريقة منفصلة.).

كان العميد يستمع لحديثي باهتمام واضح، دون تدخل حتى نهايته. وفى النهاية شكرني على ما طرحت من ملاحظات ونصائح، ووعد بنقل ما سمع مني لزملائه في المجلس العسكري الانتقالي، وبعدها أستأذن في الخروج- فتبعته حتى سيارته وودعته على أمل أن التقيه في مرات أخرى، ورجعت إلى داري، ولم أغادرها ولم استقبل زواراً آخرين في تلك الليلة.

الفصل الثامن عشر

خاتمة وخلاصة

بعد أن غادر فضل الله برمة دخلت المنزل وبدأت أفكر بعمق في مختلف مراحل حياتي في السنوات السابقة. فشعرت كأنني أقف في قمة جبل أنظر منها في المنطقة التي تحركت فيها حياتي. وتلك تبدو نقطة ارتكاز جيدة تمكنني من تلخيص مسيرتي، كما أراها- وفى الخارج، في الشوارع والأندية ومن خلال أجهزة التلفزيون والراديو، كان هناك مناخ مختلف. فالناس الذين غنّوا أغنية (نميرى حبيب الشعب) لأكثر من 16 عاماً، بدءوا يردّدون الآن شعاراً مختلفاً: (رأس نميري مطلب الشعب.) هذا تغيير مذهل ! فقد كان نميري يتمتع بشعبية كبيرة عندما كان في السلطة. وبعد انهيار نظامه أصبح الناس يطالبون برأسه. هذا تغيير مدهش! ماذا حدث؟ وكل ذلك يشير إلى عدم إخلاص الناس ونفاقهم والى ضرورة المراجعة. فالتأييد والتصفيق والتهليل الذي يجده الحكام من الجماهير لا يعكس الواقع في كل الأحوال- إذ أن معظم الناس يقومون بذلك نتيجة أسباب عديدة ولا يعبّر عن مواقفهم الحقيقية. ومن خلال تجربتي يمكنني القول أنه لا يمكن القطع بإخلاص الذين صفقوا وهلّلوا لنميري أو لمساعديه في المؤتمرات والاستقبالات الجماهيرية. فبعض هؤلاء كانوا يعملون ضدنا ويتمنون زوالنا- وبعض آخر كان لا يخفي عداءه لنا بمجرد انتهاء المؤتمر أو الاستقبال، ولذلك لم يكن مستغرباً أن يطالبوا برأس نميري بمجرد سقوط نظامه. وهكذا، لابد أن يعي السياسيون أن الحشود التي تصفق وتهلّل لهم في المؤتمرات والتجمعات المختلفة، مهما كان حجمها، لا تعكس شعبيتهم الحقيقية. فعندما يبتعدون عن كراسي الحكم، قد يجدون أنفسهم في وضع مختلف. تلك هي تجربتي في السودان، بعد استقالتي من المجلس التنفيذي العالي في الجنوب وبعد سقوط نظام نميري.

وفى هذه الخلاصة سأقوم بتلخيص تجربتي خلال السنوات الماضية وتأملاتي حول المستقبل. وهنا أشعر كأنني أقف في قمة جبل في منطقة المادي بعد مشوار طويل ومتعب. ومن فوقه أنظر إلى الماضي وأقسمه إلى مراحل، تماماً كما يقيس أهلي مسافاتهم بوحدة اللوقو Logo، من أيام الطفولة حتى الآن. لابد من التوقف والنظر لسنوات الماضي ومراجعة التجربة ومن ثم وضع تصور للمستقبل. ولذلك تتبعت خطوات حياتي، كأني أقرأ في خريطة. تتبعت تحركاتي وقسمت مسيرتي إلى مراحل غير متساوية، بحكم طبيعة كل منها وتعرجاتها.

استرجعت أيام طفولتي والقصص والحكاوي التي حكاها لي والدي وأمي عن تلك الفترة التي قضيتها مع جدتي عندما كنت صغيراً- تذكرت ذلك بفرح واستمتاع وتقدير كبير لوالديَّ. تذكرت رحلتي مع أبي في عجلته من نمولي حتى بوريو. كانت رحلة متعبة. ونتيجة لذلك لم تعجبني. وأيضاً لأنها أبعدتني عن أمي. وركزت على الفترة التي قضيتها مع أجدادي في بوريو بالقرب من أوباري، حيث عشت مع أطفال آخرين. وتذكرت زياراتي مع جدتي لمنطقة مالي لقضاء بعض الوقت مع عمتي سيدة **Seida** وأسرتها ومع أطفالها، أبناء العمّة. وأذكر تيو **Tiyo**، أختها الكبرى، بحب شديد، لأنها كانت ترعاني وتهتم بي. واستعرضت الفترة التي قضيتها مع أخوال أمي في باتيبي **Patibi** أرعى أغنامهم. وكنت أعتبرها فترة عاطلة لا فائدة فيها. وفى وقت لاحق شعرت بأهميتها في حياتي. فقد كانت مفيدة في تدريبي على تحمل المسئولية. وبعد ذلك تابعت الفترة اللاحقة، حيث بدأ والدنا يظهر اهتمامه بتعليمنا. فأعادني إلى نمولي. ولا زلت أعتبر عودتي بداية مرحلة هامة في حياتي. فبعدها صارت حياتي متعبة ومليئة بالمشاكل والصعوبات. عدت إلى أيام الرغبة في التعليم مع أندريا، الغفير، الذي علمنا الحروف الأولى في الفضاء وكنا نكتبها في رمال الأرض، وأذكر كيف انزعج والدنا عندما ترك اندريا المنطقة. وكيف أنه وجهنا (جابولون وأنا) لتعليم أي شئ ومن أي شخص كان. ونتيجة لذلك وجدنا أنفسنا في خلوة لوكوروجو. وكان أيضاً يدرسنا في الفضاء.

وعندما لم يستمر معنا، بسبب انشغاله بالتجارة، انتقلنا إلى المدرسة الكاثوليكية في موتويو Motoyo. وكان يديرها الناظر نستوري باو والمعلم أركولانو كيك. واذكر المشاكل والمتاعب التي واجهتنا هناك. واذكر أيضاً كيف وصل أرنولد إلى نمولي وأخذني مع جابولون لمدرسة الإرسالية في أكوت،حيث بدأنا تعليمنا النظامي، حسب رغبة والدينا وأهلنا والتوجه لحياة جديدة نعتمد فيها على أنفسنا- كانت فترة صعبة. ولكنها كانت ممتعة، وبعدها استعرضت سنوات الدراسة في أكوت ونشاطنا الرياضي وطحن الحبوب وقصص ماكوي، الأسد الذي يأكل لحوم البشر- وذكرت لوكا بعقوباتها الشديدة ومعاملتها القاسية للقادمين الجدد. أما رمبيك الثانوية، فقد تميزت بنضجنا. واذكر مناقشاتي مع الطلاب الآخرين حول نظريات فيثاغورث، وفي تلك الأيام شعرت بقيمة التعليم وأهميته والاستعداد للحياة العملية. وبعدها جاء زمن اختيار المهنة، وهنا اذكر محادثتي مع جوزيف قرنق المحامي ورأيه في المحاماة والعمل القانوني، بعد جلوسي لامتحان الشهادة السودانية ودخول الجامعة، وكنت واثقاً في نجاحي، وغيرت اتجاهي بعد تلك المحادثة واتجهت إلى الكلية العسكرية، التي لم أفكر فيها من قبل، وشعرت أن ذلك القرار كان إلهاماً ربانياً قادني للمشاركة في قضية شعبي وأهلي في الجنوب، ونظرت في أيامي في الكلية العسكرية وسنوات خدمتي الأولى في الجيش السوداني، وهي سنوات تدريب للمهام والصعوبات التي واجهتني في السنوات اللاحقة.

واستعرضت أيضاً سنوات تدهور الأوضاع السياسية وعلاقات الشمال والجنوب في فترة حكم الجنرال عبود وتوجهه نحو أسلمة الجنوب بقوة السلاح، وذكرت تأثيرات كل ذلك على موقفي وسخطي وحقدي على الشماليين في الجنوب بعد أن كنت أقدرهم واحترمهم. وفي تلك الفترة كنت أرى نفسي كمتفرج في الصراع الجاري بين حكومة السودان وشعب الجنوب. وأشرت إلى اندفاعي للانضمام لجانب شعب الجنوب بعد دعوة من السياسيين الجنوبيين في المنفى، وكان ذلك قراراً حاسماً في وقت عصيب، كان نقطة تحول في حياتي وفي حياة أسرتي

وأهلي وفي تاريخ الجنوب بشكل خاص والسودان بشكل عام. كان بداية مرحلة جديدة، شهدت اتساع وتعميق الصراع الشمالي/الجنوبي وتطور حركة الانيانيا وجيشها، كانت فترة مغامرات في سنوات الشباب. فقد كنت أقوم بدور رئيسي في الحركة، حيث قمت بأدوار خطيرة ودخلت في معارك مع الجيش السوداني الذي كنت أحد ضباطه، وكذلك أخي سايمون وصديقي برنادينو، كانت فترة حرب أهلية، حاربنا فيها زملاء تدرّبنا معهم، وفي تلك الحرب فقدت أخي سايمون وصديقي برنادينو.

قفزت إلى ذهني تجارب مريرة شهدتها في سنوات الحرب الأهلية، وعرفت كم هي مكلفة وكيف أنها مدمّرة وأن تأثيراتها تمتد إلى كل بيت وأسرة، وركزت على موطني، نمولي، وتخيلت كيف كانت في تلك السنوات، لقد رأيت كيف تحوّلت نمولي إلى منطقة مهجورة، حيث فقد أهلها كل شيء، صحيح أن الطرف الآخر فقد الكثير هو الآخر، ولكن ليس بحجم ما حدث هناك في الجنوب، وهذا ما جعلني أمغت الحرب واكرهها، ولذلك سارعت الخطى عندما أعلن الطرف الآخر رغبته في السلام، لقد شاهدت لحظات حزن عديدة خلال الحرب، لكنها كانت مثيرة، ولذلك حاولت متابعة وتحليل دوري في قيادة حرب العصابات وفي وقت لاحق كقائد لحركة تحرير جنوب السودان، ووقتها تعرفت على معني القيادة واستحقاقاتها، ووقتها أيضاً تعلمت من قياداتنا المحلية ومن عملي كراعي أغنام مع أهلي، تعلمت قيمة الصبر والاهتمام والمسئولية.

وتطرقت أيضاً للفترة القلقة التي سبقت محادثات السلام وعملية السلام والشهور الأولى التي أعقبت اتفاقية السلام، وفهمت كيف يمكن أن يكون الإنسان متطرفاً. وكنت ارجع إلى الإنجيل من وقت لآخر لأقرأ قصة النبي موسى وأخيه هارون بهدف استعادة التوازن والطمأنينة. فبدأت أفهم كيف تتغير الظروف ويبقى سلوك الإنسان كما هو، وتعلمت أن قيادة البشر ليست مهمة سهلة، وتعلمت أيضاً أن

القيادة ليست هدفاً نسعى له في كل الأحوال، بل يمكن أن تفرضها ظروف موضوعية لا يمكن مقاومتها.

وكذلك تابعت فترة ما بعد اتفاقية السلام وفترة عودتي للقوات المسلحة، بتــركيز على زيارتي لمعسكرات الانيانيا وحاميات الجيش في صحبة اللواء فضل الله حماد، وركزت على عملنا معاً وصداقتنا والدعم المتبادل الذي وجدناه من بعضنا، وأشرت إلى نجاحنا في دمج جيشين متحاربين في جيش موحد وفي استعادة السلام والاستقرار في الجنوب. وبنفس الدرجة أشرت إلى تعاوننا المشترك مع السلطة المدنية في الجنوب، مع المجلس الانتقالي بقيادة أبيل ألير، نائب رئيس الجمهورية، والسلطات الإقليمية، وإلى نجاح الجميع في ترسيخ السلام في الجنوب وتحقيق الانسجام في عموم البلاد، لأول مرة منذ الاستقلال. وكذلك قمت بتقييم الموقف، عندما كنا، نحن كبار المسئولين (نميري، وأبيل، وفضل الله وأنا) نعمل كفريق موحد، وكيف قمنا بتطوير التفاهم والمصالحة الوطنية وواجهنا المشاكل بشجاعة ووضوح، وعندما وقفنا معاً، تمكنا من محاصرة النزاعات والصراعات ومنعها من التطور إلى أزمات خطيرة، وجهودنا المشتركة فتحت الطريق لطرح مشروعات تنموية عديدة في كل مناطق السودان، وشعرت هنا بالفخر والاعتزاز بما حققناه، مقارنة بالفترات الأخرى. والواقع أنني اعتبرها من أهم الفترات في تاريخ بلادنا وانظر إليها بفخر وإعجاب، وآمل أن نشهد مثلها في مقبل أيامنا.

وأشرت أيضاً إلى الجانب السلبي في هذه الفترة. فالأشياء لا تسير في نفس الاتجاه لفترة طويلة، وهناك الإيجابي والسلبي في تجاربنا. فقد بدأت النزاعات والصراعات في داخلنا، واذكر كيف كان شعور اللواء فضل الله، عندما تجاوزوه في تعيين رئيس هيئة الأركان وكيف دفعه ذلك لطلب التقاعد بدلاً من الخدمة تحت من هم أدنى منه. واعرف كيف صدمني تقاعده والطريقة التي عومل بها وكيف انعكس ذلك على أدائي وموقفي. فوقتها شعرت بأن ما حدث له يمكن أن يحدث لي لأي سبب كان، وشعرت أنه لا مستقبل لي في القوات المسلحة. وفي الجانب الآخر

عرفت أن أبيل ألير قد بدأ يتابع تحركاتي، بسبب خوفه من دخولي في العمل السياسي. فقد كان يعلم أنني لن اطلب أي موقع سوى موقع نائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس العالي، الذي احتله هو. ووقتها لاحظت ابتعادنا من بعضنا (نميري، أبيل، فضل الله وأنا) وفقدنا تعاوننا وتماسكنا واستبدلناه بالصراعات والنزاعات، ومن ثم رجعت إلى الأيام التي دخلت فيها العمل السياسي، وكيف آثار ذلك اهتمام أبيل ألير وجماعته، واستعدت أيضاً استغرابي من عدم ترحيب رئيس الجمهورية بذلك، كما فعل آخرون من الشماليين والجنوبيين على السواء. لقد أصبت وقتها باضطراب شديد وحزن أليم من هذا الموقف غير المفهوم ومن نكران خدماتي الجليلة في القوات المسلحة خلال ست سنوات. ولذلك بدأت انظر بحقد وكراهية للرئيس نميري وأبيل ألير وآخرين، شماليين وجنوبيين، لايريدون دخولي في العمل السياسي. ووقتها بدأت انظر لأبيل ألير كأداة شمالية في الجنوب، فالشماليون يفضلونه على أي سياسي جنوبي آخر، وكان ذلك بمثابة صدمة كبيرة بالنسبة لي، لماذا يرفضونني؟ وتوصلت إلى أن سبب الرفض يرتبط بنظرتهم للجنوب وليس بأدائي وأفكاري. فهم يحتاجون إلى أداة جنوبية تحقق أهدافهم، وأنا ارفض ذلك. ومع ذلك دخلت مجال السياسة دون أي مرارات لرئاسة المجلس العالي في الجنوب وكسبت الانتخابات. وأشرت إلى تجاربي مع أساليب سياسية قذرة ، وأسفت أن يعتبر أبيل ألير، صديقي الحميم عندما كنت في القوات المسلحة، أن يصبح خصمي وعدوي الرئيسي، واستعدت هنا انقسامات السياسيين الجنوبيين ودورها في تعميق الصراعات وتفتيت وحدة شعبنا في الجنوب، وأشرت إلى استفادة الشماليين المعادين للسلام من هذه الانقسامات وقيامهم بتغذيتها لمصلحة سياساتهم. هكذا أرى الأمور في بدايات صراعاتنا.

أشرت أيضاً إلى أيام انكسار الرئيس نميري، بعد عملية يوليو 1976 المدعومة من ليبيا، وقلت: (ماذا حدث لهذا الرجل؟ هل أصابه الخوف والفزع؟) فقد لاحظت أنه لم يعد نميري الذي نعرفه، واستعدت تطورات ما بعد عملية الغزو

ولاحظت أشياء غريبة، فبعد فترة قصيرة من الحكم بالإعدام على الصادق المهدي، زعيم الأنصار وقائد عملية الغزو، قام نميري بمقابلته في بورتسودان، وكان تغييراً دراميا في الموقف، ثم أعقبه بعفو عام ومصالحة وطنية. وهنا المفارقة! فبينما يدعو للمصالحة في الشمال، يقوم بتقطيع أوصال اتفاقية أديس أبابا في الجنوب، ومن هنا بدأت في مراجعة أشياء عديدة، وتساءلت: ماذا يجري؟

لقد بدأت أرى الشخص الذي يطرح نفسه كبطل وطني بعد الاتفاقية وتحقيق السلام في الجنوب، يتراجع إلى قائد وزعيم إقليمي! وبدا لي أنه يتراجع للاحتماء بأهله الشماليين والعمل على توحيدهم، بينما يعامل الجنوب كمستعمرة يجب إخضاعها بالسياسة الكولونيالية القديمة:- فرق تسد. ولذلك بدأت أشك في التزامه بالاتفاقية منذ البداية وخاصة بعد تلك التحركات. ووضح لي أنه يستخدم الاتفاقية لكسب الوقت، ثم خضع لضغوط السياسيين الشماليين الذين يعارضون الاتفاقية بشكل كامل، وبالتدريج بدأ يمزق في بنودها حتى قضى عليها في النهاية. ومن المؤسف أن ما قام به ستكون له نتائج خطيرة في علاقات الشمال/الجنوب في الفترات اللاحقة.. وعدم إخلاصه جعلني استعيد مواقفه في بدايات تطبيق اتفاقية السلام، عندما أبعدني واختار أبيل كقائد للجنوب. ونظرت لذلك كخطوة مقصودة لهدف محدد، فذلك يعني أنه لا يثق في شخصي بحكم موقفي ودفاعي الطويل عن قضية شعب الجنوب، مقارنة بأبيل الذي اختاره وعمل معه وخبر قدراته. ولذلك كان الهدف أن أبعد عن أي موقع قيادي. ولكنني لست مغفلاً كما يعتقدون. ومع ذلك كظمت غضبي ومشاعري تجاه الرئيس ونائبه وانتظرت حتى تسمح ظروفي بضرب أحدهما وإحداث شروخ عميقة في علاقتهما مع بعض. وهنا أشرت إلى تحالف نميري مع أبيل لإجباري على تقديم استقالتي ومن ثم إبعادي من الحكومة الإقليمية في الجنوب. وواجهت ذلك بغضب شديد لأن الدستور لا يمكنه من ذلك، وأشرت أيضاً إلى إرسال أبيل للإشراف على انتخابات في الجنوب، يشارك فيها كمرشح لرئاسة المجلس العالي، ورغم إنذاري لم يدرك أبيل خطورة ذلك على

قضية الجنوب. وبدأت أشاهد ما يجرى، حتى قام الرئيس بتغيير جوهري في مواقفه، حيث أصبح يقف في جانبي ضد صديقه القديم. ووقتها فقط فهمنا، أنا وأبيل، أن الرئيس يتلاعب بصراعاتنا بهدف إضعافنا وفرض سياسات قمعية في الجنوب، كان يتلاعب بالمجموعات المختلفة من أجل تركيز سلطته الفردية. وتلك كانت سياسته في الشمال والجنوب على السواء. واستعدت صراعاتنا، أنا وأبيل، بكل تأثيراتها المدمرة على الجنوب. وأشرت إلى إدخال الاثنية والقبلية في السياسة الجنوبية، دون اهتمام بتأثيراتها الخطيرة على وحدة الإقليم أو بما تقدمه من خدمة للسياسة الشمالية التقليدية ضد الجنوب.

لقد أسفت أن أرى الرئيس نميري يتراجع عن دوره في توحيد السودان في مواقف تفتيتية واضحة، ولاحظت قيامه بترقية نفسه من رتبة عسكرية إلى أخرى حتى وصل إلى رتبة المشير، كما لاحظت تلاعبه بالمجموعات السياسية المختلفة للقضاء عليها الواحدة بعد الأخرى. وشاهدت بإهتمام توجهه الإسلامي الذي انتهى بإعلان الشريعة وتعيين نفسه إماماً للمسلمين في السودان.. وكل هذه الخطوات أدت فقط إلى تفتيت الوحدة الوطنية وعودة الحرب الأهلية وتدهور شعبيته هو نفسه في الجنوب والشمال على السواء.

وتطرقت إلى تعاملي مع الحقائق في العمل السياسي ووصولي إلى حقيقة القول المأثور: (ليس هناك صداقة دائمة ولا عداء دائم في السياسة. هناك فقط مصالح ثابتة..) وبدأت أحاول تكييف نفسي لأركز على هذه الحقيقة في عملي السياسي، كما ظلّ يفعل آخرون لسنوات طويلة. وقلت: (لا يمكنني أن أكون قديساً وسط أشرار..) وليس في ذلك عجب، فالرئيس نميري بدأ يشعر بعدم حاجته للاستمرار في اتفاقية الحكم الذاتي الإقليمي، وبعدم جدوى التحالف مع الجنوب بعد أن تصالح مع قوى المعارضة الشمالية، وهذا هو السبب الذي دفعه لإلغاء اتفاقية أديس أبابا، وفي متابعته لتوجهه بعد إعلان الشريعة. كنت أنظر لنميري كشخص مهووس في وسط بحر من المتعصبين والسياسيين الانتهازيين. فياله من شخص

جدير بالشفقة! وكنت أتمنى أن يعي أن هؤلاء سيطيحون به وبنظامه. ولاحظت هذا الخطر عندما بدأ يبتعد عنه حتى الذين يعتبرون مقربين له، تماماً كقصة المسيح والحواريّ بيتر. وفي الجانب الآخر، كنت أتوقع صراع الإمام مع الأصوليين في يوم من الأيام حول الشريعة وحدودها وشروطها. وهكذا، أصبحت تلك التوقعات حقائق ملموسة، عندما قام باعتقال قيادات الجبهة الإسلامية وتحول تحالفهما إلى زواج مصلحة كان لابد أن ينتهي بتلك الطريقة. ولكن الجبهة الإسلامية استفادت من تحالفها مع نظام مايو قبل أن يقضي عليها. ورغم كل ذلك، فقد تبع ذلك أحداث مدهشة. فقد قام الرئيس بعد زيارة نائب الرئيس الأمريكي للسودان باعتقال حسن الترابي وزملائه في قيادات الجبهة الإسلامية وحشدهم في سجون السودان المختلفة، وصاحب ذلك انتشار إشاعات عديدة في العاصمة، ومن جانبي نظرت لما حدث كإشارة لعدم الاطمئنان في العمل مع المارشال الأمام، فكل المجموعات السياسية أصبحت تتشكل في نواياه ومناوراته ولم تعد تثق في خططه ووعوده ولخصت نظرتها إليها في قدرته على بناء وتهديم تحالفاته مع كل القوى السياسية، بدءاً بالشيوعيين وانتهاء بالأصوليين الإسلاميين. ولذلك، عندما انفجر الشارع في وجهه، لم يجد من يقف معه. فكل أعضاء مجلسه الثوري وقفوا يتفرجون على انهيار نظامه، والمظاهرات الشعبية، التي كان يمكن إسكاتها بسهولة، وجدت الدعم والمساندة من القوات المسلحة، بينما كان الرئيس في الخارج. ونتيجة لذلك إنـــهار النظـــام، الذي بناه، بإعلان من القيادة العامة صباح 6 أبريل 1985. وصحوت في صباح اليوم التالي لأرى السياسيين يلهثون وراء المناصب في الوضع الجديد، عن طريق استغلال ظروف ما بعد نهاية الحكم المايوي.

*** عزاء وسلوان:-**

الأفارقة قوم متدينون، ولكنهم لا يزعجون الخالق عندما تكون أحوالهم على ما يرام، يلجأون إليه فقط لشكره في حالات السعادة أو لطلب تدخّله وعنايته في

حالات الضيق والمشاكل. ولذلك لجأت إلى الرّب وطلبت رحمته وعنايته. فرجعت إلى ترنيمة تناسب حالتي، فهي تقول:–

1. When I survey the wondrous cross
on which the Prince of Glory died،
my richest gain I count but los،
and pour contempt on all my pride.

2. Forbid it، Lord، that I should boast
save in the death of Christ، my God;
all the vain things that charm me most،
I sacrifice them to His blood.

3. See، from His head، His hands، His feet،
sorrow and love flow mingled down;
did e' er such love and sorrow meet،
or thorns compose so rich a crown?

4. Were the whole realm of nature min،
that were an offering far too small;
love so amazing، so divin،
demands my soul، my life، my all.

And the prayer:

O God who art the author of peace and the lover of Concord، in knowledge of whom standeth our eternal

Life، whose service is perfect freedom: Defend us thy humble servants from all assaults of our enemies; that we، surely trusting in thy defence، may not fear the power of any adversaries; through the might of Jesus Christ our Lord. Amen.

ملاحق

ملحق (1)

حركة الأنيانيا:- لماذا تحارب؟

تقديم:-

لقد كتبت هذا الكتيب الصغير لكم انتم، جنود الأنيانيا والوطنين الجنوبيين. إنكم تقاتلون بشجاعة خارقة وإخلاص متفانى من أجل تأكيد حق شعبنا في الحياة وفي تقرير مصيره. ولكن بعضكم تنقصه المعرفة الكاملة بمختلف جوانب نضالنا وكفاحنا. وهذا الكتيب يستهدف توضيح أهداف نضالنا بشكل محدّد وتمكين كلّ فرد منا من استيعابها بسهولة ويسر. ومن خلال تفهمنا ووعينا بهذه الأهداف، يمكننا توطيد وحدتنا ومضاعفة قدراتنا القتالية في ميادين المعركة. ولذلك ندعو جميع رفاق السلاح، الذين يجيدون اللغة الإنجليزية، للقيام بترجمة مضمون هذا الكتيب وشرحه بلغة واضحة لكل جنود قوات الأنيانيا.

اللواء جوزيف لاغو

القائد العام لقوات الانيانيا

يناير 1972

الفصـــل الأول

بداية الثــورة

عندما قرر البريطانيون والمصريون إنهاء حكمهم الثنائي في السودان ومنح شعبه حقه في تقرير مصيره وإعلان استقلال البلاد، شعرت قياداتنا السياسية بأن الجنوب سيواجه احتلالاً وسيطرة شمالية. ولذلك طالبت هذه القيادات بضمانات لحماية مصالح الجنوب. ولكن البريطانيين والمصريين تجاهلوا هذا المطلب العادل، بحكم تناقضه مع مصالحهم وأهدافهم. ونتيجة لذلك بدأ التلاعب بمستقبل الجنوب ووضع الأساس لحرمانه من الأمن والاستقرار.

* قمع واضطهاد الجنوبيين:-

بعد رحيل البريطانيين، استولى السودانيون الشماليون على مواقعهم الإدارية والتجارية في البلاد. وكانوا في فترة الحكم الثنائي ممنوعين من العمل والاستقرار في الجنوب. وفي فترة ما بعد الاستقلال بدأ الجنوبيون يشعرون أكثر وأكثر بأن بلادهم قد خضعت للاستعمار العربي وبأن آمالهم في استقلال بلادهم قد تبدّدت باستبدال المستعمر البريطاني بمستعمر آخر- فقد أصبح الشماليون ينظرون للجنوبيين باستعلاء وازدراء ويتعاملون معهم كرعايا وليس كمواطنين. وظلّوا يخضعونهم لكافة أشكال القمع والاضطهاد ويشيرون إليهم كـ(عبيد.) وظلّوا يعرقلون تطورنا السياسي من خلال عقبات عديدة، شملت منع قياداتنا السياسية من ممارسة نشاطها السياسي. ويتضح ذلك، بشكل جلى، في اعتقال أليا كوز Elia Kuze نائب دائرة الزاندي في البرلمان ومحاكمته بالسجن.

* مقاومة الجنوب:-

لقد واجه الجنوبيون السياسات الشمالية والطريقة التي طبقت بها في الجنوب، واجهوا هذه السياسات بأشكال متعددة من الرفض والمقاومة. ولكنها كانت

ضعيفة في بداياتها. ونتيجة لتزايد عمليات القمع والاضطهاد، انفجر ردّ الفعل الجنوبي، في مظاهرات واسعة في يونيو 1955 شملت أنزارا وجوبا. وفي أنزارا قتل الشماليون عدداً من العمال الجنوبيين. وذلك عندما وجه ضابط شمالي، يسمى معتصم عبد الرحمن المقبول، قواته بإطلاق الرصاص على حشود المتظاهرين. وبذلك سفح الدم الجنوبي لأول مرة في مواجهة السيطرة الشمالية في الجنوب. وأدى ذلك إلى اتساع المقاومة الجنوبية وتزايد إصرارها على الاستمرار والثأر لتلك الدماء.

*** انتفاضة قوات الاستوائية:-**

اتسعت مشاعر الغضب والكراهية تجاه الشمال والعرب في كل أنحاء الجنوب ووصلت ذروتها في أغسطس 1955، عندما صدرت توجيهات لإحدى وحدات فرقة الاستوائية بالسفر إلى الخرطوم بدون سلاحها، ولكن الجنود الجنوبيين تردّدوا في تنفيذ تلك التوجيهات، نتيجة لشكوكهم في ارتباطها بمؤامرة شمالية. فقام ضابط شمالي، يدعى صلاح عبد المجيد، باستخدام السلاح، وأدى ذلك إلى جرح سائقه. ونتيجة لذلك هجم الجنود الجنوبيون على مخزن الأسلحة والذخيرة، حيث سلّحوا أنفسهم وبدأوا في مهاجمة الشماليين المتواجدين في المنطقة، وخلال يومين امتدت الانتفاضة لتشمل كل مناطق مديرية الاستوائية وبعض مناطق مديريات بحر الغزال وأعالي النيل. وفي غضون فترة قصيرة تمكنت من تحرير الجنوب من السيطرة الشمالية.

*** قمع الانتفاضة:-**

في ذلك الوقت كان الحاكم العام البريطاني، لا يزال في الخرطوم. وكذلك القوات العسكرية البريطانية، ولذلك رفضت قوات الاستوائية مناشدة رئيس الوزراء، إسماعيل الأزهري، بتسليم سلاحها وإحالة المشكلة لتحقيق عادل. وعندما وصلتها نفس المناشدة من الحاكم العام، وافقت في الحال. وكان الحاكم العام قد أرسل أحد

كبار مساعديه، مستر لوس Luce (كان نائباً لحاكم الاستوائية في فترة سابقة) للتفاوض معها وإقناعها بتسليم سلاحها، ومع ذلك، لم تقم الدولة بأي تحقيق في المشكلة. وبعد تسليمها لسلاحها، وجدت قوات الاستوائية نفسها تحت رحمة القوات الشمالية. ووقتها كانت القوات البريطانية قد غادرت السودان بشكل نهائي. ونتيجة لذلك قامت القوات الشمالية بمجازر واسعة، شملت قتل العديد من الجنود والشرطة وحرس الصيد الجنوبيين، وحكم على آخرين بالسجن لفترات طويلة في السجون الشمالية. وهكذا قامت القوات الشمالية باحتلال الجنوب منذ ذلك الوقت وحتى الآن. ومن ثم خضعت بلادنا لاستعمار جديد منظم، يستند على هذه القوات وعلى العرب المدنيين والمصريين (والمستشارين السوفييت في فترة لاحقة.) استعمار جديد إمبريالي، يقوم بنهب بلادنا وإبادة شعبها وسرقة مواردها وسبي شبابها وحرق قراها وقواتها العسكرية. ونتيجة لذلك اضطرت مئات الآلاف من أبناء شعبنا، بما في ذلك القيادات السياسية والقبلية، للهروب إلى داخل الغابات والأدغال أو اللجوء للبلدان المجاورة.

جنود الانيانيا لن ينسوا ذلك!! لن يثقوا في العرب!! لن نسلّم أسلحتنا مرة أخرى، قبل أن ننتزع حريتنا ونمسك بها في أيادينا.

الفصل الثاني

ظهور الأنيانيا

خلال السنوات الثماني، الممتدة من 1955 حتى 1963، قام الجنوبيون بجهود عديدة من أجل حلّ مشكلة الجنوب بالوسائل السلمية والعمل السياسي السلمي. ولكنها كلها فشلت وظلّ العرب يواصلون اضطهاد وقمع شعبنا. وطوال هذه السنوات أكد السياسيون العرب الشماليون شيئاً واحداً، هو أنهم يستهدفون فقط استعمار الجنوب والسيطرة على أرضه وشعبه، ولتحقيق ذلك يحاولون فرض دينهم ولغتهم وعاداتهم على شعبنا الأفريقي، وذلك بهدف تعريبه ونشر الإسلام في أوساطه وبالتالي فرض سيطرتهم عليه إلى الأبد. ولكن، لحسن حظنا، حدث تطور هام خلال هذه السنوات التعيسة، تمثّل في نمو وتطور قوات الأنيانيا. فعندما سلمت قوات الاستوائية أسلحتها في 1955، رفض بعضها ذلك وهربوا بأسلحتهم إلى داخل الغابات والأحراش. وكذلك فعلت بعض عناصر الشرطة وحرس الصيد.، وعندما علموا بما فعلته القوات العربية الشمالية بشعبهم الأفريقي في الجنوب، قاموا في الحال ببدء حركة مقاومة باسلة. وذلك في شكل عمليات صغيرة متقطعة ضد مواقع العدو في طول وعرض مديرية الاستوائية، وخاصة في مناطق توريت وياي. وفي 1962، قام نظام الجنرال عبود بتوسيع عمليات القمع والاضطهاد في الجنوب. وأدى ذلك إلى هروب مجموعات أخرى من الجنوبيين إلى داخل الغابات والدول المجاورة. وبعض مجموعات المقاومة المسلحة قامت بتنظيم نفسها تحت تنظيم يسمى (جيش أزانيا السرّي ASA) وهاجمت معسكرات جيش الحكومة في الاستوائية. ولكن هذا التنظيم لم يستمر كثيراً. وفي عام 1963، بعد خروج أعداد كبيرة من الجنود الجنوبيين السابقين من سجون الشمال، ظهرت مجموعات مشابهة في الاستوائية وأعالي النيل. وكانت تختلف عن المجموعات السابقة في محاولتها للعمل معاً من خلال مركز موحّد، وحدّدت يوم 1963/9/19 للقيام بعمليات موحدة ضد مواقع العدو في وقت واحد. وظلت هذه المجموعات تعمل في تنسيق مع

بعضها تحت تنظيم يسمى (أنيانيا.) وفي البداية كان عليها أن تعتمد على الأسلحة التقليدية:- الحراب والسهام والنبال. وفي 1965/64 استفدنا من صراعات الكنغو في الحصول على أسلحة كثيرة. فقد تحوّلت أسلحة الثوار الكنغوليين إلى أيدي الأنيانيا. وبذلك تطورت وتوسعت عملياتنا ضد الجيش العربي الشمالي. ومن خلال هذه العمليات تحصلنا على أسلحة ومؤن إضافية من القوات الحكومية. ونتيجة لذلك تطورنا بشكل سريع وأصبحنا قوة ضاربة. وفي داخل الجنوب وجدت قوات الأنيانيا ترحيباً واسعاً من السكان، بل اعتبروها جيش الجنوب وبديلاً لقوات الاستوائية التي تمّ حلّها بعد أحداث 1955. ولإحياء ذكرى انتفاضة 1955 التاريخية المجيدة وتأكيد ارتباطنا بها، أدخلنا الجاموس (شعار الاستوائية) في شعار الأنيانيا.

*** حركة تحرير جنوب السودان:-**

إن وجود قوات الأنيانيا كقوة محاربة، لم يستطع جيش العرب الشماليين هزيمتها، رغم محاولاته المتكررة وإمكانياته التسليحية الحديثة والكبيرة، إن وجود هذه القوة شكّل ولايزال يشكل سنداً حيوياً ودافعاً قوياً لنضال الجنوبيين في الجبهة السياسية. وهكذا جاءت حركة تحرير جنوب السودان بجانب قوات الأنيانيا، قواتنا الوطنية الضاربة. وهذه الحركة السياسية أكدت فعاليتها وأهميتها بوحدتها واستقرارها وبتمثيلها لكل التنظيمات السياسية الجنوبية السابقة. ومن خلال نشاطها المتواصل ومراكزها الفعالة في البلدان والأقطار الأساسية في العالم، نجحت الحركة في كسر حاجز العزلة وخلق علاقات ودية مع عدد من بلدان العالم ودعم نضالنا بمساعدات مادية وسياسية معتبرة.

*** إنجازات الأنيانيا حتى الآن:-**

إن النضال البطولي الذي تقوده قوات الأنيانيا قد ظل متواصلاً لسنوات عديدة. ولكنه، بعكس حركات التحرر الأخرى في أفريقيا، فشل في جذب أي اهتمام أو دعم من العالم الحرّ، ونتيجة لذلك ظلت حركتنا تشكو من نقص كبير في

الاحتياجات الضرورية لبناء تنظيم عسكري فعال، ومع ذلك، ورغم كل المشاكل والعقبات تمكنا من تحقيق إنجازات عديدة، فقد نجحنا في إبقاء جيش الشمال مشغولاً معظم أوقات السنة وفي زرع الخوف والفزع في قلوب جنوده وقلوب الشماليين الآخرين المتواجدين في الجنوب. وأكدنا للعرب بأن الشعب الأفريقي في جنوب السودان لا يقبل سيطرتهم وبأنه سيواصل مقاومته حتى ينتصر. وهكذا ظلت حكومات الخرطوم تقوم وتسقط نتيجة لعدم الاستقرار والاضطراب الناتج من استمرار الحرب في الجنوب. وبجانب كل ذلك تمكن شعبنا من بناء مؤسسة مشتركة، تجسّد مقاومته ويفاخر بها كل جنوبي ويضع فيها آماله في الحرية والحياة الكريمة.

الفصل الثالث

أسباب الحرب في الجنوب

كل فرد منا يدرك أننا نقاتل من أجل حقوقنا المشروعة وأننا أجبرنا على حمل السلاح بعد فشلنا في الحصول على تلك الحقوق بطريقة سلمية. أننا نقاتل ونحارب من أجل حقوقنا وقيمنا الأفريقية والإنسانية العزيزة على قلوب أبناء وبنات شعبنا.

*** أسرنا وقبائلنا:-**

إن العدو يشنّ حرب إبادة شاملة في الجنوب. يريد تحطيمنا والاستيلاء على بلادنا لمصلحته الخاصة. وظلّ يعمل لذلك منذ عقود عديدة. يختطف نساءنا وأطفالنا لبيعهم كرقيق في بلاد أخرى، ويعاملنا كحيوانات وليس كمواطنين وبشر، ونتيجة لذلك يحرمنا من حقوقنا الأساسية كبشر ومواطنين. يختطفوننا كحيوانات في الغابات والجبال ويبيعوننا في أسواق النخاسة في بقاع أخرى، ولذلك ليس أمامنا سوى مقاتلة هذا العدو ومحاربته حتى نسترد حقوقنا.

*** ثقافتنا وتقاليدنا:-**

إن العدو يحتقر عاداتنا وتقاليدنا، وهو يرى أن ثقافته وتقاليده العربية هي الأرقى والأكثر تحضراً. ولذلك يحاول فرضها علينا بكل الطرق الممكنة. وذلك يمثل طريقة أخرى لتحطيمنا، بتحطيم ثقافتنا وتقاليدنا، وإجابتنا على مثل هذا الاعتداء جدّ بسيطة، فنقول لهم:- أيها العرب، احتفظوا بثقافتكم وتقاليدكم لأنفسكم، واتركونا كأفارقة لهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم الأفريقية.. وإذا حاولتم فرض ثقافتكم علينا بالقوة سوف نقاوم ذلك بالقوة.. سوف لن نقف مكتوفي الأيدي، سوف نقاتل من أجل المحافظة على قيمنا وتقاليدنا الأفريقية ونعمل على تطويرها وتنميتها.

*** الهوية الأفريقية الجنوبية:-**

منذ إعلان استقلال السودان في مطلع 1956 لم يعترف العرب في الشمال بالجنوب كجزء لا يتجزأ من بلادهم أو بالجنوبيين كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات. فهم يعتبرون الجنوب كمستعمرة ورثوها من النظام الكولونيالي السابق ويعتقدون في حقهم في استغلال شعبه وأرضه. وهم ينكرون علينا حقنا في الاستقلال وحتى الحكم الذاتي، لاعتقادهم أن الجنوب وشعبه ملكية خاصة لهم. ولذلك علينا استخدام القوة لنؤكد لهم جهلهم وغباءهم وإجبارهم على قبول هويتنا وكينونتنا الوطنية المتميزة، إذ أننا لم نكن مستعمرة شمالية عندما كان السودان كله يخضع للحكم الثنائي. وإعلان الاستقلال يجب أن يكون لمصلحة الشمال والجنوب معاً، والحرية يجب أن تكون للجميع دون تمييز في الحقوق والواجبات.

*** الدفاع عن أفريقيا السوداء:-**

إن اخوتنا في شرق أفريقيا ووسطها يجب أن يعلموا أنه منذ أن وصل العرب إلى ملكال وجوبا وواو، ظلّ شعب جنوب السودان يدافع عن نفسه وأيضاً عن شرق ووسط أفريقيا في مواجهة هذه الكولونيالية العربية. أننا ظللنا نقاتل هؤلاء البرابرة ولم ولن نتوقف عن القتال حتى نحقق نصرنا المؤزر. وكلما يتواصل نضالنا وقتالنا ويحقق نجاحات ملموسة، كلما يشعر جيراننا في وسط وشرق أفريقيا بأهميته لحمايتهم وبضرورة دعمه ومساندته. والحرب، أي حرب، ليست سهلة. وكل نضال وطني، مثل نضالنا هذا، يستلزم تضحيات غالية، بدونها لا يمكن تحقيق أي انتصار. ولذلك يجب أن نواصل نضالنا دون تردّد، يجب أن نضع نصب أعيننا أننا نقاتل ونحارب من أجل قضية عادلة ونبيلة، وفي مواصلة نضالنا هذا ندافع أيضاً عن حماية إخواننا الأفارقة في وسط وشرق أفريقيا.. ندافع عنهم في مواجهة إمبريالية وكولونيالية أكثر وحشية وأكثر خطورة من أي قوى إمبريالية عرفها التاريخ في الفترات السابقة. وذلك لأن العرب السودانيين لا يقفون وحدهم، بل يجدون الدعم والمساندة من القوى العربية الأخرى ومن الإمبريالية الشيوعية، وهذه

القوى ظلّت تحاول منذ فترات طويلة الوصول إلى الكنغو، قلب أفريقيا السوداء، عن طريق جنوب السودان. ولذلك يجب على الشعب الأفريقي في جنوب السودان وجنوده، يجب عليهم توضيح هذه الحقائق وتركيزها في وعي الشعوب الأفريقية السوداء في كل أنحاء قارتنا، حتى تتحقق من أهمية نضالنا وتتفهم أن نضالنا ليس من أجل الجنوب وحده، بل من أجل مصلحة أفريقيا بكاملها.

الفصل الرابع

القتال والبناء

إن الواجب الأساسي للجندي، في أي جيش، يتمثل في القتال من أجل وطنه. ولكن واجب الجندي في قوات الأنيانيا يشمل أيضاً البناء، بناء الوطن. علينا أن نحارب من أجل تحرير جنوب السودان من الهيمنة العربية، وفي نفس الوقت علينا بناء الجنوب كأمة. فجندي الأنيانيا يحارب العدو العربي ويعمل في الوقت نفسه لتوحيد المجموعات الجنوبية كشعب موحد. وقوات الأنيانيا تشبه النمل الأبيض، كل واحد منها يشغل نفسه طول الوقت بالقتال أو البناء. نحارب دفاعاً عن أرضنا وقيمنا الأفريقية. فقد أجبرنا على القتال ولا نأسف لذلك. ظللنا نحارب لسنوات طويلة من أجل حقوقنا الإنسانية وسنواصل القتال لسنوات طويلة أخرى، حتى نحقق أهدافنا كاملة.

نضالنا من أجل القيم الأفريقية يعنى، في المقام الأول، حقنا في الحياة كأفارقة وليس كعرب. يعنى حقنا في أن نكون أنفسنا، فنحن أفارقة وننتمي لأفريقيا بحكم العرق والثقافة والتاريخ. كنا ولانزال وسنبقى أفارقة. وليس هناك قوة في الأرض يمكن أن تحولّنا إلى عرب. يجب على جندي الانيانيا أن يتفهم ذلك بوضوح شديد. فذلك هو السبب الرئيسي لنضالنا الراهن. ويجب عليه القيام بشرحه وتوضيحه للسكان وخاصة فئات الشباب.

إن الجندي المدّرب والمنظم هو أساس الانتصار في أي حرب. ولتحقيق النصر يجب علينا أن نكون جنوداً جيدين، نحترم مبادئ أسس القيادة والتنظيم العسكري، أساس وحدة وتماسك أي جيش. فالتنظيم يتطلب معرفة الضباط بأسس القيادة ولماذا يتقبل الجنود الأوامر والتوجيهات. والتنظيم يجب أن لا يستخدم كأداة لمنع حرية الرأي والانتقاد. والأخيرة يجب أن لا تتحول إلى ذريعة لعدم طاعة الأوامر والتوجيهات. فالقائد قد يكون من منطقة مختلفة ويتحدث لغة أخرى غير لغة الجنود. ولكن ذلك يجب أن يكون سبباً إضافياً لطاعة الأوامر والتوجيهات. فمن

خلال ذلك نتمكن من تقوية الروابط التي تجمع شعبنا في هدفنا المشترك. فقوات الأنيانيا هي المؤسسة الوطنية الوحيدة في جنوب السودان، التي تجد احترام وتقدير الجميع. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، يجب أن يتذكر جنود الأنيانيا بأن يهتموا بسلوكهم وأفعالهم ليكونوا قدوة ونموذجاً لجماهير شعبنا. فهؤلاء الجنود ليسوا جنوداً محترفين ولم ينضموا لقوات الأنيانيا من أجل مرتب ومزايا أخرى، بل هم وطنيون تحركوا بدوافع نبيلة للنضال ضد الكولونيالية الجديدة والسياسات الإمبريالية العربية الشمالية، وحلفائها العرب الآخرين والشيوعية الدولية. وكطليعة ونموذج لشعبه، يجب أن يكون جندي الأنيانيا مبادراً في كل النشاطات والأعمال التي يقوم بها. في قريته يزرع مع أسرته ويشارك في النشاطات الجماعية، مثل بناء مركز صحي وتدريس أطفال وغيرها. عليه أن يجمع الأطفال ويشرح لهم مبادئ الثورة وتاريخ نضالنا الوطني، وأن يساعد في معالجة المرضى والجرحى، وفي توضيح أهمية العناية بالصحة والبناء الجسماني، وعلاقة كل ذلك بالقتال ضد العدو العربي. وإذا تفهم السكان ذلك، فسوف يدفعهم لاحترام قوات الأنيانيا ودعمها ومساعدتها. وسوف تصبح وقتها جزءاً لا يتجزأ من الشعب ويصبح الشعب جزءاً لا يتجزأ منها. سوف نصبح أمة موحدة...

البناء عكس الحرب، فالأخيرة تدمر وتخرب، والبناء يعني التعمير وتجديد الحياة. يجب أن نتعلم دمج الحالتين في نضالنا، الحرب والبناء. فبالوحدة والتعبئة الشاملة يمكننا دعم حركتنا الثورية وتحقيق الانتصار.

الفصل الخامس

هـــــدفنا

هدفنا الرئيسي واضح ومحدّد، ويتمثل في حق تقرير المصير لشعبنا في جنوب السودان. نريد لشعبنا أن يكون قادراً، بكامل حريته ودون أي ضغوط، على تقرير مصيره بالبقاء كإقليم متميز ويحكم نفسه ذاتياً، في إطار سودان موحد أو بأن يقطع صلته بالشمال ويربط مصيره بأشقائه الأفريقيين في الدول المجاورة.. سوف لن نقبل وحدة مفروضة علينا بشروط الشمال ولن نقبل أي إجراءات وترتيبات يتوصل إليها جنوبيون في خدمة أسيادهم الشماليين. ويمكن فقط تقرير مصير الجنوب في المستقبل عن طريق تسوية متفاوض عليها مع قوات الأنيانيا وحركة تحرير جنوب السودان. والجنوبيون الذين يفضلون البقاء مع العدو العربي، ومن ثم الوصول إلى شروط ملائمة لاستمرار احتلاله للجنوب، هؤلاء لا يمكن أن يمثلوا الجنوب. وذلك لأنهم سيعملون باستمرار ضد مصلحة الجنوب من خلال معارضتهم لقوات الأنيانيا. وتعيين بعضهم في مواقع عليا في حكومة العدو، سيخدم فقط مصالح العدو وأهدافه. فهذه التعيينات هي تعيينات مؤقتة ومرتبطة بوجود قوات الأنيانيا والضغوط التي تمارسها على حكومة العدو. وإذا تغيرت هذه الضغوط، فإن شروط التعيين ستتغير رأساً على عقب. ولكن الانتهازيين لا يرون ذلك، بحكم اهتمامهم بمكاسبهم الآنية ولا علاقة لهم بمصير شعبهم ومصير الأنيانيا وآلاف اللاجئين الجنوبيين في الأقطار المجاورة.

جنود الأنيانيا.. لقد حاربتم وقاتلتم وتحملتم معاناة كبيرة في سبيل حرية جنوب السودان. ويجب عليكم أن تقاتلوا بنفس الحماس والفعالية لحماية مكاسبكم من مثل هؤلاء الانتهازيين. هؤلاء مستعدون لتحطيم وتخريب أي شيء من أجل الوصول إلى تسوية مع العدو خدمة لمصالحهم الخاصة. ونحن على ثقة بأنكم ستقاومون ذلك بكل قوة وستواصلون نضالكم حتى النصر وتحقيق أهدافنا كاملة.

الفصل السادس

خمسة مرتكزات أساسية

*** القيادة:-**

لكي يصبح الإنسان قائداً جيداً، عليه أن يتمتع بمشاعر أخوية وأبوية تجاه من يقودهم. فعند وجوده في موقع قيادة مجموعة من الرجال، عليه أن يتخيل نفسه كأب لأسرة أكبر وأوسع من الأسرة التي يرتبط بها. وفي الجيش تحتل هذه المشاعر، مع مشاعر الرفقة والزمالة، أهمية أكبر، وذلك لأن الجنود يغامرون بأرواحهم لحماية بعضهم من نيران العدو. إذ أن القائد العسكري يمثّل في وقت واحد رئيسهم لحمايتهم والدفاع عنهم وأخوهم الأكبر في الأسرة الكبيرة. وعندما تتعرض هذه الأسرة لمخاطر، يكون في المقدمة لحمايتهم وقيادتهم في المعركة ضد العدو الخارجي. فهو لا يرسل أولاده أو إخوانه الصغار لمواجهة الخطر، ويبقى هو بعيداً في انتظار سماع أخبارهم. وإذا فعل ذلك، فإن موقعه كقائد يصبح لا معنى له ويعنى أن رجاله يصبحون دون قيادة ولا يجدون الحماية والثقة التي يحتاجونها. وبالتالي قد يتبعثرون في اتجاهات مختلفة. هكذا، يحتاج الجيش للقيادة والتوجيه. فالقائد الشجاع، الذي يقود وحداته في المعركة، يكسب ثقة واحترام رجاله ويواصلون ارتباطهم به، بحكم ثقتهم فيه. أما إذا وجههم بالعمل وبقى هو بعيداً، فسوف يكونون مثله. وخلال سنوات كفاحنا ونضالنا عايشنا نماذج مشابهة. شاهدنا وحدات لا تقاتل بشكل جيد تحت قيادة بعض الضباط، وتنعكس الحال عندما يقودهم ضباط آخرون. الشجاعة شرط أساسي يجب أن يتوفر في أي قائد. ولكن الشجاعة وحدها لا تكفي. يجب أن تتوفر فيه أيضاً شروط أخرى. فيجب أن يكون قادراً على تنظيم رجاله بكفاءة وسرعة، خاصة في ميادين المعركة. وذلك لأن المطلوب منه ليس فقط المشاركة في القتال، بل أيضاً قيادة الآخرين في المعركة. وأكثر من ذلك، يجب عليه، أثناء المعركة، أن يكون قادراً على السيطرة على جنوده وتغيير مواقعهم هناك تسوية وحيدة يمكن أن يقبلها الوطنيون الجنوبيون، هي التسوية التي يمكن الوصول إليها مع قوات الأنيانيا وحركة تحرير جنوب السودان.

بشكل صحيح وسريع وتحريك قواته بناء على ذلك. ويجب أن يكون قادراً على العمل في الظروف الصعبة دون يأس أو إحباط. ففي قلب المعركة يشعر الجميع بالإرهاق وقد يحاولون الانسحاب. وفي هذه اللحظات الحاسمة يخسر من ينسحبون ويكسب من يصرّون على مواصلة القتال. وتمثّل المبادرة أيضاً إحدى المزايا الهامة في الشخصية القيادية. فالقائد المبادر لا ينتظر مكتوف الأيدي ويسمح للعدو لأخذ ذمام المبادرة في المعركة، بل يقوم بعمل كل ما يستطيع لإشغال العدو ووضعه في موقف دفاعي باستمرار حتى لا يفكر في خطط هجومية.

وكخلاصة، القائد الجيد هو الذي يشارك جنوده في مخاطر وصعوبات الحرب، وينظر لجنوده أولاً قبل نفسه، ويقود رجاله ويسيطر على تحركاتهم طوال المعركة. وفي الوقت نفسه يمتاز بالسرعة في تقدير الموقف واتخاذ القرار المطلوب. وأيضاً يمسك بزمام المبادرة ويواصل الهجوم على العدو ومحاصرته بضغوط مستمرة.

*** المسؤولية:-**

المسؤولية هي الشعور بالاهتمام بكل شيء (الجنود، المعدات، الأسلحة، الواجبات... الخ) تحت مسؤولية القائد. هي الدافع الذي يحرك الشخص للاهتمام بالواجبات الموكلة له، وبالتالي القيام بكل ما في وسعه لإنجازها على خير وجه. وعلى كل قيادات قوات الانيانيا، في كل المستويات، أن تهتم بمسئولياتها تجاه رجالها، تماماً كما تهتم بأفراد أسرها، فالاهتمام الشخصي الذي يوليه القائد لجنوده سوف يساعده في تفهم مشاكلهم وفي حلّها بشكل سريع وملائم. ومن جهة أخرى. فإن الاهتمام بمشاكل الجنود يحررهم ويمكنهم من ممارسة واجباتهم بشكل أفضل. ومسئوليتنا تجاه أسلحتنا ومعداتنا هام جداً، بحكم اعتماد قدراتنا القتالية عليها. إذ بدونها يتمكن العدو من هزيمتنا بشكل ساحق. ولذلك علينا الاهتمام بأسلحتنا ومعداتنا، تماماً كما نهتم بأنفسنا وأسرنا. وكل جنود الأنيانيا يجب أن يهتموا بسلاحهم، بحمايته والمحافظة عليه وتنظيمه وتجهيزه للاستخدام في أي وقت. وكل

القيادات عليها الاهتمام بهذا الجانب وتوضيحه لجنودها وإثارة اهتمامهم بأسلحتهم ومعداتهم، حتى لو لم تكن تحت مسئوليتهم.

إننا نحارب من أجل وطننا. نناضل من أجل أن يكون تحت أيدينا. وكل ما نفعله في قوات الانيانيا، نفعله من أجل الوطن. وتلك هي مسئوليتنا الأولى، التي تتضمن كل مسئولياتنا الأخرى.

*** القتال بطريقة هجومية:-**

بالنسبة لجيش ثوري، مثل جيشنا، الذي يقود حرب تحرير وطنية، هناك طريقة وحيده للقتال، هي طريقة الهجوم. علينا أن نعمل على الدوام لمهاجمة العدو، لأن النصر يمكن تحقيقه فقط بهذه الطريقة. ومن أجل ضمان النصر، علينا المحافظة على الروح القتالية العالية وسط قواتنا وعلينا أن نهاجم. إذ عن طريق الهجوم نستطيع تحقيق مكاسب عديدة والاستفادة من تعبئتنا لقواتنا وروحها المعنوية العالية. وبقتالنا دفاعاً عن وطننا نجد أنفسنا في موقف أفضل من موقف قوات العدو، البعيد عن وطنه. فهو يعلم ذلك ويجب علينا إشعاره بهذه الحقيقة في كل الأوقات.

إن قوات الأنيانيا تقود حرب عصابات.. وهي تعني حرباً صغيرة. وعدونا جيش عصري محترف ومزود بكل شيء، بما في ذلك الدبابات والأسلحة الثقيلة والقوة الجوية. ونحن نملك فقط أسلحة خفيفة. وإذا حاولنا ضرب العدو في معركة مفتوحة، فإن ذلك هو ما يريده العدو نفسه. ووقتها سيهزمنا في وقت وجيز، بحكم تفوقه في الأسلحة والعتاد. ولتحاشي ذلك، اخترنا حرب العصابات، التي تمنحنا عدة مزايا لا يتمتع بها الجيش العربي. وكلما واصلنا الاعتماد على أساليب حرب العصابات، كلما عجز عن هزيمتنا. ولكن، لكي نقود حربنا بكفاءة، يجب أن نعتمد على الهجوم وإن لا ننتظر العدو حتى يتحرك.. علينا التحرك أولاً وضرب العدو في اضعف حلقاته، وهي كثيرة. وإذا حافظنا على هذا الأسلوب لفترة كافية، وعلى

العمليات الهجومية حيثما وأينما كان ذلك ممكناً، فإننا سنجبر العرب على الجلوس للتفاوض معنا حول شروط تسوية عادلة.

*** من القبلية إلى الأمة:-**

إن هدفنا هو الوحدة في التنوع. فعندما تتحد مجموعتان أو ثلاث، تزداد قوة وفعالية. ووقوفها معاً لا يعنى تخليها عن شخصياتها المستقلة وخصائصها المميزة، بل تحافظ عليها وتعمل معاً في نفس الوقت، مستفيدة في ذلك من قواها ومزاياها الموحدة. وهذا يصحّ أيضاً على المجموعات القبلية في إطار الأمة الواحدة. وهنا ليس المهم حجم وقوة قبيلة معينة أو مجموعة قبائل، بل المهم هو هدف بناء الأمة من خلال وحدة جميع القبائل دون استثناء وتوحيد جهودها في المصالح الوطنية العليا. وفي تحركنا لجذب كل قبائل جنوب السودان ودمجها في إطار وطني موحد، لا نستهدف إلغاء أو إيذاء المميزات الخاصة بكل قبيلة. بالعكس نعمل على احترامها وتطويرها. وذلك من أجل المحافظة على تعددها وتنوعها، الذي يؤدى إلى إثراء ثقافتنا الوطنية، وفي نفس الوقت نتفهم جيداً أنه ليس بمقدور قبيلة واحدة أن تواجه عدونا المشترك بمفردها وأننا سوف نبقى فقط بوقوفنا معاً ومواجهة العدو كشعب موحد. ومن خلال هذا الطريق سنصبح أمة موحدة دون شك.

*** العلاقة مع السكان المدنيين:-**

التجنيد في صفوف أي جيش يتمّ من وسط السكان المدنين في أي بلد. وهذا يعنى أن الجنود والسكان ينتمون لنفس البلد. ونفس الشيء ينطبق على قوات الأنيانيا في علاقتها مع السكان في جنوب السودان. ولذلك، على جنود الأنيانيا أن يتذكروا بأنهم جزء لا تجزأ من السكان وأن لا يعتبروا السكان المدنيين أقل منهم بأي مستوى كان. فالجنود والمدنيون هم أبناء شعب واحد وكلهم يناضلون ضد عدو واحد. ومن هنا تنبع أهمية علاقة الجنود بالمدنيين من أجل ضمان استمرار الحرب.

ويتخذ ذلك أهمية مضاعفة في حالة الأنيانيا، التي تعتمد، بشكل واسع، على السكان في تأمين وجودها واستمرارها. فعندما يستخدم الجندي القوة ضد أي مدني يحتاج إلى مساعداته وخدماته، فإنه لا يساعد في خدمة هدف نضالنا المشترك. بالعكس، مثل هذا السلوك يقود فقط إلى إحباط المدنيين ومنعهم من تقديم أي خدمات للمقاتلين. وبدلاً عن ذلك، علينا الاهتمام بجذب المدنيين لمساندة ومساعدة قوات الأنيانيا، من خلال التعامل معهم بشكل وديّ وإيجابي، واحترامهم وتقديرهم كإخوان وزملاء، وإثارة وطنيتهم ووحدتهم كأفارقة ظلّوا يعانون كما نعاني نحن من العدو المشترك. فالمدني الذي نقنعه بالتضامن معنا سيقدم لنا مساعدات أكثر وأكبر من الذي نجبره على تقديم تلك المساعدات بالقوة والأرهاب.

الفصل السابع

خلاصـــــة

لقد ظللنا نقاتل لسنوات عديدة من أجل حقنا في الحياة الحرّة الكريمة. وللاستمرار في قيادة هذه الحرب الطويلة والشاقة، علينا ليس فقط توفير الوسائل المادية الضرورية (الأسلحة والمؤن والمعدات... الخ) بل علينا أيضاً الاقتناع والأيمان بقضيتنا وبعدالتها وبمشروعية نضالنا من اجلها. وإيماننا بكل ذلك هو الذي دفعنا ويدفعنا للنضال والاستمرار حتى الآن رغم المشاكل والعقبات المعروفة. كيف إذن نلخص إيماننا هذا بعد ما يقارب الـــ17 عام من النضال والقتال؟

* أننا نؤمن، رغم كل مكايد العدو وإصراره على استعمار شعبنا والسيطرة على أرضه، نؤمن بأن نضالنا العادل سينتهي بانتصارنا وتحقيق كامل أهدافنا.

* نؤمن بأن الهوية الأفريقية، كهوية متميزة ومختلفة عن الهوية العربية، والتطلعات المشتركة التي توحد كل قبائلنا في نضال مشترك، كل ذلك يؤهلنا لبناء أمة ولحق تقرير المصير.

* نؤمن بأن رفضنا لمحاولات تعريب وأسلمة الجنوب، وتمسكنا بهويتنا الأفريقية وموروثها الثقافي، يعنى ممارستنا لحق إنساني أساسي، يجب أن يعترف به الآخرون طال الزمن أم قصر.

* نؤمن بأن قيامنا بحرب تحررنا الوطني قد أدى إلى محاصرة التوسعية الإمبريالية العربية والسوفيتية تجاه الجنوب وحماية اخوتنا في شرق ووسط أفريقيا من خطر حقيقي.

* نؤمن بأن إصرار العدو على رفض مطالبنا العادلة، سيدفعنا إلى مواصلة قتالنا ونضالنا حتى النصر وتحقيق أهدافنا كاملة طال الزمن أم قصر.

الملحق (2)

* خطاب من بونا ملوال*

1) الخرطوم في 24 أبريل 1979م

معالي السيد/ الرئيس جعفر محمد نميري

رئيس الاتحاد الاشتراكي السوداني

الخرطوم

سيدي الرئيس

أردت مناقشة محتويات هذه المذكرة مع سيادتكم، وكما جرت العادة، ستعرف مني مباشرة موقفي من ما يجري هذه الأيام في الإقليم الجنوبي. وعلى كل حال، لقد فشلت في أن أجد فرصة الحديث معكم حول هذا الموضوع، بسبب اضطراري للسفر. ولذلك وضعت وجهة نظري في هذه المذكرة الشخصية للجنرال جوزيف لاغو. وأرسل لسيادتكم نسخة منها لوضعكم في الصورة.

وتقبل فائق احترامي

خادمكم المطيع

بونا ملول

2) الخرطوم 24 أبريل 1979م

سعادة الجنرال جوزيف لاغو

رئيس المجلس التنفيذي العالي للإقليم الجنوبي

جوبا

عزيزي الجنرال لاغو

اكتب إليكم للتعبير عن قلقي واهتمامي بالتحولات السياسية الجارية في الإقليم الجنوبي تحت قيادتكم. لقد كشفت التطورات الأخيرة، كما تشير قراراتكم كقائد للجنوب، كشفت هذه التطورات ليس فقط توجهكم المنتظم لعزل الدينكا من كل مواقع السلطة والنفوذ في الجنوب، بل أنكم قمتم شخصياً، كقائد للإقليم، بتوجيه حملة ضد الدينكا وسط القبائل الأخرى في الجنوب. لقد كان الأمل أن تعمل من أجل الوحدة وسط القبائل الأخرى، بخلاف الدينكا، للقضاء على ما ظللت تروجه في الفترة الأخيرة حول هيمنة الدينكا. وعندما يأتي مثل هذا النشاط من القائد مباشرة، فأنه سيقود فقط إلى زراعة بذور النزاع والشقاق في الإقليم الجنوبي والى العمل المعادي للوحدة الوطنية في بلاد تدعو لتعميق مبادئ الوحدة الوطنية كأساس للعمل المشترك بين أبنائها. وقد يفهم المرء مخاوف القبائل الصغيرة من هيمنة قبيلة كبيرة مثل قبيلة الدينكا في الجنوب. ولكن لا يمكننا أن نفهم استخدام هذه المخارف من شخص مثلكم، يدَّعي أنه قيادة وطنية، كأساس لتسيير سياساته في البلاد. لقد ظلَّ بعضنا لسنين طوال يبشر بوحدة السودان عن طريق التلاعب بالمشاعر القبلية وسط مجموعاتنا القبيلة، والاستجابة لمخاوف آخرين غير مبررة ولم يطالبوا بها. ولكن في مواجهة إصراركم المتواصل على تجريم الآخرين لمجرد انتمائهم لقبيلة الدينكا، فأن المرء لا يمكن أن يقف مكتوف الأيدي، خاصة إذا أصبح الانتماء للدينكا سيَّة عظيمة في ظل قيادتكم. أننا نعلم، بكل أسف وحزن، أنكم قد قمتم، بشكل متواصل ومثابر، بمحاولة تعبئة كل القبائل الأخرى في الجنوب لتوحيد صفوفها ضد الدينكا. وإذا كان للمرء أن لا يصدق صدور مثل هذا اللغو والكلام غير المسؤل من شخص مسؤل مثلكم، فإنكم تؤكدون العكس بالطريقة التي أعلنتم بها قراراتكم العامة الأخيرة. أن رئيس الاتحاد الاشتراكي السوداني يتفهم معقولية وحساسية العمل السياسي الجيد ويري أن افضل طريقة لتنظيمه يجب أن تقوم على قبول الحقائق السياسية المحلية في السودان. ولذلك ظلّ يقوم بشكل واعي ومتواصل بتعيين ثلث كل الحالات السياسية في الاتحاد الاشتراكي، بما في ذلك المكتب السياسي في

الجنوب. فلماذا لا نلتزم بمعقولية كافية داخل الإقليم الجنوبي للاعتراف بهذه الحقائق وموازنتها؟ أم أنك تري أن البقية تشكل ثلث الجنوب دون الدينكا؟ وقد يجد المرء تفسيراً لبعض خطواتكم الأخيرة في الجنوب، ولكن هل يستطيع أي شخص أن يلوم الدينكا الآن إذا شعروا أنهم مستبعدون من القيادة السياسية في الإقليم الجنوبي؟ أليس من حقهم العمل لحماية مصالحهم الوطنية؟ وأين هو نموذج هيمنة الدينكا في الماضي القريب في الجنوب لتدَّعي هيمنة الدينكا على الآخرين؟ وللرجوع للتاريخ، أنظر إلى سجل حكومة أبيل ألير خلال السنوات الست الماضية. وهو الدينكاوي الوحيد الذي حكم الجنوب قبل صعودكم للسلطة. وأبيل هذا يلومه البعض بدعوى أنه يحابي غير الدينكا. فأصدقاؤه المقربون ومستشاروه، كقائد للجنوب، كلهم من غير الدينكا. وأنظر إلى سجلات استبعادات وتعيينات أبيل ألير. أما أنت، فأنك تثير معاداة الدينكا كوسيلة لأبعاد الناس من الاهتمام بسياساتك الضيقة. لقد حاول الدينكا تحاشي الصراع والشقاق طوال تاريخ الحركة السياسية الجنوبية. وهذا هو ما حاولوه اليوم خلال سنوات حكومة أبيل ألير في الجنوب. ولا يمكن أن نحمل الدينكا المسئولية مرة أخري، بعد أن تسلمت مسؤلية حكم الجنوب وظللت تستخدم السلطة لاختبار إرادة الدينكا كشعب من أجل البقاء. يجب أن تتحمل مسؤلية نتائج أعمالك وسياستك كقائد للجنوب في هذا المنعطف الخطير في تاريخ شعبه. وقد تجد أناساً في الجنوب يدينون غياب العدالة لمجرد أن يقال أنهم ليسوا قبليين. ولا أرغب أن أكون منهم.

مخلصكم

بونا ملوال

صورة لرئيس الاتحاد

الاشتراكي السوداني

ملحق (3)

مناقشات حول إعادة التقسيم

اللامركزية: ضرورة لمديريات جنوب السودان،

بقلم الفريق (معاش) جوزيف لاغو

مطبعة المركز الطباعي

مقدمة:

(عندما شبع الرجل الأناني من الأكل، قام بدعوة الرجل الجائع..) مثل شعبي وقول مأثور.

هذا المثل أو القول المأثور ينطبق على الحالة الجارية في جنوب السودان.. فبعد أن اكتفت القيادة السياسية ذات التوجهات القبلية، وجدت أن الطريق الوحيد لبقائها في السلطة هو أثارة الولاءات والنزعات القبلية وسط مجموعاتها، بدعوى أحقيتها في الهيمنة بحكم أغلبيتها العددية. وبدأت الآن تدفع المطالبين بتصحيح هذه الوضعية بالجري وراء السلطة. وبحكم رغبتهم الجامحة في فرض سيطرتهم، فأن مطالبة أي مجموعة بإصلاح الأوضاع السارية لا يمكن السماح بها- ويبدو أنهم لا يفكرون في خطورة محاصرة (القط) في ركن ضيق وإجباره على الدفاع عن نفسه بكل الطرق الممكنة.

أن المادة (6) والمادة (7) من الدستور الدائم للسودان تنص على إدارة البلاد على أساس نظام لامركزي كامل، وتتفق في ذلك مع سياسة الاتحاد الاشتراكي السوداني، التي تؤكد المشاركة الشعبية الكاملة في عملية صنع السياسات وحكم البلاد- والفقرة (4) من مقدمة قانون الحكم الذاتي الإقليمي لمديريات جنوب السودان، لسنة 1972، تشير أيضاً إلى أن القانون بصدر:- (في انسجام مع

مبادئ ثورة مايو، التي تؤكد على مشاركة الشعب السوداني الفعالة في النظام اللامركزي لحكم بلادهم والإشراف عليه.) والمشاركون في مفاوضات أديس أبابا، التي قادت لاتفاقية السلام، غادروا العاصمة الأثيوبية بعد تأكيدهم أن الحكم الإقليمي في جنوب السودان سيقوم بتوسيع اللامركزية، بهدف تحقيق مشاركة الشعب في حكم بلاده. ولم يدر بخاطرهم وقتها أن تسليم السلطة للشعب ستكون هدفاً غير مرغوب فيه بالنسبة للقابضين على زمامها- ومع أن مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي المتتالية قد ركزت على ضرورة تسليم السلطة للشعب، فقد ظلّ هذا النداء شعاراً فارغاً في جنوب السودان. ومن واجبنا في هذه النشرة أن نوضح أسباب وجود عدم رغبة حقيقية في تطبيق سياسة لامركزية. ومنذ البداية يجب أن نؤكد أن هذه السياسات والمفاهيم ليست جديدة، بل أشارت إليها مفاوضات أديس أبابا. ووفد حركة تحرير جنوب السودان وصلته تأكيدات من الوفد الحكومي بأن الاتحاد الاشتراكي لا يطرح فقط نظام الحكم اللامركزي، بل أن قانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1971 يسمح بإنشاء حكومات ذاتية من المديرية حتى أصغر وحدة إدارية. وبحكم نظرتهم للقانون في إطار تطبيقه الجاري في الشمال، اعتبرته الحكومة الإقليمية في الجنوب كحكم غير مباشر على النمط الكولونيالي. وإذا كان البعض يثير مشكلة الموارد، فهي مشكلة وطنية عامة، ولاتحتاج إلى شرح- ولكن حقيقة الأمر، كما سيتضح، أن العديد من قيادات الدينكا ظلت تدور حول موضوع اللامركزية وتتهرب من مناقشته بجدّية، بهدف كسب الوقت لتمكين عناصرها في كل مناطق الجنوب وضمان سيطرتهم على أي سلطة تنشأ في المستويات المختلفة. فالتعيين السنوي في الشرطة ومؤسسات الإدارة تكشف هذا الطموح. وهناك أيضاً محاولة تضخيم الخوف من استغلال الشمال لجنوب ضعيف ومقسم. وهي حجة نسمعها من سياسيين ظهروا بعد الاتفاقية وظلوا يرتبطون بمصالح قبائلهم أكثر من مصالح الجنوب الموحد والمحافظة على اتفاقية السلام نفسها.

* أسس اللامركزية :-

أن المشكلة الأساسية التي تعترض أي مجتمع متعدد ومتنوع المكونات، مثل مجتمعنا، تتمثل في كيفية تحقيق الوحدة وتعزيزها- وفى معظم الحالات تتحقق الوحدة عن طريق الاعتراف بحقائق التعدد والقبول بالتعايش معها- ففي الثالث من مارس كل عام، يحتفل السودانيون بما يسمي عيد الوحدة الوطنية. ومع ذلك، فأن هذا اليوم هو الذي تم فيه توقيع اتفاقية أديس أبابا (التي منحت المديريات الجنوبية الحكم الذاتي الإقليمي.) فلم ينظر إليه كيوم حزن وحداد لأنه يمنح الجنوب حكماً ذاتياً إقليمياً. والسودان لم يتفتت بتطبيق الحكم الذاتي، بل أصبح أكثر تماسكاً، عن طريق تأكيد حق الجنوب في إدارة شئونه- أن الشعب السوداني يعبّر عن اعتزاز كبير بكرامته في مقاومته لمختلف أنواع الهيمنة والحكومات الديكتاتورية. فقد قاوم الاستعمار كوحدة متماسكة. ولم يسامحوا الأحزاب السياسية، بل ابتعدوا عنها عندما ضمنوا مشاركتهم في الإدارة وصنع القرار- ووقفوا ضد نظام عبود لتسلطه واستبداده. والآن، هم يؤيدون ثورة مايو لأنها تفتح المجال لمشاركتهم من خلال تنظيماتهم في مختلف المستويات. وعندما طرحت المبادئ المتضمنة في المواد 6 و7 في الدستور الدائم، فقد كانت تستهدف تلبية تطلعات مختلف المجموعات دون أي تلكؤ. وفى مثل مجتمعنا المتعدد والمتنوع وبحساسيته المفرطة ضد الهيمنة والاستغلال، فأن منح المجموعات المختلفة حقها في إدارة شئونها يمثل السبيل الوحيد لتحقيق السلام والاستقرار في البلاد- وإذا كان هناك من لا يزال يشك في هذه الحقيقة، فعليه الرجوع إلى أحاديث الرئيس نميري وقيادات ثورة مايو المجيدة. ففي صراع الشمال والجنوب، تمكنا من تحقيق السلام والوحدة فقط عن طريق منح الجنوب حقه في الحكم الذاتي الإقليمي- وتمشياً مع مبادئ الاتحاد الاشتراكي السوداني، يجب أن تقوم الحكومة الإقليمية في الجنوب بالعمل على تأسيس سلطات ذاتية في المديريات تمكن جماهير الشعب هناك من المشاركة في إدارة شئونها وتقرير مصيرها- وعن طريق ذلك يمكننا مواجهة صراعات الجنوبيين حول

المساواة والعدالة فقط في الإدارة الإقليمية. أما صراعاتهم حول المواقع والمشاركة في إدارة شئون المديريات فستصبح مشكلة أبناء المديرية أنفسهم- وفى المستويات الأدنى، يجب أن ننشئ مجالس المناطق والمدن ومجالس القرى والأرياف. والأمل أن يجد هذا الهيكل الإداري اهتماماً سياسياً مناسباً في شئون التدريب والاعتماد على أهل المنطقة أنفسهم. وفى المستويات الأدنى من المديرية، سيقوم المحافظ بتأسيس مجالسه وتوزيع موظفيه دون تدخل من الحكومة الإقليمية.

ولكن المسؤلين الآن في الحكومة الإقليمية، لا يبدون أي اهتمام بمثل هذه السياسة، بل لا يحترمون حتى مشاعر وتطلعات الجماهير التي يقودونها- فبعض المناطق، مثل منقلا وليري ولوقو وكولي، تعيش حالة من عدم الأمان والاطمئنان نتيجة لتحركات الدينكا واستقرارهم هناك دون أي تخطيط. إذ أن مرارات مجالس هذه المناطق لا تجد أي تقدير واحترام من الحكومة الإقليمية، بل ظلت تتجاهل تحركات الدينكا وتجاوزاتهم. وفى مستوى المديريات، قامت الحكومة الإقليمية أيضا بتجريد المحافظين من صلاحياتهم في مجالات الإدارة والأمن. فاستولت على شئون الأمن وركزتها في رئاسة الشرطة الإقليمية، تحت إدارة مفتش عام الشرطة، وهو دينكاوي. وظلت إدارته تقوم بتعيين ضباط الشرطة ونقلهم دون وضع أي اعتبار لرأي المحافظين. وفى بعض الأحيان، يقوم المفتش العام وإدارته بتأمين موظفين تعتبرهم لجنة أمن المديرية خطراً على أمنها، وذلك دون علم المحافظ المسؤل- والإداريون المسؤلون عن الحكم الشعبي المحلي ظلت علاقاتهم موزعة بين الحكومة الإقليمية وحكومة المديرية دون تحديد قاطع لتبعيتهم للأخيرة- وكان لكل ذلك تأثيراته السلبية دون شك في أدائهم العام وفى معالجة المشاكل التي تعترضهم.

أن هذه النشرة تري أن الموقف المتردد وغير المحدّد الذي تلتزمه سلطات الحكم الإقليمي (وهي تتكون بشكل كبير من قبيلة واحدة) سيقود إلى إلغاء سياسة اللامركزية في المسرح السياسي، واستبدالها بنوع من نظام الحكم الغير مباشر- ويبدو أن سياسة اللامركزية قد تحولت إلى مجرد شعار للمناورات السياسية. فهناك

مستشار دينكاوي لشئون الحكم المحلي يقوم بدراسة توافق المادة 184 من الدستور الدائم مع المادة 18 من قانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية لسنة 1972. والواقع أن أي قائد سياسي ينظر بعناية للمادة 182، لا يمكنه أن يفاخر بانتمائه لقبيلة كبيرة. وذلك لأن هذه المادة تنص على أن مبدأ الإدارة اللامركزية يقوم على: (تأكيد تمايزهم الثقافي وتمكينهم من الاستقرار والتقدم.) والذين يعتقدون أنهم يمثلون أغلبية لايمكنهم، في ظل نظام لامركزي سليم، التغول على الأقلية، لأن النظام اللامركزي يضع مسؤلية إدارة كل مجموعة في أيدي أهلها- فمثل هذا التغول ومخاوف السيطرة والهيمنة قد تظهر فقط في المستوي الإقليمي. ولكن ذلك ليس له أي تأثير مباشر على المواطن العادي، بل سيقود فقط إلى صراعات حول الوظائف والمواقع بين مجموعات المثقفين. والواقع أن الدينكا يتحملون مسؤلية كبري في أثارة مثل هذه المشاعر. وذلك بسبب نهجهم المتغطرس ومحاولات فرض سيطرتهم القبلية علي حساب تطلعات القبائل الأخرى. وبذلك قاموا بإثارة مخاوف كثيرة وسط أبناء تلك القبائل، خاصة في المدن والمراكز الحضرية. والحقائق التالية تشير إلي هذه الهيمنة وتؤكد ضرورة تحليلها والاستناد عليها في تفهم مقترحاتنا في هذا الشأن:-

*المجلس التنفيذي العالي:-

1- أبيل ألير	دينكا
2- بونا ملوال	"
3- مارتن ماجير	"
4- أسايا كولانق	"
5- أندرو ويو	"
6- جاستن ياك	"
7- آرثر أكوين	"
8- توبي مادوت	"

9- زكريا بول دينكا
10- منوا ماجوك "
11- بيتر جاتكوث أخري
12- هلري بول "
13- جوزيف أدوهو "
14- صمويل أرو بول "
15- قاما حسن "
16- دانيال قاتويل "
17- جوزيف أكويل "
18- انجيلو أثوو "
19- سايمون موري أخري
20- موريس أيال "

*المحافظون:-

1- ألدو أجو دينكا
2- مارتن ماريال "
3- جونثان ملوال "
4- فنانسيو لورو أخري
5- جوشو داي "
6- فيليب نفو "

*مجلس الشعب الإقليمي:-

1- لوال دينق دينكا
2- زكريا دوم "
3- بابياث ماجوك "
4- مارك أتيم "

5- بيتر وين دينكا

6- أكيل دينق "

7- ألفرد بركات أخرى

8- جون ويجال "

9- برنابا دمو "

10- انجلو بيدا "

11- أحمد الرضي "

12- ميري بسيوني "

* الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي:-

1- أمبروز رنق دينكا

2- أنوك نيال

* السكرتارية الإقليمية للاتحاد الاشتراكي:-

1- لورانس لوال دينكا

2- ثوماس كوم أخرى

3- جيمس بول "

4- مايكل وال "

5- ألبرت يانقا "

6- علي تميم

* الهيئات المستقلة:-

1- ناثانيل أني RDC دينكا

2- شان ملوال ETC "

* مديرون في وزارات مختلفة:-

1- مفتش عام الشرطة دينكا

2- مدير عام التعليم دينكا
3- مدير الحيوانات البرية "
4- مدير الضرائب "
5- مدير المالية "
6- مدير التخطيط "
7- مدير القروض والتمويل "
8- مدير المشتريات والمقاولات "
9- مدير الشئون الدينية "
10- مدير الشباب والرياضة "
11- مدير برنامج الغذاء العالمي "
12- مدير الإنتاج الحيواني "
13- مدير الأسماك "
14- مدير الصناعة والتعدين "
15- مدير المعهد الإقليمي للإدارة "
16- مدير التعليم دينكا
17- مدير التعاون، الخرطوم "
18- المستشار القانوني "
19- مدير المالية والتخطيط أخرى
20- مدير الزراعة "
21- مدير الخدمة العامة "
22- مدير الصحة "
23- سكرتير المجلس العالي "
24- مدير الإدارة الإقليمية "
25- مفتش السجون "

26- مدير الثقافة والإعلام "

27- مدير الخدمة العامة "

28- مدير العمل "

30- مدير الميزانية والتدريب "

31- مدير التجارة والتموين "

32- مدير التعاون "

33- مدير الإسكان "

34- مدير الاتصالات "

ويمكننا توفير تفاصيل أكثر في مجالات أخرى، وكلها تعكس نفس التوجه، وفي إمكان أي شخص محاولة دحض هذه الحقائق والمعلومات بالرجوع إلى السجلات، وخاصة في كلية الشرطة والسجون ومدارس التدريب، التي تعكس سجلاتها هذه الحقيقة المرة وتوجه السلطات لتأكيد القبلية وترسيخها في مؤسسات الحكم الإقليمي. وفي ضوء هذه الحقائق، لا يمكن توقع توجه جدّي نحو اللامركزية، لأنها لا تتوافق مع مصالح هؤلاء المتخندقين في الوظائف والمواقع المختلفة، إذ لا يمكنهم التنازل عنها دون مقاومة، ولكننا نعتقد في إمكانية تحقيق هذا الهدف بالتعاون مع الثورة، التي استطاعت إقناع المعارضين للامركزية في الشمال، بحجة أنها تقسم البلاد إلى أقاليم- ومن خلال هذا التعاون يمكننا تجاوز اعتراضات المعارضين في الجنوب، بحجة الدفاع عن وحدة الأقاليم، والمرتبطة في حقيقتها بمناورات قبلية. وبالتالي لا يمكنهم إقناعنا بحسن نواياهم ومقاصدهم، وأكثر من ذلك، لا يمكننا أن نثق في إخلاصهم في تنفيذ سياسات ومناهج الاتحاد الاشتراكي السوداني، التي تدعو للمشاركة الشعبية، لأن (الشعب) في مفهومهم يشير فقط إلى قبليتهم، ولذلك تقوم اقتراحاتنا بتطوير مديريات الجنوب إلى أقاليم على أساس قانون 1972 (بعد تعديله) والمادة 8 من الدستور الدائم للسودان. وهذا الإجراء سيؤدي

بالتأكيد إلى إنهاء مخاوف الجنوبيين السودانيين والمحافظة على صدقية بلادنا وسط الدول الأخرى، ويؤدي أيضاً إلى حكم الأقاليم الشمالية بقانون الحكم الإقليمي لسنة 1980، وحكم المديريات (الأقاليم) الجنوبية بقانون موحد آخر، هو قانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية 1972 بعد تعديله بما يتماشى مع جوهر هذه المقترحات.

* مقترحات لإعادة ترتيب الحكم الإقليمي في الجنوب:-

في البداية نضع النقاط الهامة الآتية:-

لقد ذهبنا إلى أديس أبابا كجنوبيين سودانيين قاتلوا في حرب دامية استمرت طوال أكثر من 17 عاماً، كمواطنين في ثلاث مديريات، كانت تحكم مباشرة من الخرطوم العاصمة، ذهبنا موحدين ومتماسكين، وإذا كانت هناك مخاوف من هيمنة شمالية، فإن هذه المخاوف يجب أن تجمعنا كجنوبيين، وليس كحكومة إقليمية واحدة. وفي النهاية، فإننا لا نتوقع قيام الحكومة الإقليمية بحمل السلاح في وجه الهيمنة الشمالية، الذين سيحملون السلاح هم أبناء الشعب أنفسهم، إذا فرضت الظروف ذلك. ولذلك يجب أن لا نخدع الشعب، بحجة أن بقاءنا في إقليم واحد هو الضمانة الوحيدة في مواجهة المؤامرات الشمالية.

إن البلاد في عمومها تتجه إلى تبني نظام حكم لا مركزي واسع. فهناك الآن ستة أقاليم في الشمال، فمن أي من هذه الأقاليم نتوقع السيطرة والهيمنة علينا؟ وإذا فكرنا في إمكانية وحدة هذه الأقاليم ضدنا، فلماذا لا تتحد الأقاليم الجنوبية الثلاثة مثلاً في مواجهتها؟ مثل هذا التفكير يعكس فقط رغبة دفينة بالتراجع عن مبدأ الحكم اللامركزي، وستجد مثل هذه الرغبة معارضة واسعة، ليس في الجنوب وحدة، بل في الشمال أيضاً.

مشكلة النقص في الموارد لتمويل الحكم اللامركزي، يجب تناولها كمشكلة عامة في البلاد ككل، وطالما اتجهت الجميع نحو قبول الإقليمية كضرورة سياسية، فيجب أن لا نخدع أنفسنا ونخضع لابتزاز من يريدون فقط البقاء في مناصبهم ومواقعهم.

والمجتمع الدولي يقف معنا في هذا التوجه وسيستمر في مساعدتنا إذا ما نجحنا في تأكيد استقرار بلادنا. فهو مهتم باستقرارنا ونظام حكمنا. وبعضهم ينظر لتوجهاتنا القبلية كمعوق وخطر ماثل يهدد استقرار البلاد والمنطقة.

بما أن اتفاقية أديس أبابا تؤكد على وحدة السودان، من خلال منح الحكم الذاتي الإقليمي للجنوب، وبما أن الإقليمية تمثل عاملاً مهماً في تعزيز وحدة البلاد، من خلال منح الشعب السلطات والصلاحيات التي تحتكرها الحكومة المركزية في الخرطوم، لكل ذلك، فإن الإقليمية في الجنوب يجب أن تفتح الطريق لانسجام أوسع وتماسك أكبر وسط الجنوبيين أنفسهم.

أننا نعي أن كل عملة لها جانبان، ومقترحاتنا هذه أيضاً لها سلبياتها وإيجابياتها، ومن سلبياتها نشير إلى الآتي:-

الخوف من اعتماد الشمال على سياسة (فرق تسد) في الجنوب، من أجل فرض سيطرته عليه، كما ظلٍ يفعل طوال تاريخه، ولذلك قد يعمل على بلقنة الجنوب من خلال الإقليمية.

هناك نقص كبير في الموارد، ظللنا نعاني منه كإقليم واحد، وسوف تتضاعف هذه المشكلة في حالة تعدد الأقاليم، لمقابلة احتياجات بناء عواصم جديدة وتوسيع الإدارة والخدمات...الخ فمن أين الحصول على تمويل كل ذلك ؟

ج- هناك تخوف من أن تقود هذه الإقليمية إلى سلسلة انقسامات قبلية، داخل كل من الأقاليم المقترحة، بحجة الهيمنة القبلية أيضاً.

هناك مشكلة توزيع ممتلكات وأصول الحكومة الإقليمية.

أما إيجابيات المقترحات فتتمثل في الآتي:-

بوضع أنفسنا في نمط حكم مشابه للنمط السائد في بقية أقاليم البلاد، نضع أنفسنا في موقع أفضل يمكننا من التعاون مع الأقاليم الأخرى للضغط على الحكومة المركزية من أجل تفويض صلاحيات أوسع للاقاليم، ويشمل ذلك إعادة النظر في

توزيع المنح والمساعدات المخصصة للاقاليم والقروض والتسهيلات الخارجية، بالإضافة إلى الصناعات وغيرها.

الحكم الإقليمي سيؤدي إلى تهدئة التوترات الناشئة من السياسات القبلية الجارية، وربما يقضي على النزاعات والصراعات القبلية كلية.

الأقاليم الأصغر حجماً ستوفر مشاركة أوسع في الإدارة وصنع القرار، كما ينص الدستور، وستوفر أيضاً إمكانيات لإزالة مخاوف الشمال من وجود إقليم جنوبي كبير مع أقاليم شمالية صغيرة، ومن خلال ذلك ستزداد مشاركة الجنوبيين في المستوى المركزي، وكان يمكن أن يبقى الجنوب إقليماً واحداً، إذا قسم الشمال إلى ثلاثة أقاليم فقط، كما اقترحنا في مفاوضات أديس أبابا، وكما اقترح رئيس الاتحاد الاشتراكي مؤخراً في اجتماع اللجنة المركزية (1979/3/15) والآن لا يمكننا أن نتساوى مع أقاليم لا يتجاوز عدد سكانها سكان منطقة أويل فقط.

استراتيجيات التنمية الاقتصادية الاجتماعية ستجد فرصة أكبر للمتابعة والتنفيذ.

هكذا، قد يكون للقارئ رأيه في سلبيات وإيجابيات مقترحاتنا هذه، وهذا من حقه، ونسبة لعدم الرغبة في الدخول في التفاصيل، ركزنا فقط على هذه النقاط، دون تطويل في شرح موقفنا ونقد اطروحات خصومنا، وذلك لأن هذه الأطروحات قدمت نفسها من خلال سلبيات وإيجابيات الإقليمية.

* المقترحات:-

أننا نعي أن اتفاقية أديس أبابا تمثل اتفاقية معترف بها دولياً وحققت السلام والاستقرار في السودان والمصالحة الوطنية بين شماله وجنوبه، ومقترحاتنا هذه، هي في الواقع تدابير وقائية لحماية الاتفاقية من التوجهات والنزاعات القبلية السائدة وسط بعض السياسيين، والتي تهدد السلام والاستقرار في البلاد.

في ضوء هذا الفهم، نقترح أن نحكم مديريات جنوب السودان كإقليمين أو ثلاثة أقاليم على أساس قانون معدل للحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية لسنة 1972 والمادة 8 من الدستور الدائم، التي يجب أن تعدل على النحو التالي:-

(في إطار السودان الموحد، ستنشأ في المديريات الجنوبية حكومة إقليمية أو حكومات إقليمية وفق قانون الحكم الذاتي الإقليمي لمديريات جنوب السودان لسنة 1972- المعدل لسنة 1981- الذي سيكون قانوناً عضوياً وسوف لن يعدل إلا حسب التدابير الموضحة.).

هذا الإجراء سيؤكد، في الأساس، مفهوم سودان موحد مرتبط بتلك الوثيقة التاريخية (اتفاقية أديس بابا.) والجنوب سيكون كينونة سياسية معترف بها دستورياً، مع تميز تاريخي هام، والسماح لمواطنيه في تلك المنطقة للمشاركة في النظام اللامركزي مع بقية أقاليم البلاد، وبدلاً من (الإقليم الجنوبي) سيطلق عليه (المديريات الجنوبية) بأقاليمها المحتملة.

* اقتراح القانون العضوي المعدل:-

* قانون الحكم الذاتي الإقليمي (المعدل)1981:-

هو قانون عضوي لتنظيم الحكم الذاتي في مديريات جنوب السودان، وذلك وفق مواد الدستور الدائم لجمهورية السودان الديمقراطية الموضحة هنا، وفي ضوء إعلان 9 يونيو 1969، لتحقيق حكومة إقليمية أو حكومات إقليمية في جنوب السودان، في إطار سودان اشتراكي موحد، وعلى أساس مبادئ ثورة مايو الداعية لمشاركة الشعب في نظام حكم لامركزي في البلاد، ووفق تدابير الدستور، يقرّ مجلس الشعب القومي بموافقة السيد/ رئيس الجمهورية على القانون الآتي نصه:-

قانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية (المعدل) لسنة 1981:-

وفقاً لتدابير الفقرة 34 من قانون الحكم الذاتي الإقليمي لمديريات جنوب السودان، لسنة 1972، يقرّ مجلس الشعب القومي، بموافقة مواطني المديريات الجنوبية، كما وضح في الاستفتاء، القانون الآتي:

* اسم القانون وبدء سريانه:-

هذا القانون يشار إليه بـ(قانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية المعدل، لسنة 1981) ويبدأ سريانه من موافقة مجلس الشعب القومي عليه.

* تعديل:-

قانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية لسنة 1972يعدل كما يلي:-

في الفقرة 2 تشطب تعريفات مجلس الشعب الإقليمي، والمجلس التنفيذي العالي، وتستبدل بالاتي:- مجلس الشعب الإقليمي يعني المجلس التشريعي في كل إقليم ينشأ في المديريات الجنوبية. المجلس التنفيذي العالي يعني المجلس التنفيذي المعين من رئيس الجمهورية، بتوصية من رئيس المجلس التنفيذي العالي، للإشراف على الإدارة وتوجيه الشئون العامة في كل إقليم ينشأ في المديريات الجنوبية. رئيس المجلس التنفيذي العالي يعني الشخص المعين من قبل رئيس الجمهورية، بتوصية من مجلس الشعب الإقليمي، للقيام بقيادة الأجهزة التنفيذية المسئولة عن إدارة أي إقليم ينشأ في المديريات الجنوبية. الفقرة 3 تشطب وتستبدل بالآتي:

* قانون الحكم الذاتي الإقليمي:

مديريات جنوب السودان سوف تكون إقليماً واحداً أو أكثر في إطار جمهورية السودان الديمقراطية، كما سيحدد بالاستفتاء الذي سينظم في كل مديرية. كلمة (إقليم)، أين ما ترد في هذا القانون، سيتبعها مباشرة تعبير (أو أقاليم.).

* خلاصة:-

أولى استنتاجاتنا، كما أوضحنا من قبل. إن تعديل القانون مفتوح لكل الاقتراحات. فالمديريات الجنوبية يمكنها أن تكتفي باقليم واحد، وانتظار ما يأتي في المستقبل. ويمكنها أن تقرر قيام اقليمين أو ثلاثة أو أي عدد من الأقاليم. والاستنتاج الثاني أن الخوف من اتفاقية أديس أبابا والادعاء أنها تقف بجانب إقليم واحد، ليس له أي سند حقيقي. فالاتفاقية هي وثيقة تؤكد حرية المديريات الجنوبية في إدارة شئونها، وإعطاء تلك المديريات فرصة مشاركة إعداد أوسع من الناس في ادارتها

هو مسألة مشروعة في الوقت الحالي. وسوف يعزز ذلك أهمية الاتفاقية وليس العكس. ومثل هذا التوجه سيفيد في انسجام وتماسك مختلف القبائل والمجموعات الجنوبية.

وثالث الاستنتاجات يركز على أهمية اللامركزية. فأياً كان عدد الأقاليم، فإن على قياداتها أن تركز اهتمامها (Part) من الدستور وقانون الحكم الشعبي المحلي وحتى القيام بمبادرات أخرى لتفويض المزيد من السلطات للمجالس الشعبية في المستويات المختلفة. وعن طريق ذلك، يمكننا احتواء النزاعات والصراعات القبلية المحتملة وتكييف أوضاعنا مع اعتزاز السودانيين بكرامتهم، كما أشرنا.

إن الأقاليم التي تنشأ نتيجة لهذا المقترح سترتبط بالمديريات الثلاث القديمة، قبل زيادة عددها في السنوات الأخيرة، لتكون ثلاثة أقاليم، هي:- بحر الغزال والاستوائية واعالي النيل، وهناك إمكانية إنشاء مديرية جديدة لما يسمى (فرتيت بحر الغزال) لتمتد من حفرة النحاس وكافيا كنجي حتى الحدود مع طمبرة، وإضافة هذه المديرية لمديريات شرق وغرب الاستوائية لتشكل اقليماً واحداً. وهذا سيفتح الطريق لبحر الغزال (بدون الفرتيت) والبحيرات ليشكلا إقليماً واحداً، بينما تشكل جونقلي واعالي النيل إقليماً ثالثاً، أو أن تتحد بحر الغزال مع البحيرات كمديرية للانضمام لأعالي النيل وجونقلي في إقليم واحد. وبذلك يصبح هناك اقليمين فقط في الجنوب.

المركز الطباعي، الخرطوم

ص.ب 137 الخرطوم

ت 775743

أبريل 1981

انتهت النشرة

بعد تقديمي نسخة من النشرة لدكتور فرانسيس دينق، طلبت منه أن يأخذ معه ست نسخ أخرى كهدية للأخ أبيل ألير. فنظر إلى نسخته وقال: (لا احب أن احمل مثل هذه الهدايا.) وحاولت الضغط عليه بقولي أن حامل الرسالة لا يمكن تجريمه بمحتوياتها. وبالطبع من الممكن أن أتخيل كيف استقبل أبيل تلك النسخ، لأن النشرة خلقت اضطراباً واسعاً وسط مؤيديه وأنصاره، فقام مباشرة بإجراء تعديل وزاري في المجلس العالي، حيث ابعد أحد الوزراء الدينكا وادخل آخر من قبيلة تبوسا، هو نيريو لوب (كان وزيراً في إدارتي.) ومع أن ذلك لم يكن كافياً لتصحيح انحرافاته، إلا أنه يمثل إشارة إلى استجابة سريعة، ويؤكد أن مجموعة اثنية واحدة ظلت تسيطر بالفعل على الوضع، لقد كان ردّ فعل مجموعة أبيل انفعالياً لحسن حظنا وسوء حظهم. فنظموا لجنة سموها (لجنة التضامن من أجل وحدة جنوب السودان) وكلفوها بكتابة نشرة، وشارك في كتابتها كل من: أبيل ألير، رئيساً ومشرفاً على المشروع، وأمبروز رنق، مسئولاً عن جمع المعلومات، ومايكل جالون، سكرتيراً ومسئولاً عن التحرير. وأمبروز كان رئيساً للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي في المجلس الإقليمي، ومايكل كان عضواً في مجلس الشعب القومي. وانتهى جهدهم بإصدار نشرة بعنوان:-

ب- إعادة تقسيم الإقليم الجنوبي:- لماذا يجب أن نرفضه؟

كتبتها لجنة تضامن الأعضاء الجنوبيين في مجلس الشعب القومي الرابع، أمدرمان.

هذه النشرة تبدأ بعبارات منسوبة لأحد زعماء بور، الذي قتل بواسطة الجيش السوداني بعد زيارة الصادق المهدي لمدينة بور، عندما كان رئيساً للوزراء في الستينات. يقول الزعيم: (حتى لو قلنا شيئاً يؤدي إلى قتلنا، فلنقتل ، وإذا متنا وبقى الجنوب حراً وموحداً، فذلك حسن. يكفي أن يقال أننا قلنا تلك العبارات ومتنا من أجلها علينا أن نرحب بذلك..) الزعيم أنييني ألو

* مدخل:-

اقترح إعادة تقسيم جنوب السودان إلى أكثر من إقليم واحد أثار غباراً كثيفاً في عيون الجمهور الجنوبي. وبما أن الاقتراح جاء من قائد حركة تحرير جنوب السودان، حركة الانيانيا، في فترة سابقة، والرئيس السابق للمجلس التنفيذي العالي للإقليم الجنوبي، فقد طرح ذلك أسئلة عديدة وسط المواطنين الجنوبيين تحتاج إلى اجابات مقنعة. ومن حسن الحظ أن الرئيس نميري قد أعلن أن الإجابة على تلك الأسئلة يجب أن يقوم بها الجنوبيون أنفسهم من خلال تنظيماتهم ومؤسساتهم الشعبية والرسمية. وهذه النشرة تعبّر عن إجابة غالبية الأعضاء الجنوبيين في مجلس الشعب القومي الرابع. ورأينا يتمثّل في إن الاقتراح لا معنى له ويجب رفضه وقبره إلى الأبد. ومع ذلك، فقد اوضح الاقتراح امران. الأول أنه أشد مخاطر القبلية. والثاني انه اوضح كيف يمكن أن تؤثر الهزيمة والحرمان السياسي في دفع بعض السياسيين الجنوبيين إلى قاع اليأس والإحباط. وكل الجهد الذي بذل في هذه النشرة هو مسئولية الأعضاء الجنوبيين في مجلس الشعب القومي. والجهة التي قامت بنشرها هي لجنة متطوعة من الأعضاء الجنوبيين في المجلس. وإذا شاركت هذه النشرة في موقفها آراء الحكومة الإقليمية ومجلس الشعب الإقليمي والسكرتارية الإقليمية للاتحاد الاشتراكي السوداني في الإقليم الجنوبي، فذلك من باب التوافق والتطابق في الآراء وتأكيد على اتفاق غالبية المؤسسات الدستورية الجنوبية في موقفها من إعادة التقسيم. وبجانب ذلك، فقد قام أعضاء لجنة التضامن بتمويل طباعة هذه النشرة. ولا تمانع في قبول تبرعات المواطنين إذا رغبوا في ذلك. والنشرة لم تتناول كل الموضوعات ذات الصلة، رغم محاولتها ذلك. لقد فتحنا قلوبنا وعقولنا للنقد والمبادرات، لقناعتنا بأهمية كل ذلك في بناء جنوب موحد ومتقدم ومتحرر من رزائل الانقسام والشقاق والكراهية.

المؤلفون

* مقدمة:-

هذه النشرة لا تهدف إلى متابعة تاريخ جنوب السودان. فقد قام التاريخ بدوره السلبي والايجابي. هذه النشرة محاولة لعرض وتقييم مستقبل هذه المنطقة الأفريقية التعيسة وتلمس تطلعاتها ومقاصدها. فقد حاولنا بكل اخلاص وحب إجابة الصوت الذي طرح إعادة تقسيم الإقليم الجنوبي لعدة أقاليم. وذلك لأن الديمقراطية علمتنا للتعامل بحرية واهتمام حتى مع مثل هذه الأفكار التي تدعو لتقسيمنا وتمزيقنا، و(إعادة تقسيم الإقليم الجنوبي:- لماذا يجب أن نرفضه ؟) هي نتاج تحليل إنساني ومنطقي لاقتراح التقسيم. هي نتاج جهد جماعي يعبر عن رأي غالبية الأعضاء الجنوبيين في مجلس الشعب القومي. وفي هذا الجهد التزمنا بأقصى درجات الموضوعية وأرقى المقاييسس العالمية في تقييم التأثيرات السياسية والدستورية والقانونية السابقة والمصاحبة للاقتراح الذي يستهدف تدمير المؤسسات الجنوبية، ونعتقد بكل صدق أن الحوار الصراح بين الأفكار المتعارضة حول إعادة التقسيم، هو الطريق الوحيد للوصول إلى إجابة مناسبة تمكن أبناء الجنوب من اختيار الموقف الذي يرتضونه. وفي مناقشتنا هذه ابتعدنا عن المداخل العاطفية واخفاء الحقائق عن المواطنين، وبذلك نمنح مقدم الاقتراح، جوزيف لاغو، امتيازاً يستحقه وانتقدنا ما يتطلب النقد من أفكاره. وفي كل ذلك ابتعدنا عن الانحياز والكراهية والأحكام المسبقة وركزنا على المنطق والموضوعية في التناول، فيما يهمنا هنا هو ما يجمع وليس ما يفرق أبناء الجنوب، وموضوعنا هو تحليل حقيقة الدعوة لاعادة التقسيم ومساعدة جماهيرنا لاتخاذ موقف سليم منها. وهنا نشير إلى أن الحقيقة التي لا خلاف حولها هي أن الكلمة النهائية في هذه المسألة تتجسد في موافقة ثلثي المواطنين في الإقليم الجنوبي، وذلك حسب ما تقول مواثيق ثورة مايو وارادة المواطنين الجنوبيين. وهذا لا يحتاج إلى فتاوي من قساوسة أو ائمة لشرحها وتوضيحها باجراس الكنائس أو من مآذن المساجد. إن النشرة تحاول كشف حقيقة

الاقتراح والدوافع التي تقف خلفه. وتطرح مشكلة القبلية بوضوح وتكشف عيوبها ومخاطرها على وحدة الإقليم الجنوبي وسلامته. وفي الوقت نفسه ابعدنا الدوافع المباشرة، مثل المظالم السياسية والتوتر والانحطاط الاخلاقي وغيرها. وتطرح النشرة، بشكل رئيسي، وجهة نظر الأعضاء الجنوبيين في المجلس التشريعي وطبعت بتمويل منهم. وهدفنا في النهاية هو انقاذ شعب الجنوب من مأساة التقسيم وتقديم خطط لوحدة قوية وثابتة. وهذا يتطلب في رأينا إبعاد عوامل الفرقة والشتات فوراً، بعد أن قطعنا شوطاً طويلاً في طريق تحقيق الحكم الذاتي الإقليمي للجنوب، وما ذال امامنا مشوار طويل لتحقيق ما تبقى من أهدافنا العظيمة. وللقيام بذلك ندعو كل أبناء وبنات الإقليم الجنوبي لرفض إعادة تقسيم الجنوب وغيرها إلى الأبد. فالمادة 3 من قانون الحكم الذاتي الإقليمي تقول (تشكل المديريات الجنوبية الثلاث إقليم حكم ذاتي إقليمي في إطار جمهورية السودان الديمقراطية، وسوف يشار إليها بالإقليم الجنوبي.) والمادة 34 من هذا القانون تقول (هذا القانون يمكن تعديله فقط عن طريق أغلبية بثلاثة ارباع مجلس الشعب القومي وموافقة ثلثي المواطنين في الإقليم الجنوبي في استفتاء ينظم لذلك في الإقليم.) ووقعه الرئيس جعفر محمد نميري، رئيس جمهورية السودان الديمقراطية. والمادة 8 من الدستور الدائم تنص على (في إطار وحدة السودان ينشأ في الإقليم الجنوبي حكم ذاتي إقليمي وفقاً لقانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية، لسنة 1972، الذي سيصبح قانوناً عضوياً ولا يمكن تعديله إلا حسب التدابير الموضحة.).

الفصل الأول

اللامركزية

* منظور الثورة :-

اللامركزية ،كما طرتها الوثائق تبدو محوراً أساسياً في مبادئ ثورة مايو. فهناك ضرورة استراتيجية لتحرير الجماهير في الجبهة الداخلية من كل أشكال الاستغلال وتمكينها من ممارسة السلطة في كل المستويات في إطار الديمقراطية الجديدة التي طرحتها الثورة. والدستور الدائم، الذي نحترمه ونجلّه، يشير في مادته السادسة إلى حكم السودان عن طريق نظام لا مركزي يحدّده القانون. وذلك بهدف تحقيق مشاركة الجماهير في إدارة البلاد. ولكن هذه المشاركة لا تتم بطريقة عشوائية، وإنما عن طريق قانون يحدد الوحدات الإدارية وأسماءها. والإقليم الجنوبي يدخل في ذلك، كما توضح المادة 184 من الدستور (التعديل الثاني) حيث جاء فيها:(وفقاً لتدابير المادة 8 من هذا الدستور، يقوم المجلس التنفيذي العالي بإنشاء مجالس للحكم الشعبي المحلي في الإقليم الجنوبي.) وقانون الحكم الشعبي المحلي كان يمثّل مرحله في طريق ثورة مايو نحو تدعيم وتعزيز الحكم الشعبي. وتجربة مجلس الشعب القومي وموافقة ثلثي أعضاء الإقليم، فتحت الطريق لتطبيق الحكم الإقليمي في مختلف أقاليم السودان. فصدر قانون الحكم الإقليمي في 1981. وبذلك قامت الحكومات والمؤسسات الإقليمية في خمسه أقاليم (الشمال،الشرق، دارفور، كردفان، النيل الأزرق.) والتعديل الثاني في الدستور يمثّل معلماً بارزاً في التاريخ الإداري للسودان. فقد أكد في مقدمته استجابة الثورة لإرادة الشعب عن طريق تحديد الأسس الضروريه لممارسة الديمقراطية والحرية، وبذلك أوفت الثورة بعهدها لتسليم السلطة للجماهير. فقد ألغي القسم الثالث (Part V11) من الدستور واستبدل بآخر يفتح المجال لتطبيق الحكم اللامركزي. وحددت مقدمة التعديل الثاني، بكل وضوح، أهداف الحكم اللامركزي في الآتي:

1) الاستجابة لإدارة الجماهير، أي المشاركة في الحكم.

2) تحديد أسس الديمقراطية والحرية.

3) الوفاء بعهد الثورة في تسليم السلطة للجماهير.

4) الالتزام بمبدأ لامركزية الإدارة والسلطة.

5) تنفيذ مشاركة الشعب في الحكم.

6) تحقيق الاستقرار والتقدم.

هذه هي الأسس التي يقوم عليها الحكم الإقليمي في الشمال. أما الجنوب، الذي يحكمه قانون منفصل، فعليه الالتزام بنفس الأهداف. وتحقيق هذه الأهداف هو مسؤلية الحكومات المتعاقبة في الجنوب. فأهداف الثورة واضحة ومحددة. ولاندرى هل تمثل (القبلية)، كما يفهمها مقدم الاقتراح، شرطاً ضرورياً لتطبيق الإقليمية في البلاد أم لا؟.

* منظور لاغو للامركزية:-

لقد كان الإقليم الجنوبي رائداً في تطبيق الإقليمية في السودان. فهو الذي بادر بفكرة الحكم الإقليمي، ولكن مبادرته ظلت تواجه، على الدوام، برفض صارخ من دوائر شمالية عديدة. وفى النهاية نجح في فرضها وهاهي اليوم تحكم كل أقاليم البلاد. ولقد أدهش جوزيف لاغو الشعب السوداني والعالم باقتراحه لتقسيم الإقليم الجنوبي لأكثر من إقليم واحد- وسجل اقتراحه هذا في نشرته المحتفى بها بقوله (اقتراحنا يتمثل في المديريات الجنوبية يجب تحويلها إلى أقاليم وذلك وفق قانون 1972 بعد تعديله لهذا الغرض والمادة 8 من الدستور الدائم لجمهورية السودان.) وفى حديثه أمام الأعضاء الجنوبيين في مجلس الشعب القومي، دافع لاغو عن اقتراحه بقوله: (أن أفضل طريقة لتعزيز الأخوة الجنوبية وتعزيز وحدتها وتماسكها قد تكون في تقسيم الجنوب إدارياً بنفس النمط الجاري في الشمال وفى إطار الاتفاقية، للسماح بتكوين أكثر من إقليم واحد.) وفى حديثه هذا قال أيضاً: (هذا لا يعني فرضه. هذا اقتراح أقدمه للمناقشة، لأننا نومن بالمؤسسات الديمقراطية. ونحن الآن سعداء أن الرئيس قد أكد على هذه المسألة في حديثه مع الشعب في 24 مايو،

وعلى ضرورة مناقشة الاقتراح من قبل القيادات الجنوبية، وانتم قيادات منتخبة من شعبكم، والوصول إلى قرارات مناسبة، بإبقاء الجنوب موحداً أو تقسيمه إلى أقاليم.) وواصل عضو المكتب السياسي يشرح الأسباب التي دفعته لتقديم اقتراحه، وحدَّدها في الآتي:-

1) لإنقاذ الجنوب من ترسيخ الهيمنة القبلية الدينكاوية.

2) إجراءات وقائية لحماية اتفاقية أديس أبابا من السياسيين المرتبطين بتوجهات قبلية.

3) تطبيق اللامركزية حسب برنامج الثورة.

4) ضمان مفهوم الجنوب الموحد.

5) تلبية تطلعات المجتمعات الجنوبية المختلفة.

6) السياسة في الجنوب تسير الآن في طريق خاطئ.

7) خوف الشماليين من جنوب قوى مقارنة بأقاليم شمالية ضعيفة.

* انتقاداتنا لأسباب الاقتراح:-

إذا تناولنا الاقتراح بطريقة براجماتية، فسوف نصاب بالإحباط ، لأن مقدم الاقتراح لم يحدّد عدد الأقاليم في اقتراحه. فالتحديد مهم هنا لأنه يرتبط بالشروط الإدارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية الضرورية لإنشاء الإقليم. ولذلك جاء الاقتراح بشكل عاطفي وغير محدَّد. ومقدم الاقتراح لا يجهل صعوبات دمج مجموعات قبلية عديدة وتلبية تطلعاتها الاقتصادية والاجتماعية وغيرها- فليس هناك مجموعة يمكن أن تغامر بمستقبلها إذا لم تتأكد من توفر الضمانات والإمكانيات الضرورية لذلك. والواقع أن القبلية لاتزال تمثل عاملاً أساسياً في السياسة الأفريقية وعقبة كبيرة في طريق حركات التحرر الوطني الأفريقية. وتاريخ أفريقيا الحديث يشهد على ذلك- وفى رأينا أن القبلية هي التي قامت بتسهيل الطريق للسيطرة الاستعمارية في أفريقيا. ولكننا أيضاً نعترف أن حركة التاريخ لا تتغير بشكل فجائي ومن الصعوبة أن تقفز فوق مراحل التاريخ المحددة ومن بينها القبلية كواقع. وفى

الإقليم الجنوبي، تبدو القبلية في مراحلها الأولى، مقارنة بتطورها في بلدان أفريقية أخري، مثل نيجيريا وكينيا ويوغندا ورواندا الخ... ورغم ذلك، فأننا نري أن القبلية، أيا كان مستواها، تشكل خطراً كبيراً لا يمكن السكوت عليه. ولكن لا يمكننا أن ننكر وجودها وتأثيرها في القيادة السياسية الجنوبية منذ 1972 وحتى الآن. فلجنة التضامن تلاحظ وتؤكد بصدق سيطرة قبيلة الدينكا في بعض المؤسسات العامة. وتلاحظ أيضاً التوجه القبلي في التغيير الحكومي الذي حدث في 1978. وفى كل ذلك نقف مع جوزيف لاغو. فهناك بالفعل من يستخدم حجم قبيلة الدينكا لتحقيق أهداف سياسية محدّدة. فحجم الدينكا يجب أن لا يستخدم في تدمير الإقليم الجنوبي، بل في حماية تطلعاته وتطويره. ولكن السؤال هو:- هل يمكن تحاشي هيمنة الدينكا فقط عن طريق إعادة تقسيم الإقليم الجنوبي؟أن الواقع يقول أن القبلية والولاءات القبلية وإثارة الصراعات القبلية، كل ذلك لا يساعد شعب الجنوب لتحقيق ما نعمل الآن على تدميره. ففي أفريقيا اليوم، ليس هناك من يدافع عن تنظيم القبائل في مناطق حكم إقليمي، كحلّ لمشاكل خلافاتها ونزاعاتها. بدلاً من ذلك، يتركز اهتمام القيادات الأفريقية الآن في كيفية دمج هذه القبائل ودفعها في اتجاه التكامل والتطور إلى أمم ودول ومجتمعات حديثة في إطار ديمقراطي. ونحن نؤمن بكل صدق أن الولاءات والتحركات القبلية تمثل تحركات لا تستند إلى أي مبررات حقيقية، بل تؤدي فقط إلى تنمية المصالح والنزاعات القبلية والانقسامية، التي يجب أن تنتهي بمرور الزمن وتفتح الطريق للوحدة الوطنية وإعادة البناء- ووجود هذه القوى في الإقليم الجنوبي يضعها كامتحان وتحدّي لقدرة المجتمع في مواجهتها أو التعامل معها- ومن هنا يمثل الاقتراح الذي يقدمه الأخ لاغو تحدياً حقيقياً للنزعات القبلية وسط الدينكا. ولكن إعادة التقسيم لا تتضمن علاجاً شافياً للقضاء عليها. فالعلاج الواقعي هو في التدابير القانونية، أي تطبيق المادة 184 من الدستور بتوجيه رئيس المجلس التنفيذي العالي لتفويض مسئوليات وصلاحيات أوسع لجماهير الشعب.

مقدم الاقتراح يقول بضرورة تحركه كإجراء وقائي لحماية اتفاقية أديس أبابا في مواجهة السياسيين الجنوبيين المرتبطين بتوجهات قبلية تهدد السلام والاستقرار. ولكن الصحيح أن هناك قبائل عديدة في الإقليم الجنوبي. وقبيلة الدينكا، أكبر هذه القبائل، ليست معزولة عن هذا الواقع ولا يمكن أن تهدد الاتفاقية. والاتفاقية في النهاية تحميها تدابيرها ووسائلها الخاصة بها وكل شعب الجنوب والشعب السوداني عامة. والنظام البرلماني في الإقليم الجنوبي يستهدف تحقيق هذا الهدف. فإذا أصبح أي قائد دينكاوي زعيماً قبلياً وظلّ يعمل على تحويل المؤسسات الإقليمية في الجنوب إلى منابر خاصة بقبيلة الدينكا، فأن الأغلبية المكونة من القبائل الأخرى تملك من الصلاحيات ما يمكنها من أبعاد هذا (الزعيم) وتحطيم البنيان الذي أقامه.

والتبرير الآخر لاعادة التقسيم يتمثل في تطبيق سياسة الحكم اللامركزي، التي أعلنتها الثورة. واللامركزية كنظام حكم في السودان ينظمها القانون. ففي الشمال يقوم على قانون الحكم الإقليمي لسنة 1980 وقانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1981. أما في الجنوب، فأنه يقوم على قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972 وقانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1981. وتطبيق هذين القانونين سيوفر إجابة كافية، دون شك، لمواجهة القبلية وهيمنة الدينكا، إذا كانت هناك هيمنة فعلاً. ولذلك، يتمثل واجب الحكومة الإقليمية في الجنوب في تطبيق قانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1981. ويواصل مستر لاغو ليقول أن إعادة التقسيم تشكل ضمانة لمفهوم الجنوب الموحد، وأن وحدة الجنوب سترتبط باتفاقية أديس أبابا، الاتفاقية التاريخية التي حققت السلام والحكم الذاتي. ويقول أن الجنوب سيعترف به دستورياً ككينونة سياسية موحدة، مع تميز تاريخي هام يسمح للمواطنين في تلك المنطقة بالمشاركة في الحكم اللامركزي الساري في البلاد- وبدلاً من أن يشار إليه بـــ(الإقليم الجنوبي) سيطلق عليه (المديريات الجنوبية.) كإقليم واحد أو عدة أقاليم- وهذا المنطق لا يقف أمام العقل السليم. فهو ملئ بالجهل السياسي والإداري

والدستوري. إذ أن كينونة الجنوب الموحد لا يمكن تصورها دون إطار دستوري ومؤسسي- فقبل 1972 كانت وحدة المديريات الجنوبية تقوم على وحدة الإدارة والعمل من أجل حكم ذاتي إقليمي للجنوب ككل. ومقدم الاقتراح يعمل بقصد وإصرار على تدمير المجلس التنفيذي العالي ومجلس الشعب الإقليمي والسكرتارية الإقليمية للاتحاد الاشتراكي في الجنوب، واستبدالها بمؤسسات مماثلة في أقاليم مستقلة. ومن الغباء أن نري بعد ذلك أن هناك جنوباً موحداً. والمديريات الجنوبية لا تعني شيئاً في الدستور. وماذا يحدث إذا حاولت أي مديرية منها أن تصبح نقطة ارتكاز لهذه (المديريات الجنوبية)؟ أن المنطق السليم يؤكد أن(جنوب السودان) سيبقي مجرد منطقة جغرافية، دون أي هدف سياسي وثقافي.

يقول مقدم الاقتراح بضرورته لتلبية تطلعات المجتمعات الجنوبية المختلفة. ولكن، ثورة مايو ظلت تنظر للجنوب، على الدوام، كوحدة سياسية اجتماعية. والقبلية، كما يطرحها لاغو، والحجم الذي بدأت تأخذه لا يمكن أن تسمح به ثورة كمبرر للامركزية. فالمجتمعات الجنوبية هي مجتمعات قبلية في الأساس. ولذلك يمكن أن تحدث نزاعات وصراعات قبلية فيما بينها. ولا يمكن حلّ هذه النزاعات بمنح كل قبيلة حكم ذاتياً مستقلاً. ولذلك علينا أن نتعامل مع حقائق التاريخ والحقائق التي تقف خلف القبلية، كما هي، وأن ندين أي جنوبي يعمل على استغلال موقعه من أجل إثارة الولاءات والنزاعات القبلية. ففي كل أفريقيا ينظر الناس للقبلية كقوة سلبية مدمرة، تبدأ بضغوط وتوترات ثم تتطور إلى حروب أهلية. ومقدم الاقتراح أشار إلى مخاطر القبلية بوضوح. ونجاح نيجيريا في هزيمة تمرد بيافرا كان هزيمة للقبلية. ويشير مقدم الاقتراح أيضاً إلى الطريق الخاطئ الذي ظلت تسير فيه السياسة الجنوبية، كمبرر لإعادة التقسيم. ولكن السياسة في الجنوب تمارس وفقاً لقوانين محدّدة. وإذا كانت القيادة السياسية الجنوبية قد ظلت تسير في طريق خاطئ وفقدت توجهها الصحيح، فإن إصلاح هذا الخطأ لا يكون بإعادة التقسيم، بل بتطبيق القوانين السائدة في البلاد. والأخ جوزيف لاغو يخاف مساواة الإقليم الجنوبي بأقاليم

شمالية صغيرة. وهو تخوف لا يقوم على أي أساس. فالاختلاف بين الجنوب والأقاليم الأخرى يمكن تناوله وتفهمه فقط بالمقارنة بين قانون الحكم الذاتي الإقليمي 1972 وقانون الحكم الإقليمي 1980. ولتلخيص هذا الفصل يمكننا الوصول إلى الاستنتاجات التالية :-

1) مع أن الاقتراح يمثل حقاً ديمقراطياً ودستورياً لمقدمه، فإن دوافعه ترجع إلى توتر سياسي ويشكل تحدياً حقيقياً للقوى الجنوبية.

2) أن مقدم الاقتراح قد أخطأ في اعتقاده بإمكانية تجاوز الإجراءات الدستورية والقانونية والمتطلبات الأخرى، وبالتالي فرض اقتراحه بأمر جمهوري من رئيس الجمهورية. ولكن خاب ظنه ففقد الاتجاه أمام الحقائق الدستورية والقانونية.

3) مقدم الاقتراح يعتقد أن قانون الحكم الذاتي الإقليمي يمكن تعديله للسماح بإنشاء أقليم أو أكثر في الجنوب، وأن كل مديرية ستقرر هل تبقي إقليماً أم تنضم مع مديرية أخرى لتشكل إقليماً. والعامل الحاسم هنا سيكون القبيلة والعرق والأصل بهدف إبعاد هيمنة الدينكا.

4) مقدم الاقتراح يطرح سابقة خطيرة لكل السودان، قد تقود إلى تفتيت البلاد. فماذا يمنح النوبة والبقارة والبجا وغيرهم من المطالبة بتكوين إقليم خاص بكل منهم بعد نجاح التجربة في الجنوب؟

5) مقدم اقتراح هو الرئيس السابق للمجلس التنفيذي العالي، ومن بين أهم أنصاره هناك وزراؤه ومحافظوه والمسئولون الدستوريون الذين كانوا يعملون معه. وذلك يعني أن الاقتراح يبدو كرد فعل للضربة التي وجهتها لهم الحكومة الإقليمية الحالية في الجنوب.

* عملية تنفيذ إعادة التقسيم:-

يطرح مستر لاغو إجراءات لتحقيق اقتراحه بإعادة تقسيم الجنوب تتمثل في تعديل قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972 والمادة 8 من الدستور. وفي مقدمة مسودة القانون العضوي المقترح للمديريات الجنوبية (تعديل 1980) يشير إلى المادة

34 التي تقول: (هذا القانون سوف يعدل بأغلبية ثلاثة أرباع مجلس الشعب القومي وموافقة ثلثي المواطنين في الإقليم الجنوبي عن طريق استفتاء ينظم في ذلك الإقليم.) وفي تعديله المقترح هذا، يوضح السيد لاغو بوضوح أن إعادة التقسيم ترتبط بعملية إجراءات قانونية ودستورية في الأساس وليس بأي شيء آخر. وثورة مايو التي ساعدت في إنشاء إقليم جنوبي موحد في وضعه الراهن، سوف تلتزم بنفس المستوى للقيام بالواجب في القضاء على القبلية. والمهم أن مقدم الاقتراح يؤكد مدخله الديمقراطي لإقرار إعادة التقسيم بقوله (المديريات الجنوبية يمكنها أن تقرر إنشاء إقليم واحد الآن دون قطع الطريق على أي تطورات في المستقبل. ويمكنها أن تقرر إنشاء إقليمين أو ثلاثة أو أي عدد من الأقاليم.) ولكن، رغم هذا التوجه الديمقراطي، فإن لاغو يناقض نفسه في نفس نشرته، حيث يقول: (أننا نعتقد في إمكانية تحقيق ذلك، وكما استطاعت ثورة مايو إقناع العناصر الشمالية التي عارضت تقسيم البلاد إلى أقاليم، يمكننا بالتعاون مع الثورة أن نتجاوز اعتراضات الذين يرون في وحدة الجنوب أساساً مناسباً لمناورات السياسة القبلية.) وعلى أي حال، أننا نعتقد أن هناك اختلافاً أساسياً بين تقسيم الشمال لأقاليم وتقسيم الجنوب لأكثر من إقليم واحد. فقد جاء تقسيم الشمال أساساً عن طريق إجراءات المادة 218 من الدستور، أي عن طريق تعديل الدستور بثلثي أعضاء مجلس الشعب القومي وموافقة رئيس الجمهورية. وقبل ذلك، كانت توصية المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي وقراراته كخطوة أولية في هذا الاتجاه. وفي حالة إعادة تقسيم الجنوب، هناك إجراء هام آخر، وضعه مقدم الاقتراح لمصلحة شعب الجنوب، هو توفر شروط محدّدة لإجراء أي تغيير في تركيب الإقليم الجنوبي، نصت عليها المادة الثانية من اتفاقية أديس أبابا والمادة 34 من قانون الحكم الذاتي الإقليمي 1972، كما أشرنا في مكان سابق. وهذه المادة هي المدخل لأي توجه لاعادة تقسيم الجنوب، كما تقول وثائق الثورة. فإذا رأت الثورة ضرورة ذلك، فسوف تعمل لإقناع الجميع عن طريق الإجراءات الديمقراطية التي تقول بها وثائق الاتحاد الاشتراكي. وهي لا

تستطيع تحدي قوانينها أو خرقها واعتماد وسائل غير قانونية. وهنا يجب أن تخرس الأصوات الداعية لفرض إعادة التقسيم عن طريق إصدار أمر جمهوري. فهي أصوات تجهل تماماً طرق ووسائل الثورة في تحقيق رغبات جماهير الشعب. فتوجه الثورة لتناول هذه المسألة في المستويات السياسية والتشريعية. يكشف لنا مدى احترامها وتقديرها للدستور وقانون الحكم الذاتي الإقليمي 1972 واتفاقية أديس أبابا. وفي كل الأحوال، فإن واجب الثورة لا ينحصر فقط في التمسك بالجوانب القانونية والدستورية، بل يجب أن تساهم في استئصال الأسباب التي أدت إلى طرح إعادة التقسيم، وذلك، بحكم مصلحتها المؤكدة في وحدة الإقليم الجنوبي.

هناك أصوات عديدة تتهم الاستوائيين بالوقوف خلف فكرة إعادة التقسيم وأن بعضهم يرى إمكانية قيام (الاستوائية الكبرى) بالانضمام للحركة الجارية في شمال يوغندا. وهذا الادعاء يستدعي الحماس الواضح لتلك الحركة وسط بعض السياسيين الاستوائيين البارزين. وهنا لا نحتاج لتأكيد امتنان الإقليم الجنوبي بكامله للاستوائية. فمن داخلها انطلقت الحركة الجنوبية العظيمة في 1955 وتواصلت بعد ذلك في الفترات اللاحقة. وهذه الحقيقة تفرض عليها واجباً أخلاقياً لتعزيز وحدة الجنوب. فمواجهة القبلية لا يمكن أن تتم عن طريق بلقنة الإقليم الجنوبي، بل بالعمل المشترك لوضع أسس مقبولة لحماية حقوق الأقليات. وإذا كانت اتفاقية أديس أبابا قد صدرت تحت توقيع نميري باسم الشعب، فإنه ليس في مقدور جوزيف لاغو أو أبيل ألير القيام بمفرده لعرقلة انجاز تمّ تحقيقه بإسم شعب الجنوب. وإذا كان هناك من يعمل بذلك، فهو يحلم بالمستحيل. لقد ناشد لاغو الثورة لمساعدته في إعادة التقسيم. ولكن ماذا تعني الثورة دون أغلبية ثلثي مواطني الجنوب؟ وما هي هذه الثورة التي لا تستجيب لارادة هذه الأغلبية في الجنوب؟ ومن يمكنه أن يدّعي أن تقسيم الجنوب سيساعد في استمرار الثورة من هذه المناشدة اوضحه قائد الثورة في لقائه مع الشعب في 24 مايو 1981، بقوله: (إن الحكم الإقليمي في الجنوب، الذي يعتز به السودان وسيظل يعتز به، ليس مجرد حل أو تسوية لمشكلة، بل هو قاعدة واساس

لحكم كل السودان. لقد ناقشت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، في دورة اجتماعاتها الأخيرة، الاقتراح المقدم من بعض المواطنين الجنوبيين حول إمكانية توسيع تجربة الحكم الإقليمي الجنوبي وتنوع موارده وحاجته للتنمية ولتوسيع مشاركة المواطنين في السلطة. وقد أوصت اللجنة المركزية بالنظر في هذا الاقتراح. ومن جانبي اعتقد أنه من الأفضل أن تقوم جماهير الشعب في الجنوب من خلال تنظيماتها ومؤسساتها بتحمل مسئولية اتخاذ القرار في هذه المسألة، في إطار اتفاقية أديس أبابا، التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من دستور السودان الدائم.) لقد اصبح الحكم الذاتي الإقليمي في الإقليم الجنوبي إنجازاً سياسياً لا قيمة له بعد أن أوقف الحرب الأهلية وأدى إلى تعزيز الوحدة الوطنية. وهكذا، يجب أن يقوم الحكم الإقليمي، بجانب تحقيق السلام، بتحقيق تطلعات المواطنين في الجنوب وبحشد الجهود والامكانيات من اجل تنمية الإقليم ورفاهيته. وفي أكثر من مرة، يشير مقدم الاقتراح إلى الاستوائية الكبرى للدفاع عن ضرورة إعادة التقسيم، حيث جاء في حديثه مع لجنة التضامن في مجلس الشعب القومي ما يلي:-

(عندما ذهبت إلى جوبا لدفن جنازة أخي، جرت مناقشات وسط السياسيين الاستوائيين الذين كنت معهم. وكانوا يرون أن النشاط السياسي في الجنوب لا يسير في الطريق الصحيح، وبدلاً من أن يواصل الجنوبيون تدعيم وحدهم، عندما حاربوا من أجل قضية واحدة، هناك الآن تخوف من خطر يهدد وحدتهم واخوتهم. وهم يرون أن أفضل طريقة للمحافظة على هذه الوحدة والاخوة تتمثل في تقسيم الجنوب إدارياً إلى ثلاثة أقاليم بنفس الأسس الجارية في أقاليم الشمال.) ولكن هذا التوجه، الذي يقف خلفه بعض السياسيين الاستوائيين، لا يمثل وجهة نظر كل السياسيين الاستوائيين، والذين يؤيدون التقسيم يقولون أن الاستوائية حاربت لأكثر من 17 عاماً، بينما كانت المديريات الأخرى تتآمر ضدها مع الشمال، وأبناء المديريات الأخرى، الذين يسيطرون الآن على الحكومة الإقليمية، لا يستحقون هذه المواقع. ويبدو أن إبعاد جوزيف لاغو المفاجئ من رئاسة الحكومة قد دفع البعض للوقوف

معه، بأمل أن يجدوا فرصاً أوسع في الاستوائية بعد التقسيم، وفي الجانب الآخر من مبررات إعادة التقسيم هناك المشاكل المحلية بين الاستوائية والمديريات الأخرى. فالاستوائية تشكو من سيطرة غير ابنائها على ادارتها، خاصة في مجالات الشرطة التي يسيطر عليها الدينكا. وكل ذلك يشير إلى أن المشاكل المطروحة تتعلق بدور الاستوائية في الحرب واستحقاقات ذلك في الوقت الحالي والمستقبل.

الفصل الثاني

علاقات الشمال والجنوب

ودورها في إعادة تقسيم الجنوب

* سياسياً:-

لا يمكننا أن ننظر للعلاقات السارية الآن بين الحكومة الإقليمية في الجنوب والحكومة المركزية كمهدد وخطر على الوحدة الوطنية، كما يدعي مقدمو اقتراح إعادة التقسيم في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي في مارس 1981. ذلك وهم وسخف لا يستحق أي اهتمام. فمع تطبيق الحكم الذاتي الإقليمي، أصبح الجنوبيون مع ثورة مايو قلباً وقالباً ولم يعد للجنوب أي هدف آخر سوى تدعيم وتعزيز الوحدة الوطنية. وأكدت التجربة أن الجنوبيين ظلوا يدافعون عنها بكل غالي ونفيس وخاصة في اللحظات الحاسمة التي تهدد مصيرها. والمحاولات الانقلابية العديدة تؤكد هذه الحقيقة. فالكابتن شول هو الذي اقتحم القيادة العامة في الخرطوم بعد سقوط قائده يحي محمد منور، والجنود الجنوبيون المرابطون في القصر الجمهوري رفضوا قبول أي أوامر إلا من قيادة الثورة. والأخ بونا ملوال، الذي يهاجمه بعض السياسيين الشماليين دون مبرر، هو الذي أكد للعالم اجمع بقاء ثورة مايو واستمرارها، عندما اختفى بعض زملائه في أماكن غير معروفة. وراديو جوبا كان هو صوت الثورة، عندما صمتت إذاعة أم درمان. وفي الوقت نفسه تولى أبيل ألير قيادة الثورة وأعلن أن الثورة لا يمكن أن تستمر دون رغبة الجنوب، وأقسم جوزيف لاقو بقيادة القوات المسلحة في الجنوب إلى الخرطوم لقضاء على المتآمرين. واليوم، توجه نفس هذه العناصر الشمالية أصابع الاتهام للجنوب وتدعي أن وجود إقليم جنوبي واحد يشكل خطراً على الثورة ووحدة البلاد.

إن هذه العناصر، التي تتربع في كراسي السلطة في الخرطوم، قد ظلت تواصل محاولاتها لخلق مواجهة بين الجنوب والثورة، ظلت تعمل لخلق مشاكل بهدف إبعاد الجنوب عن الثورة، وتتجاهل أن الجنوب والثورة متحدان لا ينفصلان.

وتناولوا في كل ذلك كل القضايا والموضوعات، حتى المحسوم منها. فذرفوا دموع التماسيح على منطقة أب ياي ونصحوا الرئيس، ليس بتأخير استفتاء أهلها لتقرير مصيرهم، بل قالوا بالتخلي عنه. وأشعلوا نيران مشكلة الحدود وبعضهم هدّد بالاستقالة إذا أقيمت مصفاة تكرير البترول في منطقة في الجنوب. وكالوا الاتهامات للجنوب والجنوبيين وأكدوا للرئيس (أن الخطر الحقيقي على السودان يأتي من الجنوب.) ولكن الثورة تعلم ويجب أن تعلم أن أعداء الجنوب هم أعداء الثورة. وهؤلاء هم بقايا الأحزاب الرجعية المرفوضة، الذين يعملون لخلق الفتن والانقسامات وسط أبناء وبنات الجنوب، وهم يعلمون أن انتهاء العداوات السياسية يساعد على خلق الظروف الملائمة للاستقرار السياسي والوحدة والانسجام. ولذلك يعملون الآن لتمزيق وتشتيت القيادة السياسية التي بناها الجنوب بكده وكدحه. واستخدموا في ذلك كل الأساليب، المواقع والمال والكلام المعسول، بهدف خلق مشاكل وانقسامات وسط القيادات الجنوبية. وبعد إفساد أبناء هذه الأسرة الأفريقية السودانية، يقومون الآن لتدمير منزلها. والأخ لاغو يعي أنه لا يستطيع وحده تقسيم الجنوب، ولذلك نقول للثورة:- (إن الخطر على الثورة يأتي من هؤلاء الشماليين الذين يهدفون لتمزيق الجنوب.) فقد حاولوا لمرات مهاجمة اتفاقية السلام والحكم الذاتي الإقليمي. وادعوا أن الاتفاقية تتضمن بنوداً سرية، وحسدونا على السيادة المحدودة التي نتمتع بها وعلى نظامنا الفريد القائم في الجنوب. وهدف كل هذه المحاولات، ليس فقط تمزيق الجنوب، بل وتمزيق شعبه أيضاً. فهم يحاولون الآن تمزيقنا على أسس قبلية، وبعد ذلك تمزيقنا على أساس العشيرة والزعامة والقرية والأسرة. ومؤلفو هذه النشرة يشهدون على ذلك ويؤكدون أن التاريخ سيحكم لصالح شهادتهم.

لقد قامت العلاقات الشمالية/الجنوبية على الحقد والكراهية والصراع. وموقف الشمال من اقتراح إعادة التقسيم يؤكد ذلك فالشمال لم يفعل ولن يفعل أو يدعم أي عمل لمصلحة الجنوب. ويقال أن زعيماً عربياً بارزاً قال مرة أن أكبر

عقبة أمام الأمة العربية هي جنوب السودان وليس فقط بارليف، وانهم قد حطموا خط بارليف وعليهم الآن تحطيم الجنوب أيضاً. وإعادة تقسيم الجنوب، التي يقف الشمال خلفها، تستهدف تجريد الجنوب من موارده الطبيعية وحرمانه من التطور والتقدم وتعزيز المجتمع الأفريقي في السودان تستهدف إضعاف الجنوب وتمكين الشمال من استغلال إمكانياته الضخمة. وتستهدف أيضاً إشغال القيادات السياسية الجنوبية بمعركة فارغة وبالتالي تمكين الشمال للانفراد بمنطقة أب ياي ومصفاة البترول وتدمير مشاريع الجنوب. ومقدموا الاقتراح يعلمون ذلك بوضوح ويعترفون به في نشرتهم، حيث جاء فيها: (هناك تخوف من أن يقوم الشمال باستغلال إعادة التقسيم ودفعها في اتجاه بلقنة الجنوب.) والسؤال هنا هو:- هل يعتبر لاغو بلقنة الجنوب أقل ضرراً من هيمنة الدينكا؟ ومع كل هذه الضغوط والمحاولات التي تعمل على تغيير مجرى الثورة، عن طريق التلاعب بالكلمات، نؤكد هنا تمسكنا بتأييدنا للثورة والدفاع عنها وعن تنظيمها الوحيد. وكلنا ثقة في أن هذه الثورة ستقوم بدورها في حماية الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب الموحد والدفاع عنه في وجه أعدائه.

لقد قرر الشمال تقسيم الجنوب وترك لنا، نحن الأطراف المتصارعة، تحديد مصير هذا الطفل المتنازع عليه، تماماً مثل الملك سليمان في القصة التاريخية المشهورة. ومن جانبنا طرحنا، مثل المرأة الثانية، التنازل عن حقنا من أجل حياة هذا الطفل. أما مقدموا الاقتراح، فقد فضلوا تمزيق الطفل من خلال سلوكهم العملي. وهنا يجيء دور الملك، أي الشمال، لمراجعة قراره.

* اقتصادياً:-

لا يزال الجنوب يتميز عن الشمال بتخلفه الاقتصادي المريع. ولذلك ظل يقاوم لسبعة عشر عاماً من أجل الحصول على حقوقه. وبعد اتفاقية أديس أبابا، التي حققت السلام، تكشفت حقائق الواقع المتخلف واعتماد الجنوب على ما يقدمه الشمال من فتات. ونسبة للتركيز على قضية السلام والثقة المطلقة في ثورة مايو، لم يجد

الجانب الاقتصادي اهتماماً كبيراً. وبعد مرور عشر سنوات استيقظ الجنوب ليجد نفسه أكثر تخلفاً عن الشمال من ما كان عليه الحال في 1972. وبالطبع لا يمكن أن ننكر البدايات المتواضعة التي قامت بها الثورة، ولكن الواقع يؤكد أن الحكومة المركزية لم تكن جادة في تنفيذ التزاماتها الاقتصادية في الجنوب، مقارنة بتطلعات شعبه وقياداته السياسية. فالتطورات القليلة التي حدثت في هذا المجال، كانت محدودة وضعيفة. وتوقف العمل في مشاريع عديدة، مثل سكر منقلا، سكر ملوط، كناف تونى، تعليب الفواكه في واو، أسمنت كبويتا وغيرها. كل هذه المشاريع توقفت واستبدلت بمشاريع أخرى في الشمال، حيث قامت مشاريع عسلاية وغرب سنار وسكر كنانة بدلاً من مشاريع منقلا وملوط، ومشاريع كناف ابونعامة وتعليب الفواكه في كريمة بدلاً من كناف تونى وتعليب الفواكه في واو. وقامت أيضاً عدة مصانع أسمنت في الشمال بينما توقف مشروع أسمنت كبويتا. وهناك مشاريع عديدة أخرى يمكن حصرها لتكشف لنا موقف الحكومة المركزية السلبي تجاه التنمية في الإقليم الجنوبي. ومن واقع هذا التخلف الاقتصادي ظهرت خلافات السياسيين الجنوبيين في الفترة الأخيرة، كل مجموعة منهم تدعي العمل من أجل تطوير الإقليم. وسقوط حكومة أبيل ألير وصعود (حكومة التغيير) توضح، بشكل جلي، أين يمكن أن يختلف الجنوبيون، وهذه المصاعب الاقتصادية، وليس الاختلافات القبلية، هي التي أدت إلى انقساماتهم وصراعاتهم. فالجنوب لا يستطيع الوقوف على رجليه وتوفير الاحتياجات الأساسية لسكانه، ولذلك ازدادت مشاكل الجوع والعطش والمرض والجهل والفقر. وأصبح كل الناس تنظر للحكومة الإقليمية كأساس وحيد للقضاء على تلك المشاكل. وأصبحت كل قبيلة تقاتل من أجل الحصول على موقع في المجلس التنفيذي العالي، بهدف الحصول على خدمات من خلال أبنائها من المسئولين والوزراء. وهذا هو السبب الحقيقي الذي يقف خلف ما أثير من ضجة حول هيمنة الدينكا. ولكن أبيل ألير وجوزيف لاغو لم يعملا لتحويل بور ونمولي إلى مدن كبيرة ومرفهة، والواقع أنه سياسة الشمال نحو الجنوب ظلت ثابتة على

الدوام، فبناء مصفاة البترول في كوستي، بعيداً عن حقول الإنتاج في بانتيو، يؤكد مخاوف الجنوبيين حول الاعتماد على الشمال. وتدهور الأوضاع الاقتصادية في الإقليم، الذي يمثل أهم أسباب إحاطات قياداته، لخصه بونا ملوال، عضو المكتب السياسي ووزير الإعلام والثقافة السابق ووزير الصناعة والتعدين الإقليمي الحالي، حيث أكد أن هذا التدهور يشكل خطراً حقيقياً على اتفاقية أديس أبابا. وبالطبع لن يفقد الجنوبيون المسحوقون أي شيء من انهيار المؤسسات المرتبطة باتفاقية أديس أبابا.

الفصل الثالث

ماذا قال آخرون عن إعادة

تقسيم الإقليم الجنوبي

قام عدد من الشخصيات البارزة بالدخول في مناقشات إعادة تقسيم الإقليم. ففي الإقليم الجنوبي كانت ردود الفعل متباينة، رغم وقوف الأغلبية ضد الاقتراح. وفي المقدمة كان ردّ فعل الأعضاء في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، ففي مذكرة لرئيس الاتحاد ورئيس دورة الاجتماعات الثانية للجنة المركزية، أكدوا: (إن رأينا في هذه المسألة، أنها تمثل موضوعاً أساسياً له تأثيره المباشر في مصالح وأوضاع كل جماهير الشعب في الإقليم. وهو يطرح أسئلة قانونية ودستورية هامة ويتطلب إجراءات واسعة ومعقدة، حتى لو اتجه الناس في الإقليم للموافقة عليه.) ومثل هذا الموضوع الكبير والهام لا يمكن تمريرة دون مناقشته وسط القيادات الجنوبية البارزة في هذا المنبر السياسي الهام. ولكن السرّية التي لازمت طرح الاقتراح والتعجل الواضح في طريقة تقديمه لاجتماع اللجنة المركزية وتجاهل الإجراءات النظامية الضرورية لذلك، كل ذلك يكشف رغبة مقدمي الاقتراح في طرحه بهذه الطريقة في منبر أغلبيته من الشماليين. ومع ذلك، كان الرئيس نميري ملتزماً بروح ثورة مايو ومبادئها، فأكد أن مثل هذه القضايا يجب مناقشتها في التنظيمات والمؤسسات الجنوبية. وعلى هذا الأساس جاءت استجابته لمناقشة الاقتراح وأكد أنه ليس مطروحاً للنقاش في اللجنة المركزية.

وهناك أيضاً فيليب أويانق (من أبناء أنواك، ومحافظة جونقلي) المحافظ السابق والسفير السابق، والدبلوماسي حالياً دون مهام محدّدة، الذي ظهر كأحد المؤيدين لإعادة التقسيم، ويبدو أن وضعه هذا قد شجعه للدخول في المناقشات الجارية والوقوف بجانب الاقتراح. وفي توصيله لرأيه، حاول تناول الموضوع من منظور فلسفي ولخص موقفه في الكلمات الآتية: (إعادة التقسيم هي الحقيقة في وقت

يطلب من الجنوب أن يلتزم الصمت، وخطوة إلى الأمام في وقت يطلب منه التراجع، وهو محاولة لاتخاذ مبادرة في وقت يطلب منه البقاء في موقف دفاعي. هو تحرر من وضعية الاستسلام وانتقال إلى موقف المبادرة والتقدم لتحمل المسئولية في مواجهة وضعية اللامبالاة والتشويه والتضليل.) وأوبانق يعتقد أن إنقاذ الجنوب من صمته وتراجعه وموقفه الدفاعي الراهن وحالة اللامبالاة السارية في أوساطه، يجب أن يتم من خلال تقسيمه إلى حكومات صغيرة مستقلة عن بعضها. وهذا موقف سلبي في رأينا، إذا لم يكن ساذجاً، ويمكن أن يجد معارضة حتى من الشمال، الذي يعمل لتقسيم الجنوب. إنه يقول إن الدعوة إلى إعادة تقسيم الجنوب هي صوت الديمقراطية في البحث عن الحقيقة، التي قد تكون في إعادة التقسيم أو في رفضها. وفي وقت سابق طلب أوبانق من نائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذي العالي، أبيل ألير، قبول فكرة إعادة التقسيم واستخدام نفوذه لدفع المؤسسات المعنية للنظر في الإجراءات القانونية والدستورية الضرورية لذلك. ولتأكيد جدّيته في طلب تلك الإجراءات، تحول الدبلوماسي إلى التركيز على الجوانب الأخلاقية، كبديل ولتعزيز طلبه للإجراءات القانونية والدستورية، حيث يقول: (يكفي أن نطلب في هذا المنعطف أن تبقى الاستوائية إقليماً مستقلاً بعيداً عن بحر الغزال وأعالي النيل. هل هناك أي مبرر أخلاقي لحرمانهم من ذلك، بحجة أن ذلك سيؤدي إلى تقسيم الإقليم الجنوبي الموحّد ؟) ولكن الإجابة الشافية لتساؤله هذا تتمثل في الاختلاف بين قضايا القانون والدبلوماسية. فبينما يمكن تناول الأخيرة بطريقة مختزلة، فأن تناول الأولى يعتمد بشكل كلي على نصوص القانون وروحه. ولذلك، عندما يتعامل المرء مع قانون عضوي، تعتمد عليه قوة ومصير مؤسسات الجنوب، فإن ذلك يتطلب تجاوز المصالح والمغانم المباشر. وهنا تفشل الدبلوماسية في تقديم أي مساعدة. فرغبة الاستوائية في الابتعاد عن بحر الغزال وأعالي النيل لا تحدّدها عوامل أخلاقية. إذ ليس هناك أي حق أو التزام أخلاقي في المسائل القانونية، مثل إعادة تقسيم الجنوب. وبالتالي، من السخف أن نتساءل عن الحق

الأخلاقي الذي يسمح باضطهاد إرتريا من قبل أثيوبيا، أو بالقمع الذي مارسه الشمال تجاه الجنوب طوال أكثر من 17 عاماً. صحيح أن الدبلوماسي مخلص في ما يقوله، وتأييد ودعم الاستوائيين الذي وجده في موقفه، يعبّر فقط عن بحثهم عن مصالح ومغانم متوقعة. والاستنتاج المنطقي هنا يشير إلى أن الدبلوماسي ليس له أي علاقة بنظام إقليمي يؤيده، ومشكلته قد تكون مع الزعيم ستيوارد، زعيم النظام الجنوبي، وليس مع الجنوب ككل. وهنا تجدر ملاحظة أن المبشرين بإعادة التقسيم هم: الرئيس السابق للمجلس التنفيذي العالي، الوزراء الإقليمين السابقين، المحافظون السابقون، السفير السابق، والمسئولون السابقون الآخرون، وهؤلاء سيمثلون الحكومة الإقليمية، عندما يعاد النظر في لا مركزية الحكم في الشمال. وهكذا، تنتقل إلى هناك تجربة الجنوب التي نعتز بها، ووقتها تتفتح أمامهم فرص واسعة. فيشاركون بفاعلية في وضع أسس الحكم الإقليمي في الشمال ويطرحون في كل المنابر المتاحة وقوفهم مع الوحدة كهدف سامي. وبجانب ذلك، أعلن لاغو وأنصاره في مرات عديدة رسوخ النظام الديمقراطي في الجنوب، حيث تمكن شخص مثله، من قبيلة صغيرة، من الحصول على أغلبية كبيرة رفعته لرئاسة الإقليم، وتمكن وزراؤه من الحصول على تأييد كبير في فترة وجيزة من تاريخ الجنوب، وبدأوا يعدون جماهير الشعب بتحقيق الرفاهية والوحدة وبقية تطلعاتها. وفى كل الأحوال كان ذلك يمثل تغييراً كبيراً- ولكنهم فوجئوا بتوقف الإمدادات. فاصطدمت توقعاتهم المتفائلة بالحقائق المتحكمة في السلطة السياسية والتنفيذية وشعروا أن القيادة السياسية ليست كلها عسلاً ولبناً- وهذا تصادمت المصالح وتصارعت. فتراجعت الوعود ولم يتحقق التغيير المنشود. وبدأ كل منهم يبحث عن المغانم. ومن خلال ذلك انفجرت الصراعات والنزاعات. وبدأت أصابع الاتهام تشير إلى الخرطوم- وهذا أصدرت الخرطوم حكمها. وبعد وقت قصير تدهورت أوضاع حكومة التغيير حتى انتهت. فالخرطوم لا تسمح باتهامها ومهاجمتها- ومن هنا تحول السياسيون الجنوبيون إلى تحطيم كل جسور الثقة والاخوة التي تجمعهم. وبذلك حققوا توقعات السياسيين

الشماليين، التي راهنت على صراعاتهم بعد منحهم حكماً ذاتياً إقليمياً- وهذه هي الحقيقة. فقد تصارعوا وتقاتلوا حول الحكم الذاتي الإقليمي وشاهدهم العالم كله. وتلك مأساة ولعنة. ولكن الجنوب سيقضي عليها في يوم قريب.

كما شرحنا قبل قليل، كان معظم أنصار إعادة التقسيم من الوزراء والمسئولين السابقين في الجنوب. فقد فقدوا مناصبهم في الحكومة الإقليمية القائمة. ويبدو أنهم لن يستطيعوا استعادتها. وذلك لضعف احتمالات صعودهم مرة أخرى. فبدأوا يصرخون بانعدام الديمقراطية والوحدة في الجنوب- هل يعني ذلك أن الديمقراطية والوحدة تتحققان فقط بإعادة تقسيم الإقليم؟ لماذا لم يطرحوا إعادة التقسيم عندما كانوا في السلطة؟ لماذا لم يطرحوه في المؤتمر الأخير للاتحاد الاشتراكي؟ هل يمكن أن تصدق ادعاءاتهم؟ إننا نرى أن هذا الاقتراح هو نتيجة وإفراز لحالة إحباط وتوتر، ولا علاقة له بأي أهداف وطنية، فقد أكد جوزيف لاغو ذلك، عندما قال إن السياسة في الجنوب أصبحت تسير في اتجاه خاطئ. وهذا من حقه كمعارضة. ولكن هل تشمل المعارضة الدعوة لإعادة تقسيم الإقليم وتحطيم مؤسساته؟ إن جوزيف لاغو وأنصاره يفهمون جيداً أن القيادة السياسية لا تملَّك وإنما تكتسب بالعمل والتجربة والخبرة، وأن السلطة لا تدوم. وموقف الرئيس الفرنسي، فرانسو ميتران، يقدم لنا نموذجاً في ضرورة التسامح وقبول الآخر في البحث عن السلطة. وردود الفعل البائسة، مثل التقسيم، قد تحطم كل شئ، بما في ذلك أنصارها.

* خلاصة :-

إن الوضع الراهن للجنوب يتميز بالتخلف والخضوع والخوف والجهل والبؤس. وذلك نتيجة ظروف تاريخية عديدة. وعبر الحقب بدأت تتبلور هويته ورغبة مجموعاته في العيش معاً وقبول بعضها لبعض كأعضاء في أسرة موحدة. والنظرة الفاحصة لتاريخ الإقليم الجنوبي، تؤكد دون شك أن شعب الجنوب قد ظلّ يحافظ على وحدته وتماسكه عبر تاريخ طويل، رغم ظروف القمع والاضطهاد

والصراعات القبلية. وهذا الإصرار الطويل توج في الفترة الأخيرة بالسيادة المحدودة التي نتمتع بها في الوقت الراهن، أي الحكم الذاتي الإقليمي. ونضالنا الممتد لتحقيق هذا الإنجاز لم يتم دون تعرجات وعقبات وصعوبات، كان معظمها من أعداء الجنوب. ومع ذلك، لم يخضع ويستسلم. والأسس التي ترتكز عليها هذه الوحدة تتمثل في الأصل المشترك والثقافة والتجربة التاريخية والروابط المشتركة التي تؤكد حقيقتها في كل المنعطفات الهامة. وخلال الحقب الماضية، ظلت المجموعات القبلية تتصارع وتتفاعل مع بعضها، والعادات والتقاليد تتصادم وتتمازج وفى وقت واحد، وكل ذلك يؤدي في النهاية إلى هدف واحد، أي الوحدة والاندماج، ومع دخول الحضارة الحديثة، بدأت إمكانيات احتواء الصراعات وتوفير فرص أوسع للتفاهم والتفاعل والتماسك، ومن خلال كل ذلك فاض الجنوب حرباً امتدت لسبعة عشر عاماً مع الشمال العربي المسلم في غالبة، ودفع فيها تضحيات غالية شارك فيها كل أبنائه وبناته من أجل هدف مشترك واحد- وانطلاقاً من هذه الحقيقة، أكدت اتفاقية أديس أبابا وحدة هذا الإقليم الجنوبي بقبائله الأفريقية المتعددة، ووجود هذا الإقليم الموحد واستمراره وتعايشه مع الأقاليم العربية الأخرى في الشمال، هو مثار فخر واعتزاز للسودان وأفريقيا والبلدان العربية، وبعد عشر سنوات فقط من ميلاد هذا الإقليم، يغامر زعيم حركة تحرير جنوب السودان، في فترة الحرب الأهلية، ليعلن للعالم عدم ضرورة استمرار الجنوب كإقليم موحد- والسؤال المطروح أمام لاغو هو: هل أدت هذه الوحدة إلى هدفها بإحباطنا؟ وفى تبريره لهذه المغامرة، اعتمد سيادته على أسباب مثالية تعكس انهزاماً داخلياً، فالمشاكل القبلية في أفريقيا لا يمكن مواجهتها عن طريق عزل المجموعات القبلية عن بعضها ووضع كل منها في مستعمرات خاصة بها، إذ أن ضرورات التقدم الحضاري الإنساني تتطلب مواجهة هذه المشاكل بأفق واسع تستهدف التفاعل والتفاهم والاندماج- وزراعة الأحقاد والكراهية بين المجموعات القبلية في الاستوائية وبحر الغزال وأعالي النيل، والإدعاء بأن ذلك سيقود إلى تدعيم وتعزيز

وحدة الإقليم وتماسكه، كما يقول دعاة التقسيم، هو مجرد محاولة للتبرير بجمع المتناقضات ويؤدي عملياً إلى ترسيخ العصبيات والولاءات القبلية. وهى مرحلة لم يصلها التطور القبلي في الجنوب حتى الآن ويمكنه تجاوزها من خلال سياسات ملائمة.

في هذه الخلاصة تود لجنة تضامن الأعضاء الجنوبيين في مجلس الشعب القومي أن تركز على النقاط الآتية:-

أننا نؤمن ونعترف أن المناقشة والاختلاف في الرأي حق طبيعي وتعبير عملي عن الديمقراطية التي اخترناها، وبالتالي فإن ممارسة هذا الحق في الإقليم الجنوبي يجب أن يسبب أي خوف أو إزعاج حتى عندما تتناول موضوعاً مثل موضوع إعادة التقسيم.

في تاريخ الإقليم الجنوبي القريب والبعيد، ظلت المشاكل القبلية موجودة ومؤثرة في الواقع، وخلال سنوات الحرب واجهت القبائل نفسها قبل أن تواجه العدو- ولكن تلك المواجهات كانت جزءاً من حركة المجتمع في البحث عن حالة تعايش أفضل وأكثر قوة ومساواة في الحقوق الإنسانية، والإقليم الجنوبي لا يزال في أولي درجات التطور ويجب أن يتحمل آلام ومعاناة هذه المرحلة من خلال تعبئة أبنائه من أجل القضاء على الأمراض الاجتماعية المختلفة.

توسيع اللامركزية، كما يدافع عنها جوزيف لاغو، تستند إلى مبررات مؤسفة، تقود إلى تقسيم الإقليم إلى أقاليم صغيرة، يتبع كل منها إلى الحكومة المركزية مباشرة ولا يربطها مع بعضها أي رابط. وهذا التقسيم سيفتح الباب أمام تنافس هذه الأقاليم حول ولائها للحكومة المركزية ولصراعاتها ونزاعاتها فيما بينها، بحكم ارتباط التقسيم بعدم الثقة والكراهية والأحقاد.

قبول إعادة التقسيم سيفتح الطريق لأكبر مشكلة قبلية في تاريخ السودان، أي إعادة ترتيب وتنظيم الجنوب على أسس قبلية وعشائرية، وهذا ما يؤكده اقتراح ربط قبائل الفرتيت في بحر الغزال والمورلي في أعالي النيل مع الاستوائية أو إنشاء

مديريات جديدة خاصة بها- ويمثل ذلك بالطبع تراجعاً واضحاً إلى الأسس القبلية البدائية. وسيؤدي ذلك إلى إدخال المجتمع الجنوبي في حالة من الفوضى والصراعات، ولهذا وحده يجب رفض الاقتراح بقوة.

إن هذه المحاولة الغير مشروعة لتمزيق الإقليم الجنوبي وتقسيمه إلى وحدات صغيرة مستقلة عن بعضها، تشكل أسوأ أشكال القمع والاضطهاد التي واجهها شعب الجنوب في تاريخه- ولذلك تدعو لجنة التضامن كل الجنوبيين في كل مكان للعمل معها جنباً إلى جنب، للعمل معاً عملاً تاريخياً عظيماً لإنقاذ الجنوب من مأساة إعادة تقسيمه. فمشاكل القبلية ليست جديدة، بل ظلت مستمرة منذ فترات بعيدة، وظللنا نواجهها بالصبر والقرارات اليومية التفصيلية.

هناك بالتأكيد حلول للمشاكل التي يعاني منها الجنوب، وهي حلول ليست سهلة وليست سريعة، ولكنها مؤكدة ولا حلول غيرها- فتصفية القبلية ستتم بالتدريج ولكن بطريقة حاسمة ومؤكدة- وذلك بتكاتف جهود كل الجنوبيين وفى اللحظة التي نعي فيها الخطر الذي يهددنا كإقليم موحد، ولذلك علينا أن نرفض إعادة تقسيم الجنوب للأسباب الآتية :-

لثقتنا الكبيرة في هزيمة القبلية وهيمنة الدينكا وتفويض صلاحيات أوسع للمديريات ومجالس المناطق والمحليات. وذلك عن طريق تطبيق تدابير قانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1981.

لحماية مكاسبنا الغالية التي حققناها بتضحيات كبيرة، دفع فيها الشهداء أرواحهم ودماءهم من أجل بناء إقليم جنوبي موحد.

إعادة تقسيم الجنوب الآن يحقق نوايا الشماليين التي تستهدف بلقنة الجنوب، بدءاً بتقسيمه إلى أقاليم منفصلة وإنتهاءاً بتمزيق عشائره وقبائله...الخ.

رفض اقتراح إعادة التقسيم هزيمة لمشاركة الشمال في الجريمة ودعمها.

من أجل ضمان بقاء واستمرار هوية أفريقية موحدة في السودان.

للمحافظة على صورتنا في أوساط المجتمع الدولي، كأقلية متميزة ومحدَّدة المعالم، تعاني مشاكل التخلف وتستحق الدعم والمساندة.

لتكوين جبهة صلبة أمام سياسات الحكومة المركزية وبرامجها التي تؤثر في حياة كل شعب الجنوب، أي مشاكل الحدود ومصفاة البترول ووحدة وادي النيل والأسلمة والتعريب... الخ ولكل ذلك نرى الآتي :-

العوامل المهددة للوحدة وسط الجنوبيين يجب استبعادها في الوقت الحالي وليس غداً. ويجب تحديد العناصر التي تعمل لترسيخها وتجريدها من إمكانيات العمل في هذا الاتجاه.

الارتفاع إلى مستوى التضحية ونكران الذات من أجل التقدم ووحدة الإقليم الجنوبي ككينونة سياسية واجتماعية واقتصادية.

ج) على المجلس التنفيذي العالي مواصلة العمل من أجل وضع برنامج محدد لتطبيق المادة 184 من الدستور الدائم للسودان (التعديل الثاني.)

د) العمل على التحقيق في هيمنة الدينكا في المجالات المختلفة واتخاذ الإجراءات اللازمة لإزالة مخاوف المجموعات القبلية الأخرى.

وللسياسيين الرجعيين الشماليين، الذين حركوا ومولوا ودعموا اقتراح إعادة التقسيم، نقول:- (إنكم تحطمون ثورة مايو ولا شئ غيرها. فأبناء الجنوب رجال قادرون على مواجهة الإغراءات وسوف يعملون على تسوية مشاكلهم في مؤسساتهم الدستورية والشعبية، لقد انتهى الزمن الذي كنتم تكسبون فيه ثقة الجنوب، وأصبحتم فقط في الصفحات السوداء من تاريخه..).

وللأصوليين في ثورة مايو نقول: (ضعوا أياديكم في أيدي طلائع الثورة في الجنوب، من أجل هزيمة اقتراح إعادة التقسيم الرجعي، فهدفه ليس الجنوب فقط، بل ثورة مايو أساساً).

ولأخينا المحبوب، الفريق (معاش) جوزيف لاغو، الرئيس السابق للمجلس التنفيذي العالي، والسكرتير السابق للاتحاد الاشتراكي في الجنوب، وعضو المكتب السياسي ونائب السكرتير العام لشئون الجنوب، نقول: (دورك في تاريخ الجنوب لن ينتهي. فصورتك لا تزال تضئ في قلوب كل الجنوبيين السودانيين. وحالات الصعود والهبوط في النشاط السياسي هي اختبار للقدرات القيادية، لقد مرغت أنف القبلية في الوحل، ولكنك، بكل أسف، تدعو إلى علاج مدمر- نذكر، على أي حال، أن المرء قد يفكر في تقسيم الجنوب، ولكن النتيجة النهائية ستقضي على العجول السوداء والبيضاء بوضعها في أيدي الأسد الجائع.).

وللمحاربين القدماء والسياسيين الجنوبيين المحنكين، نقول: (لقد علقتم أعناقكم في أعلي الشجرة، عندما استجبتم لنداء العمل، لقد تصارعتم على المناصب والحظوظ، حتى لو أدى ذلك إلى تدمير الجنوب، المواقع والامتيازات قليلة ومحدودة، وفرص التضحية والإيثار واسعة ووفيرة، إن ربط نظرتكم لمصالح شعب الجنوب بالوظيفة والموقع، هو الذي أوصل الجنوب إلى هذا الحضيض، لقد أزف الوقت لقبر شعارات وحدة الدينكا، الاستوائية الكبرى، النيلوية، البانتوية وغيرها.. أزف الوقت لتوقفوا اعتمادكم في العيش على مكافآت الولاءات القبلية.)

هذه هي رسالتنا، إنها عهد وميثاق يأخذه الأعضاء الجنوبيون في مجلس الشعب القومي الرابع في أعناقهم.. هذه هي الالتزامات التي انتخبنا من أجل تحقيقها. ونعاهدكم على الالتزام بها أياً كانت العقبات التي سيضعها الشمال في طريقنا، الالتزام بوحدة شعب الجنوب في إقليم جنوبي موحد. إن قضية الساعة ليست إعادة التقسيم، بل هي تعزيز وتدعيم اتفاقية أديس أبابا ورفع شأنها في نشاطنا السياسي، وبوقوف أغلبية الجنوبيين خلفنا، نستطيع هزيمة الدعوة لإعادة التقسيم، وسننتصر بإذن الله.

انتهت النشرة.

مطبعة النيل، جوبا

الملحق (4)

مذكرة لرئيس الجمهورية :-

الخرطوم، 12 يونيو 1984

السيد/رئيس الجمهورية

قصر الشعب، الخرطوم

الآراء والمقترحات المرفقة مع هذا الخطاب تمثل مساهمة الموقعين أدناه في المناقشات الجارية حول تعديل الدستور، فقد وجدنا، كمساعدين لسيادتكم لعدة سنوات، تشجيعكم لطرح آرائنا بكل حرية حتى لو تعارضت مع وجهة نظركم، كما يحدث غالباً- ولذلك نقدم لكم نسخة من هذه الآراء والمقترحات في ضوء فهمنا لتجربتنا السابقة، فبعض الموضوعات المطروحة في مقترحات التعديل تحتل أهمية كبيرة، ومن هنا تنبع أهمية التعبير عن وجهة نظرنا حولها، لقد ظلّ سيادتكم يركز لسنوات طويلة قبل اتفاقية أديس أبابا على كيفية حلّ النزاع الجاري وقتها في الجنوب، والتهليل والتمجيد الذي وجدتموه عند تسوية مشكلة الجنوب، كان سريعاً وواسعاً في داخل بلادنا وفى المنطقة والعالم، فالحدث يستحق كل ذلك. وكان لنا شرف الوقوف بجانبكم، كمشاركين ومساعدين في جهودكم- إننا نعتقد أن إعلان الدستور الوطني في 1973 لم يكن ممكناً لولا تسوية مشكلة الجنوب باتفاقية 1972. ونشير هنا إلى أن قضايا الصراع والنزاع، التي تضمنتها تلك التسوية، قد أعيد طرحها مرة أخرى في التعديلات المقترحة للدستور- ومن ناحية عملية قامت التعديلات المقترحة بالتنكر للحلول السابقة واستبدالها بحلول جديدة- وذلك يعني أن هناك دستوراً جديداً يجري تصميمه ليحلّ محل الدستور الحالي. وبعد إطلاعنا على التعديلات، نشعر بمسئوليتنا، كمساعدين سابقين لسيادتكم في تسوية مشكلة الجنوب،

في طرح آرائنا ووجهة نظرنا بكل تقدير واحترام لسيادتكم، وسوف نضع هذه الآراء أمام مجلس الشعب القومي أثناء مناقشته لمقترحات التعديلات.

إننا نثق أن سيادتكم سينظر إلى هذا الآراء باهتمام وتقدير، كما عودتنا في منعطفات مماثلة خلال سنوات تعاوننا المثمر. وتقبل أكبر احترامنا.

الموقعون: جوزيف لاغو وأبيل ألير.

السيد/جعفر محمد نميري

رئيس الجمهورية، قصر الشعب، الخرطوم

آراء ومقترحات حول بعض جوانب

المقترحات المقدمة لتعديل الدستور

لقد توصل الشعب السوداني إلى صياغة دستوره الوطني بعد 18 عاماً من إعلان الاستقلال. وهذا الوقت الطويل الذي استغرقته المناقشات والصراعات، كان بسبب رغبة الجنوب في الحصول على ضمانات دستورية محددة وعدم استعداد الشمال لقبول تلك الضمانات. ففي خلال هذه الفترة الممتدة، تكونت ثلاث لجان وانتخبت جمعيتان تأسيسيتان لصياغة دستور ملائم ومتفق عليه. ونتيجة لعدم الاتفاق على ضمانات كافية، انسحب الجنوبيون من تلك اللجان. ولذلك لم نتوصل إلى حلّ لهذه المشكلة. فماذا كان يريد شعب الجنوب؟ لماذا أصرّ على وجهة نظره؟ إن الجنوب كان يريد اعترافاً وقبولاً بالحقائق الموضوعية المجردة والهامة، وبالتحديد بحقيقة التنوع والتعدد الثقافي والتفاوتات الاقتصادية الاجتماعية، وتخلف الجنوب. والجنوب كان يقف ضد أربعة توجهات، يصرّ السياسيون الشماليون على فرضها، وهي:

الدستور الديني (الثيوقراطي).

دستور لا يعترف بالفوارق التاريخية والثقافية بين الجنوب والشمال ولا بضرورة بناء وحدة البلاد على أساس هذه الحقائق الموضوعية.

ج) دستور لا يعترف بالضرورات التاريخية والسياسية والثقافية، التي تفرض منح الجنوب وضعاً ذاتياً إقليمياً.

د) دستور لا يراعي بشكل كافي الحقوق الأساسية للإنسان والحريات العامة لكل شعوب السودان دون تميز بسبب العرق أو الدين أو الأصل.

فترة 1955-1972:-

في هذه الفترة قادت الاختلافات حول الضمانات التي يجب أن يتضمنها الدستور إلى مأزق سياسي خطير وركود اقتصادي اجتماعي في البلاد ككل. وشهدت الفترة أيضاً انفجار الحرب الأهلية واتساعها في الجنوب.

ثورة 25 مايو 1969:-

اعترف بيان 9 يونيو 1969 بالفوارق التاريخية والثقافية بين الجنوب والشمال، وتوصل إلى أن هذه الفوارق يجب قبولها كأساس لوحدة بلادنا- وأدى هذا البيان إلى فتح الطريق للوصول إلى تسوية تاريخية في اتفاقية أديس أبابا 1972، كما هو معروف للجميع. والجميع أيضاً يعرف وعليه أن يعرف أن اتفاقية أديس أبابا، التي تضمنت بيان التاسع من يونيو، هي التي وفرت، لأول مرة، إمكانية الاتفاق علي دستور وطني وإعلانه في 1973- فالدستور الوطني هذا كان نتاج مناقشات حادة ومخلصة ومجادلات طويلة وسط أبناء وبنات السودان، وقد بدأت تلك المناقشات، في الواقع، منذ 28مايو 1969، بالاجتماع المشترك بين مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء، وتواصلت بعد ذلك في أديس أبابا في الفترة من نوفمبر 1971 حتى مارس 1972 وتوجت بمناقشات الجمعية التأسيسية وإعلان الدستور الدائم في نهاية 1973- كل هذه المناقشات أوضحت، بشكل جلي، جدية شعبنا في البحث عن ميثاق ودستور يقوم علي اتفاق جماعي حول استقلال بلادنا ووحدتها في إطار التنوع.

الدستور الوطني:-

يحتوي الدستور علي تدابير محددة، لولاها لم يكن من الممكن الاتفاق على نصوصه وإعلانه، وفيما يلي نضع بعض مؤشرات هذه التدابير:-

* المادة 8:

(في إطار وحدة السودان ينشأ حكم ذاتي إقليمي في جنوب السودان، وفقاً لقانون الحكم الذاتي الإقليمي لمديريات جنوب السودان لسنة 1972، الذي يجب أن يكون قانوناً عضوياً وسوف لا يتم تعديله إلا وفقاً للتدابير الموضحة في هذا الدستور.) فهذه المادة تؤكد وضعية الحكم الذاتي الإقليمي لجنوب السودان. وذلك يحقق أربعة مكاسب أساسية:

الأول: أن الدستور يمنح الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب وضعاً دستورياً بموافقة جمعية تأسيسية منتخبة، بهدف صياغة ذلك الدستور. والثاني: أنه يوضح المكانة الهامة، السياسية والتاريخية والثقافية، التي تحتلها اتفاقية أديس أبابا. وهي مكانة لا يجب أن يطالب بها الحكم اللامركزي في مناطق البلاد الأخرى، وبالتالي ليس هناك وجه مقارنة بين قانون الحكم الذاتي الإقليمي في المديريات الجنوبية لسنة 1972 وقانون الحكم الإقليمي لسنة 1980. والثالث: أن ذلك يقف كشاهد لكل الهيئات التشريعية الحالية وفي المستقبل بأن اتفاقية أديس أبابا هي تسوية سياسية بين الجنوب والشمال، ويجب النظر إليها على الدوام على هذا الأساس. والرابع: إن إدخال ذلك في الدستور يؤكد تفاهماً جماعياً في وقت التسوية السياسية، أي اتفاقية أديس أبابا، وإن هذه الاتفاقية ستصبح جزءاً من الدستور...

لكل هذه الأسباب، فإن إلغاء المادة 8 من الدستور، واستبدالها بتدابير عامة حول اللامركزية الإدارية، سيؤدي إلى تقويض هذه التسوية السياسية الهامة. ومن جهة أخرى، نلاحظ أن تعديل المادة 8 يأتي في وقت يتعرض فيه قانون الحكم الذاتي الإقليمي لمديريات جنوب السودان، لسنة 1972 لمأزق حقيقي يهدد بزواله، بعد صدور القرار الجمهوري رقم 1 في يونيو 1983.

* المادة 9:

هذه المادة تنص على مصدرين أساسين للتشريع، هما العرف والشريعة الإسلامية. والعرف، كمصدر أساسي للتشريع، بجانب المصدر الآخر، يعني تأكيد

أهمية العرف في مجتمعنا، ويعني أيضاً الاعتراف والقبول بأن الثقافات المشتركة تشكل ركائز هامة في الأسس، التي تقوم عليها أمتنا الفتية في طريقها نحو التقدم والتطور وتعزيز وحدتها في إطار التنوع، وإدخال العرف كمصدر للتشريع، هو أيضاً تأكيد لأهمية بيان التاسع من يونيو واتفاقية أديس أبابا، (إن وحدة بلادنا يجب أن ترتكز إلى هذه الحقائق الموضوعية.) والتلاعب بهذه المادة أو التقليل من شأنها سيؤدي فقط إلى التلاعب بالروابط الحساسة التي تقوم عليها وحدتنا الوطنية العزيزة على قلوبنا جميعاً وبالتالي إرباك بلادنا وإدخالها في صراعات مدمرة لا مصلحة لها فيها.

* المادة 6:

هذه المادة تؤكد الاعتراف بقيم الأديان السماوية، الإسلام والمسيحية، وكذلك (كريم المعتقدات الروحية.) وذلك يؤكد معتقدات شعبنا وارتباطاته الدينية وضرورة التسامح واحترام كل المعتقدات الدينية. وهنا يجب أن نتذكر أن مناقشات الدستور قد استغرقت وقتاً طويلاً من أجل الوصول إلى معادلة مقبولة، تعبّر عن أهمية الاعتراف بالقيم الدينية المختلفة في مجتمعنا وعن الاحترام المشترك لكل تلك المعتقدات، وكان الجميع وقتها ضد إصدار تشريعات منافية للمعتقدات التقليدية. وليس ذلك يعني تجاهل معتقدات ومشاعر معتبرة في البلاد. فالعقائد والارتباطات الدينية حق إنساني لكل فرد، ويجب احترام هذا الحق من قبل الآخرين، وهذا الفرد يجب أن لا يحرم من حقوقه المدنية والسياسية بسبب معتقداته الدينية، وفي الوقت نفسه يعترف الدستور بقيم الديانة الغالبة في المجتمع السوداني.

* المادة 80-80 (رئيس الجمهورية):-

أعلى منصب في الدولة يمكن الوصول إليه عن طريق الاستفتاء الشعبي، ومن حق أي مواطن سوداني، سليم العقل ويتمتع بحقوقه المدنية والسياسية، أن يرشح نفسه لهذا الموقع، وهذه الإمكانية، مهما كانت حدودها العملية، تفيد في تنمية رغبة إيجابية لدى كآفة الأفراد لتأهيل أنفسهم بشكل أفضل يمكنهم من المنافسة. وللمواطن

أيضاً حق المشاركة في انتخاب رئيس الجمهورية، وبالتالي تقوية شعوره بالالتزام السياسي والانتماء للأمة التي يعيش فيها، فالمشاركة في انتخاب رئيس الجمهورية تمنح المواطن شعوراً بالرضى من القيام بممارسة حقه الديمقراطي، وليس هناك أي تمييز بين المواطنين بسبب الدين أو العرق في الدستور فيما يتعلق بالترشيح لرئاسة الجمهورية، وأي اتجاه لتعديل الدستور بإدخال مادة تحرم بعض المواطنين من الترشيح لهذه الموقع أو المشاركة في اختياره، يجب التفكير فيه بحرص وجدّية، فما هي المصلحة التي تتطلب مثل هذا التعديل ؟ وإذا كانت هناك مصلحة، فهل تستحق المغامرة بالمشاكل السياسية والاجتماعية التي يمكن أن تنتج من مثل هذا التعديل ؟ إننا نفضل نظاماً يسمح بانتخاب رئيس الجمهورية بواسطة كل المواطنين المتساوين في الحقوق والواجبات، والدستور الحالي يوفر شروط مثل تلك الشروط، ولذلك يجب إيقاف أي محاولة لتعديل طريقة ترشيح وانتخاب رئيس الجمهورية.

التعديلات المقترحة للدستور:-

بالإشارة إلى التعديلات المقترحة في الدستور، نطرح لكم هنا وجهة نظرنا حولها.

تعديل المواد 8 و9 10:-

النقطة التي نحب أن نركز عليها هنا هي أن ما اتفق عليه في التسوية السياسية لمشكلة الجنوب وانعكس في كل مؤسسات الدولة، يجب التمسك به والإبقاء عليه، للأسباب التي شرحناها أعلاه، ونرى الإبقاء على المواد 8 و9 و16 من الدستور، للأسباب التي حدّدتها الجمعية التأسيسية في عام 1971، فهي لا تزال قائمة حتى الآن.

ب- تعديلات أخرى:-

هناك تعديلات أخرى، مثل التعديلات الخاصة بحقوق الإنسان الأساسية، طبيعة الدولة، رئاسة الجمهورية والتشريع...الخ، وهي جوانب هامة، وربما كانت الأكثر أهمية في الدستور، وتعديلها يمثّل محاولة لإلغاء الدستور الحالي واستبداله بآخر

جديد بتوجهات مختلفة. ففي هذه التعديلات هناك توجه لتغيير أو حتى إلغاء الحقوق الأساسية الخاصة بمجموعات معينة من المواطنين. وهناك أيضاً توجه لتضييق الممارسة الديمقراطية والحقوق الديمقراطية المتضمنة في الدستور الحالي، بدلاً من تطويرها وتوسيعها. والسؤال هنا: هل سيتحول مجلس الشعب القومي في هذه الحالة إلى جمعية تأسيسية للقيام بتلك التعديلات ؟ وبالتالي إلغاء الدستور الحالي واستبداله بدستور جديد ؟ وإذا اعتبرنا تلك التعديلات كمسائل (مرتبطة بمصالحنا الوطنية العليا) أليس من الضروري عرضها في استفتاء شعبي؟ والمادة 16 تغطي هذا البديل الأخير، والبديل الثالث يتمثل في طرح التعديلات لمناقشة عامة خلال وقت كافي يمكن جماهير الشعب من تفهم تلك التعديلات وإبداء رأيها فيها. وقد يقوم رئيس الجمهورية، بعد التشاور مع مجلس الشعب، بعرض المسائل المرتبطة بالمصالح الوطنية العليا في استفتاء شعبي، والالتزام بنتائجه (المادة 116 من الدستور.) والاستفتاء يجب أن ينظم حسب القوانين السارية. وعلى أي حال، فإن استكمال عملية التعديل يتطلب دعوة المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي، قبل إجراء الاستفتاء المقترح، وذلك لمناقشة التعديلات، وخاصة تسمية مرشحه لرئاسة الجمهورية وموقع تحالف القوى العاملة في التعديلات المقترحة. نأمل أن تجد هذه الآراء والمقترحات الاهتمام الكافي والاستجابة المطلوبة من صناع القرار في الدولة.

توقيع

جوزيف لاغو وأبيل ألير

الملحق (5)

مذكرة لرئيس الجمهورية

السيد/ القائد

تحية من الله مباركة

استناداً إلى مبادئ ثورة مايو في مشاركة الجماهير بفاعلية في إدارة شئون بلادها والإشراف عليها، على أساس الحكم اللامركزي، وبعد دراسة المادة السادسة من الدستور، التي تنص على الإدارة الديمقراطية للبلاد على أساس اللامركزية التي يحدّدها القانون، والمادة السادسة من الدستور، وذلك بهدف تحقيق المشاركة الشعبية في الحكم وتطبيق اللامركزية. وبعد دراسة الجزء 16 و19 من قانون الحكم الذاتي الإقليمي لمديريات جنوب السودان، لسنة 1972، وبعد الرجوع إلى الأمر الجمهوري رقم 436 لسنة 1982 الخاص بتعيين نائب رئيس المجلس التنفيذي العالي والوزراء في الإقليم الجنوبي، أرجو أن أقدم لسيادتكم الاقتراحات الآتية الخاصة بهيكل جديد للنظام الحكومي في الإقليم الجنوبي، لا يتناقض مع الوضعية الدستورية الحالية، بل يعمل على تسهيل عمل النظام بطريقة تؤكد تطبيقاً شاملاً لمهامه وتحقيقاً مثالياً لأهدافه. والنظام المقترح، في اعتقادي، يمثّل حلاً للمشكلة التي حركت المناقشات السياسية والدستورية الجارية في الجنوب. وذلك لأنه يتضمن توازناً بين المحافظة على التركيب الحالي للحكومة الإقليمية في الجنوب، المرتكز على حكومة إقليمية لامركزية موحدة لكل الإقليم، من جهة، ومنح مختلف مناطق الإقليم إدارة شبه إقليمية ومبسطة، منبثقة عن الحكومة الإقليمية وخاضعة للمجلس التنفيذي العالي في جوبا. وهكذا يمكن تلبية الحاجة لتوزيع السلطة، فيما يتعلق بالمهام العامة للحكومة الإقليمية، وتلبية الحاجة لحكومات محلية في المناطق المختلفة في نفس الوقت. وسيؤدي ذلك إلى تسهيل وتطوير إدارة الشئون المحلية وفتح المجال لمبادرات ووسائل إضافية لمواجهة الحاجات المحدّدة في المستويات الأدنى من الحكومة الإقليمية. وسلطات هذه المستويات سوف تمثّل إرادة السكان

المحليين الذين سيتفاعلون معها عن طريق الاستجابة والسيطرة. والأسس الشعبية لكل مستوى ستكون محدودة وبسيطة، بالمقارنة مع التركيب الاجتماعي المعقد للجنوب ككل، الذي تعرض لنزاعات قبلية وشخصية عديدة. والإدارة في العاصمة الأدنى سوف تكون بعيدة عن مثل هذه النزاعات والتوترات. وفي ضوء هذا التوازن والمزايا العديدة المرتبطة به، سوف يبقى المقترح على وحدة الإقليم، ممثلة في المجلس التنفيذي العالي، كسلطة عليا تقوم بمهام الأشراف العام والتنسيق بين المستويات المختلفة.

* ملامح التركيب المقترح:-

يتميز التركيب المقترح بالآتي:-

سوف ينشأ في كل من مناطق بحر الغزال والاستوائية وأعالي النيل جهاز تنفيذي إقليمي فرعي، يعرف بـــ(المجلس التنفيذي الإقليمي الفرعي) The Sub-Regional Executive Council ، يتكون كل منها من ثلاثة أعضاء: نائب لرئيس المجلس التنفيذي العالي وعضوين آخرين، بوضعية وزير إقليمي فرعي، يعينهم رئيس الجمهورية. والمجلس التنفيذي الإقليمي الفرعي سيرأسه نائب رئيس المجلس التنفيذي العالي. ولهذا الغرض سيكون هناك نائبان لرئيس المجلس العالي في المرحلة الأولى بدلاً من نائب واحد، أحدهما ليرأس المجلس التنفيذي الإقليمي الفرعي في بحر الغزال، والآخر ليرأس المجلس الفرعي في أعالي النيل. أما المجلس الفرعي في الاستوائية، فسوف يرأسه رئيس المجلس العالي، بحكم موقعه هناك. وفي المرحلة الثانية، سيكون هناك ثلاثة نواب، بمعدل نائب في كل إقليم.

أحد الوزيرين، الأعضاء في المجلس الفرعي في كل إقليم فرعي، سيكون مسئولاً عن الخدمات، وتشمل التعليم والصحة والإسكان، والثاني سيكون مسئولاً عن الشئون الاقتصادية والمالية والضرائب والإنتاج والتنمية.

رئيس المجلس الفرعي سيكون مسئولاً عن الإدارة الرشيدة في الإقليم الفرعي والأمن والخدمة العامة، وسيقوم بمهام رئاسة المجلس الفرعي حسب توجيهات حكومة الإقليم الجنوبي في جوبا.

تبنى الجهاز التنفيذي المقترح لا يضيف أعباء مالية كبيرة، وذلك لأن الوظائف الوزارية ستكون مماثلة لعدد الوزارات في المجلس العالي. ويمكن تحقيق ذلك، عن طريق تفعيل التعديلات الآتية:-

أ-إلغاء الوظائف الآتية:-

* نائب رئيس المجلس العالي في جوبا:- سيحلّ محله النائبان الجديدان، واحد في كل إقليم فرعي نيابة عن رئيس المجلس العالي.

* الشئون القانونية:- ستترك لكل إدارة للنظر في شئونها القانونية تحت إشراف رئيسها والشئون القانونية المركزية ستتحول لرئيس المجلس العالي.

* المالية:- ستحول أعباءها للإدارة الفرعية لضمان الكفاءة في القيام بمهامها الموكولة لكل إقليم فرعي.

* شئون الحكم اللامركزي:- هذه المهام ترتبط بأقرب إدارة فرعية.

* الإسكان والمرافق العامة:- خدمات ذات طبيعة محلية.

ب-دمج مهام الوزارات الآتية في المجلس التنفيذي العالي، بهدف تأكيد التخطيط والتنسيق وترك التفاصيل للإدارة الإقليمية الفرعية:-

* وزارة التربية والتعليم في جانب والصحة والرعاية الاجتماعية في الجانب الآخر، لتصبح وزارة واحدة باسم وزارة التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية، كما في الأقاليم الشمالية.

* وزارة حماية الحيوانات البرية والسياحة في جانب، والثقافة والإعلام في الجانب الآخر، لتصبح وزارة واحدة باسم وزارة الإعلام والسياحة. وهناك سوابق في ممارسة الحكومة المركزية.

* وزارة التعاون سوف تدمج في وزارة التجارة والتموين، ووزارة التنمية الريفية في وزارة الزراعة والموارد الطبيعية، كما في الحكومة المركزية في الخرطوم.

ج- إجراء تعديلات في مهام بعض الوزارات التابعة للمجلس العالي، على النحو الآتي:-

* وزارة التخطيط الاقتصادي، بدلاً من وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي الحالية.

*سيقوم الوزراء بمهام المستشارين الحاليين.

د- إعادة بناء المجلس العالي بعدد أقل في ضوء هذه المقترحات، وبما يلبي تنفيذ مهام التخطيط والتنسيق والقيادة العليا. وذلك على النحو الآتي:-

* رئيس المجلس سيعمل كرئيس للمجلس العالي وكرئيس للمجلس الفرعي للاستوائية في المرحلة الأولى، ثم الوزراء.

* وزارة التخطيط الاقتصادي.

* وزارة التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية.

* وزارة الزراعة والموارد الطبيعية.

* وزارة المواصلات والاتصالات.

* وزارة الإعلام والسياحة.

* وزارة الخدمة العامة والقوى العاملة.

* وزارة التجارة والتعاون والتموين.

*وزارة الصناعة والتعدين.

* وزارة التنسيق (في الخرطوم).

* وزارة شئون المجلس العالي.

* وزارة شئون مجلس الشعب الإقليمي.

ح- وضعية مجلس الشعب الإقليمي ستبقى كما هي، بمهامه وطريقة انتخابه. وبالإضافة إلى ذلك نقترح قيام مجلس استشاري من داخل مجلس الشعب الإقليمي، للقيام بإدارة الحوارات وتقديم المقترحات والتوصيات للمجلس الإقليمي الفرعي، والمجلس الاستشاري لا يمنح أي سلطات تشريعية، أما مجلس الشعب الإقليمي في جوبا، فيقوم بالإشراف على الجهاز التنفيذي، المجلس العالي والمجالس الفرعية.

* خلاصة:-

التركيب المقترح للجنوب سيكون كالآتي:-

* المجلس التنفيذي العالي: الرئيس و11 وزيراً، كما في القائمة أعلاه.

المجالس الإقليمية والفرعية: نائب رئيس المجلس العالي ووزيران في كل إقليم فرعي، كما موضح أدناه:-

نائب رئيس المجلس العالي ورئيس المجلس الفرعي في واو، مسئولاً عن الإدارة والأمن والخدمة العامة في بحر الغزال. إضافة لوزيرين، واحد للخدمات والثاني للتخطيط والمالية.

نائب رئيس المجلس العالي ورئيس المجلس الفرعي في جوبا، مسئولاً عن الإدارة والأمن والخدمة العامة في الاستوائية. بالإضافة لوزيرين، واحد للخدمات والثاني للتخطيط والمالية.

نائب رئيس المجلس العالي ورئيس المجلس الفرعي في ملكال، مسئولاً عن الإدارة والأمن والخدمة العامة في أعالي النيل. بالإضافة إلى وزيرين، للخدمات والتخطيط والمالية.

المجلس الاستشاري:- يتكون من الأعضاء المحترمين في مجلس الشعب الإقليمي وتتمثل فيه الأقاليم الفرعية الثلاثة. ويعمل كمجلس استشاري للمجالس

التنفيذية الفرعية لتقديم المشورة والتوصيات والمقترحات للمجالس الفرعية دون سلطات تشريعية.

جوزيف لاغو

نائب رئيس الجمهورية

الملحق (6)

مذكرة لرئيس الجمهورية

مجلس الشعب القومي

يوليو 1984، أم درمان

السيد/ المشير/ جعفر محمد نميري

رئيس جمهورية السودان الديمقراطية

قصر الشعب، الخرطوم

سيادة الرئيس

مرة أخرى نرى أن من واجبنا مخاطبتكم في قضية أساسية تهم حياة غير المسلمين في هذه البلاد، كما تعكسها التعديلات المقترحة في دستور 1973، التي وصلت الآن مرحلتها الأخيرة في مداولات مجلس الشعب القومي، فبعد تفكير عميق في هذه التعديلات، نرى أن تبنيها سوف يهدد وحدة الأمة التي حاول دستور 1973 تأكيدها وتعزيزها، إذ أنها تعمل على تهديد وجود مصالح مجموعات هامة من شعب السودان، وذلك عن طريق تمييز بين المواطنين في مجتمعنا المعروف بتعدده وتنوعه الديني والثقافي، وهذا الاتجاه يتضح بجلاء في التعديل المقترح للمادة الأولى، الذي يعلن السودان دولة إسلامية وهذا التوجه يسيطر على كل التعديلات المقترحة الأخرى ليؤدي إلى تدمير أهم عوامل وحدتنا الوطنية، القائمة على أساس (الوحدة في التنوع) كما هي مجسدة في دستور 1973.

سيادة الرئيس

من المهم أن نشير هنا إلى أن دستور 1973 قد أعلن بعد مرور أكثر من 18 عاماً من تحقيق الاستقلال في مطلع 1956، وهذا التأخير لفترة طويلة كانت له أسبابه المحدّدة. فقد تكونت لجنتان وانتخبت جمعيتان تأسيسيتان، خلال هذه الفترة، وذلك لمناقشة وصياغة دستور متفق عليه في بلد يتميز بالتعدد والتنوع الاثني والثقافي والديني، وتعمل كل مجموعاته الدينية والإثنية لحماية مصالحها المختلفة في

مواجهة محاولات بعضها السيطرة على البلاد وحرمان المجموعات الأخرى من حقوقها، ونشير أيضاً إلى أن استمرار الحرب الأهلية في الجنوب لأكثر من 17 عاماً كان تعبيراً حياً وعملياً لنضال مجموعة معينة، هي (جنوب السودان) من أجل حماية هويتها في إطار وحدة تحترم التعدد والتنوع بين الشمال، العربي المسلم في غالبه، والجنوب، الأفريقي (الزنجي) المسيحي الارواحي، بشكل رئيسي، وبعد فشل كل هذه المحاولات السابقة، جاء دستور 1973، في أعقاب اتفاقية أديس أبابا 1972، التي أنهت الحرب الأهلية وحققت السلام، بعد عامين فقط من ثورة 25 مايو 1969 وبيان التاسع من يونيو في نفس العام، وفي ضوء هذا التاريخ، كان لسيادتكم دور أساسي في إنهاء الحرب الأهلية في الجنوب وإقامة وضعية جديدة قادرة على حماية مصالح وتطلعات كل المجموعات المتعددة والمتنوعة في هذه البلاد.

سيادة الرئيس

عندما وضعت قوانين الشريعة أمام مجلس الشعب القومي في نوفمبر 1983، قمنا، نحن ممثلو المجموعات غير المسلمة، بتبنيه سيادتكم، بالتعبير عن اهتمامنا بحماية حقوقنا الثابتة، فطالبنا باستثناء هذه المجموعات من تطبيق القوانين الإسلامية، وقمنا بالانسحاب من مجلس الشعب القومي، عندما شعرنا بتجاهل وجهة نظرنا واستمرار المجلس في إجازة قوانين الشريعة. ومع أننا لم نستلم أي ردّ مباشر من سيادتكم، فقد هدأت تحركاتنا، عندما قام وزراء بارزون، كان من بينهم:- النائب العام وزعيم المجلس ورئيس لجنة التشريع والقوانين في المجلس، عندما اصدروا بيانات عامة تؤكد استثناء غير المسلمين، من قوانين الشريعة. ورغم أن هذه التأكيدات لم توثق بإدخالها في التعديلات المقترحة في الدستور، إلا أنها ساعدت في تهدئة مخاوف غير المسلمين، وخاصة بعد تكرار سيادتكم لذلك التأكيد في خطابكم الخاص بالذكرى السابعة والعشرين للاستقلال، ومرة أخرى في ذكرى يوم الوحدة في مارس 1984، حيث أكدتم أن قوانين الشريعة لن تطبق على غير المسلمين،

وبذلك انتهت المشكلة، ولكن، اكتشفنا أن ذلك كان مجرد مناورة سياسية لا قيمة لها وأصبحت معروفة لكل الدنيا، فقد أصابتنا الدهشة ونحن نشاهد أحداثاً مخيفة ومسيئة لكرامة الإنسان:- الجلد بالسياط وقطع الأيدي والقطع من خلاف وتطبيق الحدود الدينية في مكان عام ودون تمييز بين المسلمين وغيرهم، وبالإضافة إلى ذلك، اندهشنا لقفز عناصر الأمن في منتصف الليل في داخل بيوت الأسر، بحثاً عن شكوك، وكل ذلك يمثل أحداثاً مزعجة تنذر بخطر عظيم لا يمكن السكوت عليها من قبلنا كممثلين للشعب، ولذلك نرفع صوتنا ونعبر عن اهتمامنا بما يجري.

سيادة الرئيس

إن أي دستور يحكم مجتمعاً متعدداً ومتنوعاً، مثل مجتمعنا، يجب أن يكون دستوراً موحداً يساوي بين المواطنين وليس العكس، يدعم عوامل الوحدة والتماسك بتوفير الفرص المتساوية والحريات الأساسية لكل المواطنين وليس بالتمييز بينهم على أساس الدين والعرق والثقافة...الخ وفي رأينا أن الوحدة يمكن حمايتها وتعزيزها فقط إذا تحققت الشروط الآتية:-

المساواة في الحقوق بين المواطنين.

إشاعة الحريات لكل المواطنين على أسس متساوية.

الاحترام المتبادل بين المواطنين بمختلف دياناتهم وأعرافهم وثقافاتهم وقيام الدولة بتمكين ذلك.

احترام التعدد الديني والثقافي واللغوي...الخ.

المساواة في الفرص المتاحة لكل المواطنين للمشاركة في الحكم وكل الوظائف والمواقع، بما في ذلك أعلى المناصب في الدولة، دون تمييز بسبب الدين والعرق والثقافة والأصل...الخ.

إن التعديلات المقترحة في دستور 1973، تقوم بكل أسف، على إلغاء كل هذه الحقوق والحريات المشار إليها أعلاه، بل تعمل على تأكيد وتعزيز عدم المساواة وسط المواطنين على أساس الدين، وبالتالي تعريض غير المسلمين لكآفة أشكال

القمع والاضطهاد السياسي والاجتماعي. وبذلك يصبح الدستور أداة لفرض أوضاع ظالمة وغير عادلة.

سيادة الرئيس

لقد بذلنا كل الجهود الممكنة للمحافظة على وحدتنا الوطنية. ولكننا لم نجد استجابة إيجابية. ولذلك نلفت نظر سيادتكم إلى أن أي محاولة لتمرير التعديلات المقترحة بالأغلبية الميكانيكية، سوف تؤدي فقط إلى إثارة الفوضى وعدم الاستقرار في البلاد، ولذلك، فإننا، نيابة عن المجموعات غير المسلمة في البلاد وكممثلين لجماهير شعبنا، نعلن هنا رفضنا للتعديلات المقترحة في دستور 1973، بسبب انحرافها وارتباطها بدين معين وتمييزها بين المواطنين على أساس الدين. نرفض هذه التعديلات، لأنها تقوم على فرض دين واحد، هو الإسلام، على كل البلاد، وفي هذا المنعطف الحاد في تاريخ بلادنا، نرى أن علينا أن نركز جهودنا في بناء جسور الثقة والتفاهم بين مجموعات شعبنا المتعددة والمتنوعة، بهدف تدعيم وتعزيز وحدتنا الوطنية، التي حققناها بتضحيات غالية، وترتيب أوضاعنا الاقتصادية المتدهورة، أكثر من فرض قوانين وتعديلات دستورية ستؤدي فقط إلى تفتيت بلادنا وتمزيقها.

وكلنا ثقة في اهتمامكم بهذه المذكرة ولكم فائق التقدير والاحترام.

* الموقعون:-

1- إليجانق موي نيونق	15- ألدو أجو دينق
2- مادوت ريحان	16- رتشارد بابيرو
3- كاميلو مانجي أمانقا	17- فيرونيكا لويس
4- أميريو مازينو أنجيل	18- بول لانقا
5- كريزيكيا شول	19- سفرينو فولي
6- زكريا مانيل مالاك	20- ماكير كور
7- كرستينا أيان	21- جون فولي
8- لورانس لوال دينق	22- أندرو بوث

9- وليام أجال دينق

10- اوغستينو أقاي دوت

11- إليا دوياني أروب

12- قبرائيل ماثيانق روك

13- لوكا مونوجا

14- ميري سرسيو أيرو

23- فيليب بالات

24- حسن موبيل

25- زينب أكيو

26- فيليب بونا

27- دانيال أنجيلو كودى

* صورة إلى رئيس مجلس الشعب القومي.

* صورة إلى زعيم المجلس.

الملحق (7)

مذكرة إلى نائب الرئيس الأمريكي

مذكرة لنائب الرئيس الأمريكي:-

جورج بوش أثناء زيارته للخرطوم في مارس 1985.

نرحب بكم سيادة نائب الرئيس جورج بوش، مرة أخرى في السودان وفي مكتبي. إنه لشرف عظيم أن تكون زيارتكم لمكتبي هذا جزءاً من برنامج زيارتكم للسودان، إن زملائي الجنوبيين يقدرون زيارتكم للسودان ويفترضون أن حكومتكم تنظر بقلق للمشاكل التي تواجه شعبنا وللأوضاع السائدة في الجنوب. فبالنسبة لهم، فإن اجتماعكم معي في هذه الساعة يمثل حدثاً هاماً. وذلك لأنكم تجتمعون مع قائدهم.

عزيزي، أنت صديق لأن بلدكم وشعبكم ظلَّ يواصل صداقته معنا منذ أن توصلنا إلى اتفاقية أديس أبابا في عام 1972. ومع أنه لم يكن هناك تمثيل دبلوماسي بين البلدين في ذلك الوقت، فقد قامت حكومتكم بتقديم مساهمات كبيرة في عمليات التوطين وإعادة تعمير الجنوب. لقد جئتم لدعم شعبنا ومساعدته بعد عودته من الغابة والبلدان المجاورة. وحتى الآن، عندما نواجه كوارث جديدة تمتد آثارها لكل السودان، يكون بلدكم في مقدمة من يتقدمون لمساعدتنا. لذلك أنت صديقنا، وكذلك بلدكم، بدءاً من الرئيس حتى جماهير شعبه، هم أصدقاؤنا نحن السودانيين.

إننا لا نخفي مشاكلنا على أصدقائنا. ففي الجنوب، هناك مشكلة رئيسية، مشكلة التخلف والتأخير. وأي مساعدة ملموسة من شعب صديق سوف نستخدمها بشكل أفضل، إذا اتجهت لرفع مستوى جماهير شعبنا، وإذا استخدمت في مساعدتهم لتطوير أوضاعهم واللحاق بزملائهم في الشمال، الأكثر تطوراً منهم، وبالتحديد يحتاج الجنوب إلى بنيات أساسية. ولذلك اعتقد أن الأولوية يجب أن تعطى لبناء

الطرق، ثم تطوير النقل النهري وكهربة مدننا. فليس هناك مدينة في الجنوب تملك توليداً كهربائياً كافياً.

وعلاقة الشمال/الجنوب هي المشكلة التي ظلت تقلق شعبنا لسنوات طويلة. فالشمال يقوم بالتدخل في تطور الجنوب وتقدمه. لذلك ظل الجنوب يمثّل مسرحاً للحرب، والمشاكل المرتبطة بهذه الناحية هي مشاكل ثقافية وعرقية.

في اتفاقية أديس أبابا هناك تدابير وإجراءات لتنمية ثقافات وعادات وتقاليد شعب الجنوب. واعتماد الشريعة الإسلامية في الفترة الأخيرة لحكم البلاد سياسياً واجتماعياً وثقافياً، يعتبر نكسة وتراجعاً عن وجهة نظر السودانيين الجنوبيين، لأن ذلك يستهدف تهميش الجنوبيين ووضعهم في مرتبة أدنى من الشماليين، أي اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، وبالطبع لا يمكن قبول ذلك ولا يمكن أن نقبل بمعاملتنا كأقلية، فالجنوبيون يعلمون، كما يعلم الجميع، بأنهم يشكلون ثلث سكان البلاد ويعيشون في منطقة جغرافية محدّدة، هي جنوب السودان، وهم يرون أن القيادات السياسية الشمالية ليست جادة في قضية الوحدة الوطنية، طالما ظلّت تستمر في فرض القوانين التي تقسم وتفرق أبناء الشعب الواحد، وهذا التوجه يؤدي إلى تعقيد الأوضاع أكثر وأكثر.

بالنسبة للامركزية في السودان، خاصة في الجنوب، فقد قبل معظم الشعب مبدأ اللامركزية، بحكم قدرتها على تخفيف النزاعات بين السكان. ففي داخل الجنوب نفسه هناك مشاكل اثنية، لم نعالجها في اتفاقية أديس أبابا. ولكن القرار والطريقة التي طبق بها لم تشمل هذه المشاكل، كما توقع الناس. ويبدو الآن أنها تهدد اتفاقية أديس أبابا نفسها. والإجراءات التي توصلنا إليها في قانون الحكم الذاتي الإقليمي لسنة 1972، تبدو أكثر ديمقراطية من إجراءات قانون الحكم الإقليمي لسنة 1980، ولذلك يفضل الجنوبيون التمسك بقانون 1972 وتطبيق اللامركزية في إطاره.

أما النفوذ الشيوعي في البلاد، فذلك ليس مجال اختصاصنا. ولكن، الجنوبيون ليسوا شيوعيين وقليلين منهم يعرفون الشيوعية. والقيادات الحالية في حركة تحرير

شعب السودان اعرفها جيداً. فقد عملوا معي جميعهم في مواقع مختلفة، بما في ذلك زعيمهم جون قرنق. والأخير أوصيت باختياره وإرساله للدراسة في إحدى الأكاديميات العسكرية الأمريكية. ووقتها لم يكن يظهر أي شيوعية.

إذا بدأت هذه القيادات تظهر ميولاً نحو الشيوعية وبناء حركة شيوعية، فقد يكون ذلك لتأثير الظروف الجديدة المحيطة بها. وقد يجبرون إلى ذلك للحصول على الدعم والمساعدة المطلوبة لعملهم، والطريق لمواجهة هذه الوضعية يتمثل في القضاء على الأسباب التي أدت إلى تجدد الحرب والنزاع بين الشمال والجنوب. وهو أمر ممكن، لأن مشكلة الجنوب الأساسية هي المساواة والعدالة، تماماً مثل مشكلة السود في الولايات المتحدة ومطالبتهم بالحقوق المدنية في فترة سابقة.

التوقيع

جوزيف لاغو

نائب رئيس الجمهورية

القصر الجمهوري، الخرطوم

مارس 1985

الملحق (8)

منشورات وبلاغات من حركة تحرير

شعب السـ‍ــــــــودان SPLM

جيش تحرير شعب السودان SPLA

قام جيش تحرير شعب السودان بعمليات في مركز الشركة الفرنسية CCI عند الكيلو 215 وتمكن من القبض علي عدد من الرهائن، الذين يشترط إطلاق سراحهم بالشروط الآتية:

يجب أن تعترف الحكومة الفرنسية بحركة تحرير شعب السودان وقائدها العظيم دكتور جون قرنق دي مبيور.

علي الشركة الفرنسية والحكومة الفرنسية إيقاف عمليات حفر قناة جونقلي والتنقيب عن البترول بواسطة شركة توتال.

الوقف الفوري لإنشاء خط أنابيب البترول من بانتيو حتى بورتسودان.

إلغاء قوانين الشريعة وتأكيد حرية النشاط المسيحي والأديان الأخرى. وإرجاع الممتلكات المصادرة الخاصة بالكنيسة البروتستانتية في الخرطوم وإشاعة حرية العبادة للمسيحيين.

إطلاق سراح كل المعتقلين السياسيين (الجنوبيين والشماليين) خلال 48 ساعة وترحيلهم إلى ليبيا.

أي محاولة لإطلاق سراح الرهائن بالقوة ستهدد حياتهم، وسوف نقوم بضرب أي طيارة مدنية أو عسكرية تقوم بمتابعتنا أو مهاجمتنا.

سوف نضطر لقتل الرهائن إذاً لم يتم تنفيذ هذه الشروط خلال 48 ساعة.

جيش تحرير شعب السودان SPLA .

* وفي وقت لاحق استجابت الشركة الفرنسية CCI لإعلان جيش تحرير شعب السودان. وجيش التحرير يؤكد ذلك بالإعلان التالي:-

إلى الشركة الفرنسية CCI :-

بالإشارة إلى مناشدتكم بالحفاظ على حياة الرهائن المحتجزين بطرفنا، نؤكد لكم، كل التأكيد، بأننا لسنا إرهابيين نقتل المدنيين الأبرياء دون جريمة أو محاكمة عادلة. فتقاليدنا تقوم على احترام حقوق الإنسان، الذي دفعنا لحمل السلاح والقيام بالنضال المسلح ضد ديكتاتورية حكومة الرئيس نميري. ولذلك قررنا إطلاق سراح الرهائن بدءاً من اليوم، وكلنا ثقة في أن شركة CCI والحكومة الفرنسية ستواصلان ثقتهما فينا، كما عودتانا في وقوفهما على الدوام مع نضالنا العادل.

وبعد ذلك صدر منشوران، يحتويان على بيانات وإعلانات هامة، ووزعا بواسطة جيش تحرير شعب السودان:-

* بيان للشعب السوداني حول تأسيس جيش تحرير شعب السودان SPLA من العقيد جون قرنق دي مبيور، رئيس اللجنة التنفيذية المؤقتة لحركة تحرير شعب السودان والقائد العام لجيش تحرير السودان. وهذا نصه:-

* إلى الوطنيين والمخلصين والزملاء وأبناء الشعب:

إن تاريخ الشعب السوداني، منذ عهود سحيقة، هو تاريخ نضال الجماهير ضد القمع والاضطهاد الداخلي والخارجي. فقط ظلت القوى المستقلة، طوال الفترات السابقة، تقوم بانتهاج سياسات وأساليب متنوعة لأجل إضعاف وتخريب نضال هذه الجماهير العادل، بما في ذلك سياسة (فرق تسد) سيئة السمعة. ولتحقيق هذا الهدف، ظلت القوى المستقلة تقسم الشعب السوداني إلى شماليين وجنوبيين. وفي الشمال نفسه ظلوا يقسمون جماهير شعبنا إلى مجموعات أولاد الغرب، الشرق، الحلفاويين وما يسمى (أولاد البلد) الذين ظلوا يسيطرون على السلطة في الخرطوم. وفي الجنوب ظلوا يضللون الجماهير ويرتبونها على أسس قبلية، والآن تطرح شعارات رذيلة، مثل: الاستوائية الكبرى، مجموعة الناطقين بلغة الباري، وحدة الدينكا ووحدة لوو Lou الخ... وهذه القوى تقسمنا أيضاً إلى مسلمين ومسيحيين، وعرب وأفارقة

وتقسيمات أخرى عديدة. وغداً، عندما تفقد تلك التقسيمات أهميتها، ستقوم باختراع تقسيمات أخرى تعمل كلها على تفتيت وحدة الشعب ووحدة نضاله العادل وبالتالي إضعافه وتخريبه.

أبناء شعبي الأعزاء:-

لذلك كان من الطبيعي أن تقوم الحركات الانفصالية والنزعات الشوفينية، التي نمت وتطورت، في فترات سابقة، في مناطق السودان المختلفة، كان من الطبيعي أن تقوم هذه الحركات والنزعات بتمزيق وحدة الشعب وتكريس معاناتها ووضع صعوبات عديدة في طريق نضالها. ولذلك قام جيش تحرير شعب السودان لقيادة المقاومة المسلحة ضد ديكتاتورية نميري وحكم الفرد واللانظام، وتنظيم كل جماهير الشعب السوداني، تحت قيادة حركة تحرير شعب السودان. ومن خلال النضال المسلح والمتواصل، الذي يقوده جيش تحرير شعب السودان، وتعبئة جماهير الشعب، بقيادة حركة تحرير شعب السودان، سوف تقضي على كل محاولات القوي المستغلة والمضطهدة لتفتيت وأضعاف جماهير الشعب السوداني، وبالتالي منعها من تحقيق مخططها المعلن والوشيك لتمزيق وتفتيت بلادنا.

يا جماهير شعبنا

أن حركة تحرير شعب السودان تؤمن، أيماناً مطلقاً، بوحدة الشعب السوداني، وبأن القمع والاضطهاد ونضالنا العادل يشكلان تاريخنا الطويل، وهو الذي طوّر شعبنا إلى أمة وسوداننا إلى دولة. فقد ظل جميع السودانيين يعانون ويواصلون نضالهم ضد استغلال تجارة الرقيق وقمع واضطهاد الحكم التركي المصري والاستعمار الإنجليزي المصري. وفى مطلع عام 1956 تمكنت بلادنا من تحقيق استقلالها الرسمي والدخول في مرحلة جديدة، وهي مرحلة الكولونيالية الجديدة. ومنذ ذلك الوقت تمكنت عصابة طفيلية صغيرة، استفادت من ظروف الأنظمة المستغلة في فترات ما قبل الاستقلال، تمكنت من السيطرة على أدوات الاستغلال

والاضطهاد، ممثلة في جهاز الدولة، وتسخيرها لمصالحها الخاصة وفى مواجهة مصالح غالبية جماهير الشعب السوداني. وقامت هذه العصابة الصغيرة باستخدام التعدد الديني والعرقي في المجتمع السوداني لتكريس وترسيخ سيطرتها وإبقاء شعبنا في ظروف التأخر والتخلف المربع- أن جيش تحرير شعب السودان يعي بشكل كامل الأساليب المختلفة، التي ظلت تستخدمها هذه العصابة لتمزيق وحدة شعبنا. ولذلك أوضحنا، بشكل جلي، في مانفستو الحركة SPLM والجيش SPLA أن نضالنا لن يكون عرقياً أو دينياً بأي حال من الأحوال. فالحركة الشعبية والجيش الشعبي يناضلان من أجل تنمية متكافئة لكل القوميات وحرية العبادة لكل الأديان دون أي تحيز أو إجحاف.

أبناء شعبنا

أن النظام الكولونيالي الجديد، الذي نمي وتطور في بلادنا منذ 1956 والمجسَّد الآن في نظام نميري منذ 1969، هو نظام تمكنت فيه مجموعة محدودة من المجتمع بمراكمة ثروات كبيرة على حساب إفقار غالبية جماهير الشعب. وهذا الظلم والإجحاف أدى إلى أزمات وتشوهات حادَّة في اقتصاديات بلادنا وفى وضعها السياسي وأخلاقياتها وحتى في أديانها، التي حولها نميري إلى سلعة تجارية. وأهم هذه الأزمات تتمثل الآن في الآتي :-

تدهور الإنتاج والإنتاجية، خاصة في السلع الأساسية، مثل الذرة والقمح والسكر، وارتفاع معدلات العطالة التي أدت إلى عدم الاستقرار والهجرات الواسعة.

التضخم الجامح ومشاكل العملة الوطنية والمديونية الخارجية، التي وصلت إلى 11 مليار دولار، وترسيخ علاقات التبعية الناتجة عن ذلك.

ج) الندرة الحادة وتدهور الخدمات في كل أنحاء بلادنا، خاصة في المناطق الريفية.

د) الإفلاس الاجتماعي والأخلاقي، الذي ينعكس في مؤسسة الفساد والنهب والسرقة، وفى خوف المواطنين المتواصل من أن تعتقلهم أو تقبض عليهم مؤسسة أمن الدولة أو مؤسسة (الكشة) سيئة السمعة.

كل هذه الأزمات وغيرها امتدت آثارها إلى أغلبية جماهير شعبنا في مختلف بقاع بلادنا ودفعتها إلى سلسلة لا نهاية لها من المعاناة اليومية والفقر المدقع- ولا مخرج من هذه الأوضاع المذرية إلا بالقضاء على نظام نميري، نظام الفرد الواحد، وقبره إلى الأبد.

يا جماهير شعبنا

أن هذا القمع والاضطهاد والتجاهل العام، الذي وجدته جماهير شعبنا من عصابات الخرطوم المتعاقبة، اتخذ أشكالاً خاصة في الثلث الجنوبي من بلادنا.
أولاً:- كان التمييز الديني والعرقي هناك أكثر كثافة واتساعاً. ولذلك كان الشعور بثقله في الجنوب أكثر من المناطق الأخرى.

ثانياً:- ظلت مشاريع التنمية في الجنوب ، مثل مشاريع سكر ملوط ومنقلا وكناف التونج ومصنع البيرة في واو ونسيج أنزارا ومنقلا وغيرها، ظلت هذه المشاريع حبراً على ورق، بسبب نهب مخصصاتها من قبل العصابة المسيطرة على الخرطوم، بمشاركة الحكومات الإقليمية في الجنوب أو عجزها عن مواجهة حكامها- والمشاريع التنموية التي نفذت في الجنوب كانت قليلة ومن النوع الذي لا يفيد سكانه، مثل إنتاج البترول في بانتيو بواسطة شركة شيفرون الأمريكية وتوفير المياه من خلال قناة جونقلي. ونتيجة لكل ذلك، تكدست أوضاع التهميش والتأخر والتخلف الاقتصادي الاجتماعي في الجنوب، بل تعمقت واتسعت.

يا جماهير شعبنا

أن أعباء ونتائج هذا التجاهل والقمع والاضطهاد، تحملته، بدرجة، أساسية، جماهير شعب الجنوب أكثر من المناطق الأخرى في بلادنا- وفى ظلّ هذه الظروف

تضاءلت إمكانيات الثورة هناك. فأصبحت ضعيفة أو حتى معدومـــة، لأنها تعتبر تمرداً. ورغم ذلك يقوم رئيسكم المجنون، نميري، ونائبه عمر محمد الطيب، المنافق والكذاب، بقمع الجنوبيين وإثارتهم وتحريضهم للثورة والحرب الأهلية.

والأحداث التالية تؤكد تجدد الحرب الأهلية في السودان :-

فقد بدأ نميري بشكل منظم في خرق اتفاقية أديس أبابا، حيث قام بشكل منفرد، ودون أي سند دستوري، بحلٍ مؤسسات الحكم الذاتي الإقليمي في الجنوب الواحدة بعد الأخرى خلال السنوات 1983/81/80.

وقع اتفاقية تكامل مع مصر، وذلك لحماية نفسه في مواجهة أي عصيان في الجنوب أو المناطق الأخرى. وذلك أيضاً دون أي سند دستوري.

حاول، بطريقة غير دستورية، ودون نجاح، تغيير حدود الإقليم الجنوبي في عام 1980 من خلال مجلسه التشريعي الإقليمي. وكان يريد حرمان الجنوب من المناطق الغنية بالبترول والثروات المعدنية والأراضي الزراعية الخصبة، مثل حفرة النحاس و كافياكنجي وشمال أعالي النيل وبانتيو وغيرها- والموارد الطبيعية، حيثما اكتشفت في السودان، يجب أن تكون لمصلحة الشعب السوداني بكامله. وبالتالي، فإن وجودها في الجنوب يجب أن لا يثير أي شكوك في عقول الوطنيين والمخلصين من أبناء السودان- ولكن نميري يملك الكثير الذي يثيره، لدرجة أنه يحاول نزع تلك المناطق من الجنوب عن طريق تشريعات خاصة- ومثل هذا السلوك يمكن تفسيره فقط بعدم أيمانه الحقيقي بوحدة السودان، وعدم ثقته في السودانيين الجنوبيين، في مقابل أيمانه واقتناعه الكلي بسيطرة عصابته الشوفينية.

ومرة أخري اكتشفت شركة شيفرون في 1978 وجود البترول في منطقة بانتيو، على بعد 450كم جنوب غرب الخرطوم، وبدلاً من أن يعلن نميري الحقيقة بوجود البترول في تلك المنطقة وبأنه ملك للسودان كله، ظلّ يواصل مناوراته في إنشاء مديرية جديدة بإسم (مديرية الوحدة) ومن ضمنها منطقة بانتيو وأب ياي وكادوقلي، لتكون تحت أشرافه المباشر، كحاكم وحيد لمنطقة البترول- وعندما فشل

في ذلك، لجأ إلى مناورة أخري، لبناء مصفاة البترول في كوستي بدلاً من بانتيو- وفى النهاية قرر نقل البترول عن طريق بورتسودان، دون أي اعتبار لمصلحة الشعب السوداني، في الشمال والجنوب على السواء.

هـ) أكمل نميري خروقاته لاتفاقية أديس أبابا بإثارة مسألة إعادة تقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم صغيرة، تماشياً مع نهجه في سياسة (فرق تسد.) وفى ذلك ضرب ببضائع مستشارية عرض الحائط، وخاصة نصائح كبار ضباطه. فأعلن تقسيم الجنوب في يونيو 1983، بشكل فردي، دون وضع أي اعتبار لرأي حلفائه في الداخل والخارج.

في كل هذه الخروقات والاستفزازات، كان نميري يعمل لتضيق الخناق حول عنقه. فكما يقول المثل الشعبي:- إن السارق والمحتال ينتهي بمحاصرة نفسه. ففي 1972 وافق نميري باستيعاب 6.000 من قوات الأنيانيا في جيشه ووضعها في الجنوب- وقامت هذه القوات بمعارضة سياساته منذ ذلك الوقت وبدأت تصبح عقبة كأداة في طريق محاولاته للسيطرة. ولذلك قرر القضاء عليها، من خلال نقلها للشمال بشكل عاجل، حيث يمكن حجزها هناك وتحييدها- ولكنه فشل في خدعته بحرمان الجنوب من المقاومة المسلحة.

يا أبناء وطني

لقد أدت خروقات نميري واستفزازاته وغباواته وطيشه في تعامله مع الجنوب إلى انفجار تمرد أكوبو في عام 1975، الذي أدي إلى ظهور حركة الأنيانيا الثانية، وتمرد واو في 1976، وذلك بالإضافة إلى أحداث تفجيرات عديدة راحت ضحيتها أعداد كبيرة من الأرواح- ثم حادثة أريات في يناير 1983 ومشاكل بور وبيبور وباشالا في مايو 1983. ومشاكل مالو Malou في نفس الشهر- ومشاكل أيود Ayod ووات Waat في يوليو 1983. والقبض على رهائن في بوما وصراعات أب ياي وبانتيو. وفى النهاية ميلاد جيش تحرير شعب السودان SPLA وحركة

تحرير شعب السودان SPLM كأرقى أشكال النضال المسلح والنضال السياسي في السودان .

أبناء شعبنا الأوفياء

من كل ما قلته هنا، يبدو واضحاً وطبيعياً أن حركة طليعية لتحرير عموم شعب السودان قد بدأت من جنوب السودان. والواقع أن أي نضال مسلح يجب أن يجد نقطة انطلاقه في الحاجات والمطالب المخلصة والمباشرة لجماهير الشعب. وهذا ما حدث في الجنوب في عام 1955- ولكن الرجعيين قادوا النضال المسلح وانتهوا به إلى تسوية رجعية في عام 1972- ومرة أخرى، حدث ذلك في الجنوب في 1975 وقادته أيضاً العناصر الرجعية ممثلة في حركة الأنيانيا الثانية. وحدث نفس الشيء في الجنوب في 1983. ولكن هذه المرة ، يقوده الثوريون، كطليعة لعموم الشعب السوداني. انطلاقاً من وحدة الشعب السوداني ووحدة وسيادة السودان، فإن النضال المسلح في الجنوب يجب أن يشمل، في النهاية، السودان بكامله.

أن فوضي الإنتاج والتوجهات والنزعات الانفصالية في مختلف أقاليم بلادنا الحبيبة، والتحلّل الأخلاقي، وكل الأمْراض التي أشرت إليها، كل هذا يمكن مواجهته في إطار سودان اشتراكي موحد، يؤكد الحقوق الديمقراطية وحقوق الإنسان لكل القوميات ويلتزم بحرية الأديان والمعتقدات ووجهات النظر المختلفة. والسودان الاشتراكي الموحد يمكن تحقيقه فقط عن طريق النضال الثوري المسلح والمتواصل، لأن النضال السلمي ظلّ يواجه، على الدوام، بكافة أشكال القمع والاضطهاد وقتل أبناء شعبنا الأبرياء.

أبناء شعبنا

من خلال النضال الثوري المسلح والمتواصل، تمكن جيش تحرير شعب السودان من تنظيم نفسه وتحقيق انتصارات هامة. ففي أولي عملياته، بعد 16 مايو 1983، قام باحتلال حامية ملوال قاهوث Malwal Gahoth وتدميرها في 17 نوفمبر 1983. وفى هذه المعركة خسر العدو 120 قتيلاً و60 جريحاً وإسقاط

طيارة هليكوبتر، بينما خسر الجيش الشعبي 2 قتلى و30 جريحاً . وكذب عمر الطيب، عندما قال أن الجيش الشعبي خسر 430 قتيلاً. وأي جندي يعرف أن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً. فكم يا ترى كان حجم القوة المهاجمة؟ فملوال قاهوث حامية صغيرة، لا يمكنها أن تقدم حتى 200 جندي في أي هجوم- وقوتنا المهاجمة كانت 150 جندياً فقط. وبعد هذا الهجوم، بدءاً من 12 ديسمبر 1983، قامت قوات الجيش الشعبي باحتلال الشاطئ الشرقي لمدينة الناصر، عاصمة مديرية السوباط، لفترة امتدت لسبعة أيام- وهناك خسر العدو 267 قتيلاً و173 جريحاً وإسقاط 3 طيارات هوليكبتر وتدمير 3 مراكب نهرية وسيارة مسلحة ولاندروفر قائد المنطقة، بينما خسر الجيش الشعبي فقط 3 قتلى و9 جرحى- ونميري وعمر الطيب يخفون بالطبع هذه الحقائق ولا ينشرونها . ولكنها الحقيقة، التي يعرفها المواطن العادي في الخرطوم، من خلال صيوانات العزاء في وفاة الضباط والجنود، المنصوبة في المدن الثلاث. وكقائد عام لجيش تحرير شعب السودان، قمت بقيادة وتوجيه معارك ملوال قاهوث والناصر- وهذه المعارك الهامة والانتصارات الكبيرة التي حققناها، تبشر بانتصارات عديدة للشعب السوداني سيحققها الجيش الشعبي في القريب العاجل.

أبناء شعبنا

وفى هجومه الثاني، بدءاً من 1984/2/8 حتى قذف مدينة ملكال في 1984/2/22، قامت وحدات الجيش الشعبي، تحت قيادة المقدم كاربينو كوانين بول والمقدم وليام نون باني والملازم كاواك ماكوي، بهجومات مباغتة، شملت أيود، CCI في كيلو 215 على قناة جونقلي، رئاسة CCI في السوباط، وباخرة يوستة في واثكي Wathkei. وفى هجومه الثاني هذا، قام الجيش الشعبي بتوجيه ضربات لنظام نميري لم نتبين خسائرها- وخلال أسبوعين فقط خسر جيشه 2069 قتيلاً و490 جريحاً، بينما خسر الجيش الشعبي 30 قتيلاً و59 جريحاً- وحطمنا 9 دبابات تي 55، 8 APC، 8 مجروسات تابعة لجيش الحكومة، شاحنة تابعة لـ CCI،

طيارتين صغيرتين Cesna، 2 بلدوزر، 2 باخرة نيلية، 2 محطة بنزين، ونش كبير، كميات كبيرة من الأدوية والمعدات الطبية وخطوط اتصالات. وحجم هذه الخسائر وأهمية وجود جيش نميري، أجبر الشركة الفرنسية CCI، لإيقاف عمليات الحفر في قناة جونقلي، كما أجبر شركة شيفرون لإيقاف كل عملياتها في الجنوب. وبعدها لم يكن لنميرى أن يستمر في خداع الشعب السوداني بأن التنقيب عن البترول وحفريات قناة جونقلي بعيدة عن أي خطر- وعندما يحرر الجيش الشعبي بلادنا، تحت قيادة حكومة الحركة الشعبية، سوف يتم تطوير النفط والمياه لمصلحة عموم أهل السودان.

أبناء شعبنا

سيواصل جيش تحرير السودان عملياته لتدمير نظام نميرى والنميرية أو أي نظام آخر تقوده أقلية أخري في الخرطوم، حتى تتحقق وحدة السودانيين المخلصين وحتى ينقل الجيش الشعبي دماءاً اشتراكية كافية في عروق اتحاد نميري الاشتراكي- فتماماً كما فعل مع الإسلام، قام نميرى بتحويل الاشتراكية أيضاً إلى سلعة يتاجر بها من أجل البقاء في السلطة.

أننا نعلم أن إعلان ألتزام حركة/ جيش تحرير شعب السودان بالاشتراكية وكحركة اشتراكية، سيحرك نميرى لوصفنا كشيوعيين . وهذا في الواقع نوع آخر من الدعاية الرخيصة، التي يلجأ إليها نميرى لكسب التأييد والدعم المادي من العالم الغربي. فهو نفسه يسمي نفسه اشتراكياً، كما هو واضح في إسم حزبه الحاكم الوحيد. فهل يعتبر نفسه شيوعياً؟

أبناء شعبنا

أن محتوي اشتراكيتنا لا يمكن تحديده ميكانيكياً ومن ثم مساواته بالشيوعية، كما يريد نميرى للغربيين أن يفهموا- فخصوصية الاشتراكية في السودان وتماسك محدداتها، سوف تستمر مع استمرار النضال المسلح ومع تطبيق البرامج الاقتصادية

الاجتماعية خلال وبعد الحرب وانطلاقاً من الشروط الموضوعية في الواقع السوداني.

أبناء شعبنا

إنها ليست المرة الأولى التي يقوم فيها نميرى، وأنظمة الأقلية الأخرى المسيطر في الخرطوم، بتشويه وابتزاز الحركة السودانية في الجنوب. ففي الحرب الأهلية الأولى، كانت دعايات نميرى تتهم حركة الأنيانيا بأنها (صنيعة إمبريالية) وأن قياداتها مجرد أدوات في أيدي الدول الغربية. وذلك لأن انتهازيته في تلك الفترة كانت تربطه مع موسكو. أما اليوم، فقد تحوّل الاتهام إلى وصف حركة/جيش تحرير شعب السودان ك (صنيعة شيوعية) وأن قياداتها مجرد أدوات في أيدي المعسكر الشرقي وأثيوبيا وليبيا- وذلك لأن انتهازيته تشدّه هذه المرة إلى واشنطن. وفى كل هذه الدعايات الفارغة، يهمنا أن نركز على حقيقة أن نميرى وأنظمة العصابة المسيطرة في الخرطوم هم الذين يتحملون المسؤلية المباشرة وغير القابلة للتأويل في إشعال كل الحروب الأهلية في السودان.

أبناء شعبنا

وفى النهاية أكرر لكم أن شعارات حركة/ جيش تحرير شعب السودان تتمثل في الوحدة الوطنية والاشتراكية والحكم الذاتي (حيثما وأين ما كان ذلك ضرورياً) والحرية الدينية. إن أيماننا والتزامنا بتلك الشعارات لا يقبل الشك. وحركة/جيش تحرير شعب السودان ترحب وتمدّ يدها لكل الوطنيين والاشتراكيين السودانيين. فالحركة والجيش الشعبي تنتميان لعموم الشعب السوداني وسوف تقاتل وتناضل بلا هوادة من أجل وحدته وسلامه وتقدمه.

عاشت وحدة الشعب السوداني

عاش نضال الشعب السوداني

عاش جيش تحرير شعب السودان

عاشت حركة تحرير شعب السودان

العقيد/ دكتور جون قرنق دي مبيور

رئيس اللجنة التنفيذية المؤقتة لحركة تحرير شعب السودان

والقائد العام لجيش تحرير شعب السودان

- خطاب إلى سفير جمهورية مصر العربية في نيروبي، كينيا، من جوزيف أدوهو، رئيس لجنة الشئون السياسية والخارجية، حركة تحرير شعب السودان.

* إلى سعادة سفير جمهورية مصر العربية في كينيا، نيروبي، كينيا

أن قيادة حركة تحرير شعب السودان، انطلاقاً من رغبتها في احترام أداب السلوك الحضاري، تنقل لحكومة جمهورية مصر العربية قرارها بقيام جناحها العسكري، جيش تحرير شعب السودان، لمراقبة وقف العمل في حفر قناة جونقلي بشكل فوري، بدءاً من يوم القبض على العاملين الأجانب في آليات حفر القناة- وهذا القرار سيظل ساري المفعول حتى الوصول إلى اتفاقية بين الحكومة المصرية وحركة تحرير شعب السودان في مكان وتاريخ يتفق عليه الطرفان.

لا شك أنكم تعلمون أن تجدّد القتال بين الجنوب والشمال قد حدث نتيجة قيام حكومة السودان بخرق اتفاقية أديس أبابا، التي أوقفت الحرب. والواضح لكل مراقب أن الاتفاقية كانت تمثل حجر الزاوية في استمرار السلام في السودان- وخرقها من جانب واحد، من قبل أحد الأطراف، يؤدي تلقائياً إلى تخلي الطرف الآخر من أي التزام باحترام تلك الاتفاقية. ولذلك ستتفق معنا بأن الحرب، التي توقفت بعد تطبيق الاتفاقية، ستتجدد مرة أخري. وهذا هو ما حدث الآن. وهذه الحرب غير المرغوبة تجري الآن بكل أسف في جنوب السودان، ومنطقة قناة

جونقلي ليست بعيدة عنها- ولأجل تفادى قتل الأرواح وتخريب الآليات والإنشاءات والمعدات، من خلال إطلاق النار والهجمات العسكرية في المنطقة، نجد أنفسنا ملزمين أخلاقياً لنصح إدارة الشركة الفرنسية CCI بإيقاف أعمالها في القناة وسحب موظفيها فوراً. وقمنا بنقل هذه النصيحة عن طريق الفنيين الذين قبضنا عليهم في 1983/11/16، عند إطلاق سراحهم بعد ثلاثة أيام وفقاً لشروط إيقاف عمليات الحفر فوراً. ودواعي الأمن ليست على أي حال، هي الأسباب الوحيدة لإيقاف أعمال الحفر. فهناك مشاكل أكثر خطورة ترتبط بوجود القناة، وهي معلومة لحكومتي السودان ومصر- وسوف نذكر هنا بعضها لحماية حركتنا من أي اتهامات بالابتزاز من أي جهة كانت. ومصر والسودان كانتا ولا تزالان على علم بأن السودانيين الجنوبيين سيوقفون حفر القناة منذ البداية، إذا لم تلتزم الحكومتان بإدخال عدة شروط في الاتفاقية لضمان مصالح السودانيين الجنوبيين. ومن هذه الشروط ما يلي:

توفير مياه الشرب شرق القناة، قبل الحفر، لمنع موت الناس والحيوانات البرية من العطش خلال فصل الجفاف، لأن القناة ستصبح حاجزاً في طرقهم التقليدية نحو النيل في غرب القناة.

إنشاء مشاريع زراعة مروية على طول منطقة القناة لتوطين السكان المحليين الذين ستتأثر أنماط حياتهم التقليدية بالتغييرات الايكولوجية الناتجة من القناة المقترحة.

تشييد قرى ومدارس ومستشفيات نموذجية لتلبية احتياجات المواطنين الذين سيجبرون على الانتقال من منطقة القناة.

تشييد عدد كافي من الجسور فوق القناة، لتمكين السكان وحيواناتهم من العبور إلى مراعيهم التقليدية ومناطق المياه بالقرب من النيل في جهة الغرب.

وهذه المشروعات لم تجد طريقها للتنفيذ حتى الآن من قبل حكومتي مصر والسودان. وهذا ما يبرر إحباطنا وقرارنا الذي اتخذناه بإيقاف العمل في القناة. لقد

ظلت حكومات مصر والسودان، طوال تاريخها، تعامل مصالح وأرواح سكان الجنوب بإهمال وعدم اهتمام وتنظر إليهم نظرة دونية تضعهم في مرتبة دون البشر في أفضل الأحوال، ومجرد ضحايا في أسوأها ، هذه النظرة يجب أن تنتهي، فشعب الجنوب يعلم أن مصر وشمال السودان يركزان اهتمامهما فقط في أراضيه ومياهه دون أي اهتمام به كشعب وبشر. وهو يعلم أيضاً أن مصر تخطط، بمساعدة الخرطوم، لتوطين مليوني مواطن مصري ومشردين آخرين في منطقة القناة. ونحن أيضاً نعلم أن مصر تعمل لفرض ذلك بالقوة. وهذا هو سبب ترحيل قوات مصرية للخرطوم قبل أسبوعين تقريباً.

وفي الوقت الحالي، أصبحت القناة، بعد أن كادت تكتمل (تبقى منها 80 ميلاً فقط)، حاجزاً وعقبة، كما توقعنا، تتسبب في موت آلاف الحيوانات البرية، نتيجة للعطش أو سحقها في أدنى حوض القناة. وفي الوقت نفسه، ظلّ السكان وحيواناتهم الأليفة يعانون نفس المشاكل، بعد أن حرموا من الوصول إلى النيل وفرض عليهم العيش في أسوأ ظروف يعيشونها في تاريخهم. وكقادة لجماهيرنا المسحوقة هذه، فقد قررنا أن نحمل مصيرنا في أيادينا وأقسمنا أن نضع نهاية لعقدة التفوق، التي ظلّ يمارسها حكام مصر والسودان لقرون عديدة في هذا الجزء من القارة الأفريقية. وسنواجه القوة بالقوة وأكثر، كما نفعل الآن، بعد أن أمتلكنا الوسائل والقدرة لضرب المصالح المصرية الحيوية في السودان. وأملنا، على أي حال، إن مصر(التي تملك ما تخسره في طول نهر النيل) سنعمل بكل يقظة وحرص لاختيار طريقة سلمية لحلّ المشاكل، التي تسببت فيها حكومة يقودها مجنون في الخرطوم.

إننا نرى أن مصالح السودانيين الجنوبيين والمصالح المصرية يمكن تلبيتها بصورة أفضل، إذا أبعدت مصر نفسها من الصراع الحالي بين حركتنا والحكومة الرجعية في الخرطوم. والعمل في القناة يجب أن يتوقف حتى تتوصل مصر وحركتنا إلى تفاهم حول القضايا المطروحة في هذه المذكرة- وبغير ذلك، فلاداعي

لاستمرار العمل في القناة، حتى تسيطر علي السودان بكامله، وأي محاولة للاستمرار في العمل سيقود إلى كوارث ماحقة.

جوزيف أدوهو

رئيس لجنة الشئون السياسية والخارجية

لحركة تحرير شعب السودان

المحتويات

مركز محمد عمر بشير
للدراسات السودانية



مَركز محمد عمَر بشيْر
للدراسَات السودانيَة
جامعة أم درمان الأهلية
ص . ب : 1363 أم درمان .
هاتف: 002491-87566162
فاكس: 002491-87570352
E-mail: mobcenter@sudanmail.net.sd
الغلاف : جمال خليفة